تطبيق لقاعدة من القواعد الكلية الأساسية فى الاسلام و هى : الأصل فى الأشياء الاباحة و هذا يعنى أن الممنوعات محدودة و معينة .

لقد دأب الفقهاء المسلمون طوال القرون الماضية على تطبيق هذه القاعدة فى جوانب الحياة جميعها ، و الأدب ، أحد ميادين الحياة الكبيرة ، فكيف لا تكون منطبقة عليه ؟ و لماذا لا نعدها مقياساً صحيحاً لحدود الأدب و موضوعاته .

فى يقينى أننا يجب أن نعلن عن ضرورة تطبيقها على الأدب الاسلامى لنؤكد للآخرين أن حدوده أوسع مما يتصورون أو أن كل موضوح مباح ، إلا أن يدعو إلى ما يخالف الفطرة السوية أو يعتدى على إنسانية الانسان ، و له بل عليه أن يعتمد على مع الأجناس الأدبية والقوالب جميعها القصة والمسرحية والتمثيلية والمقالة الرفيعة و المقالة الثمينة ترى هل تكون حماية الانسان من مزالق الضياع و العفن تضييقاً ؟ وهل يؤذى الأديب أن نقول له : هذه مساحة الوجود الانسانى كلها فتحرك فيها ما تشاء ، إلا تلك الشعرة فانها تخرجك ـ و من البقلء ـ إلى الضياع ؟

لا أظن ذلك :

ثالثاً : حيوية الأدب الاسلامى :

إذا كان الأدب الاسلامى يصدر عن تصور واحد هو التصور الاسلامى أفلا يكون مهدداً بالنمطية و التكرار ؟ وعلى افتراض تعدد الموضوعات إلا تكون النماذج متشابهة فى بدايتها و نهايتها ؟ أليس التصور الاسلامى يفرض طريقاً محدداً للعلاقات مع الوجود و الانسان والطبيعة ؟ ومن ثم فالأدباء على مر الأجيال ـ و ربما فى الجيل الواحد ـ سوف يستنفذون هذا الأسلوب و يقفون فى النمطية و التكرار ؟

هذه شبهة ترد على الخاطر ، و فطنة عيب يلوح بها المشككون فى حقيقة الأدب الاسلامى و وجوده ، و ربما يساعدهم على ذلك وجود النمطية و التكرار

فی عدد من النصوص الأدبية ذات الموضوعات الاسلاميــة و لا سيما موضوعات المناسبات .

بادیء بدء نقول : إن الأدب الاسلامی غیر مسئول عن الملكات الضعيفــة و المواهب القاصرة ، فالضعف و القصور عيبان يشترك فيهما عــدد لا يحصى من المتأدبين فی كل زمان و مكان .

و لكن إن كانت طبيعة هذا الأدب تؤدی إلى المحدودية وتساعد على قصور الأديب و ضعف أدبه فی هــذه الحـالة يكون الأدب متهما ، فهل يؤدی التصور الاسلامی ، و من ثم الأدب الاسلامی الذی يصدر عنه إلى النمطية و التكرار ؟

إذا كنا قد سلمنا بأن الأدب الاسلامی يعتمد على التجربة الشعورية ويصدر عنها ، و سلمنا أيضاً بأن التصور الذی تصد عنه تجربتـــه واسع و شامل فلا يمكن أن نتهم طبيعة الأدب الاسلامی بأنه يؤدی إلى النمطية و التكرار .

إن أدباً موضوعاته كل شئ فی الانسان والوجود و تصوراته تشمل الانسان نفسه و كونه و الطبيعة التی وجد عليها لن يدفع الأديب على النمطيــة أو التكرار فاذا وقع التكرار فالعيب فی الأديب و ليس فی الأدب ،

ثم إن المشاعر الانسانية ، و هی المصدر الأول للادب الاسلامی لا يمكن أن تتماثل فی الأفراد أبداً ، و هناك على الدوام فروق بين مشاعر فرد وآخر ، وقد أكد الدارسون فی ميادين النفس البشرية أنه لايوجد على ظهر الأرض اثنان تتماثل مشاعرهما ، وأن كل إنسان نسخة فريدة ، وهذه من عظمة خالق الله قد تتقارب و لكنها لا تتطابق ، و بذلك يبقى المجال مفتوحاً للجـديد دائماً ، و نلحظ تطبيقاً لهذه المقولة فی الأدب و لنأخذ مثالا عليه توارد الشعراء منذ أول قصيدة جاهليـة وصلت إلينا ، و حتى يومنا هذا على الغزل ، و قد تشابهت قصائد كثيرين منهم

البعث الإسلامي

عن الندوة العالمية للأدب الإسلامي



عدد ممتاز عن

الندوة العالمية للأدب الإسلامي

إن هذه الندوة العالمية للأدب الاسلامى تعقد فى بلاد لم تكن اللغة العربية فيها فى فترة من فترات التاريخ لغة النطق والتفاهم، ولغة الديوان والحكومات، و لغة الرسائل و المكاتبات، و إن كان ذلك محسوباً على هؤلاء المسلمين الذين كانوا و لا يزالون يقرأون القرآن باللغة العربية، و هى لغة صلواتهم وعباداتهم، لكن سادتنا العرب — و أرجو عدم المؤاخذة — لا يتخلون عن التبعة، فلو وصل المد اللغوى والثقافى، و الحضارى الذى احتضن مصر و الشام و العراق، إلى أسوار هذه القارة الهندية و توغل فيها، كما توغل فى ربوع الشرق العربى، و ربطها الخيط النورانى الذى انبثق من الجزيرة العربية فى فجر الفتح الاسلامى، لكان لهذه البلاد شأن غير هذا الشأن، و لما احتجتم وسيط و ترجمان.

أبو الحسن على الندوى

المجلد السادس والعشرون

العدد الأول والثانى

★ رمضان و شوال ١٤٠١ﻫ ★

★ يوليو و أغسطس ١٩٨١م ★

أنشأها فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسنى (رحمه الله) فى عام ١٣٧٥ﻫ سنة ١٩٥٥ء

تصدرها: ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

المراسلات:

البعث الإسلامي

ندوة العلماء. ص. ب ٩٣

لكهنؤ — الهند

NADWAT-UL-ULAMA.
P.o. Box 93
Lucknow (India).

في هذا العدد

الأدب الاسلامي ، حاجته و دوره في الحياة ! سعيد الأعظمي الندوي ٤

الندوة العالمية للأدب الإسلامي

تقرير موجز عن الندوة العالمية فضيلة الأستاذ محمد الرابع الندوي ١٠
(الأمين العام للندوة العالمية)

كلمة تحية و ترحيب بقلم سماحة الشيخ أبي الحسن علي الندوي ١٣

كلمات الوفود

كلمة معالي الشيخ عبدالعزيز الرفاعي ٢٢

كلمة سماحة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ٢٤

كلمة فضيلة الدكتور محمد فتحي عثمان ٢٧

كلمة سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي ٣١

قائمة البحوث

البحوث التي قدمت أو ألفت للندوة باللغة العربية ٣٤

توصيات الندوة العالمية للأدب الاسلامي ٣٧

من البحوث التي قدمت في الندوة العالمية

الأدب الاسلامي و عناصره المميزة سماحة الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصاري ٤٥

نحو مذهب إسلامى فى الأدب و النقد	الدكتور عبد الرحمن رافت الباشا	٥١
الأدب كما يريده الاسلام	فضيلة الشيخ محمد المجذوب	٦٦
موقف الاسلام من الشعر	الدكتور عبد الله الحامد	٨١
ملاحظات حول تعريف الأدب الاسلامى	الدكتور عبد الباسط بدر	٩٣
الخصائص الايمانية للأدب الاسلامى فى الدعوة الاسلامية	الأستاذ عدنان على رضا النحوى	١٠٨
الشخصية الأخلاقية للأدب العربى	الأستاذ أحمد فرح عقيلان	١٢٣
مبادىء فى الأدب و الدعوة	فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى	١٣٨
منهج التربية الاسلامية فى ضوء الكتاب و السنة	سماحة الشيخ عبدالله بن على المحمود	١٤٦
شعر الصحابة ، مدى العناية به	معالى الأستاذ عبد العزيز الرفاعى (الرياض)	١٥١
تحديات التغريب فى مواجهة أصالة الأدب العربى	الكاتب الاسلامى الكبير الأستاذ أنور الجندى	١٥٧
أدب التربية و المواعظ	الدكتور غريب جمعة (القاهرة)	١٧٣
بينات الشعر الاسلامى فى زمن رسول الله ﷺ	الدكتور يحيي الجبورى	١٨٦
الحاجة إلى تدوين جديد لتاريخ الأدب العربى	الدكتور حسين عطوان	١٩٦

العدد القادم

و هو العدد الثالث للمجلد السادس و العشرين سيصدر - باذن الله - فى غرة ذى الحجة ١٤٠١هـ (أكتوبر ١٩٨١) فنرجو القراء أن لا يترقبوا المجلة فى شهر ذى القعدة ١٤٠١هـ (سبتمبر ١٩٨١) « التحرير »

بسم الله الرحمن الرحيم

الأدب الإسلامي،
حاجته ودوره
في الحياة!

لقد كان دعاة التغريب أذكياء يوم قرروا استغلال الآداب الفاسدة لتحقيق أهدافهم الهدامة في المجتمعات الإسلامية، وانطلاقا في ضوء إرشاداتهم وتعاليمهم هواة الفن الذي يحتوي في مجالات اللهو والتسلية وإذكاء شهوة النفس الأمارة بالسوء، وإستثارة الغرائز الجنسية والدوافع الشهوانية، واستطاع هؤلاء الدعاة الضالة بفضل ذكائهم، والعلم والحكمة أن يؤكدوا الناس ما للأدب والفن من دور كبير في تنشيط النفس وترويح الإنسان في لحظات فراغه دون أن يكون له أي مساس بالوظيفة الدينية التي يتولاها المرء المسلم.

ومن ثم وجد في مجتمعنا الإسلامي رجال من أصحاب العلم والدين ظنوا أن الأدب لا شأن له في حياة المسلم، وزعموا أن من يشتغل بالآداب والفنون من المسلمين إنما يعتبر ناقصا في دينه وأخلاقه، ذلك لأنهم اعتبروا الأدب شيئا زائدا على ما يجب أن يتحلى به المسلم في حياته، فالذي يركن إلى الأدب ويجد في نفسه ميلا نحو الفن لا يفعل ذلك إلا لضعف في عقيدته وتحرر عن القيود الخلقية والإيمانية في نفسه، ولذلك كان الأديب دائما موضع انتقادهم وازدرائهم، وكانت شخصيته مركزا لضعف الإيمان والعقيدة، ومرتعا للانحراف والضلال في أعينهم.

اقتنع هؤلاء الرجال من علماء الدين و الفضيلة بطرح الأدب جانباً من الدين و إقامة حاجز بينه و بين الدين ظناً منهم أن الأدب يفسد دين المرء و يغريه على ممارسة الأهواء و الشهوات ، و مخالفة الفضائل و الأحكام . هـذه النظرة نحو الآداب والفنون الانسانية كانت أول ثمرة من الجهود المكثفة التی بذلها دعاة التغريب فی أوساط المسلمين الدينيـة ، و تبعتها ثمار يانعـة جنيـة فی كثير من المجالات الحيوية ، التی اختصت بالمجتمع الاسلامی و عاشها المسلمون فی حيـاتهم الفردية و الاجتماعية .

و قد أحس بهذا الخطر الداهم رجال آخرون من أصحـاب العلم و البصيرة ، وأدركوا المكيدة الخطيرة التی تختفی وراء تلك المجهودات السريعة التی يقوم بها أعداء المسلمين عن طريق الآداب وفنونها ، حيث إنهم اتخذوها مدخلا واسعاً نحوالتحريف فی الدين ، و إضعاف علاقة المسلمين بالقيم الخلقية و المثل العليـا ، فلم يكن الأدب الوجودی ، و الأدب الغربی ، والأدب الماركسی ، والأدب الصهيونی ، إلا معاول هدم للمفاهيم الدينية وتشويه لمعانی الأدب الرفيع و الفكر الانسانی النبيل ، وشتان بين سمو الأدب الذی ينبع من الاسلام و نزاهتـه ، و بين هـذه الآداب الشقيـة التی لم يخترعها أصحابها إلا لحاجة خسيسة و غرض دنیء فی أنفسهم ، و قـد جنت هـذه الآداب الهزيلة المصطنعة علی الأدب الأصيل ، الأدب الاسلامی الذی يقوم عليه أساس الخلق و الفضائل ، و السماحة و الأمانة .

و إذا دققنا النظر فی تاريخ هذه الآداب الاصطنـاعية و درسنا الموضوع فی جدية و عمق و بصيرة وجدنا أنها مؤامرة علی الاسلام ضمن المخططات التغريبيـة و الاستعمارية الواسعـة التی شملت دول المسلمين علی اختلاف شعوبها و أضعفت صلتهم بتعاليم دينهم و عقائدهم ، و لذلك فانهم قد انحرفوا بآدابهم إلى طرق معوجة

من التحرر و التجدد ، و الاباحية ، و الانطلاق مع الغرائز و الانسياق نحو الشهوات ، حتى أصبحت لها أسماء أدبية وفلسفات فكرية ما أنزل الله بها من سلطان ، و نشأ لها أنصار و عبيد أولوها أهمية كبيرة ، و اتخذوها سلاحاً لتدمير الفضائل و الأخلاق و القيم العليا .

و أى عالم أديب يجهل الحركات الأدبية الشهيرة ـ التى تملأ العالم اليوم بآداب رخيصة و فنون ركيكة ـ من الوجودية و الفنية و الواقعية والطبيعية ، والرمزية ، أليست هذه التيارات الأدبية الخاطئة معاول هدم و تخريب و إفساد و تشويه للمانى الانسانية الرفيعة ، و أداة قوية لنشر المبادىء الباطلة وخدمة المذاهب الهدامة من الشيوعية و الاشتراكية و الديموقراطية و البلشفية و الرأسمالية و ما إليها من فلسفات براقة الأسماء و اللافتات .

فهل من المعقول المقبول أن يتغافل المسلمون سلاح الأدب العظيم الذى أكرمهم الاسلام به و زودهم به كتاب الله و سنة رسوله . و يتركوا المجال واسعاً لدعاة الهدم و الفساد و هواة الشر و الفاحشة أن يعبثوا بكرامة المسلم و يلعبوا بأعراض الأخوات و الأمهات ، و يخرجوا بالشباب و الشابات من بيوت المسلمين إلى الأسواق و الشوارع وقارعة الطريق ليبيعوا أغلى ما عندهم من متاع العرض والعز بثمن بخس دراهم معدودة ، و لا يبالوا بما إذا تعروا عن لباس الحياء والزينة أمام كل إنسان .

إن الأدب السليم و الأدب الأصيل قبل أن يدعيه أحد أو يملكه أحد هو ملك المسلم ، و مجال الاسلام فيه أوسع من غيره ، و قد انتمى إليه نبى الاسلام ﷺ فقال : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » وقال عن القرآن كتاب الله العظيم « إن هذا القرآن مأدبة الله فى الأرض فتعلموا من مأدبته .

و هل بعد هـــذه الشهادة من شك فى أن الأدب ملك الاسلام ، و مجال المسلم فيه أوسع ، و هو أحق بأن يتأدب به ، و يتعلم من خلاله فضائل الأخلاق و مكارم الآداب ، و هو الذى يتحمل مسئوليـــة إنقاذه من المستنقعات العفنة التى أنشأها له أدعياء الفكر و الفلسفة ، و أشقياء المدنية و الحضارة ، و محترفو العلوم و الفنون ، فان للكلام سحراً و تأثيراً عـلى النفوس و العقول ، لا ينكرهما من يعرف قيمة الكلام و أهمية البيان ، ويقرأ قول النبى ﷺ : « إن من الشعر لحكمة و إن من البيان لسحراً » .

و انطلاقاً من هذا المبدأ الأساسى وتأكيداً لأهمية الأدب الاسلامى وللحدب عليه و تعميق معانيه فى الجيل المسلم المعاصر عقدت ندوة العلماء أول ندوة عالميـــة للأدب الاسلامى فى شهر جمادى الآخرة عام ١٤٠١هـ فى رحاب جامعتها الكبرى برعاية الداعية الاسلامى الكبير والأديب العبقرى العظيم سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، رئيس ندوة العلمـاء ، لمدة ثلاثة أيام حضرها أولو الغيرة من رجال القلم الاسلامى والكتاب الاسلامى من مختلف بقاع العالم الاسلامى ، فكانت هذه الندوة الأدبيـــة ملتقى أدبيـاً و فكرياً لدراسة موضوع الأدب الاسلامى ، و تركيز أهمية و ضرورة الموضوع فى أوساط العلم و الأدب والدين على السواء ، التى أغفلت هذه الأهميـة و تناست هذه الحاجـة الأكيدة ، و قد أشار إلى هذا الجانب المهم الأساسى سعادة الدكتور عبـد الرحمن رأفت الباشا فى بحثـه القيم الذى قدمه فى الندوة العالمية و ننشره فى هذا العـدد الممتاز ، جاء فيه :

« من سوء الحظ أن أدباءنا الاسلاميين فى العصر الحديث قد تخلوا لغيرهم عن الفنون الأدبية الحديثة ، و انصرفوا إلى قرض الشعر و كتـابة المقالات و إعداد البحوث ظناً منهم أن بين الدين وبين القصة والمسرحية جفوة تصل إلى حد القطيعة .

لايعلم إلا الله مدى النكبة التى حلت بالأدب الاسلامى من جراء هذا التخلى ، و لا مبلغ الخسارة التى لحقت بالمسلمين بسبب ذلك ، لقد غصت مكتباتنا الخاصة و العامة خلال النصف الثانى من هذا القرن بآلاف القصص الموضوعة والمترجمة ، و أقبل عليها أبناؤنا و بناتنا إقبالا فاق كل تقدير ، و عبوا من سمومها و موبقاتها ما يكفى لقتل أجيال من الناس ، ففسدت أخلاقهم و تزعزع إيمانهم . و اتجهوا اتجاهات تسر العدو و تحزن الصديق .

لقد آن الأوان لأن نرجع إلى أنفسنا ونجند طاقاتنا وطاقات شبيبتنا الموهوبين لاقتحام هذه الساحة ، فما يزال فيها حتى اليوم موطىء لأقدامنا ، و ما تزال بين جماهير القراء أفئدة تهفو للأدب النظيف ؛

وسيطالع القارىء الكريم فى هذا العدد الممتاز على تلك الوثيقة التاريخية العظيمة التى ألقاها سماحة العلامة الندوى ترحيباً بأعضاء الندوة الوافدين ، و على توصيات الندوة العالمية ، وفى كل منها رد شاف على كل شبهة تدور فى خلد ، حول الموضوع ، كما يحتوى هذا العدد على عدد من البحوث القيمة التى قدمت فى الندوة ، وكلها تأكيد لدعم الأدب الاسلامى من جميع الجهات ، و توطيد دعائمه بكل أسلوب ممكن ، وسننشر بقية البحوث المقدمة فى الندوة العالمية فى الأعداد القادمة ـ باذن الله تعالى ـ و على الله توكلنا و هو على كل شئ قدير ؟

سعيد الرحمن الأعظمي الندوي

الندوة العالمية للأدب الإسلامي

١١، ١٢، ١٣ جمادى الثانية ١٤٠١هـ ـ ١٧، ١٨، ١٩ أبريل ١٩٨١م

الندوة العالمية للأدب الاسلامى

عقدت ندوة العلماء أول ندوة عالميـــة للادب الاسلامى فى الفترة ما بين ١١/ — ١٣/ جمادى الثانيـة ١٤٠١هـ الموافق ١٧ - ١٩ نيسان (ابريل) ١٩٨١م أيام الجمعة و السبت و الأحد ، فى قاعة مكتبتها العامة الجديدة .

و لقد حضر فى الندوة أكثر من مأتى مندوب للجامعات و مراكز العـــلم والأدب الاسلامية ، فى القارة الهندية و البلدان العربية و غيرها ، لقد كان أكثر من مأة و خمسين مندوبا منهم من الهند ، و أكثر من خمسين من خارج الهند ، فمن أهم الجامعات و مراكز العلم و الأدب الاسلامية التى حضر مندوبوها فى الندوة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الرياض ، والجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، وجامعة الملك عبد العزيز مكة المكرمة ، و جامعة قطر ، وجامعة الامارات العربية المتحدة ، و جامعة القاهرة ، و جامعة الأردن ، و ادارة الشئون الدينية فى قطر ، و رئاسة القضاء الشرعى فى قطر ، و رئاسة القضاء الشرعى فى أبو ظبى ، ومركز الدعوة الاسلامية بالشارقة ، و وزارة العدل لسلطنة عمان ، و وزارة الأوقاف لمصر و غيرها من مراكز و معاهد إسلامية و أدبية أخرى فى العالم العربى .

و من الهند جامعة على كراه الاسلامية ، وجامعة ملية الاسلامية فى دلهى ، و جامعة لكهنؤ ، و جامعة إله آباد ، و جامعة كلكتا ، و جامعة حيدر آباد ، وجامعة دلهى ، وجامعة بنارس ، وجامعة كاليكوت وغيرها من الجامعات العصرية ، و المعاهد و المراكز العلمية و الأدبية ، بالاضافة إلى الجامعات الاسلامية الأهليـــة المختلفة المنتشرة فى البلاد الهنـــدية ، و مراكز الأدب و العلم و المجامع الاسلامية وغيرها ، كما حضر مندوبو الصحف والمجلات من الهند والبلدان العربية ، مثل مندوب

جريد «الدوه» مكة المكرمة ومندوب صحيفة «الأمة» الصادرة من الدوحة قطر، ومندوب جريدة «الأخبار» المصرية، ومندوبو الصحف الاسلامية الصادرة من الهند.

وكان للندوة فرعان، فرع للغة العربية، وفرع آخر للغة الأردية والانجليزية و الفارسية، فعقدت جلسات الفرعين فى قاعتين مختلفتين. و قــدمت فيهما نحو ثمانين بحثاً، كان أكثر من أربعين منهـا فى العربية والبقية كانت فى اللغة الأردية، ثم الانجليزية، ثم الفارسية.

رأس الجلسات المشتركة العامة سماحـة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى رئيس جامعـة ندوة العلمـاء، و ناب عنه فى الفرع العربى أديب العربية المعروف معالى الشيخ عبد العزيز أحمد الرفاعى من الرياض، وناب عنه فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكه الميدانى فى بعض الجلسات واختير الأديب الاسلامى المعروف الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا الأستاذ المساعد فى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض مقررا عاماً للندوة، وكان مساعده فى هذا العمل فضيلة الشيخ محمد مصطفى المجذوب الأستاذ فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، بالاضافة إلى الأمانة العامة للندوة، و ناب عنه فى رئاسة جلسات الفرع الأردى و الانجليزى الأستاذ السيد صبـاح الدين عبد الرحمن رئيس المجمع العلمى المعروف بـ«دار المصنفين» فى أعظم كره (الهند)

بدئت الندوة فى الساعة التاسعة والنصف صباح يوم الجمعة ١١/ جمادى الثانية، واستمرت جلستها الافتتاحية إلى الساعة الثانية عشرة ظهرا. وافتتحت الندوة بتلاوة آى الذكر الحكيم، ثم قرئت أسماء أهم الحاضرين، و أهم الرسائل الواردة، ثم قدم الرئيس كلمـة تحية و ترحيب، ثم ألقى كل من معـالى الشيخ عبد العزيز الرفاعى (الرياض المملكة العربية السعودية) وسماحة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصارى مدير الشئون الدينيـة فى قطر، والدكتور فتحى عثمان رئيس المجلس الأعلى العلمى بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض، كلمة عن الوفود.

ذكر فيها كل واحد منهم أهمية الموضوع، وأثنى على دار العلوم ندوة العلماء لسبقها

نحو عقد ندوة عالمية علمية فى الأدب الاسلامى ، و تطرق كل واحد منهم إلى ذكر داعيها سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، والثناء عليه لاهتمامه بالموضوع .

افتتحت جلسات اليوم الثانى بكلمة قيمة حول الموضوع لسماحة الشيخ أحمد حمد الخليلى المفتى العام لسلطنة عمان ، واستمرت جلسات الندوة من مساء يوم الجمعة إلى مساء يوم الأحد ، وقد طلب مقرر الندوة من أصحاب البحوث أن يلخصوا بحوثهم فى أفكارها المهمة حتى يستوعب الوقت المعين للندوة اكثر بحوثها ، فكان من تأثير ذلك أن الجلسات العربية السبع للندوة ، قد استوعبت أربعين بحثاً ، كان أغلبها بأقلام السادة الضيوف العرب ، كما ألقيت فى مختلف جلسات الندوة كلمات توجيهية ، وأنشد الشعراء قصائدهم التى بلغت فى عددها نحو عشر قصائد .

و لأهمية موضوع الندوة ، و لكونها أول ندوة تعقد فى الأدب الاسلامى أراد مندوبوها أن لا تنتهى جلساتها إلا على توصيات تضم الأفكار المهمة فى مجالات الأدب الاسلامى فشكلت فى صباح اليوم الثالث لجنة لقبول المقترحات و دراسة البحوث المقدمة . ثم صياغة توصيات منها ، أختير لها ستة أعضاء ، و هم :

١ — معالى الشيخ عبد العزيز أحمد الرفاعى ــ الرياض كرئيس للجنة
٢ ــ الدكتور فتحى عثمان جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الرياض عضو
٣ — الدكتور عجاج الخطيب جامعة الامارات العربية المتحدة »
٤ ــ الدكتور يحيى وهيب اجبورى جامعة قطر »
٥ الدكتور عبد الله عبد الشكور كامل جامعة القاهرة مصر »
٦ — الأستاذ واضح رشيد الندوى دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ الهند »

وقامت اللجنة بدراسة الاقتراحات والبحوث المقدمة فى الندوة نهار يوم الأحد فوصلت إلى مشروع للتوصيات قدمتها فى الجلسة المسائية الأخيرة المشتركة ، و وافقت عليها الندوة بالاجماع ، و سيجد القارى الكريم مواد الندوة و إجراءاتها بشئ من التفصيل فى الصفحات التالية ، ونبدأ بكلمة تحية وترحيب افتتح بها الندوة سماحة العلامة أبى الحسن على الحسنى الندوى رئيس ندوة العلماء ، و رئيس هذه الندوة العالمية للأدب الاسلامى .

كلمة تحية وترحيب

بقلم سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين و خاتم النبيين محمد و آله و صحبه أجمعين و من تبعهم باحسان إلى يوم الدين ، أما بعد !

حضرات الأساتذة الكبار ، و علماء اللغة العربية و الآداب ، و المشتغلين بالتربية والتعليم ، والتأليف والبحث والتحقيق فى مختلف أرجاء العالمين الاسلامى والعربى أحييكم بتحية الاسلام ، وبتحية القرآن ، الذى جمعنا على صعيد حب اللغة العربية ، و دراستها ، و وصل النهار بالليل ، والشباب بالشيب فى خدمتها ، والغيرة عليها ، و إيثارها على لغات الأمهات و الآباء ، والبلاد والأوطان ، فلو لا القرآن الذى نزل بهذه اللغة ، و لو لا الرسول الذى نطق بها ، و لو لا المكتبة الاسلامية العربية التى هى من أغنى مكتبات العالم ، والتى أسهم فى تكوينها وتوسيعها وتجميلها علماء العرب و العجم ، لما تسنى لبلد عجمى يعانى مشكلة اللغات ، و يخوض معركة صراع الثقافات و الحضارات ، و لا يرتبط باللغة العربية ارتباطاً عنصرياً ، و لا مناخياً ، و لا تاريخياً ، و لا اقتصادياً و سياسياً ، أن يعقد ندوة عالمية فى الأدب العربى ، ويدعو إليها صفوة الأدباء والباحثين فى العالم العربى ، ولا يشعر فى ذلك بمعنى من معانى « التطفل » و حب الفضول ، و لا بشىء من الاقتحام و المغامرة ، و تخطى الحدود و الآداب ، فيلجأ إلى اعتذار و تعليل و تبرير .

إن هذه الندوة العالمية للادب الاسلامى تعقد فى بلاد لم تكن اللغة العربية فيها فى فترة من فترات التاريخ لغة النطق و التفاهم ، و لغة الديوان و الحكومات ، ولغة الرسائل و المكاتبات . وإن كان ذلك محسوباً على هؤلاء المسلمين الذين كانوا و لا يزالون يقرأون القرآن باللغة العربية ، و هى لغة صلواتهم وعباداتهم ، لكن سادتنا العرب - وأرجو عدم المؤاخذة - لا يتخلون عن التبعة ، فلو وصل المد اللغوى و الثقافى ، و الحضارى الذى احتضن مصر والشام و العراق ، إلى أسوار هذه القارة الهندية و توغل فيها ، كما توغل فى ربوع الشرق العربى ، و ربطها الخيط النورانى الذى انبثق من الجزيرة العربية فى فجر الفتح الاسلامى ، لكان لهذه البلاد شأن غير هذا الشأن ، و لما احتجتم إلى وسيط و ترجمان

و لكن بالرغم من أن اللغة العربية لم تكن فى يوم من الأيام لغة النطق و التفاهم على مستوى الشعب و الجمهور ، صلة هذه القارة باللغة العربية و حركة التأليف و التدوين عميقة و قديمة ، و قد قدر الله أن تظل هذه البلاد متمسكة عبر القرون و الأجيال بعلوم الكتاب و السنة مسايرة لركب التأليف ، و الانتاج العلمى السيار . حين ساق إليها فى طليعة الدعاة و الغزاة ، و فى مقدمة الكتيبة المؤمنة المغامرة فى أوائل القرن الثانى الهجرى ، المحدث الكبير الربيع بن صبيح السعدى الذى يقول عنه الجلبى فى « كشف الظنون » هوأول من صنف فى الاسلام ، أو كان يلى أول المصنفين فى الاسلام كما قال بعضهم ، وكان قد خرج مع عبد الملك بن شهاب المسمعى من مطوعة أهل البصرة ، فمات بأرض الهند فى سنة ستين ومئة ، وكان فى موته شهيداً خارجاً فى سبيل الله ، حياة للعلم ، وبعث للهمم ، و حفز للعزائم ، و تأمين لمستقبل هذه البلاد العلمى و التأليفى .

و لم تكن عناية هذه البلاد و أبنائها بعلوم الكتاب و السنة التى توفرت لها

الدواعی القویة ، من إیمان و عقیدة ، و حب و عاطفة ، و حاجة و ضرورة ، بل تخطت إلی اللغة العربیة و آدابها ، و تاریخ هذه البلاد فی خدمة اللغة العربیة و العنایة بها ، و الاتصال بأئمة اللغة و أقطابها ، و احتضانهم و إیوائهم ، قدیم ، فکان الامام الکبیر رضی الدین أبو الفضائل الشیخ حسن بن محمد الصغانی (م ٦٥٠هـ) من رواد وضع المعاجم الکبیرة ، و دواوین اللغة ، من موالید هـذه البلاد ، قد ترعرع و بلغ أشده ، واستکمل دراسته بمدینة لاهور ، وکان دائم التردد إلی مسقط رأسه ، و بلاد نیطت بها تمائمه ، و قد سارت بتصانیفه الرکبان ، وخضع لعلمه علماء الزمان ، قال السیوطی :

« إنه کان حامل لواء اللغة » وقال الذهبی : « إن إلیه المنتهی فی اللغة » و قال الدمیاطی : « إنه کان إماماً فی اللغة و الفقه و الحدیث » و من مصنفاته « العباب الزاخر » فی اللغة فی عشرین مجلداً ، ومجمع البحرین فی اللغة ، والنوادر فی اللغة و التراکیب ، وکتب أخری فی أسماء الحیوانات ، عدا مؤلفاته فی النحو.

و قد ظلت عنایة علماء الهند باللغة العربیة و آدابها مستمرة علی مر العصور و الأجیال ، و لم تکن هذه العنایة تقلیدیة ـ سائرة علی خط واحد من وضع المعاجم الکبیرة و تلخیصها ، بل کانت لهم فتوح و ابتکارات ، و زیادات تکاد تکون فریدة فی المکتبة العربیة العالمیة الواسعة ، فقد عنی العلامة محمد طاهر الفتنی (م ٩٨٦هـ) بشرح غریب الحدیث ، فألف کتابه العظیم « مجمع بحار الأنوار فی غرائب التنزیل ولطائف الأخبار » فی أربع مجلدات کبار ، یقول العلامة السید عبد الحی الحسنی فی کتابه « نزهة الخواطر » : « جمع فیه المؤلف کل غریب الحدیث و ما ألف فیه ، فجاء کشرح الصحاح الستة ، وهو کتاب متفق علی قبوله بین أهل العلم منذ ظهر فی الوجود ، و له منة عظیمة بذلك العمل علی أهل العلم

(انتهى) » و مؤلفات علماء الاسلام كثيرة فى موضوع غريب الحـــديث ، كما يعرف أهل هذه الصناعة ، و لكن الذى مارس تدريس الحديث الشريف ، وكان من المتبصرين الحاذقين لهذا العلم ، و الذين يواجهون المشكلات فى تدريس هـــذا الفن ، و شرح الحديث عملياً ، يعرفون ميزة هذا الكتاب ، وعلو كعب المؤلف و رسوخ قدمه فى فهم الحديث و سعة نظره فيه .

و يعرف أهل البصر ، و المشتغلون بالتــدريس و التأليف أن موضوع المصطلحات العلمية ، و شرحها وتحديد معانيها ، و الوصول فيها إلى اللباب وفصل الخطاب من أدق العلوم ، والمؤلف فى هذا الموضوع من أعظم المؤلفين مسؤلية وتحرجاً فان المصطلحات كالخارطة للسفن والمراكب والطائرات ، فان أدق خطأ فى خطوطها التى تضبط المراكب والطائرات . وتحدد الجهات و الغايات ، قد يكون سبباً لضياع هذه البواخر والطائرات ، أو انحرافها عن الغاية المقصودة ، و كان من شجاعة علماء الهند و مغامرتهم ، و ثقتهم بالنفس ، و مكانتهم فى الثقافة الاسلامية العربية ، أن تناولوا هذا الموضوع الدقيق للتأليف ، و مؤلفات أهل الهند فى هذا الموضوع هى الفريدة فى هذا الباب و الخطيب فى المحراب ، وعليها الاعتماد منذ ما ألفت فى فهم المصطلحات العلمية واستخدامها ، فألف الشيخ عبد النبى الأحمد نكرى كتابه « جامع العلوم » المشهور بدستور العلماء فى أربع مجلدات ، و ألف الشيخ محمد أعلى التهانوى (و كلاهما من رجال القرن الثانى عشر) كتابه « كشاف اصطلاحات الفنون » و هو كتاب عظيم النفع تلقاه المشتغلون بالعلم فى البلاد بالقبول ، و أثنوا عليه ، لأنه يغنى عن مراجعة آلاف من الصفحات ، و مئات من الكتب ، و قد جاءت فيه عصارة من دراسات المؤلف الواسعة العميقة ، ورحيق معلوماته العذب الصافى ، و هو فى ذلك كنحلة تمتص من الأزهار و الأوراد ، و تصب العسل المصفى .

وتوج هذا المجهود العلمى ، و العناية الدقيقة المخلصة بعلم اللغة ، بمأثرة العلامة السيد مرتضى بن محمد البلكرامى المشهور بالزبيدى ، التى تجلت فى كتابه العظيم « تاج العروس فى شرح القاموس » فى عشر مجلدات كبار ، و لا أعرف ـ فى حدود علمى ـ أن معجماً فى أى لغة من لغات العالم الحية ، عنى به هذه العناية الفائقة و فكر فى شرحه و تنقيحه و الزيادة فيه ، فأصبح موسوعة لغوية ، و قد ولد السيد مرتضى فى الهند فى قرية لا تبعد عن هذا البلد الذى نلتقى فيه بعداً كبيراً ، و قد كانت من توابع هذه المدينة ، وهى مدينة كبار العلماء و الأدباء ، و الشعراء و المؤرخين ، كان فى مقدمتهم مولانا السيد غلام على البلكرامى صاحب السبع السيارة و هى سبعة دواوين له بالعربية ، و صاحب ابتكارات و زيادات فى الشعر و العروض ، و توليد المعانى ، و التفنن فى الخيال ، وقد شغل كتاب « تاج العروس » سمع الزمان و بصره ، فتنافس فى انتساخه ، و الحصول على نسخة منه كبار سلاطين العصر و ملوك العالم .

ومما يجب أن يسجل فى تاريخ الأدب العربى ، ويتنبه له المتتبعون لمسيرة الأدب العربى ، و تطوراته ، أن الهند الخاضعة لنفوذ الفرس الأدبى والثقافى ، التى كانت تعيش على فتات مائدة العرب فى اللغة و الأدب ، أنجبت فى مختلف عصورها من استطاع أن يسمو على الأسلوب الأدبى التقليدى الذى كان يسيطر على العالم العربى من أقصاه إلى أقصاه ، بعد أن ظهر كتاب المقامات للحريرى على المسرح الأدبى — و لا مؤاخذة فان أبا زيد السروجى كان ممثلا فى مسرحات مختلفة — فكان المثال الوحيد الذى يحتذى فى الانشاء و الكتابة العربية ، و قد كان ذلك كتغير الفصول ، و حلول الربيع و الخريف ، أو كالأوبئة التى تؤثر فى المزاج تأثيراً عاماً ، لا يخلو منها قوى و ضعيف ، و سليم و سقيم ، و قد غشيت العالم

العرفى ، بل العالم الاسلامى سحابة من تقليد أسلوب الحريرى ، ولكن قد ظهرت من أفق الهند البعيد عن مهد اللغة العربية وأساليبها الأصيلــــة رجال كانوا يبدون كبراعات و حباحب . فى ليلة مطيرة مظلمة ، كتبوا بقلم عربى أصيل ، وفى أسلوب يجرى مع الطبع ، و هذه الظاهرة الأدبية أو البدعة فى شريعة الأدب العربى المتبعة شرقاً و غرباً ، تحتاج إلى دراسة عميقة .

و كان من هؤلاء الأفذاذ العلامة محمود الجونفورى ـ و هو من مدينــــة مجاورة فى هذه الولاية الشمالية ـ (م١٠٦٢هـ) فالذى يقرأ كتابه الفرائد شرح الفوائد يتعجب لانشائه المترسل ، و أسلوبه العلمى التحليلى ، و بعده عن السجع والتنميق الذى كان له سحر على أصحاب الصناعة الأدبية ، و الشادين باللغة العربية

و إذا لم تكن الهند المجليــــة فى مضمار التحرر من قيود السجع و القوافى ، و البديع و الصنائع اللفظية ، و إيثار جانب المعانى على جانب زخرفة الألفاظ ، و إرسال النفس عــلى سجيتها ، و إطلاق عنان القلم ، فقد كان السبق فى ذلك ، و الزعامة العلمية لنابغة العرب ، و إمام فلسفة التاريخ ، العلامة عبــد الرحمن بن خلدون التونسى ، ولمقدمته العظيمة الفريدة التى هزت العقول و الأذواق ، وشقت طريقاً جديداً للانشاء و البحوث العلمية ، أقول إذا لم يقــدر للهنـد أن تكون هى المجلية فى هذا المضمار ، وقد كان طبيعياً ، لأنها كانت فى آخر حدود العالم الاسلامى و تحت نير الحكم العجمى السياسى و الثقافى ، فقد كانت المصلية فى هذا المضمار ، فقد نبغ فيها الامام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولى الله الدهلوى (م١١٧٦هـ) فألف كتابه « حجة الله البالغة » و الكتاب — علاوة على مكانتــه فى موضوع أسرار أحكام الشريعة و فلسفة التشريع الاسلامى — مثال فريد لسلامــــة الذوق الأدبى ، و نصاعة اللغة ، و قوة العبارة وانسجامها ، و بعدها عن السجع البارد ،

و تقليد أسلوب الحريرى ، و هو يعد بحق النموذج الثانى للنثر الطبعى السلسال ، و التعبير العلمى العامر ، بعد مقدمة ابن خلدون . و الذى يقرأ فصله « المدنية العجمية عند بعثة الرسول ﷺ » فى كتاب « حجة الله البالغة » يحار لرشاقة العبارة و التدفق البيانى ، و سهولة اللغة و عذوبتها .

و قد نبغ بعده علماء كتاب فى الهند ، كانت كتاباتهم فى السير و التراجم ، و البحوث العلمية والتاريخية تختلف عن كتابات معاصريهم فى البلاد العربية الصميمة و مراكز الثقافة العربية ، فى عذوبة العبارة ، و خفة الروح ، و تنوع المادة ، و الترسل ، و نخص بالذكر منهم العلامة محسن بن يحى الترهتى صاحب « اليانع الجنى فى أسانيد الشيخ عبد الغنى » وهو كتاب مشرق الديباجة ، عليه رواء العربية الفصحى ، و رشاقة الأديب القدير ، و علامة الهند الأمير السيد صديق حسن القنوجى البهوپالى (م١٣٠٧هـ) و المؤرخ الكبير العلامة السيد عبد الحى الحسنى (م١٣٤١هـ) صاحب « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر » فى ثمانية مجلدات .

و هنا اسمحوا لألفت نظركم إلى حقيقة تاريخية أدبية ، وأنقل سطوراً من كلمتى التى ألقيتها فى مهرجان ندوة العلماء الكبير المنعقد فى ٢٥ ـ ٢٨ شهر شوال عام ١٣٩٥هـ

قلت :

« من سمات علماء الهند البارزة أنهم قادوا الحركة الأدبية الانشائية فى شبه القارة الهندية ، و كانوا من الدعائم القوية السامقة التى قام عليها قصر الأدب الرفيع ، و النثر الفنى بعد ثورة ١٨٥٧م ، وكان كل واحد منهم مؤسس مدرسة أدبية خاصة ، لا يزال لها أنصار و أتباع و مقلدون ، و كان كثير منهم رائد نشاط جديد فى الانشاء و التحرير و النقد و تاريخ الأدب و الشعر ، و لا تزال

مؤلفاتهم هى المرجع الأصيل و العمدة فى هذا الموضوع ، و لم يكن فى الهند ذلك الفصام النكد بين علوم الدين والأدب العصرى ولغة البلاد ، و لم تكن تلك الفجوة التى وقعت فى بعض البلاد بين علماء الدين و الشادين بالأدب و الشعر ، والهائمين بهما ، الفجوة التى جنت على الدين و الأدب فى وقت واحد » .

و كانت مؤسسة ندوة العلماء التى تلتقون فى رحابها ، فى مقدمة من أنكرت على هذا الفصام النكد بين الدين والأدب ، و تكوين معسكرين متنافسين ، معسكر العلماء و الدعاة ، و معسكر الأدباء و الكتاب ، فى لغـــة البلاد ، و المؤلفين فى آدابها ، و أنكرت على احتكار الأدباء المتزعمين للأدب للغة و الانشاء ، و النقـد و التاريخ ، و قد تجلت هذه الحقيقة و هذا الاستنكار فى عبارة أحد المنتسبين إلى ندوة العلماء ، اسمحو لى أن أنقلها منقولة من الأردية إلى العربيـة والكاتب يتحدث عن رجعية التقدميين من الأدباء ، يقول :

« الأدب الذى كان أجدر بأن يرفض السير على خط واحد رسمه القدماء ، وكان أحق بأن يتعير من الجمود والتقليد ، من أى مؤسسة علمية و مدرسة فكرية ، إن الأدب الذى رضع بلبان الجدة و الجراءة و الذكاء و التذوق بالجمال ، ويرتفع أساسه ـ بالتعبير الأدبى ـ على حب الجمال فى كل شيء ، و على الشغف بالأزهار و الأوراد ، فى كل حديقة و روضة ، و فى كل غابة و واحة ، قد وقع ـ مع الأسف ـ فريسة العصبية التقليدية ، وأصبح أسيراً للعادات و الرسوم ، و قلما نجد الأدباء و النقاد فى هذا العصر يتجاوزون حدود التعريف بالأدب و الانشاء الذى رسمه المؤلف الأول أو المؤرخ للادب القديم ، ويتخطون رسومه التى قررها هو ، الأمر الذى أنتج أن كل أديب يترسم خطى الأديب الذى سبقه فى رحلته الأدبية ، دون أن يطمح إلى زيادة أوابتكار ، أوتطوير فى ذخائر النماذج الأدبية ، إنما يتم

اختيار عدة أشخاص مثاليين للادب و الكتابة فيقلدهم كل أديب و مؤرخ تقليداً أعمى ، و يجتر آثارهم و أسلوبهم .

و ما أصدق قول شاعر الاسلام الدكتور محمد إقبال تعبيراً عن هذه المدرسة الأدبية التقليدية تقليد الببغاء . يقول :

« إن هذه المدرسة تدور كثور الطاحون حول محور واحد قديم »:

وكانت أول من نادت بضرورة استعراض المكتبة العربية من جديد ، وغربلتها و نخلها و إثارة دفائنها و كنوزها ، و إبراز محاسنها و بدائعها ، و إن كانت فى غير مظانها ، و عنـــد من يعتبر من أغنى الناس عن الهيام بالأدب و القدرة على التعبير ، و أبعـــدهم عن دست الأدباء و الكتاب ، و وضع مناهج جديدة لتعليم اللغة العربية و آدابها ، تعلم الدين و الأدب فى وقت واحد ، و تطبع على السليقة العربية ، و تثير المواهب الفطرية ، و تعيد الثقة بصلاحية هذه اللغة و مسايرتها لكل عصر و موضوع .

لكل هذه الأسباب ، و لهذه الركيزة الأدبية التاريخية لم يكن من المستغرب أن تنظم ندوة العلماء هذه الندوة العالمية للادب الاسلامى ، وتدعو إليها كبار الأساتذة و المعنيين باللغة العربية ، و آدابها ، و التربية الاسلامية و مناهجها ، و قد كانت الاستجابة الكريمة التى لقيها منظمو هذه الندوة ، دليلا على إخلاص الداعين ، وذوق المدعوين الذين قطعوا مسافات بعيدة ، وتحملوا صعوبات السفر لتلبية هذه الدعوة ، و تداول الآراء و الفكر فى هذا الموضوع الكبير الخطير .

و مرحباً بالقادمين الكرام ، و شكراً للاساتذة العظام .

و الحمد لله أولا و آخراً .

كلمـــات الوفود :

كلمة معالى الشيخ عبـد العزيز الرفاعى

بسم الله الرحمن الرحيم ، و الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين .

أيها السادة ! السلام عليكم و رحمة الله و بركاته ، و بعد فانى أشعر بكثير من الخجل ، وأشعر بشئ من الاحراج بذلك التقدير الـكريم الذى تفضل به سماحة علامتنا الجليل الشيخ أبى الحسن على الندوى ، جزاه الله خيراً بما يصنع للاسلام و المسلمين و اللغة العربية ، كذلك أشعر بكثير من الامتنان للكلمـة التى تفضل بها صديق الدكتور عبد الله عباس الندوى ، و إن كنت لم أفهم شيئاً إلا أننى أدركت أنه أغرقنى بثنائه ، فجزاه الله خيراً .

كان المفروض أن يكون دورى هو الاقتصار على أبيات شعرية قليلة ، طرأت لى بعد أن وصلت إلى الهند ، و لكنى علمت و فى آخر لحظـة و أنا أجلس فى مقعدى أننى مكلف أيضاً بأن ألقى كلمة عن الوفود التى حضرت إلى هـذا الحفل ، و بذلك تكون أعبائى كبيرة فـلا تواخذونى إن قصرت بعـد أن عرفت ذلك فى آخر لحظة . وماذا عسى أن أقول عن الوفود التى حضرت إلى هـذا الحفل الكريم بعد أن رأت هذا الاتجاه النبيل من هذه الجامعة العريقة إلى خدمة الأدب العربى عن طريقة بنائه على أسس روحية إسلامية ، و ماذا يقول العرب خاصـة و هم يأتون به إلى هذه البلاد البعيدة عن أصقاعهم ، ليروا العناية الكبيرة التى تبذلها

هذه الجامعة فى سبيل اللغة العربية و فى سبيل الأدب العربى ، و فى سبيل الربط بين اللغة العربية و أدبها و بين الأدب وبين ذلك الدين العظيم الذى تتولى هذه الجامعة نشره فى هذه الاصقاع ، ماذا يسع أن تقول هـــذه الوفود إلا أن تقدم الشكر الجزيل على هذه العناية ، وعلى هذا الاتجاه ، و أن تسأل الله سبحانه و تعالى لهذه الجامعة العريقة ، المزيد من التوفيق ، و المزيد من النجاح ، وأن يهيء الله لأمينها العام سماحة الشيخ السيد أبى الحسن الندوى كثيراً من التوفيق ، و أن يؤيده الله ـ سبحانه وتعالى ـ ويمده بعونه ، وكما أمده سابقاً أن يمده بذلك لاحقاً إن شاء الله ، و أجد أن وفد المملكة العربية السعودية يكون أكثر سعادة و شعوراً بمدى عراقة هذه المهمة ، فهو يقدم من منابع الدين الاسلامى ، و من مهـــد العروبة ، ومن مهد اللغة العربية ، و يشعر أن عليه عبئاً كبيراً لأداء واجب الشكر لهذه الجامعة التى تعنى باللغة العربية مبنية على الدين الاسلامى ، و باسم الوفود جميعاً و باسم وفد المملكة العربية السعودية بخاصة أقدم الشكر والدعاء الخالص بأن يمد الله ـ سبحانه و تعالى ـ هذه الجامعة بكل توفيق و سداد و نجاح .

وبعد فالى هذه الجامعة الأبيات التى طرأت لى بعد مقدمى الهند ، وأنا ممن ينعسر على قريض الشعر ، و لكن الاعجاب الشديد بهذا العمل العظيم فى ندوة العلماء كان من وراء الانشاد لهذه الأبيات التى أرجوقبولها على أنها مجرد تحية ، و أرجو أن لايعاتبنى الشعراء فيما يبدو فيها من قصور .

كلمة سماحة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصارى

مدير الشئون الدينية بدولة قطر

نحمد الله سبحانه وتعالى و نصلى و نسلم على رسوله محمد وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين . أيها الاخوة فى الاسلام ! كنت أردت أن اكتفى بكلمة أخى الفاضل الشيخ عبد العزيز الرفاعى ، و قد تقدم بكلمة الوفود و لكننى فى ميدان الامتثال للطالب ، رأيت الأمر صدر من فضيلة شيخنا الجليل بأن أتقدم بكلمة فأهلا وسهلا ، و أرحب بالجميع فى هذه الندوة المباركة و الاجتماع الصالح ، وهذه فرصة عظيمة قد كنت أترقبها منذ أمد بعيد و كانت أمنيتى تراودنى فى كل آونة . . أن آتى هذه الندوة ، كنت أعلم أننى إذا حضرت سوف أشاهد هذا الجمع العظيم وهذه الوجوه النيرة ، هؤلاء الأعلام الذين نرجو الله سبحانه و تعالى أن يكون جميعاً عوناً على رأس عين الاسلام .

أيها الأخوة ! بالأصالة عن نفسى و أنا أرى أن هناك من هو أحق بأن يتقدم بهـذه الكلمة . لكننى كما قلت آنفاً فبالأصالة عن نفسى و بالنيابة عن كل إخوتى الوفود الكرام أتقدم بوافر الشكر و جزيل الامتنان لهذه الندوة المباركة ، ندوة العلماء الصرح العظيم ، التى تقوم بالعناية الكبيرة بنشر العلم و الدعوة ، و إن كان هناك فضل لأحد فان الفضل يعود لأخى قائد هذه الندوة ، والأمين العام فيها ، وللرجال الذين يحملون سيطرة فى هذه الندوة فلهم جزيل الشكر و وافر الامتنان ، أما فضيلة الشيخ أبو الحسن فأنى لا أذكره بشئ و قـــد ذكرت أعماله و أقواله

و أفعاله فليس لقولى ميدان فى شأنه وإننا نتجه إلى الله تعالى العلى الكبير أن يمد فى حياته وأن يبارك فى أيامه و أن يلهمه كما هو عليه العلم النافع لنشر العلم والدين فى كل الأقطار الاسلامية ، هذه أمنيتى و أسأل الله سبحانه و تعالى أن يحقق بنا جميع الأعمال و يجعلنا جميعاً ممن يرفع راية الاسلام .

يا أيها الاخوة ! رسالتى ملاحظة يسيرة أو نصيحة ، فانى أود أن يسمع الجيل و الله سبحانه و تعالى يقول « شهـــد الله أنه لا إله إلا هو و الملائكة و أولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم » .

يا أيها الاخوة ! ليحتسب كل منا عند ما حضرنا فى هذه الندوة المباركة ، فليس المقصود هو حضورنا و قطع هـذه الفيافى للاجتماع فقط وإن كان الاجتماع من أفضل الأشياء التى نتمناها ، و لـكن المقصد و الهدف هو أن نكون على أهمية كبيرة ، بأن نتجه إلى الله تعالى و نتجه إلى تعزيز مركز الاسلام من أينما كنـا ، و إلى أن نؤدى الحقيقة الاسلامية فى روح شبابنا و أولادنا و لا تأخذنا فى الله لومة لائم ، لا بد أن نسير على هذه الطريق و لابد أن نرجع بعد اجتماعنا هذا ، فكل واحد منا يجب عليه أن يتصور أن عليه المسئولية تجاه نشر الدين و الاسلام و الأدب الاسلامى .

الأدب الاسلامى أيها الاخوة لا نريد هذا لأنفسنا ونحن قد تجاوزنا الستين من العمر ، و إنما نريد الأدب الاسلامى و التوجيــه الاسلامى لشبابنا و أولادنا ولبناتنا . ولمن نتولاهم هناك وهنا و فى كل الأقطار ، إلى أن نكون قد بنينا صرحاً لرفع الاسلام وأدينا واجباً من واجبات الدين ، هذه مسئوليتنا يا أمة الاسلام لابد أن نؤديها و لابد أن نحمل الحمل الصحيح على أدائها ، ولتكن دعوتنا إلى الله و إلى الاسلام ، و إلى الأدب الاسلامى بلطف و لين و لنأخذ الآداب من كتاب الله

و لناخذ الآداب من هدى رسول الله ، تعال هنا هنيهـــة و أنظر إلى قول الله تعالى حينما أمر بالدعوة « قل هــذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة » « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة » و الله تعالى عند ما أرسل رسوله موسى إلى فرعون و هو الطاغى الضال الذى يدعى الألوهيــة ، و قال لموسى و هارون « فقولا له قولا لينا » فلا يقل أحد منا أن التيار جارف وأن الأنظمة الأرضية تجاوزت الحد ، وأخذت الاعلام على شاطئ و جانب بعيد من الاسلام ، لا يا أخى لا نقول هذا أبداً بل ندعوهم إلى الاسلام و الايمان و العمل الصالح و ندعوهم إلى الأدب الاسلامى .

عود بنيك على الآداب فى الصغر　　　كيما تقربهم عيناك فى الكبر
فانما مثل الآداب تجمعها　　　فى عنفوان الصبا كالنقش فى الحجر

يا أيها الاخوة ! ينبغى أن نسير على هذا الطريق ونلتمس الطريقة الصالحة الهينة وعلينا ميثاق كبير مع رسول الاسلام : الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله و لكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » فعلينا أن نحاول بأى طريق و بأى فن و بأى أدب ندخل على السادة و على العامــة و على الملوك و نؤدى رسالتنا و نصيحتنا إليهم ، لتبرأ ذمتنا عند الله تعالى .

هذه خاطره يسيرة وأنا ملزم بتقديم التحية وكلمة الوفود ، وأعود فى الختام وألهج بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ أبى الحسن الندوى وبالشكر الجزيل لكل أعضاء الندوة ، و نسأل الله تعالى أن يهيىء لنــا من أمرنا رشداً ، و أن يأخـــذ بأيدينا إلى الخير لنساعد هذه المنظمات ، هذه و أمثالها ، لتكون حصناً لاخوتنا المسلمين فى كل الأقطار لا سيما فى الأقطار البعيدة عنا ، لأننا مسئولون أمام الله يوم القيامة عن ذلك ، و تحياتى للجميع و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين .

كلمة فضيلة الدكتور محمد فتحي عثمان

مدير مركز البحوث العلمي بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية (الرياض)

أحمد الله تعالى : و أصلي و أسلم على رسوله الكريم ، و أسأل الله تعالى ، أن ينفعنا بما نقول وبما نسمع وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك هم أولو الألباب ، اللهم إن هذه القلوب قد التقت على محبتك ، واجتمعت على طاعتك وتوثقت على نصرة شريعتك ، وتعاهدت على رفع كلمتك . فوفق اللهم رب فضلها وأدم نفعها ، اهدنا سبلها ، واملأها بنورك الذى لايخبو واشرح صدورنا بفيض الايمان بك ، و جميل التوكل عليك ، و أحيها بمعرفتك ، وأمتها على الشهادة فى سبيلك ، إنك يامولانا نعم المولى و نعم النصير .

أيها الاخوة الأحباب ! فى هذه القلعة من قلاع الاسلام والعربية مرحباً بكم فى هذا الجمع الكريم ، و فى هذا اللقاء الطيب ، و إذا كان لأصحاب اللغات أن يتباهوا بالاجتماع لنشر لغتهم ، فيعمل الفرنسيس ذلك فى رابطة « فرانكفورت » و يعمل الانكليز ذلك فى رابطة « الانجلوفون » فان رابطة العربية تستند إلى عقيدة الاسلام ، وإلى أعماق القرون منذ صدع محمد بن عبد الله بهذه الدعوة بلسان عربى .

فاجتماع الناس على هذه اللغة غير اجتماع الناس على لغات المصالح بل على لغات الثقافات ، فان هاهنا لغة قد اختارها الله سبحانه و تعالى لتكون أداة دعوته و لتكون لغة كتابه ، و إنه لشرف للعربية . وإنه لشرف للعرب أن تنزل هذه الدعوة بهذه اللغة ، و لكنه شرف و مسئولية ، و إنه لذكر لك و لقومك ، و سوف تسألون .

أيها الإخوة ، إن هذه اللغة ما بقيت وما نضجت وما استمرت إلا كحسنة من حسنات الاسلام ، ولقد خلع عليها الاسلام من إعجازه ونفح عليها القرآن من نفحاته ، فاذا كان الاسلام خاتم الأديان ، فان الكتاب الكريم ، هو الكتاب المعجز قد خلع على هذه اللغة بركة من بركاته ، و نفحة من قدس هذا الدين .

إن اللغات قد ارتبطت بالأديان و لكن لم تستطع النصرانية أن تنفخ فى اللاتينية و اليونانية . وقد صارت القداسات تتحول إلى اللغات المحلية . فلم تستطع القبطية و النصرانية أن تتفاعلا ، وأصبح لا يعرف أحد من لغة القبط إلا فئة قليلة من الكهنة .

أما هذا الكتاب الكريم فهو حيثما يتلى بكرة و عشياً ، فهمه الفاهمون و طرب له كل مسلم سواء تعمق فى قراءته أم لم يتعمق ، إنها نفحة الاعجاز ، إنها نفحة السماء ، و قد خلعت على هذه اللغة .

فأكرم به من اجتماع وأكرم به من لقاء ، وإذا كنا قد وجدنا فى قلوب إخواننا هذه المكانة للعربية و العرب فليعلموا أن للهنود فى قلوب المسلمين مكاناً ، و ما زلنا ننظر إليهم فى إعجاب شديد ونحن نرى فيهم ما نتعلم منهم ، كنا نرى الهنود طحنهم الاستعمار وظل عليهم التفرق و انفصلوا عن الجامعة الاسلامية منذ سقوط الخلافة و منذ تكالب الاستعمار ، و يصرون على الدعوة إلى الاسلام حتى استمر دعاتهم يمشون بكلمة الله فى ظروف تكاد تكون مستحيلة ، يدعون الوثنيين ويدعون الهندوس و يدعون البوذيين ويخلصون للدعوة و هم فى ظروف شديدة من الفقر و التخلف و الضعف ، ولكنهم أبوا إلا أن يكونوا أقوياء بدينهم ، أقوياء بدعوتهم ، وتاريخ القرن الرابع عشر الذى انصرم و تاريخ القرن الثالث عشر من قبله ، يشهد لدعاة الاسلام ، أنهم هم الذين تجولوا فى ربوع آسيا و فى ربوع إفريقيا يشقون حواجز

الاستعمار ، و تخوم الجبال الوهاد والبحار ليبلغوا للناس كلمة «لا إله إلا الله ، و أن محمداً رسول الله » العرب فى أحوالهم كانوا يشعرون بالاكبار و التقدير ، لهؤلاء الدعاة الذين تمردوا على واقعهم . و الذين شعروا بأصالتهم و الذين أحسوا بأن الاسلام ، رغم دعاوى المادية المترفة و زينتها و جعجعتها و وسائل نشرها ، و حليتها ، و زخرفها ، وأن الاسلام فى بساطته و فى نصاعته و صدق سيرة المسلم و كلمته و عدالته ، قادر على الابلاغ و التبليغ ، قادر على نصح الناس و هدايتهم و إن لم يستند إلى المال ، و إن لم يستند إلى التكنولوجيا ، إنما يدخل إلى قلوب الناس يشق بطونهم شقاً بكلمة الله و إعجاز القرآن .

كنا نرى ذلك خلال القرون فنحس بخجلنا ، و أسفنا ، و نحس بالاكبار لكم و قرأنا لكم من قديم ، لمولانا أبى الكلام آزاد ، و تفسيره للقرآن ، و ما زال عالقاً بى منذ كنت فتى تأويله لقصة ذى القرنين على خلاف ما يذهب إليه المفسرون ، وكنا نقرأ لسليمان الندوى « الرسالة المحمدية » و كيف برع فى عرض رسالة الاسلام على نهج غير تقليدى ، و كنا نقرأ « حجة الله البالغة » لولى الله الدهلوى ، و تتلمذت مع جيلى لشيخى أبى الحسن الندوى وما من أحد من جيلى إلا وقرأ و استوعب حرفاً حرفاً من « مذكرات سائح فى الشرق العربى» و« أريد أن أتحدث إلى الاخوان » وقرأت لمسعود الندوى « تاريخ الدعوة الاسلامية فى شبه القارة الهندية » .

نحن تلاميذ على مائدتكم ، و قد جئنا نشد على أيديكم ، نبلغ شكرنا الجزيل وعرفاننا وإكبارنا وإجلالنا لدعاتكم ولهذه المؤسسة العريقة التى مرت عليها عشرات السنين ، أقول لكم و الأسى يحز فى نفسى : نحن فى بلاد العرب و فى كثير من بلاد الاسلام نفتقد روح المؤسسات التى تمضى الأجيال على بنائها : كلما مات منهم

سيد قام سيد ، لا تكاد تقوم مؤسسة إلا وبعد جيل ، تتداعى و تهوى وتسقط ، ولكن نحن ننظر إلى روح المؤسسات فى قلعتكم الشامخة ، فأراها تقوم منذ عشرات السنين تبلغ الدعوة و تنشر العلم ، و يأتى عرب يتكلمون باللغة العربيـــة فيفهمون أنها لمعجزة القرآن ، و أنها لروحكم المثابرة المناضلة ، أنا الذى أحييكم ، أنا الذى أتعلم منكم ، وتسر جامعتى وجامعات المسلمين أجمعين أن تعمل معكم ، المحيا محياكم ، و المات مماتكم ، وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله و المؤمنون ، و ستردون إلى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون .

أسأل الله أن يجمعنا فى الدنيا على طاعته ، و فى الآخرة فى مستقر رحمته ، و استغفر لكل من بنى لبنة فى هذا الصرح ، و أدعو له بالرحمـــة ، و بأوسع فراديس الجنان ، أقول هذا ، واستغفر الله لى ولكم ، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين ، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

★★★

كلمة سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي
المفتى العام لسلطنة عمان

و قد افتتح بها جلسة اليوم الثانى للندوة العالمية للأدب الاسلامى

الحمد لله كما ينبغى لجلال وجهه و عظيم سلطانه، و الصلاة و السلام على علم الهدى و إمام الدعاة سيدنا محمد وعلى آله صحبه و على كل من اهتدى بهديه واستن بسنته و سار على نهجه و دعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد ! فسلام الله عليكم أيها المؤمنون و رحمته وبركاته، وإنها لفرصة سعيدة أن نلتقى فى هذا الصرح العلمى العتيد و فى هذه القاعدة الاسلامية الصامدة فى ندوة العلماء التى قطع أهلها على أنفسهم عهداً أن يقوموا بواجب الدعوة إلى الله سبحانه و تعالى و أن ينشروا الوعى الاسلامى فى أرجاء الأرض ، لقد مرت على هـــذه الأمة الاسلامية فترة حالكة غشيتهم فيها غاشية من الفتنة العمياء فالتبس الحق بالباطل وضاقت صدور الناس من همسة الحق ، واتسعت بضجيج الباطل ، وثقلت على النفوس كلمة المعروف و خفت عليها وطأة المنكر ، و تبـدلت المقاييس و انقلبت المعايير وأصبح الدعاة فى محنة وأصبحت الدعوة الاسلامية مكبوتة الأنفاس خافتة الصوت .

و فى هذه الفترة الحالكة قامت هذه الندوة بواجب الدعوة فأخذت تبوح فى وسط تلك الدياجير بتلك المصابيح الوضاءة من خلال صحافتها ومن خلال تآليف أهلها ، و عند انعقاد هـذه الندوة العالمية للأدب الاسلامى الذى تدفق به البيـان العربى لدليل على الرباط العقائدى الذى يوجد بين هذه الأمة ، لا فرق بين العربى

و الأعجمى و لا فرق بين الابيض والأسود إنما توحد الجميع كلمة التوحيد ، فكلمة التوحيد كما تنبىء عن وحدة الله سبحانه و تعالى تنبىء كذلك عن وحدة هذه الأمة فى ظلال الايمان بالله تبارك وتعالى والله سبحانه و تعالى قد بين لنا فى محكم كتابه العزيز أن مقياس التفاضل بين الناس تقوى الله سبحانه وتعالى فلا يفضل العربى على العجمى بشئ إلا بتقوى الله ولا يفضل الأبيض على الأسود بشئ إلا بتقوى الله « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .

و إذا كانت لى كلمة أقولها حول الأدب الاسلامى فانى أؤكد ما قيل سابقاً من أن الأمة فى حاجة إلى أدب إسلامى نظيف تطهر ساحته من كل تلك اللوثات التى اتصلت بالأدب العربى إن الشباب المسلم بحاجة إلى الأدب العالى الذى يلهب مشاعر الغيرة فى قلوبهم على دين الله ويؤكد الحماسة فى نفوسهم ويبعثهم على النصيحة فى سبيل الله . أما الأدب الرخيص ذلك الأدب الذى تقذف به قرائح الفساق الذين يلهجون وراء الشهوات و الذين يسعون وراء معاصى الله سبحانه و تعالى فيجب أن يبعد عن الساحة الاسلامية ، يجب أن يبعد عن الاعلام الاسلامى ، و يجب أن يبعد عن المناهج التربوية ويجب أن يبعد عن الندوات الاسلامية ، حتى ينشأ الشباب الاسلامى شباباً مضطلعاً بأمانته قائماً برسالته مضحٍ بكل غال و رخيص فى سبيل هذه العقيدة ، وحتى يعود إلى هذه الأمة ماضيها اللامع و لقد قيل قديماً لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، وأول هذه الأمة إنما صلح بالدعوة الاسلامية وقد كانت جميع الوسائل تسلم الدعوة الاسلامية ، و وسائلنا فى هذا العصر متوفرة جداً ولكنها مع ذلك مع الأسف الشديد فى أيد غير أمينة عليها ، ولذلك استخدموا

هذه الوسائل فى تدمير هذه الدعوة و فى الوقوف فى وجه الدعاة إلى الله سبحانه و تعالى ، لذلك أهيب بالجميع أن تقرر هذه الندوة فى ضمن مقرراتها تطهير وسائل الاعلام و تطهير مناهج التربية من كل تلك اللوثات التى لا تتفق مع عقيدة الاسلام ولا تتفق مع سمو الاسلام ولا تتفق مع هدى رسول الله ﷺ وطريقة السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم .

و أخيراً أشكر ندوة العلماء و على رأسها سماحة أستاذنا الكبير العلامة الشيخ أبى الحسن على الندوى ، و أشكر كل العاملين فى إنجاح هذه الندوة و أسأل الله التوفيق للجميع و هو حسبنا و نعم الوكيل ، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين ، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

نظام التعليم الغربى

« لقد جرف تيار نظام التعليم الغربى الشباب الاسلامى فى البلاد العربية و العجمية (الذين كانوا زبدة أمتهم و زهرة بلادهم) وغير عقليتهم إلى حد أن عقولهم أصبحت لا تستطيع أن تسيغ الاسلام الصحيح ، وأصبحوا لا يندمجون فى المجتمع الاسلامى أيضاً و يصبحون جزءاً منه . يشير إلى ذلك ، « إقبال » بقوله :

« إن سحر الأنج أو فنه أذاب الصخور و أسالها ماءاً » .

«نحو التربية الاسلامية الحرة» للشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ص ٤٠

البحوث التى قدمت أو ألفت للندوة باللغة العربية

١ـ الأدب الاسلامى و عناصره المميزة	لفضيلة الشيخ عبـد الله الأنصارى
٢ـ نحو أدب إسلامى معاصر	للدكتور عبد الرحمن رافت باشا
٣ـ الشخصية الأخلاقية للأدب العربى	للدكتور أحمد فرح عيد عقيلان
٤ـ دور ندوة العلماء فى الأدب الاسلامى	للأستاذ شمس تبريز خان
٥ـ دور المؤرخين فى الأدب الاسلامى	للأستاذ محمد يونس نجرامى الندوى
٦ـ الأدب كما يريده الاسلام	لفضيلة الشيخ محمد مصطفى المجذوب
٧ـ ملاحظات حول تعريف الأدب الاسلامى	للدكتور عبد الباسط بدر
٨ـ الخصائص الايمانية للأدب الاسلامى	للأستاذ عدنان النحوى
٩ـ الصحافة الاسلامية فى القرن العشرين و دورها فى الأدب الاسلامى	للأستاذ حمزة الحسنى الندوى
١٠ـ اختيار النصوص الأدبية من وجهة النظر الاسلامية	للأستاذ عبد الحميد غراب
١١ـ أيضاً « « « «	للشيخ محمد سلطان ذوق الجاتكامى
١٢ـ المجامع الاسلامية و مراكز الأدب الاسلامى فى كيرالا	للشيخ محمد الفيضى
١٣ـ أدب المواعظ والخطب فى العهد الأموى	للدكتور عبد الحليم الندوى
١٤ـ شعر الجهاد فى مقاومة الغزو المغولى	للأستاذ مامون فريز جرار

١٥- روائع من أدب التراجم و الطبقات للأستاذ عبد الله الحسنی الندوی
١٦- الحركات الهدامة فی النقد العربی الحديث للدكتور احتشام أحمد الندوی
١٧- مبادیء فی الأدب و الدعوة للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانی
١٨- منهج التربية الاسلامية فی ضوء الكتاب و السنة للشيخ عبد الله العلی المحمود و قدمها نيابة عنه الشيخ علی صالح المحويتی
١٩- الحاجة إلی تدوين جديد لتاريخ الأدب العربی للدكتور حسين أحمد عطوان
٢٠- تحديات التغريب التی تواجه الأدب العربی المعاصر للأستاذ أنور الجندی
٢١- كلمات وكتابات الامام ابن الجوزی من روائع أدب المواعظ للدكتور غريب جمعة
٢٢- أدب الصحوة الاسلامية الأستاذ واضح رشيد الندوی
٢٣- القرآن الكريم و اللغة العربية للدكتور جميل سعيد
٢٤- موقف الاسلام من الشعر للدكتور عبد الله علی الحامد
٢٥- من أساليب التربية النبوية للدكتور علی جاز
٢٦- الأدب الاسلامی فی التراث التاريخی و الجغرافی للدكتور محمد فتحی عثمان
٢٧- بيئات الشعر الاسلامی فی زمن رسول الله صلی الله عليه وسلم للدكتور يحی الجبوری
٢٨- أدب الدعوة الاسلامية الأستاذ بدر الحسن القاسمی
٢٩- دراسة الكتب الدينية فی ضوء الأدب للأستاذ محمد هاشم القاسمی
٣٠- تأثير الاسلام علی اللغه الأردية للدكتور محمد حسان خان

٣١- اللغة العربية فى موكب الاسلام للأستاذ ثابت إدريس الخطيب
٣٢- مفهومات أولية عن الأدب الاسلامى للدكتور عباس محجوب محمود
٣٣- تأثير الاسلام على اللغات الشرقية للدكتور فواد فخر الدين
٣٤- شعر الصحابة و مدى العناية به للشيخ عبد العزيز الرفاعى
٣٥- اللغة العربية وأثرها على اللغة الكجراتية للاستاذ محمد عبد الله السورتى
٣٦- المكانة الأدبية لكتابات و مؤلفات الامام الدهلوى للأستاذ سعيد الأعظمى الندوى
٣٧- أدب النكت الاسلامى فى اللغة الأردية للسيد صدر الحسن الندوى
٣٨- الأدب العربى والحديث النبوى للسيد محمد ظفر الهاشمى الندوى
٣٩- نظرة إجمالية على تاريخ النقد العربى من وجهة النظر الاسلامية للدكتور السيد إبراهيم الندوى
٤٠- مؤثرات أجنبية فى جوانب من منهج تربية الناشئة من الأدباء للدكتور محمد مريسى سعد الحارثى
٤١- كعب بن زهير، نسبه وشعره للشيخ أبو المحفوظ كريم المعصومى
٤٢- الأدب الاسلامى ربيع الأدب العربى للشيخ محمد سعيد المجددى
٤٣- وسائل نشر اللغة العربية فى البلاد الاسلامية للدكتور زكريا البرى وزير الأوقاف المصرى
٤٤- الأقليات الاسلامية و دور اللغة فى ربطها بالعالم الاسلامى للدكتور عبد الله عبد الشكور كامل
٤٥- فى وحدة التراث الاسلامى وخصائصه للدكتور محمد صالح جمال بدوى
٤٦- الأدب الاسلامى و الحياة للشيخ محمد الرابع الحسنى الندوى
٤٧- دور الصحافة الاسلامية فى العهد الحاضر للدكتور محمد اشتياق حسين القريشى
٤٨ كتب التفسير و قيمتها الأدبية للدكتور عبد الله عباس الندوى

توصيـــات

الندوة العالمية للأدب الاسلامي

المنعقدة فى ندوة العلماء ١١ - ١٣ جمادى الآخرة ١٤٠١ هـ

١٧ - ١٩ أبريل ١٩٨١م

★ دعوة الباحثين إلى إبراز مفهوم الأدب الاسلامى و الكتابة فى تاريخ الأدب العربى وفقا للنظرة الاسلامية الصحيحة .

★ إنشاء أمانة دائمة لندوة الأدب الاسلامى مقرها ندوة العلماء - بلكهنؤ - الهند

★ إعادة النظر فى المناهج الدراسية مراعاة أن تنمى وعى الناشئ المسلم .

★ تنسيق جهود الأدباء الاسلاميين .

★ التربية الاسلامية ، و أدب الأطفال و الشباب .

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله ، انعقدت الندوة العالمية للأدب الاسلامى فى دار العلوم لندوة العلماء بلكهنؤ فى الهند ، من الحادى عشر إلى الثالث عشر من شهر جمادى الآخرة ١٤٠١هـ ، من ١٧ إلى ١٩ نيسان (أبريل) ١٩٨١م بدعوة من دار العلوم لندوة العلماء فى لكهنؤ .

و يتوجه أعضاء الندوة العالمية للأدب الاسلامى إلى سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى بجزيل التقدير و عظيم الاجلال على مبادرته إلى الدعوة لهذه الندوة وإبراز أهمية الأدب الاسلامى و هم يشكرونه ويشكرون أعضاء دار العلوم ندوة العلماء فى لكهنؤ على كريم دعوتهم وحسن ضيافتهم وجميل رعايتهم ، ويسألون الله عز و جل أن يمد الله فى عمر الشيخ المفكر المربى الجليل وأن يحفظ عليه عافيته

ليواصل جهوده المباركة فى سبيل الاسلام و المسلمين .

و ينتهز أعضاء الندوة الفرصة للاشادة بجهود دار العلوم ندوة العلماء بلكهنؤ فى الحفاظ على الشخصية الاسلامية للاجيال المتعاقبة لأبناء المسلمين فى الهند ، ونشر دعوة الاسلام وعلومه ولغته العربية كما يشيدون بجهود الجامعات والمؤسسات التعليمية الاسلامية الأخرى بالهند فى هذا المضمار ، و هم يهيبون بالدول الاسلامية والعربية و المؤسسات التعليمية العلميـــة لمؤازرة دار العلوم ندوة العلماء فى لكهنؤ و سائر المؤسسات التعليمية الاسلامية فى الهند فى جهودها لتعليم الاسلام و اللغة العربيـــة و العمل لتوسيع نشاطها ، و زيادة إمكاناتها ، و رفع كفاءتها .

و لقد استمع أعضاء الندوة فى جلسات متعاقبة فى الصباح و المساء منـــذ مساء الجمعة ، الحادى عشر من جمادى الآخرة إلى مساء الأحد الثالث عشر منه ، استمعوا إلى البحوث المقدمة من أعضاء الندوة و ناقشوا أصحابها ، و هم يتقدمون بالتوصيات التالية :

أولا ـ فى مجال البحث فى الأدب الاسلامى و تشجيعه بوجه عام :

١ـ دعوة الباحثين إلى إبراز مفهوم الأدب الاسلامى و إيضـــاح موقف الاسلام فى الأدب ، و مكان الأدب فى بناء الاسلام للفكر و المجتمع .

٢ـ دعوة الباحثين إلى الكتابة فى تاريخ الأدب العربى وفقا للنظرة الاسلامية الصحيحة ، و عرض تاريخ الأدب الاسلامى و إبراز المفهوم الاسلامى للنقد .

٣ـ بذل الجهود لاخراج دليل لمكتبة الأدب الاسلامى المكتوب بالعربيـة و بلغات الشعوب الاسلامية الأخرى ، و موالاة إصـــدار النشرات المكتبيـــة ، البيليوغرافية ، الدورية ، لمتابعة الجـديد فى هذا المجال .

٤ـ الدعوة إلى الاهتمام بالأدب الاسلامى المعاصر و الاعلام به و عرضه

و نقده نقداً موضوعياً و العمل على تشجيعه و نشره بكل الوسائل الممكنة .

٥ـ حث المؤسسات التعليمية و الثقافية ، حكومية و شعبية على تشجيع ذوى الطاقات المبدعة و توجيهها الوجهة الاسلاميـــة و تنظيم المسابقات لكتابة القصص والمسرحيات والمسلسلات التى ترتكز إلى الاسلام و تقدير الجوائز السخية للانتاج الفائز و نشره .

٦ـ إنشاء أمانة دائمة لندوة الأدب الاسلامى و التقدم بالرجاء إلى دار العلوم ندوة العلماء لقبول أن تكون مقراً لها ، و تتولى هذه الأمانة متابعة قرارات هذه الندوة وما يعقبها من ندوات كما تضطلع بتنظيم الندوات المتوالية على فترات دورية مناسبة فى مختلف البلدان الاسلامية ، و الاهابة بكل المؤسسات العلمية و الثقافية و الأدبية . فى هذه البلدان للموازرة بكل الامكانات المتاحة فى إقامة هذه الندوات الدورية للأدب الاسلامى .

ثانياً ـ فى مجال تعليم الأدب الاسلامى :

١ـ دعوة الجامعات فى البلاد الاسلاميـــة و غيرها إلى أن تشتمل خطط الدراسة بها على مقررات فى الأدب الاسلامى ، تبين مناهجــــه التفصيلية مفهومه و اتجاهه و مجالاته و تقدم نماذج صادقة معبرة له ، و دعوة هذه الجامعات إلى تشجيع الدارسين فى الدراسات العليا على اختيار موضوعات بحوثهم فى مجال الأدب الاسلامى .

٢ـ دعوة الجامعات الاسلامية والعربية لانشاء مراكز متخصصة للأدب الاسلامى تخطط للبحث فيه ، وتنظم الندوات والمؤتمرات لمناقشة قضاياه و تحديد منهج العمل لأجله ، وتتعاون هذه الجامعات فيما بينها فى هذا المجال ، والاهابة باتحاد الجامعات المسلمة و المغتربين المسلمين ، هذا إلى جانب الافادة من الوسائل الحديثـة لنشر

العربية واتحاد الجامعات الاسلامية للعاونة فى ذلك بكل ما يمكن من صورة المعاونة.

٣ـ دعوة الجامعات فى البلاد الاسلامية إلى تدريس آداب الشعوب الاسلامية المقارنة لتعريف الأجيال المسلمة بآداب المسلمين على اختلاف شعوبهم و لغاتهم و لاسيما آدابهم التى تستند إلى القيم الاسلامية.

٤ـ إعادة النظر فى توزيع مقررات الدراسات الأدبية و فى مناهجها التفصيلية بمختلف مراحل التعليم و مراعاة أن تنمى هذه المقررات و المناهج وعى الناشىء المسلم و تكون ملائمة لعمره و حاجاته النفسية و الفكرية.

ثالثاً ـ فى مجال نشر الأدب الاسلامى و تنسيق جهود الأدباء الاسلاميين.

١ـ اختيار النماذج الاسلامية الرفيعة من تراثنا الأدبى و إبراز القيم التى ترتكز إليها، و السمات و الملامح التى تميزها بحيث تكون هذه النماذج أدباً للنفس كما هى أدب للدرس.

٢ـ دعوة الأدباء الاسلاميين للافادة من كل الأشكال الفنية المقبولة و منها المقالة و القصة و الرواية و المسرحية، فى تقديم الأدب الاسلامى عن طريق مختلف وسائل الاعلام و النشر المتاحة من صحافة و إذاعة مسموعة و مرئية وغيرها، مع القيام بواجبهم فى حراسة قلوب المسلمين و عقولهم من أى انحراف، و إبراز ذاتية الفكر الاسلامى و أصالته، و من قاعدته ينطلق الأدب.

و تذكير دعاة الاسلام بأن الأدب البليغ هو من الحكمة و الموعظة الحسنة فعليهم أن لا يغفلوا جمال التعبير و البيان ليتم البلاغة و يعمق التأثير فى النفس، و يتسع نطاقه بين الناس، و لا يجوز ترك ساحة الأدب خلوا لتكون مرتعاً لدعاة الفساد و الشر، بل لا بد أن يدفع الاسلاميون بحقهم باطل غيرهم و يكونوا البديل الصالح الذى ينفع الناس و يمكث فى الأرض.

٣- بذل الجهود لنشر المختار من تراث الأدب الاسلامى و نتاج الأدب الاسلامى الحديث عن طريق دور النشر القائمة ما أمكن ذلك، مع التفكير فى إنشاء دار للنشر خاصة لهذا الغرض و إصدار مجلة للأدب الاسلامى و التعاون على تهيئة مجلة « البعث الاسلامى » التى تصدرها ندوة العلماء فى لكهنؤ لهذا الأمر.

٤- بذل الجهود فى مجال الترجمة لنقل الروائع من أدب الاسلام وفكره، من العربية إلى سائر لغات الشعوب الاسلامية و من هذه اللغات إلى العربية ، و نقل الروائع الاسلامية كافة إلى اللغات الحية الأخرى .

٥- تنبيه أهل الخير من المسلمين إلى تعدد مجالات البر و تعريفهم أن من أفضل القربات إلى الله الانفاق على الدعوة إلى الاسلام و نشر علومه و كتبه و لغته ، و تدعيم المؤسسات القائمة على هذه الأمور .

٦- دعوة الأدباء الاسلاميين إلى توثيق الأواصر فيما بينهم وتنسيق جهودهم ، و من خير ما يحقق ذلك إقامة رابطة عالمية لهم يكون من نشاطها تقديم جوائز تقديرية و تشجيعية لأصحاب الأعمال الممتازة فى مجال الأدب الاسلامى ، و تكون هذه الجوائز سنوياً أو على فترات دورية ملائمة ، و تمولها هبات الجهات الحكومية و الخاصة و الأفراد و سائر الموارد المشروعة .

رابعاً ـ فى مجال التربية الاسلامية و أدب الأطفال و اليافعين و الشباب :

١- التخطيط لاصدار مجموعة من الكتب تبين أصول الاسلام عقيدة وشريعة و أخلاقاً و تاريخاً لتلبى حاجة الأسرة المسلمة فى كل مكان و لاسيما أسر الأقليات المسلمة و المغتربين المسلمين ، هذا إلى جانب الافادة من الوسائل الحديثة لنشر المعرفة مثل الأشرطة المسموعة والمرئية ـ الكيسيت و الفيديو ـ فى نشر التوجيه الاسلامى و الثقافة الاسلامية ، و تشجيع المحاولات الرائدة فى هذا المجال .

٢- بذل الجهود لانشاء مدارس إسلامية ذات مستوى متميز و كفاءة عالية فى

مراكز تجمع المسلمين بالبلاد غير الاسلامية، تعمل على تعليم الاسلام واللغة العربية بصورة أساسية من جهة كما تراعى متطلبات النظام القائمة فى الدولة التى تقوم فيها المدرسة من جهة أخرى على أن تشتمل على رياض للاطفال تنشىء أبناء المسلمين على قيم دينهم و تحوطهم بالرعاية الاسلامية منذ نعومة أظفارهم، والاهابة بالدول الاسلامية للماوضة فى ذلك بطاقاتها المادية و البشرية .

٣- العناية بالأدب الاسلامى الموجه للأطفال و اليافعين و الشباب بمختلف أشكاله الأدبية من خلال كافة وسائل الاعلام و النشر ، وتشجيع الأقلام المبدعة فى هذا المجال والعمل على نشر انتاجها ، و حث الأجيال الناشئة فى مختلف أعمارها على القراءة و الافادة من الثقافة النافعة بكل وسائلها المتاحة .

خامساً : فى مجال نشر اللغة العربية و تعليمها :

١- العمل على نشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية فى كافة أنحاء العالم بوجه عام ، وتعزيز مكانة اللغة العربية فى سائر الدول الاسلامية بوجه خاص . باعتبارها لغة القرآن و نظراً لوجوب معرفة المسلم العربية قدر طاقته لتصحيح صلاته ، و التعرف على أحكام دينه ، و حين تتآزر جهود المسلمين فى تعليم اللغة العربية و تعزيز مكانتها بينهم شعوباً و حكومات ، فقد يكون قريباً ذلك اليوم الذى تغدو فيه العربية لغتهم العلمية الأدبية الواحدة ، و لغة تأليفهم و مؤتمراتهم .

و من الواجب محاربة الدعوات الهدامة إلى غلبة اللهجات العربية المحلية على الأدب واستعمال الحروف اللاتينية فى كتابة اللغة العربية ، و من الواجب كذلك بذل الجهود المتضافرة لعودة اللغات الاسلامية التى كانت تكتب بحروف عربية ، و انتقلت إلى اللاتينية ، عودتها إلى استعمال الحروف العربية فى الكتابة ، و من ذلك اللغات التركية ، و الملايوية ، و الاندونيسية ، و السواحلية .

٢- دراسة أحوال المسلمين الذين لايعرفون اللغة العربية فى البلاد الاسلامية و غيرها ، و التخطيط لنشر العربية بينهم بمختلف الوسائل ، و التعاون على تحقيق

هذا الهدف باقامة جهاز مشترك متخصص ، و رصـد المنح و الجوائز و الحوافز المادية والمعنوية التى تشجع على تعلم العربية والاعتماد على الوسائل العلمية والتكنولوجية الحديثة فى تعليمها و نشرها .

٣ـ دراسة إمكانات اختيار ألفاظ القرآن الكريم للاستفادة منها فى وضع معجم أوكتب لتعلم اللغة العربية من خلال الألفاظ القرآنية ، والاسترشاد فى ذلك بالتجربة الرائدة للأخ الأستاذ عبد الله عباس الندوى فى كتابه : « تعلم لغـة القرآن » .

٤ـ متابعة الجهود لانشاء المعاهد المتخصصة فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها و فى إعداد المعلمين فى هذا المجال وتدعيم المعاهد القائمة ورفع كفاءتها وتوسيع نطاق خدمتها .

٥ـ تشجيع زيارة أبناء الأقليات الاسلامية للبلاد الاسلامية و العربية بدعوة من المؤسسات العامة و الخاصة كالأجهزة المختصة برعاية الشباب و الجمعيات لتوثيق روابط هؤلاء الناشئين بالمجتمعات الاسلامية فى رحلات تنظمها مؤسساتها العامـة و الخاصة إلى مراكز الأقليات الاسلامية للتعارف بهم ودراسة أحوالهم ، وتعزيز الروابط معهم ، مع اختيار المشاركين فى هذه الرحلات بحيث يكونون صورة طيبة لبلادهم الاسلامية ديناً و سلوكاً و ثقافة .

و إن أعضاء الندوة ليهيبون بالمسئولين جميعاً فى البلاد الاسلاميـــة بأجهزة الدعوة و التربية و الثقافة و الاعلام و بالجامع و المؤسسات الاسلامية أن يبذلوا كل طاقاتهم فى تأييد هذه التوصيات و تهيئة كل السبل الممكنة لتنفيذها ، وأنهم إذ يضعونها تحت نظر كافة الجهات المعنية بهذه المجالات فى الدولة الاسلامية ، ليأملون فى تضافر الجهود للعمل على تحقيقها .

و من الله سبحـانه و تعالى نستلهم الرشد و العون و التوفيق ، « و قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

و الحمد لله أولا و آخراً ، و بنعمته تتم الصالحات .

من البحوث التي قدمت فى الندوة العالمية

الأدب الاسلامى وعناصره المميزة

سماحة الشيخ عبد الله إبرهيم الأنصارى
مدير الشئون الدينية بدولة قطر

الحمد لله ، نور السماوات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، سبحانه توحد فى ملكوته بعلمه و قدرته ، و تصرف فى خلقه بجبروته و حكمته ، له الحمد و الشكر فى السراء ، و الضراء ، يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

و صلاة ربى و عظيم تسليماته على منقذ البشرية و مخرجها من ظلمات الجهل والضلال إلى نور التوحيد و الهداية محمد بن عبد الله صلى الله عليه و على آله و صحابته و من سار على هديه و اقتدى بسنته إلى يوم الدين .

فيا لها من أمنية طالما تشوقت إليها نفسى ، تلك هى فرصة الحضور لهذه الندوة المباركة التى أصبحت بحمد الله شجرة وارفة الظلال تؤتى ثمرها كل حين باذن ربها ، ثم بفضل جهد الأخوة أعضائها و إخلاصهم لله و على رأسهم سماحة الأخ الكريم فضيلة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى و أرانى أنى لست بحاجة إلى مدحه أو الثناء عليه فان أفعاله و أقواله كفتنى ذلك ، و إنما أسأل الله تعالى أن يوفقه و يمد فى عمره و يكلل جهوده بالنجاح و التوفيق لتنتفع الأمة الاسلامية بعلمه .

وكانت أمنيتى ـ أيضاً ـ أيها الاخوة أن التقى باخوانى أفاضل العلماء الأجلاء من هذه الأمة ـ أمة الاسلام ـ التى اصطفاها رب السماء لحمل الرسالة التى بلغها المصطفى صلوات الله و سلامه عليه ، إلى البشرية جمعاء : الأبيض والأسود ، و الأحمر و الأصفر دون تفريق فى العنصر أو الجنس ، بل كان المبدأ الخالد هو

الدين والتقوى وقد أخبر الصادق المصدوق بأنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق، وأخبر أن الله أدبه فأحسن تأديبه ، و كان خلق الرسول هو القرآن الكريم ، و التقوى أربح بضاعته ، إن أكرمكم عند أتقاكم .

و هكذا شاء الله أن نلتق ، أيها الاخوة ، على بساط هذه الأرض الطيبة التى حمل رجالها منار الاسلام إلى وسط و جنوب و شرق آسيا قروناً طويلة و كان لها مواقف فى الدعوة و الارشاد و كان منها رجال لم و لن ينساهم تاريخ هـذا الدين إلى أن يبعث الله الأرض و من عليها ، لنتدارس موضوع الأدب الاسلامى و هو من أهم الموضوعات المؤثرة فى حياة الشعوب عامة و الأمة الاسلامية بصفة خاصة ، و ذلك لأنها سليمة الشعور بما ورثته عن دينها الحنيف من رقة فى الطبع و رهافة فى الحس ، و تمييز بين الخير و الشر ، و العدل و الظلم ، و الايمان و الكفر ،و الحق و الباطل، من النزعات التى تجلو القلب وتربط برباط الالتزام الدينى الوثيق .

و الأدب ، أيها الأخوة ، له مجالاته المتعددة و المؤثرة على سلوك الأفراد و الجماعات أيا كان موقفها و معتقـدها ، فما موقفنا نحن المسلمين منها ، خصوصاً بعد هذا التقدم العلمى الرهيب الذى قرب الأبعاد ، و وصل المجتمعات بعضها ببعض لدرجة كادت تتجاوز حد المعقول ، فما موقفنا و ما السبيل الذى ينبغى أن نتنهجه ؟

أيها الاخوة ، لا أريد أن أشعب القضية و لا أن أتعمق فى أغوارها حتى لا يضيع الوقت ، و إنما سأحاول قدر الجهد ، أن أجمع الشتات ، و أن أركز على نقاط معينة، عسى أن ألق الضوء على النهج السوى الذى أرى أنه آمن الدروب و أسلمها ، لتجنيب الجيل الحاضر والمنتظر من هذه الأمة مهاوى الردى ، وإرشاده إلى صراط الله السوى ، كما يأمرنا ديننا الحنيف ،

لهــذا أرى أن لا بد و أن تتوفر للأدب الاسلامى عناصر لكى يؤدى دوره بإيجابية فعالة ، و هذه العناصر هى :

أولا : الالتزام الدينى :

إن هذا العنصر هو أهم العناصر و أقواها من وجهة نظرى ، إذ أن الأدب الاسلامى يجب أن يتسم بسمة الالتزام الدينى و لا يخرج عنها سواء بحجة الحرية أم بحجة القانون و النظام الحادث ، ذلك لأن ديننا الحنيف قــد رسم لنا طريق الحياة ، وحدد مناهجها التى يجب ألا تتنكب عنها بأية صورة من الصور ، بل لابد للاديب من الوقوف موقفاً صلباً تجاه هذه القضية و هذا يلزمه بأن يكون مزوداً أصلا بأمور دينية حافظاً لكتاب الله علماً وعملا ملماً بأصول عقيدته وقضاياهـا ، و أن تكون دعوته مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بما يحض عليه الدين من مكارم الأخلاق و يدعو إلى العفة و الطهـارة و السمو بالنفس و الجسم من الدنس و الموبقـات ، و أن تكون دعوته وثيقة الصلة بما حض عليه الدين الحنيف من حق وعدل ومساواة بين أبناء البشر .

ثانياً : الالتزام الخلق :

و هذا العنصر مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعنصر الأول بل هو متمم له ، فينبغى على الأديب المسلم أن لا يدعو إلى تفريق الأمة و لا إلى الشحناء و التنافر و لا إلى النزعات العنصرية الجاهلية ولكن عليه أن يكون داعية وحدة و أخوة و ترابط و تعاون على الحق و البر و التقوى و لا يحيد عن هـــذا الطريق بل يجب أيضاً عليه أن يقف موقف الجد الصارم من كل تسول له نفسه محاولة الدعوة إلى هدم بناء الأمة و أخلاقها و آدابها

ثالثاً ـ السمة الاسلامية :

و الأدب الاسلامى يجب أن يكون واضح السمات مرتبطاً بالعقيدة معبراً عنها و لساناً لحالها و هذا يدعو الأديب إلى أن يكون حريصاً أشد الحرص فيما يقرأ و يكتب إذ عليه ألا يقدم للقراء من آداب الأمم الأخرى إلا ما كان متفقا مع أصول ديننا و أخلاقنا ، أما ما كان مخالفاً فينبغى عليه أن يتركه و يبعد و لا يسلط عليه أى ضوء حفاظاً على شبابنا من الانحراف ، فمثلا الأدب الساقط سواء كان هذا السقوط فى الخلق أو الدعوة إلى الفوضى ، لا قيمة له فى المجتمع المسلم ويجب أن يبعد عن أبناء الاسلام بما فيه من أخطار الدعوة للانحراف و الانهماك فى الضلال .

رابعا : الدعوة إلى وحدة الامة الاسلامية و تعارفها :

يقول الله تبارك و تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » . والأمة الاسلامية جعلها الله أمة واحدة و ربطها برباط الدين و هو أوثق الروابط وجعل هذا الرباط أشد وامتن من رباط الدم ، فاخوة الاسلام أوثق العرى ، و لهذا يجب أن يرعى الأدب الاسلامى هذه النقطة رعاية كاملة وأن يحافظ عليها . فنحن و إن اختلفت أجناسنا وتعددت ألواننا إخوة فى الله تربطنا روابط العقيدة والدين . وموقف الأدب هنا أن يؤكد هذه الرابطة ويشد من أزرها . ولا يقولن قائل كيف يستوى العربى و العجمى و الابيض و الاسود ولم لا يا أخى ، و الاسلام هو رابطتنا بل هو فخرنا و عزنا ، وما أحسن ما قيل :

أبى الاسلام لا أب لى سواه إذا افتخروا بقيس أوتميم

أيها الأخوة ، إن أوربا اليوم فى طريقها إلى الوحدة رغم اختلاف ألسنتها

الاختلاف البين . فهذا لغته انجليزية ، وذاك فرنسية و آخر ألمانية ورابع إيطالية و هلم جرا ، ورغم ذلك يسعون إلى الوحدة بعزم أقوى من عزمنا . لماذا ؟ ألم يأن لنا أن نؤمن بإيماننا الحق بدرجة أفضل من إيمان أهل الباطل بباطلهم و نسعى لاظهار مجدنا و تراثنا باخلاص و عزيمة وجد متواصل .

خامساً : التمسك بالمسميات الاسلامية

و هذا عنصر هام أيضا ، ففيه معنى الاعتزار و الأنفة فلا ينبغى أن نستلهم من الغرب أسماءه و مسمياته ، و نطبقها أو نقارنها و نقربها إلى ديننا الحنيف ، وهو منها براء . و مقام الاسلام أعلى و أسمى . إننا أمة لها مقوماتها و علامتها المميزة فيجب علينا أن نستمسك بهذه المقومات ولانسارع إلى تبنى ما تمخضت عنه عقول أهل الكفر والضلال من شيوعية أو اشتراكية أوحرية زائفة ، فنتلمس فيه النجاة ، و نجعل أمتنا تحت التجارب الفاشلة فتكون النتيجة خراب المجتمع و فساده و القاءه فى التيه والشقاء .

أيها الاخوة ، إن الاسلام هو الاسلام ، وهو حبل الله المتين فليس لنا أن نعتز بغيره ولا أن نبحث عن الخير والسعادة فى سواه ، فمن اعتز منا بغير الاسلام أذله الله « و من يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » لهذا يجب على الأدب الاسلامى أن يحرص على الدعوة إلى المحافظة على سماتنا و مسمياتنا ولا نخلطها بأية دعوة مهما كانت براقة فان السم غالباً ما يكون فى الدسم . ونحن و لله الحمد فى غنى عن كل ذلك بما أودع الله فى ديننا من ذخائر فيها الخير والبركة على مر الأيام ، و ديننا هو الحق و كتابنا صالح لكل مكان و زمان ، و مصلح لمن تمسك به فى كل الحالات .

سادسا : التعبير عن واقع الأمة والتغنى بأمجادها

وما من أدب من آداب العالم إلا و له فى هذا المجال صولات وجولات ونحن المسلمين أمة واحدة وإن اختلفت ألسنتنا و ألواننا ، لهذا فان على الأديب المسلم أن يكون معبراً عن حالة الأمة ، و أن يبرز أمراضها و يصف لها الدواء من واقع دينها ولا يحرف منه شيئاً إرضاء لآخرين ، ولا نكون كما قال الشاعر : -

نرقع دينا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى و لا ما نرقع

كما يجب أن نعالج أنفسنا قبل ذكر الدواء للمرضى الآخرين ، و إلا فينطبق علينا قول الشاعر :

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا كيما يصح به و أنت سقيم

كما أن تاريخ الاسلام مليئ بالمواقف النبيلة و الانسانية الصالحة فهلا ربينا أولادنا على ذلك وفتحنا أعينهم وقلوبهم على ما فى تاريخنا من أمجاد و قيم حضارية فتكون منه أناشيدهم وأغانيهم و قصصهم واستلهاماتهم بالأدب الاسلامى دينا ودنيا ، كما يقول الشاعر :

حرض بنيك على الآداب فى الصغر كيما تقربهم عيناك فى الكبر
و إنما مثل الآداب تكسبها فى عنفوان الصبا كالنقش فى الحجر

سابعاً : دراسة العربية و آدابها :

إن اللغة العربية هى لغة الاسلام نزل بها القرآن الكريم على قلب النبى الأمين و لا يمكن المسلم أن يشعر بعظمة هذا الدين وتلاوة القرآن الكريم وحلاوة حديث النبى ﷺ إلا بدراسة اللغة العربية وفهمها ، لهذا يجب على الأدب الاسلامى أن يتخذ من هذه اللغة ميداناً و أن يدخل ألفاظها و تعبيراتها على اللغات الأخرى

و هذا يدعوهم إلى دراسة الشعر فى عصوره المختلفة فهو ديوان العرب كما يقولون و منه شواهد الألفاظ ، و قد ورد أن من الشعر لحكمة .

كما أن علينا أن نوجه قلوب أبنائنا من الصغر إلى حفظ القرآن الكريم فهو مأدبة الله . وما حفظه قلب طالب علم و وعاه إلا و كتبت له الفصاحة والبلاغة و أصبحنا سمة من سماته .

أيها الاخوة !

حاولت قدر الجهد أن ألم شعاب الموضوع مركزاً على عناصره باختصار شديد ، فخير القول ما قل ودل كما يقولون ، فلعلى قد و فيته حقه من خلال العناصر التى عددتها و بينتها لتكون دستوراً و منهاجاً للأدب الاسلامى ، وعسى أن يكون ذلك سبيلا لاجتماع شمل الأمـــة حتى تقف موقف الجد بين الأمم فى هذه الآونة الخطيرة من حياتها ، و أن يعود المسلمون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضـا ، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى و السهر ، فمتى نصل إلى هذه المرحلة ! عسى أن يكون قريبا ، و ما ذلك على الله بعزيز .

وختاما أسأل الله تعالى أن يسدد خطانا على طريق الخير و الرشاد و أن يهدينـا إلى سواء السبيل ، و صلى الله على سيدنا محمـــد و على آله و صحـابتـه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته

نحو مذهب إسلامى فى الأدب و النقد

الدكتور عبد الرحمن رافت الباشا

١ ـ حاجتنا إلى هذا المذهب :

فى العالم الذى نحيا فيه اليوم تياران اجتماعيان كبيران يسعى كل منهما جاهدا بسط نفوذه على المعمورة ومقاومـــة نفوذ التيار الآخر ، هذان التياران هما تيار الاشتراكيـــة : الذى يرفع لواءه الاتحـاد السوفييتى و الصين الشعبية ، و تيار الرأسمـاليـــة : الذى تقوده الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية .

ثم يأتى بعد هذين التيارين الاجتماعيين الكبيرين طائفة من الاتجاهات الفكرية و الفلسفية والأدبية ظهرت فى أوروبا الغربية و أمريكا أكثر من ظهورها فى الاتحاد السوفييتى لما يتمتع به الفرد هناك من حريات حرم منها مواطنو الاتحاد السوفييتى .

و أبرز هذه الاتجاهات الفكرية هى : الوجودية Existentialism و الطبيعية Naturalism و الواقعيـة Realism و الفنية Artism و الرمزية Symbolism .

و قد عمدت هذه الاتجاهات الاجتماعية و الفكرية إلى الأدب فاتخذت منـه سلاحاً تناضل به عن نفسها ، ومنبراً تعلن من فوقه مبادءها و أهدافها ، و مثالا تصوغ على غراره أبناءهـا و مؤيديها ، حتى قال ستالين عن الأدباء : إنهم مهندسو البشرية . ولم يكن هؤلاء و هؤلاء على خطأ فيما ذهبوا إليه من اعتمادهم على الأدب فى نشر مبادئهم و الترويج لمـــذاهبهم ، فللكلمة سحرها الذى لا يقاوم ، و للأدب

قدرته التى لا تدفع على غزو النفوس و التأثير فى العقول ، وصياغة الوجدانات ، و توجيـــه السلوك .

ألم يعتمد الاسلام من قبل على الكلمة فى إيصال دعوته إلى القلوب وغرسها فى الأفئدة ؟

ألم تكن معجزة الرسول الأعظم صلوات الله و سلامه بيانية ؟

ألم يسلم عدد كبير من أشداء العرب بفعل القرآن و قـدرته الفذة على استلانة القلوب القاسيـــة ؟

ألم يصف الله ـ عزوجل ـ الكلمة الطيبة فى محكم كتابه بقوله : ألم تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت و فرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، و يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتـذكرون (١) .

و قد كان من ثمرة هذه التيارات الاجتماعية و المذاهب الفكرية ظهور طائفة من المذاهب الأدبية ذوات الأصول المؤصلة و القواعد المقررة .

ونحن لو أمعنا النظر فى هذه التيارات الاجتماعية والاتجاهات الفكرية لوجدناها جميعاً قد انشقت عن نظرة أصحابها إلى الانسان والحياة فـدعاة الرأسمالية وأغلب زعماء الاتجاهات الفكرية القائمة فى أوربا الغربيـة و أمريكا يدينون بفردية الانسان وحريته التى تمتد إلى حد إلحاق الأذى بالآخرين والحيف عليهم ، ويطلقون له العنان إطلاقاً لا تحرج فيه ولا تأثم ، و يتيحون له أن يتصرف فى أمواله تصرفا ربما أدى إلى استغـلال الآخرين و إعناتهم و يفتحون له الأبواب ليلج منها إلى الثراء الفاحش الذى يفسد العلاقة بين الناس . و يشيع فيهم العداوة و البغضاء . كما يبيحون له أن يسلك فى حياته الشخصية سلوكا فردياً لا ضابط له ولا رابط .

سلوكاً يقوم على إشباع غرائزه ، و تلبية نداء شهواته . . .

و يرون أن ذلك حق من حقوقه و تعبير عن ذاته و تأكيد لوجوده .

(١) إبراهيم : ٢٤ ، ٢٥

و الاشتراكيون على النقيض من ذلك ، فهم يدينون بجماعية الفرد ، و أنه ذرة صغيرة فى كون كبير ، و يرون أن من حق الجماعـــة الممثلة فى الحزب و الدولة أن تفرض سلطانها على الأفراد إلى حد يمكنها من أن تحدد لكل منهم عمله ورزقه ، و تفرض عليه أفكاره و طريقة نظرته إلى الحياة .

و لسنا الآن فى صـــدد مناقشة هذه النظرات إلى الانسان و الحيـاة فهى ـ جميعاً ـ فى نظرنا ـ معشر الاسلاميين ـ خاطئـة .

و لكننا نريد أن نتسائل عن الملايين الذين ينتشرون على أوسع رقعـــة من المعمورة تمتد من المحيط الأطلسى غرباً إلى الهند شرقاً ويدينون بالاسلام ، ويؤمنون بنظرته الربانية إلى الانسان و الكون والحياة ، ما شأنهم فى هذا المضمار ؟

وما المذهب الأدبى الذى ينتمون إليه ؟ أليس من حقهم أن يكون لهم مذهب أدبى بين العالم ، متميز القسمات ، واضح الغايات ، محدد الوسائل ليعبر عن نظرتهم إلى الانسان و الكون ، ويوضح عقيدتهم فى خالقهما ، و يحدد موقفهم من الدنيا و الآخرة ، و ليتخذوا منه و سيلة لنشر دعوتهم فى الآفاق .

وليقدموا من خلاله للانسانية عامة ولأجيالهم المؤمنة خاصة أدباً نافعاً ممتعاً ، فتشتعل نفوسهم بما فيه من حرارة الايمان ، وتشحذ عزائمهم بما يتدفق به من الفضائل و الكمالات و تفعم قلوبهم بمـا يحفل به من خير وبر و جمال وطهر ، و تغـــذى عقولهم بما فيه من فكر نير ، وتوجيه خير ، و ينصرفون بروعته و جمـاله و نقائه وسامى توجيهه عن ذلك الأدب التافه الذى تقذف به المطابع فى كل صباح .

إننا معشر المسلمين ـ بحاجة اليوم ـ أكثر من أى يوم مضى ـ إلى منهج لأدبنا الاسلامى المنشود ، ذلك لأننا نتعرض فى هذا العصر لغزو فكرى ووجدانى وحضارى ما عرفنا له نظيراً من قبل . و الأدب الأصيل الهادف من أمضى أسلحتنا لمقاومة

هذا الغزو ، و الوقوف فى وجه تياره الجارف .

إن الحركات الاسلامية المعاصرة قد أسدت للاسلام و المسلمين يداً مذكورة مشكورة ، فهى إذا كانت لم تحقق لنفسها كسباً سياسياً فى مجال الحكم فقد استطاعت أن تحقق للاسلام كسبا فكريا فى مجال توضيح أصول الاسلام و تحديد مواقفه من كثير من القضايا المعاصرة ، و الكشف عن قدرته على استيعاب الحياة المتطورة المتجددة و التصدى لخصومه المنتشرين فى كل مكان

لكن هذه الحركات نسيت أو تناست أن الدعوة إلى الله لاتقوم على البحوث العلمية . و الدراسات المنهجية . و الحجج المنطقية وحدها ، و إنما هى بحاجة أيضاً لأن تقدم مبادئها للناس فى حلل من الأدب الرفيع الذى تلذه النفوس . و تشتاقه القلوب ، و تقبل عليه إقبال الظماء على الماء البرود فى اليوم القائظ .

و هو أمر فطن إليه أسلافنا الكرام وسلاح أحسنوا استخدامه . . . يحدثنا التاريخ كيف استعمل المسلمون هذا السلاح فى ساعات الشدة أحكم إستعمال وأذكاه و أبعـــده تأثيراً فى النفوس .

فنى القادسية ـ مثلا ـ جمع سعد بن أبى وقاص القراء وذوى الرأى وأصحاب النجده و المروّة و لكنه لم يقتصر عليهم وحدهم وإنما جمع معهم الشعراء و الخطباء أيضاً ، و كان فى جملة الشعراء : الشماخ ، و الحطيئة ، وأوس بن معزاء ، وعبدة ابن الطبيب ودفع بهم إلى ساحات القتال ، وقال لهم قبل أن يرسلهم : انطلقوا فقوموا فى الناس بما يحق عليكم و يحق لهم عند مواطن البأس . . . إنكم شعراء العرب و خطباؤهم و ذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم فسيروا فى الناس فذكروهم وحرضوهم على القتال فساروا فيهم (١) وتتابع الخطباء و الشعراء على كتائب المسلمين يلهبون المشاعر و يثيرون الحفائظ و يشدون العزائم .

---

(١) الطبرى : ٣ / ٥٢٣

وتوج سعد تلك الحملة الأدبية الرائعة بأن أمر أحد القراء بأن يقرأ فى الناس سورة الجهاد (١) (وكان المسلمون كلهم يتعلمونها) فقرأها على الكتيبة التى تليه فقرئت فى كل كتيبــة ، فهشت قلوب الناس و عيونهم و عرفوا السكينـة مع قراءتها (٢) .

وفى عهد النبوة المبارك استخدم النبي صلوات الله و سلامه عليه ، الأدب فى الانتصار للاسلام وشرعته ، والذود عن المسلمين ونبيهم ، و الاشادة بالانتصارات و التخفيف من وقع الهزيمة .

و لقــد كان الفنان الأدبيان المعروفان لدى أسلافنا هما الشعر و الخطابة فاستخدموهما أحكم استخدام ، و إنى لعلى يقين لوأنهم عرفوا هذه الفنون الجديدة المستحدثة لا نتفعوا بهما فى بث دعوتهم على أوسع نطاق .

ومن سوء الحظ أن أدباءنا الاسلاميين فى العصر الحديث قد تخلوا لغيرهم عن الفنون الأدبية الحديثة و انصرفوا إلى قرض الشعر وكتابة المقالات ، و إعـداد البحوث ظناً منهم أن بين الدين وبين القصة و المسرحية جفوة تصل إلى حد القطيعة .

وقد غفل أدباؤنا عن أن القرآن الكريم استخدم الفن القصصى لتحقيق مقاصده السامية أوفى استخدام . واعتمده وسيلة ناجعة للارشاد والتوجيه والعظة والعبرة .

لقد كان جديرا بأدبائنا الاسلاميين أن يتزعموا هــذا الفن القصصى لصلتهم الوثقى بالقرآن ، ووقوفهم الدائم على ما قدمه من نماذج رائعة للقصة .

ولا يعلم إلا الله مدى النكبة التى حلت بالأدب الاسلامى من جراء هــذا التخلى ، ولا مبلغ الخسارة التى لحقت بالمسلمين بسبب ذلك . لقـد غصت مكتباتنا

(١) سورة الجهاد : سورة الانفال .

(٢) الطبرى : ٣/ ٥٣٦

الخاصة و العامة خلال النصف الثانی من هذا القرن بآلاف القصص الموضوعة ، و المترجمة ، و أقبل عليها أبناؤنا و بناتنا إقبالا فاق كل تقدير ، وعبوا من سمومها و موبقاتها ما يكفی لقتل أجيال من الناس ففسدت أخلاقهم ، و تزعزع إيمانهم ، واتجهوا اتجاهات تسر العدو و تحزن الصديق .

لقد آن الأوان لأن نرجع الى أنفسنا ، ونجند طاقات شبابنا الموهوبين لاقتحام هذه الساحة . فما يزال فيها حتى اليوم موطیء لأقدامنا ، و ما تزال بين جماهير القراء أفئدة تهفو للأدب النظيف .

إن علينا ، على مفكرينا ، على مؤسساتنا العلمية و الأدبية ، على أدبائنا الذين يغارون على الاسلام وأبنائه أن ندرك بأننا إذا لم نلب حاجات النفوس المؤمنة إلى أدب نظيف يغذی إيمانها ، و يزكی فطرها فلا بد من أن تبحث لنفسها عن أدب آخر قد تجده عند فلان أو فلان ممن ملأوا الدنيا بالآثار التی تفسد الفطر السليمة ، و تقوض الأخلاق الكريمة ، و تعمل على إشاعة الفاحشة فی الذين آمنوا .

نعم نحن بحاجة إلى أدب إسلامی حديث بصورة عامة ، و نحن بحاجة إلى القصة الاسلامية بصورة خاصة لشدة خطر هذا الفن .

إن خطر الفنون القصصية يبدو فی قدرتها الفذة على استدرار عطف القاریء على ما تبدعه من مواقف و حوادث ، وتثير إعجابه بما تصوره من شخصيات وأبطال ، و إشفاقه على المكونين و المحرومين . ومن سوء حظ أجيالنا المعاصرة أن الأدب الذی قدم لها من خلال آلاف الأعمال القصصية والمسرحية و السينمائية و التلفزيونية قد أبدع فی تصوير الانحلال و الجريمة ، و حلق فی إثارة العطف على الخارجين على قيم المجتمع الاسلامی و مثله من الشبان و الشابات و أصر على أن يلبس المترديات فی حمأة الاثم أثواب البطولة و الاستشهاد ، وأن يؤجج فی النفوس نار

النقمة على المجتمعات التى ظلمتهم بسبب استمساكها بالقيم المتخلفة البالية ، و أن يستدر العطف عليهم و أن يملأ النفوس بهم اعجاباً .

وإذا عرفنا أن العطف والاعجاب يعديان كما تعدى الأمراض السارية - على حد قول الأستاذ توفيق الحكيم - أدركنا خطر الفنون الأدبية الحديثة ووعينا مبلغ التبعة الثقيلة ، و المسئولية الخطيرة الملقاة على عواتق الأدباء الاسلاميين .

إن إقبال جماهير القراء على الفنون الأدبية الحديثة وخاصة القصة والأقصوصة والمسرحية يجب أن يفتح أعيننا على هذا السلاح الخطير الذى يتسلح به الشر ليثبت قدميه فى حياة أمتنا ، وأن يحفزنا لأن ننتزع منه هذا السلاح وأن نضعه فى الأيدى الخيرة القادرة على استعماله فى سبل الخير و البر و الاحسان ، لقد سمعنا أكثر من دعوة أطلقت على المنابر لمقاطعة الصحف الخليعة ، والقصص الفاجرة ، و الاعراض عن وسائل الاعلام التى لا تتأثم ولا تتحرج ، ولكن هؤلاء الدعاة قد غفلوا عن أن وسائل الاعلام هذه لاتقاوم بخطبة يلقونها على المنابر أو صرخة استنكار يلقونها فى المحافل ، وإنما تتم بالعمل الايجابى البناء ، فلأن توقد شمعة واحدة خيرلك من أن تسب الظـــلام ألف مرة .

إذا كنا نريد التصدى لهذا الغزو الهائل من الفنون المنحرفـة المدمرة التى تشيع الاباحية والانحلال بين الناس فلا يكون ذلك باستنكارها أو الاعراض عنها ، ولا يتحقق بالصراخ والعويل - كما يقول الدكتور نجيب الكيلانى - (١) وإنما يكون بالعمل الايجابى البناء ، وذلك بأن نواجه الأدب الذى لا نريد بالأدب الذى نريد . و بكلمة موجزة : لا بد لنا من أن نقدم للناس البديل و لكن على ثقة بأن هذا البديل الخير الطيب الأصيل سيلقى من أكثر الناس القبول والاقبال لأن الناس ميالون بفطرهم إلى الخير مؤثرون له . ونحن حين ندعو إلى أدب إسلامى يعبر عن روح العصر

(١) اقرأوا المقال النفيس الذى كتبه الدكتور الكيلانى فى كتيبه الذى عنوانه « حول الدين و الدولة » وطبعته دار النفائس فى بيروت .

و يعالج قضايا المسلم المعاصر ، و يصور أشواقه. لا نريد أن نولى ظهورنا لأدبنا الاسلامى القديم ، وإنما نريد أن نستمد منه ، و أن نبنى عليه و أن نصل حاضر هذا الأدب بماضيه .

و من الحق علينا أن نقرر بأن أدبنا الاسلامى القديم قد أدى رسالته فى الماضى أداء يثير الاعجاب ، فلقد وقف منذ فجر الاسلام سنداً للدعوة ، وظل على مر التاريخ يهاجم الأوضاع الفاسدة ويتصدى للفرق الزائفة ويعرى الذين يتسترون بالدين و يخلص النصيحة لله و لرسوله و لعامة المسلمين .

و قد ارتبط الأدب الاسلامى فى كل زمن مع قضايا عصره و تلاحم معها تلاحماً مثيراً للدهشة ، فقد تصدى للزندقة والزنادقة ، ووقف فى محنة خلق القرآن موقفاً صلباً كريماً ، وقال فيها كلمته التى يجب أن تقال ، ومجد البطولات الاسلامية ، و نوه بالأبطال و المواقف .

فلما غزا الصليبيون ديار المسلمين هب هذا الأدب يوقظ الهمم ، ويثير العزائم ويضمد الجراح ، و يهنىء المسلمين بالنصر إذا انتصروا ، و يخفف من أثر هزيمتهم إذا انهزموا و يدعو إلى مواصلة الكفاح و يحض عليه و يرغب فيه .

و لم يكن موقفه من غزو التتار بأقل من موقفه من الغزو الصليبى .

و إذا كان أدبنا الاسلامى القديم قد عبر بكفاية عن عصوره و مشكلاتها و قضاياها و ناسها فمن الخطأ أن نطلب منه التعبير عن عصرنا و مشكلاتنا و قضايانا و ناسنا . . . إنه ليس من المنطق فى شىء أن نطلب من أدبنا الاسلامى القديم أن يعالج أوضاعنا الحاضرة ، وإن فى هذا الطلب تعسفاً يشبه تعسفنا فيما لو طلبنا من أدبنا المعاصر أن يعالج الأوضاع التى ستجد بعد ألف عام .

و كما نحن بحاجة إلى أدب إسلامى معاصر يواكب حياتنا ، و يعبر عنها فنحن

بحاجة إلى نقد إسلامى معاصر يواكب هذا الأدب و يوصل له أصوله و يضع له معالمه وصواه .

نعم نحن بحاجة إلى مذهب إسلامى فى الأدب و نقده .

٢ ـ الداعون السابقون إلى هذا المذهب :

نحن لسنا بأول من دعا إلى إقامة مذهب إسلامى فى الأدب و إنما اقتفينا آثار طائفة من أعلام المسلمين ، و أدبائهم الموهوبين ، و قد كان أول من كتب فى هذا الموضوع و نبه إليه فضيلة العالم العامل الشيخ أبو الحسن الندوى ، و ذلك حين اختير عضواً فى المجمع العلمى العربى فى دمشق .

حيث قدم بحثاً دعا فيـــه إلى إقامة أدب إسلامى و العناية به ، فكان أول الداعين إلى ذلك وطليعة المنبهين إليه ، ثم تلاه شهيد الاسلام والمسلمين «سيدقطب» فكتب مقالا فى هذا الموضوع ، ثم نشره فى كتابه « التاريخ فكرة و منهاج » .

و قد نبه فى هذا المقال إلى وجود أدب إسلامى متميز ، و دعا إليه وحض عليه فكان أول من استجاب لدعوته أخوه الأستاذ محمد قطب مد الله فى عمره ، حيث ألف كتابه « منهج الفن الاسلامى » ، فكان أول كتاب نشر فى هذا الموضوع .

ثم تلاه الطبيب الأديب الدكتور نجيب الكيلانى فألف كتابه « الاسلامية و المذاهب الأدبية » ، واتجه فيه وجهة أدبية إسلاميـــة بينما اتجه كتاب الأستاذ محمد قطب وجهة إسلامية بحتة ، ثم تلاهما الدكتور عماد الدين خليل فخطا خطوة رائدة فى هذا الطريق حين نشر كتابه « فى النقد الاسلامى المعاصر » و لكن خطوته هذه تحتاج إلى خطوات أخرى لاستكمال الموضوع .

ثم كثرت المقالات و الدعوات إلى تبنى هذا الأدب و العناية به ، فكانت جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية أول من استجاب لهـــذه الدعوة ، و كان

معالى الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى أول من عمل على نقلها من نطاق الدعوات و النظريات إلى مجال التطبيق و التنفيذ ، فأقر مادتها فى كلية اللغة العربية يوم كان عميداً لهذه الكلية .

ثم أضفى عليه مزيداً من القوة و المنعة بعد أن غدا مديراً للجامعة فجعلها عنصراً أساسياً من عناصر قسم البلاغة و النقد ، و أطلق على هذا القسم اسم « قسم البلاغة و النقد و منهج الأدب الاسلامى » .

و لقد أقبل طلاب الدراسات العليا على هذه المادة إقبالا كبيراً ، فسجلت فيها ثلاث رسائل للماجستير ، والرسالة الرابعة فى طور التسجيل إذا أذن الله وبسر .

وإن أملنا كبير فى أن تتحول هذه المادة إلى مركز مستقل للأدب الاسلامى عامة ، و أدب الأطفال و اليافعين و الشباب خاصة .

٣- إلقاء نظرة عجلى على الأدب الاسلامى :

الأدب الاسلامى « هو التعبير الفنى الهادف عن وقع الحياة والكون والانسان على وجدان الأديب تعبيراً ينبع من التصور الاسلامى للخالق عز وجل و مخلوقاته و لا يجافى القيم الاسلامية » .

و المراد بفنية التعبير جماله و روعته ، و لا غرو فاشراق العبارة و جمالها شرطان أساسيان لازمان لكل أدب ، فكيف إذا كان إسلامياً نابعاً من كتاب الله متأسياً بحديث رسول الله ؟

ثم إننا اشترطنا فى هذا الأدب أن يكون هادفاً لأن أفعال المسلم و أقواله مصونة عن اللغو و العبث ، بعيدة عما لاطائل تحته ، و على هذا فالأدب الاسلامى لا يكتفى بجمال التعبير و إبداع التصوير و إنما يشترط فيه أن يكون ممتعاً نافعاً فى وقت معاً . ذلك لأن الأكواب الفارغة لا تروى العطاش .

ثم إن موضوع هذا الأدب رحب الآفاق ، متعـــدد الجوانب ، فهو يشمل الانسان بعواطفه و أشواقه ، و آماله و آلامه ، و حسناته و سيئاته ، و دنياه و آخرته ، كما يشمل الحياة بكل ما فيها من سعــــادة و شقاء ، و مقومات و قيم ، و هو يشتمل على الكون بره وبحره و أرضه وسمائه ، كما يشتمل الطبيعة بطيرها السابح ، و حيوانها السارح ، و ربيعها الجميل ، و شقائها العاصف ، وما إلى ذلك .

وعلى هذا فان الأدب الاسلامى ليس مقصوراً على الموضوعات الدينية ، وإنما هو أعم من ذلك و أشمل ، و لكى تتضح لنا صورة الأدب الاسلامى ، و يبدو لنا الفرق بينه و بين التصور الذى يتم بعيـــداً عن الاسلام و التصور الذى يجافى الاسلام ويناقضه لا بد لنا من إيراد طائفة من النماذج ذوات الموضوعات المشتركة بحيث يمثل بعضها الأدب الاسلامى ، و يمثل بعضها الآخر الأدب الذى أشرنا إليه آنفاً ، فاستمع إلى عبد الله بن قيس الرقيات و هو يمدح خليفة المسلمين و أحد أعلام التابعين عبد الملك بن مروان فيقول :

إن الأغر الذى أبوه أبو العا ص عليـــه الوقار و الحجب
يعتدل التاج فوق مفرقـــه على جبين كأنه الذهب

ثم استمع إلى الخريمى حيث يقول فى مدح بنى هاشم :

نهاركم مكابدة و صوم و ليلكم صلاة و اقتراء
أ أجعلكم و أقواما سواء و بينكم وبينهم السماء ؟ !

فنحن إذا أعدنا النظر فى هاتين المقطوعتين الصغيرتين وجدنا الفرق واضحاً بين التصورين ، فعبد الله بن قيس الرقيات ينظر إلى خليفة المسلمين ، و أحد كبار التابعين بمنظار لا علاقة له بالاسلام ، و ينعته بنعوت ليس لها فى موازين الشرع

مقام ، بل إنه يخلع عليه بعض الصفات التى تناقض ما يجب أن يكون عليه الخليفة المسلم .

فكل مزايا عبد الملك عند الشاعر أنه ابن أبى العاص ، وهو فخر بالأحساب و الأنساب ، و بقية من لوثات الجاهلية ، و أنه محجوب عن رعيته ، و الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنذر أولئك المحجبين عن الناس من الولاة والحكام بأشد العذاب ، وأن التاج يعتدل فوق جبينه الذهبى ، والاسلام إنما جاء ليجتث التيجان من جذورها ، ذلك لأنها سمة من سمات الأعاجم وملوكهم فى جاهليتهم ، حتى إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبى أن ينظر إلى الهرمزان حين ساقوه إليه فى المدينة حتى خلع تاجه الذهبى عن رأسه .

كما يبدو التصور الاسلامى فى قول « نهار بن توسعة » :

أبى الاسلام لا أب لى سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم
دعى القوم ينصر مدعيه ... فيلحقه بذى الحسب الصميم
وما كرم ولو شرفت جدود ... و لكن التقى هو الكريم

و لمزيد من وضوح التصور الاسلامى اقرأ الأبيات التى نسبت لأبى نواس فى وصف جمال الطبيعة حيث يقول :

تأمل فى رياض الأرض و انظر ... إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات ... بأحداق هى الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

فالأبيات قيلت فى النرجس ، وقد وصف الشاعر فيها الربيع وصفاً ممزوجاً بمبدع الربيع فتعال نوازن بينها و بين وصف البحترى للربيع حيث يقول :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً ... من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبه الفيروز فى غسق الدجى أوائل ورد كن بالأمس نوما
يفتقها برد النـــدى فكأنه يبث حـديثاً كان قبل مكتما
فمن شجر رد الربيع لباســه عليـه كما نشرت وشياً منمنما
فما يحبس الراح التى أنت خلها وما يمنع الأوتار أن تترنما ؟!

فالشاعر هنا وصف الربيع وصفاً رائعاً بديعاً ، و لكنه وصف مفصول عن خالق الربيع و هو أمر لا خير فيه ولا شر فى مقاييسنا ، لكنه ختم قطعته هذه بالاسترواح لشرب الراح ، و الاستمتاع بترنم الأوتار حين قال :

فما يحبس الراح التى أنت خلها وما يمنع الأوتار أن تترنما ؟!

و هما أمران محرمان على المسلم محظوران عليه .

٤ ـ أهم خصائص الأدب الاسلامى :

هذا وإن للادب الاسلامى الذى تبنيناه طائفة من الخصائص والمميزات :

أولاها : أنه أدب غائى هادف ، ذلك لأن الأديب المسلم لا يجعل الأدب غاية لذاته كما يدعو أصحاب « مذهب الفن للفن » و إنما هو وسيلة إلى غاية .

وتتلخص هذه الغاية فى ترسيخ الايمان بالله عز و جل فى الصدور ، وتأصيل القيم الفاضلة فى النفوس ، وتفجير ما يكمن فى الذات الانسانيـــــة من طاقات الخير و الصلاح .

و ثانية هذه الخصائص : أنه أدب ملتزم، ولكن التزامنا مغاير لالتزام الاشتراكيين و الوجوديين فهو التزام بالاسلام و قيمه و تصوراته ، و تقيـــد بمبادئه و مثله و غاياته .

و ثالثة هذه الخصائص : أنه أدب أصيل ، و تتجلى هذه الأصالة فى التزام الأديب الاسـلامى بالأصيل من خصائص الأمة الاسلاميـة ، النقى من صفاتها ، وتمحيض أدبه للخالد الباقى من روحها الرفيع الثمين من مزاياها ، وتبلغ هذه

الأصالة ذروتها حين نحس أن فى الأثر الأدبى حشاشة نفس تذوب ، و أن فيه قـــدرة على أن يشعل قلباً ، و يذيب نفساً ، و يلهب عاطفـــة ، و يشحذ همـــة .

و رابعة هذه الخصائص · الاستقلال ، وذلك حين يتخلص الأديب الاسلامى من تأثير الأدباء الأفذاذ الذين يجذبون إليهم من دونهم جذباً شديداً ، ويتحكمون فى رؤيتهم للاشياء ، وهذا الاستقلال يتم بالتصميم من جهة ، وبتكوين الشخصية الأدبية الاسلامية من جهة أخرى ، بحيث لا يرى الأديب المسلم إلا بعين الاسلام ، و لا يسمع إلا بأذنه ، ولا يحس إلا باحساسه .

و إن ذلك يصدق ـ مثلا ـ على حسان بن ثابت رضى الله عنه حين عمل على أن يتخلص من الشخصية الأدبية الجاهلية و أن يستبدل بها الشخصية الاسلامية الجديدة .

كما ينطبق فى عصرنا الحديث على سيد قطب فى نقلته الكبيرة .

وخامسة هذه الخصائص : الثبات والرسوخ ، فالأدب الاسلامى بسبب كونه يستمد قيمه ، و مضموناته ، و تصوراته من الاسلام الثابت الراسخ ، فانه يحتفظ دائماً بشخصيته و جنسيته ، و روحه و تفكيره ، و ذكريات ماضيه .

و إذا تغير فيه شئ على مر العصور فانما تتغير أثوابه و أشكاله فحسب .

وسادسة هذه الخصائص : الأخلاقية ، فالأدب الاسلامى أدب أخلاقى بكل ما تحمله هذه الكلمة من دلالات . ذلك لأن الالتزام الخلقى عند الأديب الاسلامى كعبقريته ، فهما ينبعان من أعماق طبيعته فى وقت واحد .

و لا فرق فى ذلك بين الأدب الذى يبدعـــه الأديب الاسلامى ترويحاً عن نفسه أو إعلاء لنفوس الآخرين و توجيهاً لها .

و سابعة هذه الخصائص : الاتقان . وذلك لا يتم إلا بتآرز الشكل و المضمون .

وعلى هذا فانه لا يشفع للادب الردىء عندنا أن يكون موضوعه إسلامياً ، فكثير من مدائح الرسول صلوات الله و سلامه عليه مستبعـــدة من الأدب الاسلامى ذلك لأن الأدب الذى نروده ينبغى أن يجمع إلى سمو الغـــاية سمو الوسيلة .

و ثامنة هذه الخصائص : الوعى ، ونريد به أن يعى الأديب الاسلامى ذاته المؤمنة ، و أن يشعر شعوراً عمقياً بالمسئولية التى ألقاها الله على كاهله ، وأن يقدر خطورة الكلمة ، و شرفها ، و قيمتها .

الأدب كما يريده الاسلام

فضيلة الشيخ محمد المجذوب
الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

الحمــد لله و سلام على عباده الذين اصطفى ، و صلى الله وسلم و بارك على عبده المصطفى محمد بن عبد الذى أرسله رحمة للعالمين بشيراً و نذيراً و داعياً إلى الله باذنه و سراجاً منيراً .

أما بعد فمن حق ندوة العلماء على حملة القلم الاسلامى فى كل مكان أن يسجلوا لها مزيد من التقدير المحمدة التى سبقت إليها بالدعوة إلى هذا الحفل ، الذى يتوقع أن يكون له أثره البعيد فى إضاءة الطريق أمام الكلمة المؤمنة ، لتنطلق على نور ، وتعالج قضايا الحياة على بينة ، ليس فقط فى نطاق العربية ، لغة الاسلام الأولى و العليا بل فى كل وسائل البيان الذى يترجم به الأديب المسلم أفكاره وتصوراته وتأملاته و وجداناته .

و ليست هذه هى المأثرة الأولى و لا الأخيرة التى تقدمها هــذه المؤسسة الاسلامية العريقة للفكر الاسلامى ، ففى تاريخها الحافل بالجلائل ما يجعلها محط الآمال لتحقيق الكثير الكريم من الأعمال فى خدمة الاسلام العظيم ، الشامل لكل ما يصلح الحياة من فكر و علم و تشريع و فنون رفيعة نظيفة .

و إنه ليسعــــــــــــــــــدنى بوجه خاص أن هذه الدعوة تحقق لى حلماً جميلا طالما دغدغ خيالى ، فكتبت و خطبت وحاضرت فى توجيه العزائم

الأذهان إليه . . . و فى كتابى الموسوم بعنوان (أفكار إسلامية) بحث مفصل لما أتصوره من موجباته وعناصره و أهدافه . . و لو لا بعض التطورات المتصلة بموضوع الأدب مما أعقب ذلك البحث ، خلال العشر السنوات الماضية لاكتفيت بتقديمه إلى هذه الندوة الموقرة دون أى تعديل . . و من هنا كان شكرى لفضيلة الرائد الاسلامى الكبير الشيخ أبى الحسن أمتع الله بحياته مزدوجاً ، فهو شكر على تحقيق حلمى الذى فاتحت به العديد من إخوانى فى هذه الديار أثناء رحلتى السابقة للهند ، وهو أيضاً شكر ، بل تهنئة قلبية ، لندوة العلماء لنهوضها بهذا الواجب الذى ليس أحق به من حملة الفكر الاسلامى فى شبه القارة الهندية ، التى قدمت و لا تزال تقدم لعالم الاسلام قمماً من الرجال الذين أهدوا إليه روائع من إبداعهم فى مجال العلوم الاسلامية ، و بخاصة الحديث الشريف الذى يكاد يكون وقفاً عليهم فى هذا العصر . . و حسبهم أن منهم العلمين العالميين اللذين أثبتا بصماتها على ثقافة الجيل الاسلامى المعاصر ، إذ كان أحدهما الشيخ أبو الحسن النـــدوى صاحب الصوت الأعلى فى الدعوة العملية إلى تعليم إسلامى صميم متحرر من سلطان الغرب والشرق و مجدد لبناء الشخصية الربانية على أسس الكتاب و السنة و مناهج السلف الصالح و كان ثانيهما الامام أبا الأعلى المودودى تغمده الله برضوانه ، ذلك السابق المجلى فى ميدان الفكر العلمى ، الذى رفع لواء المعرفة الاسلاميـــة فوق سائر المذاهب الجاهلية . وقدم لهذا الجيل المخطط المحكم لنهضة واعية قادرة على مواجهة كل مشاكله العالمية بالحلول الاسلامية الحاسمة .

ولقد كان بودى أن أسهم فى هذه الندوة ببحث ضاف عن الأدب الاسلامى يستوعب خبراتى الطويلة فى خدمة الأدب والفكر الاسلاميين ، و يعالج التطورات الطارئة على مسيرة هذا الأدب خلال تاريخه الحافل ، وبخاصة فى هذه الحقبة التى

سجلت فيها هـذه التغيرات ذروتها . . و لكن الأعباء الكثيرة إلى قصر الوقت حالت دون المراد ، وأكرهتنى على الاجتزاء بالاشارات العجلى إلى أهم النقاط التى تراودنى فى هذه المناسبة .

الأدب قيمته و أثره :

بغض النظر عن كل التعريفـات الاتباعية أقدم فكرتى عن الأدب على أنه (الفن المصور للشخصية الانسانية من خلال الكلمة المؤثرة) ومن هنا كان الأدب بنظرى هو ضابط الارتباط بين جوانب الحياة الانسانيـة على اختلاف منطلقاتهـا و تصوراتها . . و فى ضوء هذا التعريف البرقى تتضح قيمة هذا الفن وآثاره فى مسيرة الحضارة البشرية على امتداد ساحاتها و تعدد مذاهبها .

و مع كل الضجيج الذى يحركه ذوو النوايا الطيبـة فى تنكرهم للكلام ، و تحريضهم على الاكتفاء بالعمل ، سيظل للكلمـة مفعولها العميق فى إثارة العقول و القلوب ، ثم التوجيه إلى الأعلى أو الأدنى من مسالك الحياة . و غير خاف على أولى العلم أمثلة ذلك فى رسالات النبيين ، الذين كانت الكلمة المبينـة البليغة وسيلتهم الفضلى إلى أعماق الانسان ، و قد تجلى ذلك على أتمه فى المعجزة الكبرى التى أنزلها الله على قلب محمد ﷺ قرآناً يهدى للتى هى أقوم ، و سنة تخرج الناس من الظلمات إلى النور .

وبهذين الرافدين من أدب السماء بدأ التغيير الأكبر فى أدب العرب ، شعراً و خطابة و حكمة و مثلا ، ثم ترسلا و تصنيفاً و قصة وملحمة . . و ما إلى ذلك من أساليب و فنون أدت مهمتها فى تبليغ الرسالة ، و توسيع المـدارك ، و نشر الثقافة العليا فى كل مجال وصلت إليه الفتوح الاسلامية ، أو أظـله الفكر الحى الجديد .

و قد استمرت ذلك الأدب عربى اللسان ربانى المضمون حتى بدأ الخلل فى مسيرة الحياة السياسية ، فاختلف حملة الرسالة حتى الاقتتال ، و كان مستحيلا على الأدب أن يقف على الحياة فى ذلك المعترك الصاخب ، فاذا هو مأخوذ برهجه ، يضطرب بين المختلفين فى تحيز ترك أثره عميقاً فى الكثير من شعره و نثره على السواء ، ثم تتابعت الأحداث وتفاقمت المشكلات وإذا نحن خلال عصور الأدب التالية تلقاء ركام من الكلام ، قليل منه التماسك فى نطاق المواريث العليا ، وأكثر الزائغ الخطى هنا وهناك . . حتى إن الأديب الواحد ليجمع فى نتاجه بين الضربين المتضادين من الألوان ، فهو فى بعضه إسلامى الرؤية لايفارق خط النور ، ولكنه فى بعضه الآخر مدخول الهوية لا يمت إلى المنظور القرآنى بأى صلة . . و المؤسف بل المبكى أن مسيرة الأدب العربى ـ بخاصة ـ واصلت حركتها فى هذا الطريق المضطرب ، فلم تقيض لها القوة التى تردها إلى المسلك السليم ، حتى إذا فوجئت بطلائع الزحف الغربى الدافق ، لم تكن لديها المقومات القادرة على مواجهته بالوعى الذى يفرق بين الغث و السمين ، فكان من نتائج هذه المواجهة تراكم العقبات فى طريق الفكر الاسلامى . و طغيان الضجيج الصادر عن المبهورين بتلك الطلائع . و هكذا وجدنا أنفسنا أمام جيل لا يرى سبيلا للتقدم إلا بالاعراض الكلى عن المنهج الاسلامى الأصيل ، و الذوبان التام فى تيارات الفكر الواغل الدخيل.

و قد بلغت هذه الدفعة الرهيبة أشدها فى أعقاب النكبة الكبرى التى نزلت بعالم الاسلام أثر سقوط الخلافة ، إذ انفرط عقد المجموعة الاسلامية ، فتوزعتها النزعات الوافدة مع الزحف الغربى ، فاذا الأمة أمم ، والأسرة الواحدة فرق ، لاتقل عدداً و لا خطراً عن الفرق التى أفرزتها الثقافات الدخيلة خلال قرون الدولة العباسية وقد انعكست آثار ذلك كله فى هذا السيل العارم من نتاج الأقلام ، التى اختلفت

فيها الحابل بالنابل . وإذا هناك أخيراً مؤتمرات مشبوهة يحمل كل منها لافتة أدبية ذات لون خاص . تحتضن فى ظلالها أقزاماً لايكادون يرون من ضآلتهم ، و لكنهم لا يزالون ينفخون ، وتسلط عليهم الأضواء الملونة حتى يوشكوا أن يحجبوا الرجال ذوى الأصالة فى عالم الفكر و الأدب و الانتاج الحق . . و لقــد اتسع مدى جناياتهم حتى شمل لغة القرآن نفسها . فراحوا ينبزونها بكل نقيصة ، فهى فى زعم بعضهم فقاعات من التحاسين اللفظية لا محصول لها من فكر و لا علم ، و هى فى نظر بعضهم الآخر مرض للجمود الفــاضح لا تمد الباحث بأى قدرة على إعطاء مدلول صحيح . . و من هنــا كان أدبها ميتا أو محتضرا لا يملك قـــدرة التعبير عن أى جانب من النفس لانسانية ، فضلا عن أن يحاول اللحاق بموكب الآداب العالمية ! . و طبيعى أن غرضهم الأقصى من هذه الحملات إنما هو تشكيك قرائهم فى صلاحية العربيــة للحياة ، و من ثم صرفهم عن اهتمام بكتابهــا الأسمى الذى يقول منزله (ما فرطنا فى الـكتاب من شىء) .

على أن لكل أجل كتــابه ، و لكل نبأ مستقره . كما قرر الحكيم العليم ، و هكذا لم يكن بد لهذه الغمرة المضللة من حد تسير إليه ثم ينجلى ما وراءها من المخالفات ، كما تنجلى سحابة الدخان المصطنع بعد أن حجبت حقائق الأشياء إلى حين ، و كذلك استفرغت هاتيك المزاعم طاقاتها ، فهى اليوم تترنح تحت صفات اليقظة الاسلامية التى لم تنطفىء شعلتها قط ، و لم تستسلم لمناورات الباطل ، منذ الغــارة الأولى التى شنتها الشعوبية القديمة ، وحتى آخر السلسلة من هجمات الشعوبية الحديثة على حصون الأدب القرآنى فى كل مكان أتيح فيه للقلم الاسلامى أن يتنفس .

و نظرة واعية إلى ميدان الصراع الفكرى الراهن ، سواء على نطاق الأرض العربية وحدها ، أو على مستوى العالم الاسلامى كله ، تكشف للبصر هذه الحقيقة

على آثمها ، إذ تريه أعداء الاسلام على اختلاف هوياتهم و تبعياتهم للصليبية المحلية أو اليهودية العالمية ، أوالشيوعية المفترسة ، أو الوثنية الحاقدة ، قد شرعوا يلفظون أنفاسهم الأخيرة أمام انتفاضة الفكر الاسلامى ، الذى أخذ يكتسح بأشعتـــه قطع الظلام التى دسها الغزو الشيطانى فى غيبـــة الوعى الاسلامى ، كما اكتسحت عصا موسى (عليه السلام) حبائل السحرة التى خيل للناظرين أنها تسعى .. و حسبنا شاهداً على ذلك معارض الكتاب الاسلامى التى تنهض هنا وهناك وهنالك ، فتلقى من إقبال القراء على اختلاف مستوياتهم ما لا يحظى ببعضه كل نتاج الفكر الهـدام فى عالم الاسلام .

أجل ! لقد أثبت الأدب الاسلامى وجوده حتى اليوم شامخاً متألقاً فى كل فنون الأدب ففى حلبة الشعر يعلو صوت إقبال كل ما عداه من أصوات الشعراء العالميين ، ليس فقط بالأسلوب الفنى الذى تستأثر به لغة الشعر فى كل لسان ، بل بالروح الايمانى الذى يخترق بأسراره جدران الباطل ليستقر فى القلوب ، نوراً يضئ و طاقـــة تحرك ، و حباً تتلاشى فى طريقه الحواجز ليشعر كل مسلم فى الأرض أنه عضو فى جسد يشمل كل مسلم على وجه الأرض . . وعلى سنن إقبال تنطلق مواكب الشعر الاسلامى لتوقظ ما عفـــا من مشاعر الايمان ، و تنير العزائم الفتية للاندماج فى كتائب الجهاد الزاحف لمكافحة الطغيان فى كل مكان و زمان .

و فى الطريق نفسه مضى النثر الاسلامى يصور مشكلات الحياة قاطبـــة : قصة تدغدغ الضمائر و رواية تجسم المنظور الاسلامى فى أعماق المشاعر ، و بحثاً يكشف الحقائق فى ضوء الوحيين ، ليأخذ بأيدى التائهين إلى ساحة النور ، و مقالة تعالج مشكلات الانسان فى مسيرته اليومية فتفتح الأعين على كل ما هو بحاجة إليه من ألوان المعرفة المضيئة . . و لا حاجة لاستقصاء الفنون التى يحقق بها الأدب

الاسلامى رسالته فى عالم الكلمة ، لأن استقصاء ذلك فوق حدود الطاقة . وقصارى القول : إن الأدب الاسلامى قد استعاد بفضل الله ، ثم بهم الصفوة من موهوبى المؤمنين ، الكثير مما فقده من أسباب التفوق ، و لا تؤيده التجارب اليومية إلا نشاطاً و دأباً فى هذه السبيل المهدية بنوراقه ، على الرغم من مئات العقبات التى تقيمها فى طريق الحق الأيدى الملوثة بجرائيم الشيوعية ، و القوى المسخرة لأهواء الظلام من طواغيت الحكام ، وبخاصة أن هذه الأيدى هى التى تقبض على مخانق الوسائل الاعلامية مقروءة و مسموعة و مرئية فى معظم بلاد المسلمين ، فتسخر كل شئى لخدمة أنصابها ، حتى لتجعل من المسخ الهزيل كبير العمالقة ، و من ألد أعـــداء الاسلام داعية يستحق ألوان التقـــديس . . ثم زاد اضطراب الرؤية لدى الجماهير المتأثرة بالاعلام المضلل ، ذلك التكريم الذى توجهه السياسة المكيافيلية لقادة الفكر التخريبى ، إذ يدعون للمشاركة فى كل مؤتمر يحمـــل اسم الاسلام ، ثم ينفضون ليستأنفوا حربهم للاسلام شريعـــة و تربية و تعليماً و إعلاماً ، و إنهم أخذوا من وجودهم فى تلك المؤتمرات تفويضاً بمواصلة مساعيهم الشيطانية لتهديم كل ما هو إسلامى ، و تنشيط وتشجيع كل ما هو مضاد لحقائق الاسلام .

ولا أكشف سراً إذا ذكرت بآخرما يشهده عالم الاسلام من تلك المواقف المشبوهة ، حيث طرحت قضية الغزو الشيوعى لأرض الاسلام فى الأفغان الشقيقة فوقف هؤلاء ينافحون عن لجانئه بكل وقاحـــة ، . و فى مجتمع آخر قريب حيث طرحت قضية تطبيق الشريعة الاسلامية ، فكان أن وقف ممثل لاحدى الدول المشاركة فيه باسم الاسلام ، ليعلن على رؤوس الاشهاد أنه لا يوافق على هذا المطلب . . ولكن شاء الله أن يجعل من تلك المفارقات قوة جديدة للدفع الاسلامى إذ ساعدت على تمييز الراشد من الضائع ، فشدت أواصر أهل الايمـــان ، و أبرزت انعزالية

المعادين للاسلام ، و كان أعظم رد فعل لموقف ذلك الرافض لحكم الله ، هو الذى قدمه ممثل نيجيرية المسلمة فى التعقيب على ذلك الكفر الصراح ، يقترفه وزير لأوقاف إسلامية ، أول واجبه هو احترام عقيدة شعبه ، و تسخير كل مقومات منصبه لاعلاء كلمة ربه . . فكان الرد النيجيرى تذكيراً حكيماً بقوله تعالى فى أمثاله « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، و قد أمروا أن يكفروا به ، و يريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً » (٤ ـ ٥٩) .

و لن يقل عن هذا و ذلك تلك الحملة الطائشة التى تنطلق اليوم فى وجه السنة النبوية ، حيث يقحم رجل نفسه فى ما لا صلة له بعمله ، فينكر ، و يفتى و يسفه ، و يريد بذلك أن يجد جيلا من المنتفعين بما لديه من مال المسلمين يصلح لافساد الاسلام ، و هو يظن ، إذا أحسنا الظن ، أنه يعمل كل ذلك فى خدمة الاسلام .

أجل . . إن العقبات التى تريد تثبيط المد الاسلامى لأكبر و أكثر من أن تحصى ، و لكنها على الرغم من هولها ، و من النكال الذى ينزله طواغيتها بحملة الفكر الاسلامى ، مما يتجاوز بفظاعته حدود التصور ، لا تزيد ذلك المد المقدس إلا اندفاعاً و انتشاراً و عمقاً ، و إنها للصورة التى تبدو أكثر ما تكون تكاملا فى ألوان الأدب الاسلامى ، الذى يطالعنا صباح مساء فى أكداس المنشورات ، التى تدفع بها المطابع ، مصنفات و دواوين و صحفاً و مجلات ، تتعدد تخصصاتها ، و تلتقى فى إطاراتها المميزة على خدمة الفكر النقى فى الكلمة الجميلة البليغة .

وأخيراً ، إن عشرات الصفحات تسطر فى هذا الموضوع لن تستوعب الأفكار التى تثيرها فى صدور الذين أوتوا العلم . . و لذلك لا نرى مندوحة عن ضغطها

فى فقرات محدودة تنم بالقليل عن الكثير ، و تعدل عن الهام إلى الأهم ، عملا بالحكمة القائلة (ما لا يدرك كله لا يترك جله) .

(١) إن منطلق الرؤية الاسلامية هى العقيدة السليمة كما أوحى بها الله وتلقيناها عن رسوله الأعظم ﷺ دون تأويل ولا تعطيل ، وما لم تتركز هذه العقيدة فى قلب الأديب حتى تسيطر على كل تصوراته ، فسيظل أدبه بعيداً عن سبيل المؤمنين ، و أبعد من أن يكون أدباً إسلامياً ، و من البداهة أن منبع العقيدة الصحيحة هو الوحى الماثل فى كتاب الله و سنة نبيه ، فالتزامهما إذن أساس لا منصرف عنه لتثبيت الرؤية الاسلامية السليمة فى قلب الأديب و طالب الأدب على السواء . . ثم الاتصال بالمؤلفات الموثوقة فى نطاق الثقافة الاسلامية المبنية على هذا الأصل ، ومن هنا كان فرضاً على من يريد العمل فى نطاق الأدب الاسلامى أن يتشبع بهذه المناهل ، كى يظل فى مسيرته على الطريق اللاحب فلا يزيغ بصره عنها و لا يطغى .

(٢) لقد كثر الذين يتكلمون فى الاسلام . و كثر ما يكتبونه و ما يذيعونه و ما ينشرونه فى هذا المضمار ، و لكن قليل منهم الذين يلتزمون أصول هذه الحقائق الاسلامية فهم يقولون الكثير فى كتاب الله دون أن يعتمدوا فى ذلك على أساس سليم ، متناسين أن أى عمل يراد تحقيقه لا بد من العدة المتعلقة به ، وقد وجد هؤلاء بعض الاقبال على ما يذيعونه من قبل البسطاء ، فتمادوا فى جراءتهم على هذه القحمات ، يحسبون ، أو بعضهم ، أنهم يحسنون صنعا ، وقد أخذ قراؤهم ببعض الطرائف التى وفقوا إليها فتوهموا أن كل ما يقولونه حق لا مرية فيه ، و فى هذا ما فيه من تغرير بالجيل الذى لم يزود بالعواصم من القواصم ، و على هذا فلا بد من حوار مع هؤلاء يذكرهم و يعظهم و يوجههم الى الحق ، و ينبه فى الوقت نفسه بالمصيب السديد من أعمالهم ، ولقد جربت ذلك مع بعضهم فوجدت

نية حسنة و استجابة طيبة و إقراراً بالأخطاء و وعداً بالعدول عنها . فمثل هؤلاء لايكتبون أدباً إسلامياً خالصاً ، ولكن بالامكان تسديد خطاهم حتى يكون مايكتبون من الأدب الاسلامى المنشود .

(٣) لابد من تعاون الأدباء الاسلاميين على حماية الاسلام من تسرب الأفكار الدخيلة إلى حقائقه ، و ذلك بايضاح استقلاليـــة الاسلام الكاملة عن كل فكر أو مذهب آخر ، كالاشتراكية و الماركسيــة و الديمقراطية و ما إلى ذلك من مدعيات كثر القائلون بها فى هـــذه الأيام ، حتى يعلم القارىء أيا كان أن الاسلام هو دين الله المصفى ، فلا مساومة ولا ترقيع ، بل شعاره الخالد أبداً هو « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ، و لا أنتم عابدون ما أعبد ، و لا أنا أعبد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين »

كذلك لا بد من قصر دلالة (الأدب الاسلامى) على معناه الحق ، فاذا وجدنا لكاتب أوشاعر نتاجاً متفقاً مع روح الاسلام اعتبرناه من الأدب الاسلامى ، و كل انتاج له شذ عن ذلك الخط أعطيناه حقه من التعريف منفصلا عن الجانب الاسلامى . وأضرب مثلا على ذلك بالدكتور محمد إقبال فهو فى الذؤابة من شعراء الاسلام ، و لكنه فى فلسفته بعيد عن الخط الاسلامى ، لأنه أخـــذ بمفهومات الفلاسفة الوثنيين و الصليبيين ، و أثر بطريقته هـــذه على غير واحد من مفكرى المسلمين فى هذا الجانب ، و مثله فى ذلك كتاب قدموا للاسلام خيراً كثيراً ، فهم من هذا الجانب ذوو أدب إسلامى أصيل ، و لكنهم فى جانب آخر من إنتاجهم خرجوا حتى على نصوص الوحى المتواتر فى القرآن و الحديث ، فأنكروا ما هو معلوم بالضرورة . و بذلك التقوا مع المؤولة من الباطنية الذين قامت نحلهم على صرف المعانى عن وجوهها التى أجمعت عليها الأمة على توالى القرون ، فأدبهم من

هذه الناحية بجانب للمعنى الاسلامى و مرفوض بمقياس الاسلام .

(٥) من مهام الأديب الاسلامى مناقشة هذه الانحرافات بالحكمة و الموعظة الحسنة و الجدال بالتى هى أحسن ، حتى يستقيم أمر أهلها على الجادة ، و إذا أصروا على شذوذهم كان فى ذلك النقاش خير للقراء إذ يصبحون هم الشهـــداء عليه ، و مثل ذلك يقال فى كل محاولة لتشويه الوجـــه الاسلامى ، سواء جاءت من الخارج أو الداخل ، حتى لا تصل إلى أعين القراء إلا و بازائها التفنيد الكفيل بتزييفها .

(٦) من العقبات التى تواجه الأدب الاسلامى فى أوساط المسلمين ، قلة قرائه ، إذا قيسوا بغيرهم من الشعوب المتحضرة ، والكثرة من هذه القلة تتجه فى اختيارها إلى المجلات الملغومة و المسمومة ، مأخوذة بجاذبية الاخراج ، وهى علة لامندوحة عن معالجتها بالدواء الناجع ، وهو محصور فى المضمون المشوق و الاخراج الجميل وبازاء الجمهور الأكبر من محسنى القراءة طلاباً أو عمالا نرى أفضل ما يقدم إليهم متمثلا فى القصة التى يجب أن تمدهم بالمتعة و الفائدة من خلال المنظور الاسلامى الذى لا يضيق بأى جانب من الزاد الفكرى الخير ، و فى عناية دقيقـــة بالاخراج المنافس بل المتفوق على سواء .

(٧) لقد أدى تدهور الثقافة فى الأوساط الشعبية ـ فى البلاد العربية ـ إلى شيوع اللحن و مجانبة العربية السليمة ، ومن ثم انتشار الأدب العامى الذى زاد فى تشتيت المجموعة العربية ، حتى لا يكاد يفهم العربى إلا عن طريق اللسان الوسيط . ومع أن التقدم الواسع فى نطاق التعليم و النشر ، قد ساعد على تفتيت الكثير من تلك الحواجز ، فلا يزال لذلك الأدب العامى سوقه الرائجة فى مختلف بلاد العرب . . و هو منافس خطير للأدب الاسلامى الذى نريده و الذى نراه أن أفضل مقـاوم لهذا الواغل هو العناية بتفصيح العامية ، و أعنى بها إقبال الأديب الاسلامى على

تتبع المفردات الفصيحة فی لغات العامة ، واستعمالها فی عرض مناسب خلال تعابیره ، دون أن یقیم وزنا لمقاییس البلاغیین الذین یرون ذلـك من معایب البیان العربی وبذلك نكسب المزید من القراء فی الوقت الذی نربح الرشیق الجمیل الذی كان محجوباً من لغتنا الحبیبة ، و یقترب أولو المواهب الشعبیة من لغتهم الأم ، حتی یأتی الیوم الذی یلجئون فیه إلی الأسلوب الفصیح فی الاعراب عن مشاعرهم ، بید أن هذا التدبیر سیظل مشلولا حتی یمسك المدرسون وأولو العلم عن هجرهم الفصحی خلال الدروس و فی سائر المواقف الأخری فیرفعوا بذلك أسلوبهم التعبیری ، و یرفعوا مستویات من حولهم من لا یجـدون مفراً عن محاكاتهم و التأثر بهم من الأهلین و الطلاب و الاخوان .

(٨) الطفل المسلم هو انسان الغد الذی سیتعهد البناء الاجتماعی بالاعلاء أو التدمیر ، وقد أهملناه طویلا فلم نسعفه بالتوجیه الاسلامی الحافـظ ، و لم نقدم إلیه من المنشورات ما یحبب إلیه القراءة ، والقراءة الاسلامیة بوجه خاص . . و من المؤسف القول بأن ما یقوم به بعض المجلات الاسلامیة من محاولات لسد هذه الثغرة قلما یراعی استعداده الفطری والبیئی ، و بذلك یظل عرضة للمؤثرات غیر الاسلامیة ، ولا سیما بعد تسلط التلفاز والفیدیو و الوسائل الاعلامیـة الأخری علی جو المنزل . . و هذا یقتضی من كتاب القصص الاسلامی بوجه خاص اعادة النظر فی هذا الجانب ، و بذل الوسع لایجاد البدیل الاسلامی الجذاب . . الذی یجب أن یأخذ سبیله إلی الطفل والبیت عن طریق هذه الأجهزة الحدیثة بأی ثمن . ولئن كان بعض هـــذه الأجهزة مغلق النوافذ و الأبواب بوجه الاسلامیین إن بعضها الآخر مفتوح و لله الحمد ، وقد بدأ یبذل رعایته لهذا النوع المنشود من الأدب الرفیع فی مسلسلات تعتبر من التجارب الناجحة فی هذا المیدان . فما علی القاص الاسلامی اذن إلا إبداع

الروائع لتأخذ طريقها إلى تلك الميادين ، محفوفـة برعاية المؤمنين من ذوى النفوذ الفعال فى تلك الأجهزة .

(٩) للقلم المسلم جولاته المشرقة فى كل جانب من عالم الاسلام ، فهناك القصة الجيدة ، و المقالة البارعـة ، والبحث النافع ، و المؤلف الفخم العميق .. و من الظلم لهذا الانتاج الكريم أن يحبس فى نطاق اللغة التى أنشئ فيها و من فضل الله أن كثيراً من هذه الكرائم قد أخذت سبيلها للترجمة إلى مختلف لغات المسلمين ، و كان لها الفضل الكثير فى توثيق عرى الأخوة بين أعضاء الجسم الاسـلامى ، وهذا ما يؤكد الحاجة إلى المزيد من هذا المجهود المحمود .

و طبيعى أن لذلك تكاليف تنوء بها كواهل الأفراد من الناشرين ، الذين لا مندوحة لهم عن إقامة أعمالهم على أساس الربح و الخسار ، و من هنا كان أثرهم فى إشاعة هذا الخير محدوداً فى نطاق قدراتهم الشخصية . و يمكن تدارك ذلك عن طريق الاستعانة باعانات المحسنين من ميسورى المسلمين ، الذين لمسنا آثارهم فى كل مكان ، وقه الحد . . وكثير منهم على أتم الاستعداد للاسهام فى نشر المؤلفات التى يتقرر نفعها للناس ، لو أتيح لهم من يقنعهم بأهمية هذا النوع من الاحسان . و إنى لأعرف رجالا يبذلون الآلاف المؤلفة فى بناء المساجد تقرباً إلى الله ، و لكنهم لم يقتنعوا بعد بفضيلة الاسهام فى نشر الثقافـة الاسلامية ، و لن يترددوا فى تقويم نظرتهم إلى هذا الجانب اذا قرؤوا فى الموضوع فتوى الثقات من العلماء .

(١٠) إن العناية بنشر العربية على المستوى العالمى واجب يسهم بحمله كل مسلم مستطيع ، وهو أكثر توكيداً بالنسبة للعالم الاسلامى . الذى يفتح ذراعيه لاحتضان لغة القرآن بلهفة المحب إلى لقاء حبيبه الأثير . . و قد رأينا دول الغرب الصليبى تبذل أكداس الملايين لاشاعة لغاتها فى كل مكان ، تثبيتاً لمصالحها السياسية والاقتصادية ،

و مما لا شك فيه أن مصلحة الدول العربيـــة باذاعة لغـــة القرآن فى الشعوب الاسلاميه ، غير الناطقة بالعربية ، أكثر و أعظم و أعمق ، و من فضل الله أن بعض هذه الحكومات قد تنبهت لهذه القضية الهامة ، فهى تبذل الكثير لنصرتها..

و لكن الذى نراه أن يرفع اقتراح إلى مجموع الدول العربية و عن طريق جامعتهم بتخصيص نصف بالمئة على الأقل من ميزانية كل منها لتمويل هـذا العمل الجليل ، بوساطة النادى الذى نرجو أن ينبثق عن هذه الندوة الموقرة . . و فى ذلك خير لا يقدر لأنه سيزيد عرى الأخوة الاســـلامية قوة ، و يقرب بين الأفكار ، و يسهل سبيل التفاهم بين أبناء الاسلام ، و يعيد للعربية مكانتها التى سبق أن احتلتها فى عالم الاسلام أيام ازدهار الحضارة الاسلاميـــة . . .

و حتى الآن نكاد نقتصر فى فقراتنا الآنفة على مجرد العرض النظرى ، و من حق الناظر فيها أن يسأل : و أخيرا ما السبيل إلى ترجمة هذه المقترحات إلى أعمال . . ؟

وهنا ننتهى إلى الغاية التى نعتقد أنها أهم الوسائل إلى تحقيق ذلك و أكثر منه بفضل الله .

فى نهاية البحث الذى ختمت به محاضرتى فى موضوع الأدب الاســـلامى قبل عشر سنوات قلت : (ان أقرب السبل لاخراج هذا الحلم إلى حيز الواقع تأليف لجنة تحضيرية تتولى الدعوة إلى مؤتمر للأدباء الاسلاميين يخطط لمستقبل الأدب ، الذى لا بد منه فى هذه الفترة الحرجة من حياة العالم الاسلامى)

و عن هذا المؤتمر ينبثق النادى الدائم باسم (نادى القلم الاسلامى) و إلى عضويته ينتسب كل مؤمن بأهدافـــه ، التى يجب أن تحدد فى دستور مستوحى من التصور الاسلامى المحض ، بحيث يصبح كل عضو منتسب ملتزماً باقامة أدبه على أساس من ذلك الدستور ، حتى اذا انحرف عن سبيله نزعت عنه عضويته ، ومفروض

فى هذا النادى أن يضم شمل أدباء الاسلام فى سائر أقطارهم ، و يجمعهم مؤتمرات دورية لدراسة ما جد وما ينبغى أن يجد من العمل ، و بديهى أن هذا يقتضى وجود مكتب دائم للنادى يظل فى انعقاد دورى ، ليعمل على متابعة مقرراته واستطلاع أراء أعضائه فى كل طارىء ، و يتولى تنسيق مجهوداتهم ، ليتمكنوا من أداء واجبهم فى توعية الشعوب الاسلامية توعية تبصرها بما يراد لها ، وما يجب عليها ، ويحصنها من السقوط فى حبائل الختالين من أصحاب الشمال واليمين ..)

وها نحن أولاء فى هذه الندوة المباركة نحقق الجانب الأول من هذه الأمانى .. و يبقى الجانب الآخر وهو تكوين (نادى القلم الاسلامى) ووضع دستور المحكم .. أما مقر هذا النادى فيقرره المؤتمرون ، و ان كنت من الموقنين ان مقره الطبعى هو الجامعة الاسلامية فى مدينة رسول الله (ﷺ) ، حيث وضع القدر أول لبنة فى بناء الأدب الاسلامى العظيم .

والحمد لله أولا وآخرا ، و صلى الله وسلم و بارك على قائد الفكر الاسلامى فى الطريق القويم محمد بن عبد الله و على آله وصحبه أجمعين .

موقف الاسلام من الشعر

بقلم : الدكتور عبد الله الحامد
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية (الرياض)

من أخطر القضايا الثقافية التى شغلت الباحثين فى القديم و الحديث موقف الاسلام من الأدب بعامة ، و الشعر بخاصة ، ما نظرة الاسلام إلى ذلك الفن ؟ أ نظر إليه باعتباره فناً جديراً بالوجود و الحياة ، و من الممكن تطويعه لقضايا الدعوة و الحياة ، أم اعتبره رفثاً وفسوقاً ينبغى أن يطرح و يترك .

لقد شاعت فى كتبنا الأدبية بعض المسلمات التى تحتاج إلى نقاش و تتطلب أكثر من وقفة للتأمل ، و كان من أهم هذه القضايا قضية الاسلام و الشعر ، فهل الدين عدو للفن ؟ و هل صحيح أن هناك خصومة لدوداً بين الدين و الشعر إذن؟

ذلك ما نجده ! عند بعض الباحثين بصورة صريحة أو مكنية ، فالشعر عند الأصمعى نكد يقوى فى الشر ، ويضعف فى الخير ، و الدين عند أبى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى بمعزل عن الشعر ، ولذلك فلا غرابة أن يضعف شعر حسان ابن ثابت بعد إسلامه لأن الدين بمعزل عن الشعر ، و لأن الشعر لا يقوى فى الخير ، فالشعر وحى الشياطين ، « قل هل أنبؤكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفاك أثيم » .

و لذلك فان الشعر يزرى بالفتى الفاضل النبيل كما قال الشافعى :

و لو لا الشعر بالشعراء يزرى   لكنت اليوم أشعر من لبيد

و لقد نزه الله نبيه عن قوله الشعر و عن روايته ، و عن إنشاده و قال تعالى : وما علمناه الشعر وما ينبغى له ، ولذلك فانه ﷺ يقول « لما نشأت بغض إلى الأوثان و بغض إلى الشعر » و هذا دليل - كما يريد هؤلاء الباحثون - على أن الشعر لا ينظر إليه الاسلام نظرة تقدير و تشجيع .

وقالوا : إن الاسلام ذم الشعر حين اعترض بالشعر فى مديحه للقرآن الكريم « و ما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون » و ذم الله الشعراء الذين يتيهون فى جوانب القول ، و يسلكون من لجاجه كل مذهب و يقولون ما لا يفعلون ، فوسمهم بالغواية و السفاهة ، و لذلك قال ﷺ « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعرا » .

و ما دام الله سبحانه و تعالى قد نزه نبيه عن مجرد إنشاد الشعر كما ينشده العرب ، فهذا دليل على مدى امتهان الاسلام للشعر ، و على شدة عداوة الاسلام للشعر .

ولذلك قال بروكلمان « إن النبى (ﷺ) شديد الكراهية للشعر و الشعراء »

و إذن فقد نظر الاسلام إلى الشعر كعادة من عادات الجاهلية ينبغى أن تحارب ، و لذلك فقد قويت فى نفوس المسلمين الأولين كراهية للشعر ، و امتنعوا عن روايته ، و كان الشعراء يلاقون فى صدر الاسلام الضرب و السجن و القتل أحياناً ، و كل ذلك معلوم ، وما دام الاسلام قد احتقر الشعر و هجنه ، و رفع الهراوة فى وجوه الشعراء ، فان الشعر لم يتأثر بالاسلام و استمر يدور فى الأطر والعادات الجاهلية ، لقد سكت الشعراء عن الشعر وقوله إن كانوا مسلمين كما سكت لبيد بن ربيعة ، و سويد بن عدى و غيرهما و أصبح الشعر ضئيلا ضاريا قليلا ، و لم يسترد الشعر عافيته إلا عندما انتهى عصر النبوة و الخلفاء الراشدين ، وعادت

الروح التى كانت تصب فى شرايينه . فعاد قوياً جزلا متيناً .

و يبدو لى أن أخطر قضية أدبية ثقافيـــة فى تاريخ الأدب العربى هى هذه القضية لما فيها من خلط يضيع فى بيدائه الدليل .

والذى يريد أن يبحث هذه المسألة مضطر للوقوف فى هذه المضائق ولانستطيع فى هذه العجالة أن نبسط القول و نطيله ، و قد وفيناه حقــــه فى كتاب « الشعر الاسلامى فى صدر الاسلام » إلا أن من المفيد أن نركز القول فى مسألتين : الأولى بيان موقف الاسلام من الشعر بصورة تتجاوز الآراء الشائعـــة ، و الثانية تحقيق توجيه وتحليل وتعليل للواقف و الآراء التى ساعدت على إشاعة تلك الآراء الخاطئة حول الاسلام و الشعر .

و نشير أولا إلى أنه ليست هناك خصومـــة بين الدين و الفن و كلاهما « انطلاق من عالم الضرورة ، و ثورة على آلية الحياة » و كل منهما « إنسانى عام لتفسير الحياة و تنظيمها » و إضاءة الطريق لأهلها .

« و لقد كانت الأساطير و الفنون القديمة إنما نسجت ملاحمها و مسرحياتها حول الدين ، كما نجد فى الأدب اليونانى القديم » .

لقد نظر الاسلام إلى الشعر كفن معبر لا يمكن الاستغناء عنه ، و كدعامة من دعائم الدعوة و الهداية ، و كلون من ألوان المتعة للقلب و الوجـــدان التى لا يستغنى عنها الانسان .

لم يكن الشعر رجساً ولا فسوقاً فى الاسلام بل كان « سحرا » كما قال الرسول المصطفى ، كما كان « حكما » لازما على من قيل فيه ، مديحاً أم هجاء ، إزاء هذه الحقيقة التى عرفت للشعر بأنه « يهدم لقوم أبنية منيفة ، و يبنى لآخرين بيوتاً شريفة » كما قال ابن الرومى .

أرى الشعر يحيى الناس والمجد بالذى تبقيـــــه أرواح له عطرات
وما المجد لولا الشعر إلا معاهـد و ما النـــاس إلا أعظم نخرات

أو كما قال أبو تمام :

و لو لا خلال سنها الشعر ما درى بغاة الندى من أين تؤتى المكارم
يرى حكمة ما فيه و هو فكاهـــة و يرضى بما يقضى به و هو ظالم

و لذلك فان الاسلام حدد موقفه من الشعر فى دائرتين .

الدائرة الأولى ، الالتزام بالمعنى العام بالاسلام من خلال التصور الاسلامى بأن لا يعارض الشاعر الاسلام ، و لا يخرج عن حـدود تصوره للبارى تبارك و تعالى و ما برأ من كون و حياة ، و إنسان و حيوان و طبيعة ، و ضمن هذه الدائرة الواسعة حرية كاملة للشاعر أن يقول ما يشاء ، أن يتيه فى أودية الخيال ، أن يشف و يرق فى خفايا النفس وكامن العواطف ، هذه مملكته له فيها أن يتخيل و أن يتمثل و أن يصف الشوق و لواعجه ، و الغربة و مطارحها ، و الطبيعة و مناظرها ، و الحياة و مرائيها ، و الكون و عجائبه ، له أن يبكى و أن يتألم ، و أن يفرح و يسر » .

بشرط أن لا يخرج عن حدود التصور الاسلامى ، فلا يلحد فى دين الله ، و لا يشكك الناس ، ولا يستورد فلسفة تصطدم بالمبادىء الاسلامية من صوفية سلبية ، أو وجودية ، أو شيوعية ، ولا أن يغنى للرذيلة ، وأدب الدعارة والفسوق .

فالاسلام ينظر إلى الشعر أنه غاية « لذاته » هدفها الامتاع ، أو بعبارة أخرى هو « غاية مشروطة » غاية أى أنه ليس غايته الأولى هى التعليم و التربية ، غايته الأولى هى الجمال و هذا الجمال مشروط بأن لا يخالف حدود التصور الاسلامى .

و الدائرة الثانية : الالتزام بالمعنى الخاص ، أو توظيف الشعر ، وقد يطيب

للذين يرون « الواقعية » فى الأدب الأوربى ودعوتها إلى توظيف الشعر أن يتصوروا مثل ذلك فى الاسلام ، أو أن يروا أن الاسلام دعا إلى توظيف الشعر وألزم ذلك كما تلزمه الآن الشيوعية التى تنظر إلى الشعر و كأنه الطعام و الشراب و المادة ، ينبغى أن تسخر و أن توظف .

و الحقيقة أن الشعر كلما اقترب من الخيال والعاطفة ، اقترب من اللاشعور و اللاوعى فصعب أن يقال فيه إن الشاعر قد حدد غايته منه قبل القول ، وهناك فرق بين المفكر و العالم اللذين يلتزم كل منهما بموقف داع قبل الكتابة و القول ، و بين الشاعر الذى تتسرب فى حناياه الأحاسيس والعواطف المرئية و غير المرئية تجرى فيه مجرى الدم فى الشريان و الوريد .

و ليس معنى عدم التزام الشاعر بمناقشة القضايا الاسلامية ، لأن غايته الجمال فقط ، أنه لايؤثر توجيهاً فى النفوس و لا خيراً لهم ، لا ، إن هدفه « إسعاد » الناس ، و هناك فرق بين أن نقول إن هدف الشعر إسعاد الناس ، أو أن نقول « نفعهم » فالنفع قد يكون قيمة مادية ، و موضوعية ، و الاسعاد قيمــة معنوية ذاتية ، الشعر غايته الجمال لكنه من خلال هذه الغاية توجيهى ، توجيه بصورة غير مباشرة ، بأسلوب غير مكشوف ، و بطريقة الايحاء ، قد يكون للنثر إيحاء نفسى لكن هذا الايحاء شعورى ، لكن الشعر له إيحاء لا شعورى ، فوصف جمال الطبيعة ، و وصف جمال الانسان بأسلوب لا رفث فيه ، إنما هو أسلوب خير موح ، إيحاء لا شعورياً بتعظيم الله ، وبجماله و جلاله .

لأنه التفكير فى مخلوقات الله من وسائل عبــادته ، و الحديث عن عظمة هذا الجبل إنما هو حديث عن عظمة خالقــه « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت »

إنه كلما ورد لفظ الجلالة ، أو مراسم من الأسماء الحسنى فى وصف الطبيعة ونحوها فذلك دعوة إلى عبادته و تعظيمه ، وكم يرد فى شعر هذا الوصف عبارات « تبارك الله » و « الله أكبر » و « خلق الله » فى حديث الشعراء و الكتاب عن ظواهر الكون و عظمته :

تأمل فى نبات الأرض و انظر		إلى آثار ما صنع « المليك »

إن كلمة المليك هى الالتزام بعينه لكنه ليس الالتزام الشعورى المقصود ، بل العفوى الايمانى .

وجملة القول أن الاسلام وضع مدلولين فى الشعر ، الأول ، إلزام للشعر بأن لا يخرج عن حدود الاسلام ، والثانى التزام اختيارى من الشاعر بأن يوظف شعره فى التربية والتوجيه ، والاسلام يجعل التزام الشاعر علامة على قوة الايمان لا على الايمان نفسه ، و لا يوجب هذا الالتزام بل يندب إليه ويدعو له إلا فى الظروف الحرجة التى يحلى فيها السلاح و تجند الكتائب ، و تعد العدة لأعداء الأمة بأنه يصبح دخول الشعر فى ميدان الكفاح واجباً إسلامياً .

و لذلك فان الاسلام دعا الشعراء فى بداية الدعوة الاسلامية إلى جهاد الشعر قال ﷺ « اهجوا قريشاً فانه أشد عليها من رشق النبل » وقال لحسان بن ثابت « إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله و رسوله » و قال أيضاً « أجب عنى » « اللهم أيده بروح القدس » وفى مسند الامام أحمد « اهجوا بالشعر إن المؤمن يجاهد بنفسه و ماله » و قد وضع النبى ﷺ لحسان منبراً فى المسجد ينشد عليه شعره ، تشجيعاً للشعر البانى .

و الآية الكريمة التى ظنها كثير من الباحثين إزدراء للشعر ، و ذما للشعراء إنما كانت ترسم حدود حرية الشاعر فى الاسلام بصورة فريدة ، فقد قرر الاسلام

أن من طبيعة الشعراء أن يكون خياله أكثر من واقعه، أو حسب ما يقول المصطلح النقدى القديم « أعذب الشعر أكذبه » ، و قرر أن الشاعر يلجأ إلى هذا الخيال فيزعم أشياء وقعت فعلا و هى لم تقع إنما هى كالاحلام فى ذهن النائم « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون و أنهم يقولون ما لا يفعلون »

و كان المسلمون الأولون يدرأون عن الشاعر الحد إذا نسب نفسه فى الشعر إلى ما يوجب حداً مستدلين بالآية « وأنهم يقولون ما لا يفعلون » فقد كان النعمان ابن عدى بن نضلة عاملا لعمر بن الخطاب على بلدة دست ميسان فقال :

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها بميسان يسقى فى زجاج و حنتم

إذا شئت غنتنى دهاقين قرية و رقاصة تجذو على كل ميسم

فان كنت ندمانى فبالأكبر اسقنى و لا تسقنى بالأصفر المتثلم

لعل أمير المؤمنين يسوءه تنادمنا بالجوسق المتهدم

الحنتم الجرة الخضراء ، تجذو تقوم على أطراف أصابعها ، الجوسق : القصر « فارسى معرب » .

فبلغ ذلك عمر فأرسل إليه بالقدوم ، و قال له لما قدم : إى و الله إنه ليسوءنى ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين: ما فعلت شيئاً مما قلت ، و إنما هى فضلة من القول ، فقال له عمر أما عذرك فقد درأ عنك الحد .

قال ابن كثير فى تفسيره « و لهذا اختلف العلماء رحمهم الله فيما إذا اعترف الشاعر فى شعر بما يوجب حداً ؟ هل يقام عليه الحد بهذا الاعتراف أم لا » .

و يفهم من النصوص و المواقف الاسلامية للنبى ﷺ و الخلفاء الراشدين أن الاسلام قسم الشعر إلى ثلاثة أنواع .

الشعر الملتزم بالاسلام ، دفاعاً عن الدعوة ، و ذياداً عن الدين و هذا

شعر أيده الاسلام و دعا إليه و أوجبه فى الفترات الملحة .

الشعر الملتزم بالاسلام ، فى حدود تصوره للبارىء و ما برأ ، وهذا الشعر كرمه الاسلام ، و أمر بتعلمه ، لأن فيه الحكمة و الموعظة و لذلك أرسل عمر إلى أبى موسى « مر من قبلك بتعلم الشعر ، فانه يدل على معالى الأخلاق ، و صواب الرأى ، و معرفة الانساب »

أما الشعر الذى يخالف التصور الاسلامى ، فقد نبذه الاسلام و حرمه ، كشعر المديح الكاذب ، و الهجاء الفاضح ، و الفخر الجاهلى ، و الشعر القبلى ، و الغزل الفاحش ، و الشعر الوثنى ، و الشعر الذى هاجم الدعوة الاسلامية .

و ما دامت نظرة الاسلام إلى فن الشعر بهذا النقاء و الصفاء و التسامح و الرحابة ، فلم تاهت الآراء فى هذه القضية ؟ و كيف شاعت الأحكام الخاطئة حول موقف الاسلام من الشعر ، و حول الشعر فى صدر الاسلام ؟ تحاول رؤية هذه الأسباب بشكل موجز مركز ، حيث لا يتسع المجال للتفصيل ، لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله .

قضية ضعف الشعر فى صدر الاسلام و ضعف شعر حسان هى أولا قضية مبالغ فيها ، فالشعر فى صدر الاسلام ضعيف ليس إلى الحد البعيد الذى يزعم كثير من الباحثين ، إن هذا الضعف نسبى أى بالمقارنة بين عصر صدر الاسلام والعصر الجاهلى أو العصر الأموى ، ثم إن أسباب ضعف الشعر الاسلامى ، لا تعود إلى أن الاسلام هجن الشعر و قبحه للناس ، و لو كان ذلك صحيحاً لما رأينا شعراء النبى ﷺ ورضى عنهم يقولون فيكثرون ، و لكن ضعف الشعر إنما سببه النقلة الواسعة من الجاهلية إلى الاسلام التى كانت تغييراً للحياة والعادات ، و المثل والقيم بشكل كامل ، العقيدة و السلوك ، النفس و المجتمع ، الأسرة و الدولة ، الثقافة

و الفكر و إزاء هذه المضامين التى جـــدت على الشعر فان الشعر أرتج عليه ، و لم يستطع استيعاب تلك المضامين الجديدة بنفس القوة التى استوعب بها المضامين الجاهليــة ، لأن تغير الآداب و الفنون كتغير الحضارات و الثقافات ، ليس فتحاً لمدينة ، و لا خطاً يرسم على خريطة .

لقد ربط الاسلام الأدب بالحياة و الشعر بالناس فأبطل الدوافع المشينة التى كانت روح الشعر و شريانه و وريده فى الجاهلية ، فحرم الخمر و ما تدعو إليــه من ضياع و شرود ، و كذلك الميسر و القمار و التشبيب بالنساء و الحديث عن الفواحش ، وحرم الدعوة بدعاء الجاهلية و النعرة القبلية ، و الهجاء و المدح اللذين كان الشعراء يستخــــدمونهما سلاحاً لنهب الناس ، حيث يكرمهم الناس خوفاً من هجاء أو رغبة فى مديح .

و لذلك فان الشعراء قد أغلقت عليهم أبواب اعتادوا السير فيها ، و فتحت لهم أبواب جديدة لم يألفوها ، و كان نضجهم الفنى فى الجاهليــة ، ففيها ولدوا ، و على مثلها و خيرهـا و شرها و شعرها نشأوا و شبوا ، و معـــلوم أن الشعر و الأدب لا بد لهما من مرانة و تدريب و معالجة ، و خبرة بدوربهما ، و ذلك لم يكن بالأمر الهين .

أما ابتعاد القرآن عن أسلوب الشعر ، و كون النبى ﷺ لا ينشد الشعر و لا يرويه ويقوله فليس ذلك لعيب فى الشعر ، بل لموقف خاص اقتضته طبيعـة الدعوة ، و طبيعة الداعية . لأن كون الرسول ﷺ يسلك مثل هذه المسالك مما يسئ إلى الدعوة ، فالحكمة من ذلك كما يبدو من قوله تعالى: « و ما ينبغى له » هى صيانة الوحى لكى لا يختلط على الناس بالشعر فيما لو رواه النبى ﷺ و قاله: ثم إن فى ذلك حكمة أخرى ، و هى ما عرف به الشعر فى الجاهلية عنـــد العرب بصلتــه الموهومــــــــــــة بالشياطين ، و استهتار كثير من الشعراء الجاهليين ،

و استخدامهم الشعر فی الفحش و البذاءة و التكسب ، كل ذلك جعل من المناسب للدعوة و الداعية الابتعاد عن هذا الأسلوب لما يحيط به من سوء السمعة ، ولذلك نجد قريشاً تحاول إلصاق تهمة الشعر بالقرآن الكريم و بالرسول المصطفى للغرض نفسه ، و هو التشويش على الدعوة « ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون » « أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون » .

إلى هذا الموقف تماماً ككون النبي ﷺ أمياً لا يقرأ و لا يكتب ، فتلك حكمة لكی لا يقال إنه قرأ كتب الأولين ، قال تعالى « و ما كنت تتلو من قبله من كتاب ، و لا تخطه بيمينك ، إذن لارتاب المبطلون » .

فكون الرسول ﷺ بهذه الكيفية مما يبعد عنه التخرصات ، و لا يتيح مجالا للعاندين أن يشوهوا حقيقة الدعوة فی أذهان العامة من الناس ، و لذلك بغض إليه الشعر كما بغضت الأوثان .

أما قوله ﷺ « لأن يمتلىء جوف أحـدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعراً » فان للحديث مناسبة و تكملة فأما المناسـبة فهی فی صحيح مسلم « عن أبی سعيد رضی الله عنه قال بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعرج إذ عرض شاعر ينشد فقال رسول الله ﷺ خذوا الشيطان » فمن سيـاق المناسبة يتضح أن الشاعر عارضهـم يهجو أو يقول شراً ، و لذلك ورد فی بعض الروايات عبارة « هجيت به » .

ولم يكن النبي ﷺ كارهاً للشعراء ، كيف و قد أجاز كعب بن زهير ، و وهبه بردته ، و وضع لحسان منبراً فی المسجد و كان دائماً كما تؤكد الأخبار و الآثار يدعو الشعراء إلى القول و يسدد خطاهم .

و أی تسامح أوضح من أن الاسلام قرر أن اعتراف الشاعر بما يوجب

حداً فى شعره لا يعتبر اعترافاً شرعياً ، لحل ذلك على الخيال !

حقاً إن الاسلام أدب بعض الشعراء الذين آذوا النـــاس كما فعل عمر بن الخطاب مع الحطيئة عند ما سجنه على شعر الهجاء . و سجن عثمان بن عفان ضـابىء ابن الحارث ، لأنه هجا قوماً فنسب أمهم إلى الزنا بكلب لهم ، ولذلك قال له رضى الله عنه « ويلك ما سمعت أحداً رمى امرأة من المسلمين بكلب غيرك ، وإنى لأراك لو كنت على عهد رسول الله ﷺ لأنزل الله فيك قرآناً » .

و هذا الموقف طبيعى وحضارى فى الاسلام لأن حرية الشاعر ليست مقدسة فتى أساء إلى الآخرين ، فلا كرامة له .

و كان الصحابة والمسلمون الأولون يروون الشعر و أخباره حتى الشعر الذى هجى به الاسلام و المسلمون وصل إلينا منه ما يدل على تقديرهم الشعر ، وتناشد الصحابة و التابعون شعر الغزل الذى يتحدث عن المرأة دون أن يقــدح ذلك فى دينهم ، و روى أن رجلا سأل ابن عباس و هو فى المسجــــد هل ينقض الشعر الوضوء فقال ابن عباس :

نبئت أن فتاة كنت أخطبها عرقوبها مثل شهر الصوم فى الطول

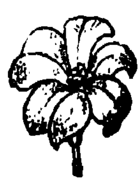
ثم أقام و صلى ، و روى نحو من هذا عن ابن سيرين و سعيد بن المسيب .

أما زعمهم أن الشعر لم يتأثر بالاسلام فهذا قول ينقصه التتبع للشعر والاحاطة بمصادره ، ومن أراد الوقوف على تأثر الشعر بالاسلام فليقرأ سيرة ابن هشام التى أرخ فيها المؤلف النيف وعشرين سنة من حياة الاسلام الأولى ، و فيها من الشعر ما يدحض ذلك الرأى ، و قــد سجلت كثيراً من الشعر المتأثر بالاسلام فى كتابى « شعر الدعوة الاسلاميـــة فى عهد الخلفاء الراشدين » الذى كتبته قبل عشر سنين فليرجع إليه من أراد الوقوف عليه .

أما سكوت بعض الشعراء عن الشعر، فهو حقيقة عند بعض الشعراء، أما لبيد فلم يترك الشعر، و الذين تركوا الشعر لم يتركوه لأنه شر و ضلال، بل لأنه وجدوا أنفسهم أمام معطيات جديدة و قيم حديثة، لم يستطيعوا تحويلها من أفكار إلى أشعار، لكبر و شيخوخة، و لتمام نضجهم فى الجاهلية و لانشغالهم بتعلم فروض الدين.

و الذين زعموا الشعر قليلا إنما قارنوا صدر الاسلام بالجاهلية مع أن صدر الاسلام لايزيد عن نصف قرن، فكيف نقارن مدته بالعصر الجاهلى الذى لا يقل ما عرف منه عن قرنين، لأنه لا تناسب بين العصرين، و من يحكم مقياساً يوازن به بين ماسبق صدر الاسلام و الشعر الذى قيل فيه يجده كثيراً وافراً.

أيها الاخوة الأكارم، لكيلا أطيل عليكم فتملوا أقف عند هذا الحد، شاكراً انصاتكم و استماعكم، راجياً أن يكون فى هـذه المذاكرة ما يفيد، و تحية لكم و السلام عليكم.



ملاحظات حول تعريف الأدب الاسلامى

الدكتور عبـد البـاسط بدر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة و السلام على خاتم المرسلين ، و على آله و صحبه أجمعين ، و بعد :

لعلها إحدى مظاهر الصحوة الاسلامية المباركة أن تدور فى خواطر عـدد من المسلمين ـ و هم فى أقطـار شتى ـ قضية واحدة ، و أن تتشابه خطواتهم فى بحثها دون أن يلتقوا .

و إنه لنعمة من الله أن يجتمعوا ـ بعد ذلك ـ لينظروا برؤية إسلامية إلى الأدب : ماضيه و حاضره ، و مستقبله ، إن شاء الله .

فالأدب الذى رفده الاسلام بقيم كثيرة يعانى فى عصرنا من عدوان شديد على كيانه ، و يوجه لخدمة أهداف و مصالح بعيدة عن الاسلام ، بل إنه يوجه أحياناً لمحاربة الاسلام نفسه .

و على الرغم من وجود تيار أدبى إسلامى طويل ، يمتد من ظهور الاسلام إلى يومنا هذا ، فان معظم الدراسات النقدية والتاريخية للأدب تهمل الرؤية الاسلامية كما أن عـدداً كبيراً من الدراسين يتردد فى قبول مصطلح « الأدب الاسلامى » أو ينظر إليه بمفهوم خاطئ .

و قد ساعد على استمرار هذه الحالة غياب نظرية الأدب الاسلامى و قلة الدراسات النقدية الاسلامية و كثرة المشككين و المشبهين ، و هؤلاء يثيرون مجموعة

من التساؤلات التى تحمل فى طياتها إجابات قائمة مثل : ما الأدب الاسلامى ؟ أهو مجموعة الخطب و المواعظ ؟ أهو ذلك الشعر الذى يصور حقائق الدين و يمجدها بتقديرية تقتل حيوية الأدب ؟ .

لذلك ، ولأسباب أخرى كثيرة ، أرى ضرورة بحث تعريف الأدب الاسلامى و تبيين مفهوماته و حدوده ، و تدوين ما هو معروف لدى الدارسين و الأدباء الاسلاميين و ليس معروفاً لدى غيرهم ، فأرى أن تعرض مفهوماتنـــا لمصطلح « الأدب الاسلامى » و نناقشها ، و نصل إلى مفهوم موحد ليكون لبنة فى نظرية الادب اسلامى .

« و قد تبين لى أن معظم دارسى الأدب الاسلامى يجمعون على تعريف وضع بنوده الشهيد سيد قطب ، وقننه أخوه محمد قطب ، فعنـــدما كتب المرحوم سيد قطب كتابه « النقد الأدبى » قـــدم تعريفاً للأدب يجمع عناصره الأساسية و يظهر دور كل واحـــد منهـا فقال : « هو التعبير عن تجربة شعورية فى صورة موحية » (١) و علل أجزاء هذا التعريف بقوله : فكلمة تعبير تصور لنا طبيعـة العمل و نوعه و تجربة شعورية تبين لنـا مادته و موضوعه ، و صورة موحيـــة تحدد لنا شرطه و غايته » (٢) ثم أشار إلى المكانة الخاصة للتجربة الشعورية فى نشأة العمل الأدبى و ارتباطها عند الأديب المسلم بالتصور الاسلامى و عد التجربة الشعورية العنصر الذى يدفع إلى التعبير .

و قد أعطت هذه الاشارة المقياس الذى يمكن أن نميز به بين أنواع مختلفة من آداب الأمم المختلفة ثقافة و عقيدة .

ذلك أن التجربة الشعورية ترتبط بالخبرة الشعورية أو « المخزون الثقافى » و هذا المخزون متأثر دائماً بتصور الأديب للعالم و الحقائق الكونيـــة و العلاقات

---

(١) و (٢) سيد قطب : النقد الأدبى ص ٧ .

الانسانية ، فالتجربة الشعورية عند الأديب المسلم مختلفة عن التجربة الشعورية عند الأديب غير المسلم ، ومصدر الاختلاف هو التصوير و مقداره بمقدار ارتباط كل أديب بعقيدته .

و من هنا بدأت أول محاولة لتعريف الأدب الاسلامى فى عبارات عذبة و بأسلوب يستفيد من التعريفات الحديثة للادب ، والدراسات النظرية المقدمة عن طبيعته وعناصره ، ثم جاءت الخطوة الثانية عند ما وضع محمد قطب اللبنات الأولى لنظرية الفن الاسلامى ، و الأدب لون من الفن ، و أورد تعريفه المشهور له بأنه « التعبير الجميل عن الكون و الحياة و الانسان من خلال تصور الاسلام لهـــذا الوجود » (١) ثم خصه بفصل مستقل قرر فيه أن هذا الأدب فى صورته المتكاملة شئ لم يوجد بالانتاج البشرى بعد » ولكن هذا لا ينفى وجود بواكير متفرقـــة تنبئ بأنه قد ولد بالفعل و بأنه فى طريقـــه إلى التكامل و النضوج (٢) و قدم نماذج منه « ومن الآداب التى تلتقى معه فى بعض مميزاتها ،

و قـــد خالفه بعض الدارسين ، و ذهب إلى أن الأدب الاسلامى موجود فى الأدب القديم و الحديث على حد سواء ، و أن نصوصه بحاجة إلى أقلام النقاد و الدارسين ، واهتمام الذين يصفون المناهج للمدارس و الجامعات ليظهروها ويحالوها و يقننوا من خلالها قيم الأدب الاسلامى ، لا سيما وأن العقود الأخيرة من القرن الهجرى الماضى قد شهدت إنتاجاً وافراً فى أجناس الأدب الاسلامى جميعها ولكنها لم تلق عناية النقاد و الدارسين .

و الملحوظ أن الدراسات التالية النقدية النظرية و التطبيقيـــة ، لهذا الأدب

---

(١) محمد قطب « منهج الفن الاسلامى » دار القلم القاهرة .

(٢) محمد قطب « منهج الفن الاسلامى » ص ٢٦٣ دار القلم .

أجمعت علی التعریف الذی وضعه « القطبان » فلا أجـــد فی کتابات أحـــد من الدارسین مایخرج عنه ، بل إن معظمهم لم یتعرض لتعریف الأدب الاسلامی و عد التعریف السابق مسلمة ینطلق منها فی بحثه :

و فی یقینی أن ذلك التعریف جدیر بأن نجمع علیه لأنه یحمل مفهومات صحیحة عن الأدب الاسلامی ترد شبهات المشبهین و تبین طبیعـــة الأدب الاسلامی و حدوده ؟ و عدداً من صفاته ، أعرضها فیما یلی :

أولا طبیعة الأدب الاسلامی :

فالتعریف یهتم أولا بالتجربة الشعوریة ثم یشترط التعبیر عنها بصور موحیة و بذلك یصلنا بتجربة الأدیب عبر وسائل فنیة محضة .

وکون « التجربة الشعوریة » أول مقومات هذا الأدب وأ کبرها یجعل الأدب الاسلامی ولید النفس ، و ولید هـــذا المزیج من الشعور و االلاشعور و ولیـد سقوط الأحداث و التصورات و المشاهــدات علیها و انعکاسها منها ، و النتیجة الأولی لهذه المعانی هی أن الأفکار و القواعد و القضایا التی تصدر عن العقل أو عن الوعی وحده لا تکفی لصیاغة نص من الأدب الاسلامی .

فالأدیب الذی یصف هجرة رسول الله وصفاً تقریریاً مباشراً لا ینتج أثراً أدبیاً ، مهما حشد من ألفاظ و عبارات ، و الشاعر الذی یعرض عظمة الاسلام و شمولیته و قدرته علی حل مشکلات الانسانیة عرضاً مباشراً لا ینتج قصیدة مهما کان عرضه مطابقاً لأوزان الخلیل .

إن الموضوع وحده لا یصنع أدباً أیا کان نوعـــه و قدسیته ، و لا بد أن نفرق بین الحکـمة و الموعظة و الدعوة إلی الله دعوة مباشرة و بین الأثر الذی

يولد فى محاضن التجربة الشعورية ويخرج عبر قوالب أدبية معروفة ، بل إن الاسلام ذاته و على عظمته و سعة موضوعاته لا يكفى وحده ، كما يقول محمد قطب (١) لانشاء فن إسلامى « فقد يستطيع مسلم صادق الايمان وهب القدرة على التعبير أن ينشئ أفكاراً إسلامية عن الله أو الكون أو الحياة و الانسان أو كلها جميعا .. و قد يستطيع أن يجرد من حياته و تجاربه الاسلامية صوراً فلسفية ومفاهيم عامة عن الاسلام ، هذا كله انتاج له وزنه و لا شيء فى عالم الفكر و عالم الفلسفة و عالم التجريد ، و لكنه إنتاج لا صلة له بالفن ، فالفن ليس فكرة و لا فلسفة و لا مفاهيم مجردة كالتى تعنى بها البحوث الفكرية فى شتى الميادين و إنما هو الانفعال الذاتى الخاص بالأشياء و الأشخاص و الحوادث ، الانفعال الذى تتلقاه كل نفس مفردة على طريقها الخاصة فى التلقى ، و تنفعل به فى أعماقها و تعانيه معاناة كاملة بكل جزئياته و تفصيلاته ، ثم تخرج من هذه المعاناة المشتبكة بوشائج النفس النافذة إلى حناياها و دروبها ، المختلطة برصيدها الخاص من المشاعر و التجارب و الاتجاهات و الميول ، تخرج منها بتجربة شعورية معينة أو بافراز معين يحمل السمات الذاتية لصاحبه ، و يجب أن ينقله إلى نفوس الآخرين فى صورة جميلة يتوافر لها التأثر و الامتاع » .

إن الركن الأول الذى نسأل الأديب المسلم عنه فى تقويم عمله الأدبى هو التجربة الشعورية ، فننظر مدى وجود الانفعال و حقيقته ، ثم ننتقل إلى شكل التعبير وأسلوبه إلى القالب الأدبى الذى حمل التجربة الشعورية ، قصة كان أومسرحية أو قصيدة .. إلخ ، وفق الشروط الفنية و الأعراف الأدبية ، و نتأكد من مدى تطويعه إياها و تألقه فى استخدامها حتى فى تجديدة فيها تجديداً مبدعاً ، و لا بد

(١) منهج الفن الاسلامى ٢٦٤ .

أن يستوفى القالب شروطه الفنيـة على أقل تقدير ، و بالقدر الذى تتوافر فيـه الشروط الفنية ، بالقدر الذى نحكم عليه جودة و رداءة ، و لا بد للناقد من أن يسأل الأديب عن قاموسـه اللغوى و عن صوره وعن أسلوب العرض و عن الايقاع . إن كان القالب شعراً ، و عن الحبكة والشخصيات إن كان مسرحيـة أو قصة ، و يقوم كلا من هذه العناصر وينظر فى الانسجام و التكامل بينها ، و فى التحامها بالمضمون ، ثم يحكم على النص فيدخله ساحة الأدب الاسلامى بتقدير معين أو يتركه خارج الأبواب .

إن النصوص الأدبية التى تشكو من عيوب الأسلوب الخطابى ، و النصوص التى تثقلهـا أسـاليب العرض التقريرية المبـاشرة و التى تحمل مضموناً إسلامياً ، وهى موجودة بوفرة فى أدبنا الاسلامى المعـاصر وللأسف ـ وهى النصوص معيبة بقدر ما فيها من هذه العيوب ، و مرفوضة تماماً إذا لم تنهض بها جماليات العمل الأدبى ، فالتقريرية و الخطابية و الأسلوبية .. تؤذى الأدب و تدل على خواء تجربة الأديب و تجعل آثاره حقلا خصباً للشعارات و الهتافات و هذه كلها تخنق الأدب .

و إذا كان المضللون يسمون الأدب الاسلامى بسمة بعض النصوص الضعيفة فنياً فان واجبنا أن نبين قضية المقاييس الفنيـة فى الأدب الاسلامى و واجبنا أن نصوغها قاعدة نقدية صريحة : إن الأدب الاسلامى أدب أولا وإسلامى ثانياً ، وإن النماذج القاصرة التى يخرجها « المتأدبون » لا تحسب على الأدب الاسلامى ، و إن مضمون النص فى عرف الأدب الاسلامى لا يشكل درعاً واقية مهما يبلـغ من القداسة ، و لا يعطيه عناصر الأدب الحيوية ، وإذا غابت القيم الفنية أو ضعفت فى النص الأدبى فانه مأخوذ بها ثانياً لا محالة .

ثانياً : حدود الأدب الاسلامى :

ما حدود الأدب الاسلامى ؟ وما المواضيع التى يكتب فيها الأديب الاسلامى ؟ إذا كان الأدب وليد التجربة الشعورية ، فان التجربة الشعورية لدى المسلم بلاحدود و من ثم آفاق الأدب الاسلامى بلا حدود ، إنها واسعة سعة التصور الاسلامى ، و شاملة شموله ، تتضمن الانسان و قضاياه جميعها فى مشكلاته و مواقفـه ، فى علاقته مع الانسان الآخر حباً و كرهاً و صداقة و عداء و ذكرا و أنثى ، و فى علاقته مع الفرد ، و فى علاقتـه مع المجتمع و فى عبوديته ، و فى تجبره ، و فى معاناته و فى استوائه . . و فى كل ما يمكن أن تفرزه الحياة البشرية من علاقات وانفعالات ، فللأدب الاسلامى أن يقف على معطيات الكفر كما له أن يقف على معطيات الايمان ، وله أن يعرض المجتمع المتفسخ كماله أن يعرض المجتمع الصحيح ، و له أن يتناول شك الانسان و حيرته ، و له أن يتناول إيمانه و يقينه ، و له أن يناقش قضايا الوجود الكبرى ، و له أن يعرض عنهـا ، و له أن يغوص فى أعماق النفس البشرية و يكون تعبيراً وجدانياً فردياً ، و له أن يبق على سطحها و يركب سلوكها ، و أن يتحدث عن القدر ويناقش من خلال الأدب و بأسلوب الأدب ، موقف الانسان منه و تصوراته له ، كماله أن يسوح مع الخيال الشارد إلى أبعد ما يمكن أن ينطلق إليه ، و له أن يستبطن الطبيعة و ينظر إلى من يتوحـد بها إلى أن ينفصل عنهـا أو يقف على سفوحها ، و له أن يقف على تسامى الانسان إلى الآفاق العلى ، و له أن يعرض لأوحال الجنس التى يتردى فيها التائهون .

وباختصار فان موضوعات الأدب الاسلامى لا تتحدد ، فهى فى كل باب و فى كل مجال ، و لا يقتصر الأدب الاسلامى ، كما يظن بعضهم خطأ ، على أدب مرحلة زمنه معينة ، و ثمة فرق واسع بين مصطلحى : أدب العصر الاسلامى ، و الأدب

الاسلامى ، فالأول يدل على الأدب الذى أنتجه الأدباء فى عصر محدد ، فيه أدب إسلامى كشعر حسان و بقية الصحابة رضوان الله عليهم ، و فيــه أدبى جاهلى كشعر الذين لم يسلموا و الذين حاربوا الدعوة الاسلاميــة بشعرهم ، و لا يقتصر أيضاً أدب الدعوة إلى الله فى أى عصر كان ، نعم إن الدعوة إلى الله قضية أساسية و يمكن أن تكون مادة للأدب إذا أحسن الأديب التعامل معها ، أى إذا كانت تشغله فى أعماقه وتحتل تجربته الشعورية ، فاذا توسل بها إلى الناس متجاوزاً كل المعوقات الأسلوبية و التقريرية و ما يمكن أن يسئ إلى قيمتــه الفنية ، إذا فعل الأديب المسلم ذلك أنتج لنا أدباً هو أدب الدعوة الاسلامية ، و هو فرع فى شجرة وارفة ، و ليس الشجرة كلها .

و الأديب الذى يصور لنا معاناة فرد ما أو غربته أو انفصامه عن مجتمعه و بحثه عن الحل . . يكتب أدباً إسلامياً ، و الأديب الذى يكتب مسرحية تصور هبوط فرد ما ، أو مجتمع ما ، و يعرض لنا شيئاً من عفنه ، يكتب أدباً إسلامياً ، و القصاص الذى يكتب لنا قصــة تتداخل فيها الاحساسات الفردية ، أو تنسكب على مخلوقات الله فى الطبيعة أو الكائنات ، يكتب أدباً إسلامياً . . هؤلاء و أمثالهم و حالات كثيرة أخرى تدور جميعها فى إطار الأدب الاسلامى بشرط واحد هو : ألا تجعل الهبوط أو العفن أو الضياع هو الانتصــار ، فلا يخرج المتلقى من قراءة النص الأدبى مخدوعاً بمغالطة تزين له الخروج عن الفطرة السليمة :

و هذا الشرط لا مناص منه ، لأن الأدب الاسلامى لا بد أن يصدر عن التصور الاسلامى ، تصور الفطرة السليمة ، ولايمكن لهذا التصور أن يسلم الانسان إلى العفن و الضياع ، و لا يمكن أن يخدعه و يجعل التحلل انتصاراً .

و لكن قد يكون الهبوط مرحلة ، و قد يكون حلا مغلوطاً أو انتصاراً

موهوباً فى اقتناع فرد من الأفراد ، ويمكن للأدب الاسلامى أن يصوره فى هذه الصورة ، أو فى أى من مراحله ، ولكن لا يمكن أن يجعله حلا نهائياً ، والأديب الذى يتوقف عند هذا الحد دون أن يوحى بالمرحلة الأخيرة ، ودون أن يترك للمتلق فرصة إلى الحكم الفطرى الصحيح ، الأديب الذى يفعل ذلك ، ويحاصر المتلق بحل مغلوط ، أديب مزور أيا كان اسمه و عقيدته .

هل هذه حدود و قيود ؟ و هل يصح أن يكون للأدب حدود ؟ و هل يجوز أن نقيد الأديب بالضوابط و بلائحة الممنوعات ؟ .

إن كان بعضهم يظن أن حماية الانسان من المزالق القاتلة قيود و حدود فلن يضير الأدب الاسلامى فى شئ .

أما الآداب التى تكتب عن العفن و الفساد لا لكى تنفر الانسان من مستنقعاتها القذرة و تدفعه إلى أن يرتفع إلى فوق و لكن تكتب عنه محببة مغرية داعية أكبر قدر من الناس لكى يخوضوا فى أوحالها إلى أعناقهم ، فهى كما يقول الدكتور عماد الدين خليل : إمعة تصدر عنها الكلمة مبتذلة رخيصة دونما إحساس غامر ، و دونما اعتزاز إنسانى ، فان هذا الذى يصدر إنما هو قطعة من وجدان الفنان وتأكيد لذلك ، نرى إننا إذا فحصنا المساحة التى يتيحها الاسلام للتعبير ضمن هذه الحدود والعلامات فنرى العجب العجاب ، إن القول و الكلمة و التعبير بلغت فى تجربة الاسلام التاريخية حداً مذهلا لم يبلغه فى يوم من الأيام مجتمع آخر سعى وراء عقيدة أو منهج لكى ينظم حياته بموجبه .

إن الساحة أمام الأديب الاسلامى واسعة أقصى ما تكون السعة . و إن موضوعات الأدب الاسلامى لا حدود لها ، و هذه المقولة ليست ابتداعاً ، بل هى

تطبیق لقاعدة من القواعد الکلیة الأساسیة فی الاسلام و هی : الأصل فی الأشیاء الاباحة و هذا یعنی أن الممنوعات محدودة و معینة .

لقد دأب الفقهاء المسلمون طوال القرون الماضیة علی تطبیق هذه القاعدة فی جوانب الحیاة جمیعها ، و الأدب ، أحد میادین الحیاة الکبیرة ، فکیف لا تکون منطبقة علیه ؟ و لماذا لا تعدها مقیاساً صحیحاً لحدود الأدب و موضوعاته .

فی یقینی أننا یجب أن نعلن عن ضرورة تطبیقها علی الأدب الاسلامی لنؤکد للآخرین أن حدوده أوسع مما یتصورون أو أن کل موضوع مباح ، إلا أن یدعو إلی ما یخالف الفطرة السویة أو یعتدی علی إنسانیة الانسان ، و له بل علیه أن یعتمد علی مع الأجناس الأدبیة والقوالب جمیعها القصة والمسرحیة والتمثیلیة والمقالة الرفیعة و المقالة الثمینة ترى هل تکون حمایة الانسان من مزالق الضیاع و العفن تضییقاً ؟ وهل یؤذی الأدیب أن نقول له : هذه مساحة الوجود الانسانی کلها فتحرك فیها ما تشاء ، إلا تلك الشعرة فانها تخرجك ـ و من البقاء ـ إلی الضیاع ؟
لا أظن ذلك :

ثالثاً : حیویة الأدب الاسلامی :

إذا کان الأدب الاسلامی یصدر عن تصور واحد هو التصور الاسلامی أفلا یکون مهدداً بالنمطیة و التکرار ؟ وعلی افتراض تعدد الموضوعات إلا تکون النماذج متشابهة فی بدایتها و نهایتها ؟ ألیس التصور الاسلامی یفرض طریقاً محدداً للعلاقات مع الوجود و الانسان والطبیعة ؟ ومن ثم فالأدباء علی مر الأجیال ـ و ربما فی الجیل الواحد ـ سوف یستنفذون هذا الأسلوب و یقفون فی النمطیة و التکرار ؟

هذه شبهة ترد علی الخاطر ، و فطنة عیب یلوح بها المشککون فی حقیقة الأدب الاسلامی و وجوده ، و ربما یساعدهم علی ذلك وجود النمطیة و التکرار

فی عدد من النصوص الأدبية ذات الموضوعات الاسلاميـــة و لا سيما موضوعات المناسبات .

بادیء بده نقول : إن الأدب الاسلامی غير مسئول عن الملكات الضعيفـــة و المواهب القاصرة ، فالضعف و القصور عيبان يشترك فيهما عــدد لا يحصى من المتأدبين فی كل زمان و مكان .

و لكن إن كانت طبيعة هذا الأدب تؤدی إلى المحدودية وتساعد على قصور الأديب و ضعف أدبه فی هـــذه الحـالة يكون الأدب متهما ، فهل يؤدی التصور الاسلامی ، و من ثم الأدب الاسلامی الذی يصدر عنه إلى النمطية و التكرار ؟

إذا كنا قد سلمنا بأن الأدب الاسلامی يعتمد على التجربة الشعورية ويصدر عنها ، و سلمنا أيضاً بأن التصور الذی تصد عنه تجربتـــه واسع و شامل فلا يمكن أن نتهم طبيعة الأدب الاسلامی بأنه يؤدی إلى النمطية و التكرار .

إن أدباً موضوعاته كل شئ فی الانسان والوجود و تصوراته تشمل الانسان نفسه و كونه و الطبيعة التی وجد عليها لن يدفع الأديب على النمطيـة أو التكرار فاذا وقع التكرار فالعيب فی الأديب و ليس فی الأدب ،

ثم إن المشاعر الانسانية ، و هی المصدر الأول للادب الاسلامی لا يمكن أن تتماثل فی الأفراد أبداً ، و هناك على الدوام فروق بين مشاعر فرد وآخر ، وقد أكد الدارسون فی ميادين النفس البشرية أنه لايوجد على ظهر الأرض اثنان تتماثل مشاعرهما ، وأن كل إنسان نسخة فريدة ، وهذه من عظمة خلق الله قد تتقارب و لكنها لا تتطابق ، و بذلك يبقى المجال مفتوحاً للجـديد دائماً ، و نلحظ تطبيقاً لهذه المقولة فی الأدب و لنأخذ مثالا عليه توارد الشعراء منذ أول قصيدة جاهليـة وصلت إلينا ، و حتى يومنا هذا على الغزل ، و قد تشابهت قصائد كثيرين منهم

و لكن الباب لم يغلق أبداً و ما زال يتسع للجديد .

فاذا كان الموضوع الواحد يتسع مئات الشعراء ، و يكون إبداع كل منهم مختلفاً فى جانب من الجوانب عن إبداع الآخر ، فكيف الأمر فى أدب يتسع لموضوعات لا تحصى ؟ و كيف إذا كان كل جيل يحمل من قضاياه و مشاعره و طبيعة انفعالاته ما يختلف عن الجيل الآخر .

لذلك نقول بثقة تامة : لا خوف البتة على الأدب الاسلامى أن يقع فى النمطية و التكرار إذا وجد فيه أدباء مبدعون ، أما الأدبا الضعفاء و القاصرون فلا ذنب للأدب الاسلامى فى ضعفهم و تقصيرهم .

رابعاً : طبيعة الالتزام فى الأدب الاسلامى .

هل الأدب الاسلامى أدب التزام ؟ و هل الأديب الاسلامى أديب ملتزم و هل يلزمه الاسلام كما تلتزم المعتقدات الأخرى أدباءها .

يتوقف الجواب على هذه الأسئلة إيجاباً أو سلباً على مفهوم الالتزام ، فالمفهوم الذى جاء به الماركسيون و سارتر - المنشق عن الماركسية - لا يصلح للأدب الاسلامى ، فاذا جعلناه مقياساً فان الجواب سيلى .

أما إذا بحثنا عن مفهوم للالتزام فى طبيعة الاسلام و واقعه ، فسوف نجد المفهوم الذى يجعل الأديب الاسلامى ملتزماً ،

إن الأديب الماركسى ملتزم بقضية الصراع الطبقى لا محالة ، وبالتبشير بانتصار طبقة محددة و بالدعوة إلى المجتمع الشيوعى المرتقب ، فالقضية التى يلتزم بها ضيقة ومحدودة ، ومهما تنوعت أساليب التعبير عنها فانها ستنتهى إلى طريق مسدود ، ثم إن الالتزام الماركسى إلزام فى حقيقته ، أيا كانت الادعاءات بحرية الأديب ، و كذلك الأدب الوجودى لأن الأديب ملزم بقضية الحرية حسب المفهوم الوجودى ، وهذا

التزام أوسع من الالتزام الماركسى و لكنه محدود أيضاً .

و أما الالتزام الذى نستنبطه من طبيعة الاسلام و واقعه فمختلف جداً لأنه لا يفرض على الأديب أن يتحدث عن موضوع ما أو أن يفتعل تجربة ما أو أن يتبنى قضية محددة ، بل يخلى له الساحة انطلاقاً من سعة التصور الاسلامى و شموله ليختار موضوعاته و قضاياه ، و يفهم أن حدود تجربته و تعبيره هى بحدود الكون و أقطاره و البشرية و مشاعرها ، فهذه حدود الاسلام ، و له أن يتبنى القضية التى يريدها على ألا يصادم الفطرة السوية ، وله أن يشط فى الخيال و يغرب فى الأسلوب على ألا يعتدى على العقيدة .

فالأديب المسلم ملتزم بحدود العقيدة ويصح أن نسميه التزام الدفاع ، والتزامه لغوى و تابع من التزامه بالعقيدة الاسلامية .

و العقيدة الاسلامية لا تفرض عليه قضية محددة ، ولا موضوعاً بعينه ، نعم إنها قد تدعوه إلى معالجة بعض القضايا بحسب المتغيرات التى يمر بها جيله و بحسب الظروف التى تحيط بيئته و عقيدته ، فقــــد يتوخى جيل ما أو بيئة من البيئات لأخطار داهمة ، و يدعى المسلمون إلى التعبئة العامة . . عندها سيدعى الأديب كما يدعى المسلم العادى ، ومن استطاع أن يقف موقف حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة و كعب بن زهير فسوف تتردد فى أذنيه أصداء دعوة رسول الله ﷺ : « وروح القدس معك » و من لم يستطع أو لم يجد الرغبة فى نفسه فلا تجن ولا قضبان .

إن التزام الأديب المسلم بقضية أو موضوع ما تابع لالتزامه بعقيدته ، و لما ترتبه هذه العقيدة من أولويات ، و هو فى وضعــه العام حر أن يأخذ بها أو لا يأخذ إلا فى حالات الخطر الشديد على العقيدة والنفير العام ـ فالمسلمون فى التزامهم بين سابق إلى الخيرات و قاسط و مقصر ، و من سبق فله الأجر ، و الأجر

من الله عز و جل ، و ليس من الحاكم و لا من الجمهور ، و من اقتصد فله على قدر ما اقتصد ، و من قصر فأمره إلى الله المعاقب المثيب ، و الأدباء المسلمون يقاسون فى التزامهم بهذا المقياس ، ما لم يسلكوا مسلكاً يؤذى العقيدة والمسلمين .

و الدليل على أن هذا هو نوع الالتزام و طبيعته فى سيرة رسول الله ﷺ و فى توجيهه لشعراء الدعوة الاسلامية من الصحابة رضوان الله عليهم فما شهد التاريخ أنه ﷺ طلب من شاعر أن يقصر شعره على قضية الاسلام ، حتى فى ظروف الدعوة العصيبة ، والحاجة ماسة إلى مواجهة المشركين بسلاح الشعر الذى شهروه ، لم يحمل الشعراء على توجيه شعرهم نحو هذه القضية ، بله أن يقصروا عليها ، وعند ما جاء عبد الله بن رواحة و كعب بن زهير توقع ألا يكون شعرهما كفأ لشعر المعتدين فلم يكلفهما أن يلزما قريحتهما بالرد على عدوان يؤذى المسلمين فى أعراضهم ، و انتظر حتى تقدم حسان متطوعاً يشحذ قريحته ويتنزى لما يراه من أذى المشركين فوجهه ـ و لم يلزمه ـ و دعا له .

و النقطة المهمة التى يجب أن ننتبه إليها هى أنه ﷺ لم يطلب منه أن يتخلى عن الموضوعات الشعرية الأخرى ، ولم يطلب منه أن يقصر شعره على الرد على المشركين و سمع منه القصائد التى فيها الغزل و سمع منـــه القصائد التى فيها فخره بنفسه و من حوله ، و تبسم له .

من هذا التوجيه النبوى العظيم نحدد طبيعـــة التزام الأديب المسلم ، و بهذا المفهوم نوضح معنى الالتزام فى الأدب الاسلامى ، و نؤكـــد أنه التزام لغوى من التزام الأديب بالاسلام ، و مرتبط بشعوره و إحساساته المنفعلة بقضايا الاسلام أما إذا لم يكن يحس فى نفسه هذه القضايا فلا نريده أن يعالجها ، لسبب جوهرى هو أن الاسلام يسمى عمله فى هذه الحالة « نفاقاً » والنفاق فى تصنيفه أشد ضرر

من الكفر ، و المنافقون يبغضهم الله و رسوله و المؤمنون ، ولا نفع من أديب يكتب قصيدته أوقصته بتوجيه رسمي من لجنة الاعلام ، ولا قيمة لأدب يحدد الحا قضاياه و اتجاهاته ، و لا مكانة لأدب يتزلف به الأديب نفاقاً .

إن الأدب الاسلامى ، وفق التعريف الذى يأخذ به الدارسون الاسلاميون ملتزم بالتعبير عن التجربة الشعورية ، و التجربة الشعورية عملية فردية تتولد فى أعماق الأديب و لا يطلع عليها إلا الله ثم صاحبها ، فان كانت هذه التجربة مفهومة فى الاسلام و مهمة بقضاياه فان صاحبها أديب ملتزم بطبيعة ، و إن نتاجه ملتزم بشكل عفوى بحدود الاسلام .

و بهذا المفهوم يقف الأديب المسلم بالتزامه هـذا فى الجهة المضادة للأديب الماركسى ، فالساحة التى يجول فيها واسعة جداً ، بينما يلتزم الماركسى بأن يؤكد على كل ما هو حسى ومادى وثقيل ، يلتزم بالمطرقة الحديدية و المنجل الفولاذى والأيدى ذات العضل الفخم المفتول ، و قد ثبت أن هـــذا الالتزام لن يستطيع أبداً أن يخلق الوجدان الثورى فى نفس الانسان ، و لن يقـدر على أن يبعث التمرد على الظلم و التفاوت الطبقى ، إن ما يقدمه أدب من هذا النوع هو كما يقول عماد الدين خليل « الحس الكئيب الثقيل المشدود إلى الارض والشعور العميق بالقهر المادى المسلط على الانسان ، و بالحتمية التى تحكمه من خارج و تسد منافذه الباطنيـة و الخارجيـــة إلى الحرية ، و إلى تجاوز الطعام و الشراب صوب عالم القيم و المعتقدات و الانفتاح على مساحات الكون الواسعة بلا حدود . . و من أجل هذا شهد تاريخ روسيا الحديث حوادث انتحار و هروب عديدة (١) .

(١) فى النقد الأدب الاسلامى المعاصر ٢١٢

الخصائص الايمانية

للأدب الاسلامى

فى الدعوة الاسلامية

الأستاذ عدنان على رضا النحوى

يظل الأدب فى جميع صوره ظاهرة حية فى تاريخ الانسان كله، منذ أقدم العصور و حتى يومنا هذا، ممتداً إلى مستقبل بعيد بعيد . . . ! و الأدب، شعرا أو نثراً، يرتبط بالانسان نفسه، يرتبط بالمجتمع، يرتبط بالأمة، يرتبط بالانسانية كلها، فهو يصف شعور الانسان، يصف أمانيه ورغباته، يصف فرحه و حزنه، آلامه . . . رضاه . . . . ، يصف فكرته و عقيدته . . إيمانه و ظنه، ثم هو يعيش مع بيئته، أرضاً و أنهاراً و ثماراً، سماء و نسيماً وأمطاراً، ثم هو ينمو مع نمو الانسان والجماعة حتى يصور الأمة كلها، ويطوف فى أجواء الانسانية . . . !

و لا يقف الأدب عند حدود الوصف و التحليل، و لكنه يصبح وسيلة و أداة، و سبباً و قوة، ينضم إلى سائر الوسائل و القوى، لتتحصن به الأمة، و تدفع به و تدافع، و تجاهد و تنافح . . ! حتى يصبح هو نفسه وعاء القوى كلها، يمزجها و يصهرها، ووعاء الأحاسيس كلها، يضمها و يصوغها.

ولا يستطيع الأدب أن يبلغ هذه المنزلة العظيمة حين تحصره أوهام البشر، و تخنقه أهواء النفوس، و تهبط به الشهوة و الرغبة، و تلوثه المصلحة و الآثام، و تمزقه المظالم و العدوان، إنه ينهض إلى مستواه الحق، ويعلو إلى مهمته الكبيرة حين تحمله العقيدة الطاهرة، و يصوغه الايمان الصافى، و يغذيه اليقين الثابت،

و كل عقيدة تعطى الأدب قوة و تضيف إليه عزة ، و لكن الاسلام هى العقيدة الوحيدة التى تدفع الأدب إلىمنزلته الحقة الأمينة ، وترفعه إلى علو مستمكن صاعد ، إنه الاسلام وحده الذى يفتح للأدب كل الميادين النظيفة ، و يطوف به فى كل المجالات الطاهرة ، ليكون خيراً و بركة للانسان كله ، للعالم كله ، للبشرية كلها ، ليمتد مع العصور كلها و الأجيال كلها امتداد حياة و نمو ، و عزة ورقى ، ليمتد قوة ، و تاريخاً ، و حضارة ، . . . . ! فان قصر عن ذلك فهو جهد الانسان الذى يقصر . . . . !

إنه الاسلام وحده الذى يعيد صياغة الموهبة و القدرة ، و يشق لها المنافذ ، و يفتح لها الآفاق ، حتى تصبح نوراً و ضياء ، و بركة و خيراً ، إنه الاســلام الثابت فى الفطرة ، النامى معها ، إنه الاسلام الذى يصنع التاريخ و حضارة الخير : شجرة طيبة مباركة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها . .» إنه الكلمة الطيبة . . . !

كان حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجى من أعرق بيوت الأنصار ، من بنى النجار أخوال والد رسول الله ﷺ ، و أمه و أبوه كانا خزرجيين .

كان شاعراً . . . ! وكان فى الجاهلية يفرغ موهبته كلها بمدح ملوك الغساسنة لينال الأعطيات ، و بالاشادة بانتصارات الخزرج ، و بالرد على شعراء الأوس ، يهاجيهم وينتصر لقومه ، ينتصر لجاهليته ، فيغذى بشعره وبموهبته الأحقاد ويمزق الوشائج . و قد والى كل من الأوس و الخزرج فريقاً من اليهود فى المدينــة ، كان اليهود يغذون الفتنة بين الأوس والخزرج مستفيدين من العلاقة التى أقامها هذا الفريق أو ذاك مع هذه القبيلة أو تلك من العرب ، و قد ظهر أمر دسهم فى سماهم العرب ، بـ « الثعالب »

و لكن ما قيمة هذه التسمية و ما فائدة كشف دسائس اليهود ، ما دامت الجاهلية بأعرافها و قواها تغذى هى الفتنة بين القوم الواحد ، و تسهل على اليهود سبيل الكيد و الدسيسة ، ما دام الأدب و الشعر العربى يتحول إلى أداة تمزيق و نصل تقطيع فى القوم الواحد . . . !

فحسان بن ثابت هو القائل فى قصيدته يفخر بقبيلته .

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى و أسيافنا يقطرن من نجدة

و يمضى الشعر الجاهلى على هذا النحو من الفخر ، أو المهاجاة ، لا تحكمه إلا أعراف الجاهلية تتخللها سمات الكرم ، و الشهامة و النجدة ، مغروسة فى الطباع ولكنها منحرفة مع فطرة انحرفت عن دين الله .

و هنا تبرز عظمة الاسلام ، حين استطاع أن يصهر هذه القوى الاجتماعية و يعيد صياغتها و يقوم فطرتها على دين الله و رسالة السماء ، فاذا حسان رضى الله عنه ، هو نفسه ، بكل طاقته و مواهبه ، ينبذ التفاخر و التهاجى على أسس الجاهلية ، و يضع نفسه فى خدمة دين الله ، و نصرة دعوة الله ، يمدح الاسلام عقيدة و ديناً ، و محمداً ﷺ نبياً و رسولا ، و المؤمنين أمة و دعوة ، ويخبت لله رب العالمين ، يهجو المشركين على شركهم وكفرهم ، لا يربطه بالناس إلا رابطة الايمان و أخوة الاسلام ، فاذا شعر حسان يجمع الأوس و الخزرج ، و يضم القلوب ، ويمسح الجراح . . ! فهو القائل :

[نصرنا و آوينا النبى و امنت أوائلنا بالحق أول قائل]

و هو القائل : فان أبى ووالده وعرضى لعرض محمد منكم فداء

وهكذا مضى شأن سائر الشعراء المخضرمين ، نقلهم الايمان نقلة عظيمة واسعة ، و رفعهم و أعزهم الله . . كذا كان شأن لبيد بن ربيعة ، و كعب بن زهير ،

الخنساء ، ومالك بن الريب التميمى ، والحصين بن الحمام المرى الذبيانى ، والنابغة لجعدى و غيرهم . . . !

و انطلق شعر الايمان ، شعر العقيدة ، على أسس واضحة نقية ، لا تشوبه بوائب الجاهلية ، يواكب الدعوة الاسلامية ، قوة من قواها ، وسيفاً من سيوفها ، اكب الأدب الاسلامى كله ، و القرآن يتنزل ليضع أسمى و أعظم صورة للادب ، تاريخ البشرية كلها ، و أحاديث الرسول ﷺ ترسم للادب خطه و نهجه على ان عجز عنه لفحول العرب ، و أرباب البيان .

وكانت هذه النقلة الكبيرة شاملة لكل مظاهر الحياة ، نقلة واسعة فى الفكر ، الاجتماع ، و السياسة و الاقتصاد ، و النفس ، والكون الممتد الواسع ، يحوط الك كله أعظم صورة ، و أرفع شكل عرفه الانسان للادب فى تاريخه كله ، . يعرفه فى مستقبله ، إنه القرآن الكريم و الوحى المنزل .

و كان للصحابة ، كلهم دور عظيم فى دفع الأدب الاسلامى و هم صوغون للامة خطابة و فتاوى ، و أحكاماً فى حياة الرسول ﷺ و بعد وفاة سول الله ﷺ و بعد أن توقف الوحى الكريم ، فأبو بكر و عمر و عثمان . على رضى الله عنهم أجمعين دفعت بهم المنابر آيات البيان ، و علو الفصاحة ، حكما و إدارة و سياسة ، و اطلق الشعر الاسلامى و الأدب الاسلامى فى شتى لميادين يدعو ويبنى و يوجه ، فى المسجد ، فى ميادين القتال . . ! فى كل ميدان ، قد فوت الاسلام بهذه الصياغة الجديدة على اليهود وعلى فارس و على روما مجال لاستفادة من أى قوى من قوى هذه الأمة المؤمنة ، بعد أن كانت قبل ذلك شتاتاً تعبث بها هذه القوى ، تعبث بها أدباً فتجعله فى خدمتها ، و تعبث بها اقتصاداً ستثمره ، و تعبث بها سياسة تذل بها . . . !

و لقد خاض الاسلام شتى الميادين فى جهاده الوضيء و جولاته المظفرة ،

فى آن واحد تقريباً أو على مراحل متلاحقة ، خاض المعركة الاقتصادية حتى جرد اليهود من سلاحهم المدمر من سيطرة نافذة، و ربا قتال ، فقالت اليهود: يد الله مغلولة غلت أيديهم و لعنوا بما قالوا . . . » و خاض المعركة العسكرية حتى حطم القلاع و الآطام ، و زلزل القواعد و الحصون ، و خاض المعركة السياسية فى نهج ربانى ، و الأدب الايمانى يدفع ذلك كله و يحوطه بالجوهر الكريم ، و السحر الحلال ، « إن من البيان لسحراً » .

هذا الأدب الاسلامى الذى لعب هذا الدور العظيم فى معركة الايمان ، هو الأدب الذى نحتاجه اليوم والاسلام يخوض أقسى معاركه ، ويمر فى أحلك ظروف . . !

و الأدب الاسلامى الذى جال تلك الجولات لم يكن أدباً عادياً يقتصر على جمال الكلمة ، وحلاوة اللفظة ، لقد كان له من الخصائص و السمات ما يجعله أهلا لذلك الدور ، قوياً بتلك المهمة ، متناسقاً مع ســائر العزائم ، متكاملا مع غيره من الجولات ، و نحن اليوم بحاجة إلى معرفة هذه الخصائص ، وتتبع تلك السمات ، لينطلق الأدب الاسلامى انطلاقتـــه المباركة ، و ينهض نهضته المظفرة ، و يحول جولاته الأمينة . . . !

وأول هذه الخصائص إنه أدب العقيدة ، أدب الايمان . ينطلق من عقيدة ، و يصدر عن إيمان ، عقيدة تحكم الفرد و الأمة ، وإيمان يضبط الشعور والكلمة ، إنك تحس مع أدب العقيدة بالخفقة الصادقـة ، و تلمس اليقين الثابت ، و ترى الجمال الطاهر ، و تشم العبق الزكى ، إن العقيدة و الايمـان يهب الأدب لوناً بهياً نقياً ، و حساً ندياً ، و تشعر به كأنه يصدر عن قرآن و سنة ، و ينطلق عن وعى و إدراك ، و يلتزم فى صراط مستقيم ، إنه لا يتفلت فى متاهات الجاهلية ، و لا يهبط إلى وحل الأهواء ، أينما اتجه و حيثما سار فالايمـان خطه و نهجه ،

و وعاؤه و زينته ، و هو يصف ، و هو يهجو ، و هو يمدح . و هو ينظر فى الأرض أو السماء ، مع الناس ، مع الأشجار و الثمار ، إنه يرى فى الزهرة أية ، و فى الجمال سكناً ، و فى القربى رحماً ، و فى الأرض دار الايمـــان ، و منزل الخير و الاحسان ، إنه فى القصة ، أنه فى الفكر ، . . . !

والسمة الثانية أنه يعيش الواقع و الحقيقة كما يراها من خلال إيمان وعقيدة ، أنه يعيش الأحداث باحزانها و افراحها ، بالآلامها وعافيتها ، بعسرها و يسرها ، لا يغيب فى ظلمات الوهم ، و حمى الأمانى ، و ضلالة الأهواء .

إنه يرى الواقع من خلال المنهاج الربانى ، لا من خلال رغباته و مصالحه ، أو أحلامه و مطامعه .

أنه يرى وطنه و أرضه و داره حمى لعقيدة ، حمى متصلا بحمى ، و أرضاً متصلة بأرض ، و داراً متصلة بدار ، و قد بسط الله له الأرض كلها ، ميـــداناً لأمانة ، وساحة لاستخلاف ، لا تقعد به قومية جاهلية ، ولا تخنقه إقليمية قاتلة .

إنه يرى السلم و الحرب عهد عقيدة ، و ميثاق خالق ، و قضية دعوة .

إنه يرى السياسة و الاقتصاد و الاجتماع عناوين لميادين تترابط و تتداخل ، تتناسق و تتماسك ، تمتد و تتسع ، مفتحــة كلها لموهبة قادرة ، و وسع عامل ، و عزيمة مؤمنة .

أنه يعيش مع الواقع وبعيش مع نفسه ، مع أمته ، ليعرف نفسه ، و وسعه ، و قدرته ، و ليعرف الناس و منازلهم ، و المواهب و حـــدودها ، فلا طغيان و لا عدوان .

و السمة الثالثة : أنه أدب عالم ، لا ينطلق من جهل ، ولا يسير فى ظلمات إنه يعرف العلم الذى عليه أن يبدأ به و يمضى معه ، صحبة عمر ، و رفقة حياة ،

إنه أدب يعرف أن العلم هو منهاج الله أولا قرآناً و سنة ، إنه منهاج حق وقول فصل لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، و كل علم دون هذا العلم قد يمتد إلى فساد ، و ينتشر إلى فتنـــة و لكن العلم الذى يبنيه من خلال الجهد البشرى المؤمن هو بركة و نعمة من الله إذا قامت على العلم بمنهاج الله .

وهذا العلم بمنهاج الله لا يؤخذ بعزيمة مترددية ، وهمة هابطة ، ولكن يؤخذ عبادة و طاعة ، و أمانة و مسئولية ، على قدر ما وهبه الله من وسع و طاقة ، لا يقتلها الكل و التراخي ، و لا تخفيها الاعذار و الوهن .

إنه يرى أن هذا العلم لا يؤخذ كلمة من هنا ، و آية من هناك ، و حديثاً من جلسة ، و تعبيراً من صحيفة ، ليقف عند ذلك . . . !

و لكنه يأخذ عليه هذا أخذاً منهجياً ، يحمل الخطة و الأسلوب ، و الغاية و الهـــدف .

أنه يرى أنها مسؤلية الفرد المؤمن أولا دون أن ينقص ذلك من مسؤليـــة الجماعة و الأمة ، و السلطان ، و العلماء . . . !

هكذا كان الأدب الذى نماه الاسلام و غذاه رسول الله ﷺ و هو يضع لحسان بن ثابت رضى الله عنه منبراً فى المسجد يشدو بشعره وهو يقول له : اهجهم أو هاجهم و جبريل معك فى المسجد . . . و هو جامعة العلم ، و ندوة الاسلام و مدرسة النبوة ، و يمتد العلم كذلك إلى الواقع أنه يدرس الواقع و يتعلبه ، أنه لا يعيش الواقع حياة شكوى و أنين ، و حسرة و زفرة ، أنه يعرض الأنة فى صورة أدبية إيمانية ، تحرك النفس و تعدها لتستقبل الحل والخطة و النهج .

إنه أدب عالم يعلم منهاج الله قدر وسعه و طاقته ، و من الواقع قدر وسعه

و طاقته ، ومن هذا العلم المبارك يصوغ نفسه ، ويرسم نهجه ، و تبرز خصائصه ، و تبين سماته .

و السمة الرابعة : أنه أدب جيل ممتد فى دعوة ممتدة وأمة ممتدة ، إنه أدب جيل رباه القرآن و أدبته السنة ، و دفعه الايمان ، إنه ليس أدب فرد معزول ، أو عصر مجهول ، أو مكان محصور .

إن الجيل الذى يربيه الايمان و القرآن و السنة على نهج و خطة ، و الجيل الذى يعى واقعه وعياً إيمانياً ، وعياً صنعه الجهد ، وغذته العزيمة ، إن هذا الجيل يرعى عندئذ مواهبه رعاية نامية ، لتحمل الأمانة ، و تشق السبيل . . !

فتنطلق المواهب الأدبية و قد صاغها الاعداد ، و نمتها الرعاية ، و صقلتها التجربة ، لتمضى مع دعوة الله مضياً ، تجاهد و تكافح .

و السمة الخامسة : إنه أدب عزيز ، أدب كريم ، أدب ينتسب إلى أطيب الاعراق ، و أزكى الأنساب : ينتسب إلى أمة ضاربة فى التاريخ ، أمة نبتت مع أول رسالة من السماء وامتدت مع تتابع الأنبياء والرسل ، ماضية إلى يوم القيامة .

« و إن هذه أمتكم أمة واحدة و أنا ربكم فاعبدون » .

وأى عزة أكرم من هذه العزة ، وأى نسب أطيب من هذا النسب ، وأى قوة امضى من هذه القوة .

إنها أمة الاسلام ، صنعت الحضارة الخيرة ، و بنت التاريخ المبارك ، تجتث الشر و الفساد ، و تستأصل الفتنة و الفجور .

إنه أدب عزيز فى أمة عزيزة .

و تستكمل هذة العزة أسبابها حين تستكمل الأمة أسبابها ، حين تكون أمة واحدة فى الأرض ، و دعوة واحدة فى الأرض تجمع الجهود كلها ، و تصهرها فى مجرى الخير و النور .

فالأدب الاسلامى عزيز و هو يدعو و يبنى لتكون الأمة الواحدة و الدعوة الواحدة فى الأرض كلها ، و هو عزيز كذلك حين يعيش مع هذه الأمة و قد قامت ، و الدعوة و قد مضت . و هذه العزة نلمسها مع ظلال الآية الكريمة :

« و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين . . »

أدب هادف . . .

و السمة السادسة : إنه أدب عامل مجاهد . . أدب قام على علم بمنهاج الله و علم بالواقع فأصبح له نهجه و هدفه ، و مهمته و أمانته ، إنه ليس أدب المراتع العفنة ، و الزوايا المظلمة ، و اللهو المتفلت ، والجريمة الخبيثة ، و الاسترخاء الغافى ، إنه أدب القوة و العمل ، والجهد والعرق ، و البذل والعطاء ، و الجود والفداء .

إنه أدب يحمل رسالة ، و يمضى على نهج ، و يسعى إلى هدف ، إنه أدب ينبض نبضة الدم فى العروق ، و يخفق خفقة القلب بين الضلوع ، إنه قطعة من نفس ، و خلاصة من فؤاد ، و جوهر من سعى .

إنه معاناة و مجاهدة . . . . !

فهو جزء متكامل مع حياة و عقيدة ، إنه يمضى مع بذل المال ، و الجود بالروح . . . . !

و لست أبالى حين أقتل مسلما　　على أى جنب كان فى الله مصرعى

إنه يمضى مع أنة الثكلى ، وصيحة النجدة ، و حسرة المظلوم ، لا يقف عند الوصف و حدوده ، و الكلمة و مداها ، و لكنه ينسكب مع سواعد مشدودة ، وأكف سخية ممدودة ، و أرواح ندية مشهودة . . . !

و السمة السابعة : لغته ، لغة الأدب الاسلامى ، إنها العربية ، لا لأن لغة قوم ، أو كلمة بيئة ، إنها لغة الرسالة ، لغة القرآن ، فمع أول وحى تنزل م

السماء على قلب محمد بن عبد الله ، محمد ﷺ ، مع أول آية ، انتقلت اللغة العربية نقلة واسعة ضخمة هائلة . . ! إنها أصبحت لغة الوحى المنزل ، لغة القرآن ، لغة الرسالة السماوية إلى الناس أجمعين ، إلى العصور والأجيال ، إلى الأقوام والشعوب ، إنها لم تعد منذ تلك اللحظة لغة بيئة محدودة ، أو عصر محدود ، إنها أصبحت اللغة التى يخاطب الله بها عباده كلهم عربيهم و عجميهم ، الأبيض و الأسود ، البعيد و القريب ، اليوم و غدا و إلى يوم الدين

و قد اختارها الله سبحانه و تعالى على علم عنده ، و سواء علم الناس أم لم يعلموا فان الله اصطفاها على حكمة بالغة ، كما اصطفى رسوله محمداً ﷺ

ويمضى التاريخ يكشف كل يوم وجها من وجوه عظمة هذه اللغة ، وجانباً من جوانب إعجازها ، وهى ما زالت تصد المكر و الكيد ، وتدفع الحرب والجريمة ، و تثبت فى كل ميدان ، و تنتصر فى كل نضال ، مع ضعف جنودها وهوان أبنائها و شتات ديارها ، و كفاها عظمة و إعجازاً إنها وسعت كتاب الله آياً و حكمة ، و وسعت حديث رسول ﷺ بياناً و حكمة ، و وسعت العصور كلها ، و العلوم كلها ، و وسعت الأقوام والشعوب ، و وسعت الأماكن و جازت الحدود . . . !

ومهما حملت اللغات الأخرى اليوم من امتداد وانتشار ، فانه امتداد سلطان ودولة ، لا يحمل معه امتداداً ذاتياً من هذه اللغة أو تلك ، حتى إذا انحسر السلطان أو باد ، بادت اللغة و انكفأت تختنق فى زوايا التاريخ .

و السمة الثامنة أنه أدب نام متطور ، أدب ينمو فى قوته وامتداده ، ينمو فى أسلوبه ، ينمو فى مواضيعه و ميادينه ، و لكنه مع نموه يظل يحتفظ بخصائصه الايمانية كلها ، لتكون هى سبباً من أسباب نموه ، ومصدراً من مصادر حياته وعطائه .

أنه ينمو مع نمو الدعوة الاسلامية ، و يمتد مع امتدادها و يتسع لميادينها ،

و لا بد له من ذلك حتى يستطيع أن يحقق أهدافــه ، و يبلغ غايته ، فهو أدب العقيده، أدب الايمان ، أدب ينبع عن علم يقوم على منهاج الله قرآناً وسنة ، وعلم بالواقع البشرى ، أنه ممارسة إيمانية و عمل صالح يتسع باتساع الممارســة و ينمو بنمو العمل دون أن يفقد شيئاً من خصائصه ، أو يخرج عن نهجه و أهدافــه ، أو ينحرف فى مجراه و مسيرته

وحتى تحقق هذه الخصائص فى الأدب الاسلامى ، حتى تبرز فى الواقع حية نابضة قوية ، فلا بد من جهد و معاناة ، و لا بد من تناسق و تكامل ، و لا بد من نبع صاف يمده فى مسيرته ، و يغذيه فى نموه .

إن أول هذه الشروط التى يحتاجها الأدب الاسلامى ، هى التربة الاسلامية ، و الماء الاسلامى ، و الهواء . والغذاء إنها الدعوة الاسلامية والواحدة فى الأرض كلها ، الدعوة الاسلامية التى لا تمزقها الحدود ، ولا تقطعها السدود ، و لا تفرقها الشعارات . . . !

إن الدعوة الاسلامية الواحدة فى الأرض كلها ، هى وحدها التى تستطيع أن تكون التربة و الغذاء و الهواء ، و بدون هذا التصور يظل الأدب الاسلامى يعانى من امراض ، ويشكو من حيرة ، فى عالم اتحدث فيه الجهود على محاربة الاسلام ، و التقت على عدائه .

أمام هذا العداء الواحــد المكشوف ، لا يستطيع الأدب الاسلامى أن يستمد غذاءه و قوته من شتات و اضطراب ، أو فرقة و تمزق ، ولا يستطيع أن يقف وقفة صمود ، و يثب وثبة ظفر ، أن كثيرا من الجهود سيضيع ، و قدراً عظيماً من الفرص سيفوت إذا لم تجد العقيدة الاسلامية صفاً مرصوصاً .

وبدون هذه الحقيقة لا يستطيع الأدب الاسلامى أن يجد الرعاية و التوجيه ، و الاعداد و التدريب ، و الحنان و المدد ، فى معركة قاسية ضارية .

وكذلك لا تستطيع المواهب والقدرات أن تجد الرعاية لتنمو، والقوة لتنطلق و قد ينقلب الامر فتموت مواهب . و تضيع قدرات و قد يستغل العدو هفوة أو حيرة ، أو تصوراً مضطرباً خاطئاً . فيمد منه أو يستفيد منه .

و عند ما نقول الدعوة الاسلامية الواحدة فى الأرض ، لا نعنى أن نجعل الشعوب لونا واحداً ، أو القبائل قبيلة واحدة ، ولكننا نعنى إن الدعوة الاسلامية تنهج النهج الواحد فى الدعوة و الانطلاق ، و فى التربية و البناء ، و فى الجهد و الجهاد فى نهج مدروس موحد يقوم على قاعدتين اثنتين :

منهاج الله قرآناً و سنة

و الواقع البشرى الذى تمر به الدعوة : من هاتين القاعدتين يحتاج المسلمون أن يبرز النهج الموحد فى خطوطه التطبيقية العريضة حتى تتجمع الجهود و تتناسق فى مجرى واحد ، يتسع لها كلها و يضمها كلها على نحو واع مدروس .

لحين نقلت الدعوة الاسلامية موهبة حسان بن ثابت رضى الله عنه إلى ميدان غير ميدانه الأول ، و مجرى غير مجراه الأول ، وحين نقلت سيف خالد بن الوليد رضى الله عنه تلك النقلة العظيمة ، حين نقل الاسلام المواهب الكثيرة ، و أنبت المواهب الكثيرة ، كانت هنالك دعوة إسلامية واحدة وصف مؤمن واحد يجمعه رسول الله ﷺ فى نبوة ووحى فاذا كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء وإذا كان الوحى قد توقف ، فان رسالة السماء ما زالت مدوية ، و منهاج الله ما زال بين أيدينا ، و الواقع البشرى ممتدا إلى يوم القيامة على سنن الله و اقداره ، لم يكن يتفلت من صف المؤمنين أحد ، ولا ينحرف عنه أحد ، لا يعنى ذلك أن لا تقع أخطاء فقد وقعت ، أو أن لا تمر هنات فقد مرت ، و لكنه النهج و التخطيط الذى يجمع القوى العاملة ، و ينسق جهودها ، و يجمع المواهب و ينميها ، إنه نهج مدروس ،

و تخطيط واع يصدر عن قواعد منهاج الله قرآناً و سنة ، لتقوم الممارسة الايمانية فى الواقع البشرى فى شتى المبادين ، و الأدب الاسلامى ميدان من مباديها .

إن هذا النهج والتخطيط لا يعنى شعاراً نرفعه أو راية نستظل تحتها ، أن هذا النهج و التخطيط يعنى معاناة و جهداً مستمرين لا يتوقفان أبداً . إنه يعنى بذل الجهد البشرى القائم على إيمان ثابت ، وعلم بالمنهاج الربانى ، و الواقع الذى نجتازه و الموهبة القادرة لتأخذ مكانها و تقوم بدورها ، إنه جهد يقوم على هذا كله ، ليقدم للمسلمين نهجاً و تخطيطاً .

إن من مظاهر واقعنا اليوم إن الشعوب كلها أخذت بالنهج و التخطيط حتى أصبح علماً قائماً بذاته فى كل ميدان من الميادين ، و الدعوة الاسلامية أحرى أن تنهض لهذا الأمر ليكون سبباً من أسباب قوتها ، و رباطاً من روابطها .

و لا يستطيع الأدب الاسلامى ، نثراً و شعراً ، أن ينعزل عن سائر ميادين الاسلام ، إنه مرتبط بها متصل معها يغذيها و تغذيه ، و ينميها و تنميه ، وبدون هذا الارتباط و الاتصال بين جميع الميادين من خلال النهج و التخطيط ، سيفقد الأدب الاسلامى كثيراً من خصائصه ، و قوى من قواه ، إنه ينعزل بذلك عن الواقع الذى يعيشه ، و ينعزل عن تربته الحقيقية و غذائه الحقيق .

وهذا الارتباط لا يتم إلا من نهج موحد وخطة واحدة ، دفعتها المواهب ، و رسمها العلم ، و ارسى قواعدها الايمان .

فيدان الدعوة و الانطلاق ، و ميدان التربية ، والبناء ، و ميدان الدراسات و التخصص ، و ميدان الاجتماع ، و ميدان الجهاد ، و ميدان الاقتصاد ، لو عمل كل ميدان وحده منعزلا مفصولا لفقد كل ميدان خصائصه وخسرت الدعوة الاسلامية الكثير الكثير من مقوماتها ، و فقدت النصر فى كثير من جولاتها .

إن هذه القضية نراها هامة و خطيرة ، نطرحها أمام كل موهبة ، و أمام كل مؤمن ، لتأخذ دورها الحقيق و ليتضح لنا أن الأدب الاسلامى ليس ميـداناً معزولا ، عند ذلك يصبح الأدب الاسلامى قوة حقيقية من قوى الاسلام ، مرتبطاً بعقيدة ، مغروساً فى تربة ، نامياً فى أجواء ، يعطى و يأخـذ ، ينمو و يتطور ، يمضى إلى أهدافه ، عند ذلك يحمل خصائصه الايمانية فى ممارسة إيمانية واعية وعمل صالح مبارك إن شاء الله ، عند ذلك ، عند ما تجتمع هذه الخصائص الايمانية كلها مع ترابط ميادين الدعوة و تناسقها و تكاملها ، من خلال نهج و تخطيط ، قائم على علم بمنهاج الله قرآناً و سنة ، و على علم بالواقع البشرى ، عنـد ذلك ينمو الأدب الاسلامى نمواً إيمانياً هادفاً ، ينمو الأدب الاسلامى حتى يكون أدب الانسان كله ، وحاجة الانسان كله ، و متعة الانسان كله ، ينمو نمواً مضطرداً يعالج قضية الجماعة ، و قضية الأمة ، و قضية الانسان ـ ! عندئذ ينمو قصـة ، أو تاريخاً ، أو مسرحية ، أو رواية ، أو تأملا فى كون ، أو نفس ، أو أى آية من آيات الله ، عندئذ ينمو نثراً و شعراً حافظاً لمقوماته دون أن يتحلل تحلل كثير من الأدب المتفلت ، الذى نراه اليوم ، شعراً منثوراً و نثراً مشعوراً . !

و نود أن نركز على قضية أساسية . إن الأدب الاسلامى اليوم لن يتنزل من السماء ، و لن تنشق عنه الأرض فى قوم غافلين ، ممزقين ، تائهين ، إن الأدب الاسلامى هو ثمرة جهد الطاقـة البشرية ، لقد كان مرة وحياً يتنزل من السماء ليكون الأدب الاسلامى الممتد قرآناً وسنة ، و ليكون أدب الانسانية كلها فى أعظم صورها المعجزة لا يبلغها جهد بشرى ، و لكن الجهد البشرى يستهدى بها . . . !

هذا الجهد البشرى تبذله الطاقة البشرية ، وبمقدار ما تحمل هذه الطاقة البشرية من خصائصها الايمانيـة ، تستطيع أن تنطلق بالأدب الاسلامى على النهج الذى

عرضناه ، و كذلك بمقدار ما تحمل من موهبة و بمقدار ما تجد الموهبة من رعاية و توجيه و خبرة .

و هذا الجهد البشرى المتميز بما عرضناه ، يجب أن يقوم على علم بمنهاج الله قرآنا و سنة ، وعلم بالواقع ، وهذا العلم بمنهاج الله يحمل مسؤليته الفرد نفسه ، على قدر ما وهبه الله من وسع وطاقة ، ودون أن يضيع فى مشاغل الدنيا ومتعة الشهوة و واهى الأعذار ، و هـــذا العلم أن يجب يكون منهجياً غير متروك للحظات العابرة ، و الجهد الوانى ، فعجباً أن نرى الأعداد الزاخرة من المسلمين ، يصلون ويصومون ، ولا يحملون الشهادات العالية ، فى علوم الدنيا ، دون أن يبذلوا الجهد المنهجى فى دراسة منهاج الله ، و دون أن يعنوا بممارسته ممارسة مدربة إيمانية واعية ، تحمل النهج و النصيحة و المشورة ، و الخبرة النامية المتجمعة .

هكذا كان يؤخذ العلم و يعطى فى مدرســة النبوة ، لتصنع جيلا يحمل أمانة و يؤدى رسالة .

و إننا اليوم بحاجة إلى هذا الجيل المؤمن المتميز ، يصنعه القرآن و تربيــه السنة ، و تصقله الممارسة ، ليحمل أمانة الأدب الاسلامى ينمو بنموه ، و يمضى بمضيه ، فى واقع بشرى ، لا فى خيال و أوهام ، و أمانى و أحلام .

فالى ذلك يا أمة الاسلام ! يا شباب الايمان ! يا جنود الرحمن ! إن المسيرة طويلة شاقة فسيروها ، أو فذروها .

الشخصية الأخلاقية للأدب العربي

أحمد فرح عقيلان
مدير إدارة الأندية الأدبية
بالرئاسة العامة لرعاية الشباب (الرياض)

الحمد لله الذى أكرمنا بالاسلام ، و هدانا بهدى محمد عليه الصلاة و السلام ، عسى الذى شرفنا برسالته ، أن يكرمنا بحبه و شفاعته ، و أن يجعلنا جنـــداً لدعوته قائمين على الحق لا يضرنا من ضل ، و لا نخشى فيه لومة لائم .

(و بعد) فان من أهم لوازم الداعية إلى الله أن يتحلى بما تحلى به النبيون الكرام الذين هم أئمة الدعاة و قدوتهم ، من فصاحة اللسان و قوة البيان و بلاغة القول و عمق الحكمة و حلاوة الموعظة قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ « و اعف عنهم وعظهم و قل لهم فى أنفسهم قولا بليغاً » و من هنا كان الأدب وثيقة الصلة بالدعوة إلى الله و على هذا المقصد إن شاء الله اخترت عنوان هذا البحث سائلا الله جل و علا أن يخلص أعمالنا و يجعلنا والاخوة القراء ممن قال فيهم ، « فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله و أولئك هم أولو الألباب »

الفصل الأول
أدبنا و الأخلاق

١ـ الأدب عموماً أغنية الانسانية :

تسير قافلة البشرية فى صحراء هذه الحياة فتحتاج إلى حداة يطربونها لينسوها

وعثاء الطريق و يبلغوا ركبها مأمنه ، و يبعثوا فى قادة القافلة روح الأمل كلما ترامت الصحراء و ما طلت الواحة .

هؤلاء الحداة هم الأدباء عامة و الشعراء خاصة ، يشنفون مسامع الانسانية بأناشيد الرجاء و يغنون لها أغنيه الطموح و يغزون بألحانهم العذبة زوايا القنوط فيطلعون فيها صبح الرجاء متدفقاً بالأمل و العزيمة و النشاط . يقول أبو العتاهية :

أرانا معشر الشعراء قوم   بألسننا تمتعت القلوب
إذا انبعثت قرائحنا أتينا   بأنغام تشق لها الجيوب

و روى عن معاوية رضى الله عنه قال : لقد هممت يوم صفين بالفرار فما ردنى إلى الثبات إلا أبيات لعمرو بن الاطنابة الخزرجي و هى قوله .

أبت لى همتى و أبى بلائى   و أخذى الحمد بالثمن الربيح
وإقدامى على المكروه نفسى   و ضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت   مكانك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مكارم صالحات   وأحمى بعد عن عرض صحيح

و مهما عربدت المادة من حول الناس ، ومهما تعلقوا بأذيال الطين وأخلدوا إلى الأرض ، فسيظل الأدب منارة الروح الهادية متلالئة على شواطئ المحبة والسلام .

ولا تحسبن الأدب فرض كفاية يقوم به البعض فيسقط عن الباقين ، فالأدب هو الملك المشاع لكل بنى الانسان ، كل النفوس يميل إلى الأدب ، الرياضى فى نظرياته ، و الكيميائى فى معمله ، وخبير الصناعة فى مصنعه ، والطبيب فى عيادته ، و المهندس فى مخططاته ، و إن أحداً لو يحس بغضاضة إذا قيل له ما أقل حظك من الفيزياء مثلا ، و لكن كل إنسان يضيق و يتألم إذا قيل له ، ما أقل حظك من الأدب . و ما أصدق ما قال الشاعر القرشى على بن الجهم :

لجاسة مع أديب فى مذاكرة　　　أشفى بها الهم أو استجلب الطربا
أشهى إلى من الدنيا وما حملت　　　و ملئها فضـــة أو ملئها ذهباً

و إذا كان الأدب لازماً للنفس الانسانية بعامة فهو أشد لزوماً لدعاة الحق .

إن شرائع الله و ديانات السماء و روائع المثل العليـا ، كل هذه ما لقنتها الانسانية إلا من لسان الأدب .

و ما استثيرت العزائم للفداء و لا نوشدت الحمية للتضحيـات و لا خوطبت روح الجهاد و العطاء إلا ببلاغة الأدب .

و إذا كان العلم يوفر للحياة حوائج الجسد و يداوى بطبه علل الأبدان فان الأدب يوفر للانسانية غذاء الروح ويداوى أمراض النفوس و القلوب .

و إذا كان العلم ينقل للحياة صورة فوتو غرافية عليها فترة الجمود فان الأدب يرسم للحياة لوحة فنية عليها إشراقة الجمال و ابتسامة الأمل .

(ب)　　　تسمية لها دلالتها

العرب يسمون شعرهم و نثرهم البليغ (أدباً) و الأدب معنـاه الأخلاق و فضائل النفس و منه قول رسول الله ﷺ (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) .

أما الأجانب فيسمونهم شعرهم ونثرهم الجيد « Literature » و هى كلمة مشتقة من الثقافة و منها أخذت كلمة Literary man ، و معناها رجل مثقف .

ونلاحظ أن اسم الأدب العربى يحمل مدلولا أخلاقياً منذ نشأته وكان هذه التسمية تعنى أن الأديب العربى لا يكون أديباً إلا إذا قرن أدبه بالأخلاق وصدر عن مناهل الحكمة ، أما الأديب عند الأجانب فيكفى أن يبدأ من منطلق الثقافـة و لو لم يلتزم فى أدبه نهجاً أخلاقياً .

و الحق أن الأدب العربى كان و ما زال أدباً مؤدباً ، و الأديب العربى ما عدا بعض الشواذ وقف عند عصوره على منصة القدوة الصالحة يذكى شعلة الحياة من قبس إلهامه و ينفخ فى روح الأمة من حرارة قلبه و إحساسه .

لقد نشأ أدبنا العربى أخلاقياً من أساسه و حسبك أن تلقى نظرة على الشعر الجاهلى لترى أنه يعلم الأدب إذا استثنيت أشعاراً قليلة لبعض المترفين كامرىء القيس والمنخل اليشكرى لترى أن الطابع الأساسى للادب العربى كان الطـابع الأخلاقى ، يقول عنترة :

وأغض طرفى إن بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواهـا
إنى امرؤ سمح الخليقة ماجـد لا أتبع النفس اللجوج هواها

و يقول شاعر جاهلى :

ولا ألقى لذى الودعات سوطى أداعبه وريبته أريد

أى إننى لست ممن يداعب الطفل كى استهوى أمه و أجلب نظرها .

ثم لما جاء الاسلام أعلن نبينا محمد ﷺ أنه إنما بعث ليتمم مكارم الأخلاق ، و لهذا فقد كان رسول الله ﷺ يحب حكمة الشعر و منهجه الأخلاقى و كان فيما روى عنه يود لو رأى عنترة إعجاباً بقوله :

يخبرك من شهد الوقيعة أننى أغشى الوغى و أعف عند المغنم

و من هذا المنطلق زاد الاسلام أدبنا نوراً على نور فطبع الأدب الاسلام و القرآن لفظاً ومعنى و منهجا حكيماً .

و الحق أن القرآن الكريم أعظم الفضل على أمـــة العرب و لغة العرب فالقرآن هو الذى جعل لغة العرب عالميـة و هو الذى جعل أدب العرب إنسانياً رفيعاً وهو الذى نشر ثقافة العرب وتاريخهم و ذكرهم وشرفهم فى مشارق الأرض

ومغاربها حتى هفت إليهم القلوب وأحبتهم العواطف على الرغم من تنائى الأصقاع وتباعد الديار لأن العرب عند سائر المسلمين هم أمة القرآن ولأن أدب العرب فى نظر إخوانهم إنما هو قبس من نور القرآن الكريم .

ولهذا فليس استطراداً أن أنبه إلى حقيقة ساطعة يجب أن يحفظها العرب فى قلوبهم وأذهانهم وهى أن شرف العروبة وتاريخها وذكرها ومحبتها واحترامها كل هذه جاءت مع الاسلام، فالعربى لم يصلح إلا حين تحول قرآنياً ، وإن أى حاكم ومفكر عربى ينادى فى أمة العرب بشعار غير الاسلام إنما ينادى فى الحقيقة بفصل روح العروبة عن جسدها ، وهكذا فان دعاة القومية العربية هم أشـــد إضراراً بالعروبة من الصليبيين والتتار لأن أولئك قتلوا أجسام المسلمين وأما هؤلاء فيريدون أن يدمروا روح العرب وسر بقائهم .

وانطلق الشعر العربى فى عهـــد النبوة يواكب الدعوة وفى عهد الفتوحات يرافق السلاح .

وفى عمايات الفتن والرذائل ينير طريق الهدى والفضائل ، وفى حمآت الفرقة يدعو إلى آفاق الوحدة وفى أغلال الظلم والفساد يدعو إلى حرية الرأى ويأمر بالعدل والاحسان والاصلاح .

ولنستمع إلى هذه الصرخة التى انبعثت فى ظلمات الغزو الصليبى كما يشق نور الصبح ظلام الليل ، قال الأبيوردى منبهاً الى الخطر الداهم .

أيا أمة الاسلام إن وراءكم وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
وكيف تنام العين ملء جفونها على داهيات أيقظت كل نائم
وإخواننا بالشام يضحى مقيلهم ظهور المذاكى أو بطون القشاعم
تسوقهم الروم الهوان وأنتم تجرون ذيل الخفض فعل المسالم

وتلك حروب من يغب عن غمارها ليسلم يقرع بعدها سن نادم
يكاد لبلواها النبي محمد ﷺ ينادى بأعلى الصوت يا آل هاشم
أرى أمتي لا يشرعون إلى العدا رماحهم و الدين و هى الدعائم

ثم لنستمع إلى هذه الحكمة الرزينة يرسلها أبو الطيب فى غمرة انفعاله و هو يفخر بنفسه حين رأى عزوف الشباب فى عصره عن مطامح الرجال وتعلقهم باللهو و الشراب فقال رحمه الله :

و فى الجسم نفس لا تشيب بشيبه و لو أن ما فى الوجه منه حراب
يغير منى الدهر ما شاء غيرها و أبلغ أقصى العمر و هى كعاب
و غير فؤادى للغوانى مطية و غير بنانى للزجاج (١) ركاب
تركنا لأطراف القنا كل لذة فليس لنا إلا بهن لعاب
أعز مكان فى الدنا سرج سابح و خير جليس فى الزمان كتاب

إنه من يقرء ديوان أبى الطيب يدرك أن أدب العصر العباسى ليس كما يشاع عنه خمريات ومجوناً . فالخمريات و المجون لا يمثلان إلا قطاعاً دخيلا ضيقاً من أدب هذا العصر أما غالبيته فيتمثل فى ذلك الشعر الذى بلغ قمة النضوج كزهديات أبى العتاهية و سيفيات أبى الطيب و روميات أبى فراس و لزوميات أبى العلاء و حكم أبى تمام، فتلك وأمثالها هى التى تعطى الصورة الصحيحة لحال الأدب العباسى ، أما تلك الشواذ فلم تكن إلا مستوردات من سموم الشعوبية و تشويهات الأعداء .

ثم كانت عصور الظلمات والمصائب التى خيمت على امتنا فعبثت بوحدتها فظل الأدب يرسل أنواره الهادية ويسير مع مواكب الايمان التى انتصرت رغم الشتات فى حطين و جالوت و ملازكرد و الزلاقة وفى أثناء ذلك شمخ صرح الأزهر كأن منارة السفن يعشو إلى ضوئه الحيارى فيرون عنده شاطئ الأمان .

---

(١) الزجاج : يعنى به كئوس الخمر

كان علماء الأزهر فی الغالب أدباء شعراً و نثراً وتاليفاً و كانوا قوة مناضلة محتسبة استطاعت أن تحاسب السلاطين و تكبح فيهم طبائع الاستبداد و الطغيان بل لقد رافق أولئك العلماء الأدباء الأجلاء جيوش الاسلام يثيرون فيها حماسة الجهاد و كانت مواعظهم البليغة جذوات أشعلة نيران الغرائم المضطرمة ، وحسبك أن تعلم دور شيخنا عز الدين بن عبد السلام فی معركة عين جالوت و دور شيخ الاسلام ابن تيمية فی معارك المغول بالشام .

لقد علم هذا الشيخان الجليلان وغيرهما من العلماء العاملين ، علموا قادة أمة محمد بأن النصر لا يواطن المعاصی و أنه يتنزل من عند الله علی المؤمنين الصالحين وأن المسلمين إذا اتحدت صفوفهم تحت لواء الجهاد و عمرت قلوبهم روح الاستشهاد لا تنهض لزحفهم قوة علی ظهر الأرض .

ثم كان العصر الحديث ولا أغالی إذا قلت إن نهضة الوعی الاسلامی الحديث فی الشرق كان عليها مسحة الأدب ، فالكواكبی والأفغانی و محمد بن عبد الوهاب ومحمد إقبال و حسن البنا وسيد قطب حملوا مع إيمانهم سلاح الأدب الرفيع الممتع المقنع ينشرون به دعوة الايمان و يفضحون به مكائد الدخلاء حتی شعر الاستعمار أن الاسلام سيطرده من ديار الشرق كما يطرد النور لصوص الظلام .

قصاری القول أن الأدب العربی فی قديمه و حديثه ظل دواماً فی صف الفضيلة و الكرامة و كانت ما زالت سنة الأدب الأصيل الا ينحدر عن مستواه الرفيع و أن يظل بجنداً لخدمة الفضائل بالحكمة و الموعظة البليغة .

شبهة و ردها

هنالك شبهة أثارها الكثيرون من دارسی الأدب من مستشرق ومغرض مفادها أن الشعر العربی قد حفل بالبذاءة و المجون واستدلوا علی ذلك بالنقائض فی عصر بنی أمية و بالتهتك و المجون اللذين شاعا فی الشعر العباسی . وبهذه الشبهة ينفون عن أدبنا طابعه الأخلاقی .

و يمكننا أن نرد هذه الشبهة بالأدلة الآتية .

أولا : إن نشأة الأدب العربى فى عصره الجاهلى كانت نشأة عفيفة حتى لقد كان الهجاء الجاهلى أعف هجاء، و ما عرف أن شـاعراً جاهلياً تعرض فى هجائه للاعراض فى صراحة مكشوفة .

ثانياً : فى معركة النقـائض التى هـاجت من شعراء النبى ﷺ و شعراء قريش لم نقرأ أى لفظ انحدر عن مستوى الأدب بل لقد اقترن الهجاء بالانصاف و الحجة ، كقول حسان رضى الله عنه يخاطب أبا سفيان بن الحارث :

هجوت محمداً فأجبت عنه ... و عند الله فى ذاك الجزاء

أتهجوه و لست له بكفء ... فشركما لخيركما الفـداء

ثالثاً البذاء الذى ثار فى نقائض الأمويين والمجون الذى طرأ على شعر العباسيين كانا أمرين دخيلين على أدبنا ، فالأول أثارته السياسة والسلطة ليشغل الناس بالعصبيات عن الخلافة و من هنا فقد اقتصر البذاء على عدد محدود من الشعراء كانت لهم ظروف خاصة كالفرزدق و جرير و الأخطل ، أما سائر الشعراء كمسكين الدارمى و ذى الرمة و جميل و نصيب ، و عبـد الله بن قيس الرقيات و الكميت . وجميع شعراء الخوارج فلم ينحدروا بأدبهم عن مستوى الشخصية الأخلاقية لأدبنا .

و أما المجون فى الشعر العباسى فلم يكن إلا أمراً طارئاً على أدبنا و قد جاء على أثر وقوع شعرنا فى أيد دخيلة لا هى عربية و لا هى إسلاميـة ، من أمثال بشار ووالبة و أبى نواس و حمد عجرد وديك الجن، و كلهم لم يكن صحيح العقيدة و لا أصيل العروبة .

رابعاً : أبيـات المجون فى الشعر العربى لم تعش فى الأذهان و لا حفظها الحفاظ

و اعتبرت للاستهلاك المحلى ، و لعلك لو سألت أديبا من حفاظ الشعر من أروع ما يحفظه لأبى نواس لرأيتـه يختار لك أبياتاً من فلتات زهده و حكمته كأبياته الشهيرة التى طبقت الآفاق :

أيا رب وجه فى التراب عتيق ويا رب حسن فى التراب رقيق
ويارب حزم فى التراب ونجدة و يا رب رأى فى التراب وثيق
وما الناس إلا هالك وابن هالك و ذو نسب فى الهالكين عريق
فقل لقريب الدار إنك ظاعن إلى منزل نائى المحل سحيق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له من عدو فى ثياب صديق

الفصل الثانى

الأدب و الدين

قد يسأل سائل : لماذا يقحم الكاتب موضوع الأدب فى حلية الدين؟ ونجيب عن هذا السؤال بأن الأدب العربى وثيقة الصلة بالدين ونؤيد قولنا بالحقائق التالية :

أولا : إن معجزة النبى ﷺ كانت أدباً رفيعاً معجزاً تحدى به الحق جل جلاله كل أدباء الدنيا فعجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله و فى حين كانت معجزات الأنبياء السابقين عليهم السلام بعض الخوارق التى شوهدت ثم انتهت بانتهاء مجلسها فان معجزة محمد ﷺ كانت من طراز آخر يتجدد كل لحظة وتكتشف كنوزه و عجائبه كل حين و تقف القرائح حيرة عند أفقه ، و قد بقى إعجاز القرآن قائماً حتى حين بلغت البلاغة ذروتها واستحصدت مرة الحضارة والثقافة ولم يستطع عالم أو أديب أو لغوى أو شاعر أن ينهض للتحدى ، ولقد قرأنا أن عبد الله بن المقفع صاحب «كليلة ودمنة» آنس من نفسه قدرة بلاغيـــة هائلة لحدثته نفسه أن يكتب كتاباً

يعارض به القرآن الكريم ، وفعلا شمر للأمر وجمع أوراقاً ونسق حتى اجتمع له ما يملأ كتاباً كبيراً ، ثم كان أن رأى نفسه يوماً سائراً بجوار كتاب يتعلم فيه صغار الصبية القرآن فسمع صبياً يقرأ بصوت عذب (و قيل ياأرض ابلعى ماءك و ياسماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر و استوت على الجودى و قيل بعداً للقوم الظالمين) .

فأسرع عبد الله عائداً إلى بيته وأخذ الأوراق و طفق يمزقها و هو يقول : « هذا كلام لا تنهض له معارضة البشر » .

و إذن فالاعجاز الأدبى الرفيع كان دعامة من دعائم الدعوة الاسلامية منذ ألقى جبريل على قلب محمد ﷺ و سمعه قول الله تعالى :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ و ربك الأكرم . الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

ثانياً : إن نبينا محمداً ﷺ و خلفاءه الراشدين و جميع دعاة الاسلام جعلوا من البلاغة و الأدب سلاحاً غزوا به قلوب الناس فأخذوا بمجامع القلوب و نشروا دعوة الحق بلسان العرب الرفيع شعراً وخطابة و تأليفاً وجدالا بالتى هى أحسن ، ولأمر ما جعل الاسلام الخطابة من شعائره فى كل جمعة وعيد واتخذها القادة جذوة للمعارك يوقدون بها الحماسة فى جميع معارك الاسلام الكبرى ، و كان رسول ﷺ يحب الشعر الجيد و يشيد بحكمته ويدرك قيمة الشعر فى النفوس ومن أجل ذلك سمح لشعراء المسلمين أن يجاهدوا بألسنتهم مؤيدين بروح القدس لأن كلم اللسان يكون أحياناً أنكى من كلم السنان .

ثالثاً : منذ نزل القرآن الكريم أقبل أدباء المسلمين و علماؤهم عليه و أكبوا على دراسة أسرار بلاغته و دلائل إعجازه فأثر ذلك تأثراً بالغاً فى أدبنا العربى حتى لقد

أصبح القرآن محور أدبنا و ظهر أثر القرآن فی أدب کل أدیب و شعر کل شاعر و حتی أولئك الشعراء الذین اشتهروا بالمجون کانوا فی ومضات الیقظة و صحوات الضمائر ینهلون من ینابیع الکتاب والسنة، فهذا أبو نواس یتجلی أثر القرآن الکریم فی لفظه و معناه فیقول فی إحدی ومضات توبته.

أقول وقد ضاقت علی مذاهبی و حل بقلبی للهموم ندوب
لطول جنایاتی و عظم خطیئتی هلکت و مالی فی الحیاة نصیب
و أغرق فی بحر المخافة تائها و ترجع نفسی تارة و تتوب
و أذکر عفو الله من کل تائب فأحیا وأرجو عودة فأنیب
و أعمر محرابی بدمعی و ذلتی عسی کاشف البلوی علی یتوب

إن الشعراء الذین قصروا شعرهم علی الغزل یخل شعرهم من أثر القرآن الکریم لفظاً و معنی.

یقول مجنون بنی عامر:

أرانی إذا صلیت یممت شطرها بوجهی و إن کان المصلی ورائیا
أصلی فما أدری إذا ما ذکرتها أثنتین صلیت الضحی أم ثمانیاً

و یقول قیس بن ذریح و نسبته أیضاً إلی جمیل:

أصلی فأبکی فی الصلاة لذکرها لی الویل مما یکتب الملکان

رابعاً: إن کل ما ألفه علماء اللغة وأدباؤها من أمهات الکتب فی اللغة و الأدب إنما کان من أجل خدمة القرآن الکریم نلاحظ هذا فی کثرة الشواهد القرآنیة التی یستشهد بها النحویون و البلاغیون و اللغویون، و هذه الحقیقة جعلت کتب اللغة والأدب معارض رائعة لبلاغة القرآن وأحکام الاسلام وحسبك أن تقلب قاموساً کلسان العرب لتری أثر القرآن الکریم والحدیث الشریف فی کل صفحة من صفحاته.

إن هذه الصلة الوثيقة بين الأدب العربى و الدين لا يكاد يظهر لها أثر فى الآداب الأوربية فالأدباء هناك فى واد و المسيحية فى واد، اللهم إلا ما نراه من آثار تركتها أساطير اليونان القديمة و معتقداتهم فى إنتاج بعض الأدباء.

إن علوم اللغة و الأدب نشأت عندنا قرآنية إسلامية و استمرت كذلك إلى وقتنا هذا، و إن أى أديب عربى لا يمكن أن يؤلف مرجعاً فى الأدب و اللغة إلا إذا جعل تاج مراجعه القرآن الكريم و الحديث الشريف.

خامساً: حين نزل القرآن بلسان عربى مبين كان ذلك ضماناً للغة العربية أن تحيا و تخلد على مر العصور و تقلب الأحقاب مهما حبكت لها الحبائل و عربدت من حولها المؤامرات. فالقرآن قد تكفل الله بحفظه فقال جل وعلا بصيغة التوكيد المضاعف «إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحفظون» وما دامت اللغة العربية هى وعاء القرآن الكريم فلا بد للجوهر أن يصان فى وعائه، واللغة العربية هى الآن أقدم لغة حية على وجه الأرض اذا قستها باللغات الأوروبية و الشرقية المعاصرة.

و قد تماسكت أمام العواصف العنيفة على الرغم من ألوف المؤامرات التى حاكها لها الكفر كما فعل فى الشمال الأفريقى وعلى لرغم من لدعوات الهدامة التى روجها أذناب الاستعمار و الصليبية ضد اللغة العربية حين اتهموها بالعجز و دعوا أن تهجر إلى اللهجات العامية، وكل هدفهم، أن يهدموا كلام الله بهدم هذه اللغة الشريفة التى وسعت كلام الله معنى ومبنى (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره و لو كره الكفرون).

نماذج من الأخلاقيات

اكتفى بلقطات من النماذج الأخلاقية فى أدبنا و هى أشبه ما تكون بالعينة تؤخذ من المنجم ليستدل بها على نسبة المعدن الغالى فيه.

(الف) يقول الزبير بن بكار هو شاعر عالم من عصر بنى العباس:

أحب مكارم الأخلاق جهدی و أكره أن أعيب و أن أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلماً و شر الناس من يهوى السبابا
و أترك قائل العوراء عمداً لأهلكه و ما أعيا الجوابا

(ب) حج أبو نواس فطفق يطوف بالبيت ويلبي بهذه الأبيات و الناس من ورائه يلبون خاشعين بتلبيته .

إلهنا ما أعدلك مليك كل من ملك
لبيك إن الحمد لك و الملك لا شريك لك
و الليل لما أن حلك و السابحات فی الفلك
كل نبی و ملك سبح أو لبی فلك
ما خاب عبد سألك أنت له حيث سلك
لو لاك يا ربی هلك :
يا غافلا ما أجهلك انهض و بادر أجلك
و اختم بخير عملك
لبيك إن الملك لك و الحمد و النعمة لك
و العز لا شريك لك

(ج) قصيدة أراحت المجتمع

هذه قصيده لصفی الدين الحلی بعث بها إلى حاكم (ماردين) يفضح فيها عصابة من اللصوص سرقت بيت الشاعر ، و يبدو أن أولئك اللصوص كان لهم سند من ذوی النفوذ فی الشرطة ومن بعض أهل المناصب و السلطة ، فلما لاحظ الشاعر أن المحققين يتلاعبون بالتحقيق و يحاولون إبعاد التهمة عن المجرمين الحقيقيين و إلصاقها ببعض الأبرياء من صبيان المدارس والخدم عندئذ أرسل بهذه القصيدة إلى السلطان و كان من بركاتها أن السلطان ألقى القبض على العصابة و عاش الناس فی أمان :

خطيب لسان الحال فيه أبكم ... وهوى طريق الحق فيه مظلم
و قضية صمت القضاة تخوفا ... من فصلها و الخصم فيها يحكم
إن كنت لا تدرى فتلك مصيبة ... أو كنت تدرى فالمصيبة أعظم
الله يحرص (ماردين) فانها ... بلد يتيه به الغريب و يظلم
أرض بها يسطو على الليث الطلا ... ويعيث فى غاب الأسود الأرقم
حالت به الأشياء عن عاداتها ... فالخيل تنهق و الحمير تحمحم
يا أيها الملك الذى فى عصره ... كل الملوك بعدله تتعلم
حاشاك أن تخفى عليك قضيتى ... و بطون عدنان بها تتكلم
أيجوز أن يمسى الغريم مبرءاً ... منها و صبيان المكاتب تتهم
وأجيل طرفى فى الحبوس فلا أرى ... إلا ابن جارى أو صبياً يخدم
و اللص ذو ظهر شديد مانع ... كل به يدرى على ما تقدم
فأقم حدود الله فيهم إنهم ... طمعوا بأنك راحم لا تنقم
إن كان تعطيل الحدود لرحمة ... فالله أرأف بالعباد و أرحم
هذى العبارة للمحقق عبرة ... و الله أعلم بالصواب و أحكم

(د) نبوة شاعر

صرخ إبراهيم طوقان رحمه الله بالفلسطين قبل حرب ثمانية و أربعين بأكثر من عشر سنين فقال:

أمامك أيها العربى شوط ... تشيب لهوله سود النواصى
مصيرك بات يعرفه الأدانى ... و صار حديثه بين الأقاصى
يخططه عدوك فى خداع ... خبيث بالنفاق و بالرصاص
فما رحب القصور غداً بباق ... إذا انتصروا ولا ضيق الخصاص

(٥) أبوالعلاء المعرى لم يكن يهاجم الدين و إنما كان يهاجم تجار الدين و لهـذا اتهمه الكثيرون بالالحاد، و لنستمع إليه وهو يقول :

نادت على الدين فى الآفاق طائفة ... يا قوم من يشترى ديناً بدينار
جنوا كبائر آثام و قـد زعموا ... أن الصغائر تجنى الخلد فى النار

كلمة ختامية

والسؤال الذى أختم به البحث هو سؤال متصل بموضوع الشخصية الأخلاقية لأدبنا ، و هذا السؤال هو ماذا نقتبس من أدب الغرب و ماذا نترك ؟

و الجواب أنه لا عيب أن يقتبس أدباؤنا من أدب الأجانب فالعواطف الانسانية متشابهة أينما كانت ، و لكن هذا الاقتباس يجب أن يتوفر فيه أمران :

أولهما : أن نقتبس ما ينقصنا من المقومات الفنية للادب كالوحدة العضوية وصدق التصوير و الفن المسرحى و الموضوعات الاجتماعية .

ثانيهما : أن لا يطمس هذا الاقتباس شخصية أدبنا وخصائصـه فيطغى أدب الغرب علينا و يطمس وجه أدبنا .

ويفقـد أدبنا العربى شخصيته الأخلاقية وموسيقاه الجميلة الناضجة، هذا وإن من يجرد أدبنا العربى من شخصيته الأخلاقية إنما هو داعية هدم لأن الطابع المميز لأدبنا هو أخلاقيته .

أسأل الله أن ينفعنا بما نسمع و ما نقول

و أن يصون تراثنا من الأيدى العابثة و الأفكار الهدامة ، و صلى الله عـلى النبي الكريم الذى أدبه ربه بأدب القرآن .

مبادىء فى الأدب و الدعوة

عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى
أستاذ فى كلية الشريعة و الدراسات الاسلامية
قسم الدعوة والدراسات العليا ـ بمكة المكرمة

الحمد لله منزل أعظم البيان فى القرآن ، كتابه المعجز للانس و الجن ، و لو اجتمعوا للاتيان بمثله و كان بعضهم لبعض ظهيراً .

و الصلاة و السلام على سيدنا محمد خاتم أنبياء الله و رسله ، أفصح الناس لساناً و أعظمهم بياناً ، و أرفعهم أدباً .

و الصلاة و السلام على سائر الأنبياء و المرسلين الذين آتاهم الله من البيان البليغ الحكيم فى مختلف فنون القول ما حققوا به الحجة الدامغــــة على أقوامهم ، فقطعوا بذلك أعذارهم ، فلم يبق لهم عذر يعتذرون به فى رفضهم الاستجابة لنداء الدعوة إلى الله و إلى تطبيق شريعته لعباده .

(١)

إن مفتاح استخدام الأدب فى الدعوة إلى الله و إلى التزام شريعته نجـده فى البيان القرآنى المعجز ، و فى الأدب الرفيع الرائع الذى نلاحظه فى أقوال الرسول محمد ﷺ ، وفى آداب سائر الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة و أتم التسليم .

١ — ما البيان القرآنى المعجز فقــــد كان المنبع الثر الذى تأصلت على فنون أدبه علوم البلاغة (المعانى و البيان و البديع) و كان الشمس التى اقتبس من أنوارها مقتبسو فنون الآداب الرفيعة ، فى اللسان العربى ، ومن تأثر باللغة العربية بعد ذلك من الناطقين باللغات الأخرى .

إن أعلى أدباء العربية كعباً فى سبك الجمل و تقسيمها و رصفها و اختيار الكلمات فى مواطنها ، هم المتنفعون بما فى القرآن من سبك و تقسيم و رصف و انتقاء بديع للكلمات بحسب مواضعها .

و إن المستخدمين للأمثال و التشبيهات و الاستعارات الرفيعة الرشيقة الحلوة باتقان و إبداع هم تلاميذ مدرسة الأمثال و التشبيهات و الاستعارات القرآنية .

و إن المتفوقين بأساليب الحوار و الجدال القرآنية هم أكثر أهل الحوار و الجدال أدباً رفيعاً ، و حساً مرهفاً فى تصيد أساليب الاقناع . و طرائق إقامة الحجج الدامغة ، و معرفة أحكم الكلام و أقرب السبل للوصول إلى محاصرة الفكر و النفس و أعمق المشاعر لدى من يوجه لهم الخطاب بحسب أحوالهم .

و هكذا إلى سائر فنون الأدب و فنون القول ، باستثناء الشعر القائم على الوزن و القافية ، الذى ابتعد عنه القرآن عمداً ، نظراً إلى أحوال معظم الشعراء الذين يهيمون فى كل واد ، و نظراً إلى تصورات الناس السائدة للشعراء ، والقائمة على أن للشعراء شياطين يوحون لهم بشعرهم .

و فى مجال الحديث عن إعجاز القرآن الأدبى البلاغى و انتفاع معظم الأدباء الناطقين بالعربية منه ، نذكر أن أدباء نصارى بلاد الشام حتى أدباء المهجر منهم قد اقتبسوا من القرآن العظيم معظم آدابهم ، وإن أبرعهم قد كانوا من الذين يحفظون القرآن كله أو بعضه ، أو اعتنوا بتذوق بلاغته و رفيع آدابه .

٢ ــ و أما روائع أقوال الرسول ﷺ فقد كانت معلماً عظيماً لكثير من الأدباء عبر تاريخ الأدب العربى ، إلى أن استغرب الأدب العربى القومى المعاصر بوافدات الآداب الغربية .

و كان معظم الأدباء و الكتاب يزينون كلامهم و جميل آدابهم بفقرات من

أقوال الرسول ﷺ ، و حظ التزين بهـا أكبر من حظ كل المختارات الأخرى من شعر الناس و أمثالهم السائرة و حكمهم المأثورة المتوارثة .

٣ — وفيما أثر عن الأنبياء و المرسلين السابقين عليهم أفضل الصلاة و أتم التسليم مما لم يدخله التحريف و تفسده الترجمات يلاحظ المتتبع آداباً رفيعة كانت قمة البيان فى عصورهم .

إن فى بعض مزامير داوٗد عليه السلام التى نقرأها فى كتب أهل الكتـاب ما يدل على أن أصولها قد كانت أدباً رفيعاً من الترانيم و الدعاء والصلوات وأنواع التسبيح و المناجاة لله تعالى .

و إن فى حكم عيسى عليه السلام وأمثاله التى كان يضربها للناس آداباً رفيعة أيضاً ، و كانت أمثاله عليه السلام ذات تأثير عظيم فى الناس .

و شعيب عليه السلام كان ذات بيان بارع وأدب خطابى رفيع ، حتى اشتهر بأنه خطيب الأنبياء .

و إبراهيم عليه السلام قد آتاه الله بيان الحجة ، و أدبها الرفيع ، والقدرة على المناظرة ، والبراعة فى الجدال ، حتى قال تعالى فى شأنه فى سورة (الأنعام) :

« وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم عـلى قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم » (٨٣) .

فهذا يدل على أن الله قد آتى إبراهيم عليه السلام بيان الحجة الربانية و ما يتطلبه هذا البيان من أدب رفيع مؤثر ، و يدل عـلى أن هـذا النوع من الأدب البيانى هبة ربانية رفيعة الدرجة بين الهبات نرفع درجات من نشاء .

و نوح عليه السلام قد آتاه الله بياناً رفيعاً . و قـدرة عظيمـة فى أدب الجدال الحكيم ، حتى أعجز قومـه فى هذا المجال ، فقالوا كما أخبرنا الله تعالى فى سورة (هود) :

« یا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (٣٢)
« قال : إنما يأتيكم به الله إن شاء و ما أنتم بمعجزين (٣٣) .

و موسى عليه السلام طلب من ربه أن يحل عقدة من لسانه ليفقه قومه قوله ، و طلب أن يرسل معه أخاه هارون وزيراً له فی دعوته ، و قال : هو أفصح منی لساناً .

و قد قص الله علينا ذلك فی سورة (طه) فقال تعالى حكاية لقول موسى :

« قال : رب اشرح لی صدری (٢٥) و يسرلی أمری (٢٦) واحلل عقدة من لسانی (٢٧) يفقهوا قولی (٢٨) و اجعل لی وزيراً من أهلی (٢٩) هارون أخی (٣٠) أشدد به أزری (٣١) و أشركه فی أمری (٣٢) » .

و قال تعالى أيضاً فی حكاية قول موسى فی سورة (القصص) :

« قال : رب إنی قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون (٣٣) و أخی هارون هو أفصح منی لساناً فأرسله معی ردءا يصدقنی إنی أخاف أن يكذبون » (٣٤)

أمثلة من آداب الرسل البيانية :

و يطيب لی أن أعرض هنا نموذجين من آداب الرسل البيانية عليهم الصلاة و السلام :

الأول :ـ من أقوال الرسول محمد ﷺ ، عن أبی موسى الأشعری ـ رضی الله عنه ـ قال : قال النبی ﷺ : مثل ما بعثنی الله به من الهدى و العلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ و العشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا و زرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى ، إنما هی قيعان ، لا تمسك ماء و لا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه فی دين الله و نفعه ما بعثنی الله به فعلم و علم ، و مثل

من لم يرفع بذلك رأساً و لم يقبل هـدى الله الذى أرسلت به » ، رواه البخارى و مسلم.

الثانى :ـ من أمثال عيسى عليه السلام ، إذ ضرب مثلا مشابهـا فيما يروى « لوقا » فى الاصحاح الثامن :

ضرب عيسى عليه السلام مثلا لهداية الرب بزرع الزارع ، فقسم منه سقط على الطريق فلم ينبت إذ داسه الناس و أكلته الطيور ، و قسم آخر منه سقط على صخر فلما نبت فى التراب القليل الذى عليه مع شئ من الرطوبة أسرع إلى الجفاف لأن الصخر غير صالح للنبات ، وقسم ثالث منه سقط فى وسط الشوك فنبت ونبت معه الشوك و لكن الشوك غلبه فخنقه ، و قسم رابع منه سقط فى أرض صالحة ، فنبت نباتاً حسناً و أعطى ثمراً مئة ضعف .

ثم شرح عيسى عليه السلام لتلاميذه هذا المثل ، فأبان لهم أن الزرع هو كلام الله ، و إن الذى سقط على الطريق منه هو الذى يسمعه قوم فيأتى الشيطان فينتزعه بوساوسه من قلوبهم لئلا يؤمنوا ، و أن الذى سقط على الصخر منه هو الذى يسمعه قوم و يقبلونه أولا ثم يرتدون عنه ، لأن نفوسهم قاسية متى وضعت موضع الامتحان العملى لاكتشاف نتيجة الاستجابة الأولى لديهم رفضوا الطاعة ، و نقضوا إيمانهم ، و أن الذى سقط بين الشوك هو الذى يسمعه قوم و يقبلونه وينبت نباته فيهم ،لكن أهواء نفوسهم وشهواتها ولذات الحياة تتغلب على مطالب إيمانهم من الأعمال فتخنقها و تقتلها ولا تسمح لها بالحياة ، و أن الذى سقط فى الأرض الصالحة الجيدة هو الذى يسمعه قوم صالحون صابرون فيحفظونه و يعملون بمقتضاه.

و من روائع أدب عيسى عليه السلام قوله كما يروى « لوقا » فى الاصحاح التاسع : .

« ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله و أهلك نفسه أو خسرها »
٢٦ / ٩ / لوقا .

(٢)

المطلوب من الدعاة إلى الله :

فالمطلوب من الدعاة إلى الله أن يتذوقوا الأدب ، و يعرفوا أصوله و قواعده و يطلعوا على أساليبه و فنونه ، و يتدربوا عليها ، و يمارسوها فى مجالات الدعوة ضمن المأذون به شرعاً ، ليكون تأثيرهم فى جماهير الناس أعمق و أوسع ، مع ما يشتمل عليه أدبهم من حق و إقناعات منطقية مغلفة بزينات فكرية أدبية ، و لمسات عاطفية مؤثرة حلوة .

إن الأدب وسيلة ذات جدوى مؤكدة فى نفوس الناس و أفكارهم و قلوبهم وهو من الحكمة والموعظة الحسنة التى أمر الله بها فى قوله فى سورة (النحل ١٦) :
« أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين (١٢٥) » .

إن الحكمة بمعناها العام تقتضى وضع الأشياء فى مواضعها ، وإن أرفع البلاغة و أسمى الأدب البيانى لا يتحققان إلا بمطابقة الكلام لمقتضى حال من يوجه له .

فالكلام البليغ و فنون الأدب الرفيع من الحكمة المطلوبة بالنص القرآنى لدى الدعوة إلى سبيل الله ، يطالب كل إنسان بها على قدر مستطاع .

و الموعظة الحسنة لا تتحقق فى معظم أحوالها إلا مقترنة بأدب بيانى حسن مؤثر يناسب حال من توجه له الموعظة .

فهذا النص القرآنى يدل على وجوب استخدام الأدب وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله .

والأصل فى كل أتباع محمد ﷺ الذين آمنوا برسالته واتبعوه أن يكونوا دعاة إلى الله، كل منهم بحسب موقعه وعلى مقدار علمه، يدل على هذا قول الله تعالى لرسوله محمد ﷺ فى أواخر سورة (يوسف) : .

« قل : هذه سبيلى : أدعو إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعنى و سبحان الله ، و ما أنا من المشركين (١٠٨) ».

فسبيل الرسول و من اتبعه تتلخص بثلاثة عناصر :

العنصر الأول :— الدعوة إلى الله على بصيرة ، و البصيرة فى هذا المجال تشمل المضمون و أسلوب البيان قولا وعملا و البصيرة فى أسلوب البيان تستوجب اتخاذ الأدب وسيلة للتأثير .

العنصر الثانى :— تنزيه الله ، و قد دل عليه فى النص « و سبحان الله »

العنصر الثالث :— اعلان التبرؤ من الشرك كله ، فى الاعتقاد ، و القول و الارادة و العمل ، و قد دل عليه فى النص : « و ما أنا من المشركين » .

هذه هى سبيل الرسول و من اتبعه مخلصاً صادقاً .

لذلك يجب على الدعاة المتخصصين فى الدعوة و المتفرغين لها ، و المضطلعين بالمهمة التى أمر الله بها فى قوله فى سورة (آل عمران) : .

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر و أولئك هم المفلحون (١٠٤) »

يجب عليهم أن لا يستهينوا بأمر اتخاذ الأدب وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله ، و يجب عليهم أن لا يدعوا الساحة الانسانية لدعاة الشر و الفتنة و الفساد فى الأرض ، يستخدمون فيها الأدب على اختلاف فنونه النثرية و الشعرية بما فى ذلك القصة و الحوار و التمثيليات ، و أدب الجدال و المناقشة .

إن مما يؤسف له أن يحتل معظم الساحات الأدبية دعاة الشر و مروجو الفتنة و الفساد فى الأرض ، لافساد الناس و إضلالهم و نشر الالحاد و الكفر و الفواحش بينهم ، و هم يحملون شعار الأدب للأدب و الفن للفن ، مع أن أدبهم و فنهم الذى يزعمون أنه متجرد ، إنما هو أدب و فن ملتزم موجه يحمل شعار التجرد ، ولكن التزامه إلحادى أو إباحى أو فوضوى أو عنصرى أو أى مبدأ من المبادىء المنافية للحق و الخير و الفضيلة ، و هو مسخر و موجه لتحقيق أهداف معينة ، و يتلاعبون فى المصطلحات فيجعلون الأدب الملتزم فى معظم أقوالهم هو الأدب الدينى أو الأخلاقى ، ويجعلون الأدب الآخر هو الأدب غير الملتزم ، ويكتمون التزامه اللاأخلاقى .

ونذبه هنا على أن اليهودى الصهيونى ، « جان بول سارتر » قد استخدم قصصه و تمثيلياته و ما برع فيه من فنون أدبية لبث الالحاد ضمن فلسفته الوجودية الملحدة ، مع ما فيها من تفاهة فكرية و متناقضات و سبح فى عالم « اللا معقول » فأثر فى جماهير الشباب و المراهقين من مختلف الشعوب أيما أثر .

و نظيره كثيرون ، وقد جند المفسدون فى الأرض كتاباً كثيرين لملء براج الاذاعة و التلفزيون و صفحات الدوريات بهـذا الأدب غير الاخلاقى بغية نشر الاباحية و الالحاد و الأفكار و المذاهب الهدامة (١) .

---

(١) بما أن هذا البحث القيم مستفيض يغطى نحو مأة صفحة ، اكتفينا فى هذا العدد بمقدمة البحث التى تعطى صورة واضحـة للموضوع بأكمله ، و سننشر البحث فى أعداد المجلة تباعاً باذن الله تعالى ،

« التحرير »

منهج التربية الاسلامية فى ضوء الكتاب و السنة

سماحة الشيخ عبد الله بن على المحمود
الرئيس العام لمركز الدعوة الاسلامية بالشارقة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على رسوله محمد و آله و صحبه أجمعين و من تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فما أحوج المسلمين إلى مثل هذا اللقاء . . لقاء تتلاقى فيه القلوب المؤمنة على الحب و تتواصى فيه الجماعات المسلمة بالحق و الصبر .

إنها ظاهرة من ظواهر الايمان الذى يربط بين إخوة الاسلام ، و صحوة إسلامية تهيب بنا أن ننهض و نتصدى لما يحاك ضدنا فى هذه الأيام . . وانعقاد هذا المؤتمر فى الهند وبدعوة من ندوة العلماء فى لكهنؤ و باشراف العالم العامل أخى أبي الحسن الندوى ، كل ذلك يؤكد ما يتمناه كل مسلم غيور من هذا المؤتمر ويعزز ثقتنا فى ندوة العلماء التى دعت إلى هذا المؤتمر .

إن تنوع الموضوعات المطروحة للبحث و عمق الدراسات المقترحة للكتابة والشرح تفتح أمامنا آفاقاً جديدة و تقودنا فى النهاية إلى الحياة الاسلامية الرشيدة ، حياة تستمد من القرآن الكريم عناصر نموها ورقيها و تسترشد بالسنة النبوية الشريفة فى بناء مجتمعها و تربيتها .

لقد تعثرت خطوات هذه الأمة ردحا من الزمان غير قصير تعثرت و تخبطت فى دروب المناهج المستوردة ، وفى ظلمات النظريات البشرية التائهة ، حدث كل ذلك حين أعرض المسلمون عن منهج القرآن فى التربية وعن منهج الرسول فى التوجيه والقيادة ، و حين نكب المسلمون بطائفة من أدعياء العلم و الثقافة فاستعاروا لنا ثياباً لا تستر عورة ، و ولوا وجوههم إلى الغرب بفلسفاته التى لم تزد أهله إلا شقاء وتعاسة .

لقـــد قرأنا كثيراً من كتب الفلاسفة و قرأنا ما كتبوه فى مجال الأخلاق و التربية و سمعنا و قرأنا ما كان يحاوله « أفلاطون » فيما يسمى بالجمهوريه الفاضلة لقد فشل الرجل و خاب مسعاه، و هـــذا شأن البشر فى كل عمل بشرى و دليل العجز و القصور فى أى تشريع وضعى .

لقد سئل عالم مسلم: هل قرأت أدب النفس لأرسطو ؟ فقال . لا بل قرأت أدب النفس لمحمد ﷺ ، فالمسلم ليس بحاجة إلى أدب ينقصه الأدب وعنده فى الكتاب و السنة ما يكفى لتربية العجم و العرب .

لقد حدد رسول الاسلام عليه أفضل الصلاة والسلام الغاية الأولى من بعثته فى كلمة مبينة واضحة فقال ﷺ : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

إن العبادات التى شرعت و اعتبرت أركاناً للايمان ليست طقوساً تؤدى شأنها فى أى دين آخر بل هى — فوق كونها عبادات و أركاناً للايمان — دروس يومية للتدريب على أصول التربية والأخلاق ، نرى ذلك واضحاً فى قوله تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » فالابتعاد عن الرذائل و التطهر من سوء القول والعمل هو حقيقة الصلاة ، لذلك يقول الله عزوجل فى حديث قدسى : (إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى و لم يستطل على خلقى و لم يبت مصراً على معصيتى و قطع النهار فى ذكرى و رحم المسكين و ابن السبيل و الأرملة و رحم المصاب) .

نرى ذلك فى فضيلة الزكاة أيضاً أن الغاية من هذه الفريضة ليست إخراج قدر معين من المال بقدر ما هى تدريب نفسى لغرس مشاعر الحنان و التعاطف بين بنى الانسان ، لهذا يقرر القرآن أن كلمة طيبة خير من عطاء يتبعه أذى وإساءة فيقول : « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » إن الغاية هنا أخلاقية بحتة . نجد ذلك واضحاً فى هذا التفسير النبوى لمعنى الصدقة و شمول هذا التفسير لـــكل

معانى الخير والفضيلة ، يقول النبى ﷺ (تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، و أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة ، و إفراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة ، وبصرك الرجل الردىء البصر لك صدقة) هذه الصور كلها تؤكد المعنى العميق لذى اختاره النبى أسلوباً للتربية وتأكيد معنى التعاطف و التراحم بين أبناء الأمة الاسلامية الواحدة .

وفى الصوم نرى بوضوح ذلك الأسلوب الالهى الفذ فى التوجيه والتربية ، إن الغاية من الصوم كما يؤكد القرآن هى التقوى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » و لتفسير كلمة التقوى التى هى الغاية من الصوم شرح طويل نكتفى منه بما قاله الامام على رضى الله عنه : التقوى هى الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل » إن واحدة من هذه الثلاث كافية لصياغة الانسان صياغة تتفوق و تتأبى على كل النقائص و السفاسف فى هذه الدنيا . . فالصيام كما يقول النبى ﷺ : « ليس الصيام من الأكل و الشرب إنما الصيام من اللغو و الرفث فان سابك أحد أو جهل عليك أحد فقل إنى صائم » .

و قد يظن بعض من لا فقه له فى الدين وفى عبادات هذا الدين أن الحج ليس إلا رحلة إلى البقاع المقدسة يطوف فيها الانسان و يسعى بين الصفا والمروة لا أن للحج غاية و حكمة فوق هذه المظاهر و الصور . « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب » . إنها التقوى مرة ثانية بمعانيها الجياشة الثلاثة بمكارم الأخلاق و التربية .

و لقد غابت عن كثيرين من الناس حكمة إلهية بالغة بالنسبة لزمان و مكان أداء هذه الفريضة ، إن أماكن الحج كلها فى مكة و المشاعر القريبة منها فلا يجوز

لأحد أن يعتدى على أحد حق بالكلمة فى رحاب هذه البقاع المقدسة ، لكن ماذا بالنسبة لمن لم يستطع أداء الحج و عجز عن توفير نفقة هذه الرحلة المقدسة ولم ينعم بما ينعم به الحجيج من الأمن و الطمأنينة . . ؟

لقد صاحبت هذه الحرمة المكانية و الزمنية بالنسبة لمكة . . حرمة زمانية أخرى أعم و أشمل لكل الانسانية ، فالأشهر الحرم التى يدخل الحج فى دائرتها الزمانية هى أشهر حرام فيها القتال والنزاع فى أى بقعة من بقاع الكرة الأرضية ، إنها هدنة إلهية تفرض على جميع بنى البشر ليراجعوا فيها أنفسهم وتستقر فيها خواطرهم وتهدأ فيها مشاعر الغضب و الاقتتال الكامنة فى أعماقهم و فى هذا ما يساعد على التفكير المادى لمراجعة النفس و استنهاض الهمم للسعى للتفاوض و الصلح و الحث على إحلال الوفاق و الحب مكان التنابز بالألقاب و السيف . . إنها تربية إلهية كونية تشمل بركاتها الناس كافة وتذكر الانسان أى إنسان بما يجب أن يكون عليه نحو الله خاصة ، إن لكل أمة بنياناً وأساساً تقوم عليه هذه الأمة و يحدد معالم هذه الأمة و شخصية هذه الأمة . . و فى مناهج التعليم و التربية تتضح ملامح هذا البنيان و الأساس الذى تنهض على قوائمه و أركانه هذه الأمة .

وقد حدد القرآن لأمة الاسلام ملامحها المميزة على غيرها من الأمم وأوضحت السنة النبوية هذه الملامح قولا و عملا و سلوكاً و واقعاً و من أجمع الآيات القرآنية لكثير من هذه الأسس والملامح قوله عز وجل : « إن الله يأمركم بالعدل و الاحسان و إيتاء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى يعظكم لعلكم تذكرون » فى هذه الآية الواحدة كما يقول العلماء أقوم منهج للسلوك و التربية ، فقد أخرج الماوردى و أبو نعيم عن عبد الملك بن عمير قال :

بلغ أكثم بن صيفى مخرج رسول الله ﷺ فأراد أن يأتيه فأبى قومه فانتدب

رجلان فأتيا النبى ﷺ فقالا : نحن رسل أكثم يسألك من أنت و ما جئت به؟ فقال النبى ﷺ : (أنا محمد بن عبد الله . . عبد الله و رسوله . . ثم تلا عليهما هذه الآية :

« إن الله يأمركم بالعدل و الاحسان و إيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى يعظكم لعلكم تذكرون » . . فقالا : أردد علينا هذا القول فردده عليه الصلاة و السلام عليهما حتى حفظاه فأتيا أكثم بن صيفى فأخبراه فلما سمع الآية قال : إنى لأراه يأمر بمكارم الأخلاق و ينهى عن مذامها فكونوا فى هذا الأمر رؤساً و لا تكونوا فيه أذناباً .

و لكون هذه الآية أما للفضائل جامعة لفروعها أقامها عمر بن عبد العزيز حين آلت إليه الخلافة مقام ما كان خطباء بنى أمية يأتمون به من سب الامام « على » فى أواخر خطبهم وكان ذلك من أعظم مآثر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، و لقد قال بعض أولى العلم : لو لم يكن فى القرآن غير هذه الآية لكانت كافية فى كونه تبياناً لكل شئ و هدى و رحمة ، و لذا جاءت عقب قوله تعالى : « و نزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ و هدى و رحمة و بشرى للمؤمنين »

فاذا لسنا بحاجة إلى مناهج مستوردة أوالأخذ بأسلوب الغير فى التربية ، افتحوا القرآن افتحوه بقلوبكم قبل أن تفتحوه بأيديكم و انظروا ماذا يقول فى أمور دينكم و دنياكم و اقرأوا الحديث ثم انظروا هل ترك من شئ تحتاجون إليه فى النهوض بمعارفكم و تربيتكم . . ؟

لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا أبدا . . كتاب الله و سنة رسوله . . . .

و الله يرعاكم و يوفقكم ، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

شعر الصحابــة ، مدى العنــايــة بــه

معالى الأستاذ عبد العزيز الرفاعى (الرياض)

برغم الأهمية البالغة لأولئك الرجال الأفـذاذ الذين اضطلعوا بنشر الاسلام و دعمه ، و ساندوا الرسول العظيم ، عليه أفضل الصلاة و التسليم ، و سخروا من أجل الدعوة الاسلامـيــة المثالية ـ سيوفهم و ألسنتهم ، و بذلوا النفس و النفيس ، برغم كل ذلك ، بل برغم العناية البالغـة التى بذلها رجال الحــديث لتتبع حيوات الصحابة ، و أخبارهم و أحوالهم و مآثرهم ، فقد كان معظم العناية بهم منصباً على أخبارهم التى تتصل بالسيرة النبوية الشريفة .. فاذا عرجوا على غير هذه الأخبار فانما يفعلون ذلك استطراداً لا قصــداً و إجمالا لا تفصيلا ، و هم فى ذلك ـ بلا شك ـ معذو ون ، فليس من أهدافهم أن يعمدوا إلى الناحية الأدبية أو الشعرية ليفيضوا فيها و يفصلوها .

فاذا تركنا ما ضمته كتب تراجم الرجال التى وضعت عن الصحابة خاصة مثل : الاصابة ، و أسد الغابة ، والاستيعاب .. لم نجد عبر التاريخ الأدبى الطويل من عنى بهـذا الجانب إلا الأصفهانى فى كتــابه (الأغانى) الذى كان لا يدخر وسعاً ، ـ إذا سنحت الفرصة ـ للحديث عن صحابى شاعر ، أن يترجم له ، وأن يلم بما اتصل من أخباره ، يفعل ذلك بكل ما فى وسعه من تفصيل .

و مع ذلك ، فان عناية الأصفهانى تظل رهن الفرص . . التى قــد تسنح

للحديث عن الصحابى الشاعر ، وقد لا تسنح . . وقد تنصب اهتمامات الأصفهانى على جانب دون جانب .

أما أولئك المؤلفون الذين اهتموا بأخبار الشعراء ، أو الذين جمعوا المجاميع من أشعارهم ، فقد كان جهدهم محصورا فى دائرة اهتماماتهم و من هذه الاهتمامات ، أن يعمد المؤلف إلى شعر الحماسة ، كما فعل أصحاب الحماسات .، كحماسة أبى تمام ، و حماسة البحترى ، و غيرهما ممن سلك سبيلهما .

و منها أن يعمدوا إلى الاختيار فيما يعتقدونه أمثل أو أبلغ أو أعـذب كما هو فى المفضليات و الأصمعيات . . و منها من عنى بشعراء القبائل كما فعل صاحب أشعار الهـذليين ، و منها صنـاع الدواوين الذين أضاع الزمن معظم ما صنعوه من دواوين .

و منهم من عنى بطبقات الشعر والشعراء ، فنظمهم طبقات معينة .. متخذاً إلى غايته نظرة خاصة ينظر إلى تلك الطبقات من خلالها .

و من كل هذه النماذج التى قدمتها عن اهتمام القدامى بأخبار الشعراء و جمع أشعارهم . لا نجـد من اهتم بجمع شعر الصحابة فى كتاب خاص . أو تخصيص شعراء الصحابة بمؤلف قائم بذاته ... هذا بحسب اطلاعى وعلمى . وأبادر فأعترف أنه اطلاع ضئيل محدود . . . و أنه فوق كل ذى علم عليم .

هذا فى القديم ، أما الحديث . . فله حديث . . .

على أنه قبل أن يتشقق القول . . أجـد أن من الطبيعى أن أطرح سؤالا :

ـ لماذا لم يهتم الأدباء القدامى بهذه الناحية ؟ و ما مبعث اهتمامنا الآن بها ؟ . .

و الجواب : عن الشق الأول من السؤال

أن اهتمام الرواة فى بدء حركة التدوين ـ كان منصباً ـ بالدرجة الأولى ـ على

شعر الجاهليين .. لما فى هذا الشعر من قوة و جزالة و نصاعـة لغة حتى ليبلغ من تعصب بعضهم لهذا الشعر أن يسقط الاستشهاد اللغوى بما عداه .

ثم تعلق التدوين ـ بعد ذلك ـ بارضاء الخلفاء وعلية القوم . . و نظر إلى الشعر من زوايا متعددة ، قد يطول الحديث عنها . . ثم تشعبت الثقافات والاهتمامات بحيث لم يعن بجمع شعر الصحابة وحده حتى العهد الأخير

أعود فأقول : إن هذا فى حدود علمى و اطلاعى ، أو فى حـدود ما نشر من المجموعات الشعرية المصنفة بحسب الفئات .

أما فى العهود الأخيرة ، فقد بزغت طلائع طيبة للاهتمام بجمع شعر الصحابة وشرح هذا الشعر ، ولعل أول من فعل ذلك الشيخ على فهمى بن شاكر الموستارى المعروف بجابى زادة ، و قد توفى منذ حوالى ثمانين عاما ، و هو فيما يبـدو من علماء بوسنه (١) فى يوغوسلافيا أيام كانت تابعة للحكم العثمانى . و قد ولى الافتاء فى بلاد الهرسك ، ثم دار الفنون معلماً للأدب العربى ، و ذلك حينما وضع كتابه (حسن الصحابة فى شرح أشعار الصحابة) ، وقد صدر من هذا الكتاب جزؤه الأول الذى طبع فى دار السعادة بروش مطبعى سنة ١٣٢٤هـ ، ولم يصدر بعد هذا الجزء شئ . . . و لكن يدل ما ذكره الأستاذ خير الدين الزركلى فى كتـابه (الاعلام) ، أنه من ثلاثة أجزاء و أنه أتم تأليفـه عام ١٣٢٦هـ و مرجعـه « الجوهر الأسنى فى تراجم و شعراء بوسنة » .

و قد قدم للكتاب و قرظه الشيخ محمد خالص بن محمد الشروانى ، بكلمـة قيمة استعرض فيها بايجاز تاريخ حركة جمع الأشعار و الاهتمام بها ، و أشار إلى أسبقية المؤلف حينما وضع هذا الكتاب فقال : (و لعمرى . . إنه قد أحسن

---

(١) : يراجع الأعلام ، ترجمة على فهمى .

ـ فى هذا ـ غاية الاحسان ، وأجاد نهاية الاجادة ، إذ اختار من أشعار الأخيار و ما هو أجدر بأن يسمى « صحابة الأشعار » و لم يسبق إليه رواة الشعر و علماء الأدب ، و إن كانوا قد جمعوا دواوين الشعراء الجاهليين والمخضرمين و الاسلاميين و المحدثين و المولدين و مختارات القصائد ، و المقطعات كالمفضليات و المعلقات و الحماسة وغيرها ، وشرحوها ، إلا أنه لم يخطر ببال أحد منهم مثل هذا الصنيع ، وهى فضيلة ادخرها الله سبحانه وساقها إليه) .

هذا ماقاله الشيخ الشروانى ، وقد أحسن الالتفاتة إلى هذه الأولوية فى قوله : « إن الله سبحانه ادخرها لهذا الرجل » أما المؤلف نفسه فيقول فى مقدمته :

« لما كان الشعر ديوان الأدب ، و دستور كلام العرب ، إليه يرجع فى حل المشكلات ، و به يستعان فى كشف المعضلات ، وكان قد روى عن أصحاب رسول الله ﷺ ، شئ كثير منه ، وقع فى خلدى أن أجمع منه ما يتيسر جمعه عما تفرق فى بطون أوراق السلف ، و تشتت فى سطور أقلام الخلف ، مما قالوه فى التوحيد و الثناء على الله و إعلاء كلمته ، و مدح الرسول ﷺ ، و بيان ما عاينوه من معجزاته ، و إظهار ما تحملوه من المكابد و المشاق ، من قطع الصحارى والفيافى على الأنيق النواجى الضوامر المسارى فى وفودهم عليه فى بدء إسلامهم . . . و ما ارتجلوا به بديهة عند رؤية طلعته الباهرة . . . و ما ارتجزوا فى مصاف الحروب . . و ما هاجوا به أهل الشرك . . . وما نطقوا به فى المواعظ والحكم . . . و ما شببوا و تغزلوا فى غير منكر »

و بهذه العبارات يحدد المؤلف هدفه فى تأليف كتابه . . .

ثم يؤكد المؤلف أنه لم ير كتاباً مستقلا مفرداً بأشعار الصحابة ، وأنه تردد

حين إزماعه وضع هذا الكتاب لأنه سيسلك سبيلا لم يوطأ . و لكنه عاد فتذكر قول الشاعر . كم ترك الأول للآخر، فصدق العزم ، ومضى فى سبيل هدفه قائلا :

« إذا كانت النية ذكر ما للصحابة من المفاخر ، وكان الله هو المعين والناصر فقد تيسر ما لم يتيسر للماضى و الغابر » .

و لم يفته أن يذكر فى مقدمته أهم مصادره. . أما منهجه فى كتابه فهو جمع أشعار الصحابة ، و تصنيفها على حسب القوافى بادئاً بقافيـة الهمزة ، و الكتاب المطبوع الذى بين أيدينا يصل إلى قافية الدال .

وهو يترجم للصحابى ، عند أول ما يذكره من شعره كما شرح الأشعار شرحاً حسناً .

و أحسب أن لو رتب المؤلف كتابه على الترتيب الألفبائى لأسماء الصحابة ، لكان أولى ، إذ يجمع شعر كل شاعر فى مكان واحد ، بدلاً من تفرقتـه على أبواب القافية .

بيد أن هذا لا يقلل من نفاسة الكتاب و لا قيمته الكبيرة .

و المؤلف يصرح فى مقـدمته أنه لم يذكر من أشعار الصحـابة فى الجاليـة إلا ما ندر ، مما لم يكن فيه تظاهر بالشرك ، و لا هجو مقذع ، و معنى هذا أن الكتاب لا يضم شعر الصحابة كله ، ما دام المؤلف قد أسقط منه ما رآه خارجاً عن منهجه .

هذا ما وقفت عليه خاصاً بأشعار الصحابة . و قد علمت من صديق الأستاذ الباحث الدكتور عبد الله الجبورى ، أن هنا كتاباً طبع فى مدراس بالهند اسمـه « الانابة إلى شعر الصحابة » و لكنه لم يقف عليه ،

و لا شك أن الاخوة هنا فى الهند أعلم بهذا الكتاب ، الذى لا يسعنى أن أقول عنه شيئاً ما لم أقف عليه . . . و لكن لا يفوتنى أن أشيد بهـذا الاتجاه

الطيب المثمر ـ نجده بين العلماء و الأدباء المنود ، فكم لهم على العلم و الأدب من أياد يجب أن تذكر لهم بالشكر و التقدير .

و بعد . . . فلم نهتم بمثل هذا البحث ؟ أو فلأطرح السؤال بصيغة أخرى أقرب إلى المراد . . لم ندعو إلى العناية بمثل هذا البحث ؟ ؟ ؟ ؟

و الجواب : إننا و نحن فى مستهل هذا القرن الهجرى الجديد . و نحن ندعو إلى العودة إلى المنهج الاسلامى السليم . . . وإلى الأدب الاسلامى الناصع . . يجب أن يكون ضمن دعوتنا : العناية بشعر الصحابة و العناية بجمعه و شرحه ، و تمحيصه و إخراجه ، و الاهتمام به . فلا شك أننا واجدون به مثلا عليا ، و نماذج من المعانى الاسلامية و السلوك الاسلامى السديد . إلى جانب ثروته اللغوية و الأدبية .

ولا أجد خيراً من هذا المجال ، الذى ضم أعلاما من رجال الفكر والأدب فى العالم الاسلامى ، لكى أنادى باحتضان هذه الفكرة ، و لعل من بين أعلام هذه الجامعة المباركة ، من يندب نفسه لهذه المهمة الرفيعة . . .

و من الله نستمد ـ جميعاً ـ العون و التوفيق ، ، ،

تحديات التغريب فى مواجهة أصالة الأدب العربى

بقلم : الكاتب الاسلامى الكبير الأستاذ أنور الجندى

يواجه الأدب العربى فى الوقت الحاضر مجموعة من التحديات الخطيرة ، تحتاج إلى دراسة ومراجعة ، وتتطلب العمل على فتح الطريق إلى بناء منهج عربى إسلامى فى كتابة تاريخ الأدب العربى ونقده ، خاصة وإن المنهج الغربى الوافد ما زال مسيطراً على الدراسات الأدبية فى الجامعات و المعاهد و كليات الآداب و اللغة العربيـــة فى أجزاء كثيرة من بلادنا العربية الاسلامية .

وأعتقد أننا بدخول القرن الخامس عشر الهجرى ، قد دخلنا إلى عصر الأصالة و الرشد الفكرى الذى يدعونا إلى التحرر من الخضوع للمناهج الوافدة ، و خاصة بالنسبة للأدب العربى و اللغة العربية الفصحى ، لغة القرآن ، رغبة فى تحرر الفكر الاسلامى كله من المناهج الوافدة و التى فرضها التغريب و الغزو الثقافى .

و لا ريب أن مهمتنا فى هذه المرحلة من حياة أمتنا التعرف على ذاتنـــا و مزاجنا النفسى و طابع أمتنا و أدبنا و إبراز ذلك واضحاً أمام الأجيال الجديدة لتكون قادرة على شق طريقها فى وسط هـــذا الركام من المـــذاهب و الدعوات و محاولات التغريب و الغزو الثقافى و التحرر من التبعية للغرب فى شتى صوره ، و احتلال الارادة القادرة على ربـــط أدبنا العربى بالقرآن ليكون ذلك منطلقاً إلى تبليغ الاسلام للعالمين .

أولا : فساد نظريات النقد الأدبى الوافدة .

ثانياً : فساد خطة تحقيق التراث و تجديده .

ثالثاً : فساد منهج الترجمة من الآداب الأجنبية .

رابعاً : محاولات هدم اللغة العربية الفصحى .

خامساً : المؤامرة على عامود الشعر .

سادساً : انحراف القصة .

أولا : فساد نظريات النقد الأدبى الوافدة :

إن ما أصاب الأدب العربى المعاصر أنه وقع تحت تأثير المذاهب الأدبية الغربية فاحتوته فى مجالين كبيرين ، مجال تاريخ الأدب ومجال نقد الأدب ، فخضع لهذه المذاهب الوافدة خضوعاً شديداً . و لقد كان من أسوأ تحديات التغريب أن جرت المحاولة لعزله عزلا تاماً عن مجرى الأدب العربى منذ عصر الاسلام تحت اسم جديد وتيار جديد ، و بدأت الكتابات الأدبية كلها و كأنها منفصلة انفصالا تاماً عن الحلقات المتتابعة للأدب العربى بل إن الكتابات التى قدمها بعض الأدباء المتأثرين بالمذاهب الغربية بدت و كأنها منفصلة تماماً كدراسات أبى العلاء المعرى و المتنبى و ابن الرومى و غيرها

فقد جرت المحاولة لاخضاع الأدب العربى (القديم كما يسمونه) إلى مذاهب غربية كالمذهب التحليلى و المذهب النفسى و جرى إخضاع هذه الشخصيات و غيرها لهذه المذاهب مع الاختلاف الواسع و العميق بين العصور والبيئات كذلك ، فقد جرت المحاولات لاحياء شخصيات منكورة لا وزن لها فى تاريخ الأدب العربى الحقيق من أمثال الصعاليك و الزنادقة أمثال أبى نواس و بشار بن برد و الضحاك وحماد عجرد و غيرهم ، على أنهم كما أدعى التغريبيون يمثلون عصرهم أصدق تمثيل .

هذا هو الجانب الخطير الذى وددت أن أتحدث عنه فى مؤتمر إسلامى للأدب

العربى لا يغفل عن تحديات التغريب وأخطار الغزو الفكرى للأدب العربى وفرض نظريات بيكن وسانت بيف وبرونير، وهى نظريات قائمة على الفلسفة المادية المستمدة من نظرية دارون و ما بعدها و التى تنظر إلى الانسان على أنه حيوان شهوة أو معدة ، و هو بالقطع ليس كذلك فى مفهوم الفكر الاسلامى الذى يعتبر الأدب العربى حلقة من حلقاته وحبة من عقده ، فقد حاولت مدارس الاستشراق والتغريب التى فرضت نفسها على الأدب العربى أن تعطى (اللأدب) مجالا أكبر من حجمه الحقيق ، وتفسح له مكاناً أكبر من حق طبيعته فأصبح من الأدباء التحدث فى مختلف القضايا الاجتماعية و العقائدية و تقديم وجهات نظر فى مجالات لا يحسنونها وليسوا من فرسانها كالفقه و الشريعة و الأخلاق .

كذلك فان محاولة الدعوة إلى استقلالية الأدب عن الفكر فتحت الباب واسعاً أمام لا أخلاق الأدب و غلبة المفاهيم التى يسمونها الأدب للأدب والفن للفن وهى مفاهيم ينكرها الفكر الاسلامى تماماً ويردها رداً غير جميل ، فهى تحرر الأدب من طابع الأخلاق وتدفعه إلى تصوير الغرائز و الأهواء من غيرما قيد ، و ذلك باسم حرية الأدب وفى ظل هذه الدعوى اتسع الحديث عن الشعراء الاباحيين و الكتب التى تتصل بآثارهم أمثال ألف ليلة و الأغانى ، ومن هذه المصادر كتب طه حسين فصول كتابه (حديث الأربعاء) كما انفتح المجال أمام ترجمة القصص الغربية الاباحية والكشف عن جوانب الفراغ والعلاقات الشاذة فى المجتمع الغربى ، ومن ثم حفلت الكتابات الأدبية بالاستخفاف بالقيم الدينية و الأخلاقية و الغمز لكل ما يتصل بالعقيدة ، و السخرية بالفضائل و البطولات والدعوة إلى الأخلاق بدون حرج و الجراءة على المقدسات .

و انتهى هذا الانفتاح الخاطئ إلى بروز أسلوب الشك و استعلاء هذه

الدعوة واستشرائها فى أسلوب ماكر من أساليب الغزو الثقافى يراد بها وضع علامات استفهام متعددة أمام الشباب دون أن يجد إجابة صحيحة تهدى قلبه العفن أو ترضى نفسه البسيطة ، بل إن الدكتور طه حسين قد فاخر يوماً بأنه أخضع للشك بعض المعتقدات التى ورد ذكرها فى القرآن و أحاديث الرسول .

و لقد كان من أخطر الآثار التى ترتبت على سيطرة المنهج الغربى الوافد على الأدب العربى : ضعف أصالة البحث ، والتحفف من المصادر الأصيلة ، و الاعتماد على المصادر الزائفة من كتب المحاضرات وما سجله الرواة والقصاصون من أخبار ، من أجل ترويج آراء كاذبة مضللة ، و هى مؤلفات لم يكتبها علماء موثوق بهم ولم تكتب وفق أصول البحث العلمى ، وإنما جمعت للتسلية والترويح ، وقصد بها جمع الفكاهات و العظات و الأحاجى و القصص الكاذب لاغراق المجتمعات بالأوهام و الأباطيل .

ولعل الدكتور طه حسين هو أول من اقتحم هذا المجال حين اعتمد و دعا طلبته فى كلية الآداب بالاعتماد على كتاب الأغانى كما دعا المستشرقون إلى اتخاذ الف ليلة مصدراً لدراسة المجتمع الاسلامى وكذلك ثمار القلوب للثعالبى وهى كتب حافلة بكل فاسد وغث ، و ليست لها طبيعة المصادر العلمية .

و قد اتصل هذا الانحراف بسيرة الرسول ﷺ عند ما طبع طه حسين مذهبه على السيرة فأدخل إليها عشرات الأساطير التى لم يكن يعرفها العرب من قبل ، و لقد عاش المؤرخون المسلمون يحررون سيرة النبى ﷺ و ينقونها من كل شبهة ، حتى جاء طه حسين فأدخل إليها هذا الحشد الضخم من الأساطير والاسرائيليات التى خدعت الكثيرين حتى ظنوا أنها عمل أدبى رائع و إن كانت لم تخف على الباحثين منذ اليوم الأول ، و قد وصفها المرحوم مصطفى صادق الرافعى وصفاً صحيحاً حين قال : إن « هامش السيرة » تهكم صريح .

ثانياً : فساد تحقيق التراث و تجديده :

و فى مجال التراث الاسلامى الأدب العربى جرى التحريف والانحراف عن المنهج الصحيح فقد كانت حركة إحياء التراث قائمة منذ وقت طويل، وكانت ماضية فى طريقها الصحيح قبل أن يفد المنهج الغربى بمفاهيمه التى لا تتفق مع ذاتية الأدب العربى، و بمحاولاته الخطيرة فى إحياء جوانب معينة من تراث النحل و الفرق و أصحاب الشبهات الذين كان لهم دورهم الخطير إبان حركة الترجمة من الآداب اليونانية و الفارسية و غيرها، وخاصة الفكر الغنوصى و المجوسى و الوثنى، و لقد حرصت مدرسة النقد الأدب الغربى (طه حسين و أتباعه من بعده) على إحياء كل ما اتصل بالشبهات و الزنادقة و الغزل الحسى و الكتب الحافلة بالمفاهيم الوافدة من الثقافات الهندية و اليونانية القديمة، وجميعها ملتقى يهدف تدمير قيم الفكر الاسلامى الذى قام أساساً على التوحيد الخالص، ونظرة واحدة إلى هذه المؤلفات التى ابتعثت و التى أعيد إحياؤها تكشف فى وضوح عن الغاية و الهدف .

أولا : الفكر المعتزلى وكل ما يتعلق بمنطق أرسطو وفلسفة اليونان وتلك المحاولات التى قام بها الفارابى و ابن سينا للربط بين الفكر اليونانى و الفكر الاسلامى فى محاولات ثبت من مدها فسادها و عجزها .

ثانياً : إحياء كتاب ألف ليلة و ليلة و الأغانى و رسائل إخوان الصفا التى كاتبتها الباطنية .

ثالثاً : إحياء الفكر الوثنى المتصل بالتصوف فى كتابات الحلاج ومحى الدين بن عربى و السهروردى و ابن المقفع و جنيد بن إسحاق و ابن الراوندى .

رابعاً : إحياء شعر الخمر و الحسن باحياء شعر أبى نواس وبشار بن برد و الضحاك و حماد عجرد .

و دراسة عصرهم و محاولة القول بأنهم يمثلون عصرهم وإن هذا العصر الذى هو القرن الثانى للهجرة كان عصر شك و مجون كما قال طه حسين .

و هم حين يتحدثون عن التراث يغضون الطرف عامدين عن الغزالى و ابن تيمية و المتنبى و البيرونى ولا يذكرون إلا ابن سينا وابن رشد ، وحين يذكرونهما لا يذكرون آثارهم فى الطب أو الفقه وإنما يذكرونهم من حيث هم أتباع أرسطو ، و حين يذكرون المعرى يذكرون شعراً له يغمط التوحيد ويذكر التعدد ، وإذا ذكروا ابن حزم لم يذكروا غير كتابه طوق الحمام فى محاولة لاتهام الفقهاء بالحب ويتجاهلون المحلى فى أحد عشر مجلداً .

و هم بالطبع يكرهون ابن حزم وابن تيمية لأن المستشرقين الغربيين يكرهون هجومهم على الفرق الضالة التى طالما أيدوها و لا يذكرون المعتزلة إلا لأنهم ربائب الفكر اليونانى و أنهم أصحاب فتنة خلق القرآن ، ويدعون أن الاسلام قد ضعف بعد سقوطهم ، و يهاجمون الخليفة المتوكل هجوماً عنيفاً لأنه نصر السنة وقضى على فساد المنحرفين .

وحملت جماعة التغريب على كتب التراث الاسلامى وقالوا إن الكتب الصفراء تعوق تطورنا الفكرى وإنه من الخير أن تزول هذه المخلفات من الطريق بأن نقدمها للنيران .

و جرى التغريبيون على طريق المستشرقين و المبشرين فلم يحفلوا إلا بشاعر داعر أو فيلسوف منحرف أو بصوفى ضال ، أما الأصلاء جميعاً فقد أغضوا عنهم و هاجموهم و انتقصوهم ، و حاولوا الادعاء بأن العبقريات لم تكن عربية و إنما كانت فارسية ، ونسوا أن الاسلام هو الذى صنع العقلية التى قدمت هذا النتاج و أن العنصر لم يكن له دخل ، ورد إسماعيل مظهر عبقرية بشار هيار إلى أصلها الفارسى و ابن الرومى إلى أجداده الروم .

و حين عرضوا للجاحظ قـد روه فى كتابه البخلاء و هاجموا كتابه البيان والتبيين لأنه الكتاب الذى فضح شبهات الشعوبية ، وقد هاجم طه حسين وسلامة موسى كتاب البيان والتبيين بشراسه لاحدلها . واتهموه بكل نقيصة لأنه دل عليهم و كشف المعين الذى منه يغترفون شبهاتهم و أباطيلهم ، و جرى أمثال عبد الرحمن البدوى عن الملحدين و المنحرفين و عنى طه حسين بالمجان و الفســاق ، و غيره بشعراء الهجاء المقذع ، و أثارت هــذه الدراسات روح التشكيك فى الأدب العربى و اتهامه و التحامل عليه و إعلان أسوأ صفحاته القلقة والتوسع فيها كأنها الأدب كله والوقوف عند الشعراء و أدباء الصنعة ، و تجاهل ذلك الحصاد الضخم من الفكر و الثقافة و العلوم و الفقه و الأدب الرفيع الذى قدمه عشرات النوابغ .

بل إن طه حسين ذهب إلى أبعد من ذلك حين قال إن ما فى الأدب العربى من نثر فنى إنما أصله من الفرس ، و إن أعظم مقومات الأدب العربى و الفكر الاسلامى إنما استمــده من اليونان و الاغريق

و من البعث الزائف للتراث أعادة نشر رسائل إخوان الصفا الذى تأكد أنها من تراث الباطنية ، كما عمد لويس ما سينون إلى إحياء تراث الحلاج ، وما تزال بعض الفئات تعاود نشر ما أطلق عليه تفسير ابن عربى للقرآن ، وهو كتاب ملئ بالسموم ، و من هذا أيضاً تلاه الأكذوبة الخطيرة بنسبة عدد من أشعار الفرس القديمة إلى العالم الفلكى المجهود عمر الخيام ، و قد كشف الباحثون المسلمون فساد هذه المحاولات كلها .

و هناك محاولات أخرى أشــد خطورة فى مجال مث التراث و هى إعادة كتابة التراث بصورة تغريبية على النحو الذى قام به طه حسين فى كتبــه هامش السيرة و الفقه البكرى و الشيخان و غيرها ، فقد أخضع هذه الكتـابات لمذهب

التفسير المادى للتاريخ و جرت المحاولة لتطوير الصحابة رضوان الله عليهم على أنهم مجموعة من السياسيين المحترفين الذين يتصارعون على الحكم، فنحن فى تحريف التراث بين أمرين أحلاهما مر : هما إعادة صياغته أو نشر المنحرف منه .

ثالثاً : فساد الترجمة من الآداب الأجنبية :

وفى مجال الترجمة من الآداب الأجنبية كانت محاولات التغريب و الغزو الفكرى بعيدة المدى ، فقد حرصت مؤسسات التبشير و مدارس الارساليات و مطابعها على تقديم عـدد ضخم من الترجمات الهزيلة الأسلوب الفاسـدة المضمون التى أغرقت القارى العربى و المسلم بقيم و مفاهيم تتصل بالفسق و الزنا و الفاحشة و الاثم على نحو تحسين هذه المعانى وترسيخها كأنها أمور طبيعية أو مشروعة ، ليست محرمة و لا هى انحراف فى هـذه المجتمعات نفسها .

و قد امتد هذا اللون المسموم إلى الفقه والأدب والشعر و العلوم والمباحث النفسية والاجتماعية والفلسفية فى مجال الأدب فقد قذفت آفاق الأدب العربى بركام ضخم من القصص الفرنسية الخليعة ، وقدمت هذه القصص فى أسلوب ردىء فى طباعة رخيصة ، وقد استهدفت كلها الاثارة دون المنفعة ، وقام طه حسين بدور كبير فى ترجمات المسرحيات الفرنسية المكشوفة و شعر بودلير و غيره ، وبرزت مع ذلك مدرسة ترى إطلاق الفسق من قيود الفضيلة ، هذه المدرسة التى نشأ فى أكنافها القصاصون الحاليون ، وقد أحصى يوسف أسعد وأغر عشرة الآن قصة ترجمت فى أوائل الحرب العالمية الثانية ، وهو رقم مخيف مفزع وترجمت قصص تحاول أن تنتقص بطولات المسلمين وعظمة أمثال صلاح الدين ، وإعلاء روح التعصب الأوربى ، وفى الأخير ترجمت قصص وكتابات يهودية و صهيونية ترمى إلى إدخال مفاهيم زائفة فى النفس المسلمة ، و من كتابات

أمرسون و دل ديودانت و غيره نجد محاولة للسخرية بالقيم الأخلاقية و الدينية و تسفيه الشعائر الدينية و احتقار البطولة و الكرامة و العفة و عرض تاريخ اليهود عرضاً جذاباً مشرباً بالعطف و المحاباة.

و لقد توسعت حركة الترجمة فى مختلف مجالات الفكر و الأدب و الفن فترجمت القصص الاباحى والمسرحيات اليونانية بمفاهيمها الوثنى التى قام عليها المسرح و الرواية و هى نظرية الصراع بين الانسان و الاله مع أن الاسلام ينفى مثل هذا المفهوم و يدحضه ، كما قدمت الترجمة مختلف النظريات الوافدة المتأثرة بالمفهوم المادى و الالحادى أمثال نظرية دارون و نظرية فرويد و نظريات الصلاح الأصلية والأخلاق التى قدمها دور كايم و سارتر ، و كلها تحاول أن تعرض مفاهيم ونظريات وافدة معارضة لمفهوم الاسلام الأصيل الجامع الواضح ن مختلف مجالات النفس والأخلاق و السياسة و الاقتصاد و الاجتماع.

و أسوأ ما فى ذلك أن هذه الترجمات قدمت للفكر الاسلامى على أنها علوم أصيلة و ليست فروضاً قابلة للخطأ و الصواب أو وجهات نظر تمثل أممها و أصحابها دون أن تلحق هذه الترجمات أو تسبق بدراسات توضيحية يعرف منها القارى المسلم موقف أمة و فكرها من هذه القضايا.

و فى نفس الوقت حجبت الترجمة ما يحتاج إليه المسلمون فى هذا العصر من مفاهيم العلوم التجريبية و الطبيعية و الرياضية التى نحن فى حاجة إليها ، و استبدلت بذلك ركاما مضطربا عاصفاً يرمى إلى هدم ذلك الحافظ النفسى المرتفع القائم فى النفس المسلمة بالحق و التقوى و الكرامة والفضيلة و العفف ، و يصور الاباحيات الجنسية على أنها شرعة المجتمع المباحة ، كما يصور الجريمة على أنها ظاهرة طبعية.

و من شأن هذه الترجمات أن تطرح فى مجتمعنا الاسلامى موجاً من اليأس و التشاؤم و الملل والشك و إزدراء الحياة بمالا يتفق مع طبيعتنا المتفاعلة المؤمنة بالله تبارك و تعالى.

رابعاً : محاولات هدم اللغة العربيـــة الفصحى :

وقد حاول التغريب و الغزو الثقافى أن يتوجه بخطة خطيرة من التآمر نحو اللغة العربية الفصحى : لغة القرآن لهدمها و محاولة إحلال العاميـــات و الحروف اللاتينية بديلا منها ، وذلك لقطع الصلة بين البيان العربى و بين القرآن من ناحية ، و قطع الصلة بين أجزاء الأمة العربية باعلاء العاميات ، و قد توالت هذه الدعوة منذ وطأ الاستعمار البلاد العربية و حمل لواءها المبشر الانجليزى وليم و يلكوكس ومنها تلقاها عشرات فى مختلف أجزاء البلاد العربية ثم جاء جيل من التغريبيين ، حمل هذا اللواء و ادعى هذه الدعاوى من أمثال لطفى السيد و سلامة موسى و حسين فوزى و يونس عوض .

و ما تزال هذه الدعاوى تتجدد فى مختلف أجزاء البلاد العربيـــة على صورة وأخرى منذ دعا لويس ماسينون إلى كتابة العربية بحروف لاتينية وتابعه عبد العزيز فهمى و آخرون ، وتجددت فى السنوات الأخيرة دعاوى ما يسمى باللغة الوسطى ، و تلك دعوة حمل لواءهـــا فريد أبو حمد و توفيق الحكيم و أمين الخولى و هى محاولة ماكرة لفصل اللغة العربية الفصحى عن لغة الكلام ولغة الكتابة باعلاء اللهجات واعتماد اللغة الصحفية لغة أساسية ، فلا هى عامية ولا هى فصحى ولكنها تنزل درجة عن الفصحى لتنفصل عن بيان القرآن و لتكون مقدمة لمرحلة أخرى تصل بها إلى العاميـــة

وجاءت مرحلة أخرى فى محاولة خطيرة تولاها وتصدى لها الدكتور طه حسين وهى تبديل الخط العربى و قواعد النحو باسم (تطوير اللغة) تحت اسم تهذيب أو تيسير أو إصلاح أو تجديد (وهى أسماء لبقة مرنة تخفى وراءها هدفاً خطيراً) وصفه الدكتور محمد محمد حسين « بأنه التحلل من القوانين والأصول التى صانت اللغة

خلال خمسة عشر قرناً أو يزيد ، و هی القوانين التی ضمنت لنا القدرة على مطالعة تراث المسلمين والعرب خلال أربعة عشر قرناً ، فاذا تحققت هذه الخطة التی تسمى بالتطوير أو التهذيب و تحللنا من هـــذه الأصول و القوانين و القواعد التی صانت هذه اللغة هذه القرون ، كانت النتيجة هی تحقيق الهدف فی تبلبل الألسنة بين المصری والشامی و المغربی ، و تصبح قراءة القرآن و التراث العربی الاسلامی متعذرة على غير المتخصصين من دارسی الآثار ومفسری الطلاسم . وعندئذ تصبح وحدة العرب مقدمة لوحدة المسلمين عملا باطلا » .

و بدعة إصلاح اللغة هی إحدى هذه الخطة فقد ظن الكثير من البسطاء أن المسألة يراد بها سهولة الأداء ، و لكن الحقيقــة كما كشف عنها الدكتور على العنانی هی فيما يأتی : « إن الاصلاح فی الألفاظ و التراكيب و الأساليب لا يكون إلا بتغيير قواعد أبنية اللغة و هی « الصرف » و تحوير ضوابط إعرابهـا و الأحوال العارضة على الألفاظ باختلاف الوضع فی الجملة و هو « النحو » و تبديل الموضع اللفظی فی المفرد والمركب من حيث الحقيقة و المجاز و الاستعارة و الكناية وهو « البيان » و بتغيير و إهمال ضوابط الفصاحة و البلاغة و هی « المعانی » و معنى إصلاح قواعد الصرف انتقالا من الصعب إلى السهل إنما يعنی أن نهـــدم عـــلم « الصرف » من أساسه و ننسخه نسخاً تاماً لتعـــدد قواعده ، و تنوع ضوابطه ، و بعد أن يتم الهدم يبنی المصلحون على أنقاضه صرفاً جديداً محدود القواعد ، قليل التنويع ، خفيفاً على العقل والفكر سهلا على الذهن والفهم ، كذلك الأمر فی إصلاح قواعد النحو و إصلاح علوم البلاغة ، وبهذا يكون معنى الاصلاح فی اللغة نسخ العقلية العربية و ما فيها من ثقافة نظرية و عملية ، ذلك أن الاصلاح هو التغيير ، والتغيير يعنی الازالة و الوضع ، و هذا يعنی إحداث لغة جديدة بقواعد جديدة ، و هذه اللغة

العربية الجديدة إن صح اتصالها بالعربية الحالية المدونة اتصال اللهجة بالأم فانها تبعد عنها شيئاً فشيئاً حتى تختفى معالم الصلات بينهما أو كاد ، و عندئذ تكون اللغة العربية الحالية من اللغات الميتة » .

و معنى هذا أن يصاح تراث العربيـة البالغ ثلاثة ملايين من الكتب فى مختلف مجالات الشريعة الاسلامية والأدب والحضارة والفكر والفن عبارة عن توابيت فى دار الآثار و المتاحف .

والحق أن قواعد اللغة العربية وضعت طبقاً لنصوص القرآن والحديث والمسموع من العرب ، فالتغيير فى هذه القواعد هجر للقرآن والحديث ، كذلك فان الاسلام و هو عقيدة و شريعة قد استنبطت أحكامه فيما يختص بالعقيدة و التشريع فى العبادات و المعاملات من الكتاب و السنة وعمل الرسول و القياس و الاجتهاد ، و كل هذه الأركان و الينابيع لا يمكن أن يستنبط منها حكم إلا بواسطة مبادىء خاصة و قوانين معروفة بعلم الأصول و أساس هـذه المبادىء و القوانين الراسخ أو دعائم عـلم الأصول إنما هى فهم لغـة العرب ، لغـة القرآن و الرسول بما وضع لها من القواعد الصرفية و النحوية وضوابط علوم البلاغة ، و إذا أصلحت هذه الضوابط و تلك القواعد بالازالة والوضع انهدم أساس علم الأصول و تداعت دعائمه و إذا انهدم الأساس و تداعت الدعائم انهدم أيضاً ما يرتكز عليها وهو هذا العلم وإذا وصل هذا العلم الأساسى فى استنباط أحكام العقيدة ومسائل الشريعة إلى التداعى ، تداعت معه أيضاً طريقـة الاستنباط و فهم ما استنبط ودون بالفعل ، وضاعت العقيدة و احتجبت الشريعة و عدنا إلى الجاهلية الأولى » .

هذه هى خلفية الصورة البراقة كما يصورها الدكتور على العنانى ـ التى يحمل لواءها اليوم مجموعة من أعداء الاسلام ، واللغة العربية يدافعون عنها و ينقلونهـا من

ثوب إلى ثوب و من أسلوب إلى أسلوب ، وكلما انكشف زيفهم فى جانب أعادوا تشكيلها فى صورة أخرى .

خامساً : المؤامرة على عامود الشعر :

لما كان الشعر هو ديوان العرب و لما كان عامود الشعر هو الركيزة الأساسية فى بناء القصيدة ، و لقد جرت المحاولة أولا للقضاء على الشعر العربى الذى كان عاملا هاماً من عوامل اليقظة و مواجهة النفوذ الأجنبى ، و من ثم بدأت الحملة عليه و اتهامه بأنه شعر مناسبات ، و ذلك للقضاء على دوره التاريخى الخطير الذى هز النفوس فى مواجهة الأحداث ، فى قضايا الوحدة الاسلامية و النفوذ الأجنبى و فى الترابط بين العرب و المسلمين فظهرت الدعوة إلى الشعر الذاتى للقضاء على الشعر السياسى و الاجتماعى ، و بذلك تبدد ذلك الصوت الضخم القوى الأداء الذى آرز الحركات الوطنية و الاسلامية و واجه الاستعمار و النفوذ الغربى ، والصهيونية هذه هى الضربة الأولى التى وجهت إلى ديوان الشعر ، ثم جاءت مرحلة أشد خطراً هى مرحلة الشعر المنثور و قصيدة النثر أو شعر التفعيلة أو الشعر الحر .

تلك الدعوى المسمومة التى حمل لواءها الماركسيون والشعوبيون لاخراج الأدب العربى من عامود الشعر ومن كل الآثار القوية الضخمة التى أثر بها فى محيط الاسلام و بجتمع المسلمين ، و قد وصف شاعر عربى أصيل معاصر هو عمر أبو ريشه ! « هذه الظاهرة بأنها موجة منحسرة و ظاهرة مرضية و إنها صاعة واحدة ، وإن الصهيونيين حتما وراء هذا الشعر فالصهيونية هى مبتكرة البدع والهرطقات فى هذا المضمار و ذلك لملء الفراغ عند الشباب ولمنعهم من العودة إلى التراث و الأصالة ، و تؤكد الدلائل على أن شعرنا العربى كان عمودياً طيلة حياته التى تمتد أكثر من ألفى عام ، وإن

كل التجديدات التى دخلت عليه - كما يقول الدكتور عبد المنعم الخفاجى - كانت تلتزم بهذه العمودية أو تسير فى إطارها ، وإن هذا الشعر العربى قد أصبح صورة فكر وتراث حضارة واحدة ، وقد جاء اليوم من يدعو إلى التخلى عن هذه العمودية كلياً للسير على نظام التفعيلة وحـــدها ، و لنبعد بالشعر عن أصوله العمودية و عن موسيقاه الشعرية ، كذلك هناك من يدعون إلى تحطيم هذه العمودية ونبذ جميع شعرائها فى القديم والحديث والنظر إليهم على أنهم متخلفون لا يصح أن نسير على منوالهم و يؤكد كثير من الباحثين و فى مقدمتهم الدكتور محمد محمد حسين : أن الشعر الحر فى أصل نشـــأته شعبـــة من اتجـــــــــاه عام يدعو إلى تقليـــد الغرب فى فكره و حضارته ، فاطلاق الشعر من القافيـــة التى ظل يلتزمها طوال هذه القرون منذ عرفنـــا الشعر العربى دعوة تستمد حججها و مبرراتهـا من الشعر الغربى الذى لم يعرف القافية إلا فى حدود ضيقة من آثار احتكاكه و تأثره بالأدب العربى فى الأندلس .

و لقد كان من أثر هـــذه الموجة ، هو ضعف هذا الجيل و عجز أكثره عن تذوق الشعر العربى الأصيل فى تراثه الطويل ، هذا و قـد حمل الشعر الحر جميـع سموم الـفكر العربى من تشكيك ولا أدرية وانحلال ومعان مرتجلة ساذجة ، وحاول ابتعاث تراث قديم من الأساطير التى جاء الاسلام للقضاء عليها و إعلان أنها من عصر طفولة البشرية ، ولقد نشأ هذا التيار و نما قليلا فى مرحلة الضعف و الهزيمة و النكسة و جيل الضياع الذى صنعته مفاهيم الماركسية والوجودية و الفكر المادى .

و تهدف الدعاوى التى يحملها أهل هذا الشعر فى صميمها إلى هدم قواعـــد الأدب العربى و البلاغة العربية ، و ذلك عن طريق عمادها اللغوى و قـــد حفل الشعر الجديد بكل صور الوثنية والالحاد و التفاهات ، و قـــد اتخذه الشعوبيون

و المنحرفون أداة لمحاربة اللغة العربيـــة الفصحى و مطيــه لهدم مفاهيم الاسلام الصحيح .

سادساً : انحراف القصة :

لا شك أن القصـــة بمختلف اسمائها و فنونها هى فن غربى خالص مستحدث يختلف اختلافاً كبيراً عما عرف الأدب العربى من فنون يمكن أن توصف بأنها قصة أو ما عرف عن طابع القصص القرآنى ، فقد بدأت بالترجمة ثم « التعريب » مع تغيير معالم البلاد و أسماء الأبطال ، مع بقاء جوهرها الأجنبى .

و ما تزال القصة و المسرحية تستوحى ذوق و تصرف المجتمعات الأوروبية لكل أخلاقياتها و مفاهيمها و حلول مشاكلها التى تختلف فى جوهرهـــا عن ذوق وتصرف المجتمعات الاسلامية ، ولا شك أن هناك فروقاً بعيدة بين النفس العربية الاسلامية و بين النفس الغربية من جهة الأحداث نفسها و من جهـــة الاستجابة للاحداث كالخيانة الزوجية و اضطراب الأسرة ، وإن هناك أيضاً فروقاً وتبايناً من ناحية التصرف إزاء الأحداث .

فالقصة العربية المطروحة الآن فى أفق الأدب العربى لا تمثل حقيقـــة روح الأمة العربية الاسلامية لأنها تخضع للنهج الغربى وهى مغاير تماماً للقصص الأصيل: الذى وصفه القرآن الكريم بأنه « القصص الحق » البعيـــد عن الخيال الجارف و الهواء و التزيد و التفاصيل .

و قد انسم الأدب العربى منذ ظهور الاسلام بخاصة واحدة هى تمثل الصدق و الحق مع الوضوح و الايجاز ، و التماس العبرة ، و دعوة إلى الخلق و السمو و الارتفاع فوق الأهواء ، و كلها عناصر مضادة للقصة العربية الحديثة بل ومعارضة لها ، ذلك أن العربى كان يفكر دائماً فى أفق مفتوح مشرق طليق ، طبيعة الحياة الحرة

الجريئة المكشوفة ، و طبيعة الفارسى المقاتل الحفيظ على العرض و الكرامة ، الذى يقول كلمته فى صراحة و وضوح . هذه الطبيعة الواضحة لم تكن فى حاجة إلى القصة المصطنعة . القائمة على الحبكة والمفاجأة والظلال والرموز ، ذلك أن العقيدة الاسلامية كانت بسيطة سمحة تقوم على التوحيد أساساً فلم تكن فى حاجة إلى هـذه المذاهب الغربية التى تقام فى المعابد أو الأديرة لتشرح للناس مقاصد معقدة .

و لما كانت ذاتية الأمة العربية ومزاجها النفسى وتركيبها الاجتماعى والعقائدى البسيط السمح ، فقد اختفت من الأدب العربى المسرحية والملحمة والقصة الأسطورية و حين ظهرت ألف ليلة وليلة و أدب المقامات و السجع كان ذلك كله غريباً عن طابع الأدب العربى المتحرر من طوابع الوثنيات و الرمزيات .

فهذه القصة العربية التى يقدمها الأدب العربى اليوم ليست أصيلة ولذلك فهى لن تستمر طويلا لأنها مضادة للفطرة وللطبيعة العربية الاسلامية ، وإنها قد أفسدت عقول الشباب و الفتيات نتيجة تلك العبارات المكشوفة و التصورات الهابطة وتلك الدعاوى الباطلة من الاغراء والخداع وأساليب الاغتصاب وصور الاباحية والفساد .

و القصه بهذه الصورة المعروضة اليوم هى من سموم الغزو الفكرى والتغريب التى تهدف إلى تحطيم القيم الأخلاقية و الكرامة و إفساد المجتمع .

★★★

أدب التربيـــة و المواعـــظ

سعادة الدكتور غريب جمعة (القاهرة)

بين يدى البحث :

أحمدك ربى كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك وأصلى وأسلم على رسولك وخاتم أنبيائك ، « سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (١) »

و بعـــد . . : فان الحديث عن الأعلام من علماء الأمـــة الاسلامية الذين تركوا آثارهم فى مختلف فروع العلم و الأدب حـــديث حبيب إلى النفس لأنه يحي فى نفس المتحدث و السامع معنى التأسى الحسن و الاقتداء الطيب بأولئك الأعلام حتى يظل الموكب النورانى موصولا إلى أن ينفص سرادق الحياة من على ظهر الأرض .

ولقد اتصل هؤلاء الأعلام بمشكاة النبوة وبقدر ما حسن اتصالهم بها تألق نورهم ، فخرجوا على الناس بنفائس من البيان و جواهر من العلم حفظها لهم التاريخ ليقول بلسان حاله لمن يأتى بعدهم : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، فهل أنتم فاعلون ؟ .

و على الصفحات التالية سنعيش مع واحد من أولئك الأعلام و هو : الامام « ابن الجوزى » العلامة الواعظ والواعظ الأديب الذى حباه الله حسن العبارة وجودة الحبك و السبك فجاءت مواعظه نجوماً ساطعة فى سماء الأدب الاسلامى بهرت أعين الناظرين إليها فوقفوا أمامها متأملين خاشعين ، بالاضافة إلى ما فيهـــا من محاسن التفسير للقرآن الكريم و العرض لحديث الرسول ﷺ .

---

(١) البقرة ٣٢

وأسأل الله أن لا يكلنى إلى نفسى طرفة عين ولا أقل من ذلك فيما اكتب أو أقول أو أعمل فلا توفيق و لا سداد إلا منه ولا توكل و لا اعتماد إلا عليه و لا أمل ولا رجاء إلا فيه ، وإذا حالفنى الصواب فانه من فضله، أما إذا خالفنى فانى أستغفره وأعتذر إلى الناس فما ألوت الصواب جهداً و لا الحق ابتغاء وقصداً.

ربنا عليك توكلنا و إليك أنبنا و إليك المصير » (١) .

ترجمة موجزة لحياة ابن الجوزى :

هو عبد الرحمن بن على بن محمد بن جعفر ينتهى نسبه إلى خليفة رسول الله ﷺ: أبى بكر الصديق رضى الله عنه، فابن الجوزى عربى أصيل لأنه قرشى تيمى

و يكنى ابن الجوزى بأبى الفرج و كان يلقب و هو صغير بالمبارك ثم لقب بجمال الدين و شيخ وقته و إمام عصره والحافظ المفسر والفقيه الواعظ و الأديب على ما أثبته ابن رجب .

و يعرف بابن الجوزى، الجوزى بفتح الجيم وسكون الواو وبعدها زاى، نسبة إلى فرضة الجوز ، و هى موضع مشهور بالبصرة تسمى محلة الجوز كان يسكن فيها جده جعفر، و قيل نسبة إلى جوزة كانت فى دار لابن جوزى و لم يكن بواسط جوزة غيرها .

ولد ابن الجوزى بدرب حبيب ببغداد و اختلف المؤرخون فى تاريخ مولده و الأرجح أنه ولد سنة إحدى عشرة و خمسمأة هجرية، ولقى ربه يوم الجمعة الثانى عشر من رمضان سنة سبع و تسعين و خمسمأة بعد محنة اجتازها صابراً محتسباً، و كانت جنازته مهيبة وأنزل للدفن و المؤذن يقول : الله أكبر، و حزن الناس لفراقه وباتوا عند قبره الباقى من شهر رمضان يختمون القرآن بالشموع والجماعات

(١) الممتحنة /٤

نشأ رحمه الله يتيما حيث مات أبوه و عمره ثلاث سنوات و قد قال عن نفسه : « فان أبي مات و أنا لا أعقل شيئاً و الأم لم تلتفت إلى »

و قامت عمته بتربيته حيث مضت به إلى الشيخ أبي الفضل محمد بن ناصر و كان محدثاً فقيهاً لغوياً وكان تقياً صالحاً أميناً فسمع منه الحديث وحفظ القرآن الكريم و قرأه على جماعة بالروايات ، ثم تعددت شيوخه بعد ذلك و منهم : على بن عبد الواحد الدينوری ، و ابن الحصين و أبو عبد الله البارع و غيرهم . كان ابن الجوزی ذاهمة عالية وإقبال منقطع النظير فی طلب العلم، ويقول فی ذلك : « فركز فی طبعی حب العلم وما زال يوقعنی على المهم فالمهم ويحملنی إلى من يحملنی على الأصوب حتی قوم أمری » .

ونتيجة لذلك ضرب ابن الجوزی بسهم وافر فی فروع مختلفة من العلم مثل : علوم القرآن و تفسيره ، و الحديث ، و الوعظ و التاريخ ، و التراجم ، و علم الكلام ، و اللغة و الأدب . و النقد الاجتماعی ، و ألف فيها جميعاً حتى كثرت مؤلفاته كثرة مدهشة . منها على سبيل المثال :

فی التفسير : زاد المسير فی علم التفسير ، والتفسير الكبير ، ويقع فی عشرين مجلداً .

و فی الحديث : جامع المسانيد و الحدائق .

و فی الفقه : كتاب الانصاف فی مسائل الخلاف ، عمدة الدلائل فی مشهور المسائل ، المذهب فی المذهب ، مسبوك الذهب .

وفی التاريخ : أهم كتبه فی هذا المجال هو ، المنتظم فی تاريخ الملوك والأمم ،

و فی المناقب و التراجم : أحمد بن حنبل ، الحسن البصری ، سفيان الثوری ، عمر بن الخطاب . عمر بن عبد العزيز .

و فى الوعظ : منها التبصرة ، المنتخب ، المدهش ، المورد العذب و نتيجة الاحياء (أختصر به إحياء علوم الدين للامام الغزالى)

و على ذلك فقد كان ابن الجوزى يعتبر « عالماً موسوعياً » بلغة العصر ، ويقول الذهبي عن كتبه : « ما علمت أن أحداً من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل » ،

و لم يكن ذلك الاستبحار فى العلم وليد مصادفة و إنما كان و ليد حسن اتصال بالله و إقبال عليه و تقرب إليه بعمل الصالحات و المسارعة فى الخيرات فأفاض الله عليه من بحار جوده علماً وحكمة و بياناً و أفسح له فى عمره فترك كل هذه المؤلفات التى ستكون باذن الله فى ميزان حسناته يوم يقوم الناس لرب العالمين ،

وكما يقولون : « إنما يعرف الفضل ذووه » فقد عرف الأئمة أصحاب الفضل لابن الجوزى فضله فأثنوا عليه كثيراً .

قال أبو مظفر : « كان زاهداً فى الدنيا متقللا منها و كان يختم القرآن فى كل سبعة أيام و لا يخرج من بيته إلا إلى الجامع للجمعة و للمجالس و ما مازح أحداً قط و لا لعب مع صبى و لا أكل من جهة لا يتيقن حلها وما زال كذلك حتى وفاته » .

و قال فيه ابن خلكان : « علامة عصره و إمام وقته فى الحديث وصناعة الوعظ ، صنف فى فنون عديدة و كتبه أكثر من أن تعد »

و قال عنه عماد الدين الأصبهانى :

« واعظ صنيع العبارة بديع الاشارة مولع بالتجنيس فى لفظه و التأنيس فى وعظه ، وله من القلوب قبولها ، حسن الشمائل قد مزجت من اللطافة والكياسة شمولها» .

و لما كان الحديث هنا عن أدب المواعظ فقد اخترت بتوفيق الله خمسة

نماذج (١) من هذا اللون من الأدب لذلك العلامة قالها فى أغراض مختلفة وهى:

النموذج الأول: يتحدث فيه عن قصة عاد قوم هود، ويبين فيه عاقبة الظالمين الذين يتطاولون بالباطل وهم موجودون فى كل عصر ومصر، وهم فى عصرنا الحاضر على أقبح صورة من الظلم و العلو و العتو و لسوف تمضى فيهم سنن الله و لن تجد لسنة الله تبديلا.

النموذج الثانى: يتحدث فيه عن قوله تعالى: «فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه» و فيه يصف عمار بيوت الله و هم فى الحقيقة جنده الجديرون بنصره و تأييده و يوم أن هجر المسلمون بيوت الله هجرهم نصره و تأييده.

النموذج الثالث: و يتحدث فيه عن قصة سيدنا يوسف، و هى تبين سنن الله فى عباده الذين يختارهم لحمل رسالته حيث تتوالى عليهم المحن والشدائد فيتغلبون عليها بالتقوى و الصبر، وفى مقابل هذه التقوى و هذا الصبر لا يضيع الله أجرهم وينصرهم، وتأتيهم الدنيا وهى راغمة، كما يتحدث فى هذا النموذج أيضاً عن توجيه القرآن فى الاحسان بالوالدين حتى تكون الأسرة المسلمة قوية البناء سليمة الأركان، و لا شك أن الأسرة الصالحة هى أساس المجتمع الصالح

النموذج الرابع: و يتحدث فيه عن قوله تعالى: «كلا إذا بلغت التراقى (٢)» و هى النهاية الحتمية لكل مخلوق و ما أكثر الغافلين عنها، و هى مشهد يتكرر كل يوم وكان أولى بالناس أن يعتبروا به و لكن منهم من قال فى تبجح: ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر» ومنهم الذين فرحوا بما عندهم

---

(١) النماذج من كتاب التبصرة.

(٢) القيامة /٢٦

من العلم، ومنهم الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون.
و منهم . . . و منهم .

النموذج الخامس : وفيه يتحدث عن قصة السيدة مريم وعن ولادة المسيح عليه السلام و هى آية من آيات الله كثر فيها اللغط والمغالطة ولكن القرآن كان واضحاً فيها وضوح الشمس فى رابعة النهار، ثم تحدث فيه أيضاً عن التوبة وهى أول معراج إلى الله و هى أولى الصفات للمؤمنين الذين باعوا أنفسهم و أموالهم لله فبذلوها خالصة فى سبيله فكانت الجنة ثمناً لهذا البيع، وما أعظمه و ما أعلاه من ثمن يدفعه رب كريم بر رحيم لعباده المؤمنين . . إقرأ معى قوله تعالى «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة و الانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم ، التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف و الناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله و بشر المؤمنين (١) »

وهيا بنا إلى تفصيل هذه النماذج بعد إجمالها والعبارة عنها بعد الاشارة إليها، و سوف نتبعها بالتعليق عليها ، و لعلى أكون قد أحسنت الاختيار ، و على الله قصد السبيل .

النموذج الأول : فى قصة عاد

الحمد لله المنزه عن الأشباه فى الأسماء و الأوصاف ، المقدس عن الجوارح و الآلات و الأطراف، خضعت لعزته الأكوان وأقرت عن اعتراف ، و انقادت له القلوب و هى فى انقيادها تخاف ، أنزل القطر فنه الدر تحويه الأصداف و منه قوت البذور يربى الضعاف .

(١) التوبة /١١١ - ١١٢

كشف للتقين اليقين فشهدوا ، و أقامهم فى الليل فسهروا و شهدوا ، و أراهم عيوب الدنيا فرفضوا و زهدوا و قالوا نحن أضياف .

وقضى على المخالفين بالبعاد وأفاتهم التوفيق والاسعاد، فكلهم هائم فى الضلال و ما عاد « و اذكر أخاعاد إذ أنذر قومه بالأحقاف » (١)

أحمده على ستر الخطايا والاقتراف ، وأصلى على رسوله محمد الذى أنزل عليه قاف، وعلى صاحبه أبى بكر الذى أمن بيعته من الخلاف ، وعلى عمر صاحب العدل و الانصاف ، و على عثمان الصابر على الشهـــادة صبر النظاف ، و على على بن أبى طالب محبوب أهل السنة الظراف، وعلى عمه العباس مقدم أهل البيت الأشراف .

قال الله « و أذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف »

الأخ فى القرآن : على أربعة أوجه : أحـــدها : الأخ من الاب و الأم أو من أحدهما ، ومنه « فطوعت له نفسه قتل أخيه (٢) » والثانى : الأخ من القبيلة ، و منه « و اذكر أخا عاد » و الثالث : الاخاء فى المتابعة ، و منه « كانوا إخوان الشياطين » (٣) و الرابع : الصاحب و منه قوله تعالى « إن هذا أخى » (٤)

و الانذار : الاعلام مع التخويف ، و الأحقاف : الرمال العظام واحدها حقف ، وفى مكان هذه الأحقاف ثلاثة أقوال ، أحدها : بالشام ، قاله ابن عباس و الثانى : بين عمان و مهرة ، قاله عطية . والثالث : أرض يقال لها الشحرة نحو البحر قاله قتادة .

و قال ابن إسحاق : كانت منازلهم فيما بين عمان إلى حضرموت باليمن كلـه وكانوا قد أفسدوا فى الأرض و قهروا أهلها بفضل قوتهم ، وكانوا أصحاب أوثان ، فاتبعه ناس يسير و كتموا إيمانهم ، قال مقاتل :

---

(١) الأحقاف /٢١ (٢) المائدة /٣ (٣) الاسراء /٧ (٤) ص /٢٣

كان كل رجل منهم اثنا عشر ذراعا . وقال مجاهد : وكان الرجل منهم لا يحتلم حتى يبلغ مائة سنة ! ! « و قد خلق النذر » أى مضت من قبل هود ومن بعده .
و قوله لتأفكنا عن آلهتنا » أى لنصرفنا عن آلهتنا بالافك .

« قال إنما العلم عند الله » أى هو يعلم متى يأتيكم العذاب . « فلما رأوه » يعنى ما يوعدون « عارضاً » أى سحابا يعرض فى ناحية السماء .

و قوم عاد هؤلاء أولاد عوص بن إرم بن سام بن نوح وهى عاد الأولى بعث الله تعالى إليهم هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام ، كانوا يعبدون الأوثان فدعاهم إلى التوحيد ، فكلما أنذرهم زاد طغيانهم فحبس الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا فبعثوا إلى مكة وفداً يستسقى لهم و كانوا سبعين رجلا ، منهم قيل ونعيم وجلهمة ولقمان بن عاد ومرثد بن سعد ، وكان مرثد مؤمنا يكتم إيمانه ، و كان الناس مؤمنهم و كافرهم إذا جهدوا سألوا الله تعالى عند الكعبة فنزلوا على بكر بن معاوية وكان خارجاً من الحرم فأكرمهم وكانوا أصهاره وأخواله ، وكان سكان مكة من العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ، فجعل بكر يسقيهم و تغنيهم الجرادتان شهراً ، فلما رأى بكر طول مقامهم عنده قال :

هلك أخوالى و أصهارى . هؤلاء ضيفى فما أدرى ما أصنع : و أستحى أن آمرهم بالخروج ، فشكا ذلك إلى قينتيه الجرادتين فقالتا : قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قائله فقال :

الا يا قيل قم فهينم		لعل الله يمنحنا غماما
فنسق أرض عاد إن عادا		قد أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو		به الشيخ الكبير ولا الغلاما
قد كانت نساؤهم بخير		وقد أمست نساءهم عيامى (١)

---

(١) عيامى : جمع عيمى و هى العطش .

و إن الوحش تأتيهم نهارا و لا تخشى لعادى سهاما
و أنتم ها هنا فيما اشتهيتم نهاركم و ليلكم التماما
فقبح و فدكم من وفد قوم و لا لقوا التحية و السلاما

فلما سمعوا هذا قالوا :

ويحكم ادخلوا الحرم فاستسقوا لقومكم ، فقال مرثد : إنكم و الله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم سقيتم . فقال جلهمة : احبسوا عنا هذا ولا يقومن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود . ثم خرجوا يستسقون فنشأت ثلاث سحائب بيضاء و حمراء و سوداء ، ثم نودى منها يا قيل اختر ، فقال : اختار السوداء لأنها أكثر ماء و قيل للوفد اختاروا فقال مرثد : يا رب أعطنى صدقا و برا ، فأعطى ، و قال لقمان بن عاد : أعطنى عمراً فاختار عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ ، حين يخرج من البيضة وكان يأخذ الذكر لقوته ، حتى إذا مات أخذ غيره إلى أن ماتت السبعة فمات »

ثم ساق الله سحابة إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له مغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا « هــذا عارض ممطرنا » فكان أول من رأى ما فيها امرأة فصاحت و صعقت فقيل لها ما رأيت ؟ فقالت : ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم « سبع ليال و ثمانية أيام حسوما » ابتدأت غدوة الأربعاء ، آخر أربعاء فى الشهر وسكنت فى اليوم الثامن .

واعتزل هود ومن معه من المؤمنين فى حظيرة ما يصيبهم منها إلا ما يلين الجلود . وتلذ عليه النفوس ، فكانت الريح تقلع الشجر وتهدم البيوت وترفع الرجال والنساء بين السماء و الأرض فتدق أعناقهم فيبين الرأس عن الجسد ، فذلك معنى قوله : « كأنهم أعجاز نخل خاوية (١) » ثم تدفعهم بالحجارة « قال عمر بن ميمون :

(١) الحاقة / ٧ .

كانت الريح تحمل الظعينة (١) فترفعها حتى كأنها جرادة (٢) .

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ، أنبأنا عاصم بن الحسن ، أنبأنا على بن محمد ابن بشران ، حدثنا الحسن بن صفوان حدثنا أبو بكر القرشى ، حدثنا بن عبد الوهاب ، حدثنا محمد بن يزيد ، عن جويبر ، حدثنى أبو داوود أنه سمع ابن عباس يقول :

أول ما عرفوا أنه عذاب رأوا ما كان خارجاً من رجالهم و مواشيهم يطير بين السماء والأرض مثل الريش ، فدخلوا بيوتهم و أغلقوا أبوابهم ، فجاءت الريح ففتحت أبوابهم و هالت عليهم بالرمل ، فكانو تحت الرمل سبع ليال و ثمانيـــة أيام حسوماً لهم أنين ثم قبضت أرواحهم وطرحتهم الريح و ألقوا فى البحر « فأصبحوا لا يرى إلا مســاكنهم . و قال مقـــاتل : بعث الله طيرا أسود فالتقطهم حتى ألقاهم فى البحر .

فانظروا رحمكم الله كيف أهلك الخلق العظيم بالريح التى هى ألطف الأشياء ليبين أثر القدرة جل جلاله ، وكذلك يميت الخلق عند نفخة و يحييهم عند نفخة : فسبحان من باتت سطوته للعاندين فقهرت ، و ظهرت آثار قدرته للمتقين فبهرت ، كم عذب مريض بريح فى حشاه يختلف إلى أن تلف » .

الكلام على البسملة :

سلطانه فى خلقه قاهر　　و أمره فى ملكه باهر
سطوته باطشة بالورى　　فى ذرة معجزها ظاهر
إذا تجلى فى جلال العلى　　ذل له الأول و الآخر
كن حاذراً من بطشه إنه　　فى أمره و قهره قادر

---

(١) الظعينة فى الأصل : المرأة فى الهودج ثم قيل للمرأة و هى فى بيتها ظعينة

(٢) هذا الخبر مروى عن ابن إسحاق و قد أورده ابن كثير باختلاف يسير .

و لطفه فى عطفه راحم   و سيفه فى خلقه باتر

أيها النائم وهو منتبه، المتحير فى أمر لا يشتبه، يامن قد صاح به الموت فى سلب صاحبه ، يا إخوان الغفلة تيقظوا ، يا أقران البطالة تحفظوا ، يا أهل المخالفة أقبلوا ، يا معرضين عنا أقبلوا ، يا مبارزين بالذنوب لا تفعلوا .

أين (١) من كان قبلنا أين أينا   من أناس كانوا حجالا (٢) وزينا
إن دهراً أتى عليهم فأفنى   عدداً منهم سيأتى علينا
خدعتنا الآمال حتى جمعنا   و طلبنا لغيرنا و سعينا
و ابتغينا من المعاش فضولا   لو قنعنا بدونها لاكتفينا
و لعمرى لنمضنين و لا   نمضى بشىء منها إذا مضينا
كم رأينا من ميت كان حياً   و وشيكا يرى بنا ما رأينا
مالنا نأمن المنايا كأنا   لا نراهن يهتدينا إلينا
عجباً لامرىء تيقن أن المو   ت حق فقر بالعيش عينا

أسفا من ضيع الأوقات و قد عرفها ، و سلك بنفسه طريق الهوى فأتلفها ، وأنس بالدنيا فكأنه خلق لها ، وأمله لا ينتهى ، وأجله قد انتهى ، سلمت إليه بضائع العمر فلعب بها ، لقد ركن إلى ركن ما لبث أن وهى ، عجبا لعين أمست بالليل هاجعة ، ونسيت أهوال يوم الواقعة ، ولأذن تقرعها المواعظ فتضحى لها سامعة ، ثم تعود الزواجر عندها ضائعة ، و لنفوس أضحت فى كرم الكريم طامعة ، و ليست من حال من الأحوال طائعة ، و الأقدام سعت بالهوى فى طرق شاسعة ، بعد أن وضحت لها سبل فسيحة واسعة ، ولهمم أسرعت فى شوارع اللهو شارعة ، لم تكن

---

(١) من ديوان أبى العتاهيه ص ٢٥٦ .

(٢) الحجال : موضع يزين بالثياب و الستور للعروس .

مواعظ العقول لها ما نعة ، و لقلوب تضمر التوبة عند الزواجر الرائعة ، ثم يحتل العزم بفعل ما لا يحل مرارا متتابعة ثالثة بعد ثانية ، و خامسة بعد رابعة .

كم يوماً غابت شمسه , قلبك غائب ، وكم ظلام أسبل ستره وأنت فى عجائب و كم أسبغت عليك نعمة و أنت للعاصى توائب ، و كم صحيفة قد ملأتها بالذنوب الكاتب ، و كم يندرك سلب رفيقك وأنت لاعب ، يا من يأمن الاقامة قد زمت الركائب ، أفق من سكرتك قبل حسرتك على المعايب ، وتذكر نزول حفرتك وهجران الأقارب ، و انهض عن بساط الرقاد وقل أنا تائب ، و بادر تحصيل الفضائل قبل فوت المطالب ، فالسائق حثيث و الحادى بجد و الموت طالب .

لأبكين على نفسى وحق ليه (١) يا عين لا تبخلى على بعبرتيه
لأبكين فقد بان الشباب و قد جد الرحيل عن الدنيا برحلتيه
يا نأى منتجعى يا هول مطلعى يا ضيق مضطجعى يا بعد شقتيه
المال ما كان قدامى لأخرتى ما لا أقدم من مالى فليس ليه

أسفا لغافل لا يفيق بالتعريض حتى يرى التصريح ، ولا تبين له جلبة الحال إلا فى الضريح ، كأنه و قد ذكره الموت فأفاق ، فانبته لنفسه و هو فى السباق ، و اشتد به الكرب و التفت الساق بالساق ، و تحير فى أمره و ضاق الخناق ، وصار أكبر شهواته توبة من شقاق ، هيهات مضى بأوزاره الثقيلة ، وخلا بأعماله و استودع مقيله وغيب فى الثرى ، و قيل لا حيلة ، و بات النـدم يلزمه و بئس اللاحى (٢) له .

فتفكروا إخوانى فى ذلك الغريب و تصوروا أسف القادم و قلق المريب ، فلمثل حاله فليحذر اللبيب ، و هذا أمر تبعده الآمال و هو و الله قريب .

---

(١) ديوان أبى العتاهية ص ٣٠٣ (٢) اللاحى العائب .

أبصرته ملق يجود بنفسه قد كلل الرشح الغزير جبينه
لا يستطيع اجابتى من ضعفه طوراً يكف شماله و يمينه
و طبيبه قد حار فيه و قد رأى أنفاسه تعلو معاً و أنينه
قد عاف مشروباته و طعامه و قلى لذاك صديقه و خدينه

إخوانى : سلوا القبور عن سكانها ، و استخبروا اللجود عن قطانها ، تخبركم بخشونة المضاجع ، و تعلمكم أن الحسرة قد ملأت المواضع فان المسافر يود لو أنه راجع فليتعظ الغافل و ليراجع .

يا واقفاً يسأل القبور أفق فأهلها اليوم عنك قد شغلوا
قد هالهم منكر و صاحبه و خوف ما قدموا وما عملوا
رهائن للثرى على مدر (١) يسمع للدود بينهم زجل (٢)
سرى البلى فى جسومهم لجرت دماً و قيحاً و سالت المقل
سكرى و لم يشربو العقار و من كوس المنون ما نهلوا
ينتظرون النشور إذ يقف الأم لاك و الأنبياء و الرسل
يوماً ترى الصحف فيه طائرة و كل قلب من أجله وجل
قد دنت الشمس من رؤوسهم و النار قد أبرزت لها شعل
و أزلفت جنة النعيم فيا طوبى لقوم بربعها نزلوا
أكوابهم لمسجد يطاف بها و الخمر و السلسبيل و العسل
و الحور تلقاهم و قد هتكت عن وجهها الأستار والكلل (٣)

---

(١) المدر : الطين اليابس و الحجارة .
(٢) الزجل : الجلبة ورفع الصوت و التطريب .
(٣) الكلل : جمع كلة و هى الستر الرقيق .

بيئات الشعر الاسلامى
فى زمن رسول الله ﷺ

بقلم : د . يحى الجبورى
وكيل كلية الانسانيات جامعة قطر

لا شك أن الهجرة إلى المدينه قد جمعت قوى المسلمين فى معسكر واحـــد ، يمثله الشعر الاسلامى الذى ينطق بلغة الدين الجـــديد المتأثر بمعانى القرآن الكريم وألفاظه ، وتجمعت ضد هذا المعسكر قوى الدين القديم المتمسك بضلالات الجاهلية ، فتزعمت مكة - يوم كانت على الشرك - هذا المعسكر ، و مثل شعراؤها هـــذه الأفكار ، و قد انضم إلى مـــكة شعراء الطـائف والقرى اليهودية ، التى تجمعها مع المشركين رابطة العداء للدين الاسلامى الحنيف ، و قــد بقى هنالك شعر كثير بمعزل عن هذا الصراع بين التيارين فى أول الأمر ، ذلك هو شعر البادية الذى هو امتداد للشعر الجاهلى و بقية منه ، و إن لم يطل العهد بهذا الشعر حتى شارك كثرة شعرائه فى أحداث العصر الكبرى .

فأما الشعر الاسلامى ، فهو شعر الأنصار أولا ، وشعر المهاجر ثانياً ، وقد كان شعر الأنصار فى المدينة أجود الشعر و أكثره تمثيلا الآداب الدينية و استجابة لمبادىء الاسلام ، وقد نبغت المدينة بين القرى العربية فى الجاهلية ، وكان لشعرائها المكانة الكبرى فى الاسلام ، وبرز فى الأحداث الاسلامية ثلاثة نفر كلهم من الخزوج . حسان بن ثابت ، و كعب بن مالك ، و عبد الله بن رواحة ، أما الأوس فقـــد كان لها شاعران هما : قيس بن الخطيم و أبو قيس بن الأسلت ، وكلاهما لم يكن له حظ فى الاسلام ، فقد هلكا عند الهجرة أو قبلها بقليل

ویصح أن یقال إن شعراء الخزوج الثلاثة هم الشعراء الرسمیون للدولة الاسلامیة آنذاك ، حیث کانوا المعبرین عن أمانی المسلمین المدافعین عن أعراضهم ، الممثلین لوجهة النظر الاسلامیة ، أما المهاجرون فقد عرف شعرهم منذ أول البعثة و بخاصة حین أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلی الحبشة أولا ، ثم إلی المدینة ثانیاً ، و قد عرف من هؤلاء عبد الله بن الحارث السهمی ، و عثمان بن مظعون ، وعبد الله بن جحش ، و أخوه أبو أحمد عبد بن جحش ، و من النساء صفیة بنت عبد المطلب ، و هند بنت أثاثة ، و نعم بنت سعید .

و قد أفاد الشعراء المسلمون من کتاب الله الذی یقرأونه و یتدارسونه ، فظهرت ألفاظه و معانیه فی شعرهم حین ینظمون فی الأحداث الکبری ، فقد بدأت الصیغ و الألفاظ القرآنیة تشیع فی شعرهم من مثل : المسلم ، و الکافر ، و البر ، و الفاجر ، و المؤمن ، و الضلال ، و الهدی ، و الجنة ، و النار ، و الرحمن ، و الذین نصروا الاله ، و البر الحنیف ، و غیر ذلك ، وکانت جهود رسول الله ﷺ فی توجیه الشعراء و تسدید خطاهم و تقویم شعرهم قد سدت النقص فی شعرهم و دفعت بمواهبهم لتتفتق عن معان دینیة جدیدة . فغدا المعنی الاسلامی یتضح فی الشعر کلما قدم بالشاعر عهده بالاسلام ، و صارت الشخصیة الاسلامیة تتمیز عن شخصیة الشاعر الجاهلی ، فبعد أن کان الفخر فی الحرب مثلا بقوة العدة و العدد و بلاء القبیلة و کسب المغنم و سبی العدو ، صار الفخر فی شعر المسلمین بنیل الشهادة فی سبیل الله ، وانتصار جند الله علی أعداء الله المشرکین ، و صار الکسب کسب رضوان الله و رسوله لا کسب الشاة و البعیر .

وکان طبیعیاً أن یکون أسلوب الشعر خاضعاً للمعنی الجدید ، فغدت لغة الشعر سهلة لینة ، ابتعدت عن خشونة الکلمة الجاهلیة ، وصعوبة ترکیب عبارتها ، ولذلك

فليس من الغريب أن يلين شعر حسان ، و يسلس شعر كعب بن مالك ، أما عبد الله ابن رواحة فيكاد يكون شعره كلام المتخاطبين ، و هو حديث النفس المؤمنة التى تفصح دون أعياء أو تعقيد .

و كان لجودة هذا الشعر و خصبه أن ساهم مساهمة فعالة فى نشر الاسلام و اخضاع المشركين و المتمردين على الدين ، فيكفى أن يتفوق حسان بن ثابت على شاعر تميم ليسلم ذلك الوفد ويشهد رجاله أن رسول ﷺ مؤتى له ، كما أن أبياتاً قالهن كعب بن مالك كانت سبباً فى إسلام دوس ، و ذلك بعد الفراغ من (حنين) حين أجمع النبى ﷺ السير إلى الطائف ، و من الأبيات قوله : (١)

قضينا من تهامة كل ريب ... و خيبر ثم أجمعنا السيوفا

نخيرها و لو نطقت لقالت ... قواطعهن دوساً أو ثقيفاً

و قال ابن سيرين فى هذا : « فبلغنى أن دوساً إنما أسلمت فرقاً من قول كعب قضينا من تهامة ... ، فقالت : انطلقوا فخذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف » ، و قد كان شعر المسلمين سيفاً مصلتاً على رقاب المشركين و سلاحا بيد رسول الله ﷺ يخضع به أعداء الدين .

لقد طرق الشعراء المسلمون أكثر فنون الشعر ، و إن تميز فن الرثاء بين الفنون الأخرى ، لكثرة من استشهد من المسلمين فى المعارك التى دارت بينهم وبين مشركى قريش ، أو بينهم و بين اليهود ، ثم رثاء رسول الله ﷺ ، و الصحابة ، وكان لحمزة عم النبى النصيب الأوفى من ذلك الرثاء ، ولم يكن شعر الرثاء إلا صورة من صور الدعوة إلى الدين و نشر الأفكار الاسلامية ، لأن شعراء المسلمين كانوا

(١) السيرة النبوية ٤٧٩/٢ - ٤٨٠ ط السقا مصر ١٩٥٥ ، و الحماسة الشجرية ص ١٦٤ ط دمشق ١٩٧٠ .

يمزجون رثاء القتلى بثواب الآخرة و التنعم بجنات الخلد ، و الشهادة فى سبيل الله أسمى غاية يسعى إليها المسلم ، فالروح المعنوية لدى المسلمين قوية ظاهرة ، ولم تتح هذه الناحية للمشركين ، فلم يجدوا التبرير المقنع لقتل أصحابهم ، و لم يكن أمامهم الهدف السامى البعيد الذى ترتبط إليه نفوسهم .

و قد وقف ضد هذا الشعر يجيبه و يناوئه و يعاديه شعر المعارضة (١) فى مكة و الطائف و القرى اليهودية ، فأما مكة فقد حباها الله مكانة دينية مقدسة ، و قد أفاد المكيون من وضع مدينتهم الدينى و التجارى ، فمكثوا آمنين من الغزوات و الحروب ، و إذا كان هذا الوضع الآمن قد جنب المكيين الحزازات والمنازعات ، فانه من ناحية ثانية كان سبباً فى ضعف شعرهم وقلته ، وإذا كان لمكة شعر قبل الاسلام ، فهو شعر قليل ليس بذى خطر كبير ، فلم يحفل به النقاد القدامى .

و قد برز شعر مكة فى الاسلام إبان الحروب الاسلامية ، فنهض شعراؤها يحملون راية النضال ضد الدين الاسلامى ، ويقاتلون دون دينهم الموروث وتقاليدهم القديمة ، وأبرز شعراء مكة آنذاك : عبد الله بن الزبعرى ، وضرار بن الخطاب ، و أبو سفيان بن الحارث ، و هبيرة بن أبى وهب ، و كلهم عرف بعدائه الشديد لرسول الله ﷺ ، و صحابته المؤمنين . و لم يكن هؤلاء شعراء مكة وحسب ، بل إن معركة بدر فتقت القرائح و حفزت الهمم ، فقال الشعر كثرة من الشعراء ، و إن كانوا دون أولئك البارزين ، فعرفنا منهم : الحارث بن هشام ، و أبا عزة الجمحى ، و عمرو بن العاص ، و أبا أسامة معاوية بن زهير و أبا بكر شداد ابن الأسود ، و مسافع بن عبد مناف ، هذا غير مقطوعات و أبيات تسقط لشعراء آخرين .

---

(١) ينظر كتاب شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه ـ يحى الجبورى ص ١٢٣ و ما بعدها ط بغداد ١٩٦٤ .

وكما كان فى المسلمين نساء شواعر يرثين القتلى ويحرضن على القتال، فكذلك كان الامر عند المشركين، فقد أظهرت الأحداث شعراً لشواعر قريش ازدهر بعد معركة بدر خاصة، و إذا علمنا أن القرشيين كانوا قد اصطحبوا نساءهم فى غزوة أحد، كان من الطبيعى أن ينشدن الأراجيز فى الحث على القتال و تحريض الرجال، على أن ينالوا من المسلمين مثلما نال المسلمون منهم يوم بدر، و لمعت فى تلك الأحداث هند بنت عتبة، وصفية بنت مسافر، و قتيلة بنت النضر التى قالت قصيدة من أروع الشعر و أشجاه فى عتاب رسول الله ﷺ، بقتل أبيها النضر بن الحارث الذى كان أسر و قتل بالصفراء فيما قالت: (١)

يا راكباً أن الأثيل مظنـــة　　　من صبح خامسة و أنت موفق
أبلغ بهـا ميتاً بأن تحيـــة　　　ما أن تزال بهـا النجائب تخفق
منى إليك وعبرة مسفوحـــة　　　جادت بواكفهـا و أخرى تخنق
هل يسمعنى النضر أن ناديته　　　أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمـــد يا خير ضنْ كريمـــة　　　فى قومها و الفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما　　　من الفتى و هو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فـدية فلينفقن　　　بأعز ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة　　　و أحقهم إن كان عتق يعتق
ظلت سيوف بنى أبيـه تنوشه　　　لله أرحام هنـاك تشقق
صبراً يقاد إلى المنيـــة متعباً　　　رسف المقيد و هو عان موثق

ويقول الرواة: إن رسول الله ﷺ تأثر و قال: « لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه ».

---

(١) السيرة النبوية ٤٢/٢ و دلائل الاعجاز ص ١٩ ط المنـــار مصر ١٣٦٦هـ و زهر الآداب ٣٤/١ ط زكى مبارك مصر.

و قد وقفت الطائف إلى جانب مكة فى عدائها للدين الاسلامى ، وقد عرف فى الطائف شعراء ثلاثة ممن أدركوا الاسلام ، هم : أمية بن أبى الصلت ، و أبو محجن الثقفى ، وكنانة بن عبد ياليل ، وكان أمية أبرز من صاحبيه، و أشدهما عداوة لرسول الله ﷺ ، وحسدا له و حقداً عليه ، و كان أمية ممن أنكرالأصنام و شك فى جدوى عبادتها ، وذهب مذهب الأحناف ، وكان يطمح أن يبعث نبينا ، فلما ظهر النبي ﷺ كفر به حسداً وبغضاً ، وانحاز إلى أعدائه المشركين ، يناصرهم ويحرضهم على قتال المسلمين ، يبكى قتلاهم ـ بعد بدر ـ و يعظم مصيبتهم فى قصيدة يقال إن رسول الله ﷺ منع إنشادها فى ذلك الحين . و هى موجودة فى سيرة ابن هشام دونها بعد زوال أسباب المنع .

و أما أبو محجن الثقفى ، فعلى الرغم من اشتراكه مع قومه فى حرب المسلمين حين حاصروا الطائف ، و أنه أصاب فى ذلك اليوم بسهمه عبـد الله بن أبى بكر ، على الرغم من ذلك فان جهده فى هذا السبيل لا يقوم مقام شعراء المشركين أو يعد منهم ، و ما أضيف إلى شعراء المشركين لمآتيه تلك . بل لأن جل شعره كان فى الخمرة التى حرمها الاسلام ، فهى منكر فى المنكرات يعاقب الاسلام متعاطيها .

و كنانة بن عبد ياليل ، فارق الاسلام مهاجراً إلى الشام حين أسلم قومه ، و لزم الكفر ، و له شعر يرد فيه على كعب بن مالك فى حصار الطائف ، وكان قد انضم إلى هوازن فى حربها ضد المسلمين يوم حنين

و بيئة ثالثة كانت مباءة للكفر و النفاق ، جدت و اشتدت فى عدائها للدين و للرسول و المؤمنين ، تلك هى القرى اليهودية المحيطة بالمدينة و المنبثة على طريق الشام ، و مع أن اليهود أصحـاب دين و كتـاب ، و مع أن الرسول ﷺ وضع كتاباً أول الهجرة ، ثبت لهم فيه الضمانات الصريحة الواضحة التى تكفل لهم حرية

العبادة و الحفاظ على أموالهم ، مع كل ذلك فانهم نقضوا العهد و نافقوا وحرضوا قريشاً عـــلى قتال المسلمين ، فكانوا العدو القريب للاسلام ، فحاربهم رسول الله ﷺ و أجلاهم .

و شعر اليهود الذى مثله كعب بن الأشرف ، و سماك اليهودى ، و جبل ابن جوال ، وأوس بن دنى القرظى ، وغيرهم ، ظهر فى بكاء قتلاهم من بنى قريظة و النظير ، و فى هجاء المسلمين ، و التشبيب بنسائهم ، و فى تحريض المشركين على قتال المسلمين .

هذا الشعر بجملته فى مكة و الطائف و القرى اليهودية ، هو شعر المعارضة الذى وقف يعادى ويهاجى المؤمنين ، وإذا رحنا نتلمس السمات العامة لهذا الشعر ، نجد أن ما يتصل منه بالاسلام أو فيه ذكر له قليل ، الحقيقة أن الذى وصل منه وحفظ هو أقل القليل ، وقلة هذا الشعر مرتبطة بالظروف التى رافقت شعر المعارضة . و هذا الشعر بعامته نشأ و ترعرع فى ظل الغزوات و الحروب القائمة بين المسلمين وأعدائهم ، وقد انتهى دور هذا الشعر بانتهاء تلك الحروب فى فتح مكة . ولم يكتب له البقاء بعد الفتح أو فى ظل الخلفاء الراشدين بل صار جزءاً من أدب الاسلام .

و يلاحظ أن هـــذا الشعر يكاد يخلو ـ إلا فى القليل ـ من أثر الدين ، فاذا قرأنا شعر مكة و هم أصحاب البيت و سدنة الكعبة ، و مركز الآلهة ومباءة الأوثان ، لا نجد مجادلة أومحاجة أو تعرضاً لمبادىء الاسلام و نظمه ، ولا نجـد كذلك اعتزازاً بدينهم تفضيلا له أو تمسكا به ، اللهم إلا ذلك الضرب من الاعتزاز بدين الآباء و التمسك بموروثات الأجداد ، و قـــد وضح ذلك عند شعراء البادية يوم كانوا على الشرك ، كمخاطبة كعب بن زهير و تعنيفه لأخيـــه بجير بن زهير ، الذى أسلم و ترك دين أبيه و أمه ، فهو يكتب إليه رسالة يقول فيها : (١) .

(١) الأغانى ١٤٢/١٥ ط ساسى ، والسيرة النبوية ٥٠١/٢ ، وديوان كعب بن زهير ص ٣ ـ ٤ ط دار الكتب المصرية مصر ١٩٥٤ .

ألا أبلغا عنى بجيراً رسالة فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
سقاك أبو بكر بكأس روية فأنهلك المأمون منها و علكا
و فارقت أسباب الهدى وتبعته على أى شئ ويب غيرك دلكا
على مذهب لم تلف أما و لا أبا عليه و لم تعرف عليه أخا لكا
فان أنت لم تفعل فلست بآسف ولا قائل: أما عثرت لعا لكا

أو مثل قول امرأة العباس بن مرداس ، تعاتب زوجها حين قصد المدينة ليسلم و فارق إخوان الصفا و الصنائع كما تقول : (١)

لعمرى لئن تابعت دين محمد وفارقت إخوان الصفا والصنائع
لبدلت تلك النفس ذلا بعزة غداة اختلاف المرهفات القواطع

و كذلك الأمر فى شعر الطائف ، فعلى الرغم من أن أمية بن أبى الصلت كان من الأحناف ، و كان أكثر شعره فى ذكر الآخرة ، مع كل ذلك فقصيدته التى يبكى فيها أصحاب القليب من قريش ، ليس فيها شئ من ذكر الآخرة و الدين و محاججة المسلمين .

و يتضح الأمر أكثر فى شعر اليهود ، فهم أهل كتاب وتراث دينى قديم ، و إن أحبارهم كانوا يحاجون الرسول ﷺ و يسائلونه يريدون إحراجه ، و إذا قرأنا ما وصل من شعرهم فى هذه الفترة ، لا نجد لتلك المحاجة أثراً ، و لا نجد إعتزازاً بدينهم القديم ، و لا نجد كذلك مفاضلة بين الاسلام و اليهودية .

فاذا كنا نعزو خلو شعر مكة و الطائف من أثر الدين إلى أنهم لم يكونوا متمكسين بدينهم عن عقيدة راسخة و إيمان متين ، فهذا لا يكون سبباً راجحاً فى تطبيقه على شعر اليهود ، و فى أكبر الظن أن هؤلاء الذين حملوا راية العداء

---

(١) الأغانى ١٤/٣٠٧ ط دار الكتب المصرية .

و الحرب ضد الاسلام ، لم يجدوا الحجة الواضحة و الدليل الراجح لدفع ما جاء به الاسلام أو رده أو تكذيبه ، فحاروا و ضلوا و سقط فى أيديهم و سكتوا عن جداله و اكتفوا له بالكيد اللئيم ،

و هناك ظاهرة أخرى فى هـذا الشعر ـ شعر المشركين ـ هو أنه لم تكن تجمعه وحدة فكرية أو وحدة مكانية ، فهو شعر قرى مختلفة فى الثقافة و الشاعرية و النظرة إلى الدين ، و إذا كان العداء الدين الاسلامى قـد جمعهم ، فان الحماس ضد هذا الدين يختلف عند القرشيين الموتورين عنه عند الثقفيين أو اليهود ، وعلى الرغم من كثرة الشعراء فى هذه البيئات ، فان جهودهم ضد الاسلام كانت مبعثرة ، و لعل لهـذا ، و لانتصار الاسلام فى فترة قصيرة ، كان خمول شعر المعارضـة و تفرقه و قتله و ضياعه .

و إذا انتقلنا إلى البـادية ، نجـد الأمر يختلف كل الاختلاف ، ففى البادية شعر وافر غزير ، و لا يعنينا من أمر هذا الشعر إلا ما كان فيه للاسلام أثر ، أو لشعرائه صلة بالحياة الاسلامية ، فقد تأثر بعض شعراء البادية بالاسلام واتصلوا بحاضرة المسلمين .

والشعر هذا هو شعر الفحول من مثل العباس بن مرداس وكعب بن زهير و النابغة الجعدى و لبيد بن ربيعة العامرى و عمرو بن معديكرب الزبيدى و عبدة ابن الطبيب و مزرد بن ضرار الغطفـانى و غيرهم ، و كلهم شاعر مكثر مشهور ، و لم يكن فيهم من المغمورين المقلين إلا بجير بن زهير ، وهؤلاء الشعراء هم الذين ظهر للاسلام أثر واضح فى شعرهم .

و كل هؤلاء الشعراء و غيرهم من الأعراب ، دخلوا الحياة الاسلامية بعد فترة الحرب بين المسلمين و المشركين أو قبل نهايتها بقليل ، وقد شارك شعرهم فى

الحياة الاسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين ، وكان لهم أثر فعال فى الفتوح الاسلامية فى العراق و الشام ، و قد قالوا شعراً متيناً رائعاً يتغنى بمجد الاسلام و انتصاره على دول الشرك من فرس و روم .

وبعد ، فهذه هى المؤشرات الهامة فى الشعر الاسلامى فى الفترة النبوية ، وفى الواقع أن الأدب بعد ظهور الاسلام أصبح فى كثرته فناً إسلامياً ، و إن الأدب فى عصر الدولة الأموية هو أدب إسلامى نشأت أصوله و ارتبطت جذوره بفترة صدر الاسلام ، فشعر السياسة يحاجج بحجج إسلامية قرآنية ، سواء أكان ذلك شعراً علوياً أم خارجياً أم زبيرياً ، و شعر الغزل فى البادية و الحاضرة يستمد معانيه من تعاليم الاسلام و يتخلق بأخلاقه وحتى الشعر الذى انصرف إلى المديح والهجاء و هو شعر النقائض التى ثار غبارها بين جرير و الفرزدق و الأخطل و الراعى ، استمد معانيه و صوره و ألفاظه من القرآن الكريم ، و اقرأ شعر جرير خاصة فستجده قد أفاد من القرآن الكريم فائدة كبيرة ، فهو يقتبس معانيه فى حين ، و يضمن ألفاظه و عباراته فى حين آخر ، وقد سار فى حجاجه و جداله على ضوء المعانى الاسلامية و هداها .

و على هذا فان الأدب فى العصر الأموى هو امتداد طبيعى للأدب فى عصر النبوة والخلافة الراشدة ، وهو أدب إسلامى لفظا ومعنى روحا وأسلوباً ، و أرجو مخلصاً أن يتنبه الأدباء و الكتاب إلى الجانب الاسلامى فى الأدب قديماً و حديثاً ، و أن يحلوه محله اللائق به ، فالأدب الاسلامى على مر عصوره ملحمة رائعة زاهية ، سجلت بطولات الاسلام و أمجاد المسلمين و حفظت عبقرية اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم .

★★★

الحاجة إلى تدوين جديد لتاريخ الأدب العربي

الدكتور حسين عطوان
أستاذ الأدب الأموي بالجامعة الأردنية

يفتقر الأدب العربي إلى موسوعة كاملة شاملة تؤرخ له من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث. وليس ذلك أمراً سهلا، بل هو مشروع كبير، ومطلب عزيز، يقصر الأفراد عن بلوغه، ويعجزون عن تحقيقه، مهما تطل آجالهم، و تتصل آمالهم.

و معلوم أن هذا الأمر أرق الباحثين المهتمين بالأدب العربي طويلا، وراود نفوسهم و أحلامهم كثيراً، فهو مطمح من مطامحهم البعيدة، و هو شغل بعضهم الشاغل الذى يفكرون فيه، و يقدرون له، ويسعون إلى تذليل الصعاب، وتسهيل الطرق إلى إدراكه، لا ينصرفون عن التنبيه على أهميته، و لا ينقطعون عن بذل الجهد تلو الجهد فيه، و آثارهم فى نصف القرن الماضى تشهد على عنايتهم الشديدة به، و تدل على علمهم المتصل فيه، فقد دعوا إلى الاحتفال بتاريخ الأدب العربي مراراً، ومن الانصاف الاشارة إلى أن الدكتور إحسان النص كان اقترح مشروعاً لكتابة تاريخ الأدب العربي، و أنه رأى أن يفرد كتاب أو جزء للأدب فى كل قرن من القرون، و قد وافق قسم اللغة العربية و آدابها فى جامعة الكويت على المشروع سنة ١٩٨٠، و أرسل منه نسخاً إلى الجامعات العربيـــة، طلباً للمشورة و النصح، و أملا فى المساعدة و المشاركة، ولكن سعى قسم اللغة العربية وآدابها فى جامعة الكويت لم يسفر - فيما أعلم - عن عقـــد ندوة علمية لبحث المشروع و مناقشته و تدقيقه، و العمل على تنفيذه.

وصنف الباحثون أيضاً مؤلفات كثيرة فى تاريخ الأدب العربي تتعلق بعصوره و فنونه و أعلامه، و اتبعوا فيها مناهج متعددة، و من الانصاف كذلك شكرهم

علی ما قدموا ، إذ كانوا روداً احتملوا العبء وحدهم ، ونهضوا به علی قدر طاقتهم ، و أفادوا غيرهم من الدراسين فوائد جليلة .

و قد أحسن الأستاذ أبو الحسن علی الحسنی الندوی رئيس دار العلوم حين دعا إلی عقد ندوة عالمية للأدب الاسلامی ، و هيأ السبل إلی عقدها ، لتبحث فيها قضايا الأدب الاسلامی المختلفة بحثاً عميقاً ، و يخرج بنتائج واضحة ، و ينتهی إلی مناهج محدودة ، و يتفق علی خطة وافية مفصلة من أجل البدء فی تدوين الأدب العربی من جديد .

و يبدو لی أن تدوين تاريخ الأدب العربی تدويناً وافياً دقيقاً يحتاج إلی ثلاثة أمور : الأول إنشاء مؤسسة تشرف علی هذا العمل . و الثانی جمع النصوص و توثيقها ، و الثالث الاتفاق علی منهج البحث .

أما الأمر الأول فهو أساس تنظيمی لا يستغنی عنه ، لأن تدوين تاريخ الأدب العربی تدويناً وافياً دقيقاً عمل جماعی لا عمل فردی ، ولذلك لابد من إنشاء مؤسسة خاصة به ، يقوم عليها أهل المعرفة والخبرة من الباحثين المشتغلين بالأدب العربی ، و تكون مهمتها تنظيم العمل و تقسيمه ، و اختيار الباحثين الذين سيتولون كتابة البحوث و الدراسات المختلفة ، و متابعة أعمالهم ، و السعی إلی إنجازها فی أوقات محددة ، و مواعيد معلومة .

و فی تجارب الأمم المتقدمة ما يؤيد الحاجة إلی ذلك فانها حين بادرت إلی تدوين تراثها و التاريخ له أنشأت المؤسسات المتخصصة الدائمة ، التی استمر عمل بعضها لعقود كثيرة .

و فی وسع العالمين العربی و الاسلامی اليوم أن يوفرا الأموال التی يستلزمها إنشاء مؤسسة لتدوين تاريخ الأدب العربی ، و فيهما أيضاً علماء نابهون ممتازون يستطيعون أداء هذا العمل و القيام به علی خير وجه .

و أما الأمر الثانى فهو أساس أولى لا يبدأ العمل و لا يستمر و لا يتم إلا به ، إذ لا بد من توافر المادة التى ستعتمد عليها البحوث و الدراسات المختلفة ، ولذلك تشتد الحاجة إلى جمع النصوص و تحقيقها و لا سيما نصوص بعض العصور و البيئات التى ما تزال أكثرها مطوياً

و مما يبعث على الأمل أن تحقيق النصوص نشط نشـــاطاً قوياً فى العالمين العربى و الاسلامى منذ زمن بعيد ، و كان للأفراد نصيب وافر فيه ، وقد أخذت الجامعات و المؤسسات العلمية المختلفة تهتم به اهتماماً بالغاً .

و إن المنشور المتيسر من النصوص يمكن من الشروع فى تدوين الأدب العربى ، ويستطيع الباحثون الذين سيتولون كتابة البحوث والدراسات أن يستكملوا بعض النصوص ، و أن يسدوا النقص فيها

و أما الأمر الثالث فهو أساس جوهرى أيضاً ، إذ لا بد من الاجماع على منهج يلتزم به كافة الباحثين فى تدوين تاريخ الأدب العربى ، حتى يكون لهذا التدوين روح واحدة متسقة لا تناقض فيها و لا تعارض بينها .

و يظهر لى أنه يحسن التمييز بين المنهج الذى سيصطنع فى دراســـة الأدب العربى القديم ، و بين المنهج الذى سيصطنع فى دراسة الأدب العربى الحديث .

أما الأدب العربى القديم فمن الأفضل الاعتماد فى دراسته على منهج واحـــد مركب يأخذ بالطرف الصالح من كل منهج من مناهج القدماء الذين درسوا الأدب العربى لأنه لا سبيل إلى فهم الأدب العربى القديم و تحليله ، و معرفـــة دقائقـــه و أسراره اللغوية و التركيبية و الجمالية إلا فى إطاره التاريخى الفكرى و الابداعى و النقدى ، و لا بأس من الاستعانة ببعض المناهج النقدية الحديثـــة التى تساعـــد على ذلك ، و تتيح الوقوف على جوانب جديدة قصرت مناهج القدماء عن بلوغها ، أو أشارت إليها إشارة سريعة ، أو ألمت بها إلماما موجزاً .

و أعنى بالمنهج الواحد المركب أن يكون مزاجا من المناهج القديمـة الأصيلة الراسخة. و قد يتكون هذا المنهج من المنهج السياسى، ومن المنهج الاقليمى أو البيئى، و من المنهج الموضوعى أو الفنى، فهذه مناهج القدماء فى الدراسة الأدبية، و تلك تسمياتهم و مصطلاحتهم، التى يحسن الابقاء عليها و الاهتداء بها، لأنها تتيح المجال لبحوث جزئية تفصيلية كثيرة، تحيط بقضايا الأدب العربى فى عصوره و أمصاره المختلفة، و تكشف عن فنونه و أعلامه كشفاً مبيناً

ومن الصعب البدء فى تدوين تاريخ الأدب العربى قبل هذه الدراسات الدقيقة المستقصيـة، لأنها تمنع من التسرع و الغموض و الخطـأ، و تصحح كثيراً من الأوهام، و تستدرك غير قليل من الحقائق التى خفيت، و تساعد على أن تكون الأحكام قريبة من الصواب أشد القرب، و تؤدى إلى رسم صورة واضحة وافية لا نقص فيها و لا اضطراب.

وغنى عن القول أن بعض هذه المناهج قدأخذ عليها مآخذ مختلفة، أما المنهج السياسى فان أشهر ما عيب به أنه يربط الأدب و ازدهاره وتعثره بالعهود السياسية و سقوط دولة، و قيام دولة.

و هذا مأخذ صحيح، غير أنه لا يقلل من قيمة المنهج السياسى و لا يلغيها، و لعل التواصل بينه و بين غيره من المناهج يخفف هذا العيب بعض التخفيف:

و أما المنهج الاقليمى فان أظهر ما طعن به عليه أنه يجرد الأديب من ذاته و نفسه و عواطفه، و يجعله أسيراً لبيئته و ظروفها.

و هذا مأخذ صحيح أيضاً، و لكن علماءنا القدماء لم يفهموا المنهج الاقليمى فهم «تين»، و لا فهم «الشيخ الخولى» له، بل اقتصدوا و اعتدلوا فى فهمه و تطبيقه أشد الاقتصاد والاعتدال، وملاحظاتهم النقدية، ومؤلفاتهم الأدبية تشهد على ذلك، فقد ذكر النقاد منهم أن للبيئة أثراً فى معانى الشعر و مبانيه و صوره، و اقتصروا عـلى ذلك، و أما مؤرخو الأدب منهم فاعتمـدوا المنهج الاقليمى لاتساع الدولة الاسلامية، و تعدد أمصارها، و كثرة الأدباء فى كل مصر منها،

و لم يجاوزوا فى تطبيقة فكرة التيسير و التسهيل ، ولم يريدوا فى الأعم الأغلب إلا أن يحصروا أدباء كل مصر حصراً وافياً ، فاذا أخذنا بفهمهم لهذا المنهج و تطبيقهم له نفينا عنه ما عيب به ، و أعاننا على استقصاء الشعر و النثر فى كل مصر من الأمصار التى يظن ظننا أنهما كانا ضعيفين فيها ، وجلا لنا أمرهما جلاء دقيقاً .

و أما المناهج النقدية الحديثة ، و خاصة المنهج الفلسفى و المنهج النفسى ، فانهما يقومان على التحكم و التعسف و التمحل ، فى دراسة الأدب العربى القديم ، إذ يحملان النص الأدبى أكثرمما يحتمل ، و يستنبطان منه معانى ودلالات يبدو أنها لا تمت إليه بسبب ، بل إنهما يقطعان الصلة بينه و بين جذوره و أصوله ومصادره قطعاً تاماً ، ولذلك يحسن الابتعاد عنهما فى دراسة الأدب العربى القديم .

و لا بد من الاهتمام بالشعر و النثر اهتماماً واحداً متساوياً ، لأن الباحثين اهتموا فى السابق بالشعر أكثر بكثير من اهتمامهم بالنثر ، و إذا وسعت دائرة النثر كان ذلك أفضل ، فان الاقتصار على الخطب و الرسائل و المقامات قد لا يعطى صورة دقيقة عن النثر العربى ، ذلك أن فى كتب التراث العربى الاسلامى قطعاً فكرية أدبية رائعة ، و مثال ذلك كتب السيرة و المغازى و التاريخ و البلدان والطبقات و التراجم و التفسير و غيرها ، فان أصحابها كانوا من علماء العربية ، و من أهل البيان فيها . ولن أستطرد فى ذلك كثيراً ، و حسبى أن أذكر منهم الواقدى وابن هشام والبلاذرى والطبرى و المسعودى وابن عبد البر ، الزمخشرى ، والاصطخرى و ابن خلدون ، و لو اجتزأت عنهم بمحمد بن جرير الطبرى المؤرخ المفسر لكان فى شخصيته و علمه و بيانه ما يدل على فكره الرصين ، و أدبه الرفيع و بصره بالعربية بصراً شديداً عجيباً يكاد يفوق بصر علماء العربية المعروفين .

و أما الأدب العربى الحديث ، فأكثر فنونه كالقصة و الرواية و المسرحية و الشعر المعاصر ، سوى الشعر التقليدى ، تتأثر آداب الأمم الأخرى ، و لذلك لا مفر من اصطناع المناهج الأدبية الحديثة فى التأريخ لها ، و فى دراستها وتحليلها .

البعث الإسلامي



البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

أنشأها فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني (رحمه الله)
في عام ١٣٧٥هـ سنة ١٩٥٥م

تصدرها : ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

المراسلات :
البعث الإسلامي
ندوة العلماء ص. ب ٩٣
لكهنؤ - الهند

NADWAT-UL-ULAMA
P. O. Box 93
Lucknow (India)

عنوان جديد

وخط فاصل في كتاب الانسانية

إن إبراهيم و دعوته و جهاده عنوان جديد ، نير مشرق في كتاب الانسانية وإسعادها ، ينفصل به التاريخ عن التاريخ، وتتوزع به الانسانية بين المعسكرين يخلدان مع الزمن ، و يبتدىء به عهد و ينتهي به عهد ، وقد جعل الله لإبراهيم الإمامة الخالدة والكلمة الباقية ، وجعل في ذريته النبوة و الولاية ، و الوصاية الدينية على العالم للأبد ، وكتب لأمرته ومن دخل داره ، الجهاد للحق ، و الوقوف في وجه الباطل إلى آخر الأبد ، و الدعوة إلى الله ؛ و تجديف سفينة البشرية في عواصف هوجاء ، و أمواج عاتية ، و المحافظة على هذا السراج من أن ينطفىء، وهو العامل البناء الوحيد الذي استعمله الله في إسعاد البشرية و عصمها من تخريب العالم وتدمير الانسانية ، وسوقها إلى الجحيم .

أبو الحسن علي الندوي

المجلد السادس والعشرون

العدد الثالث

★ ذو الحجة ١٤٠١هـ ★

★ اكتوبر ١٩٨١م ★

في هذا العدد

الافتتاحيـــة :

ألم يأن لنا أن نمثل الحياة الاسلامية الصحيحة تطبيقاً وعملا ! — سعيد الأعظمى — ٣

فى ذمة الله و ذمة التاريخ — » » — ٨

التوجيه الإسلامي

التشريعات الحكيمة فى الحج وتأثيرها .. بقلم : سماحة الشيخ أبى الحسن على الندوى — ١٠

مبادىء فى الأدب و الدعوة — فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكه الميدانى — ١٨

دفع شبهات حول الاسلام — الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد — ٣١

الدعوة الإسلامية

أدب التربيـــة و المواعظ — سعادة الدكتور غريب جمعة (القاهرة) — ٣٩

ندوة الأدب الإسلامي العالمية

كلمة سماحة الشيخ أحمد عبد العزيز المبارك رئيس القضاء الشرعى (أبوظبى) — ٤٥

القرآن و اللغـــة العربية — الأستاذ الدكتور / جميل سعيد — ٤٨

المواعظ والخطب الدينية فى العهد الأموى — الدكتور عبد الحليم الندوى — ٦٦

مفهومات أولية عن الأدب الاسلامى — دكتور / عباس محجوب محمود — ٨٦

أخبار اجتماعية و ثقافية

كتاب جـــديد قيم — قلم التحرير — ٩٨

جائزة رئيس الجمهورية الهنـــدية لأديب العربية الشيخ محمد الرابع الحسنى الندوى — » » — ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

ألم يأن لنا أن نمثل الحياة الإسلامية الصحيحة تطبيقاً و عملا !

الناس في العالم اليوم يسعون جاهدين التخلص من جميع الشقاء بكل أنواعه، وكل شخص حسب اجتهاده يحاول النجاة من ألوان الظروف والمتاعب التي يجدها في عمله و بيته وبلده، والذين يعتبرون مسئولين عن إيجاد هـذا الوضع السيء، ثم استغلاله فيما يعود عليهم بربح مادي ولو بجزء طفيف، يشعرون كذلك بمرارة الحياة دون أن يتمتعوا بهدوء، و يشعروا براحـة سعادة، فضلا عن أن يكونوا سعداء يجدون السعادة والطمأنينة معا، فمثلا أولئك الذين يرتشون بكل وقاحة، والذين يزاولون كبر الجرائم بأنواعها، وكذلك الذين يستغلون الفرص ويتحرونها لاشباع حاجات خسيسة من النفس، هل أولاء يعيشون في غبطة من الدنيـا و نعيمها، أم أنهم يعانون من قلق و شقاء و تعاسة شأن المظلومين و المغلوبين !

هل تعيش الولايات المتحدة في الغرب في هناء وسعادة و هدوء ؟ أم أن ثرواتها الهائلة و طاقاتها الذرية تعوضها في توفير أي راحة أو لذة فعليا ! ألا تصرف طاقاتها الهائلة في التخطيط ضـد دول العالم و إثارة القلاقل فيها، ألا تصرف أموالها إلى الدول الصديقة لكي ترضيها [illegible]

دول الأعداء، وهل يتمتع أكبر شخصية هناك، لها أهميتها ومكانتها، براحة ضمير، و شعور بالسعادة فى أى وقت من أوقات الليل و النهار، و إن كان ذلك رئيس الدولة. أو من يضاهيه فى الثراء و العزة.

و هل يعيش الاتحـــاد السوفياتى فى الشرق فى يسر، و فيما يسمى بالرخاء الاشتراكى و بالمساواة والعدالة، أم أن هذا الجزء من العالم أكثر بلاد الله شقاء و تعاسة، و أن أهله يعـــانون من ضيق و قلق و يسكنون فى قرارة جحيم، فيتمنون الموت، و ينادون بالويل و الثبور، و لكن أنى يتحقق لهم ذلك وراء القضبان الفولاذية «ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الأكبر» و قد ثبت أخيراً أن هذا البلد الشقى بفلسفته الشيوعية، سقط فى هاوية سحيقة من القلة والجفاف من كل جانب و حتى فى مجال الاتساع الانسانى، فقد سقطت نسبة المواليـد فيـه إلى حد مدهش، ممـــا اضطر الحكومــة إلى ترغيب الناس فى توسيع نطاق الأسر، و إعلان الجوائز على رفع نسبة المواليـد.

أما الدولة البريطانية التى لم تكن تغرب فيها الشمس فى يوم من الأيام، فقد وصلت إلى شفا الانهيار، وكادت تجأر شعوبها بما أدى بها سوء الحال، من الفقر والتمييز العنصرى، إلى معاناة الشقاء بألوانه، ولولا مساعدة الدول العربية الاسلامية بالمال العربى المودع فى بنوكها لقضى عليها بالزوال ومحيت من الوجود، رغم تدفقها بالثقافة و الحضارة الغربيتين، و رغم سيادتها الاستعمارية التى دامت على الشرق كله و على معظم أجزاء القارتين آسيا وأفريقيا لمدة طويلة، وقد عمت السآمة بين الشعوب الأوربية كلها من الحضارة الغربية التى تعفنت وتأسنت، وهى بدأت تحن إلى منجى تأوى إليه، و تتنفس فيه الصعداء.

هذه الحقائق الراهنة كلها تشير بوضوح إلى أن إنسان اليوم لفى تطلع كبير إلى

ملجأ حقيق يلجأ إليه فراراً من الملل و القلق ، و هروباً من الشقاء و التعاسة ، بعد ما عاشت فى ظل المدنية والفلسفة الغربية ، ولاذت بذيل الحياة الغربية ، ثم تحقق لديها فشلها ، و ثبت زيفها ، إن هذه الشعوب خرجت من تجاربها الطويلة للحياة الغربية وأساليبها إلى ساحة التفكير فيما إذا كان هناك طريق واضح نحو حياة أفضل و أخلاق أمثل .

ذلك هو التفكير الذى أنتج دخول عدد وجيه من هؤلاء الناس إلى ديانات و أساليب متعددة ، و إقبالهم على كل شئ يرون فيه نجاة من تلك الحياة الشقية التى رفضوها و داسوها بالأقدام و النعال ، و لم يكن نجاح حركة «المهاريشى» فى الغرب و إقبال طائفة من أهله إلى الديانة الهندوكية إلا ثمرة من ثمار هذا البحث عن السعادة و الهدوء ، كما أن بعض الجماعات المشبوهة و الحركات الهدامة التى تتقمص بالدين و العقيدة قد افترستهم لقمة سائغة ، و صاغتهم فى قالبها المعوج .

و لكن ليس من الانصاف كذلك فى هذه المناسبة أن نتناسى ما قامت به الجماعات و الحركات الاسلامية نحو هؤلاء البائسين الباحثين عن السعادة ، من الأخذ بأيديهم ، و توجيهم إلى اختيار الحياة الاسلامية و الأخلاق الفاضلة ، وقد كان لجهود الدعاة من الشباب و العلماء تأثير أى تأثير فى كسب تأييد كبير للاسلام فى أوربا و أمريكا ، و دخول عدد ضخم من الشباب التائه الضائع فى دين الله ، و انتشار دعوة الاسلام فى ربوع الغرب وجامعاته و مراكزه الثقافية و العلمية ، الأمر الذى عرف أخيراً بصحوة إسلامية .

هذه الصحوة لها من الأهمية ما لا ينكر ، إلا أن الذين يقودونها فى كثير من العواصم و المدن الغربية هم الشباب من الطلاب و الدارسين بوجه عام ، وإنهم ليبلغون من شدة الحماس لهذا العمل ما يغتبط به ، ولكن قد ينضم إليهم من يكون

مدسوساً لكى يفسد عليهم أمرهم فى عقر دارهم ، و يعكس نتائج جهودهم ، و من يكون لها ناقصاً لم يتقن الاسلام منهجاً وعملا ، فيمثله تمثيلا أخدج ، وبد لا من أن يحسن إلى الدعوة و العمل الاسلامى يسيئ إليهما .

إن العالم كله بشرقه وغربه ليتطلع إلى الاسلام ، ويترقب نماذج عملية تتمثل فى الحياة و المجتمع ، و على جميع المستويات و فى كل القطاعات الحيوية ، لقد عاد الناس من دراسة الاسلام وتعاليمه فى الكتب والمحاضرات التى ألفت وألقيت لشرح محاسن المنهج الاسلامى و نظامه و شرائعه و قوانينه ، لكى يشاهدوه واقعاً عملياً ، ويروه إسلاماً شاملا كاملا يطبق على الحياة العملية ، وينفذ فى كل جزء من أجزاء الحياة ، و هنالك يتم النجاح الكامل فى هذا المجال ، و يسرع الناس نحو الاعتناق بالاسلام عن اقتناع كامل .

و رغماً من تعذر وجود التمثيل الكامل للاسلام يتسع نطاق هذه الصحوة يوماً بيوم ، و يتزايد إقبال الشعوب المختلفة على دراسة الاسلام و اختياره كمنهج أفضل للحياة بين النظم الوضعية المادية كلها ، و لو لا ما حدث فى بعض الأقطار الاسلامية من تصرفات صبيانية ، وعبث شائن بالامكانيات و الوسائل ، و بمستقبل الجماهير و البلاد ، باسم الاسلام ، و الثورة الاسلامية ، لكانت الصحوة الاسلامية عارمة شديدة ، تخرق الحواجز وتتجاوز الحدود والسدود و تتصل بالقلوب مباشرة ، و كذلك الذين يقومون بعمل فى مجـــال الدعوة الاسلامية لو أنهم مثلوا الحياة الاسلامية بكاملها و قدموا إلى الشعوب نموذجا رائعاً لها ، لكان لهذه الصحوة شأن غير شأنها اليوم .

ولكى نصرف اتجاه المعارضين للاسلام إلى اتجاه إيجابى يحملهم على دراسة المنهج الاسلامى بجد و صرامة ، و لكى نجيب على القـائلين بأن الاسلام رهين الكتب

و المكتبات فحسب ، وليس له أى وجود فى الساحة العملية ، و على الذين ينكرون أن يصلح الاسلام للحياة الحاضرة والعالم المعاصر ، ويقولون : قد ولى دوره وانقضى عهده ، يجب أن نهتم بتمثيل المنهج الاسلامى فى واقع الحياة ، و نعتنى بالتربيـــة العملية و إقامة مجتمعات نموذجية و حياة إسلامية تحكم فيها شريعة الله و تنفذ فيها أحكام الله فى ضوء الكتاب و السنة و حياة الرعيل الأول من الأمة ، و هنالك تتحول هذه الصحوة إلى موجة إسلامية تعم العالم غرباً و شرقاً ، و يدخل الناس فى دين الله أفواجاً ، « و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء و هو العزيز الرحيم »

هناك شعوب و أجناس فى هذا العالم تتطلع إلى الاسلام بعيون ملؤها الاعجاب و الاغتباط ، و تحن إلى الدخول فى هذا الدين بقلوب تهفو إلى الحياة الاسلامية والعيش فى ظلال الأخلاق الفاضلة ، والعدالة الاسلامية ، والاعتناق بتعاليم الدين الواضحة ، وقد تم دخول عدد وجيه منهم إلى رحاب الاسلام ، باقتناع ورضى منهم ، ولا تزال مجموعات من البشر وقبائل تتحين الفرصة المناسبة لاعلان إسلامها من غير ترغيب مادى أو ترهيب دنيوى ، و سيكون ذلك إيذانا بأن نصر الله قريب ، والفتح على الأبواب « إذا جاء نصرالله والفتح و رأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك و استغفره إنه كان توابا »

سعيد الرحمن الأعظمي الندوي

في ذمة الله و ذمة التاريخ

استأثرت رحمة الله تعالى بالرجل الغيور ، الداعيـــة إلى الله الشيخ الحاج عبد الرزاق الصالح المطوع في مقره بالكويت قبل رمضان المنصرم، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، و لقد كان الفقيد الجليل قد أربى على ثمانين عاماً من عمره ، وقد أضعفته الشيخوخة في آخر أيام حياته ، و لكنـــه رغم ذلك كان يهتم بالقضايا الاسلامية و يساعد المعنيين بشئون الدعوة الاسلامية في العالم كله ، و لقد عاش حياة حافلة بجلائل الأعمال و كان في طليعة من كان لهم أكبر نصيب في العمل الاسلامي في الكويت ، قبل أن تتمتع الكويت بهذه المكانة العالية الحاضرة ، وكان من أولئك المخلصين الخيرين فيها الذين قاموا بدعم ندوة العلماء في الهند و قدموا لها من إمكانياتهم و مساعداتهم ما يذكر و يشكر على الدوام .

كان الفقيد وطيد الصلة بسماحة الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوي وبأسرة مجلة البعث الاسلامي بوجـــه خاص ، حيث إنه كان يوجه الدعوة إلى المسئولين لزيارة الكويت دائماً ، و كلما زار كاتب السطور الكويت أنزله الفقيد في منزله العامر و أكرمه بحفاوته و ضيافته طوال مدة الاقامة هناك ، مع اهتمامه بموضوع ندوة العلماء و لفت أنظار الناس إلى الاسهام في دعمها .

إن وفاته لخسارة كبيرة في مجال الدعوة و العمل الاسلامي ، و خســارة لندوة العلماء و مجلة البعث الاسلامي ، نرجو الله سبحـانه وتعالى أن يقيض لنـا من يسد هذه الخسارة ، ويملأ هذا الفراغ الذي حدث من وفاته ، رحمه الله رحمة واسعة ، و جزاه على ما قام به من خدمات جليلة في حياته ، أحسن ما يجزى عباده العاملين المخلصين ، و يلهم أهله و أنجاله و أصدقاءه و ذويه الصبر و السلوان .

التوجيه الإسلامي

التشريعات الحكيمة فى الحج و تأثيرها فى النفس والحياة

بقلم : سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى

وقد هيأ الوحى الالهى والتشريع السماوى للحج جواً ، يثير الجد والقصد ، و ينبه النفس و الفكر ، و يحوطه بسياج من العبادة و الروحانية و القدسية ، فانه كان فى أكثر الأحيان رحلة طويلة ، و انتقالا من بلد إلى بلد يمر فيه الحاج ببقاع مختلفة ، وأجواء متنوعة ، و ملاذ و ملاه ، وشواغل و صوارف قد تقصر فيها المدة و قد تطول ، و يدخل فى بلد جديد ، ويختلط بأقوام وطبقات كثيرة ، ويخرج النساء مع الرجال ، و فيهم الشيوخ و الشباب ، و قد تجتمع أفراد الأسرة أحياناً ، و يكون الرجل مع زوجه و أهل بيته ، و كل ذلك خليق بأن يفقد الحج روعته و مهابته وقدسه ، و روح العبادة و الجهاد فيه ، و تصبح هذه الرحلة كأى رحلة عادية طبعية ، أو الاقامة فى مكة ، و التنقل فى مواضع المناسك كأى إقامة فى أى بلد .

لذلك أضفى التشريع على الحج لوناً لا يزول ، لوناً من الجدية و القدس ، و حاطه بأسوار و خنادق عديدة ، جعلته بعيداً عن الغفلة و الذهول ، و العبث و الفضول ، و له فى ذلك تشريعات دقيقة حكيمة ، كانت كفيلة بأن يبقى الحج عبادة عميقة الأثر ، فى النفس و الحياة ، و ركنا من أركان الاصلاح و التربية ، و وسيلة قوية للتقرب إلى الله .

منها، أنه جعل ركناً من أركان الاسلام الأربعة، وفريضة على من استوفى شروطها، لا يقبل الله عنها صرفاً و لا عدلا، فقال تعالى: «و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، و من كفر فان الله غني عن العالمين (١)»، و قد روى الترمذى عن على رضى الله عنه رفعه: «من ملك راحلة و زاداً يبلغه إلى بيت الله الحرام و لم يحج، فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً، و ذلك أن الله تعالى يقول: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا» و قال النبي ﷺ: «بنى الاسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمد رسول الله، و إقام الصلاة، و إيتاء الزكاة، وصوم رمضان، و حج البيت من استطاع إليه سبيلا» (٢).

و قد نوه لسان النبوه بفضل الحج و مكانته عند الله، و أكثر من بيان فضائله لأنها هي التي تثير في النفس الشوق والرغبة، وتبعث الايمان و الاحتساب فلا قيمة لعمل أو عبادة حتى تقترن بهما و يكونان هما الباعثين على إتيانها، فقد روى الستة عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعاً: «الحج مبرور ليس له جزاء إلا الجنة» و عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه: قال، قال رسول الله ﷺ: «من حج لله فلم يرفث و لم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه (٣)» و روى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال: «قال رسول الله ﷺ: تابعوا بين الحج والعمرة، فانهما ينفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب و الفضة، و ليس لحجة مبرورة ثواب إلا الجنة؛ و ما من مؤمن يظل يومه

---

(١) سورة آل عمران: ٩٧.

(٢) متفق عليه،

(٣) للستة إلا أبا داؤد.

محرماً إلا غابت الشمس بذنوبه » (١) ، و عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيـــه عبـــداً من النار من يوم عرفة » (٢) و سئل النبي ﷺ ، « أى العمل أفضل ؟ قال إيمـان بالله و رسوله ، قيل ، ثم ماذا ؟ قال الجهـاد فى سبيل الله ، قيل ، ثم ماذا ؟ قال حج مبرور » (٣) .

و من هذه التشريعات الدقيقة الحكيمة « المواقيت » التى تنبه فى الحاج شعوراً جديداً ، و يقظة فكرية روحية ، فيعرف أنه دنا من الحضرة الملوكية ، ودخل فى حدودها المحمية المقـــدسة ، فلو لا المواقيت لا قتحم الحجـاج الحفرة المقدسة ، و هجموا عليها كما يهجم الجهال الأجلاف عـــلى حضرة الملوك وعتبة السلاطين ، فيقابلون باستنكار و جفاء ، و طرد و إهانة ، و قد أحسن شيخ الاسلام أحمـــد ابن عبـــد الرحيم الدهلوى بيان حكمة المواقيت ، و سر تشريعها و تعيينها للقاصدين من جهات مختلفة ، قال :

« الأصل فى المواقيت ، أنه لما كان الاتيان إلى مكة شعثاً تفلا ، تاركا لغلواء نفسه مطلوباً ، و كان فى تكليف الانسان ، أن يحرم من بلده حرج ظاهر ، فان منهم من يكون قطره على مسيرة شهر و شهرين و أكثر ، وجب أن يخص أمكنة معلومة حول مكة يحرمون منها . و لا يؤخرون الاحرام بعـــدها ، و لا بد أن تكون تلك المواضع ظاهرة مشهورة ، و لا تخفى على أحد ، و عليها مرور أهل الآفاق ، فاستقرأ ذلك ، وحكم بهذه المواضع ، واختار لأهل المدينة أبعد المواقيت ،

(١) للنسائى ، و الترمذى بلفظه .
(٢) رواه مسلم .
(٣) متفق عليه .

لأنها مهبط الوحى ومأرز الايمان ودار الهجرة ، وأول قرية آمنت بالله ورسوله ، فأهلها أحق بأن يبالغوا فى إعلاء كلمة الله ، وأن يخصوا بزيادة طاعة الله . وأيضاً فهى أقرب الأقطار التى آمنت فى زمان رسول الله ﷺ ، وأخلصت إيمانها بخلاف جؤاثى و الطائف و اليمامة و غيرها فلا حرج عليها (١) »

و منها « الاحرام » الذى ينبه فى الحاج الشعور و الانتباه ، و يكون حارساً له عن الغفلة و الذهول ، و ينبه إلى أنه مقبل على أمر عظيم ، و أنه قاصـــد للحضرة الملوكية ، و إلى أنه تجرد مما كان فيه من مظاهر جوفاء وشعارات زائفة ، و أبهة مصطنعة ، فيصير هذا الاحرام كالتحريمة للصلاة تنقـله من جو إلى جو ، و من حرية و إنطلاق إلى تقيد و ارتباط ، يقول شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى رحمة الله عليه .

« إعلم أن الاحرام فى الحج والعمرة بمنزلة التكبير فى الصلاة ، فيه تصوير الإخلاص و التعظيم وضبط عزيمة الحج بفعل ظاهر ، و فيه جعل النفس متذللة خاشعة لله بترك الملاذ و العادات المألوفة و أنواع التجمل ، و فيه تحقيق معاناة التعب و التشعث و التغبر لله (٢) . » .

و كذلك شرع للخروج من الاحرام والتحرر من قيوده و أحكامه طريقة ظاهرة تنبه فى النفس الشعور ، ولا يصعب إتيانها ، فلا يخرج الحاج من إحرامه فلتة أو مفاجأة ، و يتمتع بالمباحات ، إلا بعمل ظاهر ، و قصد و إرادة ، كما لا يخرج من صلاته إلا بالتسليم ، وهو الحلق ، يقول شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى :

(١) حجة الله البالغة ـ ج ٢ ـ ص ٤٤ .

(٢) حجة الله البالغة ـ ج ٢ ـ ص ٤٤ .

« السر فى الحلق أنه تعيين طريق للخروج من الاحرام بفعل لا ينافى الوقار ، فلو تركهم و أنفسهم ، لذهب كل مذهباً ، و أيضاً ففيـــه تحقيق انقضاء التشعث و التغير بالوجه الأتم ، و مثله كمثل السلام من الصلاة (١) .

ومنها « التلبية » التى حث الشرع على الاكثار منها ، و استحسن النبى ﷺ رفع الصوت بها و تكثيرها ، و قد سئل أى الحـــج أفضـــل ، قال : « العــج و الثج (٢) » ، وفى التلبية تأثير غريب فى تنبيه النفس و إيقاظها لمقاصد الحج . و شحنها بالايمان و الحنان ، و الاطراح على عتبة الرحمن ، و بها يسرى التيـــار الايمانى الروحى فى جسم الحاج و مشاعره و أعصابه ، كما يسرى التيار الكهربائى فى الأسلاك ، ويعد الحاج للاستفادة من هذا الركن العظيم ، الذى قد يكون ، قد هجم عليه من غير استعداد ، أو من غير تفقه و وعى ، فإذا قال : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » ، تمثل له الحج ومقاصده العظيمة وروحه ، وثارت فيه الأشواق ، و فاضت كأس الحب و الحنان و التهبت شعلة التوحيد فى عروقه و دمه ، واتصل بابراهيم الخليل الموحد الحنيف ، واتصل بمحمد ﷺ ، و الداعين بدعوته اتصالا فكرياً روحياً ، و اندمج فى حزبهم .

وقد جمع الله للحج حرمتين ، حرمة الزمان والمكان ، ليقوى الشعور بحرمة هذا الركن العظيم ، و جلاله و روعته ، و الشعور بالمسؤولية ، و ليكون الحـــاج فى جميع تنقلاته و حركاته و سكناته مرهف الحس حاضر الفكر ، لايذهل لحظة عن الجو الروحانى الذى يحيط به .

---

(١) حجة الله البالغة - ج ٢ - ص ٤٥ .

(٢) رواه ابن ماجه فى سننه . عن ابن عمر رضى الله عنـــه .

فقال تعالى : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فی كتاب الله ، يوم خلق السموات و الأرض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم (١) » . و قال : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير (٢) » ، و قد روى مسلم عن النبی ﷺ : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات و الأرض ، و إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فی كتاب الله يوم خلق السموات و الأرض ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، ذو الحجة ، المحرم ـ و رجب مضر الذی بين جمادی و شعبان » . و أما حرمة المكان ، فقد جاء فی القرآن : « إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذی حرمها ، و له كل شیء ، و أمرت أن أكون من المسلمين (٣) » ، « و عن ابن عباس رضی الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يوم الفتح (فتح مكة) : لا هجرة ، و لكن جهاد و نية ، و إذ استنفرتم فانفروا ، و قال يوم الفتح ـ فتح مكة ـ : إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات و الأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، و إنه لم يحل فيه القتال لأحد قبلی ، و لم يحل لی إلا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ، و لا ينفر صيده ، و لا يلتقط لقطته ، إلا من عرفها ، و لا يختلى خلاها ، و قال العباس : يا رسول الله إلا الاذخر ، فإنه لقينهم و لبيوتهم ، فقال : إلا الاذخر » .

---

(١) سورة التوبة : آية : ٣٦ .

(٢) سورة البقرة : آية : ٢١٧ .

(٣) سورة النمل : آية : ٩١ .

و قد كانت المعصية فى الحرم أغلظ و أشد ، و قد استدل بعض العلماء على أن إرادة المعصية فيه معصية ، بخلاف غيره من البقاع ، بقوله تعالى : « و من يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (١) » . قال ابن كثير ، و هذا من خصوصية الحرم ، أنه يعاقب البادى فيه الشر إذا كان عازماً عليه ، و إن لم يوقعه .

و قد ضم إلى ذلك كله حرمة الاحرام ، وشرع له أحكاماً وآداباً خاصة ، منها : حرمة الصيد فى حالة الاحرام ، فقد قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد و أنتم حرم (٢) » و قال . « أحل لكم صيد البحر و طعامه متاعاً لكم و للسيارة ، وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً و اتقوا الله الذى إليه تحشرون (٣) » .

يقول شيخ الاسلام الدهلوى رحمة الله عليه :

« و إنما شرع أن يجتنب المحرم هذه الأشياء تحقيقاً للتذلل و ترك الزينة و التشعث ، و تنويهاً لاستشعار خوف الله و تعظيمه ، و مؤاخذة نفسه ، أن لا تسترسل فى هواها ، و إنما الصيد تله و توسع (٤) » .

و لما كان الحج سفراً طويلا فى غالب الأحيان ، و قد قال الله تعالى : « و أذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا ، و على كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٥) » .وانتقال من حال إلى حال ، ويكثر فيه الاختلاط ، وتطول الزمالة ،

(١) سورة الحج : آية : ٢٥ .　　(٢) سورة المائدة : آية : ٩٥ .

(٣) سورة المائدة : آية : ٩٦ ـ إقرأ تفسير الآيتين والأحكام الفقهية المتفرعة منهما ، و ما فى ذلك من خلاف ، و تفصيل فى كتب التفسير و أحكام القرآن .

(٤) حجة الله البالغة ـ ج ٢ ـ ص ٤٤ .

(٥) سورة الحج : آية : ٢٧ .

وتنوع المعاملات، كان ذلك مثاراً لكثير من المحظورات والمغريات والمناقشات، و كثيراً ما تثور النفس و يضيق الصدر، و ينفد الصبر، فيلجأ الحاج إلى ما يتحاشى عنه فى الوطن و الإقامة، و الأحوال العادية، و يتورط فى بعض المعاصى و الأخلاق القبيحة، و ما ينافى روح الحج و مقاصده، فجاء النهى عن ذلك بصفة خاصة فى الحج، لأن الحج مظنة قوية له، فقال تعالى: « الحج أشهر معلومات (١) فمن فرض فيهن الحج فلا رفث و لا فسوق، و لا جدال فى الحج (٢) و ما تفعلوا من خير يعلمه الله و تزودوا فإن خير الزاد التقوى، و اتقون يا أولى الألباب (٣) ».

وقد أسبغت هذه التشريعات، وهذه الأحكام التى تتصل بالقلب والجوارح، و القصد و العمل، و الزمان و المكان، على الحج لباساً من القدس و الطهر، والتورع و التقشف، والمراقبة لله تعالى، والحسبة للنفس، و الجهاد، لا يشاركه فيه ما يماثله، أو يدخل فى موضوعه فى الديانات الأخرى وطوائف الامم، وكانت لها آثار عميقة فى النفس و الأخلاق و الحياة، يتحقق معها قول النبى صلى الله عليه و آله و سلم: « من حج لله فلم يرفث و لم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه (٥) ».

---

(١) هى شوال، و ذو القعدة و عشر من ذى الحجة، علقه البخارى بصيغة الجزم، ورواه ابن جرير موصولا، و هو مروى عن أكثر الصحابة و فضلاء التابعين، و هو مذهب الشافعى و أبى حنيفة، و أحمد بن حنبل، (راجع تفسير ابن كثير).

(٢) إقرأ تفسير الكلمات و أمثالها فى كتب التفسير و الأحكام.

(٣) سورة البقدة: آية: ١٩٧.

(٥) رواه الستة عن أبى هريرة، إلا أبا داؤد

مبادىء فى الأدب و الدعوة
(٢)

فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكه الميدانى
أستاذ بكلية الشرعية والدراسات الاسلامية
قسم الدعوة والدراسات العليا ـ بمكة المكرمة

كل من عرف الأدب و فنونه و تذوقه حقا وضح له أن الأدب هو الزينة فى الكلام للمقاصد أو المطالب الأساسية منه . فبالأدب تزين الهياكل اللفظية الدالة فى المصطلحات اللغوية على الفكرة . و بالأدب تزين بعض الأفكار المقصودة بالذات بأفكار أخرى ، لتقبل وتستساغ وتهضم ، أو لتكون أكثر قبولا واستساغة وهضماً .

إن المقاصد أو المطالب الأساسية قد تكون فى بعض أحوالها جافة أو قاسية أو مرة أو ثقيلة على النفوس ذات أعباء ، لذلك كان لا بد لها من أغلفة تشتهيها النفوس ، و تهفو إليها الطباع ، حتى تكون مزينة لديها ، أو مقبولة لديها إجمالا .

و للظفر بالاستمتاع بالزينة يبتلع الناس ما فى داخل الأغلفة ، فتتحقق بذلك المطالب و المقاصد .

وقد أحكم الخالق العليم مزج الأشياء و الأعمال المقصودة بزينتها فيما خلق ونظم و رتب وقدر ، حتى لا يفصل الناس بين الزينة وبين المقاصد أو المطالب الأساسية من الأشياء المزينة ، أو حتى يصعب عليهم هذا الفصل ، فبتناول الأشياء أو ممارسة الأعمال للاستمتاع بزينتها المشتهاة المحبوبة ، تتحقق المقاصد أوالمطالب الأساسية .

هذه ظاهرة شاملة و عامة من ظواهر الخلق ، وظواهر سنة الله فى عباده ، وتنسحب هذه الظاهرة على ما أنزل الله من نصوص لبيان أصول الدين و الدعوة إليها ، و إقامة الحجج والبراهين عليها و ما أنزل من نصوص تشريعية ، وبيانات تكليفية ، و توجيهات تربوية ، و تنسحب هذه الظاهرة أيضاً على كل وسائل التربية والتعليم الربانية ، وعلى الوصايا للأنبياء و الرسل والدعاة فى مجال الدعوة والتربية والتعليم .

وحين تكون الزينة مقترنة بالتعبيرات اللغوية عن المقاصد أو المطالب الأساسية ، فاننا نسميها أدباً ، سواء أكانت هذه الزينة من قبيل الحلل اللفظية وحلياتها ، أو من قبيل الحلل الفكرية و الأساليب البيانية المعنوية و حلياتها .

(١) - إن الحاجة الأساسية للمحافظة على استمرار الحياة فى الأجساد الحية توفى بها حفنة يومية من أخلاط من عناصر الأرض نجدها فى نحو ملعقة من التراب مع مقدار ما من الماء .

ولقد كان من الممكن ربط بقاء الحياة بابتلاع هذه الحفنة من تراب الأرض ، مع جرعات من الماء ممتزجة بها أو تابعة لها . ولكن لو كان الأمر كذلك لما كان للحياة لذة ولا طعم بحسب نظام الأجساد الحية وما لها من شهوات ، ولتوقفت أعمال كثيرة يقوم بها الناس لتحضير طعامهم وشرابهم ، ولأقفل بذلك باب ميدان واسع جداً من ميادين امتحان الناس و ابتلائهم فى ظروف هذه الحياة الدنيا .

فاقتضت حكمة الله العليم الحكيم ربط استمرار الحياة بصنوف المطاعم والمشارب ، وزينها بطعومها وروائحها و ألوانها وملامسها ، ولاءم بينها وبين قسم من شهوات النفوس و أعصاب الحس فى الأحياء .

لحين نأكل طبقا شهيا من يد طباخ ماهر ، أو وجبة لذيذة من ثمرات نبات الأرض ، ونستمتع بلذات المآكل والمشارب ، فان المقصود الأساسى لبقاء الحياة قد لا يتجاوز ملعقة واحدة ليست بالكبيرة من عناصر تراب الأرض و لكنها مزجت بأشياء كثيرة مرافقة لها مما هو مزين لشهواتنا ، حتى نستسيغ ابتلاع ملعقة التراب داخلها ، ونظم الفاطر الحكيم أجسادنا بطريقة لا تستطيع معها الانتفاع المناسب من حفنة التراب المطلوبة إلا إذا كانت ممتزجة بأخلاطها الأخرى النباتية و الحيوانيـــة .

(٢) و إن الغرض الأساسى من تجاذب الزوجين فى الأحياء و من حب البنين والذرية هو المحافظــة على بقاء النوع عن طريق التكاثر و التناسل المتتابع عبر القرون ، حتى تنتهى دورة هذه الحياة الدنيا .

وقد كان من الممكن أن يتحقق هذا الغرض الأساسى بأية وسيلة باردة جافة ليس فيها ود ولا رحمة و لا علاقات اجتماعية ، و لا عواطف أبوة و أمومة .

ولكن لوكان الأمر كذلك لما كان للحياة لذة ولا طعم بحسب نظام الأجساد الحية ، ولأعرض الذكور عن الاناث ، ولنفر أكثر الناس من الاندماج فى وشائج اجتماعية ولآثروا التخفف من الأعباء الأسرية ونحوها ، فلا يتحمل رجل أعباء زوجة ولا ولد ، ولأقفل بذلك باب ميدان واسع جداً من ميادين امتحان الناس وابتلائهم فى ظروف هذه الحياة الدنيا .

فاقتضت حكمـــة البارىء العليم الحكيم ربط استمرار بقاء الأنواع الحية بحب الشهوات من النساء والبنين ، وزين ذلك للناس .

فكانت هذه الشهوات و المشاعر العاطفية الحلوة بمثابة أغلفة يبتلع بها الناس ما تستبطنه و تستتبعه من متاعب وهموم و أعباء ثقال . فيحمل الناس أعباءهم

و يؤدون أعمالهم الشاقة ، و يتحملون متاعبهم و آلامهم بلذة ، و يشعرون بأن ما يصيبونه أو يطمعون بالحصول عليه منها ثواب يجزىء لما يبذلونه من جهد ، وما يحملونه من أعباء وما يتحملونه من آلام ومتاعب .

(٣) - ونظير ذلك سائر مزينات الحياة الدنيا .

فمن بديع حكمة الله فى خلقه أنه ألبس مطالب الحياة أثواب مطالب الشهوات ، لتكون هذه الشهوات بمثابة المحرض الذاتى على تناول حاجات الجسد ، التى تمده بالبقاء إلى أمده المقدر له ، أو على ممارسة الغرائز التى تمد النوع بالتكاثر و البقاء إلى الأمد المقدر لبقاء النوع ، أو لبقاء الحياة على وجه الأرض . أو على السعى لتحقيق حاجات نفسية ترتبط بها مصلحة من المصالح الانسانية الفردية أو الجماعية .

و بمجالات الحياة الجسدية أو النفسية أو الفكرية أو الوجدانية تعرض للانسان زينتها ، لتجذبه إليها ، و تحببه بها ، و بذلك يتم بينها وبين مطالب الحياة علاقة التجاذب

فحينما تعرض الوردة مثلا زينتها التى تتمثل بألوانها الزاهية ، وعرفها الطيب ، و ملمسها المخملى ، فانها تقول بلسان حالها للعين الذواقة : هنا يستوقف النظر ، وتقول للشم المرهف : من هنا يستنشق العبير . وتقول للشفاه الناعمة : هنا يحلو المقام . ولولا أن هذه الحواس تلائمها هذه الخصائص ما انجذبت إليها ، ولا هفت نحوها ، ولا رأت فيها شيئاً من الزينة

ولقد أبدع القرآن أيما إبداع ، إذ اختار لفظ الزينة للتعبير عن الخصائص التى أودعها الله فى الأشياء ، ليكون فيها ملاءمة وجذب للغرائز والطبائع التى فطر الله الأنفس عليها ، وتلك نعمة كريمة من نعم الله فى الحياة . ولو أن حاجات الحياة مرتبطة بأشياء لا زينة فيها ، فلا ملاءمة بينها وبين شهوات الأنفس وغرائزها

وطبائعها ، لكان السعى لاستمرار الحياة مشكلة قد تستعصى على الحل .

ولست أدرى ماذا سيحدث لو كان الطعام مكروها فى الأنفس غير مشتهى ، مثل الدواء المر الكريه ، ولوكان الشراب مما تعافه الأنفس كالنفط ، وكانت بقية حاجات الحياة على هذا الشكل ؟

إنه من غير شك سيختار معظم الأحياء الفناء على البقاء ، فسبحان من زين لنا حاجات أجسادنا وحاجات نفوسنا حتى نسعى إلى طلبها سعياً ذاتياً .

و قد ضرب الله أمثله للأشياء التى زينها لعباده ، مشيرا بذلك إلى أن ميل الانسان إليها لا يعتبر نقيصة من نقائصه ، بل هو أمر فطرى فى أصل تكوينه ، ولكن الانسان بانحرافه عن منهج الاعتدال الذى رسمه الله له هو الذى يضيف إلى نفسه النقيصة . ويهوى بها إلى دركات الشر والاثم ، وهذا عمل إرادى من أعماله .

١ — فالله تبارك وتعالى جعل ما على الأرض زينة لها ، ليمتحن إرادات الناس الموجهة لأعمالهم فى الحياة الدنيا ، وليظهر بهذا الامتحان المحسنون بحسب درجات إحسانهم ، و المسيئون بحسب دركات إساءاتهم ، قال الله تعالى فى سورة (الكهف ١٨) :

« إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » (٧)

٢ — وأبان الله عز وجل أن الزينة من عناصر الحياة الدنيا التى أعدها لامتحان الناس ، فقال تعالى فى سورة (الحديد ٥٧) :

« اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال و الأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاما ، وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » (٢٠)

٣ ـ وذكر الله بتفصيل بعض ما زين للناس فى الحياة الدنيا ، إذ خص بالذكر
ب الشهوات من النساء وحب البنين ، وحب المال ، وحب المراكب الفارهة ،
حب الطيبات من المآكل والمشارب .

فقال الله تعالى فى سورة (آل عمران ٣) :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب الفضـــة والخيل المسومـــة والأنعام والحرث . ذلك متاع الحياة الدنيـــا والله ندہ حسن المآب » (١٤)

وقال الله تعالى فى سورة (النحل ١٦) :

« والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون » (٨)

ولعل فى قوله تعالى : و يخلق مالاتعلمون إشارة إلى المركبات التى ألهم الله لانسان اختراعها وصنعها ، و إلى ما سيلهمه من ذلك حتى آخر الدهر .

وأفرد سبحانه وتعالى المال و البنـــين بالذكر ، لقوة زينتهما و تأثيرها على فوس ، فقال عز وجل فى سورة (الكهف ١٨) :

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحـات خير عند ربك ثوابا خير أملا » (٤٦) .

استخدام الزينة فى أدب البيان :

فاذا كان أمر الوجود كله كذلك فلا غرابة أن ينسجم البيان التعبيرى فى مجال عوة أو التعليم أو التربية ضمن منهج الاسلام مع قاعدة الزينة الشاملة لكل مظاهر لخلق الربانى فيما نشاهد من مخلوقات .

و المطلوب منا فى هذا المجال أن تنسجم مع سنة الله فى خلقه ، وأن نطبق يماته ووصاياه التى نستفيدها من طبائع ما خلق ، ونستفيدها من أســلوبه فى

بياناته الدينية ، و نستفيدها أيضاً من وصاياه فى توجيهاته انا بأن ندعو إلى سبيله بالحكمة و الموعظة الحسنة .

واستنباطا من النصوص القرآنية نستطيع أن نقسم الزينة إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الزينة الربانية.

القسم الثانى : الزينة الشيطانية .

القسم الثالث : الزينة الحيادية ، التى يمكن أن تستخدم فى الخير و طاعة الله تعالى ، ويمكن ان تستخدم فى الشر ومعصية الله تعالى .

فان استخدمت فى الخير وطاعة الله تعالى ألحقناها بالقسم الأول ، فكانت من قبيل الزينة الربانية .

وان استخدمت فى الشر ومعصية الله تعالى ألحقناها بالقسم الثانى ، فكانت من قبيل الزينة الشيطانية

١ ـ فمن أمثلة القسم الأول (الزينة الربانية) تزيين الايمان وإرادة الخير وفضائل الأخلاق والعمل الصالح فى قلوب المؤمنين . ومن هذا القسم ما جاء فى قول الله تعالى خطاباً للمؤمنين أصحاب رسول الله ﷺ فى سورة الحجرات (٤٩) :

« واعلموا أن فيكم رسول الله .لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره إليك الكفر والفسوق والعصيان. أولئك هم الراشدون (٧) فضلا من الله ونعمة والله عليهم حكيم (٨) »

فتزيين الايمان فى قلوب المؤمنين من قسم الزينة الربانية المحضة .

٢ ـ ومن أمثلة القسم الثانى (الزينة الشيطانية) تزيين الأعمال السيئة للكافرين والعصاة ، كتزيين الشيطان لهم قتال المسلمين ، وشرب الخمور ، وظلم عباد الله ، وحب المعاصى والمخالفات ، وقتل أولادهم سفهاً بغير علم ، ونحوذلك.

ومن هذا القسم ما قصه الله على رسوله من أحوال الأمم السابقة فى سورة الأنعام ٦) بقوله تعالى :

« ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون (٤٢) ولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا و لكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا مملون (٤٣) »

ومنه ما نزل فى شأن الذين خرجوا لقتال المسلمين فى بدر من مشركى مكة، هو قول الله تعالى فى سورة (الأنفال ٨) :

« و إذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال : لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى ـار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال : إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ـون إنى أخاف الله والله شديد العقاب (٤٨) »

وباستطاعتنا أن نفهم من النصوص القرآنية أن الكفر وجحود الحق لا يزين ـ قلوب الكافرين بل يظل حرجاً وقلقاً واضطراباً ، إنما الذى يزين للكافرين العصاة أعمال السوء ، ولوازم الكفر فى السلوك النفسى أو الظاهر .

و هذا ما نلاحظ تكرير بيانه فى النصوص القرآنية فى مختلف المناسبات التى ـدثت عن الكافرين ، كقوله تعالى :

« فزين لهم الشيطان أعمالهم » ٦٣ النحل (١٦)

« وزين لهم الشيطان أعمالهم » ٢٤ النمل (٢٧)

« زين للذين كفروا الحياة الدنيا » (٢٢١) البقرة ٢ أى إيثارها

« كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون » (١٢٢ الانعام ٦)

« زين لهم سوء أعمالهم » (٢٧ التوبة ٩)

« كذلك زين للمسرفين ماكانوا يعملون » (١٢ يونس ١٠)

« بل زين للذين كفروا مكرهم » (٣٣ الرعد ١٣)

« أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا » (٨ فاطر ٣٥)

« كذلك زين لفرعون سوء عمله » (٣٧ غافر ٤٠)

وقد تصل بعض لوازم الكفر فى السلوك إلى أن تكون مزينة فى عمق قلوب الكافرين والمنافقين ، كما زين فى قلوب المنافقين حب التخلص من الرسول والمؤمنين ، بقتلهم و إستئصال شأفتهم ، يوم خرجوا إلى مكة معتمرين ، ومنعوا من دخولها عند الحديبية ، و فى ذلك يخاطبهم الله تعالى بقوله فى سورة الفتح (٤٨) :

« بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً ، و زين ذلك فى قلوبكم (١٢) . أى زين فى قلوبكم حب التخلص من الرسول و المؤمنين بقتلهم و استئصال شأفتهم . و هذا من لوازم كفر هؤلاء ونفاقهم .

٣ — ومن أمثله القسم الثالث (الزينة الحيادية التى يمكن استخدامها فى الخير وطاعة الله ، ويمكن استخدامها فى الشر ومعصية الله) حب الشهوات من النساء ، وحب البنين ، وحب المال ، وحب المآكل والمشارب التى أذن الله بها .

فزينة هذه الأشياء إن استخدمت فى حدود ما أذن الله دون عدوان و لا ظلم ولا بغى ولا إسراف ولا تبذير ولا تجاوز إلى مواطن الضرر كانت زينة ربانية .

وقد دل على أنها تلحق بالزينة الربانية ضمن هذه الحدود قول الله تعالى فى سورة (الأعراف ٧) :

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » (٣١) « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل : هى للذين آمنوا فى الحياة

الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » (٣٢) قل ؟ إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق و أن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا و أن تقولوا على الله ما لا تعلمون (٣٣) .

و إن استخدمت هذه الزينة الحيادية فى غير ما أذن الله وأحل كانت ماحقة بالزينة الشيطانية .

لذلك جعل الله المبذرين إخوان الشياطين ، والتبذير أهون من معاصى أكل أموال الناس بالباطل ومن الظلم والعدوان والقتل بغير حق ، والزنا ونحو ذلك من آثام .

فاستخدام الزينة الحيادية فى غير ما أذن الله من اتباع خطوات الشيطان الذى يزين للناس الاثم والفسوق والعصيان .

ومعظم فنون الأدب و أساليب الكلام هى من قبيل الزينـــة الحيادية ، إن استخدمت فى الحق والخير والفضيلة و الدعوة إلى الله كانت خيرا ، وألحقت بالزينة الربانية و إن استخدمت فى الباطل و الشر والرذيلة والدعوة إلى الكفر والفسوق والعصيان كانت شراً ، وألحقت بالزينة الشطانية .

فالدعاة إلى الله من أهل البصيرة والوعى ملزمون باستخدام الأدب الرفيع فى دعوتهم ، كما أن الدعاة إلى الشر والفتنة والفساد فى الأرض ، يستخدمون فنون الأدب فى الإضلال و الإفساد ونشر الفواحش فى الناس ،

لكن أدب الدعاة إلى الله و إلى الحق و الخير و الفضيلة يجرى فى قنوات الحكمة والموعظة الحسنـــة والجدال بالتى هى أحسن ، كما أمر الله بقوله فى سورة (النحل ١٦) :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك

هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (١٢٥) »

وهذه القنوات ذات زينة ملحقة بقسم الزينة الربانية .

أما أدب المضلين والمفسدين فى الأرض فان له مجارى أخرى ذات زينة ملحقة بقسم الزينة الشيطانية ، وهى من قبيل زخرف القول الذى يغر ويخدع بالكذب والباطل والمغالطات ودغدغة أهواء النفوس وشهواتها ، و فى أدب المضلين المفسدين فى الأرض يقول الله تعالى فى سورة (الأنعام ٦) :

« وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا . ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون (١١٢) »

« ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ، و ليرضوه ، وليقترفوا ما هم مقترفون (١١٣) »

فأدب هؤلاء زخرف من القول قائم على الافتراء، وعلى المغالطات التى يقبلها الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وعلى ما يرضى الأهواء والشهوات و نزغات النفوس وعلى الاباحية فى السلوك دون ضابط من دين ولا من خلق .

فالافتراء فيما يقدمون من زخرف القول دل عليه قوله تعالى فى الآية : « فذرهم وما يفترون »

والمغالطات التى يشتمل عليها ما يقدمون من زخرف القول فتجعل قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة تصغى إليه ، أى تميل إليه ، دل عليها قوله تعالى فى الآية : ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ، أما المؤمنون بالآخرة فان خوفهم من عقاب الله يوقظ فيهم حسن كشف المغالطات .

ومرضيات الأهواء والشهوات ونزغات النفوس التى يشتمل عليها ما يقدمون من زخرف القول ، أشار إليها قوله تعالى فى الآية : و ليرضوه .

والدعوة الاباحية التى يشتمل عليها ما يقدمون من زخرف القول ، أشار إليها قوله تعالى فى الآية : وليقترفوا ما هم مقترفون .

هذه المجارى القذرة يستخدمها المضلون المفسدون فى آدابهم و لا يستخدمها دعاة الحق والخير والفضيلة بحال من الأحوال ، أن لهم من الآداب قنوات طاهرات نظيفة المضمون نظيفة الأوعية ، نظيفة أساليب التوزيع والعطاء ، ينصرون الحق بالحق ويدعون إلى الحق بالحق والخير .

فالدعاة فريقان :

الفريق الأول : — الله وحزبه ، ودعوة هذا الفريق إلى عبادة الله و إلى الجنة دارالسلام ، و إلى المغفرة والنجاة من عذاب الله ، و إلى السعادة الخالدة .

الفريق الثانى : — الشيطان وحزبه ، ودعوة هذا الفريق إلى عبادة الشيطان بطاعته فى وساوسه وتسويلاته و إلى الكفر بالله أو الاشراك به . و إلى النار وعذاب الله والشقاء الأبدى

وقد دل على هذا التقسيم نصوص قرآنية منها ما يلى :

١ — قول الله لرسوله فى سورة (الرعد ١٣) :

« قل : إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب » (٣٦)

فالله قد أمر رسوله أن يدعو الناس إلى عبادة الله ، وهذه هى دعوة سائر الرسل

٢ـ وحين يدعو الله الناس إلى عبادته فانما يدعوهم إلى جنته دارالسلام ، ويدعوهم ليغفرلهم من ذنوبهم ، ويدعوهم إلى النجاة من عذاب النار .

قال الله تعالى فى سورة (يونس ١٠) :

والله يدعو إلى دارالسلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم (٢٥)

وقال الله تعالى فى معرض الحديث عن المشركين فى سورة البقرة (٢) :

« أولئك يدعون إلى النار ، والله يدعو إلى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون » (٢٢١) .

٣ - و فى معرض الكلام على جملة من الأمم السابقة قال الله تعالى فى سورة (ابراهيم ١٤) :

« قالت رسلهم : أفى الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم و يؤخركم إلى أجل مسمى » (١٠) .

٤ — وقص الله علينا مقالة مؤمن آل فرعون لفرعون وملئه ، بقوله فى سورة (غافر ٤٠) .

« ويا قوم ما لى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار (٤١) تدعوننى لاكفر بالله و أشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار (٤٢) لاجرم أن ما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الدنيا و لا فى الآخرة . وأن مردنا إلى الله و أن المسرفين هم أصحاب النار (٤٣) فستذكرون ما أقول لكم و أفوض أمرى إلى الله . إن الله بصير بالعباد (٤٤) .

« يتبع »

دفع شبهات حول الاسلام

للدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد
خبير البحوث الاسلامية برئاسة المحاكم
الشرعية و الشئون الدينية (قطر)

نشرت مجلة الآفاق الاسلامية التى تصدر عن إتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا مقالا لكرستوفر بوكر، بعنوان « مفاهيم للتفكير الجنونى فى القرآن » (١) وجيزه: إن أمام الثورة الايرانية (آية الله الخمينى) رجل دينى شرس مستبد لارحمة إنسانية له من نتاج تعاليم الاسلام ومبادئه التى تضمنها القرآن وقال صاحب المقال (إن كل سورة من سور القرآن البالغة ١١٤ سورة تبدأ باسم الله الرحمن الرحيم، ومع ذلك فان هذا الكتاب يفقد تقريبا كل الأوصاف النبيلة التى عادة تضم الدين، سورة بعد سورة، يأتى ذكر الجزاء النهائى و التقوى وجزاء الظلمة، وضرورة إعلان الحرب المقدسة ضد غير المؤمنين، و هكذا لايبدو فى أى مكان ما فى الكتاب شئ عن الحب.

و يبدو من هـذه المقالة العداء للاسلام عامة و عدم الفهم لمبادىء وتعاليم القرآن الاخلاقية خاصة و تخلط بين الاسلام و بعض الحاكمين باسمه: و أيا كان الرأى فى الامام الخومينى والحكم يختلف فيه بين أنصاره ومؤيديه، وأعدائه ومنافسيه، و للوصول إلى حقيقة أمره لا بد من بعد زمنى يكشف عن وثائق هـذه الثورة ومكامنها، و تنعدم فيه وسائل التأثير، فتتضح به الرؤية الصادقة، بيد أن الأمر

(١) عدد يناير ١٩٨٠م ص: ٦، ٧.

المؤكد إنه بشر غير معصوم ، و أمره كـكل البشر إلى موت فبعث و حســاب ليلاقى ما قــدم بين يدى الديان جل شأنه ، إن خيراً فخير و إن شراً فشراً ، أما الاسلام فقيمته فى ذاته لا ينقص منه انصراف أتباعه عنه أو إقبالهم عليه ، و إن كان فى التمسك بمبادئه و تعاليمه : العزة والسيادة و النصر ، و البعد عنه : الذلة ، و المهانة ، و الخسران ، فالاسلام شاهــد حق عليهم لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه لأنه تنزيل من حكيم حميد ، و القرآن أساس الاسلام و مصدره الأول يقول الله فيه (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هــذه القرآن لايأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً) (الاسراء : ٨٨) و هو شاهد حق قائم قيام السماوات و الأرض على أن محمد بن عبد الله هو خاتم النبيين و رسول للعالمين المؤيد بالمنهج الأقوم) (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) (الاسراء : ٩) و قد طوى هذا الكتاب الخالد من الفضائل النبيلة و الأخلاق الحميدة أعلاها ، مما حدى بعالم غير منتم إلى الاسلام (الدكتور جوستاف لوبون) ليشهــد شهادة صادرة عن بحث علمى أمين ، لا عن ولاء و عاطفة إلى (أن أصول الأخلاق فى القرآن عاليــة علو ما جاء فى كتب الديانات الأخرى جميعها) (حضارة العرب ، تعريب محمد عادل زعيتر ص ٤٥٤) .

ودعوى « بوكر » القائلة بأن القرآن خال من الأخلاق دعوى قديمة ترددت على لسان خصوم الاسلام و تصدى لبيان بهتانها العالم الجليل الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله ، فى أطروحته للدكتوراه بالسوربون بعنوان « الأخلاق فى القرآن » والتى تمت مناقشتها فى ١٥/ ١٢/ ١٩٤٧ و أثبت فيها للغرب بدراســة مقارنة الوجــه الحقيق للأخلاق القرآنية ، و إن الأخلاق والفضائل سواء كانت فردية أو اجتماعية أو أسرية أو اقتصادية أو سياسية تفرد بها القرآن الكريم مما يجعله قواماً على الانسان

فى كل العصور (راجع دستور الأخلاق فى القرآن الكريم تعريب الدكتور عبد الصبور شاهين من ص ٦٨٩ - ٧٧٨) .

و الأخلاق فى القرآن كما يقول بحق المفكر الاسلامى الكبير الأستاذ أنور الجندى : عملية و ليست مثالية فوق التطبيق فتقوم على مبدأى : الالتزام و الجزاء الأخروى ، وتستمد وجودها من حرية الانسان وإرادته فى الاختيار وتحمل المسؤلية ، فالفرد مسئول عن عمله ، و هو التزام من الانسان فى مواجهة البشرية كلها (معلمة الاسلام ص ٢٩٥ - ٢٩٦) لأن التصور الأخلاقى فى القرآن يقوم على الايمان بالله والعبودية له ، ومايتطلبه من الالتزام بأوامره والابتعاد عن نواهيه ابتغاء مرضاة الله والفوز بالآخرة (أبو الأعلى المودودى : نظام الحياة فى الاسلام الجانب الأخلاقى ص ٥ - ٢٠) .

ومن نزل عليه القرآن وصفه الله (و إنك لعلى خلق عظيم) (القلم : ٤) و لما سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت « كان خلقه القرآن ، يتأدب بآدابه ، و يأتمر بأوامره ، و ينهى عن نواهيه ثم قرأت (خذ العفو و أمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين) (الأعراف : ١٩٩) وقد أمره ربه أن يعطى من حرمه . و أن يصل من قطعه ، و أن يعفو عن ظلمه ، و من حسن خلقه ﷺ أنه يصل الرحم ، و يحمل الكل ويكسب المعدم ، ويقرى الضيف و يعين على نوائب الدهر) الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود: الحكم الجامعة لشتى العلوم النافعة ص ٢٥٦)

و محمد بن عبد الله - عليه أفضل الصلوات والسلام - تطبيق حى لتعاليم الاسلام ومبادئه فى كافة المجالات ، و للمسلمين فيه أسوة حسنة ،

و يهمنا أن نسلط الأضواء على صفة الرحمة والمحبة والعفو التى ينكر « بوكر » و يجزم بخلو القرآن منها .

فقد حث القرآن على الرحمة و الاحسان بالوالدين و بذى القربى و الضعفاء

فقال (واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً و بالوالدين إحسانا و بذى القربى واليتا و المساكين و الجارذى القربى والجار الجنب و الصاحب بالجنب و ابن السبيل و ملكت أيمانكم) (النساء : ٣٦) و قال جل شأنه فى الزواج و غاياته المودة و السلام الداخلى و الرحمة (و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزوا لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودة و رحمة) (الروم : ٢١) و قد حث القر على العفو و الصلح والصبر فيقول الله (وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأص فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ، و لمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم سبيل ، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك عذاب أليم ، و لمن صبر و غفر إن ذالك لمن عزم الأمور (الشورى ٤٠ - ٣ وأنصار المسيحية يزعمون أنها أسمح من الاسلام مستدلين بما جاء فى الأصحاح الخامس انجيل متى (قد سمعتم أنه قيل العين بالعين و السن بالسن ، أما أنا فأقول لكم تقاوموا الشرير بل من لطمك على خدك الأيسر فحول له الآخر ، و من أراد يخاصمك و يأخذ ثوبك فخل له رداءك أيضاً ، قد سمعتم أنه قيل : أحبب قر و ابغض عدوك ، أما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم و أحسنوا إلى من يبغ و صلوا لأجل من يعنتكم و يضطهدكم) .

والحقيقة أن الاسلام يعد أسمح من المسيحية لأنه يتفق مع الفطرة الانسا فالاسلام إذ يدعو إلى القصاص أولا ، و إلى العفو ثانياً ، فقد أراح المعتـ عليه و جعل له سلطاناً يؤيده الحق ، ثم دعاه و هو صاحب السلطان فى القص إلى العفو وهو لا يكون إلا معه ، و العفو و هو متمكن من القصاص عفو و وعزة ، أما المسيحية وقد حرمته من القصاص ، فان استجاب - وقلما يستجيب

فعل ذلك و هو متبرم ساخط ، لأنه عفو الضعف لا عفو المقدرة و العزة كما دعا الاسلام (الشيخ محمد الشال فی رده علی أحد الباحثين الأمريكيين عن العفو فی القرآن)

أما قول « بوكر » بأن الاسلام يعلن الحرب المقدسة علی غير المؤمنين فمردود عليه بقول الله تعالی (لا إكراه فی الدين قد تبين الرشد من الغی (البقرة : ٢٥٦) وقوله ولو شاء ربك لآمن من فی الأرض كلهم جميعاً أفانت تكره الناس حتی يكونوا مؤمنين) (يونس : ٩٩) و جمهور الفقهاء و جل العلماء المحدثين علی أن الشخص لا يحارب و لا يقتل لكونه غير مؤمن بالاسلام فالله تعالی يقول (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فی الدين و لم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم و تقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين) (الممتحنة : ٨) ، فسبب القتال هو الاعتداء علی الاسلام و أهله والحيلولة دون نشر دعوته وقطع السبيل فی منع إبلاغها للناس فيعتبرون معتدين علی الناس و الخلق أجمعين (الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود : رسالة الجهاد المشروع فی الاسلام، وابن رشد : بداية المجتهد و نهاية المقتصد : ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، و البخاری (المتوفی ٤٥٦هـ) : محاسن الاسلام ص . ٧ والشيخ محمد أبوزهره : نظرية الحرب فی الاسلام ص (١٧ ، ١٨) .

و يضع شيخ الاسلام ابن تيمية آية لا إكراه فی الدين موضعها الصحيح فيقول (جمهور السلف علی أنها ليست منسوخة أو مخصوصة و إنما النص عام ، فلا نكره أحداً علی الدين ، و القتال لمن حاربنا ، فان أسلم عصم ماله ودمه و إذا لم يكن من أهل القتال لا نقتله ، و لا يقدر أحد قط أن ينقل أن رسول الله ﷺ أكره أحداً علی الاسلام (رسالة القتال ضمن مجموع رسائل المطبعة

السلفية ص ١٢٢ ـ ١٢٥) .

إن قيمة التسامح الحقيق أن تتحمل عقائد غيرنا وأعمالهم على الرغم من أنها باطلة فى نظرنا ، و لا تنطق فيهم بما يؤلمهم رعاية لعواطفهم و أحاسيسهم ، و لا نلجأ إلى وسائل الجبر و الاكراه لتصريفهم عن عقائدهم أو منعهم عما يقومون به من الاعمال (أبو الأعلى المودودى : الاسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة ص ٤٠)

نخلص مما تقدم بهتان دعوى « بوكر » وأضرابه من خلو القرآن من الصفات النبيلة و تأكد لنا أنه أقدم الكتب السماوية أخلاقا و أنه دين المودة و الرحمة و التسامح و الانسانية .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفرق الكبير !

لقد تحدث القرآن عن الفرق الكبير بين الجاهلية و الاسلام فى أسلوبه البليغ النادر ، و أشار إلى الأبعاد التى و جدت بين العهدين فقال : « و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءاً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آيته لعلكم تهتدون » (آل عمران الآية ١٠٣) .

« مبادىء دراسة القرآن »
لسماحة الشيخ الندوى ص ١٢١

الدعوة الإسلامية

أدب التربيــة و المواعــظ

(٢)

سعادة الدكتور غريب جمعة (القاهرة)

النموذج الثانى :

الكلام على قوله تعالى « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه (١) » .
البيوت هاهنا المساجـــد و « أذن » بمعنى أمر و « ترفــع » بمعنى تعظم و «اسمه» توحيده و كتابه .

و فى إقرار مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها و أبغض البلاد إلى الله تعالى أسواقها» و فى الصحيحين من حديث عثمان رضى الله عنـه عن النبى ﷺ أنه قال : « من بنى لله عز وجل مسجداً بنى الله له مثله فى الجنة » و فيهما من حديث أبى هريرة قال : من غدا إلى المسجد و راح أعد الله له فى الجنة نزلا كلما غدا أو راح » .

أخبرنا يحيى بن على أنبأنا أبو جعفر بن المسليمة و انبأنا سعيد بن أحمـــد ، حـــدثنا على بن أحمد بن السيدى ، قالا أخبرنا المخلص ، حدثنا البغوى ، حدثنـا عبـــد الجبار بن عاصم ، حدثنى عبد الله بن عمر ، عن زيد بن أنسية ، عن عدى ابن ثابت ، عن أبى حازم الأشجعى ، عن أبى هريرة قال ! قال : رسول الله ﷺ ! من تطهر فى بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضـــة من فرائض الله

(١) النور /٣٦ .

كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة و الأخرى ترفع درجة » .

أخبرنا هبة الله بن محمد ، أنبانا الحسن بن على ، أنبانا أحمد بن جعفر ، حدثنا عبدالله بن أحمد ، حدثنى أبى ، حدثنى هاشم ، حدثنا ليث ، حدثنى سعيد ، يعنى المقبرى ، عن أبى عبيدة ، عن سعيد بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « لا يتوضأ أحد فيحسن وضوءه و يسبغه ثم يأتى المسجد لا يريد إلا الله فيه إلا تبشبش (١) الله به كما تبشبش أهل الغائب بطلعته » .

قوله تعالى : « يسبح له فيها بالغدو و الآصال » ، قال الزجاج : لا خلاف بين أهل اللغة أن التسبيح هو التنزيه لله عز وجل عن كل سوء . و الغدو جمع غدوة . و الآصال جمع أصل . و أصل جمع أصيل فالآصال جمع الجمع والآصال : العشيات .

و للفسرين فى المراد بهذا التسبيح قولان :

أحدهما : أنه الصلاة ثم فى صلاة الغدو قولان : أحدهما : أنها الفجر رواه ابن أبى طلحة عن ابن عباس ، و الثانى : صلاة الضحى ، و روى ، ابن أبى مليكة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : إن صلاة الضحى لفى كتاب الله و ما يغوص عليها غواص ثم قرأ « يسبح له فيها بالغدو و الآصال »

و فى صلاة الآصال قولان : أحدهما : أنها الظهر و العصر والمغرب و العشاء . قاله ابن السائب و الثانى : صلاة العصر قاله أبو سليمان الدمشقى ، قوله تعالى « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » أى لا تشغلهم ، قال ابن السائب : التجار الجلابون و الباعة المقيمون : و فى المراد بذكر الله ثلاثة أقوال : أحدها :

(١) تبشبش به : آنسه و واصله و هو من الله تعالى الرضاء و الاكرام .

الصلاة المكتوبة ، قاله ابن عباس ، و روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فأغلقوا حوانيتهم و دخلوا المسجد فقال ابن عمر : فيهم نزلت « رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله » و الثاني : أنه القيام بحق الله تعالى ، قاله قتادة .

و الثالث ! ذكر الله تعالى باللسان . قاله ! أبو سليمان الدمشقي . قوله تعالى « و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة » أي أداؤها لوقتها و إتمامها . قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه : ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا و أنا في المسجد وقال سفيان بن عيينة : لا تكن مثل عبد السوء لا يأتي حتى يدعى ، إيت الصلاة قبل النداء . أخبرنا المبارك بن أحمد الأنصاري ، أخبرنا الحسين بن عبد الجبار ، أخبرنا محمد بن علي بن الفتح ، أنبأنا علي بن الحسين بن سكينة ، أنبانا محمد بن القاسم ، حدثنا أبو بكر بن عيد أنبأنا أبو الحسين بن أبي قيس ، أنبأنا سويد بن سعيد ، أنبأنا علي بن مسهر ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن مسهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله ﷺ « إذا جمع الله الأولين و الآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق !

سيعلم الخلائق اليوم من أولى بالكرم ، ثم يرجع فينادي : فليقم الذين كانوا لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله ، فيقومون و هم قليل ، ثم ينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في السراء و الضراء فيقومون و هم قليلون ثم يحاسب الناس . قال بعض الزهاد ، رأيت رجلا قد أقبل من بعض جبال الشام فسلمت عليه فرد ووقف ينظر كالحيران ، فقلت له من أين أقبلت ؟ فقال : من عند قوم لا تلهيهم تجارة و لا بيع عند ذكر الله فقلت : و أين تريد ؟ قال : إلى قوم تتجافى جنوبهم عن المضاجع » ثم قال وا أسفا ! على ماذا ؟ قال على ما هم فيه إذ كانوا بأعمالهم

على طريق نجاتهم .

الناسكون يحاذرون و ما بسيئة ألموا
كانوا إذا راموا كلا ما خطموا و زموا
إن قيلت الفحشاء أو ظهرت عموا عنها و صموا
فمضوا و جاء معاشر بالمنكرات طمو وطموا (۱)
فقم لطعم فاغر و يد على مال تضم
عدلوا عن الحسن الجميل و للخنا عمدوا و أموا
و إذا هم أعيتهم شنعام (۲) كذبوا و نموا
فالصدر يغلى بالهوا جس مثل ما يغلى الحمم (۳)

قوله تعالى : « يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار » تصعد القلوب إلى الحناجر و تتقلب الأبصار إلى الزرق عن الكحل و العمى بعد النظر ، أخبرنا ابن الحصين ، قال أنبأنا ابن المذهب ، أنبأنا أحمد بن جعفر ، أخبرنا عبدالله بن أحمد حدثنى أبى حدثنا سليمان بن حبان ، أخبرنا ابن عون عن نافع ، عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : يقوم أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه » أخبرنا عبد الأول ، حدثنا الداؤودى ، حدثنا ابن أعين ، حدثنا القزبرى ، حدثنا البخارى ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثنى سليمان ، عن ثور بن زيد عن أبى الغيث ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعا يلجمهم حتى يبلغ آذانهم » (الحديثان فى الصحيحين و فى لفظ سبعين

(۱) طموا : امتلأوا : يقال طمى الماء يطمى طميا علا : والنبت طال والبحر امتلأ وطموا ! طغوا : يقال طم الماء : غمر (۲) شنعام : و الشنعاء : الصفة الشنيعة القبيحة (۳) الساخن .

« باعا » قال مغيث بن سمى : تركو الشمس فوق رؤسهم على سيمة أذرع وتفتح أبواب جهنم فيهب عليهم من رياحها وسمومها و يخرج عليهم من نفاحها (١) حتى تجرى الأنهار من عرقهم والصائمون فى ظل العرش : يا من لا يردعه ما يسمعه ، يا من لا يقنعه ما يجمعه ، أما القبر عن قريب موضعه أما اللحد عن قريب مضجعه ، أما يرجع عنه من يشيعه و يأخذ ما جمعه أجمعه ، كم يخرق خرقاً بالخطأ ثم لا يرقعه ، كم يحطه القبيح و النصح يرفعه كم يعلم غرور الهوى و هو يكبحه .

لاتعذلنه فإن العزل يولعه   قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه (٢)

أشرف راهب من الرهبان من صومعة فإذا رجل جالس فقال : ياهذا ما جلوسك هاهنا ؟ فقال له : أسكت يا فارغ القلب ودع التشاغل بغيره فانه منك قريب ، فصرخ الراهب وخر مغشياً عليه ، فلما أفاق ، قال : سيدى لك العتبى لاأعود فيما يقطعنى عنك فصمت عن الكلام حتى مات ، كم غرت الغرور غراً أمد له أطناب الطمع على أوتار الهوى و سامره فى خيمة المنى يملى عليه أمالى الآمال ، و ما أجال فيما جال سهو ذكر الآجال ، ثم وجه إلى جهة الجهل و الغفل ، فسلما إليه منشور التسويف . فلما ضرب بوق الرحلة و قربت نوق النقلة سل ما سلما إليه فألقى كالملقى على باب الندم .

إلام أمنى النفس مالا تناله   وأذكر عيشاً لم يعد مذ تصرما
وقد قالت الستون للهو والصبا   دعا لى أسيرى واذهبا حيث شئتما

أخبرنا محمدبن عبدالملك ، أنبأنا أحمد بن الحسين الشاهد ، حدثنى عبد العزيز

---

(١) نفاحها ريحها وحرها .

(٢) هكذا فى الأصل و لكن البيت لأبى نواس و نصه .

لاتعذليه فإن العذل يولعه   قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

ابن على ، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد الحافظ أخبرنا إبراهيم بن نصر ، حدثنى إبراهيم بن بشار قال سمعت إبراهيم بن أدهم يقول لرجل رءاه يضحك : لا تطمعن فى بقائك و أنت تعلم أن مصيرك إلى الموت فلم يضحك من يموت ولا يدرى أين مصيره : إلى الجنة أم إلى النار ، و لا يدرى أى و قت يكون الموت : صباحا أو مساء بليل أو نهار ثم قال : أوه و سقط مغشياً عليه .

سجع على قوله : « يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب و الأبصار » لو رأيت أرباب القلوب والأسرار ، وقد أخذوا أهبة التعبد فى الأسحار وقاموا فى مقام الخوف على قدم الاعتذار « يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب و الأبصار » عقدوا عزم الصيام و ما جاء النهار و سجنوا الألسنة فليس فيهم مهذار ، و غضوا أبصارهم و لازم غض الأبصار ، فانظر مدحهم إلى أين انتهى و صار أحزانهم أحزان ثكلى مالها اصطبار ، و دموعهم لو لا التحرى لقلت كالأنهار ، و وجوهم من الخوف قد علاها الصغار ، والقلق قد أحاط بهم و دار ، «يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب و الأبصار » جدوا فى انطلاقهم إلى خلاقهم ، و راجعوا أنفسهم ، بتحسين أخلاقهم ، فاذا بهم قد أذابهم كرب اشتياقهم ، أتدرى ما الذى حبسك عن لحاقهم : حب الدرهم و الدينار ، أيقظنا الله و إياكم من هذه السنة ، و رزقنا اتباع النفوس المحسنة ، و آتانا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ، و وقانا عذاب النار .

« يتبع »

الحلقة الثانية

من بحوث

الندوة العالمية للأدب الإسلامي

كلمة سماحة الشيخ أحمد عبد العزيز المبارك

رئيس القضاء الشرعى (أبوظبى)

سماحة السيد الأمين العام لندوة العلماء الموقر ، والاخوة السادة أعضاء المؤتمر .

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته و بعد ،

فانى أحيى جمعكم هذا المبارك ، و كم كنت أود أن أكون من شهوده ، ففى لقاء أهل الفكر متعة للعقل ، و فى لقاء أهل الدين متعة للروح ، و لكن عذراً قاهراً حال بينى و بين ذلك ، و ما من شك فى أن أعضاء الندوة و أصدقاءها المدعوين من كملت عقولهم ونضجت أفكارهم ، وسمت أخلاقهم ، وارتقت أرواحهم ، حتى صار الاجتماع بهم مما يهفوله ذوو العقول الراجحة و النفوس العالية ، أولئك الذين لم يطربوا لضرب الدف و غمز الوتر ، كما يطربون لرفيع الكلم و قيم الفكر ، و لا يهتزون لانسجام الألحان ، كما يتمايلون طربا من سحر البيان المتمثل فى نص من نصوص القرآن ، أو فقرة من روائع أقوال سيد البلغاء ، أو غيره من فحول الفصحى ، ممن نثروا أو نظموا على اختلاف العصور و الأقطار .

و إن الأدب الاسلامى الذى تعقدون هذه الندوة لمدارسة شأنه بين العالم الاسلامى اليوم قمين حقاً بالدارسة الجادة الهادفة المستقرئة لكل جوانبه ، فان الأدب ـ إذا أتقنت صناعته بتجويد أسلوبه واتساق أغراضه مع أسس الفضائل ، كان واحداً من عوامل إنهاض الشعوب و سوقها نحو الأهداف ، التى من أجلها ابتعث الله الرسول و أنزل عليهم تبيان شرائعه فى الحق و الخير و الفضيلة و الجمال ، موجهاً

بنی الانسان أن يأتوها و يجتنبوا أضـــدادها ، لأنهم حين يمثلون ما أمروابه ، يقتربون من صفات الملائكة ، وحين لايمتثلونها يقتربون من صفات ذوية إبليس .

و قد واكب الأدب الاسلامی الدعوة الاسلامية منذ فجرها ، فتفتقت قرائح الشعراء ، بذلك الشعر الرائع الذی مدح به نبی الاسلام ، و هجی به أعداؤه الذين حاربوه ، كما مدح به أولئك المجاهدون الاوائل الذين أزهقت أرواحهم ، وسالت فی ساح الوغی دماؤهم ، فكانوا الفداء وكانوا الشهداء .

و علی نهج الشعراء سار الخطباء ، تأييداً للدين و تفنيدا لدعاوی خصومه من مشركين و عباد أوثان و أهل كتاب ، و أن نظرة عجلی لفنون الأدب فی اللغة العربية وفی غيرها من اللغات الاسلامية كالفارسية والأردية ، و الأفغانية والتركية و غيرها ، ترينا أن فنون الآداب فی اللغات ما انفكت خلال تلك القرون الأربعة عشر ، سائرة فی نفس الطريق ، تأييداً للاسلام و دعوة لما يدعو إليه ، و دفعاً للأباطيل والمفتريات التی ينفثها أعداؤه من حين إلی حين .

وإن العصر الذی نعيشه الآن ، ونحن فی أوائل القرن الخامس عشر الهجری ، وأواخر القرن العشرين الميلادی ، عصر يمكن أن يوصف بأنه عصر التخطيط ، إلی جانب كثير من الصفات التی تطلق عليه ، فالرأسماليون يخططون ليغزوا العالم باقتصادهم وفنونهم و آدابهم و بأنماط حضارتهم كافة ، و كذلك يفعل الشيوعيون ، وكلا الفريقين لم يتركا الأدب بمنجاة من التخطيط ، فآداب الغرب بكل أنواعها تعمل فی انسجام مع نظامهم العام ، تری ذلك فی القصيدة و القصة و الرواية و المسرحية ، إلخ . . . و أحيانا يضمنون آثارهم شيئاً من تاريخهم القديم ، وزاد الشيوعيون أمرا عـــلی الرأسماليين ، و ذلك بمنع تداول أی فن أدبی لا يخدم الاشتراكية و الشيوعية .

إن المسلمين أولی بأن يخططوا بحيث يدعو الأدب بكل ضروبه الانسان من

حيث هو إنسان إلى ما دعا إليه الاسلام ، وأن الجامعات ـ و هى القلاع الفكرية للأمم ـ أقدر من غيرها من الهيئآت لحمل لواء هذه الدعوة ، و إلى جانب هذا ، لا بد من أن يكون النقاد الأدبيون الاسلاميون بالمرصاد للنصوص الهابطة فى أسلوبها أو فى أغراضها و معانيها ، لأن هبوط الصياغة يؤدى إلى ضعف اللغة العربية و إبعادها عن ميدان الحياة ، و نحن نريدها قوية فاعلة مؤثرة ، أداة اتصال يومى ، و وسيلة لنقل الثقافة الرفيعة و مختلف العلوم من جيل إلى جيل ، و إن ضعف الأساليب وركاكتها يبعداننا عن هذه الغايات العظام .

كما أن هبوط الأغراض والمعانى يقودنا إلى الانحلال الخلق والهبوط بعواطف القراء و مشاعرهم و ميولهم ، و الاسلام يهدف ـ فيما يهدف إليه ـ للارتقاء بتلك العواطف و المشاعر و الميول . إخوانى المؤتمرين : لا يخامرنى شك فى أنكم بعون الله تعالى سوف تضعون أضواء كاشفة على الطريق ، متمثلة فى توصياتكم و قراراتكم التى ستتخذونها ، و إننى أتقدم إليكم باقتراح أرجو أن تقبلوه و هو : طبع هذه التوصيات و نشرها على أوسع نطاق ، بحيث لا يقتصر الاطلاع عليها على أعضاء المؤتمر و أصدقاء الندوة بل يشمل جميع المفكرين و رجال الأدب و التربية فى العالم العربى و الاسلامى ، و مطالبتهم بأن يجعلوها مجالا للدراسة و المناقشة فى الأندية الثقافية و مراكز البحث العلمى و الجامعات ، و أن تحلل و تناقش فى الصحف و المجلات و الاذاعة و التلفاز فان من شأن هذا النشر الموسع أن ينبه الأنصار والخصوم على السواء ، أما أنصار الاسلام فسوف يكونون جنودا يطبقون ، و أما الخصوم فسيحاولون تهديم ما بنيتموه ، و إن محاولة هؤلاء ستحفز أنصار الاسلام على الدفاع ، و أن هذا الصراع نفسه سيكون ثروة فكرية و وقودا يدفع مركبة الحق إلى حيث نرجو لها أن تبلغ من قوة و ارتقاء .

القرآن و اللغة العربية

الأستاذ الدكتور / جميل سعيد
عميد كلية الآداب جامعة الامارات العربية المتحدة

بعث الرسول الكريم، وشاء الله أن يكون القرآن معجزته الكبرى . معجزة أدبية ، و قد تحدى القرآن المكذبين ، بأن يأتوا بمثله ، أو بمثل بعضه ، و جعل عجزهم على الاتيان بمثله ، دليلا على أنه من عند الله ، قال تعالى « و إن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا ، فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا و لن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » وقال «أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات و ادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ، فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وإن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون» وقال : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً »

و كان الرجل منهم أشد ما يكون عناداً و إصراراً على الكفر حتى إذا سمع القرآن ـ و له من الذوق المصقول ما يجعله يتأثر بسحر الأعجاز فيـــه ـ لان قلبه و تغير .

و فى سيرة ابن هشام أحاديث فيها تفصيل عن بعض سادات قريش، و من

أشهرهم فى هذا عمر بن الخطاب، وقد آمنوا بعد أن سحروا بالقرآن وبيانه وكانوا على أشـد ما يكون الناس عناداً للاسلام ، قبل استماعهم للقرآن الكريم و التأثر ببيانه و سحره .

و معلوم أن هذا القرآن إنما نزل بلغة العرب فى فاتحة سورة يوسف « الر تلك آيات الكتاب المبين ، إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » وقال : « وكذلك أنزلناه قرآنا عربياً » ص ١٩٣ .

و قال جل من قائل . . . « لسان الذى يلحدون إليه أعجمى ، و هـذا لسان عربى مبين » (النحل : ١٠٣ ص ٢٣٠) .

وكان كذلك لأن الرسول ﷺ عربى منهم ، قال تعالى : « و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم »

و بين أن موسى بن عمران حين بعث إلى فرعون لابلاغ رسالته ، ذكر العقدة التى فى لسانه ، و الحبسة التى فى بيانه ، فدعا الله سبحانه بقوله : « واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى » و قال : « و يضيق صدرى و لا ينطلق لسانى » و قال : و أخى هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى ردءاً يصدقنى »

و بين سبحانه أن جبريل الروح الأمين . هو الذى نزل به على قلبـه ، ﷺ بلسان عربى مبين لينذر به ، أول ما ينذر به العرب الذين يفهمونه ويذوقونه ، قال تعالى : « و إنه لتنزيل رب العالمـين نزل به الروح الأمـين على قلبك ، لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » (الشعراء ١٩٠ — ٢٠١) .

و الآن لا بد لنا من البيان : من هم العرب الذين عنوا بهذا .

فنقول إن هذا القرآن ، و هذا الدين إنما ارتبط بالعرب لسانا لا جنسا فهو بلاغ و بيان لهؤلاء الذين يفهمون لغة العرب و يذوقون به هذه المعجزة البيـانية

الكبرى ، و معلوم أن مكة و المدينة و غيرهما من مدن العرب و بواديها كانت بها الأجناس التى تنتمى للعرب لغة لا جنساً ، كان بها السود الذين تربوا فى بيئة العرب و نشؤوا على لغتها ، و كان منهم الشعراء الأبيناء و يكفى أن نشير إلى عنترة صاحب المعلقة المشهورة فى الجاهلية ، وأن نشير إلى سحيم ، عبد بنى الحسحاس وهو مخضرم ، و قد قال عنه النقاد العرب ، أنه أستاذ عمر بن أبى ربيعة القرشى ، فى فن الغزل ، و أن نشير إلى نصيب و إلى شعره الرقيق الذى قال فيه الفرزدق حسداً حين استمع إلى إنشاده ، بحضرة الخليفة سليمان بن عبد الملك و أغضب سليمان بقوله :

خير الشعر أكرمه رجالا و شر الشعر ما قال العبيد

نقول : بهذه الروح نظر الاسلام إلى العرب ، و إلى الموالى الذين خالطوهم وهم من غير جنسهم ، و اعتبرهم مثلهم فى نظر الاسلام ، قال رسول الله ﷺ : « الولاء لحمة كلحمة النسب » و قال ﷺ : مولى القوم منهم ، و مولى القوم من أنفسهم (أخرجه البخارى عن أنس ، الجامع الصغير ٩١٢٤ و رسائل الجاحظ ، مناقب الترك ، ص ١٢) وعلى شبيه ذلك صار حليف القوم منهم ، وحكمه حكمهم .

و يورد ابن عساكر : . . . . عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قوله : « وجاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسى و صهيب الرومى و بلال الحبشى ، فقال هذه الأوس و الخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل - (يعنى النبى) - فما بال هؤلاء - (يعنى سلمان و صهيب و بلال) ما يدعوهم إلى نصره و هم ليسوا عرباً مثل قومه ؟ . .

قال : فقام إليه معاذ بن جبل ، فأخذ بتلابيبه - (ما على نحره من الثياب) - ثم أتى النبى فأخبره بمقالته فقام النبى مغضباً يجر رداءه ، لما أعجله من الغضب يعنى

أتى المسجد ، ثم نادى : « الصلاة جامعة » ليجتمع الناس ، و قال أيها الناس ، الرب واحد ، و الأب واحد ، و إن الدين واحد ، و ليست العربيـة بأحدكم من أب و لا أم و إنما هى لسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى .

و هكذا ترى الرسول الكريم رأى العربية لغة و لم يرها عرقا ولا جنساً ، و رأى سلمان الفارسى و صهيب الرومى و بلال الحبشى عرباً ، و إن كانوا من غير العرب فى عرقهم و جنسهم .

و هكذا ترى تعلق الاسلام باللغة العربية و اعتبارها سبيل الوحدة الجامعة بين المسلمين على اختلاف قومياتهم وأجناسهم و ألوانهم ، يراها وحدة جامعة لهم ، و هى ـ فى نظر الاسلام ، و نظر رسوله الكريم أقوى رباطاً لهم من رباط اللون و العرق و الجنس .

و نحن لانعجب بعد هذا أن يتعلق المسلمون ـ من أى جنس و أى لون ، و أية قومة ـ بهذه اللغة الشريفة المقدسة ، التى نزل بها الوحى الالهى و نزل بها القرآن الكريم ، كتاب الله و دستور المسلمين ، و هداهم فى دنياهم وفى آخرتهم .

و واضح أنى أشير بهـذا إلى غير العرب الذين اعتنقوا الاسلام فأحبوه ، و أحبوا قرآنه و أحبوا نبيه العربى ﷺ ، و أحبوا لغـة العرب ، لأن بها كلام الله فى قرآنه ، و أحبوا العرب لأن هذه اللغة الشريفة المقدسة لغتهم و لأن هذا النبى الكريم صلوات الله عليـه منهم ، و هؤلاء عندنا ـ نحن العرب المسلمين ـ عرب بالمعنى الذى أراده الاسلام و أراده رسوله الكريم ، و لست أتوجه فى فى حديثى هذا إلى الشعوبية منهم ، والشعوبية تعنى : تحقير العرب ، و تجريدهم من كل ميزة خيرة كريمة ، و تعنى الازدراء و البغض لكل ما هو عربى أو يمت إلى العرب ، تكره الجمل حيوان العرب فى صحرائهم وتكره النخلة لأنها تنبت فى أرض

العرب ، و تعيب اللغة العربية لأنها لغة العرب و يصل بها الكره لهم و التعصب عليهم إلى كره الاسلام و السعى إلى هدمه ، وترى أول المعاول فى هذا أن تسعى إلى لغتهم تهدمها لأنها ترى هدمها هدم دينهم و قرآنهم .

كان هذا فى القديم ، وما زال هذا كائنا إلى الآن ـ و يرحم الله نصر بن سيار أحد ولاة الأمويين فى فارس ، حين قال فيهم :

قوم يدينون دينا ما سمعت به عن الرسول ولم تنزل به الكتب
فان تكن سائلا عن أصل دينهم فان دينهم أن تقتل العرب

و لحكمـــة اقتضتها قدرة الله عز و جل جعل المجلين فى الرد على هؤلاء فى القـــديم أناسا من جنسهم و عرقهم ، لامن جنس العرب ، يقول الجاحظ : [البيان ١/ ٢٩] « اعلم أنك لن ترى قوماً قط أشقى من هؤلاء الشعوبيـــة ، و لا أعدى على دينه و لا أشد استهلاكا لعرضه ، و لا أطول نصباً ، و لا أقل غما من أهل هذه النحلة ، وقد شفى الصدور منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم ، و توقـــد نار الشنآن فى قلوبهم ، و غليان تلك المراجل الفائرة ، و تسعر تلك النيران المضطرمة . . . . »

و يقول ابن قتيبة :

ولم أر فى هذه الشعوبية أرسخ عداوة ، و لا أشد نصباً للعرب من السفلة والحشوة وأوباش النبط ، و أبناء أكرة ـ اجراء ـ القرى ، فأما أشراف العجم وذوو الأخطار منهم ، و أهل الديانة فيعرفون مالهم وما عليهم ، و يرون الشرف نسباً ثابتاً » (ص ٢٧٠ « (كتاب العرب) منشور ضمن رسائل البلغاء ص ٥٩ (العرب و التحدى للدكتور محمد عماره) .

وسرى فى حديثنا هذا ، الأعلام الأفاضل الذين نستشهد بكلامهم من الذين

تعلقوا باللغة العربية و أحبوها لأنها الأساس فى فهم الكتاب و السنة ـ أعاجم الأسماء ، والنسب و الكنية ، ويطلع عليك منهم الطبرى ، و الجرجانى و الفارسى و القزوينى و الزمخشرى و الرازى و السكاكى وغيرهم ، وغيرهم . . .

و نعود إلى حديثنا فنقول :

يقول ابن خلدون فى الفصل السادس و الثلاثين من مقدمته ، بعنوان : فى علوم اللسان العربى :

أركانه أربعة ، وهى : اللغة و النحو و البيان و الأدب . ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة كلها من الكتاب و السنة ، وهى بلغة العرب ونقلتها من الصحابة و التابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغاتهم ، ولا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة .

وتعلق المسلمون باللغة العربية ، لأنها السبيل الوحيد لفهم القرآن الكريم كتابهم المقدس فى دينهم و دنياهم وهى السبيل إلى فهم الحديث الشريف ورأوها مقدسة لأن بها كلام الله فى قرآنه المجيد . و رأوها لغة أهل الجنة . يقول السيوطى (فى المزهر (١/٣٠/) « وأخرج ابن عساكر فى التاريخ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن آدم عليه السلام ، كانت لغته فى الجنة العربية . . . فلما تاب رد عليه العربية و هكذا رأوا فيها من الميزة و القدسية ما يجعلها نعمة وهبه من الله توهب عند الرضى ، وعلى هذا لاتعجب أن تراهم يذهبون إلى أنها توقيف من الله سبحانه و تعالى . يقول أبو الحسن أحمد بن فارس : اعلم أن لغة العرب توقيف ، ثم يذهب إلى التدليل على ذلك بأن يورد قوله تعالى : وعلم آدم الأسماء كلها . . . ويقول برواية عن ابن عباس أيضاً ـ وهو علم التفسير عندهم ـ فى هذه الآية الكريمة : و كان ابن عباس يقول : وهذه هى الأسماء التى يتعارفها الناس من دابة

وأرض وسهل وجبل و . . . . . وأشباه ذلك (المزهرية ١/ ٩)) .

و هكذا ترى أن اللغة العربية ، قد تعلق بها المسلمون لناحيتها الدينيــة و القدسية لأنها اللغة الشريفة التى نزل بها كلام الله ، وإنها عندهم لغة أهل الجنة ، و أنها توقيف من الله تعالى ، و لأنها الوسيلة أيضاً لاكتساب عـــلوم الشريعــة الاسلاميـــه فيها ، و اشرطوا لنقلها ، ما كادوا يشرطونه لناقل الحديث الشريف فى رواية اللغـــة .

وأفاض المسلمون فى القواعـد المحكمة السديدة التى تحدثوا عنهـا فى توثيق رواية الحديث الشريف ، و هذه القواعد هى التى أخذ بها رواة اللغة لينفوا عنها المنحول و المزيف على نحو ما فعل علماء الحديث فى نفى المنحول و المزيف عنه .

قال السيوطى فى مقدمة كتابه : «المزهر فى علوم اللغة»: هذا علم شريف ، ابتكرت ترتيبه ، و اخترعت تنويعه وتبويبه و ذلك فى علوم اللغــة و أنواعها ، وشروط أدائها و سماعها حاكيت به علوم الحـــديث فى التقاسيم و الأنواع . . . (المزهر ، ص : ١) وجاء فى المزهر : (١٣٨/١) : «يشترط أن يكون ناقل اللغة عدلا ، رجلا كان أو امرأة ، حرا كان أو عبدا ، كما يشترط فى نقل الحديث لأن بها معرفـة تفسيره و تأويله ، فاشترط فى نقلها ما اشترط فى نقـــله . . فان كان ناقل اللغة فاسقا لم يقبل نقله » .

و هكـــذا ترى أن علماء اللغة ، ظلوا على ما رســم الأوائل فى رواية الحديث ، و فيه التشدد و التحفظ فى روايتها ، شأنهم فى رواية الحديث .

وعقد السيوطى فى مزهره (٣٠٢/٢) بابا فى « معرفة آداب اللغوى .

وقال أول ما يلزمه الاخلاص وتصحيح النية . . . ثم التحرى فى الأخذ عن الثقات ، لقوله (ص) : « إن العلم دين فانظروا عن تأخذون دينكم » قال :

ولا شك أن علم اللغة من الدين لأنه من أهم فروض الكفايات و به تعرف معانى ألفاظ القرآن و السنة » . . .

و رووا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : « لا يقرىء القرآن إلا عالم باللغة » .

و عن ابن عباس : إذا سألتم عن شيء ، من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر ، فان العشر ديوان العرب « . وحسبنا منهم أن قالوا : » إن علم الحديث وعلم اللغة أخوان يجريان من واد واحد » و أن قالوا :

حفظ اللغات علينا فرض كفرض الصلاة

فليس يضبط دين إلا بحفظ اللغات

(المزهر ، ٣١٢/٢) .

و معلوم أن العرب فتحوا العراق وفارس و الشام و مصر . و استمرت حروبهم مع الرومان و غيرهم . . وفسدت عربيتهم لاختلاطهم بالأعاجم ، وبعدهم عن صحراء العرب وبلاد العرب .

و من المعروف أن العنصر العربى ، قد اندحر فى لغته حين انتصف القرن الثانى الهجرى وفيه حد المحتجون عصر من يحتج بقولهم فى النحومثلا . و اللغة العربية فيما بعد القرون الثلاثة الأولى للهجرة لم تعد لغة الحياة الكاملة كما كانت فى العصر الجاهلى وصدر الاسلام ، و إنما أصبحت لغة العلم و التعليم ، ولغة الحكومة التى يتكاتب بها ، و لم تعد اللغة الفعلية للحكام و أولى الأمر الذين أصبحوا ـ وربما كانت حالهم فى اللغة على النحو الذى نراه اليوم بين رجالنا فى هذا العصر الذى نعيش فيه ـ يكتبون فى العربية و لكنهم يتكلمون بغيرها .

هذا أمر ، و أمر آخر هو أن الذين دخلوا فى الاسلام من البلدان المفتوحة ،

كان منهم اليهود و النصارى و المجوس و الدهرية و غيرهم ، و الكثير من هؤلاء أسلموا و رؤوسهم مملوءة بعقائدهم القديمة .

وفى جو المملكة الاسلامية هذا ، كان الجدل يثار بين المسلمين و غيرهم من أهل الديانات الأخرى . و كان مما أثير من المسائل التى تركت أكبر الأثر فيما يهمنا بحديثنا الآن . « مسألة إعجاز القرآن » .

كان العرب يوم نزل القرآن لهم من الذوق ما يمكنهم من إدراك عظمته وسحره وروعته و لم يعد لهم هذا بعد أن اختلطوا بالأعاجم .

و كانت عقليتهم بسيطة لا تعرف إثارة المسائل الجدلية بعمق ، و قد أخبر الله تعالى عن جدلهم فى القرآن فلم يكن أكثر من قولهم : إنه سحر ، و إنه شعر ، و إنه إفك ، و إنه أساطير الأولين و . . . و ما إلى هذا . . أما الآن أعنى بعد تقدم الزمن وترجمة كتب الفلسفة و انتشارها ـ فقد تغيرت العقلية ولم يعد الناس يقنعون بتلك الأجوبة البسيطة . يقال لهم : إن القرآن معجز . فيقولون : ما هو وجه الاعجاز فيه ؟ أهو فى ألفاظه ؟ أم هو فى معانيه ؟

ثم سألوا عن وجه الاعجاز ، إذا كان فى السورة ، أو الآية ما هو ؟ أهو فى لفظها ! ؟ وهذه ألفاظ القرآن قد تدوولت فى كلام العرب قبل أن يوحى إلى الرسول بالقرآن ، وظل الناس يتداولونها بعد أن نزل ، أهو فى معناها ؟ و كثير من المعانى التى وردت فى القرآن الكريم قد سبقه إليها العرب ، و قد جاء بعضها فى الكتب السماوية التى سبقت القرآن .

و هكذا ترى أن المسألة دخلت دوراً خطيراً ، و أن القرآن ، و هو معجزة الرسول الكبرى ، أصبح محل نظر عند هؤلاء .

ورأى أدباء المسلمين ، أن الشك فى إعجاز القرآن إنما جاء من جهل القوم بكلام العرب ،

و من فساد ذوقهم ، و أن لابد لتدارك هــذا الأمر من تعليم الناس طرق العرب فى كلامهم ، ورفع مستواهم الذوقى إلى الحد الذى يدرك معه تمييز الكلام الحسن من الكلام السقيم ، ثم المفاضلة بين جيد وجيد من الكلام ، ومعرفة الكلام الذى بلغ الذروة فى الجودة ، و وصل إلى درجة الاعجاز ، التى لايقدر البشر على الاتيان بمثلها .

إعجـاز القرآن

ولا نرى أن نجاوز مسألة الاعجاز هذه دون أن نأخذ بشيء من التفصيل فيها لأن الاحساس بها عد واجباً دينياً ، وجه الناس إلى اللغة العربية و الأدب العربى و الشعر وجعل إتقان هذا واجباً دينيا لعلاقته بمعرفة إعجاز القرآن .

ولبيـان هــذا نقول :

رأى بعض المسلمين أن يكفى للمسلم من إدراك الاعجاز أن يعلم أن القرآن هو المعجزة البيانية الكبرى ، و إنه تحدى العرب فى عصر بلغت فيــه فصاحتهم أوجها ، و إنهم عجزوا عن الاتيان بمثله ، وعرضوا أنفسهم لخطر الحرب و القتال ، ولو استطاعوا الاتيان بمثله ، وهم أهل اللسن و الفصاحة ، لبطلت معجزته ـ قالوا : يكفى أن يعلم المسلم هذا فيؤمن تقليدا . يقول الجرجانى : « فان قال قائل منهـم : فان لنـا طريقاً إلى إعجاز القرآن و هو : علمنا بعجز العرب عن أن يأتوا بمثله ، و تركهم أن يعارضوه ـ مع تكرار التحدى عليهم ، وطول التقريـع لهم بالعجز عنه و لأن الأمر كذلك ما قامت به الحجـة على العجم قيامها على العرب . . » (دلائل الاعجـاز ص ٦١) .

و هكذا نراهم يرون الايمان بالا عجاز تقليدا ، و يفرعون على هــذا التقليد أن ليست الحجة به قائمة على العجم . وطبيعى أنهم يرون هذا لجهل العجم بلغــة العرب التى هى السبب الأول فى إدراك الاعجاز .

ويرد الجرجانى على صدر كلامهم هذا بأن يراه معيبا من ناحيتين ! ناحية العقل الذى يأخذ بالتقليد و ناحية الايمان الذى لا يكون عن يقين .

يقول : « . . فبنا أن ننظر : أى أشبه بالفتى فى عقله و دينه وأزيد له فى علمه ويقينه ، أن يقلد فى ذلك ، و يحفظ متن الدليل ، وظاهر لفظه ، ولا يبحث عن تفسير المزايا و الخصائص ! ما هى ؟ ومن أين كثرت الكثرة العظيمة واتسعت الاتساع المجاوز لوسع الخلق ، وطاقة البشر !

و كيف يكون أن تظهر فى ألفاظ محصورة ، وكلم معدودة معلومة ، بأن يؤتى ببعضها فى إثر بعض ، لطائف لا يحصرها العد ولا ينتهى بها الأمد ؟ أم أن يبحث عن هذا كله ويستقصى النظر بابا فبابا ، حتى يعرف كلا منه بشاهده و دليله ويعلمه بتفسيره وتأويله و يوثق بتصوره و تمثيله ، ولا يكون كمن قيل فيه :

يقولون أقوالا ، ولا يعلمونها ولو قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

ويرد على الناحية الثانية ، و ملخصها : بأن الحجة فى إدراك الاعجاز ليست قائمة على العجم ، أو إنها تقتصر على العرب فى أول العهد بالاسلام - يرد على القائل بهذا ، بقوله :

« خبرنا عما اتفق عليه المسلمون من اختصاص نبينا عليه السلام بأن كانت معجزته باقية على وجه الدهر ، أتعرف له معنى : غير أن لا يزال البرهان منه لائحاً ، معرضاً لكل من أراد العلم به ، وطلب الوصول إليه ، و الحجة فيه و به ظاهرة لمن أرادها ، و العلم بها ممكنا لمن التمسه ؟ فاذا كنت لا تشك فى أن لا معنى لبقاء المعجزة بالقرآن إلا أن الوصف الذى له كان معجزا قائم فيه أبداً ، و إن الطريق إلى العلم به موجود ، و الوصول إليه ممكن ، فانظر أى رجل تكون إذا أنت زهدت فى أن تعرف حجة الله تعالى و آثرت فيه الجهل على العلم ،

و عدم الاستبانة على وجودها . و كان التقليد فيها أحب إليك ، و التعويل على علم غيرك آثر لديك » ؟ و يزيد فى هذا بأن يقول :

« وهل رأيت رأيا أعجز ، و اختيارا أقبح : ممن كره أن تعرف حجة الله تعالى من الجهة التى إذا عرفت منها كانت أنور وأبهر ، وأقوى وأقهر : ! ؟ »

و هكـذا تراه رأى الايمان بالتقليد ، معيباً للانسان فى عقله ومنتقصا لايمانه ، فى دينه . و رأى الحجة بادراك الاعجاز قائمة على العجم قيامها على العرب ، و رأى الحجة فى إدراك الاعجاز لا تقتصر على إدراكها يوم نزل القرآن الكريم ، بل هى حجة باقية على المسلمين ، عربهم وعجمهم أمد الدهر ، و من هذ وجب على المسلمين أن يدركوا هذا الاعجاز بأنفسهم وطبيعى أن أول الطريق فى إدراكه إنما هو تعلم اللغـة العربية و إتقانها ، إتقاناً يصل بهم إلى معرفة الحسن و الأحسن و البليغ و الأبلغ ، حتى يصل الأمر إلى إدراك الاعجـاز فى كلام الله تعالى الذى تحسه الأذهان ، وتتقاصر عن الاتيان بمثله .

رأى الجرجانى أن الجهة التى بها تعرف البلاغة و يدرك بها الاعجاز ، إنما هى: « استقراء كلام العرب وتتبع أشعارهم و النظر فيها » ص ٩٠

و قد دافع عن الشعر ، و حث على دراسته ، وجعل الأخذ بهـذا واجباً دينياً .

صبغ حديثه ، فى دفاعـه عن الشعر ، بصبغة عاطفية دينيـة ، أكسبته حماساً وقوة . ونحن لا نكاد نرى مثل حديثه هذا ، فى الدفاع عن الشعر ، عند أمـة من الأمم ، التى بالغت فى العناية بشعرها . و نرى أن ننقل من قوله فى هـذا ما يغنينا ببيانه المشرق ، عن التعليق و التوضيح له ، قال : « و ذاك أنا إذا كنا نعلم أن الجهة التى منهـا قامت الحجة بالقرآن و ظهرت ، و بانت و بهرت ، هى أن كان على حد من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر ، . . . وكان محالا أن يعرف

كونه كـذلـك إلا من عرف الشعر الذى هو ديوان العرب و عنوان الأدب « و رأى » أن الصاد عن ذلك صـاد عن أن تعرف حجـة الله تعـالى .

و كان مثـله مثل من يتصدى للناس ، فيمنعهم عن أن يحفظوا كتاب الله تعالى ، و يقوموا به ، يتلوه و يقرأوه ، و يصنع فى الجملة صنيعاً يؤدى إلى أن يقل حفاظه و القائمون به ، و المقرئون له »

و يقول : « فسواء من منعك الشيء الذى ينتزع منه الشاهد و الدليل ، ومن منعك السبيل إلى انتزاع تلك الدلالة ، و الاطلاع على تلك الشهادة ، ولا فرق بين من أعدمك الدواء الذى تستشفى به من دائك وتستبقى به حشاشة نفسك و بين من أعدمـك العلم بأن فيه شفاء ، و أن لـك فيه استبقاء . » دلائل الاعجاز (ص : ٦٠ ـ ٦١) .

كتب الاعجاز كتب بلاغية :

و من هنا صارت الكتب التى تبحث فى مسألة الاعجاز كتب البلاغة وأصبحت كتب البلاغة غايتها الأولى معرفة الاعجاز . يقول العسكرى أبوهلال ـ فى كتابه : « الصناعتين » : « اعلم علمك الله الخير . . أن أحق العلوم بالتعلم و أولاها بالتحفظ . . علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذى يعرف به إعجاز كتاب الله تعالى . . . وقد علمنا أن الانسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف و براعة التركيب » . و العلوى جعل كتابه « الطراز المتضمن أسرار البلاغة و حقائق الاعجـاز . . . » فى ثلاثة كتب ، جعل الأول فى مقـدمات العلم و الفصـاحة ، و جعل الثانى فى المعانى و البيان و البديع ، و قال عن الثالث : « نذكر فيه ما يكون جاريا مجرى التتمة و التكملة لهذه العلوم الثلاثة ، نذكر فيه فصـاحة القرآن العظيم و إنه قـد وصل للغاية التى

لا غايـــة فوقهـــا . . .

و نذكر وجه إعجازه ، و نذكر أقاويل العلماء فى ذلك :

و هكذا ، لاتكاد تجد كتاباً قديماً فى البلاغة ، إلا و غرضه الأول أن يصل بك إلى معرفة إعجاز القرآن . و حسبك أن ابن خلدون قال فى مقدمته عن علم البلاغة : « واعلم أن ثمرة هذا الفن إنما هى فى فهم الاعجاز من القرآن ، . . وهى أعلى مراتب الكلام . .

و رأى المفسرون ، و الفقهاء ألا غنى لهم عن إتقان لغة العرب ، و معرفة البلاغة فيها لفهم القرآن ، ولادراك معانيه وإعجازه ، يقول الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ .

بيد أن الرسول عربى ، وأن القرآن نزل بلسانه . فالواجب أن تكون معانى كتاب الله المنزل على نبينا محمد (ﷺ) لمعانى كلام العرب موافقة ، و ظاهره لظاهر كلامهم ملائماً . . . فاذا كان ذلك كذلك ، فبين إذ كان موجوداً فى كلام العرب الايجاز و الاختصار ، و الاجتزاء من الاخفاء بالاظهار . و بالقلـــة من الاكثار فى بعض الأحوال و استعمال الاطالة و الاكثار و التردد و التكرار ، و إظهار المعانى بالأسماء دون الكتابة عنها ، و الاسرار فى بعض الأوقات والخبر عن الخاص فى المراد بالعام ، وعن العام فى المراد بالخاص الظاهر ، وعن الكناية و المراد منه المصرح ، وعن الصفة والمراد الموصوف ، و عن الموصوف و المراد الصفة ، وتقديم ما هو فى المعنى مؤخر ، و تأخير ما هو فى المعنى مقدم ، و الاكتفاء ببعض من بعض ، و بما يظهر عما يحذف ، و إظهار ما حظه الحذف ، أن يكون ما فى كتاب الله المنزل على نبيه محمـــد (ﷺ) من ذلك فى كل ذلك له نظيراً ، وله مثلا و شبيهاً ، و نحن مبينون جميع ذلك فى أماكنه إن شاء الله ذلك ، و أمد منه بعون » ، وهكذا ترى أن الطبرى لا يكاد يترك فناً من فنون القول إلا بين

حاجة المفسر إليه . .

و درج المفسرون على هذا . . وهكذا ترى أن القرآن الكريم أصبح العامل الأول فى دراسة اللغة العربية وتعلمها ، بها نزل كلام الله ، فهى اللغة المقدسة ، وتدوينها يأخذ ما يأخذه الحديث الشريف من العناية ، و بها يفهم كلام الله تعالى ، و تؤخذ منه الأحكام ، ما يتعلق منها بالعبادة و بالحياة ، وبها يعرف إعجاز القرآن ، وسبيل المعرفة يتدرج من فهم اللغة إلى فهم الشعر و تذوقه ، إلى معرفة فنون القول فى الفصاحة و البلاغة ، فهى حاجة المتعبد ، و القارىء و المفسر و الفقيه ، و إنها هى السبيل الأول إلى وحـدة المسلمين ، وحدة تتضاءل عندها ألوانهم و أجنـاسهم و قومياتهم و لغاتهم ، نقول : و إذا رأيت للعربية هذه المكانة لا تعجب أن ترى خصوم الاسلام و المسلمين يعمدون إلى طمسها و هدمها ، كانوا كذلك قديماً و هم الآن أشد تكالباً على المسلمين و عليها منهم فى القديم ، و ما سد فى وجههم طريق إلا عمدوا مسرعين إلى غيره ، يقولون مرة إن حروفها التى تستعملها فى الكتابة غير صالحة للطباعة الحديثة و أنها لا تؤدى النطق العربى على وجهه الأكمل ، يقولون هذا وهم يعلمون أن ما من لغة من لغات الدنيا تستطيع حروف لغتها أن تؤدى ألفاظها على الوجه الأكمل كما تؤديه الحروف العربية فى النطق العربى .

و ينصحون العرب باستبدال حروفهم بالحروف الأوروبيـــة و ما ذاك إلا ليباعدوا بين المسلمين و بين تراثهم الاسلامى العربى ، الذى درجت عليه الأجيال ، و نأسف أن نقول إنهم نجحوا فى بعض البلدان الاسلامية ، فباعدوها عن الخط العربى و قطعوا أبناءها عن تراثهم القديم المكتوب به ، و سرهم أن رأوا فى هذا ، أول المعاول لهدم اللغة العربية .

و يشيعون مرة أخرى أن اللغة الفصحى لم تعد ملائمة لحياة العرب الحاضرة

فى عصرهم ، و أولى لهم أن يستبدلوها بلغات عامية دارجة ، يشيع كل منها فى أقليم من أقاليم العرب المسلمين ، .

يعمدون إلى إشاعة باطلة أوشك أن يؤمن بها الكثير من أهل العلم من رجالنا وهى أن العربية لم تعد صالحة للتعبير عن العلوم العصرية ، ونرى الكثير من جامعاتنا العربية الاسلامية تتطرق عليها هذه الفرية و تكاد تصدقها .

على أن الله سبحانه يقيض لهم من أهل جلدتهم من يتولى الرد عليهم فى عصرنا الحاضر هذا ، كما هيأ الله للشعوبيين من يرد عليهم من أهل جنسهم ولغتهم من قبل .

يقول براون : و هو الكاتب الانجليزى الذى أعجب بالمسلمين و تراثهم ، يقول عن اللغة العربية :

« و اللغة العربية تمتاز بأنها لغة دين عظيم ، و نحن نختلف عن المسلمين فى كوننا نعتبر الانجيل إنجيلا سواءاً أقرأناه فى اللغات الأصيلة التى كتب بها أم فى لغتنا الحالية ، أما المسلمون فيعتبرون القرآن كلمة الله و أنه تنزيل من رب العالمين ، فاذا قرأنا مثلا « قل هو الله أحد » فان الله وحده هو الذى يخاطبنا بهذا القول ، و لا يمكن أن يفسرها أحد بأن النبى هو الذى يحدثنا به ، و لذلك جرى المسلمون على أن يقولوا « قال الله تعالى » إذا شاؤا الاستشهاد بآية من آيات القرآن .

بينما يقولون : « قال النبى عليه الصلاة و السلام » إذا استشهدوا بحديث من أحاديث النبى .

و بناء على ذلك قالوا إن القرآن لا يمكن ترجمته . ترجمة صحيحة إلى لغة أخرى ، لأن المترجم مضطر إلى أن يورد فى ترجمته قدراً من التفسير يستعين به على إظهار معانيه و هذا القدر قد يفسد المعنى أو يمس الأصل ، و لست أعلم إلا أن المستشرقين وحدهم هم الذين أقدموا على نشر ترجمات للقرآن لا يصحبها الأصل

العربى ، أما المسلمون فقد جروا على أن يكتبوا الترجمات « الفارسية » أو « التركية » أو « الأردية » بين سطور الأصل العربى و أن يقصروا همهم على الترجمة الحرفية للألفاظ و المفردات .

و يتحدث عن اللغة العربية و حاجة المسلمين إلى تأدية الصلاة بها ، و إلى أن المسلم غير العربى يكون له الشرف بين أبناء جلدته من المسلمين غير العرب ، إذا هو أحسن الالمام بها يقول :

« بالاضافه إلى ذلك فان المسلم سواء أكان « فارسياً » أم « تركياً » أم « هندياً » أم « أفغانياً » أم من أهل الملايو » عليه أن يؤدى الصلوات خمس مرات يومياً بالعربية و أن يتلفظ بالشهادة أو ما فى حكم ذلك من الصيغ الدينية باللغة العربية أيضاً ، و لذلك وجب عليه أن يلم إلماماً و لو يسيراً بهذه اللغة فاذا ما تعمق فيها فقد استحق بين أهله و أبناء قومه مكانة رفيعة و منزلة عالية » .

و يبين أن اللغة العربية ، قد أغنت غيرها من لغات المسلمين ، من غير العرب بفيض من العبارات الفنية ، المتعلقة بالدين و الفقه ، و مصطلحات العلوم التى نشأت فى ظلال الحضارة الاسلامية ، يقول : .

يضاف إلى كل ذلك أننا نجد أن لغات الشعوب التى اعتنقت الاسلام قد غمرها منذ البداية سيل من الألفاظ العربية يتكون من العبارات الفنية المتعلقة بالدين والفقه ثم من مصطلحات العلوم الوضعية التى نشأت فى ظلال الحضارة الاسلامية ، ثم من مجموعة من الألفاظ العادية استطاعت أن تحل محل الكلمات الأصلية فى لغات هذه الشعوب .

و يرى لو أن أحداً أراد أن يكتب بلغته ، الفارسية مثلا ، بحيث يخلو ما كتبه من الألفاظ العربية الكثيرة التى مازجتها ، لعسر عليه ذلك ، يقول :

« و لو أن أحداً أراد أن يكتب شيئاً (بالفارسية) بحيث تكون كتابته خلواً من الألفاظ « العربية » لتعسر عليه الأمر كما يتعسر على الذى يريد أن يكتب شيئاً بالانجليزية بحيث تكون كتابته خالية من كل كلمة يرجع اشتقاقهـــا إلى أصل « يونانى » أو « لاتينى » أو « فرنسى » و لربما استطاع بعض الناس أن يفعلوا ذلك على نطاق ضيق و لكن كتاباتهم تظل عسيرة الفهم إذا لم يستعن القارىء على فهمها بمعجم من المعاجم اللغوية .

و يتحدث « براون » عن أناس تعصبوا لهذا فى الحديث وفى القديم ، ولكنهم باؤا بالفشل فيه ، و يورد مثالين لهذا ، أحدهما ما حاوله الأمير جلال فى كتابه المسمى « خسرو نامه » أى كتاب الملوك ، و الآخر ما حاوله الفردوسى فى ملحمته التى سماها الشاهنامه ، يقول :

و قد حاول « الأمير جلال » مثل هذه المحاولة و لكنه باء بالفشل عند ما كتب كتابه المسمى «خسرو نامه» أى « كتاب الملوك » وهو تاريخ مختصر للدول التى قامت فى فارس قبل الاسلام .

و يقول : « والشاهنامة نفسها ،وقد ألفها « الفردوسى » منذ ألف سنة تقريباً وقصد متعمداً ـ كما تدلنا على ذلك المقارنة بينها و بين الشعر المعاصر لها ـ أن يصوغها فى أقدم العبارات و الأساليب ، لا يستطيع أحد أن يدعى أنها خالية من الألفاظ العربية كما يظن ذلك بعض الناس ممن لا قدرة لهم على التحقيق و التمحيص » .

و الآن ـ أيها المستمعون الكرام ـ أقف بحديثى هذا عن القرآن الكريم واللغة العربية و صلتهما ببعضهما ، وعن علاقة الشعوب الاسلامية بهذه اللغة المقدسة الشريفة ، التى هى رابطة وحدتها فى دينها ، و هى رابطة وحدتها فى دنياها .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

المواعظ والخطب الدينية فى العهد الأموى

الدكتور عبد الحليم الندوى
أستاذ و رئيس قسم اللغة العربية
بالمعهد المركزى للغة الانجليزية
و اللغات الأجنبية حيدرآباد —

تعودنا منذ مطلع تاريخ الأدب العربى أن نلتمس الأدب ونفتقد عن المتعة الأدبية ، عند هذا الرهط من الأدبا و الخطباء ، الذين وصفهم بهذا الاسم و روى إنتاجهم نقاد ورواة ذلك العصر والعصر الذى يليه أمثال الأصمعى ، وعمرو بن العلاء ، وخلف الأحمر وحماد الراوية ، والذين جمع أخبارهم فيما بعد مدونة مضبوطة عبقرى ذلك العصر الجاحظ ، إلى جانب ابن قتيبة وابن عبد ربه والأصفهانى وغيرهم من كتاب ومؤرخى ونقاد العصر الأموى والعباسى .

لقد أسهب و أفاض هؤلا الرواة و المؤرخون والنقاد ، فى سرد مزاياهم الأدبية ، و بالثناء العاطر على ما أوتوا به من نصيب وافر من المملكة الفنيــة الساحرة ونوهوا بحظهـــم الوافر فى دنيـا العلم والعرفان ، و ما امتازوا به من مكانة مرموقة ومنزلة علياء فى ميـدان الكتابة و الخطابة والبيان ، أسهبوا و أفاضوا فى إبراز معالمهـــم ومواهبهم إلى حد لم نعد نفهم من الأدب والأديب ، غير الأدب والأديب الذى نعتوه هم بكونه أديباً أو أدباً ، أو الذين نالوا لديهم و لدى الملوك والولاة حظوة ومكانة مع أن العصر لم يخل من عباقرة العلم والأدب ، إلى جانب هؤلاء المحظوظين ــ فقد

وجد عباقرة من أدباء وخطباء و منشئين ـ كتبوا وخطبوا و أنشئوا ، ولكن ليس خبط عشواء أو كالحاطب بالليل ، بل لهدف معين معلوم مفهوم واضح صريح ألا و هو الدين ، ومن أجل الدين ، ولكن ليس لطبقة أو طائفة أو رهط أو مجتمع خاص ، و إنما لسائر الجنس البشرى والمجتمع الانسانى فقد كتبوا وأنشئوا و خطبوا « عن عقيدة وعاطفة ، وعن فكرة و اقتناع و عن حماسة وعزم » على حد تعبير أستاذنا الكبير الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى • فأجادوا وأحسنوا وأبدعوا، وتركوا مآثرهم غرة جبين الأدب والدهر ولكنها أصبحت رهينة بطون الكتب ، فبقيت مطمورة مغمورة ، وخاصة تلك التى تتعلق بالخطبة والمواعظ الدينية من النثر الفنى . فانهـا لم تلق — وللأسف الشديد من العناية بها والاهتمام لها ما استحقت ولو أنها تلقت فى عصرها أذناً صاغية وقلوبا واعية .

فقد ذكر الرواة و أصحاب التاريخ و السير ، فى هـذا الصنف من النثر رجالا سموهم مثل سحبان بن وائل وزياد بن أبيـه و الحجـاج ، و الذين ـ والحق يقال ـ كانوا من عمالقـة فن البيان و الخطابة فى العصر الأموى بدون منازع • و لكنهم فى نفس الوقت ، نسوا أو تناسوا ، رهطاً لم يكن أقل قيمة و قـدراً و أهلية فى الالقاء و الخطابة إطلاقاً من الذين سبق ذكرهم آنفا .

فمعروف بحق أن العصر الأموى ، ازدهرت الخطابة فيه أى ازدهار وانتعشت أى انتعاش بسبب الأوضاع السياسية الخاصة التى عاشها العصر ، وخاصة بعد ظهور عدة فرق كانت هى فى الواقع سياسية وظهرت فى صورة فرق دينيـة ، كما تزخر بها كتب التاريخ والأدب، وفى نفس هذه الفترة ازدهر نوع آخر من الخطابة، لم يكن أقل أهميـة ، أو أثراً ، أو روعـة من الخطابة التقليـدية ألا هو نوع المواعظ والملفوظات الدينية إن جاز لى هذا التعبير ، التى تزخر بها كتب ذلك العصر أيضاً

وينوه بمزاياها الأدبية والفنيـــة ، أهم شخصيات العصر و أبرز أدبائه ونقاده ، مثل الجاحظ و ابن عبد ربه ، و ابن قتيبة ، وغيرهم كثيرون — ولكننا لم نعرلهم انتباهاً ، لم نلق إليهم نظر الاستحسان وحتى لم نتجشم مشقة القراءة لهم فى الكتب المتداولة ، ودعوا عنكم ، احتمال مشقة البحث عن مآثرهم والتنقيب عما تركوا من نماذج رائعة لفنهم الذى كان له حظ عظيم من الرواج والقبول الحسن فظلت رهائن وودائع لبطون الكتب مـــع أن هؤلاء القاص والوعاظ لا يقلون عدداً مقارنة بالأدباء والخطباء المعروفين عدداً ، و كما لم يكونوا يقلون أثراً . فوجدت فى كل عصر ومصر ، نخبة مختارة من هؤلاء القاص والوعاظ المرشدين ـ وقد أفرد الجاحظ ، على ما فيه من اعتزال وشعوبيـــة ، أسماء طائفـــة من مبرزيهم ومتفوقيهم . فقد ذكر هو فى بيانه وابن سعد فى طبقاته ، أن أول من قص بالبصرة الأسود بن سريع وكان يقابله بالكوفة زيد بن صوحان و فى المدينة عبيد بن عمير (١) ورووا أن عبد الله بن عمر مع جلالة قدره وعلمه الوفير كان يتأثر بقصصه ووعظه حتى ليبكى من شدة التأثر. و كذلك أشار المؤرخون إلى طائفة من مثل هؤلاء القاص والوعاظ ، فذكروا منهم إبراهيم التيمى الكوفى وسعيد بن جبير ، وكان هـذا الأخير يعظ بعد صلاة الفجر وصلاة العصر فى المسجد النبوى بالمدينة المنورة ، وذكر ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٢/ ٢٩٨) أن واعظاً آخر انبرى على مسرح الأحداث فى هذا العصر كان هو ذر بن عبد الله ، الذى كان قد بلغ فى البلاغة وحسن البيان شأواً اختاره ابن الأشعث قاصاً لجنده يحثهم ضد الحجاج بن يوسف الثقفى ، أثناء المعارك التى دارت رحاها بين جند ابن الأشعث الثائر و بين قوات الحجاج وهو حاكم كوفة . ومنهم ابن عبد الله الشخير ، وقد ذكر الرواة أنه كان يقص و يعظ فى مكان أبيه بمسجـد

---

(١) البيان والتبيين ٣٦٧/١ وطبقات ج ٧/ ق ١ ص ٢٨ .

البصرة (٢) ومنهم وهب بن منبه ويزيد بن إبان الرقاشي . وكان هذا الأخير قد نال حظاً وافراً من التأثير حتى إن الجاحظ قد نقل من مواعظه جملا غرراً حيث قال : ليتنا لم نخلق ، وليتنا إذ خلقنا لم نعص وليتنا إذ عصينا لم نمت ، وليتنا إذ متنا لم نبعث ، وليتنا إذ بعثنا لم نحاسب وليتنا إذ حوسبنا لم نعذب وليتنا إذعذبنا لم نخلد »

فلاحظنا أن هذه الجمل مع بساطتها فى الحبك وسهولتها فى النسج إنما أتت كموعظة وعبرة لمن له قلب أو بصر ، يعي و يبصر فتبصر و يتعظ .

و ذكر المؤرخون وأصحاب السير ، أسماء كثيرين من القاص الذين اشتهروا فى المدن الكبرى من الامبراطورية الاسلامية فمن هذا الرهط من الوعاظ عبد الله ابن عمرو بن العاص ، فى مصر ، ورجاء بن حيوة والأوزاعى فى الشام ، وسعيد ابن المسيب ، و أبي حازم الأعرج فى المدينة، وقد ذكر الجاحظ فى بيانه لأبي حازم الأعرج هذا مواعظ كثيرة كان يعظ بها سليمان بن عبد الملك وكان قد امتاز فى هذا الفن إلى حد أن عمر بن العزيز ، الخليفة الأموى الراشد ، كان يطلب إليه أن يعظه ، فيفعل . وذكر أنه سئل مرة : ما مالك ؟ فقال : مالان : الثقة بما عند الله و اليأس بما فى أيدى الناس ، وكذلك كان يعظ عمر بن عبد العزيز ، و من وعاظ المدينة محمد بن كعب القرضي . أما العراق ، فكان قد أصبح مركزاً كبيراً للوعاظ والقاص الدينيين ، فى ذلك العصر . وقد ذكر الجاحظ فى بيانه و ابن عبد ربه فى عقده من هؤلاء الوعاظ جماعة فاقوا فى هذه الصناعة ، مثل ابن شبرمة ، و مورق العجلي ، وبكر بن عبد الله المزنى ، والشعبي و أيوب السختياني ومحمد بن واسع الأزدى البصرى ، كما نوهوا بأكبر واعظ فى هذا العصر مالك بن دينار والحسن

(٢) البيان والتبيين ١/ ٣٦٧ ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ٢/ ٢٨٩ .

البصرى ، ومن جملتهم أياس بن معاوية قاضى البصرة ومنهم خالد بن صفوان وشبيب ابن شيبة الأهتميان التميميان ، وقد نوه الجاحظ بصنعتهما بقوله « ما علمت أنه كان فى الخطباء أحد كان أجود خطبا من خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة للذى يحفظه الناس و يدور على ألسنتهم من كلا مهما (البيان ج ١) وأما فى خالد فكتب يقول : « من الخطباء المشهورين فى العوام و المقدمين فى الخواص خالد بن صفوان ولكلامه كتاب يدور فى أيدى الوراقين » وكان خالد هذا من سمار أبى العباس السفاح ، وكان يقول : احذروا مجانيق الضعفاء يعنى الدعاء . . وقد روى ابن قتيبة له موعظة طويلة ، ألقاها أمام سليمان بن عبد الملك فانفجر بكيا من شدة التأثر . ومن كبار الوعاظ والقاص الفضل بن عيسى الرقاشى وكان يسجع فى وعظه وقد أثنى عليه الجاحظ بقوله « كان من أخطب الناس وكان متكلماً قاصاً مجيداً وقد قال يوما وهو يعظ فى مجلسه : سلا الأرض فقل من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً »

المعتزلة ، مع ما لنا معهم من اختلاف فى العقيدة والنظرية فقد كانوا من أكبر الوعاظ كلاما و تأثيراً وخاصة رئيسهم وقائدهم تلميذ الحسن البصرى الشهير واصل ابن عطاء ، فقد كان أنبلهم و أبلغهم و أعجبهم و أبينهم و خير دليل على قدرته للكلام المؤثر الجميل ما رواه الجاحظ من أنه حضر يوما مجلس عبد الله بن عمر ابن عبد العزيز فى إمارته على العراق (١٢٦ — ١٢٩) وحضر معه خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة والفضل بن عيسى الرقاشى الذين سبق ذكرهم آنفاً فتبارى الأربعة فى إلقاء الخطابة أمامه ففاقهم بخطبته المشهورة التى لم يستعمل فيها كلمة بها حرف • ر • لأنه كان لثغاً فاحشاً فيها فقال : الحمد لله القديم بلا غاية والباقى بلا نهاية الذى علا فى دنوه ، ودنا فى علوه ، فلا يحويه زمان ولا يحيط به مكان ، ولا يؤوده حفظ ما

خاق . ولم يخلقه على مثال سبق ، بل أنشأ ابتداءاً وعدله اصطناعاً ، فأحسن كل شيء خلقه و تمم حشيشته وأوضح حكمته ، فدل على ألوهيته فسبحانه لامعقب لحكمه و لا دافع لقضائه ، تواضع كل شيء لعظمته ، وذل كل شيء لسطانه ، وسع كل شيء فضله ، لايعزب عنه مثقال حبة وهو السميع العليم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده إلهاً تقدست أسماؤه وعظمت آلاؤه وعلا عن صفات كل مخلوق وتنزه عن شبه كل مصنوع فلا تبلغــه الأوهام ولا تحيط به العقول والأفهام .

و بغض النظر عن إبداء رأئه للاعتزال عند التحميد بحيث نفى التجسيم عن الله . و إنه ليس كمثله شيء من مخلوقاته وغيره من آرائه الخاصة الاعتزالية ، فان هذه الخطبة مع ذلك أصدق دليل على كون الرجل مالكا لناصية البيان ، وصانعاً للكلام البليغ العجيب المؤثر ، من غير أن يستعمل فيـه كلمة تتشكل من حرف « ر » الشيء الذى ينبهر عنده العقل اللب ، فلم نجد إلى هذه الفترة خطيباً غيره يأتى بمثل هذه القدرة الخارقة فى البيان والخطاب ، ولم تخل الخطبة ، فضلا عن هذه الميزة من التذكير و التنفير من الدنيا ومتاعها الزائل كدأب الواعظين المحنكين ، فقـد مضى يقول بعد الصلاة والسلام على سيد نا و نبينا محمد ﷺ :

« أوصيكم عباد الله مع نفسى بتقوى الله والعمل بطاعته و المجانبة لمعصيته ، و أحضكم على ما يدنيكم منــه و يزلفكم لديه ، فان تقوى الله أفضل زاد وأحسن عاقبة فى معاد ، لا تلهيكم الحياة الدنيا بزينتها وخــدعها و فواتن لذاتها وشهوات آمالها ، فانها متاع قليل ومدة إلى حين وكل شيء فيها يزول » .

فانظروا إلى صدق ما يدعو إليه من تقوى الله ثم تحذيره من الدنيا ومتاعها القليل الزائل الزائف وكل ذلك بأسلوب رصين مؤثر نفاذ ، وذلك أنه يهدف إلى تلقين المرء أن لا يتشبث بالدنيا فانها دار فانية غادية رائحة . و ذلك هو ميزة الأديب

الذى يخلق إتاجه لهدف معين ، ليس من أجل الأدب حيناً والمسامرة والتفكه أحياناً فقط ، كما هو دأب الأدباء عادة فى كل قطر و مصر .

ثم يمضى فى نفس الخطبة إلى استرعاء عبرة المرء بزوال الدنيا ومتاعها ضارباً له المثال من الملوك و الأمم التى كانت تحتل مكان الصدارة والرئاسة والسلطة والسيادة أصحاب الدور والقصور ولكنها الآن أصبحت من أحاديث الماضى ، فلا تسمع لها ذكراً و لا تحس لها ركزاً فيقول :

« أين الملوك الذين بنوا المدائن وشيدوا المصانع ، وأوثقوا الأبواب . وكاشفوا الحجاب و أعدوا الجياد . وملكوا البلاد واستخدموا التيلاد ؟ قبضتهم بمحملها (١) طحنتهم بكلكلها وعضتهم بأنيابها ، عاضتهم من السعة ضيقاً ومن العزة ذلا ، ومن الحياة فناء ، فسكنوا اللحود وأكلهم الدود ، و أصبحوا لا ترى إلا مساكنهم ولا تجد إلا معالمهم ، ولا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم نبئاً »

هذه الجمل إنما جاءت على طريقة الوعاظ المألوفة إذ ذاك لتحذير الناس من عواقب الأمور وذلك بسرد قصص الأمم والملوك الذين خلوا ، وكل ذلك بحيث يشير إلى العبرة والعظمة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى هذه الجمل القصار خير مثال لأدب راق يجرى به قلم أديب شاعر أو يرى به لسان خطيب مصقع ، بحيث يزيد من الأثر والانطباع . فاقرؤا معى هذه الجمل وقولوا ، هل هى تقل لذة ، وأثراً وانطباعاً ، من ذلك الأدب الذى لا يستهدف إلا اللعب بألفاظ رنانة بطريقة خلابة و لله در واصل عند ما يقول ويجيد ، بعد ذكر الملوك : وعاضتهم من السعة ضيقاً ومن العزة ذلا ، ومن الحياة فناء ، فسكنوا اللحود وأكلهم الدود وأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم ولا تجد إلا معالمهم و لا تحس منهم من أحد

(١) المحمل : الشقان على البعير يحمل فيها شخصان ، والمعنى : احتوت عليهم .

ولا تسمع لهم نبساً » فقد اتخذ واصل من آيات القرآن تعبيراً ليفصح عما يجيش فى صدره من هذه المعانى ، فقد قال الله تعالى : «كم تركوا من جنات وعيون» « و بئر معطلة وقصر مشيد » و لذلك نحس فى هذه الجمل هذا الأثر البالغ الذى يأخذ بمجامع القلوب ويستقر فى الأذهان والعقول . و ذلك هو غرض الأدب الهادف ، الذى من شأنه أن ينتج نبذة يخلدها الزمان .

ولقد أعجب الجاحظ بأسلوب خطاب واصل وميزته الفذة بين الوعاظ إلى أنه أثنى عليه ثناءاً عاطراً إذ أنه فى هذه الخطبة يجنب استعمال الراء بكونه لثغاً فيه ، ومع ذلك أبدع و أجاد بحيث يتعذر على المرء أن يفطن أنه يتحاشى استعمال الكلمات الرائية ، وذلك دليل قاطع على علو كعبه و روعته فى دنيا الذكر والبيان . فكتب يقول : إنه (أى واصل) كان داعية ورئيس نحلة ، وعرف أن مخرج « ر » لشفته شنيع و أنه يقارع أرباب النحل وزعماء الملل و أن لابد له من حسن البيان وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة ، و من أجل الحاجة إلى ذلك رام إسقاط الراء من كلامه و إخراجها من حروف منطقه فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه و يناضله ويساجله و يأتى بستره و الراحة من هجنته حتى انتظم له ما حاول واتسق له ما أقل » .

« و مما لا شك فيه أن عدول واصل عن الكلمات ذوات الراء فى جميع محاوراته آية بينة و برهان قاطع على تمام آلته فى البلاغة و إحكام صنعته ، وكان رأساً فى الوعظ والاعتزال معاً و خرج كثيرين على مذهبه « على حد تعبير الدكتور شوقى ضيف (تاريخ الأدب العربى .) »

ولقد تناول بعض الشعراء المعاصرين لواصل ميزته هذه النادرة ، فأثنوا عليه لها فى شعر رقيق عذب فياض تزخربها الكتب الأدبية والتاريخية .

لقد انبرى فى هذا عدد غير قليل من الوعاظ و القاص الدينيين ، الذين كانوا يبثون أفكارهم و يبلغون آراءهم ، فتصدت لهم جماعة أخرى ، تعارضهم

وتخالفهم فى أقوالهم و آرائهم فانبثق من هذه الظاهرة علم الكلام الذى أصبح فيما بعد فناً بذاته له أصوله وقواعده . و أدت ظاهرة وجود هـذا العلم - أى علم الـكلام — أن الخطابة العربية و الوعظ الدينى تطورا و انتعشا انتعاشاً لا نظير له فى الأزمان السابقـة بتأثير عقول هولآء الوعاظ و المتكلمين . إذ دعمت فيهـا الادلة و دفت المعانى واستنمت شعباً كثيرة من خفياتها و دفائنها ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان هؤلآء الوعاظ المتكلمين وازنوا بين خطابتهم والجماهير التى كانت تستمع إليهم ، وكانت أخلاطاً من خاصة وعامة و من عرب و موالى . وهذه الظاهرة أدت إلى فتح الأبواب واسعة للأسلوب المولد الجديد ، و هو أسلوب لا يرتفع عن الموالى و فئات العامة ، لما قد يكون فيه من لفظ غريب . ولا يهبط عن العرب و فئات الخاصة بما فيه من لفظ مبتذل ــ أسلوب وسط — عماده الفصاحة والوضوح

هذا الأسلوب الرائع الذى انتقل إلى الجيل التابع ليتمسك به عبد الحميد الكاتب ، ومنـــه ينتقل فيحذو حذوه كتاب نابغون ، مثل الجاحظ و أقرانه فى العصر العباسى الزاخر ، ولا أغلو إن قلت إنهم أعدوا لشيوع لون الطباق فى كتابات العباسيين ، فقد جعلهم حديثهم عن الطاعة والعصيان والحياة والموت والجنة والنار ، يصوغون خطاباتهم على المطابقة و المقابلة بين المعانى كما سبقت الاشارة إليه ، وخير مثال لهذا الوعظ من الوعاظ الذين مهـــدوا السبيل لهذا النوع من الأدب الدينى الدقيق الساحر الخلاب ، هو الحسن البصرى رحمه الله . ولنا وقفة قصيرة عنده ، ندرس فيها مواعظه درسا سريعاً ، ونستخرج أثناءها من بحره المواج الزاخر درراً من الأدب الهادف ، غرراً .

هناك فى أقصى وادى الرافدين ، بحذاء البصرة ، و فى ميدان ميسان بالضبط يسترق أنصارى من هؤلآء الجند الذين انتصروا فى هذه المعركة الفاصلة التى كانت تدور

رحالها فی الشرق يسترق أعجمياً يسمی يساراً، و يسوقه إلی بلده الأمين المدينة المنورة، و ماهی إلا أيام قلائل، حتی يعتق الأنصاری الطيب، وهو زيد بن ثابت الأنصاری غلامه هذا الشاب، لما لاحظ منه إخلاصاً و وفاءاً و حسن خلق و حسن سلوك و سيرة، و يزوجه بمولاة لأم سلمة زوج الرسول ﷺ و تسمی خيرة، فاعتقتها أم المؤمنين و طابت بها نفساً و باركت لها فی حياتها الزوجية، فأنجبت خيرة أبناً بالمدينة المنورة، سنة إحدی و عشرين، و سماه الأبوان الحسن، و كان له أخ من قبل يسمی سعيداً.

فاتخذت الأسرة من وادی القری علی بعد مسافة يسيرة من المدينة مسكناً و مأوی، وطاب لها بها الاقامة فی عيش متواضع هنیئ، و لكن خيرة لم تقطع صلاتها بالمدينة بل كانت تتردد علی المدينة وتقوم بالزيارة ليس لأم سلمة سيدتها فقط، بل كانت تتصل بجميع أزواج النبي ﷺ و معها وليدها الحسن، فاستمد الاثنان من قبس نور الرسالة المحمدية و نور الأزواج المطهرات فی آن واحد، قد أعان أمه علی هذا الاقتباس أنها تمكنت من إتقان اللغة العربية إتقاناً محكماً، وذلك بفضل ما كانت تروی الأحاديث عن أم سلمة و تدمجها بوعظ كثير، مما كان له أثره العميق فی نفس ابنيها الحسن و سعيد، فما كان من الحسن الصبی إلا أنه يختلف إلی المسجد النبوی الشريف ويحفظ القرآن الكريم و يتعلم الكتابة، و بعد ما تتقدم به السن، أخذ ينهل من منهل النبوة رياً.

و فی خلافة علی تلجأ الأسرة وادی القری، وهی تحن إلی موطنها الأصلی، فتنزل البصرة يطيب لها القرار هناك، ويشب الغلام الحسن فيستوی رجلا، ويبالغ فی الحصول علی العلوم والفنون حتی يجعل من نفسه عالماً دينياً، له آراؤه ونظرياته، حول الأمور الدينية الهامة و يهب نفسه لاعلاء كلمة الدين، وبث التعاليم الاسلامية

فكان يقضى أيامه فى مدارسة القرآن ، و رواية الحديث و دراسة الدين وأحكامه دراسة عميقة مسهبة ، فتنور ذهنه و توسعت آفاقه ، و يتمهد الابتعاد عن الحركات السياسية ، و الفتن والثورات ، التى كانت تجتاح الدولة الاسلامية إذ ذاك إثر مقتل عثمان وتقلد على بن أبى طالب مقاليد الخلافة من جانب ، و اعتلاء معاوية بن أبى سفيان مقاليد الحكم من جانب آخر .

و بعد ما هدأت الفتن وأخذت المياه تعود إلى مجراها الطبيعى بعد مقتل الامام على كرم الله وجهه ، انخرط الحسن إلى الجيش الذى كان يخوض المعارك فى الشرق ، ثم يصبح كاتباً لبعض الولاة فى خراسان فأقام هناك لعشر سنوات ، ليعود بعدها إلى وطنه البصرة ينتقل إلى الله فى سنة مأة و عشرة الهجرية .

و بعد عودته إلى وطنه البصرة ، و بسطه لبساط الدرس و الوعظ والارشاد التف حوله خيرة شباب العراق ، ليدرس إليه ، و يسمع منه ، و يحضر حلقـاته الدراسية الوعظية ، و ما أن نصل إلى عصر الحجاج ، حتى نجده قد أصبح أكبر واعظ بلا منازع فى البصرة ، تمتاز مواعظه و خطبه بفصاحة و بلاغة عديمة النظير ، امتاز الحسن البصرى فى آرائه الدينية أيضاً بين أقرانه وأنداده ، لصفائه فيها ووضوحه ، كما امتاز و فاق على أقرانه فى الزهد و التقوى أيضاً ، و كان هذا العصر ، عصراً تعددت فيه الفرق السياسية ، التى لبست لباس الدين ، وتزعم أنها دينية ، ولم تكن من الدين فى شئ ، من قدرية و جبرية و معتزلة ومرجئة وغيرها مما تزخر بها كتب التاريخ والأدب لذلك العصر ، وكانت كل فرقة تتنازعه حتى تسوغ آراءها فى عقول الناس ، فكل فرقة تنسب إليه من عقائدها ما يحمله و كأنه من روادها الأولين ، فالجبرية يقولون إنه كان ينفى حرية الارادة ، ويذهب إلى أن كل شئ بقضاء من الله أما القدرية فانهم كانوا يقولون بأنه من القائلين بحرية الارادة ، و أن الانسان حر

مختار فى أفعاله ، أما الصوفية فانهم كانوا يعتبرونه متصوفاً مثلهم ، وقد نوه به الجاحظ وهو معتزلى معروف ، باعتباره معتزلياً ، وقصته مع تلميذه واصل بن عطاء ، وعبيد ابن عمر حول مسألة مقترف الكبيرة معروفة ، فلا حاجة لنا بذكرها هاهنا ، فلسنا هنا بصدد ذكر رأيه الدينى و إنما هدفنا من ذكره بيان ميزاته كواعظ وخطيب دينى ، فانه سما بالوعظ والارشاد ورفع من شأنهما حتى جعلهما من الأدب الصميم الهادف المؤثر فاحتل مكانة بارزة فى دنيا الفن .

و مما لا شك فيه أن الحسن كان أحد أئمة الزهاد فى عصره ، فقد كان يدعو إلى الزهد فى الحياة الدنيا و جعل نصب عينيه ، أن يبلغ رسالة هذه إلى كل فرد من المجتمع الاسلامى الذى كان يتقدم إلى الفوضى و الفساد بخطوات واسعة ، و لما يمض على سنة النبى و خلفائه الراشدين وقت طويل .

كان الحسن ، على زهده و ورعه ، بارع الفصاحة ، طلق اللسان ، ذرباً لا تجد فى مواعظه أو خطبه نبوة أعجمية إطلاقاً ، فقد روى الجاحظ أن أعرابياً وصفه بعد ما سمع بعض أقواله : بأنه عربى محنك : .

و تزخر كتب التاريخ و الأدب مثل طبقات بن سعد ، وعيون الأخبار لابن قتيبة و العقد الفريد لابن عبد ربه و البيان و التبيين للجاحظ و إحياء العلوم للامام الغزالى وكتب عديدة أخرى بمواعظه ، وسيرته ، و آرائه الدينية وأفكاره ، حيث نلاحظ أنه كان ليستمدها من القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة و سيرة صحابته و خاصة عمر بن الخطاب ، عند ما كان يعظ أو يلقى خطاباً دينياً فى المحافل و الحلقات الدينية .

و كان الحسن البصرى يتخذ نبوغه فى اللغة ، و مهارته فى الفصاحة والبلاغة و امتلاكه لناصية البيان ذريعة مؤثرة ، لبث آرائه حول الدنيا و متاعها الزائف الزائل

وحول عقيدته أن الخير كل الخير للمسلم فى اتباع الرسول وأصحابه الأخيار والتقوى والعمل الصالح والامتثال بأوامر الله والامتناع من نواهيه، فيأتى سحراً حلالاً ينفذ إلى سويداء القلب ويأخذ بمجامع اللب والعقل، وذلك هو شأن الأديب الذى يتخذ الأدب واللغة مطية للوصول لهدفه ووسيلة لتحقيق مرامه وأغراضه فاقرؤا معى وعظه الذى رواه الجاحظ فى كتابه لتجدوه خير مثال لوتيرته هذه وخير شاهد لما رأيناه من رأى حول أسلوبه فقال :

«يا ابن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً، يا ابن آدم إذا رأيت الناس فى الخير فنافسهم فيه وإذا رأيتهم فى الشر فلا تغتبطهم فيه، الثواء هاهنا قليل والبقاء هناك طويل، أما أنه والله لا أمة بعد أمتكم ولا نبى بعد نبيكم ولا كتاب بعد كتابكم أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحق آخركم . . . » فقولوا بالله عليكم، هلا رأيتم تعبيراً أحسن من هذا التعبير البديع لتنفير المرء من الدنيا ومتاعها الزائف الزائل ؟ وهل رأيتم طريقة أحسن من هذه لحث الانسان على فعل الخير، فان المرء يسوقه دهره إلى الموت مع كل دقة من دقات الساعة ؟ وذلك كله بهذا الأسلوب المعجز المشبع بالفصاحة والبلاغة، مع هذا التأثير البليغ الذى هو روح كل أدب وغاية كل بيان، ثم انظروا كيف ينصح الانسان أن يعيش على هذه الأرض عيشة هادئة مطمئنة من غير كبرياء وصلف فلا تضرب الأرض بقدمك خيلاء ومرحاً فانه لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولا، فيقول : ولله دره .

يا ابن آدم طأ الأرض بقدمك فانها عما قليل قبرك، واعلم أنك لم تزل فى هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمك، فرحم الله رجلا نظر فتفكر، وتفكر فاعتبر، واعتبر فأبصر، وأبصر فصبر . . . . يا ابن آدم اذكر قوله (وكل إنسان ألزمناه

طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ، إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) عدل ، والله ، عليك من جعلك حسيب نفسك ، خذوا صفاء الدنيا و ذروا كدرهـا ، دعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم . . . . و مضى يقول : لو تكاشفتم ، تداخنتم تهاديتم الأطباق ولم تهادوا النصائح . . ، قال ابن الخطاب : رحم الله امرءاً أهدى إلينا مساوينا أعدوا الجواب فانكم مسئولون ـ إلى أن يقول . . . يا ابن آدم ليس الايمان بالتحلى ولا بالتمنى ، و لكنه ما وقر فى القلوب وصدقته الأعمـال (١) »

ألستم ترون معى ، أن هذه الجمل مع ما فيها من عظة و عبرة ، أثارها الحسن ، من واقع الحياة المشهودة ، تتضمن على أجمل و أحسن نبذات أدبية و ملامح بلاغية ، و صور إبداعية ساحرة ، قلما نجد لها مثيلا فى خطابات الأدباء الآخرين الذين نترنح بعد قراءتها أو الاستماع إليها . ثم انظروا معى إلى هذا البيان المعجز المبنى على الحقيقة والواقع عندما يقول : « اعلم أنك لم تزل فى هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمك » هل يمكن تصوير انفلات الوقت من سيطرة للانسان بصنع الانسان نفسه ، ومنذ اللحظة الأولى التى رأت عيناه النور بطريقة أحسن و أروع من هذا ؟ كلا . أليست هذه الجملة رادعا و عبرة لأولئك الذين يحتفلون بأعياد ميلاد أولادهم و ذويهم ؟ و هل تجد خير مثال لأدب راق نفاذ من هذه الجمل عندما يقول : « رحم الله رجلا نظر فتفكر وتفكر فاعتبر » وانظروا كيف نسج الآية القرآنية « و كل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه . إلخ » فى طيات عبارته حتى ليتخيل إلى المرء أنها لم تنزل إلا ليضرب بها مثلا فى هذا اليوم فقط ، ثم تأملوا كيف مزج كلامه « دعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم » بحـديث النبى ﷺ عندما

(١) البيان و التبيين الجزء الثـالث .

يقول « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » ثم كيف استعار قوله ﷺ لو تكاشفتم ما تدافنتم » و معناه أنكم إذا انكشفت لكم معائب و مساوى شخص لكرهتموه حتى ما شيعتم جنازته إلا مكرهين أو كارهين ، و فيــه من الواقع ما لا يخفى عليكم ، ثم انظروا كيف نقل قول عمر بن الخطاب ، و كيف عرف الايمان وأحيانا كان يتلو الآية ثم يعقب عليها بعظة مؤثرة جداً ، فقد تلا يوماً قوله تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الانسان ، إنه كان ظلوماً جهولا) ثم يعقب عليها و هو يعظ قائلا :

« إن قوما غدوا فى المطارف العتاق (المطارف : أثواب من خز) والعمائــم الرقاق يطلبون الامارات و يضيعون الأمانات . يتعرضون للبلاء وهم منه فى عافيـة حتى إذا أخافوا من فوقهم من أهل العفة وظلموا من تحتهم من أهل الذمة أهزلوا دينهم وأسمنوا براذينهم ، ووسعوا دورهم وضيقوا قبورهم . ألم ترهم قد جــددوا الثياب وأخلقوا الدين ، يتكىء أحدهم على شمـاله فيأكل من غير ماله . . . . . يدعو بحلو بعد حامض و بحار بعد بارد وبرطب بعد يابس . . . . حتى إذا أخذته الكظة (الشبع) تجشأ من البشم (امتلاء البطن) ثم قال : يا جارية هاتى حاطوما ، يهضم الطعام . يا أحيمق لا والله من تهضم إلا دينك . . . . أين جارك ؟ أين يتيمك ؟ أين مسكينك ؟ أين ما أوصاك الله عز وجل به ؟ »

تلك هى العظة البالغة ، قد ألبسها الحسن المطارف العتاق ليس من الخز والحرير ، و إنما من الأدب الرفيع الذى يستقر فى القلب ، وليبدل نهــج الحياة ، إذا كان المرأ لديه من الاسلام ذرة ومن الايمان قدر حبــة خردل . . . . فهل بالله عليكم سمعتم مثل هذا التعبير الفذ البديع وعديم المثال فى كلام أى خطيب أو واعظ

من قبله عند ما يقول : أهزلوا دينهم و أسمنوا براذينهم » أليس هذا تعبيراً بديعاً نادر النظير ؟ ثم انظروا إلى هذا التلميح البديع فى قوله «وسعوا دورهم وضيقوا قبورهم» فقد ورد فى الخبر عن النبي خير البشر أن أحد الصحابة من الأنصار بنى له بيتاً فخماً رفيع العماد بالمدينة ، فمر به النبي ﷺ وشاهده فظهرت على وجهه الكريم أمارات الغضب فسأل عن صاحبه فسمى له فلان . وما أن يبلغ الخبر هذا الفلان إلا و يقدم مهرولا إلى حضرة النبي ويسلم عليه من الأمام ولكنه يرفض سلامه ، ثم يسلم عليه من يمينه فلا يجيب عليه ، ثم من يساره أيضاً دون أن يحظى بجواب عليه . . . . هنالك يسأل أصحابه عن كنه غضبه ﷺ فيخبرونه الخبر ، فلم يكن منه إلا و يعمد إلى البيت يهدمه من أوله إلى آخره حتى يسويه بالأرض فحينما يبلغ الخبر النبي ﷺ يرضى و يعفو عنه ، و هنالك يوحى أن المرء يكفيه من البيت ما يؤويه وليس ما يوسع فيه من غير ضرورة ولا داع .

و هكذا كان بعض الناس الذين يطلبون الدنيا بفاخر الأثواب و أنواع متعددة من الأطعمة الشهية اللذيذة غير مفكرين فى حقوق الرعية بل طارحين وراء ظهورهم ما أوصى به الدين الحنيف من رعاية الجار واليتيم و الأخذ بيد المسكين والعاجز . إقرؤا معى هذا التعبير البديع لما يحدث حتى اليوم فى الولائم الفاخرة حيث ترص أنواع عديدة كثيرة من المأكولات والمشروبات يلتهمها المدعوون التهاما و يبتلعونها ابتلاعاً حتى تفيض بها معدتهم . . . . . عند ما يقول : يدعو بحلو بعد حامض و بحار بعد بارد و برطب بعد يابس ، حتى إذا أخذته الكظة (أى الشبع الكامل) تجشأ من البشم أى من امتلاء البطن إلى حد خطير ، ثم قال يا جارية هاتى حاطوما يهضم الطعام » قولوا أليس هذا هو الوضع اليوم ، فى مآدبنا وولائمنا ؟ وهل من الممكن لأى أديب مهما كانت منزلته من الاجادة التامة ، فى

صياغة الجمل و إبداع المعانى ، أن يأتى بأحسن منها ويصور هذا الوضع أجمل منه ؟ كلا ! ولا ولن . . . . و على الأقل لم أقرأ أنا بمثل هذا الحديث العذب وهذا الأسلوب البديع ، و هذا التصوير الرائع ، لواقع الحياة و حقيقتها ، عند أى أديب آخر غير الحسن البصرى ، و كم فى هذه الجملة من تهكم شنيع و سخرية لاذعة لمثل هؤلاء الأشخاص عند ما يقول : يا أحمق لا و الله . لن تهضم إلا دينك ؟ فما هى أخلاق المؤمن وصفاته اسمعوها من الحسن البصرى ، كيف يرسم صورته الصادقة الواضحة ، كما أراد الله ورسوله أن تكون ، فقال ، و أحسن و أجاد وفاق فيه أولئك المنشئين والكتاب الذين يمتازون فى هذه الصنعة :

« إن من أخلاق المؤمن قوة فى دين ، وحزما فى لين ، و إيماناً فى يقين ، وعلماً فى حلم وحلماً بعلم وكيساً فى رفق وتجملا فى فاقة وقصداً فى غنى وشفقة فى نفقة » ومضى يقول : « ولا يأثم فى مساعدة من يحب ، ولا يهمز و لا يغمز و لا يلمز ولا يلغو و لا يلهو و لا يلعب » أليست هذه الجمل خير وصف لأخلاق المؤمن وصفاته ؟ بلى ! وكل ذلك فى إطار أدبى رائع ، و أسلوب بديع استمد فيه من انتقاء الألفاظ الجميلة التى تلائم المناسبة والوصف فانظروا إلى قوله : « لا يهمز ، ولا يغمز إلى آخره » كيف يحاكى تعبير القرآن الكريم لأخلاق المؤمن ، ومع أنه لم يتعمد التكلف فى السجع إلا أن بعض الجمل أتت مسجعة عفواً فجاءت تعبيراً بديعاً . مثل قوله الآنف الذكر ، وقوله « ولا يلهو ولا يلغو » إلى آخره . ثم انظروا إلى صفته للمؤمن كيف تكون وصلاته وعبادته كيف تكون ، فيقول : « المؤمن فى الصلاة خاشع وإلى الركوع مسارع ، قوله شفاء وصبره تقى ، سكوته فكرة ، ونظره عبرة ، يخالط العلماء ليعلم ويسكت بينهم ليسلم و يتكلم ليغنم « وقور فى الملاء شكور فى الخلاء ، قانع بالرزق حامد على الرخاء ، صابر على البلاء » ،

تلك هى صفات المؤمن وأخلاقه وعبادته وصلاته ،و سلوكه فى الحياة ،فهل وجدتم ، أحسن تصوير لهذا الواقع . عند أى أديب آخر ، من هؤلاء الأدباء الذين تعتبرهم فى مقدمة الوصافين ؟

إن الحسن البصرى كان يرى أن توجه هذه الثروة الضخمة التى تبذر على هذه الولائم الفخمة تبذيراً ، إلى الفقراء والمساكين المتعففين فكان يعنف بالأغنياء فقد شغلهم متاع الدنيا عن طلب الآخرة حتى أصبحوا كالشجرة التى قل ورقها وكثر شوكها فاندفع يقول :

« رحم الله امرءاً كسب طيباً ، وأنفق قصدا وقدم فضلا ، وجهوا هذه الفضول حيث وجهها الله وضعوها حيث أمر الله فان من كان قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغهم ويؤثرون بالفضل » ثم يذكر الانسان بالموت المحتوم فلم يغتر إنسان له قلب وعقل سليم بهذه الدنيا ومتاعها الزائف فيقول : .

« ألا إن هذا الموت قد أضر بالدنيا ، ففضحها ، فلا والله ما وجد ذو لب فيها فرحا ، فاياكم و هذه السبل المتفرقة التى جماعها الضلالة و ميعادها النار . أدركت من صدر هذه الأمـــة قوماً كانوا إذا أجنهم الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم ، تجرى دموعهم على خدودهم يناجون مولاهم فى فكاك رقابهم » هل قرأتم لأديب بارع ،أوسمعتم عند خطيب مصقع مثل هذا السحر الحلال أما أنا فقد قرأت ، ولكن عند من ؟ و لمن ؟ عند ذلك الأديب البارع و الخطيب المصقع و اللسن الموهوب . . . . ربيب النبى ﷺ . . . . عند سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه . حيث يصف إخوانه الذاهبين فى خطاب إلهامى له هو يحكى الصحابة فى تألههم وتفانيهم فى العبادة فى جوف الليل قائمين والناس نيام فيقول : مره العيون من البكاء خمص البطون من الصيام ، ذبل الشفاه من الدعاء صفر الألوان من السهر .

الستم ترون معى أن الحسن البصرى قد حاول أن يحاكى علياً فى هذه المعانى وبلغ غرضه وحقق مآربه؟ لعمرى أن جمل الحسن البصرى: « يفترشون وجوههم، تجرى دموعهم على خدودهم يناجون مولاهم فى فكاك رقابهم » لجمل جديرة أن تكتب بمداد من الذهب، ومن الناحيتين، الناحية الصياغية إذا صح هذا التعبير و من الناحية الأدبية أيضاً.

و لعل فى هذا كله كما يقول الدكتور شوقى ضيف: ما « يوضح المعانى التى كان يخوض فيها الحسن البصرى وقد كان يختار لها كسوة حسنة من هذا الأسلوب الذى يشيع فيه الازدواج كما يشيع فيه الطباق والتصوير (١) ».

حقاً لقد أصاب الدكتور فأثيب، فنادراً ما نجد عند أديب أو خطيب مثل هذه الروعة و الطلاوة و الحسن و الاجادة فى العبارات وصياغة الجمل واختيار الألفاظ وانتقائها حسب المناسبة وصياغتها حسب مقتضى الحال، ما نجد عند الحسن البصرى فقد كان متعوداً على أن يمزج حسن العبارة وطلاوة السبك ورصانة التسبيح بدقة المعانى، و الحكمة البالغة بحيث تصبح جملة أحياناً وضرب الأمثال فى الحكمة والفلسفة، و فى كل ذلك لا ينحرف لسانه عن قول ما وهب نفسه وحياته له و ما جعل نصب عينيه وهو بث التعاليم الاسلامية السمحاء، فقال يوما وهو يحاور أتباعه:

« لا تزول قدما ابن آدم حتى يسأل عن ثلاث: شبابه فيما أبلاه، و عمره فيما أفناه و ماله من أين كسبه و فيم أنفقه »

و لذلك أثنى عليه معاصروه ونقاد عهد بنى أمية خيراً و حتى لم يتمالك جلاد بنى أمية و أخطب عصره الحجاج الثقفى من الثناء عليه ثناءاً عاطراً فقد قال يوماً:

(١) تاريخه ٢/ ٤٥٠.

« أخطب الناس صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة ، إذا شاء خطب وإذا شاء سكت (١) (وكان الحسن البصرى يسكن فى كوخ من قش أقيم على حافة مدينة البصرة ، تورعاً وزهداً) وكان عمرو بن العلاء ، ناقد زمانه يقول : « لم أر قرويين أفصح من الحسن و الحجاج » وكان يجمع إلى فصاحتـه حساً لغوياً دقيقاً فروى رجل من مجاشع قال : « جاء الحسن فى دم كان فينا نخطب ، فأجابه رجل بأن قال : قد تركت ذلك لوجه الله ولوجوهكم فقال الحسن لا تقل هكذا ، بل قل : لله ثم لوجوهكم و آجرك الله (٢) »

وهكذا يعتبر الحسن البصرى بدون شك أكبر من بثوا فى هذا العصر ذلك الأسلوب المؤنق الذى تأثر به عبد الحميد ومن خلفوه من الكتاب ، إذ كان يقتدر على تصريف الكلم مع السلامة من التكلف والبراءة من التعقيد ، ليس ذلك فحسب بل أيضاً مع تحلية لفظه بالمزاوجات و المقابلات والتشبيهات و الاستعارات والتقسيمات الدقيقة (٣) على حد تعبير الدكتور شوقى فى كتابه لتاريخ الأدب العربى ، و ذلك دأب من اتخذ الأدب ذريعة لبث آرائه ونظرياته وتحقيق أغراضه و أهدافه ، أعنى من جعل الأدب هادفاً فيصيبه غرضاً فيناله ، وهل للمسلم غرض أنبل ومرس أقدس ، وهدف أسمى من بث تعاليم الاسلام السمحاء ؟ و ذلك ما فعله الحسن البصرى فقد أخضع الأدب للاسلام لجعله أدباً إسلامياً أومسلما قلباًوقالباً ، بتعبير أدق . وقد نجح فيه بطلنا أى نجاح : -

عليك تحية الرحمن تترى برحمات غواد رائحات .

---

(١) البيان والتبيين الأول والثانى

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) ٤٥٠ .

مفهومات أوليـــــة

عن

الأدب الاسلامى

دكتور / عباس محجوب محمود
الجامعة الاسلامية المدينة المنورة
بكليتى الدعوة و اللغة العربية

مقـــدمـــة :

العـالم الاسلامى

يمر العالم الاسلامى بتحديات خطيرة ومنعطفات وعرة وأحداث تهز مشاعره و أحاسيسه و تصدم آماله وتطلعاته ، كما أنه يمر فى نفس الوقت بتحولات جذرية ، و الشعب المسلم قادر دائماً على تغيير واقعه و قهر النكبات التى تمر به . و عدم الاستلام لليأس و القنوط لأنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، وهذه الخواص اكتسبها من إيمانه بالله و ثقته بنفسه و اعتزازه بقدراته و إمكاناته وقوة إرادته وعزيمته ، وهكذا كان تاريخ المسلمين يتجـاوز المحن و المزائم و يحولها إلى نصره ، وكان معـــارك دائمة و مستمرة بين قوى الكفر والالحاد و بين الايمان و الاسلام ، و هناك حقائق ثابتـة فى تاريخ العالم الاسلامى قديماً و حديثاً تتمثل فيما يـــأتى .

١- إن القوى المعادية للاسلام بمؤثراتها السياسية و الاقتصادية و النفسية قد أخفقت فى تحقيق أهدافها وهى إبادة الاسلام و محوه من الوجود بقيمه وتقاليده واتجاهاته .

٢- إن الشعوب المسلمة باختلاف بلادها و أوطانها قادرة على فرض كلمتها وبسط إرادتها إذا ما تحولت صورة التضامن الاسلامى من صورته الضعيفة الواهية الدعائية إلى تضامن قوى و وحدة إسلامية حقيقية فى الشئون العسكرية و القيادة السياسية التى تبلور الأفكار و التطلعات والآمال إلى حقيقة و واقع يسخر موارده وإمكاناته للوطن الاسلامى الكبير .

٣- إن الشعوب الاسلامية تزداد كل يوم قناعة و تصميماً بالرجوع إلى منهج الله و تحكيم شريعته و الأخذ بتعاليمه واقعاً معاشاً فى شئون الحياة كلها ، وأن الوسيلة لذلك هو تقوية أواصر الود والمحبة والتضامن بين هذه الشعوب لأنها مرتبطة بآصرة العقيدة أقوى الأواصر الأرضية .

٤- إن الشعوب الاسلامية مقتنعة بأن أعداءها كثير وأن عليها أن تخوض معارك ضارية ضد أعدائها ، و وسيلتها إلى ذلك قول الله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم » فلا بد أن تتوفر لها الامكانات اللازمة و الأسلحة المختلفة توفيراً فى مجال الواقع و الفعل لا العاطفة و الفكر ، فعنصر التضامن وحده لا يفى بمتطلبات الصراع الدائم ضد الأعداء فلا بد من تصميم و إرادة و عزم و توكل و إعداد مادي و معنوى .

الأدب الاسلامى و الحضارة العربية

تعرض العالم الاسلامى لتيارات من الغزو الثقافى والفكرى على مدى سنوات طويلة و قد قصد الغرب من ذلك طمس معالم الشخصية الاسلامية و قتل التراث

العربی ودفن الثقافة الاسلامية العربية، وكان هذا الغزو أبعد أثراً فی حياة الشعوب الاسلامية من الاستعمار العسكری الذی رحل عن البلاد ولا زالت الأمة تعانی من آثار و توجيهات هذا الغزو الذی جاء عن طريق استيراد الفكر الأجنبی و الثقافة الغربية غير من تدقيق و غربلة بل إعجاباً بما وجدوه فی الحياة و ظناً بأنه وسيلة التطور و المدنية وجهلا و غفلة أحياناً وجهلا لكل ما هو غربی .

لقد أدى الأدب العربی دوره إلى حد ما فی النهضة الحديثة معبراً عن تطلعات الأمم العربية وآمالها فی التحرر من الاستعمار وتحقيق الوحدة بين الشعوب العربية و سيادة العدالة الاجتماعية التی سلبها الاستعمار منها و تركها لتتخبط فی ظلمات الجهل و المرض و الفقر و التسلط و التحكم ، و لولا الأدب لما نشرت عوامل الثورة على الاستعمار و الواقع السیء ، ولما كانت الدعوة إلى كسر القيود و فك الأغلال التی عاقت هذه الشعوب عن مسايرة ركب الحضارة الانسانية تأثراً و تأثيراً و أخذاً و عطاءاً .

إن الحضارة الاسلامية العربية تمثل الأساس الذی بنيت عليه حضارة الغرب فی جوانب المعرفة الانسانية المختلفة ـ علمية — أو نظرية ، و لذلك كان العنصر الاسلامی العربی فی الحضارة الغربية حاضراً أثراً ، و رافداً من روافد الحضارة ـ كان هذا القيام سبباً فی ضرر هذه الحضارة و تشيمها المادی .

و قد تميز الأدب العربی فی تعامله مع الحضارة الغربية بسلبيات مختلفة يمكن حصر بعضها فيما يلی .

١ـ الاهتمام بالجانب المظهری فی الحضارة الغربية دون الاهتمام بمضمون هذه الحضارة وجوهرها ولبابها حيث كان الاهتمام بمعطيات هذه الحضارة فی مظهرها المادی باقتناء المخترعات و أدوات الحياة العصرية دون الأخذ بالأسس العلمية التی قامت عليها

تلك الاختراعات و الاكتشافات ، وكان هذا الموقف من الحضارة و معطياتها يتمثل فی تميز الأدب بعامة بالناحية النظرية فی الحياة ، و الاهتمام بالوصف وتناول المشكلات نظرياً بدلاً من وضع الحلول الايجابيـــة التی تودی إلی التغير للواقع و التطوير له بطريقة علمية .

٢- تميز دور الأدباء بالسلبية إذ اهتموا بوصف الأحداث وصفاً سطحياً لا يتسم بالاحاطة و الشمول و التحليل و وضع الحلول كما اهتموا بتصوير العواطف الخاصة ، و افتقد هذا الأدب إبراز جوانب البطولة الاسلامية و العربية وجهود المسلمين الدائم و جهادهم فی سبيل نشر الدعوة و قهر الظلم و سيادة العدل و الفضيلة و دحر الغزاة و المعتدين .

٣- تميز الأدب العربی بالاقليمية وعجزه عن مخاطبة المسلم فی كل مكان ، والانسان وجده و كأن مشكلات الحياة هی مشكلة الأمـــة العربية وحدها ، إن الأدب الاسلامی العربی عليه مخاطبة الانسان و حمل الدعوة إليه و شرح الاسلام ببساطته و حقيقته وشموله للحياة وعالميته مع اعتبار ثقافات الشعوب التی نخاطبها ، و بلغاتها و تاريخها .

٤- عـدم الربط بين دور الأدب و الاعلام و وضع الأسس التی يقوم عليهـا التعاون بينهما لأداء كل لدوره و أدائهما معا لدورهما فی إعادة صياغة المسلم علی أسس منهجية تتناسب روح العصر .

إن الأدب كالأعلام لا بد أن يخاطب الناس باللغة التی يفهمونها و أن تصل الحقائق ببساطة و سهولة دون تزييف .

تحديات فی وجه الأدب الاسلامی

واجه الأدب العربی تحديات مختلفة فی مطلع هذا القرن وكان أهم هذه التحديات

هو خضوع العالم العربي للاستعمارين الانجليزى و الفرنسي ، وكان الأديب يكتب تحت ظل ظروف استعمارية يواجه فيها حرباً على لغته و تشويهاً لها و محاولات لمحو مقومات شخصيته و ذاتيته و نيلا من معتقداته و موروثاته و ضعفاً فى اقتصاده و استغلالا لامكانات أمته المادية و ثرواته و خيراته .

كما كانت الشخصية الاسلامية العربية تواجه تشويهاً حضارياً و ثقافياً ، و كان الأدب العربي يسير تحت ظل هذه الظروف مؤثراً و متأثراً صامداً و متأرجحاً ، ومن خلال رواسب الماضى يواجه الأدب الاسلامى الذى تتطلع إلى دوره و شخصيته تحديات قديمة و حديثة يمكن أن تمثل لبعضها فيما يأتى :— .

١ـ الوجود الماركسى فى الحياة والأدب لمقوماته الاجتماعية والفكرية والسياسية ، و الأدب الماركسى أدب يعتمد على التفسير المادى للحياة و إنكار المعتقدات و القيم و المبادىء الروحية وهو أدب قائم على أساس مفهومه الصراع الطبقى فى الحياة للسعى فى طريق الحياة الاشتراكية التى تمثل الخطوة الأخيرة فى تطور البشرية نحو الشيوعية ويحمل الدعوة إلى هذا الاتجاه كثير من الأدباء فى البلاد العربية و الاسلامية كما أن تراجم القصص و الأفكار الشيوعية كثيرة فى المكتبات العربية بل إن بعض البلاد تدرس الاشتراكية فى مناهجها الدراسية و يتحدث الكتاب عن توثيق الروابط بينهما و بين المعسكر الاشتراكى الذى يسعى للتعاون و الصداقة و السلام .

٢ـ الوجود الغربى الرأسمالى الذى يحمل وجوهاً كثيرة أصبحت مألوفة فى العالم الغربى وهو وجود ينظر إلى الأمور بعين الغرب ، فيرى خير الأنظمة ، النظام الديمقراطى و خير الأدب ما كتب فى الغرب ، بل قد يصل إيمان البعض بالغرب و حضارته و ثقافته إلى المطالبة بأن نتخلى عن ديننا و نضحى بثقافتنا و موروثاتنا فى سبيل الوصول إلى ما وصل إليه الغرب ، و كان من نتاج الانبهار بالأدب و الثقافة الغربية

انتشار الفكر الوجودى و امتلاء المكتبات العربية بالتراجم لمؤلفات جان بول سارتر و لشيعته فرانسوا ساجان و عديد من الدراسات حول فكرهما و روعتهما كما انتشر فى العالم الغربى أفكار تتنافى مع القيم الاسلامية و العقيدة والمقومات الحضارية للأمة ممثلة فى كتابات كولن ولسون « اللامنتهى و ما بعد اللامنتهى » و ضاع فى سوهو وغيرها من الروايات التى وجدت رواجاً بينهم على قرائتها والكتابة باعجاب عنها .

٣ـ الوجود الغربى المزيف و أعنى به جيل الأدباء و المفكرين من الذين تربعوا على الفكر العربى بواسطة المخططات الاستعمارية و الدعايات الاعلانية و عملوا على التشكيك فى الأصاله العربية وحاربوا مقومات الفكر العربى والقيم الروحية والانسانية للشخصية المسلمة والذين شوهوا تاريخ العرب والمسلمين ونادوا بالانفتاح على الثقافات العالمية بمختلف أشكالها وألوانها و اتجاهاتها بلا قيد ولا شرط كما عملوا على التشويه و الحط من الدور الحضارى للأمة المسلمة ، و أثاروا عدة قضايا و مشكلات من أهمها قضية العامية والفصحى حيث طلبوا وطالبوا بالكتابه باللهجات المحلية أو باستبدال الحروف العربية باللاتينية ، وهم بذلك يقصدون تقسيم الأمة المسلمة العربية إلى كيانات منفصلة وأجزاء متباعدة تفقد حتى بعض الخيوط التى تربطها ببعضها وهى الاشتراك فى لغة القرآن كما هدفوا إلى إيجاد الحواجز السميكة بين أبناء الأمة الواحدة و قد جاروا فى ذلك المستشرقين الحاقدين والصليبيين الداهمين بالتأثر والايحاء ، وقد نجحوا فى فترة من فترات السبات و النوم إلا أنهم لم يستمروا طويلا ولا زال من يجاهر بآرائهم بين الحين و الآخر و لكنه كمن يصيح فى واد أو ينفخ فى رماد ، و كان مظاهر حقد هذه الفئة الاستهتار بكل ما هو عربى والسخرية مما هو أصيل فى الأمة ، فأصبح هارون الرشيد الخليفة المسلم المجاهد زير نساء ، وخلفاء بنى أمية مجاناً لاهين عابثين ، و تاريخ المسلمين صراعاً طبقياً و أحقـاداً جاهلية و أصبحت قصص ألف

و ليلة و شهر زاد و شهر يار قمة التراث الأدبى للعرب لأن الأدب العربى أدب بخمره الجنس. ونتيجة الفراغ الذهنى مما جعل كثيراً من الشباب يعتقد جهلاً أن الأدب العربى أدب خطابة و جاهلية و غزل و جنس و فصاحة و بلاغة و أنه غير جدير بالحياة سابقاً و الاهتمام حالياً .

٤- الوجود الاسلامى العربى الأصيل وهو الذى يعتز بشخصيته الاسلامية وقيمه الانسانية و الروحية الأدبية و ثقافته و تراثه العربى و بتاريخ المسلمين و العرب ، و مع اعتزاز بمقومات الأصالة الاسلامية العربية ينفتح على الثقافات غير العربية باختلاف بلدانها و تباين أنماطها و تشعب اتجاهاتها و مستوعبا و مستفيداً و منمياً و مبلوراً ، و هذا الطريق هو الذى يجب على الأدب أن يسلكه وأن يتخذه منطلق جهاده لأنه واضح مستقيم يحمل الضمان من الانحراف عن جادة الطريق أو التنازل عن القيم أو السير فى طريق التبعية للغير ، أو استيحاء الأفكار و استيراد الآراء .

و لا يعنى هذا حجراً على حرية الرأى لأن حرية الفكر و الرأى مكفولة فى الاسلام لأن رأى المسلم التزام و مسؤولية و أمانة يتحمل نتيجتها ، و هذه الأصالة تقتضى أن يكون الأديب قائد فكر و رجل ثقافة و طاقة إعلام و قدوة تربية يجمع بين الموهبة و الكفاية ، و الأمانة و الاخلاص ، و الوعى و الانفتاح و الأصالة و المعاصرة .

و قد كان لرواد النهضة الأدبية المعاصرة أثر كبير فى بث الوعى وإيقاظ الضمائر و الصدق فى فضح الاستعمار و التضحية فى مكافحته و الصراحة فى مواجهته و كان اعتزازهم باسلامهم و عروبتهم مصدر عزتهم و كرامتهم و استمرار تأثيرهم على الأجيال التالية لهم حيث عبروا عن أمانى أممهم و تطلعات شعوبهم بعد أن استوعبوا مشاكلها و خبروا أدواءها الاجتماعية والسياسية والقضايا الفكرية من أمثال عبد الله

النديم و محمود سامى البارودى وأحمد شوقى وحافظ ابراهيم و على الحازم و محمد عبد الغنى حسن ومصطفى صادق الرافعى فى مصر ، وجميل صدقى الزهاوى والرصافى و الكاظمى و غيرهم فى العراق ، وخليل مطران و خير الدين الزركلى و غيرهم فى سوريا ، و غيرهم فى لبنان و المغرب العربى .

وليس معنى هذا أنهم كانوا قمة التجويد الفنى والروح العلمية فى أدبهم ولكنهم كانوا محافظين على الجذور معتزين بالأصالة متباهين بالمقومات ، فى شعرهم جمال الاحساس وصدق النبض وقوة الروح ، حسب المشكلات التى يعالجها والقضايا التى يثيرها المجتمع ، فقد كان أصحاب الأصالة ضمير الأمة و وجدانها و روحها وآمالها حيث كان موقعه و ثقافته و تربته و جذوره فى الشمال الأفريقى حيث مساجد المغرب وجامع القرويين والزيتونة و زوايا السنوسية ، أو فى المشرق حيث أروقة الأزهر ومعاهد السودان وبلاد الرافدين وجزيرة العرب أو فى خارج العالم العربى .

لذلك كله لا ينكر أحد أن الأدباء فى عهد النهضة قد قاموا بدورهم فى بناء المجتمع و حمل رسالة العلم و التقدم و الدعوة إلى الوحدة والتقارب بين الشعوب العربية بخاصة و الاسلامية بعامة ، و إلهاب مشاعر الوطنية على امتداد الوطن الاسلامى مطالبين بالحرية و الاستقلال .

فالأديب المؤمن برسالته يشعر بجسامة مهمته هو الذى يسبق أمته فيرى مالا يرى العاديون من الناس ، ويسير فى مقدمة قومه متغنياً بما آمن به ، وهذا هو الذى يحمل تعبيره صادقاً وشعره آخذاً بمجامع القلوب ، نافذاً إلى قرارة النفوس ، محركاً للجوارح مثيراً كوامن الشعور .

واقع الادب و الالتزام

يفرق الأدباء بين واقعين يستمد منهما الأديب صوره ، و هما الواقع الحسى

والواقع المادى، فالانبهار بالحدث ثم ترجمته إلى عمل أدبى هو تعبير عن الواقع الحسى لا يزيد كثيراً عن الصورة التى تنقلها آلة التصوير ، أما معايشة الحدث و التأثر به والانفعال المباشر به فهو تعبير عن الواقع المادى لأنه تعبير حقيق عن الواقع معتمد على رؤيا واضحة لها ارتباط بأصول الحدث و جذوره ، و لهذا كان اهتمام الأدباء دائماً بتصوير الأحداث فى واقعها العام و التجربة الشخصية ، و من هنا كان الجمال الأخاذ لأدب الرحلات المستمد من الواقع المادى ، فالتعبير للأدب المادى هو الذى نشم فيه أريج الأزهار ونشم منه رائحة الدم ونسمع هدير السيول وخرير المياه ،

و لذلك كان أدب المعارك الاسلامية أدبا يستمد صوره من جذور المعركة و معايشة التجربة و الصدق الذى ينقلها إلينـــا الأديب بأسلوبه الفنى بالعاطفة ، فالأديب أو الشاعر المسلم كان يستمد شعره من لهيب المعارك و معاناة الحروب والامتزاج بالواقع الذى يصوره مما جعل معايشته للأحداث بفكره وقلبه ووجوده وتصويره ، ذلك فى قصيدة أو فن من فنون الأدب جديراً بالاستمرار والبقاء

إن الأدب العربى يجب أن لا يكون أدباً انطوائياً تجريدياً قائماً على الاحساس الفردى و الانفعـــال الوقتى و العاطفة الدفاقة بل لا بد من أن ينفعل بالأحداث و معايشهـا .

ومع أن الأدب كما هو معلوم تعبير عن ذات الانسان إلا أنه لا ينعزل عن واقع المجتمع الذى يعيش فيه الأديب و لا عن تراثه الحضارى و قيمـه الموروثة وتاريخه ، وعلى هذا فان قضية الالتزام لم تكن مجال أخذ ورد فى الأدب الاسلامى لأن الأديب المسلم إنسان ملتزم بمجتمعه و بواقع أمته المسلمة و بقيمها و مبادئها المستمدة من دينها فهو وثيق الصلة بالمجتمع يكتسب مكانته و قـدره من إبداعه

فى فنه و تناوله لمشكلات مجتمعه ، الأمر الذى يجعل واجب المجتمع أيضاً حيال الأديب أن يحقق له أهدافه و يمهد له طريقه و يمكنه من أداء رسالته فى المجال الاجتماعى الذى يعيش فيه و الانسانى الذى ينتمى إليه .

و ليس معنى هذا أن الأديب المسلم ملتزم بواقع مجتمعه المتخلف البعيد عن منهج الله ونظامه ، المعطل لشريعته وأحكامه ، وإنما هو ملتزم بواقع مجتمعه كما يجب أن يكون عليه المجتمع المسلم فاذا كان المجتمع بعيدا عن واقعه الذى أراده الله له ، فان التزامه يتجسد فى ثورته و تمرده على الأوضاع المخالفة للاسلام و الشرائع السائدة فى المجتمع ، و التخلف الذى يكبله بالأغلال والقيود والمعوقات التى تقف فى طريق تطلعات الأمة آمالها ونحو حياة أفضل فى ظل المنهج الربانى ، وهو فى مثل هذا الموقف داعية إلى الثورة التى تعمل على تبديل صور الحياة الجاهلية فى مختلف المجالات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية واضعاً نصب عينيــه تأمين الحرية فى مفهومها الأكبر الخاضع للعبودية لله وحده ، لأن ذلك هو منتهى الحرية والتخلص من جميع مظاهر العبودية الأرضية ، ويتطلب ذلك أيضاً تأمين حرية الوطن الاسلامى و الفرد المسلم فى تحقيق مظاهر الحرية التى منحها الله له وطالبه بالحفاظ عليها .

فاذا كان المسلمون اليوم يعانون من أوضاع الفقر والتخلف والظلم والاستبداد و التسلط و الطغيان و الكفر و الالحاد و التشكيك فى العقيــدة و الدين فان الالتزام من الأديب هو الثورة و التمرد على هذه الأوضاع لتغييرها إلى الأفضل و الأمثل و التخلص من قيود الفوضى و الجهل و التمييز الطبقى و الطائفى والتفتح على قيمه وتراثه ، ولتتناسب الأوضاع مع مبادىء الاسلام التى يؤمن بها و الفكر الذى يتبناه .

إن الأديب لا يقل دوره عن رجل الحرب و السياسة ، فعليه ألا يغفل واجبه الأساسى الملتزم مع مجتمعه و أمته و تطلعاتها و طموحها و الدفاع عن حريتها و حقها فى الحياة الكريمة و تبصيرها بالواقع و الصدق مع النفس و التجاوب العاطفى و الوجدانى مع المشكلات الحياتية النابعة من ممارسات الواقع .

و الالتزام الذى يجعل الأديب منطلقا من حريته المسؤولة هى التى تجعله مجاهداً فى صفوف المجاهدين ، وعاملا من أجل تغيير البنية المادية والنفسية للأمة ، و فرق بين الالتزام والالزام ، فالالتزام ارتباط حر بقضايا المصير و فعالية فى تطور المجتمع وإسهام فى أداء الأمة مسؤولياتها ، فهو داعية إلى التضامن والتكاشف والوحدة ، رافض لأنواع القهر والاستبداد و الاستغلال ، قائد للأمة إلى أهدافها الرئيسية فى الحياة ، ولأن الالتزام أيضاً حالة اختيارية فانه ضد القسر والالزام ، وهذا يقتضى أن يترفع الأدب عن تقديم قصائد الشعر المتخمة بالمبالغة والكذب والثناء والاطراء فى بلاط الملوك و الأمراء والساسة ، والرؤساء ، لأنها فيها امتهان لدور الأدب و إذلال لمكانته ، كما أن قسر الشعراء على كتابة الأناشيد والقصائد التى تمجد الديمقراطية الزائفة والاشتراكية ليردد ذلك العمال و الفلاحون يعد أدنى أنواع الاضطهاد للأدب و الأدباء و المفكرين .

إن الأدب الذى يأتى للتملق و الزلفى أو نتيجة القسر و الضغط يكون أدباً ميتاً لا يتعدى فى تأثيره حدود زمانه ومكانه لأنه أدب طبول ودعاية ونفاق وتملق و تزييف و تدليس للسلطة و الأمة .

وأدب الالتزام أدب إبداعى يقوم على المبادىء والنظر الانسانية يكتسب منهما

صفة الفعالية و الاستمرار و الخصوبة ، وهو الذى يرتفع بمستوى الأمة فى تربية ذوقها و إرهاف حسها ، لأن الأديب ملتزم روح الأمة وضميرها الحسى ، ولذلك كان على السلطة الحاكمة تهيئة الجو المناسب له و المناخ الذى يبدع فيـــه و الحرية التى لا تحد من حدوده و طاقاته ما دامت فى حدود الالتزام بالدين و الأخلاق ، و المثل التى تعيش الأمة لها و تعمل على نشرها و تأصيلها ، لا يمكن للأديب أن يقوم بهذا الواجب إلا إذا توفرت له الوسائل المادية و المعنوية التى تساعده على عملية الابداع والانتاج و على رأس هذه الوسائل قضيـة النشر لانتاج الأدباء و أعمالهم إلى جانب كفالة الحرية للكلمـــة المكتوبة ، لأن قيام الدولة بمسئولية النشر هى التى تشجع الأدباء و المفكرين و تثرى الحركة الفكرية و تمـدها بأسباب البقاء و الاستمرار .

« يتبع »

ليس هذا المقال هو آخر البحوث التى قدمت إلى الندوة العالمية للأدب الاسلامى ، و لكن هناك بحوثا أخرى عديدة ذات قيمة سننشرها باذن الله تعالى فى الأعداد القادمة ونرجو القراء وأصحاب البحوث الكرام أن يعذرونا إذا لم نتمكن من نشر البحوث كلها مرة واحـــدة ، نظراً إلى تضايق صفحات المجلة و تنويع موادهـا .

[التحرير]

أخبار اجتماعية و ثقافية

كتاب جديد قيم

ورد إلينا كتاب قيم عن مدغشقر لسعادة الشيخ محمد بن ناصر العبودى الأمين العام للدعوة الاسلامية فى الخارج فى إدارت الدعوة و الافتاء و البحوث العلمية بالرياض ، تكرم الشيخ العبودى باهدائه إلينا منذ عدة أشهر ، و الكتاب بعنوان « مدغشقر ، بلاد المسلمين الضائعين » نشره النادى الأدبى بالرياض .

الكتاب فى الواقع سفر تاريخى كبير ، يتحدث فيه المؤلف عن رحلته إلى بلاد مدغشقر فى عام ١٩٧٨م ، وما شاهد هناك من آثار اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية ، ولقد تتبع أحوال هذه البلاد فوجد أن وضع المسلمين فيها سيئ جداً ، خاصة فى مجال الدعوة الاسلامية ، و الحياة الاسلامية .

« إذ إن هناك العدد العديد من المسلمين الذين نسوا إسلامهم حتى لم يبق منهم منه إلا أنهم يختنون أبناءهم أو لا يأكلون الخنزير ، و أسماؤهم فيها بقية من الأسماء الاسلامية و لكن إذا سئلوا عما إذا كانوا مسلمين ؟ أجابوا : بأنهم ليسوا مسلمين ، لأنهم لا يعرفون عن الاسلام شيئاً ، و السبب فى ذلك انقطاع الصلة بينهم و بين بقية المسلمين فى الخارج ، و بخاصة أنهم يعيشون فى جزيرة واسعة منعزلة نسبياً عن العالم فى الوقت القديم » (مقدمة الكتاب ص ٥) .

و الكتاب يضم بين دفتيه تفاصيل واسعة عن أحوال هذه البلاد و أوضاعها و مدنها و تاريخها و رجالها و نشاطاتها فى مجـالات من الحياة و الدين ، و هو هدية تاريخية غالية و زيادة كبيرة فى المكتبة الاسلاميه التاريخية الجغرافيـة ، جدير كل الجدارة بأن ينال عناية و اهتماماً من أوساط المعنيين بأحوال المسلمين فى العالم و من حلقات و جماعات الدعوة الاسلامية ، و حقيق أن ينال إعجاب العلماء و الطلاب و الدعاة و المثقفين كلهم .

و لقد تحدث المؤلف عن قيمة الكتاب و أهميته بايجاز فقال :

« هذا الكتاب رحلة إلى مدغشقر ، و لكنه ليس كذلك فحسب ، بل هو بيان لأحوال المسلمين فى تلك البلاد ، و للعلاقات التى كانت قائمـة بينهم و بين أهل الجزيرة العربية ، و للآثار الباقية فى تلك العلاقات

وهو بيان لأمور أخرى فى مدغشقر ربما لا تجد الحديث عنها مجتمعاً فى غيره .

و هو إلى ذلك بلاغ قصد به كاتبه أن يشترك القـارىء الكريم فى المعرفة بما عليه الدعوة الاسلامية هناك ، حتى يحس بالمسئولية نحوهـا ، عسى أن يساهم بقدر جهده فى إنهاضها ، ثم دعمها » .

و من هذا البيان الواضح نستطيع أن نعرف مدى ما قصد بتأليفه ، و ما أريد به من البلاغ ، و إن جهد المؤلف هذا لمشكور إن شاء الله و هو مجزى عليه دائماً باذنه .

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .

(بقلم : سعيد الأعظمى)

جائزة رئيس الجمهورية الهندية

لأديب العربية الشيخ محمد الرابع الحسنى الندوى
رئيس كلية اللغة العربية بدار العلوم ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

أعلنت وزارة التعليم و التربية فى الهند جائزة رئيس الجمهورية الهندية لأديب العربية الشيخ محمد الرابع الندوى رئيس كلية اللغة العربية بندوة العلماء، بمناسبة عيد الاستقلال لهذا العام، وذلك فى ١٥/ أغسطس ١٩٨١م، و هذه الجائزة هى فى الواقع رمز للاعتراف بمكانة صاحبها العلمية و الأدبية و تقدير لخدماته فى مجال العلوم العربية و الأدب العربى، و قد سبق أن نال هذه الجائزة شخصيات عديدة لها مكانة فى العلوم و خدمات فى اللغة العربية.

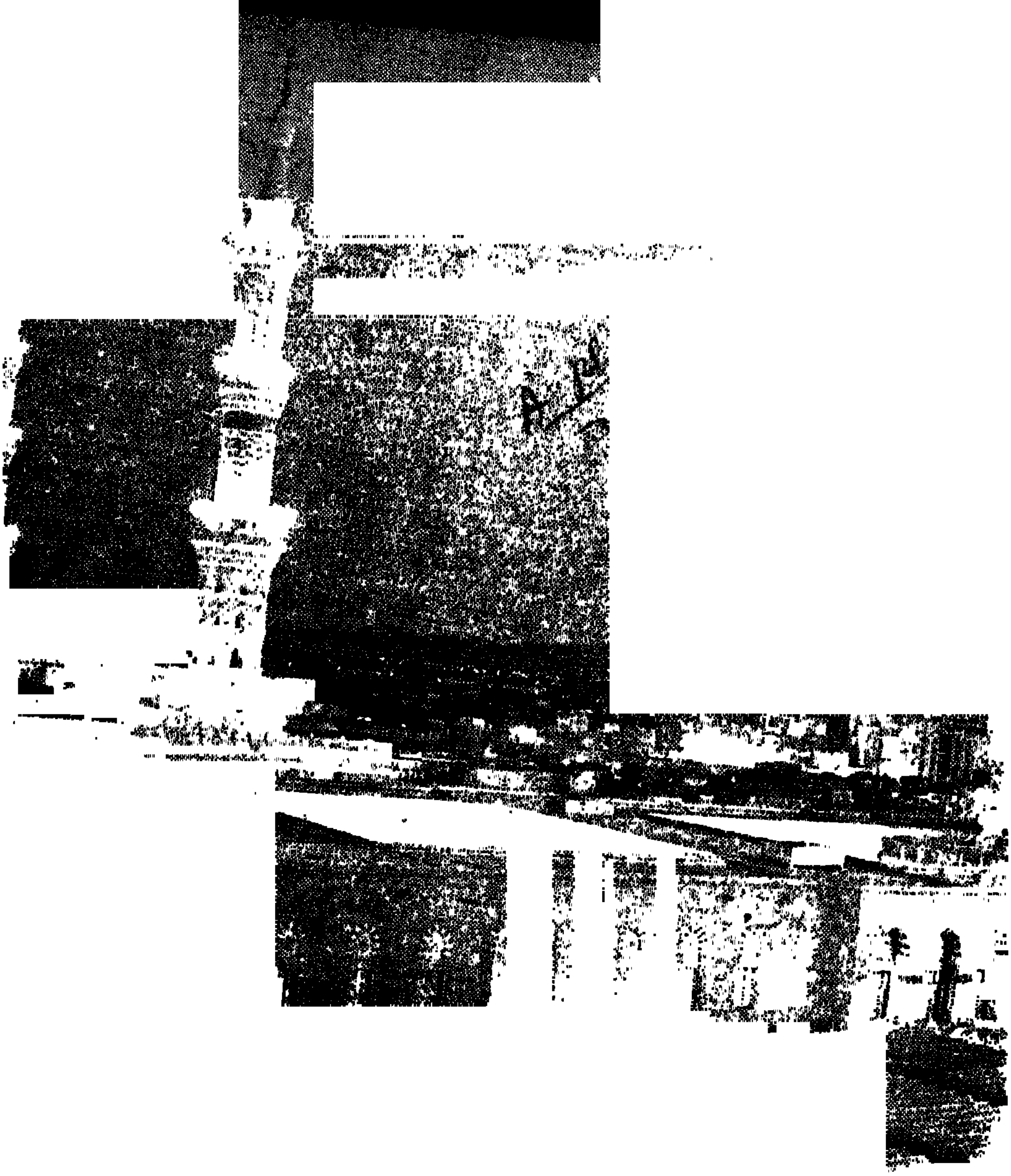
إن هذه الجائزة لا علاقة لها بالسياسة إطلاقاً فهى من الأهمية بمكان، و هى إن دلت فانما تدل على أن هناك رجالا فى الحكومة منصفين، يعتبرون بقيمة العلم و الأدب، و يعرفون أهميتهما، خاصة و إن هذه الجائزة أتت إلى فضيلته عفواً. و قد فوجئ بخبرها من برقية لوزارة التعليم تلقاها على غفلة منه، فضلا عن أن يسبقها جهود تبذل بأساليب وطرق مختلفة للحصول على الجائزة، كما هو الشأن فى مثل هذه الجوائز.

و نحن إذ نقدر هذه الجائزة العلمية الغالية ندعو الله سبحانه أن يجعلها ذات خيرات و منافع دينية و علمية للجميع.

...دنا الوحيد

إلى الإسلام من جديد

... الإسلامي



البعث الإسلامي

أنشأها فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني (رحمه الله)
في عام ١٣٧٥هـ سنة ١٩٥٥م

تصدرها: ندوة العلماء لكهنو (الهند)

سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

المراسلات:
البعث الإسلامي
ندوة العلماء ص.ب ٩٣
لكهنو — الهند

NADWAT-UL-ULAMA
P.O. Box 93
Lucknow (India)

بسم الله الرحمن الرحيم

لا بد من تعاون

و من الواجب علي أن أشهد بصراحة إلى أنه لا يصلح أمر العالم الاسلامي إذا بقي الشعب ساخطاً على الحكومة ، و الحكومة نافرة من الشعب ، بل لا بد هنا من تعاون رجال الاصلاح و الدعاة ، و المبشرين و المنذرين ، و لا يمكن ذلك إلا إذا صلحت النية وصحت العزيمة ، و اتحدت الغاية ، فعلى كل واحـد منا أن يعمل في حقله و يؤدي حقوق صاحبه و لا يبتغي رضا أحد ، ولا يرجو من رجل كلمة خير ، إنما هو يعمل لله ، و هو وحـده يجزيه بجهاده « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » .

(الأستاذ المرحوم) محمد الحسني

(الاسلام الممتحن صفحة ٧٤)

المجلد السادس والعشرون

العدد الخامس

★ صفر ١٤٠٢هـ ★

★ ديسمبر ١٩٨١م ★

في هذا العدد

لا تجعلوا الدين مطية للأغراض! سعيد الأعظمي ٣

التوجيه الاسلامي

إعجاز القرآن و دلائل إلهية مصدره الدكتور مصطفى أحمد الزرقاء ١٠

كارثة العصبية اللغوية و الثقافية سماحة الشيخ السيد أبوالحسن علي الندوي ٢٤

أمتنا الاسلامية : و الجهاد المستمر د/ عبد الحليم عويس ٣٤

الدعوة الاسلامية

مبادىء في الأدب و الدعوة فضيلة الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٤٢

أدب التربية و المواعظ سعادة الدكتور غريب جمعة (القاهرة) ٥٢

دراسات و أبحاث

تقويم الترجمات لمعاني القرآن الكريم الدكتور عبد الله عباس الندوي ٥٨

الندوة العالمية للأدب الاسلامي

اختيار النصوص الأدبية من

وجهة النظر الاسلامية الأستاذ محمد عبد الحميد غراب ٧٠

اللغة العربية في موكب الاسلام الأستاذ ثابت ادريس الخطيب ٨٠

شعر الجهاد في مقاومة الغزو المغولي الأستاذ مأمون فريز محمد جرار ٨٧

صور و أوضاع

من ميدات الحشرات إلى ميدات الانسان واضح رشيد الندوي ٩٣

« العالم الاسلامي في العام الأول

من القرن الهجري الجديد » « « ٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

لا تجعلوا الدين مطية للأغراض !

لم يكن يخطر يوماً ببالى أن العقائد الدينية التى يقوم عليها أساس الحياة لدى الرجل المتـدين ، و تعتبر ركيزة الانطلاق نحو الأفضل فى نظر الدين ، تستخدم لتحقيق المصالح الشخصية و الأغراض الذاتية المحدودة ، بصرف النظر عما لهذه العقائد من تأثير عميق فى تكوين الحياة بمعناها الواسع ، و مالها من شمول لمناحى النشاط التى يعيشها الانسان ، و لقد تعودنا فيما نمارسه من أعمال رتيبة فى بيئة أو وسط اجتماعى أن نعلق عليها لافتات جذابة للدين ، و نجعلها مؤشرات تستلفت الأنظار ، وتجمع حولها عدداً من الناس ، ممن يصفقون لها ، و يتغنون بها .

ليس من الانصاف أن تتخذ الدين مطية لترويج الأفكار و النظرات ، أو أداة لتبرير المواقف و المنجزات من قول أو عمل ، ذلك أن الدين ليس سلعة رخيصة تسخر لكل الظروف و الأوضاع ، و ليس فكرة تصاغ وفق الملابسات و الأجواء ، إنه حقيقة ناصعة لعقائد ثابتة و منهج ربانى للحياة ، لا تكاد تقبل أى تغيير أو تطوير فى أى زمن وأرض ، تلك هى الحقيقة الناصعة التى جاء بها الأنبياء و الرسل فى أزمان مختلفة ، وجاء بها كحقيقة دائمة ورسالة آخرة خاتم الأنبياء و الرسل محمد ﷺ ، و أخرج بها الانسانية المعذبة الشقية من بؤرة الشقاء والفساد إلى ساحة العز والسعادة ، إنه حبل الله المتين الذى إذا

اعتصم به الانسان دخل فى كنف القوة و مناعة العز و حصانة الشرف و الحب و الايمان « و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا ، و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءاً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

و من أظلم ممن عبث بهذه النعمة و تذرع بها إلى أغراض خسيسة و حاجات شخصية أو وطنية و قومية ، ورضى بها أن تكون طبل دعاية لما تهواه نفسه أو تقتضيه مصلحته ، أليس من الظلم الشنيع و غمط حق الدين أن نجعله وسيلة للعبث بالعقول وخداع الجماهير السذج عبر أجهزة الاعلام المسموعة والمرئية ، والمقروءة و المكتوبة ، شأن النظرات الكاذبة و الأفكار الهدامة التى تذاع بهذا الاسلوب ، و شأن السلع والبضائع التى توضع على جناح الدعايات بأنواعها المتعددة لمجرد التشهير والترويج .

كلا ! إن دين الله على أرفع قمة من الثبات و الخلود ، و على آخر نقطة من النضج و الاستواء ، فلن يخدم الهتافات الموقتة ، و الادعاءات المزورة ، و لن يحيد عن طريق الحق و النصفة إلى متاهات الأفكار و الأقوال الهزيلة ، و إن ما تجلى اليوم من استغلال لاسم الدين و سوء التصرف فيه فى بعض أجزاء العالم يمكن أن يكون نوعاً جديداً لما ينتشر فى العالم الحديث من المكايد و المؤامرات السيئة التى يوحى بها الشياطين إلى أوليائهم ، و يراد بذلك تشويه وجه الدين و عرضه على العقول الفجة فى شكل مخيف و فظيع جداً ، و لا سيما على الذين يعجبون بالمنهج الاسلامى للحياة ورسالته فى المجتمع البشرى ، ولقد تزايد الاقبال على قبول الاسلام والاهتداء إلى دين الله فى المجتمعات المادية مما يهددها بالانهيار و السقوط لآخر مرة ، وتفادياً من هذا الخطر المتفاقم وضعوا مخططاً دقيقاً ضد الاسلام ، وأعدوا لتنفيذها رجالا يندسون فى صفوف المسلمين ، و يتظاهرون بالتدين و الورع ، و يضربون من وراء ذلك على أساس الدين .

إن الدارس لما يجرى فى أجزاء العالم الاسلامى من أوضاع ليتوصل إلى واقع استغلال الاسلام المؤلم حيث إنه يرى أن الهتاف بالشريعة الاسلامية و رفع شعار القوانين الاسلامية يملأ الأسماع و الأجواء ، و لكنه إذا تأمل فى مجريات الأمور هناك ، و فى المنجزات من الأعمال ، اندهش ، و فوجىء بأنها لا تمت إلى الاسلام بصلة ، و لا تمس الشريعة الاسلامية فى شئ ، و تجلى له سوء التصرف باسم الاسلام ، الذى لم ينطق به الناس إلا لاسقاط شعار و رفع شعار آخر ، وكلاهما يعارضان الشريعة الاسلامية بل و يحاربانها .

ليس هذا قصة بلد أو شعب بعينه ، و لكنه يعم مجتمعاتنا و بلداننا بوجه عام ، ذلك أن حكام المسلمين مثلا يعلنون بصراحة حيناً و بالسكوت حيناً آخر أن الاسلام إنما هو دين ليس غير ، له طقوسه و تقاليده و عاداته ، وله مسجده و زاويته و مواسمه و أعياده ، فليكن محصوراً فى هذه الحدود دون أن يتجاوزها إلى تدخل فى سياسة الدولة و ما يتصل بها من شئون ، و من الحكام من يظن أن العصر الحديث الذى يتسم بالسرعة ، ويتميز بحضارة «السندويتش» لايستطيع أن يستسيغ الاسلام ويفسح له المجال فى الشئون المدنية والحضارية ، اللهم إلا من عصمه الله من الحكام من مثل هذا الظن الخاطىء ، أو من مركب النقص فى الحقيقة ، وما أقل من يحمل الفهم الصحيح للاسلام ، ويكون فى عصمة من مركب نقص نحوه .

أما طبقة العلماء من المسلمين فطالما تمثل صورة غير ملائمة بالمنصب الذى تتولاه ، وإن جماهير الناس يرجعون عنها بانطباع غير سار كلما عهدوها من كثب وشاهدوها من قريب ، وما السبب فى ذلك إلا أن هؤلاء العلماء لا يتمكنون من تمثيل صحيح لحياة المسلم الكامل بله أن يمثلوا حياة العالم الدينى الذى نوه به القرآن و وصفه بأحسن وصف فقال : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » و قال : « قل هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون » بل الحق أن علماءنا أكثر الناس تكالباً على الدنيا و حطامها ، و أحرصهم على الدفاع عن مصالحهم الشخصية و على إشباع

مطامعهم الدنيوية بأى أسلوب كان ، أما أن يكونوا ورثة الأنبيـاء و ينقلوا تراث الدين إلى أتباعهم و ذويهم فذلك هو الشئ المفقود أو شبه مفقود ، لوجود عدد قليل منهم متبقياً على دربه و متمسكاً بوظيفته و متأسياً بأسوة الرسول ﷺ التى أشاد بها القرآن و أعلن عنها مدوياً « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر و ذكر الله كثيراً » .

ودعاتنا الذين تعود إليهم مسئولية الدعوة إلى الله وشرح محاسن الدين وبيان تعاليمه بوضوح . قد يكونون على جانب كبير من الورع مع ما يحملون من السيرة المثالية التى لا تكاد توجد لدى غيرهم ، و لكن ينقصهم بعض الأحيان حكمة الدعوة و الاطلاع على طبيعة العصر الذى يعيشونه ، و معرفة ما هو الأهم من غير الأهم فى مراعاة جوانب الدعوة ، وكذلك العلم بالمناخ والبيئة وما يتطلبان من حكمة عملية فى مجال التأثير و شرح الجوانب المثيرة من غيرها ، و قد يشاهد فى بعض أوساط الدعاة أنهم يركزون على جانب الحكم و السياسة و إقامة الدولة الاسلامية على أنقاض الدولة المادية أو العلمانية و الاشتراكية ، كأنهم لا يهمم إلا استبـدال الحكومات الحاضرة بدولة إسلامية ، و حكومة إلهية ، فاهتمامهم بالجوانب السياسيـة يتغلب عـلى تفكيرهم فى مستقبل الدين و نشر الفضائل و محو الرذائل ، و تعميم مكارم الاخلاق ، الجوانب التى إذا وجدت ضمنت السعادة و تكفلت وجود دولة إسلامية تحكم بما أنزل الله ، و معلوم أن النبى ﷺ إنمـا بعث متمماً لمكارم الأخلاق التى تمت على يده و تم معها كل ما يحتاج إليه المسلم فى حياته الفردية و الجماعية .

و هناك تنظيمات تنتمى إلى الاسلام و يقوم أعضاؤها بالتركيز على عودة المسلم إلى حياته الأصيلة ، و إلى منصب الخلافة ، و خلق مناخ يرجع فيه الناس إلى تحكيم الكتاب و السنة و تطبيق الشريعة الاسلامية ، و لها فى ذلك وكتب منشورات و برامج تربوية و توجيهية ، و لكن رجالها لا يبالون بما إذا استخدموا العنف

فى سبيل تحقيق أهدافهم، و تظاهروا باعمال القسوة و قلب الأوضاع لازالة ما يرونه خلافاً للشريعة ، أو لعلهم يفعلون ذلك أمراً بالمعروف و نهياً عن المنكر ، نرى أنهم فى معظم الأحوال يستهدفون الحكم و أصحابه و الذين يتولون سياسة البلاد و شئون الدولة ، و كنتيجة طبيعية لذلك تعتبرهم الحكومات أعداء لها فتطاردهم وتقبض عليهم و تزجهم فى السجون ، و تحاكمهم بأسلوب معاد، ظنا منها أن هؤلاء هم الذين يريدون السيطرة على زمام الحكم بقلب الوضع و إحداث الثورة ضده ، و هناك يتوقف كل نشاط و حركة ، و تخسر الدعوة عقولا ناضجة و أعضاء نشطاء ، و يتأخر عملها إلى الوراء و ربما إلى عقود من السنين ، و تفقد منجزاتها كل أهمية .

إذا درسنا هذه الأساليب و الأوضاع من غير انحياز إلى جانب دون جانب ، و توصلنا إلى الحقائق فى ضوء الواقع ، قلنا بصراحة : إن الدين فى معظم هذه النشاطات لا يعدو لافتة أو شعاراً ظاهراً ، و هو فى طول الخط يواجه جفاءاً أو قلة اهتمام ، رغم كونه فى كل مبدأ و منتهى ، و فى كل ما يقال و يكتب و يحاضر و يذاع ، و على رأس كل منظور و دستور ، كأنه أصبح موضة لكل ما ينتمى إلى الاسلام ، و نحن راضون بهذا الاستعمال المنكر ، و بأهمال شأنه فى كل حين .

إذن فأى فرق بين أولئك الذين ينادون بملء أشداقهم و يقولون : إن الاسلام دين و عبادة فقط لا يسمح بالتدخل فى أمور السياسة و الدولة ، و على هذا الأساس يحظرون أى نشاط سياسى على أى مؤسسة دينية و جماعة إسلامية ، و أولئك الذين يجعلون الدين ستاراً لكل نوع من الممارسات و النشاطات ، ولكل لون من الفرص و المناسبات ، الذين يعلقون شعار الدين على واجهة الحياة ثم لا يبالون بما يصنعون ، و ما فيه يخوضون و عليه يكبون ، إن كلا الفريقين يستغلان اسم الدين و يسيئان التصرف بوضعه فى موضع غير لائق به ، و إحلاله محلا لم يخلق له الدين « تريدون عرض الدنيا و الله يريد الآخرة و الله عزيز حكيم »

هناك تفسح المجال للحاقدين والأعـــداء لشن الهجوم على الاسلام و تعاليمه و نقص قيمته و النيل من سمو مكانته، و لقـــد كان من أهم أهدافهم أن يجعلوا الدين لعبة يتلاعب بها الأعداء من المندسين فى صفوف المسلمين و المفسدين المأجورين، منهم الذين يرضون بكل ذل و خسف مقابل قيمة تافهة ،وهذ أشد من كل مصيبة ، لأن تحول المسلم و هو فى بلده و مع قومه إلى أداة للعدو واستسلامه له لهـــدم القيم الخلقية ، و دك صرح الدين أنكى للقلب و أجرح للشاعر ،

لمثل هذا يذوب القلب من كمد   إن كان فى القلب إسلام و إيمان

و ليس لما قد بدأه الغرب اليوم من هجوم شامل على الاسلام كدين ونظام ومنهج ربانى ، ليس له سبب سوى أن المسلمين أنفسهم مهدوا الطريق إلى ذلك باستغلالهم البشع لاسم الدين ، و صوغ تعاليمه و مفاهيمه حسب الظروف فى القالب الذى أرادوه ، و لقـــد كان الغرب قلقاً جـــداً للانتفاضة الدينية التى تشمل دول العالم و شعوبه مع مشارف القرن الهجرى الجـــديد فانفتح له طريق لعرض الاسلام فى صورة مشوهة و إثبات أنه لا يصلح لقيادة الشعوب فى زمان و لا مكان، ويستدل على ذلك بما يعيشه العالم الاسلامى اليوم من صورة أخدج للاسلام و الايمان، و ما يقدمه المسلمون فى مجتمعاتهم و بلدانهم من تمثيل سيئ للدين .

إننا لا نستطيع أن نسد على الغرب طريقه نحو الدعايات المزورة ضد الاسلام و المسلمين إلا بتطبيق الشريعة الاسلاميـــة قولا و عملا فى كل مجال من مجالات الحيـــاة ، أما أن نرد القول بقول أحسن منه فلا يغنى عن الاسلام الذى ليس هو دين القول و الشرح فحسب و لـكنه دين التطبيق و العمل « و من أحسن قولا ممن دعا إلى الله و عمل صالحاً و قال إننى من المسلمين » ؟

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

إعجـــــاز القرآن
و دلائل إلهية مصدره

الدكتور مصطفى أحمد الزرقاء
أستـاذ بكليـة الشريعـة ،
الجامعة الأردنية (الأردن)

(١)

إعجاز القرآن المجيد و شواهد إلهية مصدره :

القرآن العظيم قد تجاوز المعجزات الحسية التي كانت تأتي على أيدي أنبياء الله تعالى برهاناً على صدق رسالتهم إلى الناس ، تلك المعجزات الحسية التي كانت تناسب تلك الأزمنة حيث كان يغلب على الناس الانصيــاع إلى ما يقع تحت الحس من الشواهد المادية أكثر مما ينصاعون إلى الأدلة العقلية والتفكير ، وكانت تلك المعجزات تنقضي رؤيتها عقب وقوعها كمصباح يوقد ثم ينطفئ .

فلما اتسعت آفاق التجارب البشرية ، و ارتقى التفكير ، و ازداد اعتماد الناس على دلائل العقل و استنتاجاته و هي أخص الخصائص الانسانية ، جعل الله سبحا خاتمة معجزات رسله على يد خاتم النبيين محمد ﷺ معجزة عقلية تفكيرية بيانية خالد لا تنقضي دلالتها و لا يتوقف تحديها في مواجهة العقل ، ألا و هي القرآن ، الذ وصفه الرسول ﷺ بأنه :

« لا يخلقه (١) طول الرد ، ولا تنقضي عجائبه »

(١) يخلقه : بمعنى يجعله خلقاً (بفتح الخاء و اللام) أي بالياً ، و الثوب الخ و الخليق هو العتيق البالي من طول الاستعمال .

إن نواحى إعجاز القرآن متعددة متشعبة ، فمن إخبار بمغيبات من أحوال الأمم و الأنبياء مضت و ضاع عليها الصحيح ، ثم جاءت الشواهد المكتشفة تؤيد أخبار القرآن عنها ، إلى إخبار عن أمور ذكر القرآن أنها سوف تقع فى فترات محددة أو غير محددة ، ثم وقعت كما ذكر القرآن عنها ، إلى شواهد من آيات الكون و نواميسه أشارت إليها آيات من القرآن فى وقت كان من المستحيل على أحد من البشر إذ ذاك أن يعرف عنها شيئاً من طريق المصادر العلمية ، لأن وسائل علمها مرتبطة بمكتشفات جديدة من طبية و فلكية و فيزيائية وغيرها لم يكن طريق العلم إليها مفتوحاً ، و إنما فتحته أخيراً مكتشفات أخرى و من ثم نظر الباحثون قديماً و حديثاً إلى إعجاز القرآن من زوايا مختلفة : أبرزها زاوية البيان ، وزاوية المضمون ، و الباحثون يبدون - فى الواقع - متفقين على أن الاعجاز و التحدى القرآنى به يشمل الناحيتين ، و لكن بعضهم يرى أن إحدى الناحيتين هى الناحية الرئيسية فى الاعجاز و التحدى ، و الأخرى ثانوية ، و بعضهم يرى العكس .

و أخيراً منذ سنوات قام جدل بين كاتبين أديبين باحثين من كتاب العصر فى هذا الشأن هما الأستاذ رمضان لاوند ، و الدكتور عبد الصبور شاهين ، تبادلا فيه الأخذ والرد على صفحات عدة وأعداد من مجلة البلاغ فى الكويت (الأعداد ٧٧-٨٢ ما بين آخر شعبان ١١ شوال ١٣٩٠هـ) حول : هل الاعجاز و التحدى فى القرآن العظيم منصرف فى الدرجة الأولى إلى المضمون و ما فيه من الشواهد التى كشف العلم عنها ، أو هو منصرف إلى البلاغة فى أسلوب القرآن البيانى ؟

و قد كان هذا الجدل و الحوار فيه بينهما ثرياً ممتعاً ، و أتى كل منهما فيه بشواهد قيمة فى تأييد وجهة نظره ، مما أضاف جديداً فى الكشف عن وجوه إعجاز القرآن ، تلك المعجزة الالهية الخالدة .

و من رأى الأستاذ رمضان أن الاعجاز منصرف إلى البيان و إلى المضمون معاً . لأن الكمال فى الدين الذى أعلنه القرآن بقوله تعالى :

« اليوم أكملت لكم دينكم ، و أتممت عليكم نعمتى »

لا يتجلى « ما لم يعين هذا الدين الأبعاد المادية و المعنوية و المنهج الذى يجب أن يتخذ فى حياة البشر فى الدنيا ، و فيما سيستقبلونه من عالم الآخرة »

و من حجج الدكتور عبد الصبور شاهين أنه : « لم يحدث أن طالب النبي ﷺ قومه أن يأتوا بمثل مضمون القرآن من حقائق الكون ، فالفرق بين الأمرين عظيم ، لأن البيان باب يحتمل صنع الله و صنعة البشر ، أما هذه الحقائق الكونية فلا مجال للبشر فى صنعها ، ولا يتخيل عاقل أن يطالبوا بالاتيان بمثلها ، أو بمحاكاتها ، فقد خرجت إذن عن مفهوم المعجزة بالمعنى الدقيق للكلمة » .

ويرى الأستاذ رمضان أنه : « كما أن الاعجاز البيانى قد جاوز قدرات البشر التعبيرية فى عهد الرسول ﷺ ، و حتى يوم يبعثون ، فان الاعجاز (العلمى) فى كشف المضمون قد جاوز القدرات البشرية فى عهده ﷺ ، و سيبقى كذلك حتى يوم يبعثون » .

و قد طال الجدل بين الأستاذين الكبيرين فى ذلك .

و الذى أرى فى هذا الشأن :

أولا):— أن هناك حلقة مفقودة هى جسر الاتصال و التوفيق بين الرأيين وهى : وجوب التمييز بين غرض الهداية إلى الله فى القرآن الحكيم ، وغرض إثبات مصدرية القرآن الالهية بلفظه ونصه عن طريق (التحدى باعجازه) لا من جهة كونه فى الواقع معجزاً ، فالكون كله معجز لا القرآن فقط .

ذلك أن إثبات المصدرية الالهية لا بد فيه من التحدى ، ولا يكفى فيه كون

القرآن معجزاً فی ذاته ، فقد یکون معجزاً و لا یطالب الله تعالی فیه التحدی کما لم یطلب سبحانه من الناس متحدیاً لهم ، إن یخلقوا کوناً کالکون الذی هو خالقه .

فالتحدی بالقرآن ، فی نظری و تقدیری ، منصرف قبل کل شئی إلی الناحیة البیانیة لأن البلاغة و السمو فی بیانه هی التی یتوافر فیها لدی من یتحداهم إدراك أبعادها ، و امتلاك أدواتها ، وهی الحرف و الکلمة التعبیریة .

ثانیاً)— أن کمال الدین شئی ، و إعجاز القرآن لاثبات نزوله بلفظه و نظمه من عند الله تعالی شئی آخر .

لحقائق المضمون تثبت صحة ذلك المضمون بأی لفظ و تعبیر صیغت مما یعبر عنها و یصورهـــا ، فهذه الحقائق فی المضمون متی عرفت ، بأی طریق من طرق المعرفة ، ولو بالاکتشاف العلمی اللاحق ، دون أن یعجل القرآن بالاشارات الاجمالیة إلیها ، تکفی لاثبات وجود الخالق ، ولکنها لا تثبت مصدریة اللفظ من حیث إنه نص لفظی منظوم بهذا السبك ، لا یمکن صدوره کلفظ منظوم إلا من عند الخالق ، وإنما الذی یثبت هذه المصدریة للنص اللفظی هو الاعجاز البیانی بطریقة التعبیر والنظم ، أما المضمون العلمی و حقائقه و صحته فهو دلیل علی الخالق فقط ، و لا علاقة له باثبات مصدریة اللفظ .

فیجب التمییز بین الغرض القرآنی من حیث الهدایة إلی الله ، و هذا غرض یساهم فی تحقیقه البیان والمضمون العلمی فی إشاراته الاجمالیة إلی الحقائق الکونیة الکافیة للدلالة علی الله تعالی ، وبین الغرض القرآنی فی إقامة المعجزة لاثبات مصدریة اللفظ بنصه و نظمه بطریق التحدی ، فهذا الغرض الثانی إنما یحققه البیـان المعجز ببلاغته و أسلوبه ، و لیس المضمون العلمی .

و یلحظ أیضاً أن المعجزة تتوقف علی إدراك حالی لاعجازها ، قائم هذا

الادراك لدى من تتحداهم وقت التحدى، أى وقت الخطاب، ولا يجوز أن يكون هذا الادراك متوقفاً على اكتشاف علمى مستقبل، لأن هذا التوقف يقضى باخراج من خوطبوا قبلا من نطاق التحدى .

ولا شك أن المضمون العلمى ، الذى يشير فى مواطن كثيرة من القرآن إلى الحقائق الكونية المذهلة و المثبتة لوجود الله خالق الكون بصورة يقينية ، هذا المضمون العلمى يتوقف إدراك صدقه و صحته على الاكتشافات العلميـة المستقبلة بعد عصر إعلان النص اللفظى، فلم يبق ما يتحقق به الادراك الحالى للاعجاز إلا الجانب البيانى المعجز الذى يتحدى كل قادر على البيان أن يظهر قدرته على محـاكاته ، فبهذا التحدى و الاعجـاز تثبت مصدرية النص بلفظه و نظمه ، ثم يتبعه و يتفرع عنه صحة المضمون .

ويلحظ من جهة أخرى فى الدلالة على أن الاعجاز بيانى فى الدرجة الأولى ، أن الله تعالى قد تحدى فى القرآن بأن يؤتى بمثله ، ثم تحدى بالاتيان بعشر سور من مثله ، ثم تحدى بأن يؤتى بسورة واحدة من مثله ، وهذا يشمل السورة الطويلة ، ويشمل كذلك السورة القصيرة التى ليس فيها مضمون علمى أو تشريعى ، فلو كان الاعجاز القرآنى منصرفاً إلى المضمون فى الدرجة الأولى ، لمـا شمل التحدى السورة الواحدة ، بل كان يرد مقيداً بالاتيان بمثله كله .

(٢)

مقارنة بين أسلوب الحديث النبوى و أسلوب القرآن :

الفرق عظيم جداً بين أسلوب الحديث النبوى و أسلوب القرآن فى طريقة البيـان العربى ، فبينهما شقة واسعة لا يشبه أحدهما الآخر لدى أهل البصر باللغة و أساليبها ، و بالمأثور المألوف من بيانها قديمه و حديثه .

وإن هذا التفاوت الكبير فى أسلوبين إذا أنعم الانسان فيه النظر وكان ذا ملكة بيانية لا يترك لديه مجالا للشك والريبة فى أن الحديث النبوى والقرآن صادران عن مصدرين مختلفين .

فالحديث النبوى ، كما سنرى فى نصوصه التى سنعرض أمثلتها قريباً ، جاء كله على الأسلوب المعتاد للعرب فى التخاطب ، تتجلى فيه لغة المحادثة و التفهم و التعليم و الخطابة فى صورها و مناهجها المألوفة لدى العرب ، و يعالج جزئيات القضايا و المسائل و يجيب عنها ، و يحاور و يناقش كما يتخاطب سائر الناس بعضهم مع بعض ، و لكن يتميز من الكلام العربى المألوف بأن فيه لغة منتقاة غير نابية ، و إن فيه أحكاماً فى التعبير وجمعاً للمعانى المقصودة بأوجز طريق وأقربه دون حشو ، مما استحق به التسمية بجوامع الكلم ، فهو كلام عربى من الطراز المعتاد المألوف ، و لكنه على درجة عليا من أساليب البلغاء المعهودة .

أما أسلوب القرآن فهو أسلوب مبتكر لا يجد الناظر فيه والسامع شبيهاً له فيما يعرف من كلام العرب و أساليبهم ، يعالج الكليات ، و يفرض الأحكام فرضاً ، ويضرب الأمثال ، ويوجه المواعظ ، فى عموم لا تشبهه العمومات المألوفة ، وخطاب فيه من التجريد ما يجعل له طابعاً خاصاً منقطع النظير .

أ):— فلو أخذ قانون تشريعى وقورن بأحكام القرآن الآمرة الناهية لما كان له به شبه فى الأسلوب أصلا ، و لو اتحد موضوع الأمر و النهى فيهما .

ب):— و إذا أخذ كتاب تاريخ و قورن بما فى القرآن من قصص تاريخى لما وجد أيضاً بينهما شبه فى الأسلوب و لو أنهما عالجا قصة واحدة .

ج):— ولو أخذ كذلك كتاب مواعظ و أخلاق و قورن بما فى القرآن من مواعظ لما كان بينهما أيضاً شبه أصلا فى الأسلوب و لو اتحد الموضوع .

و هكذا لا يمكن أن يجد الباحث كلاماً أو كتاباً فى اللغة العربية يمكن أن يتحد أو يتشابه أسلوبه و أسلوب القرآن . فهو صورة جديدة مبتكرة فى البيان العربى جارية على قواعد العرب و طريقتهم فى التركيب ، و لكنه يختلف عنها كل الاختلاف فيما نسميه بالأسلوب ، بحيث إنك لو خلطت سورة أو جملة آيات بمجموعة أخرى من كلام العرب لاستطعت أن تميزها منها بسهولة .

أما الحديث النبوى فكثيراً ما يشبه أسلوبه أسلوب سائر الأقوال و الحكم المأثورة إذا كانت بليغة ، ولذلك كثيراً ما توضع الأحاديث كذباً على لسان رسول الله عليه الصلاة و السلام فتشبهت به من حيث لفظها ومعناها على السامع ، و لا يمكن البحث عن أصالتها و صحتها إلا عن طريق السند .

و من المسلم به لدى أهل البصر الأدبى أنه من المتعذر على الشخص الواحد أن يكون له أسلوبان فى بيانه يختلفان اختلافاً كبيراً أحدهما عن الآخر ، و يجرى كل منهما فى ذاته على نسق متشابه لا يختلف فى درجة بلاغته و طريقته ، ويختلف عن أسلوبه الآخر اختلافاً كلياً ، فهذا مما لم يعهد فى التاريخ الأدبى المعروف ، بل إذا أراد أحد الكتاب أن يخرج عن الأسلوب الذى هو متميز فيه إلى أسلوب آخر فلا بد أن يظهر فيه التكلف ، و لا يمكن أن يتقن ذلك الأسلوب الثانى ، فما بالك بهذا التفاوت الكلى بين أسلوب القرآن و أسلوب الحديث ؟

فمن يتوهم من الأجانب أن القرآن هو مجموعة من تأليف النبى عليه السلام إلى جانب أحاديثه فانما منشأ وهمهم هذا عدم إمكانهم أن يتذوقوا الفارق العظيم بين الأسلوبين فى العربية لكى يعرفوا إمكان وحدة المصدر فيهما أو عدم إمكانه .

هذا الاختلاف الواسع المدى بين أسلوب القرآن و أسلوب الحديث النبوى الذى يوجب الحكم باختلاف مصدرهما يتجلى واضحاً ، لكل ذى إدراك فى الأسلوب

الأسلوب العربى ، وذوق فى لسان العرب ، من المقارنة بالأمثلة الواردة منهما فى موضوع واحد .

فلو أننا أخذنا من القرآن آيات ، ومن الحديث النبوى أحاديث فى موضوع تلك الآيات نفسه ، لرأينا بهذه المقارنة من اختلاف الأسلوبين الحاكم باختلاف المصدر ما فيه البرهان الكافى :

١):— فلنأخذ مثلا قول القرآن فى موضوع الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر :

« و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، و يأمرون بالمعروف ، و ينهون عن المنكر ، و أولئك هم المفلحون » .

و لننظر مقابله فى المعنى نفسه قول النبى عليه الصلاة و السلام :

((لتأمرن بالمعروف و لتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم)) .

٢)— و لنأخذ مثلاً فى موضوع الاخاء فى الدين قول القرآن العظيم فى سورة الحجرات :

« إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم و اتقوا الله لعلكم ترحمون » .

و لننظر مقابله فى نفس المعنى قول النبى عليه السلام :

((المسلم أخو المسلم لا يظلمه و لا يسلمه)) .

و معنى (يسلمه) : أن يتركه لعدوه فلا يحميه و لا يمنعه منه .

٣):- و لنأخذ أيضاً قول القرآن العظيم فى موضوع الاخاء الانسانى العام والتآلف والتفاضل بالتقوى والصلاح ، لا بالعرق والنسب ، ولا بالمال والنشب

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » .

و لننظر فی المعنی نفسه أقوال النبی علیه السلام التالیة :

(أیها الناس ، إن ربکم واحد و إن أباکم واحد ، کلکم لآدم و آدم من تراب ، لا فضل لعربی علی عجمی ، ولا لعجمی علی عربی ، ولا لأحمر (١) علی أسود ، و لا لأسود علی أحمر ، إلا بالتقوی) .

(من أبطأ به عمله لم یسرع به نسبه) .

(المؤمن آلف مألوف ، و لا خیر فیمن لا یألف و لا یؤلف) .

٤):— ولنأخذ أیضاً قول القرآن العظیم فی ارتباط صلاح الحیاة الاجتماعیة بنظام العقوبة علی الجنایات :

« ولکم فی القصاص حیاة یا أولی الألباب لعلکم تعقلون » .

و لننظر فی مقابله قول النبی علیه السلام :

(إقامة حد بأرض خیر لأهلها من مطر أربعین صباحاً) .

٥):— و لنأخذ أیضاً قول القرآن فی وجوب أداء الأمانة والحکم بالعدل :

« إن الله یأمرکم أن تؤدوا الأمانات إلی أهلها و إذا حکمتم بین الناس أن تحکموا بالعدل ، إن الله نعما یعظکم به ، إن الله کان سمیعاً بصیراً » .

و لننظر فی مقابله أقوال النبی علیه السلام :

(أد الأمانة إلی من أئتمنك ، و لا تخن من خانك) .

(ما من أحد یکون علی شئ من أمور هذه الأمة فلم یعدل فیهم إلا کبه الله فی النار) .

---

(١) یفسر أهل اللغة والحدیث الأحمر هنا بالأبیض من الناس ، وجمعه (أحامر) أما الأحمر من الأشیاء مراداً به ذو اللون الأحمر المعروف لجمعه : (حمر) بضم فسکون (ر : النهایة لابن الأثیر ، و لسان العرب) .

(لا تقدس أمة لا يقضى فيها بالحق ، ولا يأخذ الضعيف حقه من القوى غير متعتع) .

وهكذا إذا تقصينا الموضوعات و المعانى التى وردت فى القرآن وفى الحديث معاً نجد بينهما فى الأسلوب العربى هذا البون الكبير الذى يجزم معه كل ذى بصر و إنصاف أن شخصاً لا يمكن أن يصدر عنه هذان الأسلوبان معاً ، و لكل منهما طابعه الخاص البعيد كل البعد عن الآخر ، و كل منهما فى ذاته و فى جميع أمثلته و نصوصه متشابه لا يختلف ، بل يجرى على غرار واحد ، فيحافظ على طريقته المتميزة ، و على اختلافه عن غيره ذلك الاختلاف الكبير .

و إنه ليتجلى من هذه الأمثلة المقارنة و من نظائرها ما أشرنا إليه آنفاً من أن أسلوب الحديث النبوى هو أسلوب التخاطب العادى المألوف بين العرب فى بيانهم و أحاديثهم و محاوراتهم و حكمهم و أحكامهم و وصاياهم و نصائحهم ، لا يخرج عن هذا السنن المألوف بينهم ، وإنما يمتاز بأنه من جوامع الكلم ومن حكيم البيان و فصيح اللغة ، و بخلوه من الحشو و من الصور الخطابية العاطفية وحدها دون العقل ، و بتعبير آخر : إنه يتجلى فى أسلوب الحديث النبوى العقل النـاطق بأبلغ و أوجز تعبير معتاد .

أما أسلوب القرآن فيتجلى فيه الابتكار الذى لم يعهد له مثيل ، و لا يشبهه شئ من كلام العرب فى طرائق بيانه و مناهج خطابه .

إختلاف الشخصية التى ينم عنها الأسلوبان :

هذا ، و إذا كان كل أسلوب بيانى يشف عن ذاتية و شخصية فى المتكلم فمن وراء ذلك التفاوت العظيم فى أسلوبى القرآن و الحديث النبوى من الوجهة البيانية يستشف القارىء والسامع تفاوتاً أعظم منه فى هذه الذاتية التى ينبئ عنها الكلام .

فعند ما تسمع القرآن تتجلى لك من خلال آياته ذاتية تتكلم من جو علو و قوة ، و سطوة ، و قدرة ، و حكمة و رحمة ، و هذه الذاتية القوية العظمى التى تتجلى من وزاء أسلوب القرآن لا تضعف حتى فى المواطن التى تعبر فيها عن الرحمة ، و إن قوتها واحدة فى جميع سوره و آياته ، فهى دائماً ذاتية جبارة قادرة منتقمة عادلة حكيمة رحيمة ، آخذة بزمامين من الترغيب والترهيب ، ذات سلطان مطلق .

فانظر و تصورها ، مثلا ، من خلال نحو الآيات التالية :

« الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور » .

« و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » .

« و قضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحساناً » .

« إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون » .

« الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السماوات و ما فى الأرض » .

« و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »

« أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، وكانوا أشد منهم قوة ، و ما كان الله ليعجزه من شئ فى السماوات و لا فى الأرض ، إنه كان عليماً قديراً . و لو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى . فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيراً »

« هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى ، يسبح

له ما فی السموات و الأرض ، و هو العزیز الحکیم »

« أولم یر الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصیم مبین ، و ضرب لنا مثلا و نسی خلقه ، قال من یحیی العظام و هی رمیم ؟ قل یحییها الذی أنشأها أول مرة و هو بکل خلق علیم »

أما الحدیث النبوی فانك تشعر من وراء أسلوبه بشخصیة بشریة، وذاتیة یعتریها الضعف و القوة ، و لکن قوتها من لون واحد : ففیها ضعف الذات العاجزة أمام الصعوبات القاهرة تارة ، وفیها قوة الثقة بالحق تارة أخری . فکثیراً ما تشعر من أسلوب الحدیث النبوی بشخصیة تعتز بهـــذا الضعف الذاتی أمام الله ، إلی جانب اعتزازها بقوة الأمانة والثقة بالحق. ففیها ضراعة البشر وتواضع الزهاد ، إلی جانب حکمة العلماء و قوة المبلغین الأمناء ، فانظر و تصور هذه الشخصیة فی لون قوتهـــا من خلال قول الرسول علیه السلام لعمه أبی طالب حینما هددته قریش ، فنصحه بترك الدعوة .

((و الله لو وضعوا الشمس فی یمینی و القمر فی یساری علی أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتی یظهره الله أو أهلك دونه)) .

و تصورها فی شعورها بالضعف الذاتی من خلال الأدعیة المأثورة عن النبی علیه الصلاة و السلام فی مناجاة ربه ، کقوله بعد ما خرج لدعوة ثقیف و عاد بالأذی و الخذلان .

((اللهم إلیك أشکو ضعف قوتی وقلة حیلتی ، وهوانی علی الناس ، یا أرحم الراحمین إلی من تکلنی ؟ إلی عدو یتجهمنی ، أم إلی قریب ملکته أمری ؟ إن لم تکن ساخطاً علی فلا أبالی، غیر أن عافیتك أوسع لی، أعوذ بنور وجهك الکریم الذی أضاءت له السموت و الأرض ، و أشرقت له الظلمات ، و صلح علیه أمر

الدنيا والآخرة أن تحل على غضبك ، أو تنزل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ، و لا حول و لا قوة إلا بك) .

و قوله : (اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى ، و تجمع بها شملى ، و تلم بها شعثى ، و ترد بها الفتن عنى) (١) .

و يقول السيد أحمد بن المبارك نقلا عن شيخه عبد العزيز الدباغ رحمهما الله تعالى فى « الابريز » فى معرض بيان الفرق بين الحديث النبوى و القدسى و بين القرآن ، بعد كلام طويل يحلل فيه الفرق من نواح روحية ، ما نصه :

(و كل من له عقل ، و أنصت للقرآن ، ثم أنصت لغيره ، أدرك الفرق لا محالة و الصحابة رضى الله عنهم أعقل الناس ، وما ترك دينهم الذى كانت عليه الآباء إلا بما وضح من كلامه تعالى ، و لو لم يكن عند النبي ﷺ إلا ما يشبه الأحاديث القدسية ما آمن من الناس أحد ، ولكن الذى ظلت له الأعناق خاضعة هو القرآن العزيز الذى هو كلام الرب سبحانه و تعالى) .

و هذا الكلام إنما يؤدى إلى ما أوضحناه من تفاوت الأسلوبين تفاوتاً كلياً ، و أن أسلوب القرآن بدع مبتكر لا يشبهه شئ من كلام العرب .

ثم قال الشيخ عبد العزيز أيضاً رحمه الله تعالى بعد ذلك :

« كل من استمع القرآن ، و أجرى معانيه على قلبه ، علم علماً ضرورياً أنه كلام الرب سبحانه ، فان العظمة التى فيه ، و السطوة التى عليه ليست إلا عظمة الربوبية وسطوة الألوهية ، والعاقل الكيس إذا استمع لكلام السلطان ، ثم استمع لكلام رعيته ، وجد لكلام السلطان نفساً به يعرف ، حتى إنا لو فرضناه أعمى وجاء إلى جماعة يتكلمون ، و السلطان مغمور فيهم ، و هم يتناوبون الكلام ، لميز كلام

---

(١) ر : « أقضية الرسول » للقرطبي ص / ١٢٣ .

السلطان من غيره بحيث لا تدخله فى ذلك ريبة » .

وهذا الكلام كأنما يعنى به ، رحمه الله ما سميناه اختلاف الشخصية التى تستشف من وراء الكلام .

و بعد فهذه مقارنة بين أسلوب القرآن و أسلوب الحديث النبوى إنما نقصد بها الموازنة بين الأسلوبين من الناحية العربية البيانية فقط ، وما توحى به من اختلاف الذاتية و الشخصية ، مما يدل على اختلاف المصدرين دون النظر إلى النواحى التى يذكرها العلماء و الأدباء الباحثون فى وجوه إعجاز القرآن المتعددة .

القرآن العظيم

كتاب من العلم المحيط مداده ::: به صفحات الكون تتلى وتسمع
فآياته مرآة صدق جلية ::: يرى ما مضى فيها ، و ما يتوقع
عظات و أمثال ، وهدى وحكمة ::: و شرع جليل نير الحكم مبدع
ألا إنه القرآن ، فأعظم ، ملاذنا ::: فما دونه خير ، و لا عنه منزع
به قارعات كالصواعق قوة ::: و نور رفيق بالعيون مشعشع
بلاغ كساه الله ثوب بلاغة ::: ترد بليغ القوم عياً ، فيخضع
علاج لبؤس البائسين محقق ::: و روح لروح البائسين مشجع
كفاه لحاجات الحياة جميعها ::: فللفرد تقويم ، و للقوم مهيع
شفاء لأدواء النفوس و رحمة ::: و تكراره أحلى اسمع و أمتع
نراه جديداً كلما جئت سامعاً ::: كأن المعانى من مثانية تنبع

كارثة العصبية اللغوية و الثقافية

(٢)

سماحة الشيخ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى
نقله إلى العربية : الأستاذ على عثمان

خدع الشيطان :

إن تكتيك الشيطان أو بالاحرى استراتيجيته فى معركته ضد المسلمين هى أنه دائماً يهاجم عند ما يرى نقطة ضعف حساسة فى جانبهم ، و أنه لا يلجأ إلى نفس المكيدة ضد كل فرد أو فئة من المسلمين ، وأن همساته الخفية للورع والتقى ليست من أجل أن ينغمس فى شهوات الجسد أبداً لأنه لا أمل له بالنجاح فى مسعى كهذا ، وإنما يريد أن يضلهم بمظاهر الشهوة ، والمجد ، والغرور ، والغيرة ، والحكم الذاتى ، وحب السلطة ، والثروة ، و إنه يخبرهم أن يناضلوا من أجل الحكم الذاتى ، وتقدم حضارتهم و لغتهم و سيادة قومهم ، مهما كانت المخاطر !!! هذه بعض الأهداف الطنانة التى كثيراً ما ضللت حتى المثقفين وذوى الاطلاع الواسع بالاضافة إلى أولئك الناس ذوى الايمان المتين و الروح القوية .

طيش العرب :

كانت تلك هى الأغنية الساحرة التى غناها الشيطان لاغواء العرب ، و لقد أخبروا أن القرآن أنزل بلغتهم و أرسل آخر رسول من الله إليهم ، و أن بيت الله و مثوى رسوله ﷺ فى أرضهم ، و أنه ما من شعب يستطيع أن يدعى فهم

عقائد الاسلام أكثر منهم . لذا لن يكون من العدل على الاطلاق أن ينظر العالم الاسلامى إلى القسطنطينية كمركز سياسى له ، وأن يكون التركى الذى ليس من سلالة العرب و لا يتكلم لغة القرآن مقرراً (متحكماً) لمصير العرب . لقد كانت الحجة التى تروق للكثيرين منهم ـ و الذين كانوا يحلمون منذ زمن طويل بامبراطورية عربية وبالحكم الذاتى وبتقاسم أكاليل الغار ـ بأنهم استاءوا من السلوك المتعجرف المتغطرس للأتراك . لذا فقد رفعوا راية التمرد ضدهم ، و أصبحوا أداة فى يد المستعمرين الانكليز !!.. وتعاون شريف مكة مع الحلفاء أعداء الأتراك فى حاضرة الاسلام !. و احتذى به العرب فى العراق و الشام .

لقد تحققت خطط القوى الامبريالية ... فالأتراك هزموا و انتهت الخلافة العثمانية ، و تمزق تضامن العالم الاسلامى ، و لكن هذه لم تكن هى النهاية ... فانه بسقوط الخلافة هدم حصن الاسلام ، و لم يعد هناك شئ تخافه القوى الأوربية ، أو قوة تحسب حسابها . لذا تصرفت بكامل الحرية فى بلاد الاسلام ، و ظهرت فكرة الوطن القومى لليهود ، ثم تحقق انشاء دولة اسرائيل و قوت بنيانها ، وأخيراً أجبر العرب على أن يشاركوا فى بيت المقدس وقبة الصخرة أيضاً ... كل هذا كان نتيجة التعلق بالأيديولوجيات الجاهلية التى أسرت قلوب العرب و أرواحهم .

التعصب : حمية الجاهلية :

كل طالب فى علوم القرآن و السنة النبوية الشريفة يعلم أن التعصب الأعمى لطائفة ما من أجل العرق ، الدم ، اللون ، اللغة أو الثقافة ، هو من تقاليد الماضى الوثنى شجبه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بقوة ، ويعلن كتاب الله بكلمات ليس فيها غموض أو التباس :

« إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية » (١) .

و مثله ورد فى أحد الأحاديث النبوية :

« ليس منا من دعا إلى عصبية و ليس منا من قاتل على عصبية و ليس منا من مات على عصبية » (٢).

و ذات مرة تشاجر رجل من المهاجرين مع آخر من الأنصار و استنجد كل منهما بقومه ، إذ نادى الرجل الأول : يا للمهاجرين !.. بينما صاح الآخر : يا للأنصار !.. و عند ما انتهى ذلك إلى النبى ﷺ نصحهما قائلا :

« دعوها فانها خبيثة » (٣) .

لقد كان النبى ﷺ يكره تعصب الجاهلية حتى إنه كان ينهى ـ دائماً ـ أولئك الذين يرفعون هذا الشعار أو ينادون الناس للناصرة باسمها ، ما كان الرسول ﷺ ليتفوه بكلمة قاسية حتى ضد ألد أعدائه و لكنه أجاز انكار التعصب الجاهلى بمنتهى الصرامة و القسوة دون إبداء أى مجاملة أو مراعاة ، أو اللجوء إلى لغة المجاز .

فوضى اللغات :

إن الاختلاف فى اللغات التى يتكلم بها البشر هو أمر طبيعى بل إنه فى الواقع لنعمة ... فالقرآن يصف هذا الاختلاف بأنه فضل إلهى وأنه من بديع صنع الله .

« ومن آياته خلق السموات و الأرض و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين » (٤) .

و لكن عند ما تمجد اللغات و تقدس ، و يرفع مقامها إلى مستوى الألوهية

(١) الفتح الآية : ٢٦ .

(٢) أبو داؤود عن جبير بن مطعم و هو حديث حسن .

(٣) رواه البخارى . (٤) سورة الروم الآية : ٢٢ .

تصبح نقمة أكثر من كونها نعمة ، ووسيلة هدم بدل أن تكون أداة الود والمحبة ... عندئذ ينبذ البشر على مذبحها قرابين حية الآلهة .

و اللغات وجدت لتوحد لا لتفرق ، فيجب أن تكون وسيله اتصال لا أداة انفصال و لتؤلف بين الناس و تجعلهم يهتمون بشؤون بعضهم البعض ، و يتقاسمون اهتماماتهم و همومهم ، و أن يعملوا كأصدقاء يسعفون بعضهم البعض ، ولكن إذا كان هدفها دق أسفين الفرقة بين الشعوب ، وخلق العداوة وتوريث البغضاء والحقد و الضغينة فمن الأفضل لو أن الانسان ولد دون لسان ، وبقى أبكم إلى الأبد ، فى الواقع لو خلق كذلك لكان سبيل التفاهم بين البشر بالاشارات والايماءات أقل قسوة وألماً مما عليه الحال الآن من حيث التعذيب والمذابح ولكان ذلك - على الأقل - سيخلص النساء و الأطفال البريئين من الأهوال التى لا توصف ، و البلاد كلها من الدمار و الخراب ...

الانسان لا يقدر بثمن :

و الانسان لم يخلق للغة ، وإنما اللغة هى التى وجدت من أجله ، وإن حياة انسان واحد أنفس من كنوز اللغة و آدابها بأكلها ، وأغلى من كل مجموعات النثر و الشعر ، و من كل الكتابات الرائعة و المنمقة ، و كل ما خطه قلم الانسان ، فاللغات تظهر إلى الوجود ، و تنتشر وتتبدل فيعتريها التحول و الذبول و تموت ، و لكن الانسان يبقى هو نفسه و سيبقى كذلك دائماً .

وعى الاسلام :

لا يمكننا انكار حقيقة أن مساعينا لم توجه إلى تطوير الوعى الاسلامى بقدر ما وجهت إلى غرس الشعور الدينى فى الأذهان ، و مراقبة الواجبات الدينية ، و نتيجة لذلك نرى التفاوت بين الادراك العام لأهداف الاسلام ككل ، و بين

المحافظة على واجباته الدينية فى معظم بلاد المسلمين. فتستطيع أن تجد رجلا مفرط التقيد باقامة صلواته ، و تزكية نفسه و لكنه فى الوقت ذاته يمكن أن يكون ذا إدراك طفولى غير متطور من حيث وعيه الاسلامى. فهو يتبع بدقة العقائد والعبادات ، و لكنه يبقى جاهلا بمبادىء الاسلام الأساسية ، و بمقدوره ارتكاب خطأ لا يليق بمسلم حسن الاطلاع ، و ربما كان على جهل تام بالتمييز بين الاسلام و الجاهلية ، ويمكن بسهولة أن يقع ضحية لخداع دجال ذكى ، وقد يصبح أداة فى يد غير المسلمين لتدمير الاسلام ، و إنه فعل كل ذلك عن حسن ظن دون أن يشعر بأقل تناقض بين فعله و عقيدته . و تستطيع أن تجد الكثير من الأمثلة لهذه الحال فى التاريخ الاسلامى . و ربما أعطت الحوادث الأخيرة المثال الصحيح لها .

لقد كان هؤلاء الناس من بين كل مسلمى شبه القارة الهندية معروفين دائماً بايمانهم الصحيح ، فى الخطب و اللقاءات الدينية ، ولكن للاسف لقد سقطوا ضحية لألاعيب الساسة المخادعين ، و إن هؤلاء المسلمين البسطاء إما أن يكونوا مضللين بوسائل الغواية فأصبحوا شركاء فى هذه المسرحية المأساوية من الدم والنار ، أو أنهم لم يستطيعوا المقاومة بصمود وشجاعة فى مواجهة تعصب الجاهلية كما هو الواجب بحكم كونهم مسلمين ، و عناصر فى مجتمع واع لذاته .

صحابة النبى ﷺ :

و لكن الأمر كان مختلفاً تماماً بالنسبة للصحابة . فالارشاد الذى تلقوه من الرسول ﷺ كان كاملا و شاملا لمجموعة السلوك البشرى بكامله و أنه لمن العبث البحث فى صفحات التاريخ عن نماذج لهم فى الحصافة و نفاذ البصيرة . لقد خلق فيهم الارشاد النبوى بصيرة مكنتهم دائماً من التمييز بين الحق والباطل ، وبين العدل و الجور ، و بين الاسلام و الجاهلية .

لقد كانت أعماق قلوبهم و عقولهم فى وضع لا يسمح بنفاذ أى شئ مخالف إليها ولا لشئ ملتو أو جائر أن يحظى منهم بالقبول والآن أود أن أضع أمامكم مثالا جلياً لفطنة الصحابة رضى الله عنهم ، لتعلموا مدى حب الصحابة و تقديرهم لنبي الاسلام ﷺ ، و لولا الخوف من تأليههم لكائن بشرى حيث يتعارض ذلك مع عقيدة التوحيد لكان حبهم للرسول لا ثانى اثنين فى هذا الكون ،

ولقد عبر شاعر فارسى بجدارة عن إعجابهم و تقديرهم الرسول بهذا القول :

« و باختصار فانك بعد الله أعظم من نقدره » .

كان الصحابة يعلمون أن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى ، و أن كل ما يقوله وحى من الله تعالى ، وكان إيمانهم راسخاً بما جاء فى كتاب الله حيث بين بوضوح :

« و ما ينطق عن الهوى • إن هو إلا وحى يوحى » (١) .

والآن ضعوا هذا التقدير والتبجيل من قبل الصحابة رضى الله عنهم للنبي ﷺ فى اعتباركم و ستدركون بشكل أفضل ما سأخبركم به :

قال رسول الله ﷺ لأصحابه رضى الله عنهم : « أنصر أخاك ظالمـاً أو مظلوماً » (٢) .

بحكم إخلاص الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ لمرشدهم المحبوب فانهم يلتزمون بما أوصاهم به من نصرة أحدهم لأخيه المسلم ، وكان هذا الأمر فى صيغة (أنصر) غاية فى الوضوح بالنسبة لأولئك الذين يدركون معنى الأمر من النبي ﷺ و لكن هذا الفهم ـ لظاهر الحديث ـ يتعارض مع الارشاد الذى تلقوه من قبل، والتوجيه

---

(١) سورة النجم الآيتان : ٣ـ٤ .

(٢) من معانى الأمر « الوجوب » .

النبوى الذى زودوا به لمعارضة الظلم والطغيان ، فأثار هذا فى نفوس الصحابة ذلك التساؤل دون تريث فقالوا :

« أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً ؟ » فالرسول لم يلمهم ولم يبد استياءه . بل إنه سر ليفسر لهم ما قاله : أجل ، تحجزه عن ظلمه فذلك نصره » (١) . وهذا التفسير أوضح الأمر كله للصحابة .

معصية الله أمر لا يجوز :

إليكم المثال الآخر على نفس الوعى الاسلامى المتنور : بعث النبى ﷺ سرية و استعمل عليها الصحابى عبد الله بن حذافة رضى الله عنه و أوعز إلى الجند أن يطيعوا توجيهات أميرهم طاعة تامة و لكن حدث بعض التردد فى تنفيذ أوامره فغضب الأمير و أمرهم بجمع الحطب و عندما انتهوا من جمعه أضرم فيه النار ، و طلب من جنده أن يلقوا بأنفسهم فيها !! فرفضوا أن يفعلوا هذا الأمر . فقال لهم عبد الله :

(أليس أمركم النبى ﷺ أن تطيعونى)

قالوا « بلى » (فهموا و جعل بعضهم يمسك بعضاً و يقولون فررنا إلى النبى ﷺ من النار) (٢) .

و لما عادوا إلى المدينة رفع عبد الله القضية إلى النبى ﷺ ، و لم يثن الرسول ﷺ على موقف الصحابة من أميرهم فحسب ، بل قال : (لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً) .

ثم أضاف الرسول ﷺ قائلا : (إنما الطاعة فى المعروف) (٣) .

---

(١) البخارى و مسند أحمد و الترمذى و هو صحيح

(٢) البخارى . (٣) رواه البخارى و مسلم و أحمد فى مسنده عن على كرم الله وجهه و هو حسن .

هذه هى الحكمة التى ساعدت المسلمين على الدوام أن يسيروا على المنهج السوى من الفضيلة و الصلاح، وهى التى منعتهم من أن يستسلموا لدعوات الملوك و الحكام المستبدين ، و كذلك القادة الضالين ، و لقد كان المبدأ الذى يرشدهم هو ما قدمه لهم الرسول ﷺ : (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) (١) .

لقد احتفظ المسلمون بتوازنهم العقلى فى المواقف الحرجة ... ومضوا فى طريقهم بأمان دون أن يلقوا بأنفسهم فى الاضطرابات العاطفية التى تثيرها العصبية الجاهلية، و قدموا عدداً لا يحصى من العلماء و المصلحين ذوى الشجاعة الفائقة ، و الذين رفضوا الانسياق مع التيار العاطفى فى زمانهم ، و الانجراف مع الناس فى عاداتهم العامة ، و شعاراتهم الرائجة التى تحث الناس على مجاراة زمانهم ، وأن قصة شجاعتهم الغالية و التى بدأت باستشهاد كربلاء يمكن رؤيتها مستمرة بشكل أو بآخر و كان ذلك كله تعبيراً حقيقياً للمبدأ الثابت : (التزام طاعة الله عز و جل مهما كانت العواقب) . . .

الجرح المميت :

الجرح مميت دون ريب ، و لكن ما من داء ليس له دواء ، و إن الأمر يتطلب سلوك سبيل الحكمة والتصميم : فاذا أردت استرداد الكنز الذى فقدته أو إقناع ولدك بعدم تبذيره لماله، أو أن تجد شاة مفقودة عندئذ يتوجب عليك العمل لتحقيق ما تبغيه ... و إذا كان السم يحقن بالكلمة فانك تستطيع أن تقدم الترياق، وهذا فى الواقع أسهل لأن الله خلق اللغات لتجمع بين الناس لا لتفرق. ولقد عبر شاعر فارسى عن الفكرة ذاتها فى بيت قصير حلو فيقول :

(١) رواه أحمد فى مسنده و الحاكم فى مستدركه عن عمران و الحكم بن عمرو الغفارى و هو صحيح .

(لقد جئت لتوحدى لا لتفرق) .

الخطر الأكبر :

إن تجريد لغة ما من الفكر و الروح الاسلامية ، و من الأسلوب و من المصطلحات المتعلقة بالعقيدة أمر مفعم بالخطر دون ريب... إن اللغات على اتصال وثيق بآفاق الفكر و أعماق القلب . فاذا كانت لغة شعب ما من الشعوب دمغت بأفكار غير إسلامية فان طريقة تفكيرها و أسلوب تعبيرها و مصطلحاتها و بلاغتها — تشابيهها و استعاراتها -- تؤخذ من التقاليد الجاهلية و الأعراف الوثنية إذ أنها تعتبر الشخصيات ، و الشعراء ، و الكتاب الجاهلين مثلا أعلى يستحقون المنافسة ويضمر شعوراً من النفور و الكراهية إزاء الاسلام و الأبطال المسلمين وفكرهم . ثم أحذر من أن الأمة عرضة للوقوع فى شرك الردة الفكرية و الثقافية ، و إنه ليمكن دائماً إثارة نزواتها الجاهلية لتفسد عليها عقليتها . و إن أى شعار يدعوها إلى التعصب العرقى و اللغوى يكفى لأن يجننها ، ولقد رأينا كيف حدث ذلك منذ أيام قليلة مضت . . .

والآن . . . من الواجب عليكم أن تسدوا مصدر هذا الشر ، ومن الواجب عليكم ليس تعليم هذه اللغات فحسب بل تغذية آدابها بالأعمال وبالكتب والنصوص الاسلامية إلى حد بعيد وتجعلوها إسلامية روحاً ومحتوى وتغذوها بالروح والأحكام الاسلامية ، وعليكم أن تخلصوها من تلك الوضاعة الثقافية التى تبعدها عن الاسلام ، و تدفعها نحو أنماط الفكر الجاهلية . و من الواجب عليكم خلق ذلك الشعور الذى يستطيع به التمييز بين الاسلام والجاهلية و تغرسوا حب الاسلام فى قلوب أصحاب تكلم اللغات ، والمقت لكل ما هو غير إسلامى بحيث أنه لا تستطيع عصبية الماضى

الجاهلى و التعصب الوطنى الوثنى ، ولا دعوة لتجنيد القوى من أجل نصرة العرق أو اللغة ... الوطن أو القوم أن تدق أسفين الفرقة بينهم وبين الاسلام فى المستقبل .

فجر عهد جديد :

إذا مكنكم الله عز و جل من إتمـــام هذه المهمة فان من أخطائنا الماضية والخسائر المحزنة التى عانيناها نستطيع أن نقود أنفسنا إلى عتبة إنجاز مشرق أعظم ، وإن هؤلاء الاخوة فى دين الاسلام يشكلون جزءاً لا يقدر بثمن من الأمة ، وهم الذين قدموا مئات العلماء و الأولياء الصالحين ، و لا يزالون يحملون شعلة الاسلام فى قلوبهم . . . إنهم أولئك الناس الذين أنجزوا أعمالا بطولية فذة تحت راية الامام سيد أحمد الشهيد فى القرن الثالث عشر الهجرى ، حتى إن أحد نقاد الاسلام العنيدين مثل الدكتور هنتر أزم بأن يقدم لهم تحياته الحارة لشجاعتهم و لتحمسهم لدينهم ، إذا استطعتم النهوض إلى مستوى المسؤوليات فان عهداً جديداً من البعث الاسلامى بلا شك سيشرق على هذه البلاد التعيسة .

« . . . و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء ، و هو العزيز الرحيم » (١) .

---

(١) سورة الروم الآيتان : ٤ — ٥ .

أمتنا الاسلامية : و الجهاد المستمر

د/ عبد الحليم عويس

إن أمتنا الاسلامية تعانى من خمول فى موقفها من الجهاد ، إن هذا الركن السادس من أركان الاسلام قد أصبح محاصراً فى وعى المسلم و فكره و سلوكه ، بل - الأسف - لقد انقلب هذا المفهوم ، من جهاد (مع الخارج) إلى قتال (فى الداخل) ، و لم يعد مفهوماً استمرارياً ينتظم كل الأمة ، فى كل شئون ، بل أصبح مفهوماً انحسارياً موقوتاً بوقت معين و محصوراً فى طائفة معينة ، بل و تتحدد نهايته عند موقعة يتم فيها النصر أو الهزيمة ، مع أن الرسول ﷺ خلال عشرة أعوام قام بأكثر من ستين غزوة و سرية ! !

ولم يقل أحد إن قضية التاريخ هى قضية نصر أو هزيمة عابرة . . إن قضية التاريخ أعظم من هذا و أشمل . . إنها قضية إرادة الحياة و الشعور بأهليتها . . و قيادتها . . أو افتقاد هذه الارادة .

لقد كان فى الامكان لو لم تكن هناك إرادة الحياة ، و امتلاك رسالة خاصة ذات مستوى تاريخى و حضارى ضخم . . أن يسقط المسلمون و هم القوة الناشئة - بعد « أحد » فما كانت قوة ناشئة كقوة المسلمين بقادرة على امتصاص الهزيمة فى أول الطريق ! !

وقد كان فى الامكان أن تسقط إرادة البقاء والانتشار لدى النفسية الاسلامية أثناء غزوة « الخندق » . . و بعد أن زلزل المؤمنون و بلغت القلوب الحناجر ،

و ظن المسلمون بالله الظنون . . نعم بعـــد أن ظنوا أن إرادة الله ربما تكون قد اتجهت إلى شئ آخر غير انتشار دينه فى ذلك الوقت ، و على يد هؤلاء الرجال.

و مع ذلك فقد أفلت المؤمنون من الساعات الحرجة ، و أصبحوا بعد هذا الامتحان قوة « تهاجم الباطل » بعد أن كانت مجرد قوة « مدافعة عن الحق ! !

وفى « مؤتة » حيث تصدى ثلاثة آلاف مسلم لمائتى ألف من الروم النصارى و أعوانهم من العرب فى الشام ، وحيث قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب و عبد الله بن رواحة . . و رضى المسلمون من الغنيمة بالاياب مسالمين .

فى مؤتة هذه كان من الممكن أن تهتز النفسية الاسلامية ، لو لا امتلاكهـــا لارادة الحياة ، و شعورها بأنها صاحبة رسالة خالدة لا يمكن أن تقهر أو تموت .

و فى فترة من الفترات وجدت القافلة الاسلامية نفسها أمام حركة الارتداد الخطيرة ، و كان المسلمون فى المدينة يكادون يخشون على أنفسهم ، فالانقضاض كان عاماً . . أو نحو ذلك .

ولو لا الشعور بالرسالة الخالدة ، وأن هذه الأمة قد خلقت لهدف ما . وأنها لا يمكن أن تقهر أو تموت . . لو لا هذا لما قال أبو بكر كلمته الحاسمة : « و الله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه » . . وانتصرت الأمة الناشئة المسلمة ، لأنها تملك الرسالة الحية الخالدة ، و لأنها مصممة على أداء رسالة الحياة ! !

وعبرت أمة الاسلام فى الطريق منزلقات كثيرة كان فى الامكان أن تتردى فيها وأن تهوى إلى مكان سحيق فى التاريخ ـ وعبرت حركات الزندقة و الحشاشين و الباطنيـــة ! !

عبرت كل ذلك ، و على امتداد التاريخ ، بقيت حقيقة هذه الأمة قوية . .

و بقيت المرفأ الحنون لكل المعذبين و المضطهدين فى الأرض .

و منذ نهاية القرن الخامس الهجرى - الحادى عشر الميلادى - و الجحافل الصليبية تحاول أن تقضى على العالم الاسلامى والعربى بخاصة .. لقد بدؤوا بضرب السواحل الغربية .. و جزر البحر الأبيض المتوسط و حقيقة إنهم فى ظل غفلتنا و ابتعادنا عن إسلامنا تمكنوا من التهام الأندلس - مثلا - و التهام بعض جزر البحر الأبيض المتوسط كصقلية و رودس .

لكن الشئ الجدير بالاهتمام أن هذا العصر نفسه الذى شهد هـذا السقوط فى بعض المناطق الاسلامية هو الذى شهد كذلك - و على الرغم من كل عيوب العالم الاسلامى - سقوط أكبر إمبراطورية مسيحية صليبية فى التاريخ. وهى الدولة البيزنطية - على يد القائد المسلم : « محمد الفاتح » فاتح القسطنطينية .

و هذا العصر نفسه - و إن كان المؤرخون لم يلتفتوا كثيراً لهـذا الجانب التعويضى الذى أراده الله .. هذا العصر هو العصر الذى شهد زحف دولة «المرابطين» ، و تجار المغرب العربى المسلمين ، و فقهائهم ، على أفريقيا ، ودخول شعوب كثيرة فى أفريقيا الاسلام .

لقد تمكن المسلمون بواسطة الاسلام من امتصاص الهزيمـة فى كثير من الظروف التى مرت بهم .. و لعل أقرب مثل لذلك هو زحف المغول البرابرة التتريين على العالم الاسلامى - و العربى - .

فبعد دخول هؤلاء المغول تركستان التى كانت استقلت عن الخلافة العباسية ، و خراسان و أذربيجان و بعض مدن فارس .. بعـد هذا زحفوا على الشام و العراق ، و حاصر هولاكو بغداد فى المحرم من سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) بجيش يبلغ عدده أكثر من مأتى ألف مقاتل .. و نجح المغولى الكبير فى اقتحامها ،

و تمكن من قتل الخليفة « المعتصم » الذى كان قد أمنه . . و قتل معه ولدين له ثم زحف على حلب و دمشق فاستولى عليهما . . و اقترب المغول من مصر .

وعلى مقربة من مدينة بيسان بفلسطين دارت رحى معركة بين الجيش المصرى يقوده « سيف الدين قطز » صاحب الراية العالية المنتصرة دائماً ! « وا إسلاماه » و بين البرابرة الزاحفة ، و ذلك فى شهر رمضان من سنة ٦٥٨هـ .

وانتصرت راية « وا إسلاماه » التى قاتلت « بعد أن أخفقت سياسة الاستسلام وعهود الأمان ، التى انتهجها مع المغول آخر وأتعس الخلفاء العباسيين « المستعصم » و التى تسببت فى قتل سبعين ألفاً من مساكين بغداد و ضعفائها ، كما تسببت نفس السياسة فى إبادة أهل حلب و أهل دمشق . . و تخريب المدن الاسلامية الكبيرة التى لجأ ساستها إلى الحلول الاستسلامية ، و صدقوا وعود الأعداء ! !

و أنقذت - وا إسلاماه - الحضارة البشرية كلها - فى عين جالوت - من الدمار و الفناء ! ! وقصة الصليبيين من الأمة الاسلامية صفحة أخرى من صفحات الشعور بالذات ، و إرادة البقاء ، و التصميم على أداء رسالة الاسلام » ،

و منذ « عماد الدين زنكى » و « نور الدين محمود » . . أى منذ قررت الأمة القتال ، والصليبيون فى تدهور مستمر ، وما أن جاء صلاح الدين الأيوبى ، حتى وجد أمامه طريقاً ممهداً للعمل الجاد .

فصمم على القتال ، و جهز الأمة مادياً و نفسياً لذلك ، و لم يرهبه ألم أوربا كلها ضده ، و إن الصليبيين قد ملكوا أربع إمارات :

الرها ، و بيت المقدس ، و انطاكية ، و طرابلس .

لم يرهبه كل ذلك ، و رفع « وا أسلاماه » فامتص كل هـــذه الهزائم ، و زحف سنة ٥٨٣هـ فانتصر على جموع الصليبيين فى « حطين » بعد أن أسر أكثر

الأمراء و قتل من الجنود أكثر من تسعة آلاف مقاتل .

وفى العام نفسه دخل « صلاح الدين » القدس ، واستولى عليها . . وانطلق فى أجواء بيت المقدس صوت المؤذن يردد صوت « الله أكبر » بعد انقطاع دام (٨٨ سنة) (ما بين ٤٩٢ - ٥٨٢هـ) .

و تتابع الأمراء مع الأيوبيين و المماليك بعد صلاح الدين ، فاستنقذوا كل ما كان بأيدى الصليبيين من ممالك ، و رجع « قطاع الطرق » باسم « الصليب » إلى بلادهم مخذولين ! !

و انتصرت المبادىء الأعلى . . و انتصرت الأمة التى رفعت « وا إسلاماه » و التى أيقنت أنها تملك رسالة جديدة بالانسان . . . و جديرة بالبقاء و جديرة بالانتصار ! !

لقد أثبتت صفحات تاريخنا كلها . . أننا نملك أهلية السير فى طريق الحضارة . و النصر .

فقط أن نبدأ البداية الصحيحة ، و ألا تهزمنا الهزائم . . و ألا يختل الميزان فى أيدينا . . و فقط أن نرفع راية الجهاد إلى الأبد . . جهاد مع النفس والمجتمع و الأعداء !

إننا لم نهزم بالجهاد قط . وإنما هزمنا فى كل تاريخنا بالمفاوضات والمساومات وفترات التواكل والرخاء الخادع ، فأعداؤنا - دائماً - لا أخلاق لهم وهم يستغلون مبادءنا و التزاماتنا الخلقية لمصلحتهم ، بل إنهم فى الغالب لا يقبلون المفاوضات و المساومات إلا إذا كانت متعلقة بمصلحتهم وحدهم :

الجهاد طريقنا إلى القدس و الجهاد طريقنا إلى الوحدة الاسلامية ، و الجهاد طريقنا إلى استعادة مجدنا ، و الجهاد لغة الأقوياء الحريصين على الحياة الشريفة ،

و فى ديننا أن من ترك الجهاد ذل ، وأن من لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق . .

ماذا يعنى هذا ؟

إن هذا يعنى أن يجاهد كل فرد مسلم . . أن تتوالى حلقات الجهاد ولا تنقطع ، و التاريخ الاسلامى يؤكد ما أمر به ديننا ، فنحن دائماً فى صراع مع الكفر فى أشكاله المختلفة ، بدءاً من أبى جهل ومسيلمة ، و مروراً بالصليبيين و التتار واليهود و الشيوعيين ، و ليس ثمة نهاية لهذه الملحمة الدائرة بين الحق و الباطل ، الحق الذى ائتمننا الله عليه والباطل الذى يدين به هؤلاء ، إنه جهاد إلى الأبد .

إن الآيات القرآنية الكريمة و الأحاديث النبوية حافلة بتصوير أهمية الجهاد ، وضرورته ، وضرورة استمراره . إنها تطلق عليه كثيراً « الرباط » و « المرابطة » و تطلق على أصحابه « المرابطين » و ليست دولة المرابطين التى قامت فى المغرب العربى و محن الاسلام فى الأندلس عنا ببعيدة .

أجل . . إن الجهاد استمرارى فى حضارتنا كما تصوره نصوص ديننا ، و كما يصوره تاريخنا الذى قامت دول بأكملها من مذاهبه و أجياله ، على أساس فلسفة الرباط و الجهاد و حماية الثغور و رفع راية التوحيد و نشر الاسلام .

لقد كنا دائماً نرهب الأعداء ، و كان الأعداد منذ ارتفعت راية الاسلام و امتدت حضارته لا يفكرون فى غزونا ، لماذا؟ لأنهم يعلمون أننا يقظون دائماً ، فراية الجهاد لم تسقط من أيدينا ، ولأنهم يعلمون أننا كنا ننطلق دائماً من إسلامنا ! و إسلامنا يشعل فى أعماقنا الحرارة الدائمة .

« و لن ترضى عنك اليهود و لا النصارى حتى تتبع ملتهم » إنها حرب أبدية بين الحق و الباطل ، و يقول رسول الله ﷺ : « ما اغبرت قدما عبد فى

سبيل الله فتمسه النار » و يقول : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » وسئل عليه السلام : « أى العمل أفضل؟ قال : إيمان بالله و رسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور » .

إن الجهاد يتلو مباشرة الايمـــان بالله و الرسول . . و يوضع قبل ركن الاسلام الخامس . . « الحج » و ليس الجهاد هو اللحاق بركب جماعـة المقاتلين فحسب ، بل « من جهز غازياً فى سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازياً فى أهله بخير فقد غزا »

إنها قضية تحويل الأمة إلى أمة مجاهدة فى كل مواقعها ، وبدل الركون إلى الدعة ، و انتظار سلام الأعـــداء ، و الرضا بقضائهم فينا ، ليكن الجهاد شعارنا الأصيل و الحى و المتجدد .

« يا أيها الذين آمنوا اصبروا و صابروا و رابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون »

إن الأمر ليس أمر معركة ، ننتصر فيهـا أو ننهزم ، بل هو أمر مصير ، و أمر أمة شهيدة على الناس ، و أمر رسالة أخلاقية و إنسانية ، و عقيدية يجب أن تؤدى إلى العالم ، و يجب أن تزاح من طريقها العراقيل و الأحجار .

★★★
★★★

الدعوة الإسلامية

مبادىء فى الأدب و الدعوة

(٤)

فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى
أستاذ بكلية الشريعة و الدراسات الاسلامية
قسم الدعوة و الدراسات العليا ـ بمكة المكرمة

عناصر الكمال و الجمال الأدبى :

(١)

بعد توافر الأركان الأساسية للكلام البليغ ، و هى :

١ـ مطابقته لمقتضى حال المخاطب به .

٢ـ و التزامه بقواعد اللغة و ضوابطها فى مفرداتها و تراكيب جملها .

٣ـ و خلوه من التعقيد اللفظى ، و التعقيد المعنوى .

بعد توافر هذه الأركان الأساسية توجد عناصر كثيرة تكسب الكلام ارتقاء أدبيا ، و تعطيه جمالا و إبداعاً وروىقاً و حياة ، و قدرة على التأثير و الهيمنة على النفوس و الأفكار و القلوب .

وبمقدار ما يمكن أن يجتمع فى الكلام من هذه العناصر متلائمة غير متنافرة ، متوائمة غير متشاكسة ، متحابة غير متباغضة ، مطابقة لمقتضى حال المخاطب ، يكون تسامى الكلام فى سلم الكمال الأدبى الرفيع ، الذى يحتل قمته لدى التحليل المجهرى الدقيق كلام الله المعجز ، ثم يأتى من دونه كلام النـاس ، مع المسافات الشاسعة بينه و بين قمة كلام الناس .

وكما نقتبس عناصر الجمال والكمال من لوحات الطبيعة التى خلقها الله ، فنعمل الأعمال الفنية الرفيعة بمحاكاة الفنون المختلفة فيها ضمن قدراتنا البشرية ، ونتلذذ على الأمثلة الجمالية الكمالية التى تقدمها لنا ، فنكتسب منها الذوق ، و فنون الصنعة الرائعة ، بأشكالها و ألوانها و أنغامها و ملامسها و أنظمتها و حركتها و حياتها و عواطفها و لذاتها و آلامها و ذكرياتها و تحسراتها و آمالها و مخاوفها إلى سائر الظواهر الطبيعية فى كل جامد و متحرك و نام و حى .

كذلك يقتبس أهل البصيرة عناصر الجمال و الكمال الأدبى من اللوحات البيانية البديعة المنزلة من لدن حكيم عليم ، و التى نتدبر ما نتدبر منها فى كتاب الله المجيد على مقدار قدراتنا البشرية

وهذا التدبر الواعى يحتاج إلى بصيرة نفاذة لماحة ، وصبر طويل ، ومعالجات متكررة ، ومعرفة بما توصل إليه المتدبرون السابقون ، وبحث مستمر لاستنباطات جديدة ، ثم تكون أنصبة الباحثين بعد كل ذلك على مقدار مواهبهم ، لا على مقدار البحر المحيط الذى يغترفون منـــه ، و يغوصون فى أعماقــه ، ليستخرجوا من روائعــه و بدائعــه .

(٢)

الكلام لفظ و معنى :

من البدهيات الأساسية أن الكلام ذا الدلالة اللغوية إنما هو لفظ و معنى .

(٣)

بيان حول اللفظ :

أما اللفظ فينحل إلى قسمين :

١- مفرد .

٢- و مركب .

* * *

أما المفرد فى المنظار الأدبى : فيمكن أن نقسمه إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : اللين السهل ، وتتفاوت فى ذوق الأديب درجات هذا القسم ، فمن هلاى رجراج ، مثل الكلمات الخفيفة التى يستطيع الأطفال الصغار المبتدئون بالنطق أن ينطقوا بها صحيحة سليمة ، و هى غالبـــاً تتألف من الحروف الشفوية والصوتية ، وثم الحروف اللثوية والصوتية ، مثل : « بابا - ماما - دادا - لولو » و تتدرج النسبة ارتقاء ، مع المحافظة على صفة اللين و السهولة ، و لكن بالنسبة إلى نطق الكبار العاديين ، مثل : نسمة — بسمة — رنا — دنا — وهى — وشى ، و من السهل اللين فى القرآن قول الله تعالى :

« الرحمن ، علم القرآن — خلق الانسان - ، علمه البيان » الشمس و القمر بحسبان ، و النجم و الشجر يسجدان »

القسم الثانى : القوى الجزل ، و تتفاوت فى ذوق الفصيح ذى الحس المرهف درجات هذا القسم .

و من أمثلة القوى الجزل المفردات التالية من سورة (الشمس) :

« ضحاها — جلاها — يغشاها — طحاها — بطغواها — إذ انبعث أشقاها — فعقروها — فدمدم عليهم — عقباها .

القسم الثالث : الحوشى الغريب ، و تتفاوت درجات هذا القسم ، و الحوشى الغريب ما قل فى العرب استعماله ، لثقله على الألسنة ، حتى يكاد بعضه يهمل فى الاستعمال عند معظم العرب ، مثل المفردات التالية :

الخنطلة : بمعنى الشجاعة .

و الحيزبون ، و الشهربة : بمعنى المرأة العجوز .

طخا الليل : بمعنى أظلم .

تطشى المريض : بمعنى برىء .

النقاخ : و هو الضرب على الرأس بشىء صلب .

الهيبخة : و هى الجارية باللغة الحميرية .

الهبيج : و هو الرجل الأحمق ، و الوادى العظيم و النهر العظيم .

القدموس و القدموسة : و هى الصخرة العظيمة .

العقنقس و العفنقس : هو السىء الخلق .

القسم الرابع : الصعب الجموح ، و تتفاوت درجات هذا القسم .

و من الصعب الجموح ما هو حوشى غريب ، ولكن ليس كل صعب جموح كذلك ، فقد لانت فى ألسنة العرب كلمات صعاب ، و بقيت مستعملة دارجة بين أدبائهم ، إلا أنها صعبة على الألسنة لها جموح و نفور مثل الكلمات التالية :

غضنفر : من أسماء الأسد .

مستشزر : أى مفتول .

عقعق : اسم لطير .

و الأديب رفيع الأدب ، مرهف الحس فى ذوق الكلمات ، يختار فى كلامه من القسمين الأولين :

‡ اللين السهل .

‡ و القوى الجزل .

و يضع ما يختار فى موضعه مراعياً حال المخاطب وما يسره من المفردات ، و ما يلائم ذوقه ، و لغة قومه .

و يحسن به أن يختـار لبعض الموضوعات مفردات ذات جرس موسيقى و إيقاع رشيق .

ويختار أيضاً من الكلمات ما يلائم المعنى من لين وسهولة أو قوة وجزالة .

و يختار أيضاً من الكلمات ما هو أليق بالمناسبة و بالموضوع العام للكلام و أكثر ملاءمة لهما .

ويبتعد عن الحوشى الغريب ، إلا فى مجال التعليم ، أو لنكت أدبية خاصة .

و يجعل الصعب الجوح مقصوراً على مواطن خاصة تستدعى النكتة الأدبية اختيار بعض منها ، مثل كلمة : (ضيزى) فى وصف القسمة الجائرة غير العادلة ، لما لهذه الكلمة بحروفها و صيغتها من إيحاءات تلائم التشنيع على القسمة الجائرة .

والدعاة إلى الله مطالبون بالتزام هذا المنهج الأدبى فى دعوتهم .

* * *

وأما المركب فله فى المنظار الأدبى تقسيمات من ثلاث جهات .

١ـ جهة السبك .
٢ـ جهة الكثافة .
٣ـ جهة تواصل الجمل بأدوات الربط أو تفاصلها .

* * *

أولا ـ فمن جهة السبك : ينقسم اللفظ المركب إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : المتلائم المتناسق المتوائم السهل حسن السبك .

القسم الثانى : المتنافر الصعب العسر النطق .

القسم الثالث : سيء السبك ضعيف الانشاء .

القسم الرابع : معقد الترابط صعب الفهم .

و الأديب البليغ رفيع الذوق ، ذو الحس المرهف ، المتمرس بصناعة القول الرفيع ، يحاول أن يكون كلامه سليماً من أن يكون سيء السبك ضعيف الانشاء ، و من أن يكون معقد الترابط صعب الفهم .

و يتحرى أن يكون كلامه من القسم الأول (المتلائم المتناسق المتوائم السهل حسن السبك) .

و يبتعد جهد مستطاعه عما هو متنافر صعب عسر النطق ، و يولى عناية للعناصر الجمالية التالية :

١ـ صياغة الجملة صياغة فنية سهلة الفهم ، لا توقع فكر المخاطب بارتباك فى ربط مفردات الجملة ، و لا تكلفه مشقة حتى يفهم المراد منها .

٢ـ رصف الجمل رصفاً يثير الاستحسان و الاعجاب لدى المخاطب ، و قد يحتاج هذا إلى التفنن فى الجمل ، ما بين متوازنات طولا و قصراً أحياناً ، و بين طويلة ومثل نصفها أو ثلثها أو ثلثيها أحيانا أخرى ، و بين ترك التوازن ليذهب الكلام منساباً ، و قد يحسن التكرير فى بعض هذه العمليات .

و لا ضابط لمواطن الجمال فيها إلا الحس المرهف الذواق للجمال الأدبى .

٣ـ و قد يجمل بعض السجع غير المتكلف و لا المتصنع ، بشرط عدم الالتزام به فى كل الكلام .

٤ـ المحسنات البديعية اللفظية التى تأتى منسابة محببة غير متكلفة ولا متصنعة.

٥ـ فنون الشعر الذى له تأثير فى أساليبه و موسيقاه ، على كثير من مشاعر الناس .

و رجال الدعوة إلى الله مطالبون بالعناية بهذه العناصر الجمالية الأدبية فى دعوتهم ، إن خطبوا ، أو حاضروا ، أو تحدثوا ، أو كتبوا ، أو نظموا شعراً ،

أو ألفوا مؤلفات علمية ، أو توجيهية ، أو أدبية ، و أن يسخروا أدبهم فى خدمة الدعوة إلى الله .

* * *

ثانيا — و من جهة الكثافة : ينقسم الكلام إلى ثلاث مراتب ، تعرف عند علماء البلاغة بالايجاز و المساواة و الاطناب .

و لكل من هذه المراتب درجات متفاوتات .

و أشرح الكثافة فى بناء الكلام و مستوياتها فى تحليل أدبى فكرى ، فأقول :

كثافة بناء الكلام :

تخضع التعبيرات الكلامية عن المراد لنسب متفاوتة من الكثافة :

فمن الكلام ما هو شديد الكثافة ، و قد تشتد الكثافة فيه حتى يكون بمثابة قطعة من الصخر ، لا تعرف عناصرها حتى تكسر و تطحن ، و تفرق الأجزاء عن بعضها ، و تحلل بوسائط .

و بعض متون العلم المكثفة المختصرة هى من هذا القبيل وقلما يسلم التكثيف الشديد فى الكلام من الاخلال فى الدلالة على المراد .

و فهم المكثف من الكلام يحتاج إلى ملكات ذهنية عالية ، أو إلى تدريب و ممارسة طويلة و تعلم على أيدى أهل العلم .

و تخف الكثافة ببسط الكلام و تمديده ، و يتدرج ذلك فى سلم كثير الدرجات ، و لكن ليس لدينا ميزان نزن به كثافة الكلام ، شبيه بميزان الكثافة الذى توزن به السوائل ، فالمرجع فى تحديد الكثافة أذواق العلماء و الأدباء ، و ملاحظة سهولة استساغة الكلام من قبل العامة أو عدم ذلك .

و باستطاعتنا أن نقسم مستويات الكثافة فى الكلام إلى ثلاث مراتب و لكل من هذه المراتب الثلاث درجات متفاوتات :

المرتبـة الأولى : هى مرتبة الكلام الموجز المختصر ، و لهذه المرتبة عـــدة درجات ما بين شديد الكثافـة ، أى شديد الايجاز و الاختصار حتى مستوى الرمزية ، و ما بين كثافـــة يتحمل الانسان العــادى فهمها ، و لكن بشيء من الممارسة و التدرب و التأمل .

و عنوان هذه المرتبة عند علماء البلاغة (الايجاز) ، و تستخدم هـــذه المرتبة لدى اختبارات الذكاء ، و لدى مخاطبة الأذكياء و كبار القوم و أمرائهم ، بشرط أن يكون المخاطب بها قادراً على فهم المراد ولو بتأمل يسير ، وبالنسبة إلى أحوال هؤلاء تداول الأدباء قديماً عبارة : (البلاغة الايجاز) .

و تستخدم هذه المرتبة فى الخلاصات العلمية التى يعدها طلاب العلم للحفظ ، و تذكر المسائل العلمية بها .

المرتبة الثانية : هى مرتبة الكلام الذى هو متوسط البسط ، وضابطه فيما أرى أن يكون لكل فكرة يراد الدلالة عليها لفظ يدل عليها أو صيغة تدل عليها ، أو تركيب خاص يدل عليها ، بشرط أن يكون المخاطب عارفاً بذلك ويفهمه دون كد ذهنى ، و دون حاجة إلى تأمل طويل .

و قـــد يبدو أن هذه المرتبة ليس فيها درجات متفاوتات إلا أننى أرى خلاف ذلك ، فلها فيما أرى درجات ، و تختلف هذه الدرجات و تتفاوت باختلاف أحوال المخاطبين و تفاوتهم فى قدراتهم على الفهم ، و استيعاب دلالات الكلام ، و فى معرفة دلالات الصيغ و التراكيب ، و فى التمرس بمتابعة فهـم المعانى من الكلام .

فتوسط البسط من الكلام بالنسبة إلى المبتدىء ، ليس هو كذلك بالنسبة إلى الذى تقدم أشواطاً فى معرفة دلالات الكلام وفهمها ، و كبار القراء لهم متوسط

يناسبهم ، و الأذكياء لهم متوسط يناسبهم ، و الأطفال لهم متوسط يناسبهم .

فيدخل فى تحديد نسبة التوسط اعتبار حال المخاطب .

وعنوان هذه المرتبة عند علماء البلاغة (المساواة) ولكن ربما كان تحديدى لها يختلف مع تحديد علماء البلاغة .

و يحسن استخدام هذه المرتبة فى معظم الأحوال ، لاسيما لدى كتابة صكوك العقود والمعاهدات ، و كتابة المواد القانونية ، و كتابة متون العلوم ، و للتعريف بالمبادىء فى نصوص معـــدة للحفظ و التداول بين الناس ، و من ذلك كثير من أحاديث الرسول ﷺ . مثل قوله :

« اجتنبوا السبع الموبقات »

قالوا : يا رسول الله وماهن ؟

قال « الشرك بالله ، و السحر ، و قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، و أكل الربا ، و أكل مال اليتيم ، و التولى يوم الزحف ، و قذف المحصنات المؤمنات الغافلات » رواه البخارى و مسلم عن أبى هريرة .

المرتبة الثالثة : هى مرتبة الكلام المبسوط ، والكلام المبسوط هو ما لوحذف منه شىء بالنسبة إلى حال المخاطب به لفهم المراد من الكلام فهماً تاماً ، دون كد ذهنى ، و لا تأمل طويل ، و لما حدث لديه أى ارتباك فكرى أو غموض ، و لما نقص لديه من الفهم شىء .

والكلام المبسوط له حدود دنيا ، يمثلها ما زاد على نسبة التوسط ولو قليلا ، ثم تزداد درجات البسط كلما زاد بسط الكلام و لا حد لأكثرها ، و باستطاعة الثرثار أن يمد كلاماً تكفى صفحة واحدة لفهم المراد منه فهماً كاملا تاماً دون ارتباك ولا كد للذهن ولا تأمل طويل ، فيؤلف كتاباً من مئات الصفحات ، ثم لا يخرج

قارئها بأكثر مما فهمه قارىء الصفحة الواحدة ، ونلاحظ أمثلة كثيرة لهذه الثرثرات فى كتب الشيوعيين ، و كتب الذين درجوا على منوالهم ، و الغرض من الثرثرة تغطية عيوب المضامين الفكرية ، و الايهام و التعميـة على الغوغائيين من المراهقين و المراهقات فى أعمارهم أو فى أفكارهم لاسيما إذا اقترنت هذه الثرثرات بعبارات غامضة و مصطلحات توهم أن وراءها فلسفة و علماً عظيماً .

و عنوان هذه المرتبة عند علماء البلاغة (الاطناب)

وقد يحسن استخدام ما يدخل فى هذه المرتبة من الكلام فى دروس التعليم ، و فى مجالس الوعظ العامة ، و فى الخطب التى تلقى عـلى الجماهير ، و فى بعض مجالس المؤانسة و المحادثة ، و فى إلقاء القصص أو كتابتها ، و لـكن يشترط فى ذلك أن لا يصل المتكلم بالمخاطبين أو بالقراء إلى مستوى السأم و الملل ، فبعـد السأم و الملل يكون الضجر ، ثم النفور ، و عندئذ يثمر الكلام عكس المقصود منه ، ويشترط أيضاً أن لا يكون بسط الكلام عن طريق الاستطرادات الخارجة عن أصل موضوع الكلام ، و معلوم أن الاستطرادات تجرها أدنى مناسبة .

* * *

ثالثاً — و من جهة تواصل الجمل بأدوات الربط وتفاصلها : فقد حرر علماء البلاغة ضوابط ذلك فى مبحث « الفصل والوصل » تحريراً كاملا فيما أرى الآن ، إلا أن ضوابطهم تحتاج إلى تطبيقات واسعة على الأمثلة ، لتدريب المهتمين بفنون الأدب و صناعة الكلام .

فعلى رجال الدعوة إلى الله أن يكونوا عـلى بصيرة بمحاسن الفصل و الوصل بين الجمل فى الكلام ، حتى يكون كلامهم أرفع أدباً ، و أعظم تأثيراً .

و أعظم معـلم لمحاسن الفصل و الوصل بين الجمل كتاب الله ، ثم أقوال الرسول ﷺ .

أدب التربيــة و المواعــظ

(٤)

سعادة الدكتور غريب جمعة (القاهرة)

الكلام على قوله تعالى : « و قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه »

أصل القضاء الحتم وهو فى القرآن على ثلاثة عشر وجهاً : أحدها : الفراغ « فاذا قضيت الصلاة » (١) . و الثانى : الفعل « فاقض ما أنت قاض » (٢) . و الثالث : الاعلام « و قضينا إلى بنى اسرائيل » (٣) . و الرابع : الموت « ليقض علينا ربك » (٤) . والخامس : وجوب العذاب « وقضى الأمر » (٥) . و السادس : التمام « من قبل أن يقضى إليك وحيه » (٦) . والسابع : الفصل « وقضى بينهم بالحق » (٧) . والثامن : الخلق « فقضاهن سبع سموات » (٨) . و التاسع : الحتم « وكان أمراً مقضياً » (٩) . و العاشر : ذبح الموت « إذ قضى الأمر » (١٠) . و الحادى عشر : إغلاق أبواب جهنم « و قال الشيطان لما قضى الأمر » (١١) . و الثانى عشر : الحكم « حرجاً مما قضيت » (١٢) . و الثالث عشر : الأمر « و قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » (١٣) .

---

(١) سورة الجمعة — (٢) طه / ٧٢ — (٣) الاسراء / ٤

(٤) الزخرف / ٧٧ — (٥) هود / ٤٤ — (٦) طه / ١١٤

(٧) الزمر / ٧٥ — (٨) فصلت / ١٢ — (٩) مريم / ٢١

(١٠) الزمر / ٦٩ — (١١) إبراهيم / ٢٢

(١٢) النساء / ٦٥ — (١٣) الاسراء / ٢٣

قوله تعالى « و بالوالدين إحسانا » و هو البر و الاكرام ، « إما يبلغن » قال الفراء : جعلت يبلغن فعلا لأحدهما وكرر عليه كلاهما ، وقرأ حمزة والكسائي : « يبلغان » على التثنية لأنهما قد ذكرا قبل ذلك ، ثم قال : « أحدهما أو كلاهما » على الاستئناف كقوله : « فعموا و صموا » ثم استأنف فقال : « كثير منهم » .

« فلا تقل لهما أف » أى لا تقل لهما كلاماً تتبرم فيه بهما إذا كبرا ، قال أبو منصور اللغوى أصل أف ! نفخك الشئ يسقط عليك التراب أو نحوه و للكان تريد إماطة الأذى عنه فقيلت لكل مستقل . قوله تعالى « و لا تنهرهما » أى لا تكلمهما ضجراً صائحاً فى وجوههما ، قال عطاء بن أبى رباح: لا تنفض يدك عليهما .

قال العلماء : إنما نهى عن الأذى لهما فى حالة الكبر وإن كان منهياً عنه فى كل حال لأن حال الكبر يظهر فيها ما يضجر و يؤذى و تكثر خدمتهما .

« و قل لهما قولا كريماً » أى لينا لطيفاً أحسن ما تجد ، و قال سعيد بن المسيب : قول العبد المتذلل للسيد الفظ .

« و اخفض لهما جناح الذل » أى ألن لهما جانبك متذللا لهما من رحمتك إياهما ، و خفض الجناح عبارة عن السكون و ترك التعصب و الايذاء .

« و قل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً » أى مثل رحمتهما إياى فى صغرى حين ربيـــانى .

أخبرنا هبة الله بن محمد ، أنبأنا الحسن بن على ، أنبأنا أبو بكر بن مالك ، أنبأنا عبد الله بن أحمد ، حدثنى أبى ، حدثنى وكيع حدثنا مسعر و سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن العباس المكى ، عن عبد الله بن عمر قال : جاء رجل يستأذن النبي ﷺ فى الجهاد ، فقال رسول الله ﷺ « أحى والداك »؟ قال نعم ، « قال ففيهما فجاهد » أخرجاه فى الصحيحين .

و بالاسناد حدثنا وكيع ، قال حدثنا سفيان ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله ﷺ « لا يجزى ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه » .

أخبرنا على بن عبد الله بن أحمد بن الحسن ، و عبد الرحمن بن محمد ، قالوا حدثنا عبد الصمد بن المأمون ، أنبأنا على بن عمر السكرى ، حدثنا محمد بن على بن حرب ، حدثنا سليمان بن عمر ، حدثنا عيسى بن يونس ، ح و أنبأنا على بن عبد الله ، ومحمد بن عبد الباقى ، أنبأنا أبو محمد الصيريفينى ، أنبأنا أبو حفص الكنانى ، أنبأنا أبو عبد الله بن مخلد ، حدثنا يونس بن يعقوب ، حدثنا على بن عاصم ، ح و أنبأنا محمد بن عبد الباقى ، أنبأنا أبو إسحاق البرمكى ، حدثنا أبو محمد بن ماسى ، أنبأنا أبو مسلم الكجر ، حدثنا محمد بن عبد الله الانصارى ، عن بهز بن حكيم بن معوية بن حيدة القشيرى عن أبيه عن جده ، قال قلت : يا رسول الله من أبر ؟ قال : أمك ، قلت: ثم من ؟ قال: أمك ، قلت: ثم من ؟ قال: أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب .

أخبرنا عمر بن ظفر ، أنبأنا أبو غالب الباقلاوى ، أخبرنا القاضى أبو العلاء الواسطى ، أنبأنا أبو نصر النيازكى ، أنبأنا أبو الخير الكرمانى ، حدثنا البخارى ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، أنبأنا محمد بن أبي جعفر بن أبي كثير ، أخبرنى زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه أتاه رجل فقال : إنى خطبت امرأة فأبت أن تنكحنى ، و خطبها غيرى فأحبت أن تنكحه فغرت عليها فقتلتها فهل من توبة ؟ قال : أمك حية ؟ قال : لا ، قال : تب إلى الله عزوجل و تقرب إليه ما استطعت ، فسألت ابن عباس لما سأله عن حياة أمه ؟ قال : إنى

لا أعلم عملا أقرب إلى الله عزوجل من بر الوالدة .

وكان أبو هريرة رضى الله عنه إذا أراد أن يخرج من بيته وقف على باب أمه فقال : السلام عليك يا أماه و رحمة الله و بركاته ، فتقول : و عليك السلام و رحمة الله و بركاته .

فيقول : رحمك الله كما ربيتنى صغيراً ، فتقول : رحمك الله كما بررتنى كبيراً ، و إذا أراد أن يدخل صنع مثل ذلك .

وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ أبر من كان فى هذه الأمة بأمهما : عثمان بن عفان وحارثة بن النعمان رضى الله عنهما .

أما عثمان فانه قال : ما قدرت أتأمل وجه أمى منذ أسلمت .

و أما حارثة فكان يطعمها بيده و لم يستفهمها كلاماً قط تأمر به حتى يسأل من عندها بعد أن يخرج : ماذا قالت أمى؟ وكان حجر بن عدى بن الأدبر يلتمس فراش أمه بيده فيتهم غلظ يده فينقلب عليه على ظهره ، فاذا أمن أن يكون عليه شئ أضجعها .

وكان ظبيان بن على من أبر الناس بأمه ، فباتت ليلة وفى صدرها عليه شئ ، فقام على رجليه قائماً يكره أن يوقظها ويكره أن يقعد ، حتى إذا ضعف جاء غلامان من غلمانه فمازال معتمداً عليهما حتى استيقظت من قبل نفسها ، وكان محمد بن سيرين لا يكلم أمه بلسانه كلمة تخشعاً لها .

وكان محمد بن المنكدر يضع خده على الأرض ثم يقول لأمه : ضعى قدمك عليه ، وقال ابن المنكدر : بت أغمز رجل أمى و بات أخى عمر يصلى و ما يسرنى أن ليلتى بليلته !

و روينا عن ابن عون أن أمه نادته فأجابها ، فعلا صوته على صوتها فأعتق

ر قبتين ، و قال بشر الحافى : الولد يقرب من أمه بحيث يسمع أمه أفضل من الذى يضرب بسيفه فى سبيل الله ، و النظر إليها أفضل من كل شئ .

و فى الصحيحين من حديث أنس عن النبى ﷺ أنه ذكر فى الكبائر عقوق الوالدين ، وفيهما من حديث جبير بن مطعم عنه ﷺ أنه قال : « لا يدخل الجنة قاطع » قال سفيان : قاطع رحم .

وفى حديث عبدالله بن عمرو عن النبى ﷺ أنه قال : « لا يدخل الجنة عاق » ،

وقال محمد بن محيريز : من مشى بين يدى أبيه فقد عقه إلا أن يمشى فيميط الأذى عن طريقه و من دعا أباه باسمه و بكنيته فقد عقه إلا أن يقول يا أبت .

و فى حديث أبى أسيد أن رجلا قال يا رسول الله : هل بقى من بر أبوى شئ بعد موتهما ؟ قال « نعم ، خصال أربع : الدعا والاستغفار لهما ، أو إيفاء عهدهما ، أو إكرام صديقهما ، و صلة الرحم التى لا رحم الك إلا من قبلهما » .

و روى ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : « أبر البر صلة المرء أهل ود أبيه بعد أن توفى » .

أخبرنا ابن الحصين ، أنبأنا ابن المذهب ، أنبأنا أبو بكر بن مالك ، أنبأنا عبد الله بن أحمد حدثنى أبى ، حدثنا يحى بن غيلان ، حدثنا رشدين ، عن زياد ، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى ، عن أبيه عن النبى ﷺ أنه قال :

« إن لله تعالى يوم القيامة عباداً لا يكلمهم يوم القيامة و لا يزكيهم و لا ينظر إليهم ، قيل له : من أولئك يا رسول الله ؟ قال : متبرىء من والديه راغب عنهما ، و متبرىء من ولده ، و رجل أنعم عليه قوم فكفر نعمتهم وتبرأ منهم »

وفى الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : « إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل : يا رسول الله و كيف يلعن

الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه ».

سجع على قوله تعالى :

« و قل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً »

الويل كل الويل لعاق والديه ، و الخزى كل الخزى لمن باتا غضاباً عليه ، أف له هل جزاء المحسن إلا الاحسان إليه ، أتبع الآن تفريطك فى حقهما أنيناً و زفيراً « و قل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً »

كم آثراك بشهوات على النفس ولوغبت ساعة صارا فى حبس ، حياتهما عندك بقايا شمس ، لقد راعياك طويلا فارعهما قصيراً « وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً »

كم ليلة سهرا معك إلى الفجر يداريانك مدارة العاشق فى الهجر ، فان مرضت أجريا دمعاً لم يجر ، تالله لم يرضيا لتربيتك غير الكف والحجر سريراً « وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً »

يعالجان أنجاسك و يحبان بقاءك و لو لقيت منهما أذى شكوت شقاءك ، ما تشتاق لهما ، إذا غابا و يشتاقان لقاءك ، كم جرعاك حلواً و جرعتهما مريراً « وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً »

أتحسن الاساءة فى مقابل الاحسان ، أو تأنف الانسانية للانسان ، كيف تعارض حسن فضلهما بقبيح العصيان . ثم ترفع عليهما صوتاً جهيراً ، « و قل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً »

تحب أولادك طبعاً فأحبب والديك شرعاً ، وارع أصلا أثمر لك فرعاً ، واذكر لطفهما بك وطيب المرعى أولا وأخيراً « وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً »

تصدق عنهما إن كانا ميتين ، وصل لهما و اقض عنهما الدين ، واستغفر لهما و استدم هاتين الكلمتين ، و ما تكلف إلا أمراً يسيراً ، « و قل رب ارحمهما كما ربيـــانى صغيراً »

(يتبع)

تقويم الترجمات لمعانى القرآن الكريم

(٢)

الدكتور عبد الله عباس الندوى

قبل أن أنهى هذا الجزء من البحث حول الترجمة اللفظية للقرآن الكريم أرى أن ألخص نتيجة البحث على الوجه التالى :

إن الترجمة اللفظية أو الحرفية بالمثل حيث يترجم نظم القرآن بلغة أخرى تحاكيه حذواً بحذو، تحل المفردات والأساليب محل المفردات والأساليب حتى تتحمل الترجمة ما تحمله نظم الأصل من المعانى المقيدة بكيفياتها البلاغية وأحكامها التشريعية، غير ممكن على الاطلاق و ذلك لأسباب :

١- القرآن معجزة و قد تناصرت الأدلة و انعقد الاجماع على أن القرآن معجزة و إنما الخلاف فى سبب إعجازه فمن قائل : إنه شرف الغرض وتنوع المقصد و الاخبار بالغيب، و من قائل : إنه الفصاحة الرائعة والمذهب الواضح والأسلوب المــــوثق .

٢- الترجمة بامكانها نقل اللب و الجوهر من المعنى و لا تتحمل أداء ما فى الأصل من البلاغة و روعة البيان، وذلك فى كلام البشر فأنى يتيسر ذلك فى كتاب الله المعجز .

٣- إن القرآن نزل على أسلوب الخطاب و الحوار و هذا يعنى أن هناك خلفيات للآيات لا يمكن نقلها فى الترجمة بالمثل .

٤- اللغات الأجنبية فقيرة فى كلمات تعبر عن مشاعر النفس و الروح فى حين أن القرآن مليئ بمثل هذه التعابير .

٥- هناك عدد كبير من الكلمات لا توجد لها مرادفات فى اللغات الأخرى .

٦- غزارة المادة و صيغها و خاصة بالعربية لا يمكن ترجمتها بكلمة مماثلة .

٧- فى القرآن كلمات متقاربة المعنى ، يوهم الأجنبى أنها مترادفة بعضها لبعض فى حين أن هناك فروقاً دقيقة ولكن المترجم يضطر لفقر لغته إلى اعتبارها مترادفة .

٨- هناك محذوفات فى القرآن لا يصعب فهمها على العربى لسليقته ، ولكنها صعب الفهم لغير العربى ، فيضطر المترجم إلى أن يضيف كلمة أو كلمات لربط الجمل أو بشرح من عنده بدون الاعتبار إلى نظم القرآن .

٢- الترجمة التفسيرية للقرآن :

عقد الأستاذ المرحوم محمد حسين الذهبى رحمه الله فى كتابه التفسير والمفسرون فصلا بهذا العنوان قال فيه :

« الترجمة التفسيرية عبارة عن شرح الكلام و بيان معناه بلغة أخرى بدون محافظة على نظم الأصل و ترتيبه و بدون المحافظة على جميع معانيه المرادة منه وذلك بأن نفهم المعنى الذى يراد من الأصل ثم نأتى له بتركيب من اللغة المترجم إليها يؤديه على وفق الغرض الذى سيق له » .

و لايضاح الفرق بين الترجمة الحرفية و الترجمة التفسيرية أتى الأستاذ الذهبى بمثال من القرآن الكريم :

و لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك و لا تبسطها كل البسط .

وقال: إن الترجمة الحرفية لهذه الآية فى لغة أخرى قد تكون مثاراً للضحك فانه لا يعقل أن يربط إنسان يده إلى عنقه ، و يفهم موضع النهى من الآية ، و لكنه إذا كانت الترجمة تفسيرية فيشرح المترجم أن تعبير القرآن و القصد منه النهى عن الاسراف و التقتير ، و هذا هو مخلص ما قاله الذهبي فى كتابه عن الترجمة التفسيرية .

و الآن أرى أن استعرض الترجمات الحرفية و التفسيرية حتى يتبين لنا مدى صلاحية الترجمة التفسيرية ثم نأتى على عرض بعض المشاكل فى الترجمة التفسيرية .

من ترجموا هذه الآية ترجمة حرفية بدون التصرف منهم .

الأستاذ محمد مارديوك بكتهال : فقد ترجم الآية كما يلى .

And let not thy hand be chained to thy
Neck nor open it With a complete opening
Lest thou sit down rebuked denuded .

و هذه الترجمة و إن لم تكن مثاراً للضحك كما زعم الأستاذ الذهبي رحمه الله و لكنها فى الواقع لا يدل على المراد و هو المنع عن التبذير و التقتير .

و المترجم المعروف للقرآن الكريم السيد عبد الله يوسف على ترجم هذه الآية على النحو التالى .

Make not thy hand tied
(Like a niggard ,s) to thy neck
Nor stretch it forth to its utmost
Reach so that thau become
Blameworthy anb distitute .

ونجد فى هذه الترجمة أن الاشارة فى القوسين (Like a niggard's) أزالت شيئاً من الابهام عن ذهن القارىء الذى لا يعرف هذه الاستعارة غير أنه لم يتضح من ترجمته أن الآية ترمى إلى منع مخاطبيه عن الاسراف و البخل .

و ترجم محمد على اللاهورى المعروف بمولانا محمد على هذه الآية كما يلى .

And make not thy hand to shackled
To thy neck , nor stretcn it forth to the
Utmost (limit) of its stretching forth , lest thau
Sit down blamed , stripped off .

هذه الترجمات الثلاث كانت نموذجاً للترجمة الحرفية ، أما الذين ترجموا الآية ترجمة تفسيرية بدون النظر إلى كلمات القرآن وتعبيره الخاص فمنهم السيد بير صلاح الدين الباكستانى فقد ترجم معنى الآية .

Be neither miser nor
Spendthrift , lest you should incur
Blame or become penniless .

هذه الترجمة التفسيرية أبعدت القارىء عن تعبير القرآن من جهة و من جهة أخرى أعطت فكرة منقوصة عن مدلول الآية القرآنية ، إذ زعم معنى المحسور Penniless أى معدماً وقد لخص معنى الآية جورج سيل نقلا عن تفسير البيضاوى

Be neither niggrdly nor profuse , but
Observe the mean between the two
Extreemes. lest thau become worthy
Of repertension and be reduced to
poverty .

و لست أدرى ما حل المترجم بين صلاح الباكستانى و المترجم المستشرق القديم على ترجمة « محسور » بالفقر و العدم ، و مادة حسر كما أثبت الراغب الأصفهانى تفيد معنى كشف الملبس عما عليه ، والحسرة هو الغم على مافات والندم عليه ، يجوز أنهم آثروا ترجمة الكلمة بما هو سبب الحسرة .

أما الأستاذ المفسر محمد أسد فقد جمع بين أصالة روح القرآن و تعبيره وبين الافادة عن معنى الآية وذلك بضم كلمات الشرح والايضاح إلى الترجمة الحرفية .

And neither allow thy hand to
Remain shackled to the neck
Nor stretch it forth to the utmost
Limit (of tht capacity) lest thau
Find thyself blamed (by the dependants)
Or even destitute .

وقد أوفى معنى الآية على الهامش مشيراً إلى أنه تعبير مجازى للقرآن قصد به النهى عن الاسراف والتبذير ، والأمر بالاستقامة على طريق التوسط والاعتدال ، هكذا فعل المفسر الهندى الشيخ عبد الماجد دريابادى ، حيث ترجم الآية حرفية مع إدخال كلمات الايضاح فى ترجمة النص ، و تذييل الايضاح .

و الآن وقد قدمت طائفة من النماذج للترجمات الحرفية و التفسيرية ، آخذاً بعين الاعتبار ما ذكره الأستاذ المرحوم الشيخ محمد حسين الذهبى فى كتابه التفسير و المفسرون أرى أن أشير إلى جوانب الضعف فى الترجمات التفسيرية :

١ـ الترجمة التفسيرية أو تفسير القرآن الكريم بغير لغته يجعل القارىء لا يعبأ بالنص القرآنى و يعده من تعابير قرآنية و هى على حد ذاتها تحمل قيمة

روحية لها نفوذ فی العقل البشری ، و تأثير فی القلوب .

و لنقرأ مثلا هذه الآية الكريمة

« كلا نمد هؤلآء و هؤلآء من عطاء ربك و ما كان عطاء ربك محظوراً »

و لننظر كيف يرتاح القلب و تهتز المشاعر و تطمئن النفس عند تلاوة هذه الآية و إلى هذا النغم السماوی الساحر ثم تنظر إلى الترجمة التفسيرية .

WE SHALL BESTOW OUR BLESSING

ON ALL OF THE PEOPLE,NOBODY

SHALL BE DENIED .

٢— تفسير القرآن بغير لغته حسب ما نسميه الترجمة التفسيرية يترك المجال للترجم أن يترجم نظرياته الخاصة باسم القرآن ، و يجعل القرآن مطية لبيان أفكاره و نظرياته الخاصة به . و تكفی الاشارة إلى تفاسير الصوفية و الفرق الباطلة و القاديانية و تصرفاتهم فی الترجمات و التفاسير ، و مثال ذلك الصوفی التركی الشيخ أحمد إسماعيل الحق البرساوی يفسر الآية :

(إن الصفا و المروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما .) بقوله : إن الصفا هو لطيفة الأرواح و المروة هو لطيفة القلب . و هما أكبر شعائر الدين فی عالم الأرواح . فمن قصد رب البيت أو انقطع إلى ذكره فلا حرج عليه أن يقوم و يقعد فی حلقات الذكر .

٣— إن المستشرقين الذين نظروا إلى القرآن كمجموعة من الأحاديث و القصص وضعها الرسول (ﷺ) أخذوا بتأويل كل آية تعطی فكرة عن رسالة الاسلام على أنها موجهة إلى الانسانية جمعاء ، و مثال ذلك أن جورج سيل المترجم المعروف يترجم خطاب القرآن « يا أيها الناس » O men Of Mecca

و يزعم أن محمداً (ﷺ) كان يريد إصلاح بنى جلدته و تقدمهم اقتصادياً و سياسياً ولم يقصد إلى مخاطبة البشر كله و نسى جورج سيل أو تناسى أن القرآن يفسر بعضه بعضاً . و أنه وجه رسالته إلى العالم كله ففى آية :

(و ما أرسلناك إلا كافــة للناس بشيراً و نذيراً و لكن أكثر الناس لا يعلمون) (السبا ٢٨)

و على الرغم أن سورة البقرة مدنية النزول بلا خلاف كما أكد ذلك ابن كثير (٧٧٤) فى تفسيره و سورة سبا مكية ، و جورج سيل يزعم أنه لم يطمح توجيه رسالته خارج قبيلته .

٤ــ نظراً إلى أن المفسرين القدامى مثل الرازى والبغوى والبيضاوى اعتادوا أن يذكروا فى تفاسيرهم جميع ما وصل إليهــم من أقوال عامــة و شاذة و يذكرونها بقولهم التقليدى « قيل » و هذا « القيل » يصبح سنداً قوياً لمن أراد تحريف معانى القرآن ، و هو يستند إليه فى تفسيره و يشير إلى تلك المراجع كأمر معترف به و مثال ذلك أن البيضاوى ذكر من بين الأقوال العديدة فى تفسير كلمــة « العالمين » إنه قيل معناه عالم الانس و عالم الجن و عالم المــلائــكة « فتشبث به كل من جورج سيل و سر ريتشرد برطن » Sir Rechard Burton و ترجم أول آية من القرآن (الحمد لله رب العالمين) على النحو التالى :

Praise Be To Allah Who Three

Worlds Made .

و عدله جورج سيل على النحو التالى :

Praise Be To God , The lord Of All Creatures

ترجم Stanley بعض السور من القرآن إلى الانجليزية عام ١٨٤٣ و أسماها

The Speach & Table Talks Of Mohmmde

ولا شك أن القصد من وراء هذه الترجمة المنحرفة هو إعطاء فكرة خاطئة أن رسالة الاسلام كانت محلية و موقتة و « أنى لابن البادية أن يتصور و يحلم أن هناك عالماً غير ما يعيشه و تعيش دوابه » (E. W. LANE فى كتابه المختارات القرآنية طبع ليدن عام ١٨٤٣) و هذا غير مستغرب من الذين لم يملكوا إخفاء ما فى صدورهم من حقد و كراهية ضد الاسلام ، و لكننا نرى أنه كل من أراد أن يفسر القرآن حسب مرئياته يجد سنـــداً من الأقوال الشاذة فى كتب التفسير و الأحاديث الضعيفة و الموضوعة .

هكذا نجد أن القواميس و المعاجم توفر مادة و سنداً لبيان الآراء الشاذة و المعانى المستبعدة و مثال ذلك كلمة « الابل » فى الآية (أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت) فقد ترجم ظفر الله خان « بالسحاب » و أغرب من هذا أن الأستاذ محمد أسد الذى يعرف العربية أكثر من معاصريه ممن ترجموا القرآن مال إلى هذه الترجمة ، مستنداً إلى لسان العرب و المعاجم الأخرى ، و بعد ما راجعت الأصل ظهر لى أن أصحاب القواميس يذكرون كل ما وصل إليهم و لو من فرد واحد ، و لكنهم يبدأون بالمعنى المتواتر الأصل ، ثم يردفون بأقوال شاذة . فلا شك أن ابن منظور ذكر من بين معانى « الابل » السحاب كذلك ، و لكنه لم يذكر هذا إلا بعد إيراد المعانى المعلومة .

فى ضوء ما ذكرت من الآثار السيئة لتفسير القرآن بغير لغته أو الترجمة التفسيرية أرى أن ترجمة معانى القرآن بهذه الطريقة لا يخلو من خلل ، و فيه إطلاق الحرية لكل من شاء أن يعرب عن مرئياته و آرائه . وهى الترجمة التفسيرية

ـ يجعل القرآن مثل ترجمات الأناجيل حيث لا يعرف الدارس اليوم ما هو مقدار الأصل من بين أقوال الشارحين .

وبعد استعراض أنواع الترجمة لمعانى القرآن أرى أنه لابد من أن تكون لدى علمائنا و المثقفين منا أسس لتقييم الترجمات . و ماذا تكون هذه الأسس يا ترى ، و فى مجتمعاتنا الاسلاميـــة أنواع و أنواع من العقائد و النظريات و الآراء و الاتجاهات ، و الأسس لا بد من أن تكون مقبولة لدى الجميع ، و على هذا أجد الموضوع عويصاً إلا أن نقيم الأسس فى ضوء العقيدة التى عليها جمهور المسلمين و أغلبيتهم الساحقة ، وهم أهل السنة و الجماعة من المسلمين ، و قد انعقد الاجماع على أن القرآن نزل لغرضين أساسين :

أولهـــما : كونه آية دالة على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن ربه و ذلك بكونه معجزاً للبشر ، لا يقدرون على الاتيان بسورة مثله و لو اجتمع الانس و الجن على ذلك :

و ثانيـــهما : هداية الناس لما فيه صلاحهم وفى دنياهم و أخراهم .

أما الغرض الأول وهو كونه آية على صدق النبي ﷺ فلا يمكن تأديته بالترجمة اتفاقاً فان القرآن ـ وإن كان الاعجاز فى جملته بعدة معان كالاخبار بالغيب واستيفاء تشريع لا يعتريه خلل ، وغير ذلك مما عد فى وجوه إعجازه ـ إنما يدور الاعجاز السارى فى كل آية منه على ما فيه من خواص بلاغية جاءت لمقتضيات معينة و هذه لا يمكن نقلها إلى اللغات الأخرى اتفاقاً فان اللغات الراقية و إن كان لهـــا بلاغة و لـكن لكل لغة ملامحها المنفردة لا يشاركها فيها غيرها من اللغات و إذاً لو ترجم القرآن ترجمة حرفية ـ وهذا محال ـ لضاعت خواص القرآن البلاغية و لنزل القرآن من مرتبته المعجزة إلى مرتبة تدخل تحت طوق البشر و لفات هذا المقصد العظيم الذى

نزل القرآن من أجله على سيدنا محمد ﷺ .

أما الغرض الثانى و هو كونه هداية للناس إلى ما فيه سعادتهم فى الدارين فذلك باستنباط الأحكام و الارشادات منه ، وهذا يرجع بعضه إلى المعانى الأصيلة التى يشترك فى تفاهمها و أدائها كل الناس و تقوى عليها جميع اللغات و هذا النوع من المعانى يمكن ترجمته و استفادة الأحكام منه ، و بعض آخر من الأحكام و الارشادات يستفاد من المعانى الثانوية و نجد هذا كثيراً فى استنباطات الأئمة المجتهدين ، و الترجمة الحرفية إن أمكن فيها المحافظة على المعانى الأولية فغير ممكن أن يحافظ فيها على المعانى الثانوية مع أنها لازمة للقرآن دون غيره من سائر اللغات .

هذا من ناحية نظم القرآن . و المعانى المستفادة منه . أما من ناحية الكلمات المشتركة المعنى ، أو الكلمات التى توحى نوعاً من العقيدة عن الكون و التاريخ و أسوة الأنبياء السابقين و فيها خلاف بين المفسرين القدامى و المحافظين و بين المفسرين المتأخرين . مثل كلمة ، التابوت ، و معناها عند السلف بالاجماع هو صندوق التوراة و كان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بنى إسرائيل و لا يفرون ، و يرى بعض المتأخرين أنه القلب (١) . « HEART » نظراً إلى أن القلب هو محل السكينة وليس الصندوق . ولكنهم ينسون أو يتناسون أن القلب لا ينتقل من مكان إلى مكان ، و لا يأتى به أحد من الخارج .

و الله سبحانه و تعالى يقول . (و قال نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت) و هناك معتقدات للسلدين مثل عقيدتهم على وجود الجن كمخلوق من الله ، خلقه الله من نار . و فيهم المؤمنون ومنهم الفاسقون ، و وجود الملائكة ،

(١) استناداً إلى ما نقله الزمخشرى فى الأساس و البيضاوى فى تفسيره من الأقوال الشاذة التى يذكرونها تحت كلمة « قيل » .

و الايمان بالمعجزات التی أتی بها الأنبياء لتصديق نبواتهم ، و رفع سيدنا عيسى إلى السماء (حياً) وعقيدة جمهور المسلمين بأن محمداً ﷺ كان آخر الأنبياء ولا نبي بعده لا تابعاً ولا متبوعاً لا صاحب شريعة ولا صاحب هداية بدون شريعة جديدة ، فاذا كانت الترجمة طبقاً لعقائد الجمهور التی مصدرها القرآن بدون اللجوء إلى التأويل و الأخذ بالأقوال الشاذة ، تكون مقبولة و لا بأس بأن يوجد فيها بعض الآراء الشاذة التی لا تمس العقيدة ، مثل ترجمة الالية و الآلاء بالقوة ، و ترجمة الابل بالسحاب ، و ترجمة الابتلاء بالتربية و نحو ذلك .

فاذا عثرنا على ترجمة جديدة رأينا عقيدة المترجم من خلال ترجماته وتفسيره ، فتلك العقائد و مدى مقدرته على فهم كتاب الله واللغة التی اختارها للترجمة شرط أساسی لصحة الترجمة و المترجم .

مصادر البحث :

ترجمات القرآن الكريم لكل من الأساتذة .

محمد ما رديوك بكتهال . عبد الله يوسف علی . عبد الماجد دريابادی .

محمد أسد آربری . بيل - رودويل . جورج - سيل . محمد علی اللاهوری .

ظفر الله خان .

من كتب التفاسير :

الكشاف للزمخشری . ابن كثير . ابن جرير . القرطبي .

من كتب المعاجم :

قاموس إنجليزی . FUNK & WAGNALL'S STANDARD DICTIONARY

مفردات الراغب للأصفهانی .

من كتب فی علوم القرآن :

معترك الأقران فی إعجاز القرآن للسيوطی . أمـلاء ما من به الرحمن لأبی البقاء عبد الله العكبری . الاتقان فی علوم القرآن للسيوطی . البرهان للزركشی . التفسير و المفسرون للذهبي .

الحلقة الرابعة

من بحوث

الندوة العالمية للأدب الإسلامي

اختيار النصوص الأدبية من وجهة النظر الاسلامية

محمد عبد الحميد غراب
موجه اللغة العربية
بوزارة التربية و التعليم و الشباب

أهمية التربية فى بناء الفرد المسلم و المجتمع الصالح :

إن التربية و التعليم من الموضوعات الهامة التى تبنى الأمم و الأفراد، وبهما تمنع الأجيال و تتطور الأمم .

و لا ريب أن الأمة الاسلامية اليوم فى حاجة إلى تنقيح أنظمتها التربوية و مناهجها الدراسية لربطها بتراثها الاسلامى الخالد ، و تعميق المفاهيم الاسلامية التى ينادى بها ديننا الحنيف حتى تكون هذه الأمة هى خير أمة أخرجت للناس .

والتربية لا تنشأ من فراغ ، وإنما هى أساليب ينقل بها تراث الأمة الخلاق من الآباء إلى الأبناء و عن طريقها تتطور حضارة هذه الأمة ، و تحقق رسالتها فى الحياة كما أرادها الله عز و جل .

و لذا كان من الخطأ الكبير استيراد مناهج فكرية ، أو أنظمة تربوية من مجتمع إلى آخر يختلف عنه فى التصورات الفكرية ، و العقائد الدينية .

يقول العلامة الأستاذ « أبو الحسن الندوى » فى ذلك :-

و كلما استعير منهاج من بلاد غير إسلامية ، أو اختيرت كتب وضعت فى بلاد غير مسلمة و لناشئة غير مسلمة كان هذا المنهاج ، و كانت هذه الكتب قلقة

نابية لا تغنى ولا تساعد فى المطلوب و يكون الصراع مستمراً بين الفكر الاسلامى و الروح الاسلامى ، و بين العقلية الجديدة و النفسية الجديدة التى تنشأ بتأثير هذه الكتب ، و مفعول هذا النظام التعليمى . . و هذا الصراع ليس أقل شؤماً لهذه الأمة ، ولا أقل جناية على حياتها و إسلامها من صراع الدين و السياسة و العقل و الديانه فى أوربا فى قرونها الوسطى .

و قد تجلى هذا الصراع و استفحل فى جميع الأقطار الاسلامية التى أخذت العلوم الغربية برمتها ، و الكتب المقررة فى البلاد الأجنبية ، أو الكتب الخالية من روح الدين على علاتها و طبقت نظام أوربا أو بلاد أخرى فى التعليم فى بلادها ، أو أدخلت عليه شيئاً من التعديل فكان غاية ذلك بعد مدة قليلة فوضى فكرية هائلة ، و اضطراب وتناقض فى الأفكار و الآراء ، وشك و ارتياب فى الدين ، و استخفاف بفرائضه و واجباته ، و ثورة على الآداب و الأخلاق ، و ضعف و انحطاط فى الأخلاق و السيرة ، و تقليد للأجانب فى القشور و الظواهر ، و تبذير للأموال إلى غير ذلك . . . (١) .

التربية الاسلامية و تحديات العصر :

لقد كان المستعمرون فى غاية المكر عندما بدأوا محاربتهم للاسلام من المدرسة . . و من خلال مناهج التربية و التعليم التى ألزموا بها وزارات التربية و التعليم و المعارف فى الدول الاسلامية حتى أصبحت هذه المناهج تخرج أجيالا من شبابنا لا ينتمى إلى عقيدته و لا تاريخه ، و لا يفقه شيئاً عن دينه و إسلامه ألهم إلا القشور القشور ، مما قد يضطره إلى الانسياق وراء الزيف الخادع لهذه المناهج ، ومهاجمة منهج الله الذى جاء هدى و نوراً للعالمين .

---

(١) التربية الاسلامية الحرة ص ٢٣٧

و أصبحنا نرى فى بلادنا الاسلامية سيطرة القانون الوضعى على قانون السماء، و نرى سيطرة النظام السياسى و المفاهيم القومية و العنصرية على مفهوم الاخاء الاسلامى . .

و قد أدى هذا كله إلى انحسار المفاهيم الاسلامية المنبثقة من القرآن الكريم و السنة النبوية ، نتيجة لهذا الغزو الثقافى و التغريب الفكرى ، و التبشير الدينى و الاستشراق الماكر . . و قد ظهر هذا التحدى الخطير للتربية الاسلامية فى أمور كثيرة منها :—

أولا):— الغزو الفكرى الذى تتعرض له حضارتنا الاسلامية من قبل الغرب وما لديه من كل وسائل الاعلام والتأثير و التوجه . . وإن لم نحصن شبابنا بزاد من الثقافة الاسلامية فنخشى عليهم من الضياع والتردى فى هاوية مالها من قرار .

ثانياً):— تخلف الانتاج الفكر الاسلامى ، ومحاربة أية محاولة لظهور هذا الانتاج و وصمها بالتخلف و الرجعية . .

ثالثاً):— شيوع الثقافة الأجنبية البحتة فى عقول شبابنا المثقف ، وما تحمله هذه الثقافة من نشر سمومها القاتلة حول الاسلام و المسلمين . . و لا بد من تكوين مناعة خلقية و فكرية نابعة من هدى الاسلام لدى هذا الشباب يرد بها على أباطيل أعداء الاسلام .

رابعاً):— جمود مناهج التربية و التعليم و قصور أساليبها عن مراعاة تطورات العصر ، و إيجاد تصور شامل متكامل للحياة الاسلامية القائمة على العلم و العمل ـ و العقيدة و الجهاد . .

خامساً):— ازدواجية التعليم مما أدى إلى تخريج فئتين من المثقفين .. فى الوطن الواحد فئة ثقافتها دينية ، و أخرى ثقافتها عصرية ، ونشأ عن ذلك صراع فكرى

رهيب بين أبناء الأمة الواحدة ، وظهر كثير من المثقفين لا يعرفون عن الاسلام إلا اسمه و لذا كان لا بد من توحيد أساسيات مناهج التعليم ، وفقاً لمبادىء القرآن الكريم ، و سنة رسوله الكريم عليه الصلاة و السلام .

أهداف التربية فى الاسلام :

هناك هدف عام كبير لهذه التربية تندرج تحته أهداف جزئية كثيرة . . هذا الهدف هو :— (تحقيق التقوى فى النفوس بالخشية من الله و مراقبته عزوجل على أساس عقد الصلة الدائمة بين الانسان و خالقه . . و بذلك تصبح لحياة الانسان معنى ، و لأعماله هدفاً ، فتسمو أخلاقه ، وتزكو نفسه و يصبح مؤهلا لخلافة الله فى أرضه ، و متفاعلا مع ظواهر الكون و ميادين الحياة . .)

أما الأهداف الجزئية الأخرى فنها :

١ — بناء شخصية الانسان المسلم السوى ، القادر على احتمال أمانة الانسان المستخلف فى الأرض بالحق ، و القادر على التعرف على الخير و الشر ، و العامل على إقامة المجتمع الربانى المصدر ، الانسانى الطابع ، و الملتزم بالارادة الحرة ذات المسئولية الفردية و الجزاء الأخروى ، و الملتزم بالسلوك الأخلاقى الذى يطبع كل تصرفاته فى شتى مجالات الحياة ، وفقاً لمبادىء الاسلام الحنيف المتوازن فى نظرته إلى الحياة و فهمه لها .

٢ — تربية الفرد المسلم المتكامل النمو (روحياً ـ انفعالياً ـ اجتماعياً ـ عقلياً ـ جسمياً) حتى يكون قادراً على بناء مجتمعه ، و ناصراً لدينه ، و جندياً من جنود الله فى الأرض يعمل على تنفيذ أحكامه ، يرفع رايته فى العالمين ، و حتى يتحرر من التمزق و الاضطراب ، و يتحرر من النظرات الجزئية للحياة .

٣ — تأصيل الشخصية الاسلامية ، و تأكيد ذاتيتها ، و تمجيد مبادئها رداً

على نظريات الالحاد التى دنست مناهجنا التعليمية ، ودأبت على استصغار شأن المسلمين و دورهم الإنسانى فى التطور الحضارى .

أهمية دراسة الأدب و النصوص فى التطور الحضارى :

ميدان الأدب من أهم ميادين الحياة الثقافية فى الأمة ، لأنه الأقدر على تطوير الرأى العام ، و على صوغ الأجيال ، و التأثير فى بناء مقومات الأمة عن طريق وسائله المتنوعة من : القصة ، والصحافة ، و المسرح ، والاذاعة المرئية والمسموعة ، و الكتب ، و غيرها . .

و الحديث عن الأدب يتناول أساليب الأدب ، و نصوصه و موضوعاته و مذاهبه ، ثم لغته و أسلوبه .

و من الحقائق الواضحة أن الأدب و اللغة يسايران ركب الحضارة و يحملان طابعها ، و أدبنا العربى كان ثمرة لنهضتنا ، و قد تعددت موارده ، و تنوعت ثماره حتى أصبح ينافس الآداب الأخرى ، و يتفاعل معها .

ولا نزاع أننا صنعنا أدباً إسلامياً يعبر عن عقيدتنا ، و يدافع عن معتقداتنا ، و يترجم عن إيماننا و شعائرنا و مشاعرنا .

و قد أصبح تدريس الأدب مرتبطا بدراسة النصوص ، و يأتى فى ظلالها ، و تأتى البلاغة لتحقق مدى التذوق الأدبى لهذه النصوص ، و بهذه النظرة الشاملة للأدب تتسع آفاق دراستنا له ، و تكون إحاطتنا بقضاياه دافعاً لنا لتحقيق معنى التكامل و الترابط فى دراسة اللغة العربية ، حتى لا تتجزأ إلى فروع و أقسام ، و نجعل النصوص قسيماً للأدب ، و البلاغة جزءاً منفصلا عن النصوص و إنما تدرس كل هذه الفروع فى تكامل و شمول و ربط . .

و الأدب الجيد بهذا المفهوم يعين على تذوق نواحى الجمال فى الحياة ، كما أنه يثرى هذه الحياة ، و تثير حبنا للغتنا الجميلة ، لغة القرآن الكريم ، و عن طريق هذا الأدب الملتزم نستطيع أن نقضى على الفساد والظلم والطغيان، ونداقع عن الاسلام، و نرد الشبهات و الأباطيل التى زعمها أعداء الاسلام . .

سمات النصوص الأدبية المختارة من وجهة نظر الاسلام :

بعد أن عرفنا أهمية النصوص الأدبية فى التقدم الحضارى للأمة ، فماذا ينبغى علينا مراعاته فى اختيار هذه النصوص لتتفق مع روح الاسلام ، و تواكب نظرته إلى الحيـــاة . . .

هناك ملامح كثيرة ، و أهداف متنوعة لابد من مراعاتها ليتحقق ذلك ، منها :—

١ـ أن تبرز هذه النصوص شخصية الأمة الاسلامية التى ميزها الله على سائر العالم ، و جعلها خير أمة أخرجت للناس ، و يمكنها بذلك أن تتولى مكان الريادة الفكرية و السياسية فى العالم .

٢ـ أن تمثل روح الاسلام بحق ، و تصور اتجاهاته بصدق ، بحيث تكون هذه النصوص قوية الدلالة فى ذلك ، غير خافتة الصوت ، أو حائلة الصورة ، أو ركيكة الأسلوب ، أو منحرفة الاتجاه . .

٣ـ أن ترسخ مفـــاهيم الاسلام الصادقة ، و دعوته الشاملة للحق و الخير و السلام ، و تعمق الانتماء إليه انتماءاً كاملا و هادفاً و داعياً .

٤ـ أن تكون ذات تأثير فنى ، و احساس متدفق ، و عاطفة صادقة تعبر عن أفكار صائبة تعمق اتجاهات إسلامية . .

٥ـ أن ترسم ملامح المسلم الكامل الذى يلتزم بالاسلام منهجاً و سلوكاً فى

كل جوانب الحياة (فى نفسه ، فى عقيدته ، فى عباداته ، فى أخلاقه مع أهله ، مع مجتمعه .. إلخ . . .)

٦ـ أن تتميز بالتنوع والشمول لتمثل بحق العصور التى قيلت فيها ، فلا تركز على لون معين ، أو غرض خاص . .

٧ـ أن نبتعد عن النصوص الساقطة فنياً و فكرياً حتى ولو كانت تمثل اتجاهاً أدبياً ظهر فى عصر من العصور ، لأننا لا نورخ الأدب ، وإنما نتذوقه ، ونتحسس مواطن الجمال فيه ، فوق ما نرى إليه من تثبيت قيم أخلاقية تتفق مع روح الاسلام ، وتعمل على غرس القيم الفاضلة فى سلوك الانسان المسلم . (فلا نركز على النقائض فى العصر الأموى ، و لا أدب المهجر فى العصر الحديث مثلا) .

٨ـ أن تعمق فى نفوس الشباب عقيدة الايمان الصادق ، وتحبب إليهم التضحية فى سبيل هذه العقيدة ، وتثير حماستهم لاقامة المجتمع الاسلامى الذى يستمد أحكامه من القرآن و السنة . .

٩ـ أن تكشف أكاذيب أعداء الاسلام وتفند أباطيلهم ، و ترد على شبهاتهم حول الاسلام و المسلمين . بأسلوب أدبى له تأثيره النفسى .

١٠ـ أن تساعد على مكافحة الاستعمار و مخططاته و فلسفاته ، و تعمل على القضاء على كل البدع و الخرافات التى علقت بهذا الدين العظيم الذى نعتز بالانتساب إليه ، وبذلك نبرزه للعالم بصورته المشرقة الصافية التى تتفق مع عظمته و قداسته .

مجالات من النصوص المختارة التى تحقق وجهة النظر الاسلامية :

ما الموضوعات التى تتناولها هذه النصوص الأدبية لتحقق وجهة النظر الاسلامية ؟ هناك موضوعات كثيرة ، و مجالات عديدة يمكن أن نختار منها هذه الموضوعات :

١ـ أدب الدعوة الاسلامية : الذى يمثل التعريف بالاسلام وبمبادئه الخالدة ، و حث الناس على اتباعه و الدفاع عنه ، و تمجيد أبطاله و الرد على الشبهات التى أثيرت حوله زوراً و بهتانـاً . . .

٢ـ أدب المغـازى و الفتوح : الذى يصور غزوات الرسول عليه الصلاة و السلام وما قيل فيها من شعر و خطب و وصايا ، و حكم ، و أدعية للرسول عليه الصلاة و السلام أثناء هذه الغزوات ، كما يصور المعارك الاسلامية ، و يحض على الجهاد فى سبيل الله " و تعظيم الشهداء و كفاحهم . .

٣ـ أدب مقاومة الاسلام للطغيان الأجنبى و الظلم و الظالمين : و يدعو إلى التحرير من قيود الاستعمار و الظلم ، و يمجد النضال و الفداء ، و يحث على عودة الحقوق إلى أصحابها ويتحدى الصهيونية و جرائمها ويرسم ما يربى الأمل فى التخلص من شرورها و يبصر الشعوب الاسلامية بعدوها المشترك .

٤ـ أدب المدائح النبوية : التى يمتد من صدر الاسلام حتى عصرنا الحديث وما يمثله هذا الأدب من دعوة إلى حب الرسول الكريم عليه الصلاة و السلام ، و الحث على الاقتداء به فى كل جوانب شخصيتنا و حياتنا و عرض لسيرته العطرة ، وصفاته الكاملة ومواقف من حياته الكريمة ليكون لنا فى رسول الله أسوة حسنة . .

٥ـ النثر القصصى الشعبى : الذى يمجد البطولات الاسلامية ، ويثير الحماس فى نفوس الشعوب لمقاومة الظلم و الطغيان فى كل صوره و أشكاله كما فى (قصص بنى هلال سيف بن ذى يزن ، الظاهر بيبرس) .

٦ـ تراجم أدبيـة لشعراء الدعوة الاسلامية منذ فجر الاسلام حتى العصر الحديث : و من خلال هذه التراجم تتعرف عن حياة هؤلاء الشعراء و العوامل

التى كونت اتجاهاتهم الاسلامية و مختارات من شعرهم و عرض لآثارهم الأدبية ، وبيان للدروس التى نتعلمها منهم وكفاحهم فى سبيل الدعوة وبعث الفكر الاسلامى ،

٧ـ الأدب الانسانى الذى يعالج مشكلات الانسان فى الحياة : (فى الأخلاق فى المجتمع ، فى النفس البشرية ، فى التربية ، فى الاقتصاد ، فى السياسة ، .. إلخ) إلى غير ذلك مما قد يسميه البعض (علوماً إنسانية) وهذا ضرب من التجوز لأنها فى الحقيقة فروع تعتمد على الفكر أكثر من اعتمادها على التجربة وموضوعها الانسان وملكاته و رسالاته فى هذه الحياة ..

و هذا الموضوع أحدث فيه الاسلام تأثيراً ، و أشبعه دراسة و بحثاً ، على الرغم مما حاوله الغزو الثقافى لحضارتنا من التقليل من شأن المسلمين فى هذا المجال ،

٨ـ نماذج من مجالس العلم والأدب التى كانت مزدهرة فى العصرين الاسلامى و العباسى و كانت ملتقى العلماء و الأدباء مع الأمراء و الحكام ، و كانت منبراً للنقد و التوجيه و الارشاد ، و كانت تعبيراً عن الحرية التى كفلها الاسلام وكانت مظهراً من مظاهر الرقى الفكرى الذى بعثه الاسلام فى اللغة و الأدب ..

٩ـ أدب الحروب الصليبية و ما يمثله هذا الأدب من الصراع بين الحملات الصليبية المسعورة و بين الاسلام عبر تاريخ طويل ، و مسميات كثيرة يجمعها كلها الحقد على الاسلام والمسلمين ، وظهر ذلك فى صراع المسلمين ضد الصليبيين ، وضد التتار ، و أخيراً ضد الصيونية العالمية ..

١٠ـ (تحت راية القرآن) : تختار نصوص أدبية تتحدث عن الانسان و الكون ، و مشاهد القيامة و آيات الأحكام و نصوص من القصص القرآنى و الوصايا الدينية و خطب الرسول الكريم و أحاديثه الشريفة الجامعة ، و خطب

الخلفاء الراشدين ، والأئمة المجتهدين وجمع ذلك كله فى دراسات شاملة حول العنوان السابق ، لنعمق مكانة الأدب الاسلامى فى نفوس أبنائنا ، و نرسخ مفاهيمهم حول كتاب العربية الأكبر (القرآن الكريم) و بيان أسرار إعجازه ، و نواحى عظمته ، و تنوع و سمو أهدافه . .

١١- الأناشيد الدينية لتلاميذ المرحلة الابتدائية ، و يراعى فيها أن تضع الأسس العقائدية للسلم الكامل و تجيب على السؤال (لماذا أنا مسلم ؟) و تعدد صفات المسلم المتكامل . وتعرف بأحكام الاسلام و قيمة الانسانية و تثبت صلاحيته لكل زمان و مكان .

١٢- الأدب المقارن : الذى نختار مه ألواناً من الآداب العالمية و المقارنة بينها و بين نظيرها فى الآداب الاسلامية ، لنعمق نظرة أبنائنا فى مفاهيم الأدب الاسلامى ، و تؤكد اعتزازهم بدينهم العظيم ، و توصل انتماءهم إليه من خلال هذه المقارنات . .

يتبع

★★★

اللغـــة العربيـــة فى موكب الاسلام

الأستـاذ ثابت ادريس الخطيب
وزارة التربية و التعليم و الشباب
دولة الامارات العربيـــة المتحـدة

كان العرب فى شبه الجزيرة العربية أول من نال شرف الايمان و حمل رسالة الاسلام بحكم بدء الدعوة فى ديارهم لتنطلق منها بعد ذلك إلى أرجاء المعمورة تحمل إلى الناس كافة رحمة مهداة ، و نوراً يبدد الظلمات ، و نظاماً إلهيا يعيش الناس فى ظلاله أخوة متحابين فى الله لا فضل فيهم لعنصر على عنصر ، و لا للون على لون ، و لا لقوى على ضعيف ، و لا لغنى على فقير ، و إنما هم فى ميزانه العـــدل سواء ، يتفاضلون فى التقوى و القرب من الله و الالتزام بأوامره و نواهيـــه .

و خلاصة القول أن الاسلام كان انقلاباً شاملا فى حياة البشرية ، بدأ ببلاد العرب ثم انتقل بسرعة ليشمل رقعة واسعة الأرجاء فى حركة الفتوح الاسلامية التى لم يشهد التاريخ لها مثيلا ، فهى لم تكن قهرا للشعوب ، و لا إرهابا للانسان ، وإنما كانت فتوحاً خيرة تفتحت لها بصائر الناس الذين شرح الله صدورهم للاسلام ، فاستقبلوه مع الفاتحين وهم فى أشد الحاجة إليه ، و دخلوا فيه أفواجاً دون إكراه من أحد ، وإنما كان إقبالا عن طواعية تشد الناس إليه مواكب النور التى أشرقت ، و بشائر العدل التى لاحت ، و فوق هذا كله تحرقهم شوقاً إلى دين يخلصهم من

اسفاف عقائدهم و قيمهم ، و يجمعهم على كلمة التوحيد التى توافق الفطرة و تملأ النفوس طمأنينة و ارتياحاً ، وقد حدث كل ذلك فى فترة من أشد الفترات ظلاماً و ظلماً فى حياة الانسان .

و واكب التغيير الشامل حياة الناس جيلا بعد جيل فكانت الحضارة الاسلامية العظيمة علامة بارزة فى تاريخ البشر ، شهدت مداً هائلا ، و واجهت مع ذلك محناً و كوارث أدت إلى انحسار ظلالها أحياناً ، ثم عادت فامتدت واتسعت إلى أن شهدت انحساراً فى القرون الأخيرة ، ومنيت البشرية بعدها بعودة الظلم و الظلام ، فبرزت مظاهر الفساد التى انتشرت قبل ظهور الاسلام من جديد ، و تفاقم الخطر ، و اتسع الخرق ، و كأنى بعالم اليوم يترقب انبلاج الفجر من جديد ليعيد للحضارة الاسلامية مكانتها بعد طول غياب . .

والذى يعنى بأمر الحضارة الاسلامية ينبغى أن يقف وقفة طويلة مع وعاء هذه الحضارة و لغتها منذ كانت تتشكل تشكلا يهيئها للنهوض بدور ممتد طويل لا ينتهى حتى يرث الله الأرض ومن عليها و ذلك فى السنوات القليلة التى سبقت ظهور الاسلام .

فقد كانت مع ظهوره تشهد تفاعلا بين لهجات القبائل العربية و لاسيما الشمالية منها مع لهجة قريش و ذلك عن طريق الاتصال المستمر بين هذه القبائل و قريش فى مكة المكرمة التى كانت تحتل مركزاً تشد إليه الرحال ، و تضرب إليه أكباد الابل . .

و هيأ هذا التفاعل لظهور اللغة العربية القرشية التى قامت على الانتقاء الجيد فأخذت من غيرها من اللهجات ما أخذت ، ولفظت منها ما لفظت ، وعرف ذلك

القداى فقال الفارابى (١) .

(كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ ، و أسهلها على اللسان عند النطق ، و أحسنها مسموعاً و أبينها عما فى النفس) .

و قال ابن فارس (٢) :

(و كانت قريش مع فصاحتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم و أشعارهم أحسن لغاتهم و أصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم و سلائقهم التى طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب) ،

و مع ظهور لغة قريش و غلبتها ظلت القبائل متمسكة بلهجاتها على تفاوت فيما بينها و لكنها كانت تلتقى مع لغة قريش حين تتناشد الأشعار و تتبارى فى ميدان الفصاحة و البيان ، و كانت و فودها تلتقى فى أسواق العرب المشهورة و لاسيما أسواق الحجاز ، تقدم شعراؤها و خطباؤها و حكماؤها و كهانها ليتباروا فى حلبة الفصاحة و البيان ، و كانوا يحتكمون إلى حكام من المتذوقين البصيرين بفنون القول و أسرار البيان ، و كان هؤلاء يحتكمون إلى معايير يستندون إليها فى التمييز بين الأشعار و الخطب و سائر ألوان القول التى كانت معروفة لديهم . . و كانت أحكامهم ترفع أناساً و تحط من شأن آخرين ، فترتفع هامات وفود و تطأطىء رؤس أخرى ، و كان ذالك يجرى وسط جو من الحماسة تختلط فيه أصوات المشجعين بالتصفيق و الصفير على نحو ما نشاهد فى أيامنا هذه من مظاهر الحماسة عند جماهير المشجعين فى المسابقات على اختلاف أنواعها .

وعلى الرغم من هذه الاهتمامات التى شهدتها فنون القول اللغوية فى شبه الجزيرة

---

(١) المزهر فى علوم اللغة ج ١ .

(٢) الصاحبي فى فقه اللغة ص : ٢٣ .

العربية فان جمهرتهم و لا سيما عرب الشمال كانت تسودهم الأمية ، فلا يعرفون القراءة و الكتابة إلا فى القليل ، و إنما كانت الأشعار و الخطب و الحكم و الأمثال و نحو ذلك تتناقلها الأفراد رواية عن طريق السماع ، و كانت طبيعة الحياة التى يحيونها تهيء لهم أسباب حفظ ما يسمعون من فنون القول و لا سيما الشعر الذى كان جزءاً جوهرياً من حياة العرب حتى قال قائلهم : لا تترك العرب الشعر حتى تترك الابل الحنين . .

وجاء الاسلام والعرب يفاخر بعضهم بعضاً على النحو الذى ذكرناه فى الفصاحة و البيان ، فاذا كتاب الاسلام الخالد (القرآن) تتنزل آياته و تقرع أسماعهم ، وإذا هذا الكلام الذى يسمعونه لأول مرة على لسان رجل منهم عاش بينهم أربعين عاماً أمياً لا عهد له بالقراءة يبهرهم بروعة مايتلوه عليهم ، ويتغلغل فى شغاف قلوبهم ، فيقبل على رسول الله منهم من يقبل مؤمنا و يحجم من يحجم منهم كافراً معاندا و مكابراً . . و لكن كلا الفريقين : الفريق المؤمن و الفريق الكافر يحس بتفوق هذا الكلام على كل ما عهدوه من فنون القول و أساليب الكلام شعراً كان ذلك أو نثراً . . فيؤمن المؤمن موقناً أنه ليس قول بشر و إنما هو كلام الله و يجحد الكافر معانداً فيدعى أنه سحر ، وفى ذلك يقول القرآن حكاية عن أحد هؤلاء، فقال: « إن هذا إلا سحر يؤثر » (١) .

و تحدى القرآن العرب الذين كانوا يتفاخرون فى البيان و يتسابقون ، و من أمثلة ماورد من تحديه لهم قوله : « و إن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، و ادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا

---

(١) سورة المدثر : آية ٢٤ .

ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس و الحجارة أعدت للكافرين » (١)

ولقد جاوز فى تحديه العرب إلى غيرهم بل تجاوز حتى البشر إلى الجن ، وفى ذلك يقول تعالى :

« قل لئن اجتمعت الانس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً » (٢) .

و أعرب العرب عن عجزهم عن معارضة القرآن فمضوا يجردون سيوفهم و يغمدون ألسنتهم ـ كما يقول الدكتور شوقى ضيف (٣) : و لم تلبث المعجزة الباهرة أن استعلت ، و لم تلبث أضواؤها أن انتشرت فى أرجاء شبه الجزيرة العربية ، وأعلن غير العرب عن عجزهم ، و أولى بهم أن يعجزوا ، و قد عجز أهل اللغة و فرسان البيان قبل ذلك .

و من أول يوم ارتبطت فيه اللغة العربية بالاسلام فقدت صفتها المحلية أو القومية و اكتسبت صفة عالمية جاءت من عالمية الرسالة الاسلامية ـ لقد أصبحت اللغة العربية بالاسلام لغة أمة لا لغة قوم أو قبيلة ، فالقرآن الذى شرفها الله به نزل ليكون كتاباً للبشرية كلها عربيها وعجميها ، أسودها و أبيضها ، و فى ذلك يقول تعالى « و ما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً و نذيراً » (٤) و يقول جل شأنه: « و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (٥) إلى غير ذلك من الآيات الكريمة . .

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٣ .

(٢) سورة الاسراء : آية ٨٨ .

(٣) تاريخ الأدب العربى / العصر الاسلامى ص ٣٠ .

(٤) سورة سبأ : آية ٢٨ .

(٥) سورة الأنبياء : آية ١٠٧ .

و الناس بها يتعبدون ، و بها يجتهدون لاستنباط أحكام حياتهم ، و بها يعرفون الحلال و الحرام ، و بها يحملون الدعوة إلى كل مكان يمكن أن يصل إليه و فيه بشر . .

و اللغة العربية إذ ارتبطت بالاسلام هذا الارتباط فان أية محاولة للفصل بينهما أو لعزل أحـــدهما عن الآخر لا يمكن أن تكون صادرة عن وعى أو إخلاص . . و يكفى اللغة العربية شرفاً أن تكون لسان القرآن إلى البشر « لسان الذى يلحدون إليه أعجمى و هذا لسان عربى مبين » (١) و لا يتجلى إعجازه فى غيرها .

و لعل من أبرز آثار الاسلام و فضائله على العربية بعد ذلك و هى تسير فى موكبه أن جمع العرب على لهجة قريش التى لم تكن سيادتها على لهجات القبائل العربية الشمالية تامة فقد كان الشعراء هم الذين يستخدمونها غالباً كما قلنا ، أما قبائلهم فكانت تلوك لهجات تختلف عن اللهجة القرشية قليلا أو كثيراً ، حسب قربها من مكة أو بعدها ، فعمل القرآن الكريم على تقريب ما بين اللهجات من فروق و استكمال السيادة للهجة القرشية ، و أخذت هذه اللهجة تتغلغل فى الجنوب حيث كانت القبائل لا تزال تتكلم الحميرية (٢) :

و جاء الاسلام و الأمية متفشية فى موطنه الأول كما أسلفنا على الرغم من نبوغ شعراء و ظهور خطباء و حكماء ، فقد كانت القراءة و الكتابة فى قلة قليلة منهم ، ولكن الاسلام ـ واللغة العربية تتحرك فى موكبه ـ أعلن الحرب على الأمية ، و فرض القراءة من أول يوم لتكون مفتاحاً للمعرفة و طريقاً لحياة فكرية واعية ،

(١) سورة النحل : آية ١٠٣ .
(٢) العصر الاسلامى : ص ٣١ .

فكانت الآيات الأولى التى استهل بها الوحى رحلته مع رسول الله ﷺ تعبر عن ذلك تعبيراً لا لبس فيه : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ و ربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم » (١) .

و حرص رسول الله صلوات الله و سلامه عليه على تحريك أمته المسلمة نحو التعلم ، ففتح الباب أمام الابناء لتعلم القراءة و الكتابة و من أبرز مظاهر ذلك أنه كان يفرض علـى الاسير من المشركين الذين يعرفون الكتابة تعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ليفتدى نفسه من الأسر ، بهذه الطريقة فشت الكتابة فى قريش وغيرها و كان عليه الصلاة و السلام يقول : قيدوا العلم بالكتابة ، وفى رواية بالكتـاب ..

و يقينى أنه لولا تشرف اللغة العربية بالقرآن و تحولها به إلى لغة الاسلام والأمة الاسلامية على امتداد الزمان وتعاقب الأجيال لما نالت من العناية و الاهتمام والرعاية ما نالته بعد ظهوره وارتفاع لوائه وقيام دولته ، فقد انطلق المسلمون يجمعون اللغة العربية من أفواه أصحابها و غايتهم فهم القرآن ومعرفة الأحكام ، و استخدموا فى جمعهم للغة الوسائل الدقيقـــة التى جعلتهم أساتذة البشرية فى توثيق الأخبار و تحقيقها و معرفة صحيحها من غيره منتهجين فى ذلك نهج علماء الحديث الذين وصلوا فى هذا المجال إلى غاية لم تسبقهم إليها أمة . .

« يتبع »

---

(١) سورة القلم : الآيات الأولى .

شعر الجهاد فى مقاومة الغزو المغولى

الأستاذ مأمون فريز محمود جرار
ماجستير فى الأدب العربى بالشارقة

يعتبر الغزو المغولى للعالم الاسلامى من العلامات البارزة فى التاريخ الاسلامى، بل فى تاريخ البشرية كلها، فقد كان لهذا الغزو من الامتداد الزمانى و المكانى و الأثر التخريبى، ما يقصر عنه الوصف، و يتراجع عن ذكره القلم، و قد تنبه إلى هذا الأمر المؤرخ ابن الأثير، الذى لم يعاصر منه إلا بداياته، فانه أحجم حيناً من الدهر عن ذكر أخبار الغزو المغولى لبلاد الاسلام الواقعة شرق العراق، و ذلك لأنه لم يرد أن يؤرخ نعى الاسلام، بل لقد تمنى لو لم تلده أمه، أو لو أنه مات قبل ذلك الحادث الذى لم تعرف له البشرية فى تاريخها مثيلا! إلا أنه لم يجد بدآ من القيام بدوره فى التاريخ لأحداث عصره، فوصف ما فعله المغول فى مدن الاسلام الكبرى، بخارى، و سمرقند و مرو، و بلخ، و غيرها، من قتل و سبى، و نهب و سلب، و ارتكاب للفظائع، و إحراق للكتب و المدارس، و المساجد، و قد تابع المغول سيرتهم التى اتسمت بالعنف الشديد، و القسوة البالغة، ففعلوا فى العراق والشام ما فعلوه من قبل فى تركستان وفارس وأذربيجان(١).

وقد شاع عند كثير من دارسى الأدب العربى مقولة مغلوطة، هى أن الغزو المغولى قد انتهى بموقعة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ، و إن المغول لم تقم لهم بعدها قائمة! و هذه المقولة تدرس فى مناهج الأدب فى عدد من البلاد العربية. إلا

---

(١) انظر: الكامل فى التاريخ لابن الأثير، ج ١٢ ص ٣٥٨.

أن البحث فى هذه الحقبة من الزمان يكشف عن زيف هذه المقولة . فقد امتد الغزو المغولى زمانياً من سنة ٦١٧هـ - ٧١٢هـ و تجدد فى عهد تيمورلنك الذى سعى فى الأرض فساداً فى نهاية القرن الثامن الهجرى و بداية القرن التاسع .

و قد كان للغزو المغولى آثار سياسية و اجتماعية و علمية و اقتصادية . فقد أسهم فى تغيير الخارطة السياسية للعالم الاسلامى ، فأزال الدولة الخوارزمية والخلافة العباسية و أضعف شأن دولة سلاجقة الروم و مهد لزوالها ، و قضى على حكم بنى أيوب فى الشام ، و ساعد على دفع المماليك فى مصر إلى طليعة القيادة فى العالم الاسلامى بتصديهم له ، بوقفتهم الشجاعة فى عين جالوت و ما تلاها من وقائع الغزو و أحداثه التى ظلت تتوالى بعد ذلك ، و أسهم الغزو المغولى فى نقض البنيان الاجتماعى لكثير من البلاد الاسلامية بما أصابها من قتل و سبى و تهجير ، كما نتج عنه مقتل عدد كبير من العلماء ، وحرق كثير من الكتب و المكتبات ، وتقويض كثير من المدارس و معاهد العلم . بالاضافة إلى ما حل ببلاد المسلمين التى وصلها الغزو ، من الخراب الاقتصادى و العمرانى ، و النهب و السلب و تعطيل جوانب الحياة المختلفة .

فقد وقف سلاطين المماليك يذودون عن حياض الاسلام ، و يردون عنه كيد الغواة المغول سنين طويلة ، وكان لهم مع المغول جولات و وقائع ، و وقف إلى جانب هؤلاء السلاطين شعراء أحسوا بواجبهم فى المعركة ، فجردوا أقلامهم لنظم الشعر الذى يسجل أحداث الجهاد و وقائعه ، ليبقى من بعد لحناً مطرباً يتردد صداه عبر السنين فى مسمع أجيال المسلمين .

اتجاهات الشعر فى مواجهة الغزو المغولى :

كان للغزو المغولى أصداء فى الشعر منذ بدايته ، و لكنها كانت أصداء ضعيفة

عند شعراء العربية فى العراق و بلاد الشام . و يبــدو أن انشغال المسلمين فى كل بلد بهمومهم المحلية قد شغلهم عن الاهتمام بمصائب إخوانهم فى ديار الاسلام الأخرى.

تبين للباحث فى الشعر الذى عاصر الغزو المغولى الاتجاهات التالية :

١- شعر الانذار و التحذير من الغزو المغولى .

و قد وصلنا مقطوعات من هذا الشعر ، قالهـا شعراء عراقيون رأوا ما كان فيه الخليفة فى بغداد مغفلة عن شؤون الرعية ، و انشغال بهمومهم الذاتية ، و عدم أخذ الأهبة لمواجهة المغول الذين كانوا يحومون حول دار الخلافة منذرين بأخذها. و من ذاك مقطوعة جاء فيها :

قل للخليفــة مهلا أتاك ما لا تحب
ها قد دهتك فنون من المصائب غرب
فانهض بعزم و إلا غشاك ويل و حرب
كسر و هتك و أسر ضرب ونهب و سلب (١)

ومن ذلك قصيدة لمجد الدين النشابى جاء فى نهايتها بعد وصف لأحوال بغداد :

الكفر أضرم فى الاسلام جذوته و لس يرجى لنار الكفر إخماد
وا ضيعة الملك والدين الحنيف وما تلقاه من حادثات الدهر بغداد
أين المنيــة منى كى تساورنى فللمنيــة إصدار و إيراد
من قبل واقعة شنعاء مظلمــة يشيب من هولها طفل وأكباد ! (٢)

٢- شعر يسجل بعض المناوشات مع المغول :

و هذا الاتجاه و الذى قبله كانا قبل سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ . و قــد كان

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية . ص ٤٦ .

(٢) الحوادث الجامعة لابن الفوطى ص ٣٢١ - ٣٢٢ .

المغول غارات على دار الخلافـــة و لقاءات مع جيش المسلمين ، إلا أنه لم تقع معركة ، بل مناوشات و تراشق أو اصطفاف وانسحاب وقد سجل لنا هذا الاتجاه من الشعر بعض هذه الأحداث مع محاولة لرفع الروح المعنوية للمسلمين . من ذلك ما قاله على بن مقرب العيونى فى مـدح أمير الموصل بدر الدين لولوء إثر اجتماع عسكره مع عسكر الخليفة وأمير أربل للقاء المغول إلا أنه لم يحدث قتـال ، نتيجة انسحاب المغول و ذلك فى سنة ٦١٧هـ قال :

إذا التتر الباغون ذاقوا وباله ... تمنوا بأن كانوا دما فى المشائم
جيوش هى الطوفان لارمل عالج ... و لا جبل الأمرار منها بعاصم
ستبقى به الأفرنج والترك ما بقت ... كأن حشاياها ظهور الشياهم (١)

٣- شعر البكاء و الرثاء أثر سقوط بغداد :

سقطت بغداد بأيدى المغول سنة ٦٥٦هـ . و لم يجد انذار و لا محاولة رفع المعنويات لأن المسلمين لم يستعدوا للقاء عدوهم ، فكانت الغلبة له . و نجد صدى سقوط بغداد فى الشعر ، بكاء و نشيجاً و رثاً ، لدولة الخلافـــة الزائلة . فلم يكن سقوط بغداد كسقوط المدن الأخرى فى أيدى الغزاة : فهى دار السلام ، و معقل الاسلام و مقر الخلافة التى لم يخطر ببال المسلمين أن تطاولها يد الزمان بسوء ! .

و قد كتب الشعراء كثيراً من المراثى لبغـــداد و أهلها (٢) و لكن كثيراً من هذا الشعر قد فقد و بقى بين أيدينا قصائد معدودة ، لشعراء من مختلف ديار الاسلام ، فهذا الشيخ تقى الدين إسماعيل بن أبى اليسر التنوخى الشامى يرثى بغداد بقصيدة مطلعها :

---

(١) ديوان ابن المقرب : ص ٥١٨ .

(٢) انظر : النجوم الزاهرة : ج ٧ ص ٥١ .

لسائل الدمع عن بغداد أخبار فما وقوفك والأحباب قد ساروا ؟ (١)

ويقف الشاعر شمس الدين محمود الكوفى الواعظ على آثار الخلافة ، ويجوب شوارع بغداد يردد قصائد الحزن و الرثاء . . . و منها قصيدته التى مطلعها :

عندى لأجل فراقكم آلام فالام أعذل فيكم و ألام ؟ (٢)

و قصيدته التى أولها :

إن لم تقرح أدمعى أجفانى من بعد بعدكم فما أجفانى (٣)

و قد أسهم الشاعر الفارسى المسلم سعدى الشيرازى برثاء بغداد و خليفتها بالعربية و الفارسية ، و مطالع قصيدته :

حبست بجفنى المدامع لا تجرى فلما طغى الماء استطال على السكر (٤)

ونلاحظ فى الشعر الذى كتب فى رثاء بغداد خلوه من روح الجهاد أو الدعوة إليه ، فكأنها أظلمت الدنيا فى عيون الشعراء و لم يروا للحياة بعد الخلافة طعماً فلم يبق عندهم شوق لمجد ولا رغبة فى علياء ! كما أن حال المسلمين فى ذلك العهد من الفرق و الانقسام و المعاناة من بقايا الصليبيين فى بلاد الشام لم تفتح للشعراء أملا بامكان المقاومة أو فائدة الدعوة ، إلى الجهاد ، فقد كانت حال المسلمين الذين سلموا من غزو المغول حتى ذلك العهد كما وصفها ابن الأثير من قبل فلسيف بينهم مسلول ، و الفتنة قائمة على ساق . . . فانا لله و إنا إليـه راجعون ، نسأل الله أن ييسر للاسلام و للمسلمين نصراً من عنـده فان الناصر و المعين و الذاب عن الاسلام معدوم » ! (٥) .

---

(١) المصدر نفسه : ص ٥١ (٢) فوات الوفيات : ج ٢ ص : ٢٣٢ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٢٣٢ .

(٤) المتنبى و سعدى لحسين محفوظ : ص ٧٣ .

(٥) الكامل فى التاريخ : ج ١٢ ص ٣٦١ .

٤- شعر الجهاد فى مقاومة الغزو المغولى :

لقد وجد الشعراء منذ انتصار المسلمين فى موقعة عين جالوت تغيراً فى اتجاه أحداث الغزو المغولى . فبعد أن كانت كلمة المغول فى ميدان القتال هى العليا ، فلم يصمد أمامهم جيش . و لم تهزم لهم راية ! و بعد أن كانوا يعدون أنفسهم سيف البلاء الربانى المسلط الذى لاراد له . بعد كل هذا وجد الشعراء راية المغول تنتكس وجيوشهم تهزم. وقوتهم تتراجع ، فسقطت بذلك أسطورة الجيش الذى لا يقهر !.

ولم ينته المغول بعد موقعة عين جالوت عن قصد بلاد الشام ومحاولة احتلالها و ضمها إلى أملاكهم . إلا أن المسلمين بقيادة سلاطين المماليك كان يتصدون لهم و يوقعون بهم الهزائم . ويجلونهم عن الشام . . . مرة بعد أخرى . . . من ذلك الهزيمة التى حاقت بالمغول سنة ٦٧١هـ على نهر الفرات قرب الرحبة ، و هيمنتهم سنة ٦٧٥ فى صحراء أبلستين فى أرض سلاجقة الروم (آسية الصغرى) وانكسارهم عند حمص سنة ٦٨٠ و كذلك هزيمتهم الكبرى سنة ٧٠٢هـ فى موقعة شقحب أو مرج الصفر ، و انسحاب جيش المغول عن مدينة الرحبة سنة ٧١٢هـ قبل وصول الجيش المملوكى .

و قد كان لشعر الجهاد فى مقاومة الغزو المغولى مجالات صال فيها الشعراء و جالوا و قاموا بواجبهم بتعبئة النفوس و رفع الروح المعنوية . و محاولة استثمار الانتصار لاستثارة همم القادة بطلب المزيد منها . . و يمكن تحديد مجالات شعر الجهاد بما يلى .

١- تصوير طبيعة الصراع مع المغول .

٢- الدعوة إلى الجهاد و ضرب أحلاف المغول .

٣- تصوير الانتصارات .

٤- مدح القادة المسلمين .

★ ★ ★

من مبيدات الحشرات إلى مبيدات الانسان

واضح رشيد الندوى

الحضارة الأوربية الشرقية و الغربية حضارة ناميـــــة ، لا تعرف الجمود ، ولا تقف فى طريق تقدمها حواجز ولا عقبات ، ولا تحول دونها اعتبارات خلقية و لا قيم إنسانية ، فقد تقدمت هذه الحضارة فى سبيل العلم و البحث المجرد على كل قيم ، فكان الانسان و قيم حياته ، الضحية الكبرى لهذا التقدم ، وقد أدركت هذه الحضارة أن الانسان نفسه هو الحاجز الكبير فى تقدم الحياة ، فتركت ملايين من العاطلين عن العمل ، و لجأت إلى الاستعـــانة بالآلات ثم حل الكمبيوتر محل العاملين من الانسان لأن العصر عصر الآلة ، والانسان والانسانية تعبيرات قديمة ، فاذا تعطلت الآلة تعطلت الحياة ، فكم تشهد المطارات ، و مراكز النشاط الحيوى الأخرى تعطل الحياة بتعطل الكمبيوتر ، و أخيراً ، و ليس آخراً ، كادت الحرب العالمية تحدث لمجرد خطأ فى الكمبيوتر ، فلو كان إنسان محله لكان عوقب عليـــه ، و لكن كيف يعاقب الكمبيوتر .

تتجلى نظرة الحضارة الأوروبية إلى الانسان بمواقفها إزاءه فهى تعطف على الحيوان ، و تهتم بالمصنوعات والآلات ، لأن الانسان الذى يشعر ، و يستطيع أن يدافع عن نفسه ، لا يحتاج إلى صيانة و لا وقاية ، و لا احترامه ذلك موقف الحضارة الأوروبية و حماتها إزاء الانسان ، فقد جعلت الانسان وقوداً للتقـــدم الصناعى و الحضارى ، و تجرى عليه تجارب الادوية المبيدة ، و يحرم من أن يعيش

حياة نزيهة وفق رغبته ، و عقيدته ، و تفرض عليه أيديولوجيات بقوة السلاح ، و تسوقه كما تساق الغنم و المواشي .

و تتجلى نظارة الحضارة الأوروبية المعاصرة إلى الانسان بتسرعها إلى اختراع وتكديس الذخائر الحربية الخاصة لابادة الانسان ، بطريق لا يلحق بالمنشآت الصناعية ، أي ضرر ، وكان أكبر دليل عليه البيان الذى أدلى به مخترع قنبلة النترون فى مقابلة تلفزيونية ، فقال ، إن قنبلته تقتل الانسان فحسب ولا تصيب أى شئ من المنشآت الصناعية بأى ضرر ، وقال إن الانسان هو الذى يحارب فيستحق القتل ، أما المنشآت الصناعية فلا ذنب لها فتدمر .

و تفيد التقارير الصحفية أن الولايات المتحدة وحدها تملك اثنين و أربعين ألف طن من الأسلحة الكيماوية و تقدر هذه التقارير أن الاتحاد السوفيتي يفوق الولايات المتحدة فى الذخائر الحربية المبيدة للانسان ، فتبلغ ذخيرته من المواد الكيماوية المبيدة ثلاثمائة و خمسين ألف طن ، و تفيد التقارير الصحفية أن القوات المسلحة للعسكرين قد بدأت تنتقل من استعمال الأسلحة التقليدية إلى استعمال الأسلحة الكيماوية .

و يقدر عدد الجنود الذين خصصوا لمثل هذه الحرب الكيماوية فى الولايات المتحدة أربعة آلاف وسبعمائة ، و يقدر عددهم فى حلف ورسو بين سبعين ألفا و مأة ألف .

و تفيد التقارير الصحفية أن الأسلحة الكيماوية تستهدف مجرد الانسان ، وتظهر النتائج فور استعمال الأسلحة الكيماوية بشكل إفساد مخ الانسان ، والاسهال ، و الاستفراغ ، و القلق النفسي الزائد بحيث إنه يزول عنه النوم ، فتتعطل أعصابه ، و يفقد بصره ، و يصاب بألم شديد فى الصدر ، وصداع عنيف ، فيموت الانسان بتأثيره أو يعيش حياة يرثى له .

إن القنبلة الذرية التى كانت قد ألقيت على المدن اليابانية فى الحرب العالمية السابقة لاتزال تكلف الأرواح ، بالاضافة إلى تدمير المنطقة و تجريدها عن كل أثر للحياة ، فقد بلغ عدد الوفيات بتأثير الغبار الذرى الذى لا يزال فعالا فى البيئة ، أكثر من ألف و سبعمائة شخص .

يستعد أبطال الدمار ، و إبادة الانسان مرة أخرى للحرب ، و قد بدأت تحركات عسكرية مزودة بالأسلحة الذرية و الكيماوية و صارت البحار و المحيطات ساحة هذه التحركات ، و تلوثت مياهها بالوقود و الغازات السامة ، و تتهدد الانسان فى كل بلد ، و ذلك لأجل الحصول على السلطة العليا المطلقة فى العالم ، و من أجل ذلك تتعرض حياة ملايين من الانسان للخطر ، وقد استعبدت الدول المتحضرة الكبرى الدول الصغيرة فى منطقة نفوذها ولا تزال توسع مناطق نفوذها باحتلال المناطق بصورة سافرة وبصورة متسترة ، لأن الأوروبى ، والرجل الأبيض ، صاحب الحضارة المعاصرة ، والذى اخترع العلوم ، والصناعة ، هو الوحيد الذى يملك حق الاختراع ، وحق فرض نمط الحياة و منهجها ، ومن خلق فى غير أوروبا ، فهو عبيد له وحياته و مماته و شرفه فى يد مالكه الأوربى الأبيض .

«العالم الاسلامى فى العالم الأول من القرن الهجرى الجديد»

انقضى العام الأول من القرن الخامس عشر الهجرى و نحن نستقبل الآن العام الثانى ، و نرجو الله أن يكون عام سعادة ورخاء و ازدهار الامة الاسلامية و بقيادتها السديدة للعالم بأسره ، وما ذلك على الله بعزيز ، و نحن متفائلون ولا داعى إلى تشاؤم ، و لا يقنط من رحمة الله ، أن الاسلام سيعلو ، و يقود الانسانية مهما بعد ذلك الزمان ، و مهما تكالب ضده أبناء الزمان .

كان العام الأول الذى بدأه المسلمون بآمال و تطلعات فى ضوء البشائر التى تجلت فى العام السابق ، حافلا بأحداث كثيرة متنوعة ، مبشرة بخير ، و منبهة ، و منذرة فى وقت واحد ، فقد استهله المسلمون كفاتحة عهد للعودة إلى الاسلام باعتباره البديل الوحيد ، للنظم و الأيديولوجيات التى سيطرت على الفكر العالمى ، و فتحت لها فرصة التطبيق فأخفقت فى تحقيق أهدافها و جلبت ويلات حرب و ظلت الحرية والكرامة البشرية حلما و وعدا مكذوباً ، سوى الحرية المحدودة التى لا تتعارض مع مصلحة النظام القائم و لا تتنافى مع متطلباته و معتقداته .

جرب العالم الاسلامى كلا النظامين ، الشرقى و الغربى ، و تحطمت آماله المعقودة بكليهما ، و بعد أن خسر الكثير فى هذه التجربة ادرك أنه لم يتقدم خطوة واحدة ، و إنما تراجع فى كل مجال من مجالات الحياة ، وتضخمت معاناته و ازدادت تبعيته ، و تضاءلت ذاتيته ، فانتقل من حكم إلى حكم و من ثورة إلى ثورة، وكلت يداه بالتصفيقات ، ومل من الخروج فى الحشود والمسيرات وعقد الآمال بأبطال صناعيين ومن وصفوا بصانعى التاريخ و لكنهم لم يثبتوا عند المحنة والاختبار ، ولم يصمدوا فى وجه الطغيان فبقيت المسائل والمشاكل التى قامت من أجلها الثورات لا تحل بل تتعقد و تلتوى .

جرب العالم الاسلامى فى عهد فترة اعتماده على المعسكرين أنه لم يخسر أصالته وشخصيته وثقافته الخاصة فحسب ، بل خسر فعاليته و حريته الفكرية فى حل القضايا السياسية و الدفاعية ، و أدرك أن المعونات المحدودة التى تلقاها من الدول الكبرى لا تجدى فى خدمه المصحلة القومية و إنما تخدم مصلحة الدولة المانحة للساعدة ، فكانت النتيجة أن المعونات المالية أنفقت فى مكافحة القيم الاسلامية ، ونشر الحضارة الغربيه ، و الأسلحة التى تدفقت إلى العالم الاسلامى لم تطلق طلقة واحدة على

العدو ، بل ظلت محجوزة و مجمدة ، أو استعملت ضد الأبرياء المسالمين ، أو ضد جيش بلد مسلم .

شهد العالم الاسلامى و شعبه الأبى الغيور كل ذلك فانطلقت فيه الارادة إلى تغيير هذا الاتجاه بعد انتظار طويل، فانتقد رجال القلم الأحرار النظم الوضعية وكشفوا عن زيفها ، ومساويها ، و إخفاقها فى حل المشاكل فى العالم الاسلامى ، كانت هذه الأصوات خفية ، فنالت القوة فى السنين الأخيرة ، وخاصة فى أواخر القرن السابق ، إنها لم تكن إلا تعبيراً عن الرغبات المكبوتة للشعب الاسلامى ، فراجت هذه الدعوة ، وسادت ، و وجدت فى الشباب الذى كان جيل عهد الحرية و لم تبهره الحضارة الغربية ، آذاناً صاغية ، وقلوباً واعية ، وتجاوباً كأنه كان فى انتظار واشتياق ، وانتشرت هذه الدعوة فى الجامعات والمدارس و شاهد العالم العودة الفكرية إلى الاسلام ، و ظهرت آثارها فى الحياة الاجتماعية و خاصة فى الشباب الجامعى .

لم يكن ذلك إلا تعبيراً عن طموح الشباب المسلم ، و قد كان محصوراً فى إطار القانون ، و لكن هذا الاتجاه الذى كان سلبياً والذى كان طوعياً ، ولم يكن متصادماً مع النظام القائم ، عد فى عدد من الدول اتجاهاً عدوانيا ، و خطراً على النظام ، فأسرع الحكام إلى كبت هذه الأصوات ، و تقييد هذه الحركات ، كأن كل جهاز سياسى فى البلاد الاسلامية مسئول عن الحضارة الغربية ومصلحة المستعمر .

تحركت الحكومات فى تونس و الجزائر ، و تركيا ، و مصر ، و ليبيا وفى كل بلد شهد هذه الصحوة ، واختلقت مؤامرات لم تكن إلا من نسيج خيال الحكام ، وزج إلى السجون بآلاف من العاملين والدعاة المسلمين كما واجهت الصحافة الاسلامية التى أعربت عن وجهات نظرها بصراحة و جراة ضغوطاً ، و تعرضت لتهديدات من وزارات الاعلام ، و صودرت عدة صحف على قول كلمة الحق .

واجه الاسلاميون ضروباً من الشدائد هذا العام ، وواجهت الحركة الاسلامية وسائل القمع فى البلاد التى كانت تتجه إلى الانفتاح بالنسبة للعمل الاسلامى ، فقامت

الثورة العسكرية فى تركيا فى وجه تصعد نشاطات الاسلاميين و أعلنت الحكومة الجديدة بالعودة إلى الكمالية ، وفى مصر استغلت الحكومة الصراع مع المسيحيين بعد حوادث الزاوية الحمراء ، وجعلته وسيلة لقمع الاتجاه الاسلامى بتهمة أنه يثير فتنة طائفية ، بعد أن كانت شعبية الاسلاميين تزداد فى البلاد و أجرى استفتاء مزور بعرض شعبية صناعية ، لا يصدقها أحد للقيادة السياسية ، وسارت الأحداث وتفاقمت النقمة إلى اغتيال الرئيس أنور السادات .

و على الجانب الآخر استمرت أعمال القمع و الاضطهاد فى سوريا و ليبيا و تطورت بجابهة سافرة بين الاسلاميين و حكومتى القذافى و الأسد و استمرت عمليات اغتيال الشخصيات الاسلامية ، و أصيب العالم الاسلامى بصدمة نتيجة للحرب الايرانية العراقية التى لا تزال تكلف الجانبين بخسائر الأرواح والممتلكات ، و تقضى على الطاقة الاسلامية التى كان يجب توفيرها للاعداء

استمر النضال المسلح فى أفغانستان الذى كلف المجاهدين الأفغان أكثر من مليون مجاهد و تشريد أكثر من مليونين ، وقد استعملت القوات السوفيتية لكسر صلب المقاومة كل نوع من أنواع الأسلحة حتى القنابل الكيماوية ، لكنها لم تستطع حتى الآن أن تحكم سيطرتها على أى جزء من أجزاء أفغانستان حتى كابل لم تعد كلياً فى سيطرة قوات الاحتلال ، وقد استولى المجاهدون الأفغان على كميات كبيرة من الأسلحة الحديثة وانضم إليهم جنود جيش النظام العميل ، ما ازعج الحكومة السوفيتية إلى حد بحثها عن الحل العاجل سياسياً أو عسكرياً ، فبجانب بحثها عن وسائل سياسية تقوم الآن بتحريض بعض الجهات على الضغط على باكستان لتحويل اتباهها عن مساعدة المجاهدين كما تقوم الحكومة الأفغانيــة بتدريب إرهابيين للتوغل إلى باكستان و الاطاحة بالحكومة .

لقد كانت هناك جوانب مضيئة كذلك ، فقد تصاعد الشعور بالاسلام رغم هذه العراقيل و ازدادت المؤسسات الاسلامية ، و ازداد الاقبال على الاسلام فى العالم

كله ، و اتخذت عدة حكومات اجراءات لتصحيح الأوضاع ، فقد أشار الجنرال ضياء الحق أخيراً إلى استبدال القانون الغربى السائد و تطبيق النظام الاسلامى تدريجياً كما اعترفت عدة حكومات البلاد الغربية بحق المسلمين فى التعليم الدينى ، وتخصيص مواعيد لنشر تعاليم الاسلام فى الاذاعة ، و فتح مراكز إسلامية ، و سمحت ببناء المساجد ، و قد ألزمت الحكومة التركية التى تقوم على الكمالية التعليم الدينى فى المدارس الحكومية كما انشئت مؤسسات للاقتصاد الاسلامى و المعاملات الاسلامية فى مختلف أنحاء العالم .

شهدت الهند هذا العام ظاهرة جديدة تبشر بالخير ، و تشير إلى أن المستقبل للاسلام ، و تدل على ما يحمل الاسلام من جاذبية ، و هى دخول أفواج من الناس فى الاسلام . و خاصة المنبوذين ، و قد اسلمت قرية باكلها فى جنوب الهند فى مديرية ترنل ولى و غير اسم القرية من ميناكشى بورم إلى رحمة نكر ، و قد أثارت هذه الظاهرة ردود فعل فى الأوساط السياسية و الهندوكية ، وهبت هيئات تمثل الأغلبية الهندية باتخاذ إجراءات وقائيه سياسية و اجتماعية ، و لكن اتجاه اعتناق الاسلام فى الهندوس يستمر فى مختلف أنحاء الهند ، و قد أسلم خلال هذه الفترة أكثر من ثلاثة آلاف شخص علنياً حسب الأرقام الرسمية .

كانت نتيجة تغلب الشعور الاسلامى و الاقبال على الاسلام عامة أن اندفعت الحكومات فى البلاد الاسلامية إلى اتخاذ إجراءات لوقاية نفسها من خطر الانقلاب الاسلامى على إيعاز أعداء الاسلام و قامت الصحافة العالمية الحاقدة على الاسلام ، بتفخيم ما يحدث فى العالم الاسلامى و إنذار الحكومات القائمة بخطر الانقلاب الاسلامى ونتائج الحركات الاسلامية و حثها على اتخاذ تدابير لوقف هذه الاتجاهات كما قامت الكنيسة العالمية بتنشيط ارسالياتها لمواجهة انتشار الاسلام ، و للدعاية ضد

الاسلام و المسلمين ، و خصصت مبالغ كبيرة لتوسيع عمليـــات التنصير فى البلاد الاسلامية ، و قد ظهرت هذه النشاطات فى هذه الفترة بصورة ملحوظة فى الدول المتخلفة اقتصادياً كبنجلاديش و إندونيسيا و دول آسيوية وإفريقية أخرى ، وكانت الأحداث فى مصر مظهراً لهذا القلق . وقد شنت الوكالات العالمية للأنباء و الصحافة الدولية التى يسيطر عليها اليهود والصليبيون حملة لتشويه الاسلام والعاملين فى سبيله ، و أعادت اتهام الاسلام بأنه دين العنف ، و ضيق الفكر ، و التزمت ، وقد بلغت هذه الحملة أشدها فى البلاد التى يعيش فيها المسلمون فى أقلية ، و أصدرت الصحف مقالات هجومية عنيفة ضد الاسلام بالاستدلال بما يحدث فى إيران ، وكانت هـــذه الحملة قد هدأت ، و لكن الأحداث الأخيرة فى العالم الاسلامى قـــد أثارتها من جديد ، و استندت هذه الوكالات فى تشويه الاسلام و المسلمين إلى تصرف بعض المتحمسين من الشباب المسلم الذين جرهم الشوق إلى نتائج جهودهم و ثمار كفاحهم إلى أعمال تعد من باب التسرع ، وعدم الحكمة ، كما وجدت الصحافة العالمية مادة غزيرة لتشويه الاسلام فى أحداث إيران الدامية و الصراع السياسى بين مؤسسى الثورة الايرانية ، و موقف الحكومة إزاء المعارضين و قمع الحريات .

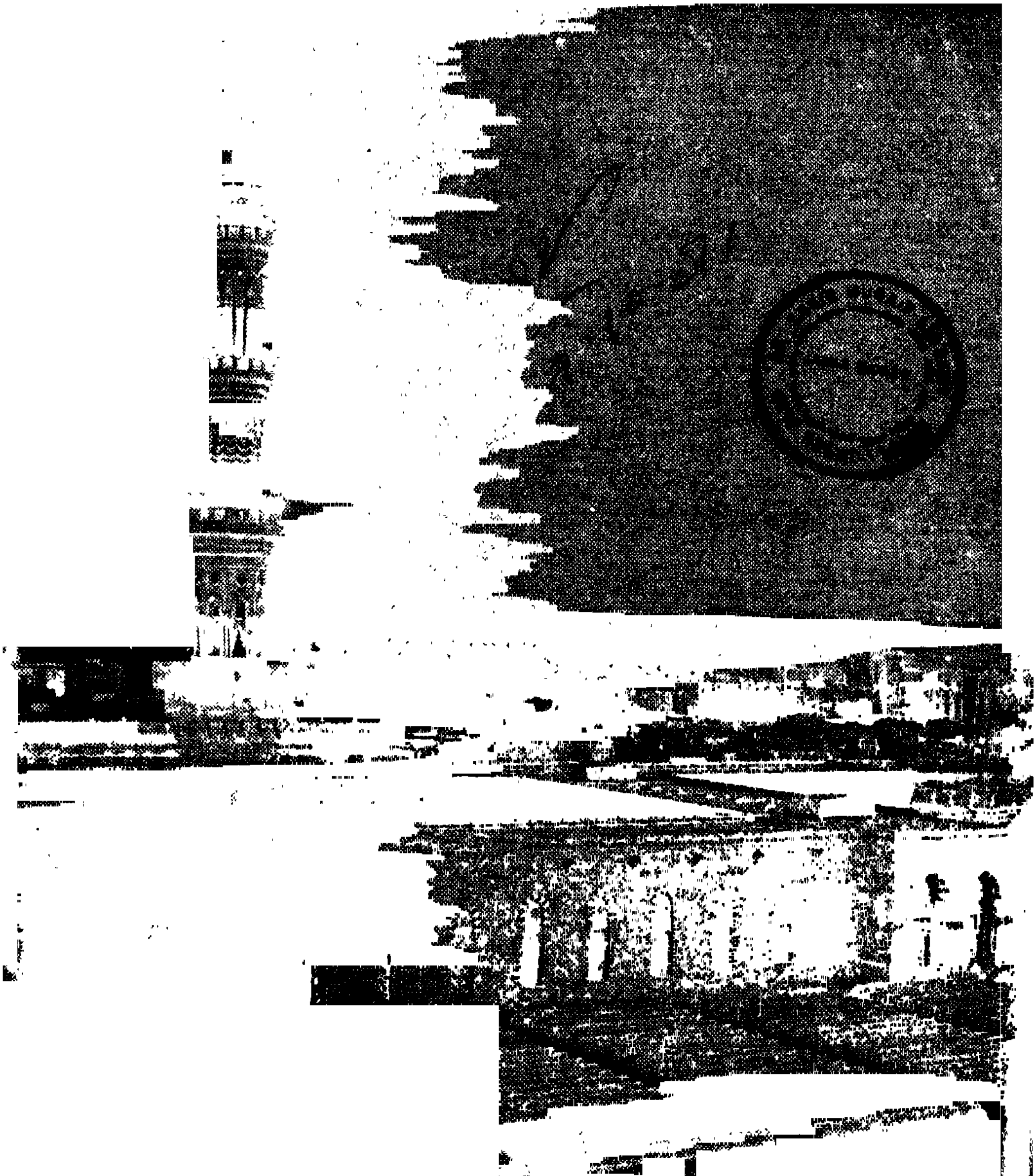
كان عام ١٤٠١هـ بهـــذا الاعتبار عام الأحـــداث التى تبشر بخير و تثبت صمود الاسلام فى وجه التيارات ، و تنذر كذلك بأخطار و نحن تواجه فى سبيل الدعوة الاسلامية وتتطلب حكمة و رزانة وسداد فكر فى عرض الاسلام وتطبيقه .

بدأنا عام ١٤٠١هـ بأمل أن الجهود الاسلاميـــة ستستمر و تؤتى أكلها وإن الصحوة الاسلامية التى إنتشرت فى العالم الاسلامى ستتقوى و تنتصر ، و تحقق غايتها ، لكن هذه الأحداث قد حولت الاتجاه إلى حد كبير ، و لكنها أخرت مرحلة العودة إلى الاسلام فحسب و لم تقطع الطريق ، فالطريق مفتوح ، ومهما تأخرت هذه المرحلة فاننا سنصل بنصر الله إلى هدفنا المنشود ، و سيعز الله دينه .

دعوتنا

الى الاسلام من جديد

البعث الإسلامي



أنشأها فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني (رحمه الله)
في عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

تصدرها : ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

لا بد من تعاون

و من الواجب على أن أشير بصراحة إلى أنه لا يصلح أمر العالم الاسلامى إذا بقى الشعب ساخطاً على الحكومة ، و الحكومة ناقمة من الشعب ، بل لا بد هنا من تعاون رجال الاصلاح و الدعاة ، و المبشرين و المنذرين ، و لا يمكن ذلك إلا إذا صلحت النية وصحت العزيمة ، و اتحدت الغاية ، فعلى كل واحد منا أن يعمل فى حقله و يؤدى حقوق صاحبه و لا يبتغى رضا أحد ، ولا يرجو من رجل كلمة خير ، إنما هو يعمل لله ، و هو وحده يجزيه بجهاده « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » .

(الأستاذ المرحوم) محمد الحسنى

(الاسلام الممتحن صفحة ٢٤)

المجلد السادس و العشرون

العدد الرابع

★ محرم ١٤٠٢هـ ★

★ نوفمبر ١٩٨١م ★

المراسلات :
البعث الإسلامي
ندوة العلماء . ص.ب ٩٣
لكهنؤ — الهند

NADWAT-UL-ULAMA
P.o. Box 93
Lucknow (India)

في هذا العدد

ثورة إيران في ميزان الواقع والتاريخ — سعيد الأعظمي — ٣

★ التوجيه الاسلامي

كارثة العصبية اللغوية والثقافية — سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الندوي — ١٠

منح الشرعية للملحد والمستعمر ؟ ! — الدكتور فاروق عبد السلام — ١٩

مبادىء في الأدب و الدعوة — فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني — ٢٤

★ الدعوة الاسلامية

أدب التربية و المواعظ — الدكتور غريب جمعة (القاهرة) — ٣٣

★ الندوة العالمية للأدب الاسلامي

مفهومات أولية عن الأدب الاسلامي — دكتور / عباس محجوب محمود — ٤٢

مؤثرات أجنبية في جوانب من منهج تربية ناشئة الأدباء — دكتور محمد مريسي سعد الحارثي — ٥١

من أساليب التربية النبوية — الدكتور : علي محمد جماز — ٥٩

مقدمة في وحدة التراث العربي الاسلامي و خصائصه — الدكتور صالح جمال بدوي — ٧٢

★ دراسات و أبحاث

تقويم الترجمات لمعاني القرآن الكريم — الدكتور عبد الله عباس الندوي — ٨٠

★ صور و أوضاع

في صالح من هذه الاعدامات ؟ ! — فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي — ٩٢

حركة جديدة لقبول الاسلام في الهند — الدكتور محمد اشتياق حسين — ٩٤

بيان من التنظيم العالمي للاخوان المسلمين — ٩٧

★ أخبار اجتماعية و ثقافية

جامعة الصالحات في بهتكل (جنوب الهند) — (قلم التحرير) — ٩٩

سماحة مولانا الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي في السعودية — » » — ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

ثورة إيران في ميزان الواقع و التاريخ

لقد كنا نتفاءل بالثورات التي تنتمي نسبتها إلى الإسلام ، و نجد لها حركة إسلامية رجاء أن تشفي بها الناس ، و ينقذهم من كل سوء ؟ و لقد ثبت زيف الافتتان التي عقدت حول الآمال و الهتافات في إيران ، و التي أعلنت عن أنها إسلامية وأن وراءها مدلولات من حقائق ومعتقدات إسلامية بحتة .

و من عجيب ما ظهر الذين تأثروا بالموضوع بدقة و أمانة ، و عاشوا أحداث الثورة الإيرانية بمراحلها المختلفة و روحها الصحيحة أن الشعار الإسلامي الذي ألصق بها — إنما جاءت في شكل معزوف أو لكسب التأييد العام من المجتمعات الإسلامية على اختلاف في وجهات الأنظار و العقائد و الأفكار — لم يكن له كبير شأن ، لا في الحياة الشخصية لرجال الثورة و قادة الحكم ، و لا في المجالات الاجتماعية ، و إنما استغل اسم الإسلام لتهدئة الأعصاب ، و إتاحة الفرص ، و لتثبيت دعائم الحكم هنالك ، خاصة و إن إمام الثورة ، وأتباعه من الشيعة التي تنتمي إلى الفئة ، فكان لا بد من الخروج عن كل إعصاب عن الدين والأخلاق ، و النظام بشكل يتفق مع تطلعات الأمة ، و طبيعة الإسلاميين من العلماء و الدعاة و الشباب المسلم .

والواقع أن خطابات الثورة هذه كانت تحرص على ألا تنسى أن تبرز روح الحماس الذي كان أكثر ملاءمة مع الظروف حينئذ ، ثم حاولوا بالتدريج حسب ما تتطلب عموم الأوضاع ، و بعد مضي ذلك ، ولم يترددوا في تصريح الأحكام

و تنفيذها نزولا إلى أهوائهم و رغباتهم ، و قد سموها إسلامية ، و نسبوها إلى الدين و إن كانت مغايرة لروح الدين ، ومعارضة للشريعة الاسلامية ، فاقامة المحاكم المزعومة للحكم على الأبرياء ، و تنفيذ الاعدامات فيهم على أوسع نطاق ، و إثارة الحرب الأهلية بين الشعب ، و الهجوم على منازل المدنيين بدليل أنها مكامن الغدر و الخيانة ، و قتل الرجال والنساء و الأطفال ، و إراقة الدماء على المشانق بسخاء و إزالة معالم النهضة و الرقى القديمة ، كل ذلك مما لا يمت إلى الدين بصلة .

إن التأييد الذى لقيته الثورة الايرانية أيامها الأولى من قبل الجماعات الاسلامية و دعاتها و رجالها وشبابها كان موضع غرابة لدى كثير من الأوساط الاسلامية ، و لكن الحرص على التضامن و على الثقة المتبـــادلة فى مجال الدعوة الاسلامية والعمل الاسلامى جعل رجال هذه الأوساط أن يتفاءلوا بها مع إخوانهم ، ولا يتظاهروا بشيء يعتبر بمثابة خلاف أو تشاؤم ، إلا أن المخاوف التى كانت تراودهم فى ذلك الحين ، من قادة الثورة قد تحققت اليوم ، وهى أن لا يتخذوها مطية لأغراضهم . فيصيبوا الاسلام وسمعته الطيبة بأضرار بالغة ويجعلوها موضع سخرية لدى الأعداء ، و أخيراً يوفروا لهم دليلا على أن الاسلام اسم للقسوة ، و الخرق ، و الانتقام و إراقة الدماء والقتل و الفتك ، و كيف يستحق أن يكون منهجاً للحياة كما يدعيه علماء الاسلام و دعاته ، و هم بذلك يستدلون على أن الاسلام ولى دوره ولم يعد صالحاً للحياة الحاضرة و ليس فيه للانسان المعاصر أى مجال للهدوء و السعادة ، و لا للمشكلات المتجددة أى حل و علاج ، كما يزعمه الاسلاميون .

ثم إن الصورة المشوهة التى ظهرت هناك أخيراً تشكل خطراً أكبر مما مضى ، وهو أن محاولات العالم المادى تتسع نحو تكذيب التاريخ الاسلامى وإنكار الحقائق التاريخية الناصعة التى تبرهن على أفضلية المنهج الاسلامى و خلود الرسالة الاسلامية

و دعوته و حضارته مع الجهود الخبيثة التى يبذلونها فى تزييف القيم الخلقية العليا للاسلام ، و تشكيك فى العقائد الايمانية ، و إثارة الغبار حول تعاليم الاسلام ، و تعكير الجو للصحوة الاسلامية التى عمت جميع أرجاء العالم ، و مع إحباط نتائج الجهود المخلصة التى بذلت فى هذا المجال ، و تقليل ثمارها المرجوة .

أى جناية أكبر على المسلمين من تهوين خطرهم ، وتشويه تاريخهم ، وفرض التخلف والضعف عليهم ، ثم الاعتبار بأنهم أشقى أمة فى الأرض تستحق كل لعنة ، و إهانة ، و ذلة وظلم ، و ليس لها مكان فى الدنيا الحديثة اليوم ، بل إن مكانها فى متاخف التاريخ ، حيث تستحق أن تشاهدها الأمم الحديثة وترجع بعبرة منها .

هكذا يفكر الغربيون و الماديون فى المسلمين من زمان ، و لكنهم يتنفسون الصعداء لصحة هذه « الفكرة » بعد أحداث إيران ، وثورتها التى تنتمى إلى الاسلام . والتى أتاحت لهم فرصة غالية للدعاية ضد المسلمين ، والدول الاسلامية ، و تضليلهم بالأكاذيب السياسية ، وخداعهم بالمواعيد المعسولة ، و السيطرة الكاملة على كل ما يملكونه من خيرات وثروات ، سواء بالقوة المادية أو بالكلام الفارغ ، أو بالتهديد و التخويف ، أو باستخدام سلاح « منع الشحن » لهم ، لما هم بحاجة إليه من الأسلحة و المواد الغذائية و الحاجيات الأساسية .

ومن هنا تستحكم قبضة هؤلاء الحاقدين ، على الدول الاسلامية ومقاليد الحكم فيها ، وتتقوى سيطرتهم على الحكام ، الذين يرونهم أكبر نموذج للانسان الكريم و الحاكم اللبق ، والادارى البارع ، ومن خلال هذه الرؤية ينظرون إلى الأشياء ، و إلى الانسان و الكون و الحياة ، فتتضاءل فى عيونهم قيمة المعتقدات الأساسية و يتطرق الشك إلى نفوسهم فيما يتعلق بالسعادة الدنيوية و الأخروية ، و يتسع النطاق للترحيب بالأفكار الهزيلة الوافدة و النظرات المريضة ، وقبول الأيدلوجيات

المادية التى لا تسمن و لا تغنى من جوع ، ثم تتطور الروابط الثقافية و السياسية بين هاتيك الدول وأولئك الرجال ممن يمثلون الحضارات المادية و يتزعمون الفلسفات العلمية ، و إذا بهم و بتلاميذهم يتبوؤن مناصب ذات خطورة فى الجهات المعنية فى الوزارات والاختصاصات السياسية فى دولنا وحكوماتنا التى نعتبرها إسلامية ، والله سبحانه وتعالى يقول: « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ . . »

إن دراسة جدية عميقة للموضوع تستطيع أن تكشف لنا كثيراً من الحقائق التى تعمل فى إذابة الشخصية وتفتيت قوة العقيده والتميزات الاسلامية فى بلادنا ، وهل يخفى على القارىء الكريم ما للاتحاد السوفياتى من جولات وصولات فى بعض الدول العربية الاسلامية ، وكيف أنه يستغلها فى تعميق جذور الكفر والالحاد فى نفوس أهلها ، والعودة بها إلى مزابل التاريخ ، وكيف أنه ينافقها فى قضية اسرائيل ويغزو أفغانستان شر غزو ، و يعيث فيها إرهاباً و فساداً وقتلا و تشريداً ، رغم إنكار دول العالم واتخاذها قرارات الانسحاب منها . وكيف أن هذا المارد الشيوعى والعفريت الماركسى يمتص خيرات بلادنا و يبتلع ثرواتنا الهائلة بوقاحة منعدمة النظير .

ألم نرض بضخ البترول للدول الغربية و الولايات المتحدة لقاء قيمة تافهة من الكماليات ووسائل الترفيه تلك التى تستعيد بها أموالنا الغالية أكثر مما تدفع إلينا من أموالها ، وهى لا تفيت فرصة ما لتصدير المواد السامة التى تسرى فى نفوس أفراد الأمة سريان السم البطئ ، الذى ينتج تعطيل المواهب و القوى عن العمل ، ويترك الانسان الحى كلحم على وضم .

كذلك نجد كل ناحية من نواحى النشاط والقوة خاضعة لتأثير العوامل الخارجية التى لا شأن لها فى دولنا الاسلامية ، و لكنها فى الواقع لاتكاد تتخلى عن ضغطها

الشديد ، والذی يتعمق فی استعراض الوضع يستطيع أن يشاهد أصابع أجنبية تضع النقاط على الحروف فی كثير من الجوانب الحساسة ، سواء فی التعليم و الاعلام ، أو فی السياسات الخارجية و الدفاع ، و أی شئ يبق بعد هذه الجوانب ذات الأهمية البالغة فی أيدينـا ، و ماذا عسى أن نقول فی موضوع استقلالنا الذاتی ، أو اكتفائنا الذاتی ؟

سلسلة طويلة و معقدة من المؤمرات العالمية تنخر كيان الأمة و تهبط بها إلى أسفل مستوى من العقل و التفكير والعلم و العقيدة ، و كل القوى الباطلة مكبة على تجريد عالمنا الاسلامی عن جميع تشخصاته وخصائصه الممتازة ، التی يتفرد بها ، ويقوم عليها كيانه ، وهی لتحقيق هذا الغرض الخبيث تحشر كل الطاقات من العلم والصناعة و التقنية ، وتدس خبراءها البارعين إلى الوطن الاسلامی الواسع لكی يستولوا على زمام الأمور هناك بحكمة بالغة ، و فی نصح كبير ، كما أن زعماء المؤامرات يملاؤن بلادنا من كل شئ يهدم معنوية الأمة ويوهن أخلاقها و إيمانها ، فهم لا يقتصرون على شحن أدوات الملاهی والأفلام الهدامة وآلات الترفيه النفسی والراحة الجسدية ، بل إنهم يشحنون كذلك أفواجاً من الداعرين و الداعرات و الخنافس فی طائرات بأكلها ، تقلهم إلى عواصم الدول الاسلامية وتنزلهم فی أفخم الفنادق ذات النجمات الخمس ، حيث يتظاهرون بأعمال الفحشاء و المنكر أمام رؤس الأشهاد مع استهواء قلوب الشباب من الجنسين إلى تقليدهم ، وأخيراً إلى ثورة على تقاليدهم وأخلاقهم ، و النتيجة معلومة لدى الجميع ! .

فهل يستبعد بعد هذا أن تكون هذه الأصابع الأجنبية هی التی تدير الحبل من وراء الستار فی إيران ، وتملی إرادتها على الحكام ورجال الدين هناك ، إذ أن السخافات التی تذاع كل يوم لا ينبغی أن تتولاها ثورة تدعی أنها إسلامية ، وتعمل

لتحكيم الشرعية الاسلامية، بل الحق أنها لا تليق بأدنى مسلم يعتز باسلامه ، وينصح لأمته ، و لعلها مؤامرة خطيرة لتشويه سمعــة الاسلام ، و تفنيد المنهج الاسلامى ونظامه ، وصرف النفوس المقبلة على الاسلام بعرض هذه الصورة المشوهة عليها ، و تخويفها مما إذا اعتنقت بالاسلام فلا يؤمن عليها بأسوء النتائج ، ولعل من يدير الحبل ، و يتولى النظام هو ممن يبغض الاسلام ، و يريد أن يستغل اسم الاسلام لهدم أساسه و نخر كيانه .

و إننى أظن أنه لم يعد أى أمل للجماعات الاسلامية ولا للدعاة الاسلاميين فى الثورة الايرانية أنها تقوم بدور إيجابى للمسلمين فى العالم و تخدم الدعوة الاسلامية ، بتمثيل المنهج الاسلامى و إسعاف العالم المعاصر بتقديم نموذج مثالى لثورة إسلامية تنفذ تعاليم الاسلام فى جميع أجزاء الحياة الفردية والجماعية ، وتطبق شريعته الخالدة على المستوى المطلوب فى الشعب الايرانى أولا ، و فى الشعوب الاسلامية ثانياً .

إننا نهيب بقادة الحكم فى إيران أن لا يتأخروا فى تصحيح ثورتهم وتوجيهها إلى ما فيه صالح الأمة الاسلامية ومصلحة الاسلام كاملا ، ولو أنهم لم يتعجلوا فى الأمر و لم يرجعوا إلى الرشد لأفلت الزمام من أيديهم و عادت إيران إلى أسوأ و أقسى مما كانت عليه قبل الثورة .

انظروا كيف يعد الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالاستخلاف فى الأرض وتمكينهم فيها إذا توفر فيهم الايمان والعمل الصالح ، مع رسوخ عقيدة التوحيد فى نفوسهم .

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، و ليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

سعيد الأعظمى الندوى

التوجيه الإسلامي

كارثة العصبيـــــة
اللغوية و الثقافيـــــة

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن على الحسنى الندوى
نقله إلى العربية : الأستاذ على عثمان

لقد أنعم الله على البشر بنعم عديدة . . و إحدى هذه النعم مقدرة الانسان على التعلم من تجاربه الماضية ، فان تعثر فى طريقه ، فهو يحاول اكتشاف السبب و يزيل العائق فى طريقه ، أو أنه يحيد بخطواته تجنباً لها ، إذا وجد طريقه غير سالك لوجود عوائق متعددة ، فانه ينتقل إلى طريق مستوية و مستقيمة ، وحيثما ارتكب خطأ ، أو وقع فى مجازفة ، فانه يحاول فهم و تحليل سبب فشله ، ويحاول تجنب الخطأ الذى وقع فيه فى المرة الأولى، فلا يسير على الطريق الخاطئة لئلا يصل إلى الفشل للمرة الثانية .

لا شك فى أن قدرة الانسان على فهم السبب و النتيجة وعلى تحليل العلاقة بينهما هى نعمة أنعمها الله على الانسان وحده ، و الحقيقة أن هذه القدرة المميزة التى يتمتع بها الانسان هى التى تميزه عن الأنعام والحيوانات ، وهى السبب الوحيد فى كل تقدم بشرى فى مجال الفنون و العلوم ، و الثقافة و الحضارة .

وليس الانسان بمعصوم عن الخطأ ، بل الخطأ من طبيعته ، فهو عرضة لأن يتعثر فى طريقه ، فلقد توارث الخطيئة عن آدم ، و لكن اعتراف المرء بخطيئته

وشعوره بالندم والأسف لارتكابها ، و محاولته إصلاح نفسه ،كل هذا عمل يستحق الثناء ، و هذه هى الطريقة التى يعوض بها الانسان عن الخسارة التى لحقت به . و أحياناً يصبح هذا الانسان مرتكب الاثم تائباً يذوب ندماً و تأثراً ، حتى إنه ليبلغ الدرجات العلى فى لحظات قليلة . . تلك الدرجات التى لا تدرك فى سنين من العبادة و الدموع ، و التى تحسده عليها الملآئكة .

و لقد ارتكب أبو البشر خطيئة أيضاً لكنه لم يصر عليها ، فما أن وقع فيها حتى خر جاثياً على ركبتيه راجياً عفو ربه الرحيم ، وفى لمح البصر ارتفع آدم إلى ذلك العلو الروحانى فى القرب من الله عز وجل . ذلك العلو الذى لم يبلغه قبل ارتكابه للخطيئة المؤلمة ، و لقد نادى ربه :

« . . . ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » (١) .

ماذا حقق آدم بتوبته إلى الله ؟ إن القرآن يقدم دليلا بليغاً لانجازه الرائع :

« و عصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه و هدى » (٢) .

أما الشيطان فقد أصر على معصيته و حاول تبرير فعله بهذا الشكل :

« قال أنا خير منه خلقتنى من نار و خلقته من طين » (٣) .

نعم أم نقم ! ؟

إن التقدم الثقافى و الحضارى الذى أحرزه الانسان ، و كذلك التقدم الذى حققه فى مجـــال كثير من النشاطات البشرية الأخرى ، مدينة بمنشئها للأخطاء التى ارتكبها إلى درجة لا تقل أهمية عن كونها مدينة لمحاولته التى كانت توجهـــا قراراته الصحيحة ، فلا مبالغة إذا ادعينا أن فترات تاريخية قد بدأت بالانجـــازات

---

(١) الأعراف : ٢٣ (٢) طه : ١٢١ - ١٢٢ .

(٣) الأعراف : ١١ .

الناجمة عن أخطاء ، وأن تاريخ البشرية على سطح كوكبنا هذا يسجل حوادث كثيرة كهذه ، و بعبارة أخرى فان التاريخ سجل لاخطاء الانسان بقدر ما هو سجل لقراراته و أحكامه التامة و أعماله الصحيحة ، و نستطيع أن نورد أمثلة كثيرة كهذه من التاريخ المدون الذى يؤيد هذا و يؤكده :

إن نجاة النبى موسى عليه السلام و بنى اسرائيل و غرق فرعون مع جنده فى البحر الأحمر كان سبب ضياع الطريق أمام موسى عليه السلام حينما عبر البحر إلى صحراء سينا .

و كولومبوس اكتشف القارة الأمريكية نتيجة لخطئه فى اتخاذ طريق بحرى صحيح ، لأن طلبه الحقيقى كان إيجاد طريق قابل للملاحة إلى الهند .

إنكار المرء لاخطائه :

لا يجوز لانسان واع حكيم أن يغمض عينيه على الخطأ الذى ارتكبه مرة ، أو يترك تحليل أسباب فشله ، فالأحمق وحده يرتكب نفس الخطأ باستمرار ، أو يلدغ من نفس الجحر مرتين ، و هذا ـ بكل تأكيد ـ لايليق بانسان مؤمن أنعم الله عليه بالهداية و الحكمة مخاطب أن يستغل طاقاته العقلية وتجاربه فى الحياة إلى أقصى حد ، وإن عدم أخذ العبر و العظات من التجارب الماضية من صفات المنافقين كما وصفهم القرآن ، فهم فى الواقع لا يستفيدون من تجربتهم :

« أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون » (١) .

و لقد وضع النبى ﷺ الثقة فى حكمة المؤمن حيث قال :

« لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » (٢) .

---

(١) التوبة : ١٢٦ . (٢) رواه الامام أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم و أبو داود و ابن ماجة ، عن أبى هريرة و هو صحيح .

جاهلية اللغة و الثقافة :

منذ أيام قليلة مضت ، و فى بلد ذى أغلبية مسلمة ، و فيه عدد لا يحصى من المساجد وبيوت العبادة ، والذى اشتهر بكونه موطناً للعديد من الوعاظ الدينيين و الأولياء الربانيين ، هبت عاصفة من التعصب اللغوى و الثقافى ، و جرفت بعيداً بكل مساعى الدعاة ورجال الله على مدى قرون ، فقتل المسلم أخوه المسلم دون أى وخز من ضمير ، وقتل آدميون بالطريقة التى يقتل بها الثعابين و العقارب دون أدنى رحمة أو شفقة . ولم يعد هناك ملجأ لأولئك الناس فى البلد الذى فروا إليه يوماً ما لإنقاذ حياتهم ، وأصبح الانسان يطارد الانسان وكأنه صياد يرمى بشباكه لصيد السمك أو يقتفى أثر حيوانات برية دون أن يذوب قلبه رحمة أو تمتلىء مقلتاه بالدموع ، ولم تحترم عفة النساء ولم يرحم الضعفاء والشيوخ ، وحتى الأطفال الابرياء لم يعاملوا بأدنى شفقة أو رحمة ، ولقد أنزل الأخ بأخيه كل أنواع العذاب و الألم ، سواء كانت من جراء الجوع والعطش ، أو المحن الشديدة ، ولقد طغى صنم اللغة على الايمان بوحدانية الله وحطم التعصب القومى والعرق إخوة الاسلام ، وتغلبت جاهلية الماضى الوثنى على الروابط الموحدة للعقيدة الاسلامية وقضت عليها بشكل تام وكأنها لم تكن موجودة فى أى مكان أو زمان منذ ظهور الاسلام ، ولم يهن مسلم من قبل مسلماً آخر أبداً بالطريقة التى حدثت فى ذلك البلد حتى ولا فى الماضى البعيد .

الفروق اللغوية :

لقد تكونت لدى الانسان العديد من اللغات و الثقافات و الطقوس والعادات منذ أن ظهر على سطح هذا الكوكب ، و إن هذه الفروق فى اللغات و أنماط الحياة ساعدت الانسان على تطوير نماذج جديدة من الثقافة وإغناء وتحسين حياته ، والحقيقة ـ كما يذكرنا القرآن ـ أن هذه كلها نعم إلهية من الله بها على الانسان :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (١) .

و مرة أخرى :

« و من آياته خلق السموات و الأرض و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين » (٢) .

إن تاريخ البشرية ملىء بالحروب و الغزوات المأساوية و الأحداث الأليمة و لكننا لم نسمع بحرب واحدة قط أعلنت من أجل اللغة أو الثقافة وحدها ، و لقد اشتهر العرب بلغتهم الجليلة و بتحيزهم لها إلى درجة أنهم سموا كل الشعوب الأخرى أعاجم ، و لكن لم يذكر التاريخ حرباً واحدة أعلنت من أجل لغتهم ، و لقد شجب الاسلام هذه النزعات واعتبرها محرمة و محظورة و سماها بـ « الحمية الجاهلية » ، و حارب الاسلام هذه العاطفة وحط من شأنها ، و ساواها برواسب الجاهلية الوثنية ، و انتقص منها و اعتبرها بمثابة مكائد من أجل عبادة الأوثان وإنكار الله ، و وصف المتحمسين لها بأنهم أعداء الله ورسوله وأعلن : بأن الذين يقاتلون من أجلها ثم يقتلون يموتون ميتة المرتدين و الكفار ، ولم نسمع حتى عن الجاهلية أنها حاربت إرضاء لعاطفتها السائدة و هى تحيزها لتفوقها اللغوى .

فى الواقع أن القومية العدوانية الأوروبية هى التى منحت اللغة و الثقافة نظرة تبجيل ، و خلقت منها آلهة ، أهرق دم الانسان و قدم ضحية على مذبحها ، وشجعت الأمم على إحياء ثقافتها و تراثهـا القديم ، و لتبعث اللغات الميتة ، وحتى القتال من أجلها !!! هذه هى الوثبقة الجديدة للعصور الحديثة التى أدت إلى ظهور شكل جديد من الحروب الصليبية ، و التى لم يعرفها العالم منذ زمن طويل ، لقد بثت أوربا

(١) سورة الحجرات الآية : ٦٣ . (٢) سورة الروم الآية : ٢٢ .

أيديولوجيتها بفكر واف و بصيرة نادرة ، و بالتدرج شيئاً فشيئاً علقت القومية بمخيلة الشعوب المسلمة التى كان أبناؤها مؤمنين حقاً ، و يحتقرون كل آثار وسمات الماضى الوثنى ، وكان من المتوقع ألا يقعوا فريسة للتعصب اللغوى مثل غيرهم من الشعوب ، و ذلك بسبب توجيه الدين الاسلامى ، و الحق أنه كان من واجبهم معرفة أن هذه النزعة لا تجد ثواباً من الله عز و جل ولا تعادل حبة من خردل فى حكمه .

و لكن لجأة ظهر هذا الخطر الجديد فى العالم الاسلامى ، و انفجر كالبركان فى قلب بلد مسلم مواكباً بالموت و الدمار ، و بكل تأكيد فان هذا الاتجاه لم يهدف إلى إرضاء الله عز وجل ، أو إلى كبح جماح الشر و الفساد و وساوس الشيطان ، و لم يكن الهدف من ذلك إحلال السلام و المودة ، أو نشر رسالة الرحمة والاخوة ، حدث كل ذلك لأن الأغلبية العظمى لهذا البلد أعطت أذناً صاغية للراوغين الماكرين فى الغرب و من سار فى ركبهم ، و هكذا وضعت الأغلبية على خط سير خاطئ .

خسارة للاسلام لا تعوض :

وعلى الرغم من كون إهراق الدم المسلم و القتل والتدمير محزناً فيبقى الوجه المعيب للأمر هو تسليح أعداء الاسلام بسلاح جديد ضده ، و النتيجة التى وضعوها هى أن الاسلام غير قادر على توحيد شعوب مختلفة ذات أجناس و ثقافات ولغات مختلفة ، وأنه باعتباره مبدأ عقيدياً غير ملائم لتوفير قوة لجمع الشمل ولبناء مجتمع ما و تأسيس دولة .

ويستشهد أعداء الاسلام بهذا الحادث كدليل على الضعف المتأصل فى الاسلام غير القادر على تدبير و صيانة الكيان الاجتماعى المنظم على أسسه ! ! ، هذا هو

أفظع ضرر يلحق بالاسلام من جراء الشوفينية اللغوية و الثقافية .

لنفترض أنك تعيش فى أحد المراكز المالية التجارية فى الهند فستكون على علم تام بأن ارتفاع وهبوط الأسعار والتوقف المؤقت فى العمل والتجارة ، أو خسارة طفيفة أو فائدة طفيفة ليست بنفس أهمية فقدان (خسارة) شركة ما لاسمها التجارى ، لأن الاسم التجارى لشركة ما هو إلا إشارة و رمز للشهرة التى تمتاز بها تجارتها ، و هو يعتبر واحداً من موجوداتها الثمينة و له قيمة نقدية رائجة ، حتى إنه يشترى ويباع بمئات الآلاف من الروبيات اعتماداً على رواج تجارة الشركة . . و الحادث الذى ذكرته توآ قد وقع على الاسلام وقع الخسارة الفظيعة و خلق صعوبات هائلة فى وجه العلماء والدعاة الذين يقدمون عقيدتهم باعتبارها قوة توحيد عظيمة ، وفوق ذلك فقد شكك ما وقع بكامل منجزات الاسلام التاريخية والآن من يستطيع الدفاع عن ميزة المساواة فى الاسلام التى محت فى يوم ما التمييز بين البيض والسود والآسيويين و الأفريقيين و الملوك و الفقراء والسادة والعبيد ؟!! إن الأهمية لانجازات الاسلام الماضية هى حقيقة ثابتة ترتفع فوق أى شك أو شبهة و لقد أعجب العالم دائمـــاً بانجازاته ، ولكن الآن كيف نقول للعالم : إن مشاعر و عواطف الأخوة التى جاء بها الاسلام تتجاوز فروق العرق واللون واللغة و توحد المؤمنين فى مجتمع روحى واحد غير منفكك ؟!! هذه هى الخسارة التى لا نرى كلمات للتعبير عن الأسف لها ، حتى وإن ذرفت دموع من دم فهى لا تكفى للرثاء على النكبة التى حلت بالاسلام .

الداء و أسبابه :

لنفترض أن كل ما حدث كان نتيجة لعبة سياسية كأن تكون بعض الأحزاب السياسية المنطوية على بث الشقاق و الفرقة قد نجحت فى تضليل شعب بسيط . . وأما أن تخدع أمة بكاملها بهذه السهولة !! ، وأن تضلل السبيل بشكل تام !! ، حتى

إنها فقدت التميز كله بين الايمان و الردة ، و بين الاسلام و الجاهلية ، و بين التآلف والتنافر !! فلم تكن مجرد مصادفة ، أو سبب حماقة الشعب بكامله ، ولم تكن بسبب النفاق الماكر و دهاء قواده ، وما من حركة سياسية تستطيع النجاح فى أى بلد كان ما لم يكن الشعب مستعداً لقبول الأيديولوجية التى ينادى بها زعماء تلك الحركة ، وتحظى بتأييد صادق من الجماهير ، ولو لم تكن الأمة فى حالة نفسية لتقبل تلك الأيديولوجية و الاعتراف بها لمرت هذه العاصفة النارية الضارية من فوق رؤوسهم دون أن تجرف كل شئ أمامها كما يفعل السيل الجارف ، و مهما كانت رجفة الهياج مثيرة فهى ليست متينة أبداً ، و لكن القلق (الاضطراب) العميق الجذور وطبيعته المنتشرة على مدى واسع ، وقوته تبين أن الأمة سبق وأن ابتليت بالمرض ، وأن وعيها للتضامن الاسلامى لم يكن نامياً ومتقدماً بالشكل التام ، وكان يعوزها المستوى اللازم من التعليم فى العقائد و الممارسات الاسلامية ، وإلا فانها لا يمكن أن تكون قد سقطت بهذه السهولة فى أيام المحنة .

الافتقار إلى الوعى الدينى :

إن السبب الأكبر لهذا الحادث المؤسف ، فى رأيى هو الافتقار إلى الوعى الدينى الصحيح ، فلا يكفى أن يكن المرء حباً خالصاً للاسلام فحسب بل يتوجب عليه أن يكون لديه وعى متطور فى إدراك الأمور من الوجهة الاسلامية ، و على المرء ألا يكون متعلقاً بالاسلام عاطفياً فحسب بل يتوجب عليه أن يكره كل الفلسفات والأفكار والمثل اللاإسلامية ، ولقد عبر القرآن فى مواضع عديدة كرهه للشيطان وحملة ألوية البهتان والجاهلية قبل أن يدعو إلى الاتكال على الله اتكالا تاماً فيقول : « ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها» (١)

(١) البقرة : ٢٥٦

حتى إن الشهـــادة التى تثبت إيمان المؤمن تبدأ بانكار وجود الآلهة بكافة أشكالها فتبدأ بـ « لا إله إلا الله » ثم تؤكد على السيادة العليا المطلقة لله عز وجل بعبارة « إلا الله » و نعلم من الأحاديث النبوية أن إيمان المؤمن لا يكتمل ، ولا يتضح له إدراك معنى إيمانه إلا إذا تعلم أن يمقت الردة و كل مظاهرها . و لقد ورد فى أحد الأحاديث النبوية الشريفة من رواية البخارى (١) :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان . أن يكون الله و رسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار » .

إدراك الجاهلية :

على المسلم أن يكره العمل ضد مصلحة الاسلام أو التحالف مع أعدائه ، وإنه ليتوجب عليه استغفار ربه لمجرد ذكر افتراض كهذا ، و عليه ألا يخطر بباله إمكانية كهذه أبداً ، و عليه ألا يكون عاطفياً يكتفى بالنفور من الجاهلية فحسب بل عليه أن يدرك تماماً مظاهرها الخداعة لئلا يخدع بمكرها ، و على المسلم ألا يسمح لنفسه بأن يخدع بحيلة الجاهلية الكاذبة حتى و إن ظهرت برداء الكعبة و القرآن فى يدها ، و عليه أن يلجأ إلى الله للاحتماء منها ، و أن يكتشفها فى جميع الأشكال و الصور التى تتخذها فى الظهور أمامه .

« يتبع »

(١) الصحيحين : رواه البخارى ومسلم والترمذى و النسائى و ابن ماجة و أحمد فى مسنده عن أنس و هو حديث صحيح .

منح الشرعية للملحد و المستعمر ؟ !

بقلم : الدكتور فاروق عبد السلام

قال تعالى فى محكم آياته : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » و لقد غيرنا فى كثير مما هو ثابت و متفق عليه بنص الكتاب و السنة . . و مما فرطنا فيه وبدلنا وابتدعنا ولم يسبقنا لمثله جيل من أجيال المسلمين على مدى التاريخ الاسلامى فيما نعلم . . و الله أعلم . . أن تمنح الشرعية تحت راية الاسلام للملحد المشرك ؟! و المستعمر الغاصب ؟! .

و منح الشرعية للملحد إنما يتمثل فيما أقدمت عليه بعض أنظمة الحكم المعاصرة فى بعض بلاد المسلمين من منح الأحزاب الشيوعية حق ممارسة نشاطها علناً أسوة بغيرها من الأحزاب السياسية الأخرى . . و هو أمر يقع أحياناً بطريق مباشر و أحياناً أخرى بطريق ملتو و غير مباشر كما حدث فى مصر أخيراً فى ظل قانون الأحزاب المصرى الجديد حيث من الأحزاب المصرية المصرح بها فى ظل هذا القانون - حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى - و لائحة هذا الحزب تضم فى عضويتها بجوار اليساريين و الناصريين و باللفظ المحدد - الماركسيين - و الماركسى ملحد لا خلاف . . و هو إن كان مسلماً من قبل يصبح بمجرد اعتناقه الماركسية مرتداً يقع عليه حد الردة ، روى البخارى وأبو داؤود أن النبى ﷺ قال : من بدل دينه فاقتلوه » و روى الجماعة أن النبى ﷺ قال : « لا يحل دم أمرىء مسلم إلا باحدى ثلاث :

« الثيب الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة » وهو متفق عليه، وهو أى الماركسى إن لم يكن مسلماً قبل اعتناقه الماركسية فهو باعتناقها كافر و مشرك ولا يمنح الشرعية تحت راية الاسلام بأى حال من الأحوال فالله سبحانه و تعالى يقول :

« و قاتلوا المشركين كافة » ،

و قال تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » .

ومما يدل على الكفر إنكار وجود الله . . ومما تثبت به الردة إنكار معلوم من الدين بالضرورة كانكار أن القرآن من عند الله و جحود فريضة ثابتة كالصوم و الصلاة و الزكاة و الحج و إنكار محرم ثابت كانكار تحريم الخنزير و الخمر . . و استباحة محرم ثابت كالربا . .

فما بالك بمن ينكر الدين برمته !! ومن أساسه !! و يراه ظاهرة من الظواهر المفتعلة و المختلقة لتخدير الشعوب و خداع عامة الجماهير المطحونة !!

وأصل العلة و مكمن الخطر فى الأمر أن المهزومين من أبناء المسلمين المتيمين بالعلمانية و شعاراتها الخادعة بالحق و بالباطل يضربون بحد ثابت من حدود الله عرض الحائط و يعتنقون مبدأ حرية الاعتقاد بلا قيود أو حدود !!

و لو سلمنا معهم جدلا بأهمية مبدأ حرية الاعتقاد فانه بادىء ذى بدء وفى هذا المجال و من نفس المفهوم و المنطلق الوضعى و العلمانى و من باب التصحيح لا يفوتنا التنبيه إلى أن الحرية فى ظل هذا المبدأ لا يطلق لعنانها الحبل على الغارب دون قيد أو حد .. وإن فلاسفة التنوير متفقون على وضع حد للحرية وإلا انقلب أمرها إلى فوضى .. وأن « جون ستيوارت مل » يقرر بأننا أحرار فيما نتصرف وفيما نعتقد على ألا يتسبب تصرفنا و اعتقادنا فى إلحاق أذى بالآخرين !! أى أن

الحد الذى تتوقف عنده حرية الفرد هو إلحاق الأذى بالغير . .

و أى أذى يمكن أن يلحق المؤمن الموحد أكثر من أن يرى على أرضه و بجواره الملحد و المرتد يمنح نفس الحقوق التى تمنح له ؟!

يضاف إلى ذلك إتفاق جميع الأنظمة الوضعية دستورياً على ضرورة الالتزام بالنظام العام للدولة و عدم الخروج عليه .. و دولة دينها الرسمى الاسلام و غالبية سكانها من المسلمين .. يصبح منح الشرعية للملحد تحت رايتها خروج على النظام العام .. و أى خروج ؟!

أكثر من هذا .. يوجب العرف الدولى .. كما توجب أبسط مبادىء الكرامة فى التعامل دولياً أن يكون التعامل بالمثل .. والنظام الشيوعى نظام شمولى وحدوى .. و فى ظل الحزب الشيوعى الحاكم لا تمنح الشرعية بأى حال لحزب مغاير و مخالف فى الفلسفة إسلامياً كان أو غير إسلامى . .

وعلى ذلك يصبح منح الشرعية للحزب الشيوعى تحت راية الاسلام يعنى من الناحية الوضعية .. الافراط فى الأخذ بمفهوم حرية الاعتقاد .. والخروج على النظام العام .. و الرضا بالدنية بالتفريط المهين فى أبسط الحقوق المتعارف عليها دولياً .. حق التعامل بالمثل . .

أما من الناحية الشرعية و هذا هو الأهم ففيه ما فيه من خروج سافر على شرع الله فى الثابت والمتفق عليه من دين الله .. وخطوة أخرى على طريق معاداة الحنيفية السمحة و البعد عن تطبيق الشريعة و التمادى على طريق الهاوية و الباطل بدلا من الرجوع إلى الصواب والحق .. وبعد أن كانت جريمتنا فى أخذنا بالقوانين الوضعية الغربية و تعطيلنا لحدود الله و منها حد الردة .. أصبحت الجريمة مضاعفة بإباحة الجرم فى حد ذاته .. أى بعد أن كان الخطأ فى تعطيل عقوبة الردة أصبح

مضاعفاً بإباحة الجريمة ذاتها و حماية الملحد و منحه الشرعية أسوة بالمؤمن الموحد وبغيره من أهل الكتاب . ومنح الشرعية للحد أخذاً بمبدأ حرية الاعتقاد دون قيد أو شرط يفتح باباً من أبواب التطاول على شرع الله لا تنتهى شروره ولا مفاسده .

و يكفى منها على سبيل المثال و ليس على سبيل الحصر أن يأتى اليوم الذى يقدم فيه المسلمون على شطب اسم الجلالة والعياذ بالله من القسم الرسمى والدستورى و استبداله بصيغة تحترم مشاعر الملحدين و المشركين من كل ملة و دين .. فهذه تركيا التى كانت زعيمة العالم الاسلامى فى ظل الخلافة العثمانية يأتى عليها حين من الدهر و فى ظل العلمانية لا يقسم رئيس الدولة بالله العظيم و إنما بقوله « أقسم بشرفى بصفتى رئيساً للجمهورية . . . » .

و جاء يوم على سوريا المسلمة الموحدة استبدلت فيه القسم بالله العظيم بقول « أقسم بشرفى و معتقدى . . »

هذا و منح الأحزاب الملحدة شرعية الوجود و حرية الحركة يسهل عليها مهمة العمالة والاستعانة بمعسكر الشرك وتمكينه من وضع يده على البلد المسلم بسهولة وتحويله فى لحظة من بلد موحد إلى بلد ملحد .. واللبيب من اعتبر بغيره !! وتاريخ المسلمين لايخلو من ظهور طوائف شاذة و منحرفة بين الحين و الحين .. كالسبئية و الغرابية و الدرزية والنصيرية .. ولا ذنب ولا تقصير ما دامت تطارد و تعامل معاملة الخارج على الشرعية و القانون و يؤخذ دعاتها بحكم الله فى حال التمكن منهم حتى لا يفتن الناس فى دينهم و يجترىء كل محدث و مبتدع فى دين الله على التمادى فى الباطل دون الخوف من وازع أو عقاب . .

أما أن يمنح أمثال هؤلاء الشرعية و تمنح السلطة المسلمة برضاها لأمثالهم الحماية وتكفل لهم الرعاية .. فتلك عجيبة العجائب و كبرى الكبائر التى اختص بها زماننا .. لا يعدلها فى الخروج على شرع الله و الابتداع فى دينه إلا منح الشرعية

للمستعمر الغاصب لبقعة عزيزة من أرض المسلمين ؟!

و تاريخ المسلمين لم يسلم من ابتلائهم تارة بالتتار الملاعين و تارة أخرى بالصليبيين .. وتمكن أعداء المسلمين أكثر من مرة من وضع أيديهم على بعض بلاد المسلمين .. و لمئات السنين . و لم يكن المستعمر الغاصب و الدخيل ليمنح الشرعية من جانب المسلمين بأى حال من الأحوال مهما طال مقامه وعزت الحيلة فى أمره و ضاق الناس ذرعاً من هول عذابه و بشاعة طغيانه ..

و منح الشرعية للمستعمر الغاصب على زماننا يتمثل فى اعتراف بعض الدول الاسلامية باسرائيل ومنح المستعمر الصهيونى فى فلسطين المحتلة الشرعية بالرضا وتبادل التمثيل الدبلوماسى معه .. فعلت ذلك إيران على عهد الشاه وفعلته تركيا وأخيراً مصر .

« ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها !! » و إذا كانت قوى الشر و البغى من المعسكرين الشرقى والغربى قد تكاتفت على مساندة العدو الصهيونى وإمداده بأحدث منجزات العصر .. و إذا كنا نعد و نستعد لعدونا بأقصى ما نستطيع فى حـدود إمكانياتنا .. و إذا كانت النية معقودة على مواصلة الجهاد فلا ذنب و حجتنا معنا ولو استمر عدونا جاهنا على أرضنا لمئات السنين كغيره من المستعمرين السابقين ..

أما أن نسلم و نعترف بنفس راضية بأن حيفا و يافا وعكا بلاد صهيونية !!

فما عذرنا وما حجتنا فى ذلك وعلى ذلك .. يوم نسأل عليه أمام الله يوم العرض عليه ؟!

و خيراً فعلت إيران الثورة الاسلامية حين استدركت هذا الخطأ القادح فرجعت عنه . تضرب بذلك المثل و تقدم الدليل على أن منح الشرعية للمستعمر لا يعدو كونه سقطة مؤقته مهما طال عليها الزمن ، يمكن بل ويلزم تداركها فى أول فرصة على طريق العودة إلى الله ، و الله ولى التوفيق و الله المعين و المستعان إنه نعم المولى و نعم النصير .

من بحوث الندوة العالمية للأدب الاسلامى :

مبادىء فى الأدب و الدعوة

(٣)

فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكه الميدانى
أستاذ بكلية الشريعة و الدراسات الاسلامية
قسم الدعوة والدراسات العليا ـ بمكة المكرمة

الزينة من الجمال :

(١)

حب الجمال فطرة فى النفس الانسانية ، فهى بقوة فطرية قاسرة تميل إليه ، و تنجذب نحوه ، و ليس بمستطاع النفوس أن تغير فطرها التى فطرها البـارىء المصور عليهـا .

والجمال شئ يصعب تحديده ، ولكن باستطاعة النفوس أن تحس به وتتذوقه متى أدركته ، و عندئذ تميل إليه وتنجذب نحوه ، وتأنس به و ترتاح إليه وتسعد بالاستمتاع بلذة إحساس المشاعر به و لو تخيلا ، و يتفاوت الناس فى قدراتهم على تذوق الجمال والاحساس بدقائقه ، كشأن تفاوتهم فى سائر قدراتهم المادية و المعنوية : مثل القوى الجسمية ، و قدرات الذكاء ، و قوى الابصـار و السمع و الشم و الذوق و اللمس .

و الجمال يكون فى كل المجالات التى تدركها الحواس الظاهرة و الباطنة حتى مجالات الأفكار و التخيلات و الوجدانيات ، و الطباع . و الأخلاق ، و أنواع السلوك الارادى النفسى و الظاهر .

فنى ساحة المرئيات تشاهد الأبصار مرئيات جميلة تتفاوت فيما تحظى به من نسب الجمال تفاوتاً كبيراً و تشاهد مرئيات قبيحة تتفاوت فيما لديها من نسب القبح تفاوتاً كبيراً، و تشاهد وسطاً فاتراً لا يجذب بجمال و لا ينفر بقبح .

و فى ساحة الأصوات يسمع السامعون أصواتاً جميلة تتفاوت فيما تحظى به من نسب الجمال تفاوتاً كبيراً ، ويسمعون أصواتاً قبيحة تتفاوت فيما لديها من نسب القبح تفاوتاً كبيراً ، و تسمع أصواتاً فاترة لا تجذب بجمال و لا تنفر بقبح .

ونظير ذلك فى ساحة الروائح ، وفى ساحة الطعوم ، و فى ساحة الملموسات التى فيها ناعم و خشن ، و صلب و لين ، و قاس و لدن ، و حار و بارد .

و فى المشاعر الوجدانية ندرك أن لدينا مشاعر وجدانية جميلة لذيذة ، كمشاعر الحب ، و مشاعر الاحساس بفعل الخير ، و مشاعر الأبوة و الأمومة و الشعور بطمأنينة القلب وبالأمن ، وندرك أن لدينا مشاعر وجدانية قبيحة نتألم بها ، كالشعور بالذلة و الصغار ، و كالحقد والحسد ، و كالشعور بالخوف و القلق ، و ندرك أن لدينا مشاعر وجدانية فاترة لا تحدث لذة نفسية و لا تحدث ألماً ، كمشاعر الانتماء الى أسرة مغمورة ليس لها مجد يحدث فى النفس لذة الافتخار ، و ليس لها فضائح و قبائح تحدث فى النفس ألم الصغار .

وفى الساحة الفكرية ندرك أفكاراً جميلة حلوة ، وأفكاراً قبيحة مرة ، وأفكاراً فاترة لا تحدث انفعال استحسان و لا انفعال استقباح ، إن الفكرة الذكية المبتكرة فكرة جميلة ، وإن الفكرة الغبية المستنكرة فكرة قبيحة ، وإن الفكرة العادية المكررة دون غرض فنى أدبى فكرة فاترة تمر دون أن تثير أى انفعال ، و كذلك الفكرة الغامضة التى لا يستطيع من تعرض عليه أن يدركها و يمر فى أذهاننا شريط أفكار طويل فلا يحدث فينا أى انفعال من لذة أو ألم ، إنها أفكار فاترة ، ورب فكرة

تمر فتثير إعجاباً وانفعالا عظيماً نحوها ، وقد تمر فكرة فتقزز النفس منها وتصرفها بسرعة و تتجاوزها .

وفى ساحة التخيل تمر أخيلة جميلة حلوة لذيذة ، و تمر أخيلة قبيحة كريهة ، و تمر أخيلة فاترة فى شريط طويل ، فلا تحدث أى انفعال .

و فى ساحة التعبير البيانى عن الأفكار و المطالب و التخيلات و المشاعر النفسية و الوجدانية توجد تعبيرات بديعة جميلة جذابة تتملك المشاعر و تؤثر فى القلوب ، و تتفاوت فيما بينها بما تحظى به من نسب الجمال تفاوتاً كبيراً ، و توجد تعبيرات قبيحة منفرة ، وهذه تتفاوت فيما بينها بما فيها من نسب القبح تفاوتاً كبيراً ، وتوجد تعبيرات فاترة تمر دون أن تحدث فى النفوس أى انفعال محبوب أو مكروه .

(٢)

و قد غدا من الثابت لدينا أن الزينة من الجمال ، و أن كثيراً من المقاصد والمطالب إذا قدمت إلينا مغلفة بزيناتها أو مقرونة بزيناتها كنا أكثر قبولا لها ، و انسجاماً معها ، لأن جمال الزينة قد جذبنا إليها ، و أقنع عواطفنا و انفعالاتنا بقبولها ، لنحظى بلذة الاستمتاع بالجمال ، فتتحقق من وراء ذلك المقاصد الأساسية و المطـــالب .

و هذه الحقيقة تشمل الأفكار ، فاذا قدمت بعض الأفكار المقصودة و ما اشتملت عليه من مطـــالب اعتقاد أو عمل ممتزجة أو مقرونة بزينات جميلة فكرية أو لفظية كانت النفوس أكثر انجذاباً إليها . و قبولا لهـا ، ثم تمسكاً بها أو عملا بما طلب فيهـــا .

إن شأن الأفكار كشأن المآكل و المشارب و الأدوية ، و سائر المطالب و الحاجات فمنها ما هو حلو بطبعه ، و منها ما هو حامض ، و منها ما هو مر ،

و منها ما هو لين ، و منها ما هو قاس ، و منها ما هو ناعم ، و منها ما هو خشن ، ومنها ما هو مهوع مثير للغثيان ، ومنها ما هو محرك للشهوة مثير للعاب .

حتى الطيبات من المآكل و المشارب وغيرها يزيدها حسناً و جمالا و تطرية و تحريكاً لشهوات النفوس نحوها ، إذا قدمت فى أطباق جميلة نفيسة ، وعلى مائدة جميلة أنيقة ، و فى أيد نظيفة رشيقة حلوة ، لخدم مكتملى الأناقة حسان ، و فى مكان منظم ملىء بالأشياء الحسنة الجميلة ، من منظور ومسموع و مشموم و ملموس و نحو ذلك .

فالفكرة المرة قد تحتاج غلافاً حلواً جميلا يزينها حتى يبتلعها من توجه له .

و الفكرة الشديدة الحموضة قد تحتاج مخالطاً يعدل حموضتها حتى يستسيغهـــا من توجه له .

و الفكرة القاسية بطبعها قد تحتاج أسلوباً يلينها و يعدل قساوتها .

و الفكرة الخشنة بطبعها قد تحتاج أسلوباً ناعماً يغلفها و يهون ابتلاعها .

و كما أن الحسيات الجسدية يحتاج كثير منها إلى ما يجمله و يحسنه و يزينه للنفوس حتى تستسيغه ، كذلك الأفكار التى نريد تقديمها إلى الآخرين قد يحتاج كثير منها إلى ما يجمله و يحسنه ويزينه للنفوس حتى تستسيغه ، وهذا التجميل و التزيين و التحسين هو من عناصر الأدب الرفيع لا محالة .

ولكن ليس من الضرورى لكل فكرة مقصودة بالذات أن تصنع لها مزينات جمالية لا يكون الكلام ذا أدب رفيع إلا بهـا . فكثير من الأفكار جمالها ذاتى ، و إذا قدمت مجردة من كل الزينات و الأصباغ و الألوان فى أحوال ملائمة لهذا التقديم كانت أرفع أدباً ، وكانت النفوس أكثر تقبلا واستساغة لها ، فهى تزدردها أو ترتشفها بشهوة بالغة .

و هذا نظير تقديم سيد المائدة العظيم لضيفه العزيز قطعة مقشرة من الفاكهة أو قطعة منتقاة من أطيب اللحم ، مجردة من أى زينات موافقة أو مخالفة لها

و قد يكون من رفيع الأدب تقديم الفكرة المرة من غير تغليف ولا تحلية لتقديمها لمن يحسن إذاقته مرارتهـــا ، كأن يكون عدواً مجاهراً بعداوته مواجها بشتائمه ، و فى بعض الحالات التربوية نلاحظ أنه كما يحسن الضرب يحسن ما هو نظيره من الكلام .

(٣)

والجمال فى الوجود مع إدراك الناس له وإحساسهم بكثير من صوره ، إلا أنه شئ يصعب جداً تحديده ، و يصعب قياسه ، و لا تنحصر ألوانه .

و قد وضح لدينا أن الأدب لون من الجمال ، فهو إذن تنطبق عليه قواعد الجمال العامة .

إن من الجمال أحياناً أن تتصنع الحسناء ، ومن الجمال أحياناً أن لا تتصنع ، بل أن تظهر على طبيعتها ، ومن الجمال أحياناً أن تلبس الثياب الجميلة الساترة لكثير من مفاتن جسمها بطرائق خاصة ، ومن الجمال أحياناً أن تلمح ببعض مفاتن جسمها إلماحاً ثم تسترها ، و من الجمال أحياناً أن تتعرى على طبيعتها من غير ابتذال ثم تعود إلى سواترها .

ومن أبدع صور الجمال التنويع فيه ، و التنقل من لون إلى لون آخر منه ، أما الثبات و التكرار للصورة الواحدة فى كل الأوقات فهو ممل للنفوس مهما كانت هذه الصورة جميلة .

باستثناء تكرار المقاطع فى بعض ألوان صور الجمال كشجرة الورد على رأس كل زاوية عند منعطف الطريق ، أو على رأس كل مسافة ، لتكون بمثابة الدلالة .

وكذلك حال الأفكار وأساليب عرضها الأدبى ، ومثل شجرة الورد المتكررة على رأس كل مسافة أو على الزوايا ، آية « فبأى آلاء ربكما تكذبان » فى سورة الرحمن عروس القرآن ، لكنها صورة قدمت لوناً من ألوان الجمال الأدبى و مثالا و من أمثلته ، لم يوجد فى سائر القرآن نظير مطابق لها ، بل فيها ألوان أخرى .

ومع وجود قسم من الجمال لايختلف اثنان فى استحسانه ، و قدر من القبح لا يختلف اثنان فى استهجانه ، فكم توجد أوساط مشتبهات تختلف فيها أذواق الناس ، و تختلف وجهات أنظارهم إليها .

فما يستحسنه بعض الناس منها قد لا يراه غيرهم حسنا ، وما يستقبحه بعض الناس منها قد لا يراه غيرهم قبيحاً ، و تتدخل النظرات الذاتية الشخصية فى قسم المشتبهات بشكل واسع ، و يصعب فيها تحديد النظرة الموضوعية .

و يخضع الأدب لهذا القانون العام .

فقد يرضى كلام ممدوحاً مغروراً بنفسه يحب المديح فيراه أدباً رفيعاً مستحسناً ، لكنه فى الوقت نفسه يسخط حاسداً له ، فيراه تزلفاً تافهاً ، و أسلوباً فى المدح سخيفاً مستهجناً ، و يسمعه فريق ثالث فلا يرى فيه ما يحرك النفس بإعجاب و لا ما يحرك النفس بتقزز و استهجان .

و قد ترضى تعبيرات حب معشوقة ، فتراها أدباً رفيعاً مستحسناً ، فتحفظها وترويها بإعجاب ، لكن هذه التعبيرات قد أسخطت فى الوقت نفسه أترابها ، فرأينها تعبيرات سخيفة مبتذلة ، ثم يسمعها حياديون فلا يرون فيها رأى المعشوقة المعجبة ، و لا رأى أترابها الساخطات ، بل يرون فيها أدباً عادياً .

و هكذا تختلف وجهات أنظار الناس إلى هذه الأوساط المشتبهات ، التى لم يتمحض فيها الجمال ، ولم يتمحض فيها القبح ، وتتدخل عوامل نفسية فى الاستحسان ،

أو فى عدم الاستحسان ، و ربمـا تتدخل عوامل أخرى تتصل بمدى القدرة على الاحساس بالجمال ، أو بمدى الخبرة بفنونه و ألوانه و أشكاله و نسبته ، أو بمدى دقة الملاحظة التى قد تقع على النقض فتقف عنده ، و تجسمه حتى يملأ الساحة ، أو تقع على لمحة جمالية فتقف عندها معجبة وتعظمها ، ويتدخل الوهم فى مدها حتى تملأ كل الساحة ، و هكذا

(٤)

و لدى تحليل العوامل التى تجعل الناس يختلفون فى نظراتهم الجمالية إلى الأشياء اختلافاً كبيراً ، حتى إن الشئ الواحد قد يستحسنه فريق ، و قـد يستقبحه فريق آخر ، ويجعله فاتراً واقفاً على الحياد فريق ثالث ، و المستحسنون قد يتفاوتون فى درجة استحسانه ، و المستقبحون له قد يتفاوتون فى درجة استقبـاحه ، لدى هذا التحليل نلاحظ العوامل التالية :

العامل الأول :-

التلاؤم أو عدم التلاؤم بين أجهزة الاحساس فى الانسان والأشياء التى يدركها و يحس بها .

و الأمزجة و الأذواق البشرية تختلف فى هذا اختلافاً فطرياً لا ينكر ، و بسبب هذا العامل قد تختلف أحكامهم فى هذا المجال .

العامل الثانى :-

تدخل أهواء أو مصالح شخصية مرافقة ، و بسبب هذه الأهواء أو المصالح تختلف وجهة نظر أصحابهـا عن وجهات أنظار الآخرين الذين ليس لهم أمثال هذه الأهواء أو المصالح .

العامل الثالث :-

حكم العادة و الألف ، فكثير من الناس إذا اعتادوا لوناً من ألوان الجمال ،

آثروه تلقائياً على غيره و حكموا بأنه أحسن و أجمل ، و ربما لم يكن كذلك فى حقيقة الأمر .

العامل الرابع :—

مؤثرات البيئة ، فقد تتواضع بيئة ما على استحسان لون جمالى ، و ربما كان عادياً جداً وابتدائياً فى سلم الارتقاء الجمالى ، إلا أن تأثير البيئة يجعل الناشئين فيها يقتبسون منها الأذواق الجمالية ، فيتأثرون بأحكامها الناقصة ، أو أحكامها التى لا تنم عن ذوق رفيع ، و كذلك البيئات الراقية تمنح الناشئين أذواقاً رفيعة ، و البيئات تتفاوت تفاوتاً كبيراً فى هذا المجال .

العامل الخامس : -

مدى القدرة على تصيد نقاط الجمال و الاغضاء عما سواها ، و جعله أرضية لا تثير الانتباه . وقد يكون العكس ، فتكون القدرة النقدية ذات إحساس مفرط تجاه تصيد نقاط النقص أو القبح فقط . أما سواها فتغضى عنه ، و تجعله أرضية غير مثيرة للانتباه .

و بسبب هذا العامل بشطريه وتفاوت نسبة كل منهما فى الناس تظهر أحكام متباينة أو متخالفة .

العامل السادس :—

سعة التجارب وضيقها فى اكتساب ذوق الاحساس بالجمال ، وتفاوت نسبه .

يتبع

الدعوة الإسلامية

أدب التربية و المواعظ

(٢)

الدكتور غريب جمعة (القاهرة)

النموذج الثالث قصة يوسف عليه السلام :

الحمد لله أحسن الخالقين و أكرم الرازقين مكرم الموفقين و معظم الصادقين ، و مجل المتقين و مذل المنافقين ، حفظ يوسف لعلمه بعلم اليقين ، فألبسه عند الهم دروعا يقين ، وملكه إذ ملك عنان الهوى ميدان السابقين ، فذل له إخوته يوم « وما كنا سارقين » « قالوا تالله لقد آثرك الله علينا و إن كنا لخاطئين »

أحمده حمد الشاكرين ، وأصلي على رسوله محمد أشرف الذاكرين وعلى أبي بكر سابق المبكرين ، و على عمر سيد الآمرين بالمعروف و المنكرين ، و على عثمان الشهيد بأيدي الماكرين وعلى علي إمام العباد المتفكرين ، وعلى عمه العباس أبي الخلفاء الراشدين ، قال الله عز و جل « تالله لقد آثرك الله علينا » (١) ،

كان يعقوب قد ولد في زمن إبراهيم و نبيء في زمانه أيضاً ، و كان هو والعيص توأمين فاختصما فخرج هارباً إلى خاله لابان فزوجه ابنته ليا ، فولدت له روبيل ثم شمعون و لاوى و يشجب و يهوذا وزبالون ، ثم توفيت فتزوج أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين (ومعناه ابن الوجع) لأنها ماتت في نفاسه ، وولد له من غيرها أربعة فكان أولاده اثني عشر و هم الأسباط .

وكان أحب الخلق إليه يوسف ، فحسده إخوته فاحتالوا عليه ، فقالوا يايوسف أما تشتاق أن تخرج معنا فنلعب ونتصيد ؟ فقال : بلى قالوا : فاسأل أباك أن يرسلك

---

(١) يوسف/٩١

معنا ، فاستأذنه فأذن له ، فلما أصحروا أظهروا له ما فی أنفسهم من العداوة ، فجعل كلما التجأ إلى شخص منهم آذاه و ضربه ، فلما فطن لما عزموا عليه قال : يا أبتاه يعقوب لو رأيت يوسف وما نزل به من إخوته لأحزنك ذالك وأبكاك ، يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك و ضيعوا وصيتك ، فأخذه روبيل فضرب به الأرض و جثم على صدره ليقتله و قال : يا ابن راحيل قل لرؤياك تخلصك ، و كان قد رأى وهو ابن سبع سنين الشمس و القمر والنجوم ساجدين له ، فصاح يا يهوذا حل بينی و بين من يريد قتلی ، فقال يهوذا : ألقوه فی غيابة الجب فنزعوا قميصه لالقائه فقال ردوه على أستر به عورتی و يكون كفناً لی فی مماتی .

فلما ألقوه أخرج الله له حجراً مرتفعاً من الماء فاستقرت عليه قدماه و كان يعقوب عليه السلام قد أدرج قميص إبراهيم عليه السلام الذی كسيه يوم ألقی فی النار فی قصبة وجعلها فی عنق يوسف فبعث الله عزوجل ملكاً فاستخرج القميص فألبسه إياه و أضاء له الجب و عذب ماؤه و جاءه جبريل يؤنسه فلما أمسى نهض جبريل ليذهب فقال له يوسف : إنك إذا خرجت عنی استوحشت فقال إذا رهبت شيئاً فقل : يا صريخ المستصرخين و يا غياث المستغيثين و يا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكانی و تعلم حالی و لا يخفى عليك شئ من أمری ، فلما قالها حفت به الملائكة فاستأنس بهم .

وذبح إخوته جدياً فلطخوا به القميص و قالوا أكله الذئب ومكث فی الجب ثلاثة أيام و إخوته يرعون حوله ، و يهوذا يأتيه بالقوت .

فلما جاءت السيارة تسقی من الجب تعلق بالحبل فأخرجوه ، فجاء إخوة يوسف فقالوا : هذا عبد أبق منا ، فباعوه منهم بعشرين درهماً و حلة و نعلين .

فحملوه إلى مصر فوقفوه للبيع ، فتزايد الناس فی ثمنه ، حتى بلغ وزنه مسكاً

و وزنه ورقاً و وزنه حريراً ، واشتراه بذلك قطفير . وكان أمين ملكهم وخازنه ، وقال لامرأته : زليخا : أكرمى مثواه ، فراودته فعصم منها ، فسجنته إذ لم يوافقها فبقى مسجوناً إلى حين منام الملك ، فلما أخرجه من السجن فوض إليه أمر مصر ، فجمع الأقوات فى زمن الرخاء وباع فى زمن القحط ، فروى أنه باع مكوك (١) بر بمكوك در ، و باع أهل بمصر بأموالهم و حليهم و مواشيهم و عقارهم و عبيدهم ، ثم بأولادهم ثم برقابهم ثم قال : إنى قد أعتقهم و ردوه عليهم أموالهم .

و كان يوسف عليه السلام لا يشبع فى تلك الأيام و يقول : أخاف أن أنسى الجائع ! وبلغ القحط إلى كنعان فأرسل يعقوب ولده للميرة ، و قال : يابنى قد بلغنى أن بمصر ملكاً صالحـــاً فانطلقوا إليه فاقرئوه منى السلام فمضوا فدخلوا عليه فعرفهم و أنكروه فقال : من أين أتيتم ؟ فقالوا من أرض كنعان ، ولنا شيخ يقال له يعقوب و هو يقرئك السلام ، فبكى وعصر عينيه و قال : لعلكم جواسيس فقالوا : لا و الله ، قال : فكم أنتم ؟ قالوا : أحد عشر ، و كنا اثنى عشر فأكل أحدنا الذئب ، فقال ائتونى بأخيكم الذى من أبيكم ثم درج بضاعتهم فى رحالهم . فعادوا إلى أبيهم فقالوا : « إنا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل » ، فقال يعقوب : « هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل ؟ » ثم حمله احتيـاجه من الطعام إلى أن أرسله معهم .

فلما دخلوا على يوسف أجلس كل اثنين على مائدة ، فبقى بنيامين وحيداً يبكى و قال : لو كان أخى حيـاً لأجلسنى معه ، فضمه يوسف إليه و قال : أتحب أن أكون أخاك ؟ فقال أيها الملك و من يجد أخاً مثلك . و لـكن لم يلدك يعقوب و لا راحيل فبكى يوسف و قام إليه فاعتنقه و قال أنا أخوك ، ثم احتال عليه

(٢) المكوك : مكيال يسع صاعاً و نصف

فوضع الصاع فی رحله فلما لم يقدروا علی خلاصه أقام يهوذا و رجعوا إلی يعقوب يقولون : إن ابنك سرق . فتلقاهم بصبر جميل و انفرد بحزنه .

قال الحسن: ما فارقه الحزن ثمانين سنة ، وما جفت عيناه ، وما أحد أكرم علی الله منه ، ثم إن ملك الموت لقی يعقوب فسأله : هل قبضت روح يوسف ؟ قال : لا . فأصبح يقول لبنيه : «اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه» فلما عادوا إليه ببضاعة مزجاة وهی القليلة ، وقفوا موقف الذل ، وقالوا : تصدق علينا ، فقال : « هل علمتم ما فعلتم بيوسف ؟ » وكشف الحجاب عن نفسه فعرفوه فقالوا : « أئنك لأنت يوسف » فحينئذ قالوا : « تالله لقد آثرك الله علينا » قال الزجاج تالله بمعنی : و الله ، إلا أن التاء لا يقسم بها إلا فی الله عزو جل ولا يجوز تالرحمن ولا تربی و التـاء تبدل من الواو كما قالوا فی وراث : تراث و قالوا : يتزن ، و أصله ، يوتزن ، من الوزن . و معنی (آثرك الله) اختارك و فضلك . وكان قد فضل عليهم بالحسن و العقل و الحلم و الصبر و غير ذلك « و إن كنـا لخاطئين » أی لمذنبين آثمين فی أمرك .

« قال لا تثريب عليكم اليوم » أی لا أعيركم بما صنعتم ، ثم سألهم عن أبيه فقالوا : ذهبت عيناه ، فأعطاهم قميصه و قال : « اذهبوا بقميصی هذا فألقوه علی وجه أبی يأت بصيراً » و هو قميص الخليل الذی كان فی عنق يوسف ، وكان من الجنة ، فلـا خرجوا من مصر حمل القميص يهوذا و قال : أنا حملت قميص الدم وها أنا أحمل قميص البشارة ، فخرج حافياً حاسراً يعدو ومعه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها ، فقال يعقوب: لمن حضر من أهله و ولد ولده : « إنی لأجد ريح يوسف لو لا أن تفندون » أی تنكرون علی لأخبرتكم أنه حی .

« فلما أن جاء البشير ألقاه علی وجهه فارتد بصيرا » ثم خرج فی نحو من

سبعين من أهله ، و خرج يوسف لتلقيه ، فلما التقيا قال يعقوب : السلام عليك يا مذهب الأحزان ، فقال يوسف : بكيت يا أبتى حتى ذهب بصرك أما علمت أن القيامة تجمعنى و إياك ! فقال يا بنى خشيت أن يستلب دينك فلا تجمع !

وكان يوسف عليه السلام ، يركب فى كل شهر مركبه فى ثمانمائة ألف ومعه ألف لواء و ألفا سيف ، فيدور فى عمله فينصف المظلوم من الظالم .

و كانت زليخا تلبس جبة صوف و تشد وسطها بحبل من ليف و تقف على قارعة الطريق فتناديه فلا يسمع ، فنادته يوماً : أيها العزيز سبحان من جعل العبيد بالطاعة ملوكاً وجعل الملوك بالمعصية عبيداً ! فسمعها فبكى وقال لفتاه : انطلق بهذه العجوز إلى الدار و اقض لها كل حاجة ، فقال لها الغلام : ما حاجاتك ؟ يا عجوز ؟ فقالت حاجتى محرمة أن يقضيهـــا غير يوسف ، فلما جاء يوسف قال : من أنت يا عجوز ؟ فقالت : أنا زليخا ، قال ما فعل حسنك وجمالك ؟ قالت ذهب به الذى أذهب ذلك و سكنتك ، فقال : يا زليخــا عندى قضاء ثلاث حوائج فسلى فوحق شيبة إبراهيم لأقضينها

فقالت : حاجتى الأولى أن تدعو الله أن يرد على بصرى و شبابى فدعا لها ، فرد الله عليها بصرها وشبابها ثم قالت : أدع الله أن يرد على حسنى كما كان ، فدعالها ، فرد عليها حسنها وزيد فيه فصارت كأنها بنت ثمانى عشرة سنة ، وكان لها من العمر مأة وعشرون سنة ، وقالت وحاجتى الثانية أن تسأل الله أن يغفرلى ما كان منى ، وحاجتى الثالثة أن تتزوج بى فتزوج بها فأصابها بكراً و أولدها اثنى عشر ولداً ، ذكر هذا أبو الحسين بن المنادى و غيره عن وهب (١) .

و أقام يعقوب عند يوسف أربعاً و عشرين سنة فى أهنأ عيش فلما حضرته

---

(١) كان وهب بن منبه يتزيد فى أخباره و لا يتحرى الدقة فيما يرويه .

الوفاة أوصى إلى يوسف أن يحمله إلى الشام حتى يدفنه عند أبيه إسحاق ، ففعل، ثم إن يوسف عليه السلام رأى أن أمره قد تم فقال : « توفنى مسلماً » و أوصى إلى يهوذا .

فتلمحوا علو قدر يعقوب ببلائه ، و عز يوسف فى صبره ، و ليكن حظكم من هده القصة « إنه من يتق و يصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين »

و ليتفكر العاصى فى لذات فنيت وتبعات بقيت ، و ليتدبر العاصى لذة مربحة ثبتت ، و مرارة مصابرة خلت ، و الأمر بآخره و للعواقب يعمل المستيقظ .

رزقنا الله و إياكم صبراً يزيننا ، و عصمة من هوى يشيننا ، إنه إن فعل سلمت دنيانا و ديننا ، إنه قريب مجيب .

الكلام على البسلمة

إلى أى حين أنت فى حبوة لا هى O أمالك من شئ و عظت به ناهى
و يا مذنباً يرجو من الله عفوه O أ ترضى بسبق المتقين إلى الله

يا مبارزاً بالعظائم كيف أمنت فنمت ، يا مصراً على الجرائم عجباً الك إن سلمت ، يا مبذراً منذراً كأنه ما يسمع ، إن فاجأك العذاب فماذا تصنع ؟ تدبر عقبى أبى الأباه إلى ما آب ، وتفكر فى حال المذنبين فبئس المآب ، بينا هم فى أمن قد فرق بينهم ، و نعق بينهم للبين غراب ، فتراكم ركام الهوام عليهم فى الهواء و اللعاب ، و مر مرير الريق فمشى فى المشارع العذاب ، و امتد ساعد البلاء إلى إغلاق باب العتاب ، و سألوهم عن جورهم فقوى قلق الجوى فى الجواب و ذاقوا بعد حلاوة الخلاف من أخلاف الأوصاب الصاب ، وانتقى الانتقام نقى لذاتهم فخلت عما لذ أوطاب و نشبت فى شيبهم و شبابهم شبا سيوف الذم و عتا العتاب . ودخلوا إلى نار تهاب أوصافها قبل أن ينتهى إلى الالتهاب ، فلما سالت العيون دماً قرعوا بالأنامل ندماً

لما ناب الناب ، و حط من ربا منهم على الربا فاستبدل صوت الأسى عن الرباب فاحذروا أن يصيبكم من نصيبكم مثل حصصهم ، فلقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألبـــاب .

و لقد رأيت معــاشراً جمحت بهم ۝ تلك الطبيعـــة نحو كل تيـــار
تهوى نفوسهم هوى أجسامهم ۝ شغـــلا بكل دناءة و صغـــار
شبعوا الهوى فهوى بهم وكذا الهوى ۝ منه الهوان بأهله لحـــذار
فانظر بعين الحق لا عين الهوى ۝ فالحق للعين الجليـــة عـــار
قاد الهوى الفجـــار فانقادوا له ۝ و أبت عليه مقــادة الأبرار

إخوانى : من فعل ما يحب لقى ما يكره ، و من صبر على ما يكره نال ما يحب ، لا تقطع مشاورة العقل قبل مشاورة الهوى فان المشير برأيه واقف على مداحص الزلل ، لم تزل أكف العقل ضابطة أعنة النفوس غير أن العزم ينقلب ، ركوب الأخطار يسوق الأقدار من قرأ و الناس نيام تكلم و الناس سكوت .

وهب بعض الملوك جارية يحبها فقال الموهوب له : لا أفرق بينك وبين من تهواه ، فقال : خذها و إن كنت أحبها ليعلم هواى أنى غير طائع له .

و قيل للمرتعش إن فلاناً يمشى على الماء ، فقال : إن من مكنه الله عزو جل من مخالفة هواه أعظم من المشى على الماء .

فان المر حين يسر حلو ۝ و إن الحـــلو حين يضر مر
فخذ مراً تصـــادف منه نفعـــاً ۝ و لا تعدل إلى حـــلو يضر

صابره ليل البلا قد دنا الفجر ، و أثبت لعمل نهار العمر تستوف الأجر ، و احبس نفسك عن هواهـا فينفعك الحجر ، و ارجز لهـا فان لم تسر بالوجز فبالزجر ، ما نال من نال ما نال إلا بالصبر ، وبه علا ذكر كل عابد وحبر ، وهو

وإن مرت مذاقته بانت حلاوته فى القبر ، أيها النائم وهو منتبه ، المتحير فى أمر لا يشتبه ، يا من قد صاح به الموت فى سلب صاحبه و هو مغرور بجهله مفتون بلعبه ، يا واقفاً مع الهوى و الطبع أ أمنت شين القلب بالختم و الطبع .

أترك الشر و لا تأنس بشر ۝ و تواضع إنما أنت بشر
هذه الأجسام ترب هامد ۝ فمن الجهل افتخار و أشر
جسد من أربع تلحظها ۝ سبعة من فوقها فى اثنى عشر
فعجيب فرح النفس إذا ۝ شاع فى الأرض تناها و انتشر
ستشار خائن فى نصحه ۝ و أمين ناصح لم يستشر
فافعل الخير و أمل غبه ۝ فهو الذخر إذا الله حشر
أضمر الخيفة و أظهر ندماً ۝ قل ما أحرز الطرف المدى حين ضمر
و هى الدنيا أذاها أبداً ۝ زمراً واردة بعد زمر
فى حياة كخيال طارق ۝ شغل الفكر و خلاك و مر

يتبع

الحلقة الثالثة

من بحوث

الندوة العالمية للأدب الإسلامي

مفهومات أوليـــــــــة
عن الأدب الاسلامى

(٢)

دكتور / عباس محجوب محمود
الجامعة الاسلامية المدينة المنورة
بكليتى الدعوة و اللغة العربية

سارتر رائد الفكر الوجودى و الأدباء العرب :

جان بول سارتر من الشخصيات التى اهتم بها المثقفون فى العالم العربى بل إن كثيراً منهم لا بد و أن يتحدث عنه أو يكتب ليدلك على مدى ثقافته و عصريته وهذا ما يفسر سر اهتمام الكتاب بالفكر الوجودى بعامة و وجودية سارتر بخاصة حيث كتبوا عنه كثيراً و ترجموا كتبه و وجهت له الدعوات لزيارة بلاد إسلامية عربية حتى أبان مناصرته العلنية لاسرائيل و وقوفه ضد المطالب الفلسطينية فقد ترجم له الدكتور عبد الرحمن بدوى كتاب « الوجود و العدم » و هو الذى يبين فلسفة الوجودية و أصولها كما ترجم له الدكتور محمد غنيمى هلال « ما الأدب » و هو جزء من كتاب فى مجلدات ثلاثة لسارتر بعنوان « مواقف » و هو الذى ركز فيه على نظرية « الالتزام فى الأدب » كما ترجم له الدكتور خليل صابات كتاب « الكلمات » الذى يمثل السيرة الذاتية لسارتر كما ترجم له الدكتور محمد القصاص مسرحية الذباب التى اشتهرت فى العالم العربى ورواية « الغثيان » وغيرهما ، وكل مسرحياته أو رواياته

تعد تجسيداً عملياً لآرائه التى وضحها فى كتبه الأولى، ولم يكتف الأدباء والنقاد بقراءة ما كتب سارتر بل قرأوا ما كتب عنه فى اللغات الأخرى و تأثروا به و تبنوا فكره، وكان على رأس الذين رددوا أفكاره بأساليبهم، الكاتب «أنيس منصور» وكذلك الدكتور عز الدين إسمعيل و غيرهم من الكتاب الذين يركزون على قضية العقل و الحرية والاهتمام بحياة الناس لا بالفكر التجريدى ، بل إن الحرية تمثل فى نظره هى قضية الكاتب الأساسية فهو يقول : [(إذ فى اللحظة التى أشعر فيها بأن حريتى مرتبطة بحرية الآخرين من الناس رباطاً لا ينفصم ، لا يمكن أن يتطالب منى أن استخدمها فى تصويب استعباد بعضهم لبعض ، فليكن المؤلف كاتب رسائل أو مقالات أو هجاء، أو قصصياً وليقتصد فى حديثه على عواطف فردية أوليهاجم نظام المجتمع ، فهو فى كل أحواله الرجل الحر يتوجه إلى الأحرار من الناس ، و ليس له سوى موضوع واحد هو الحرية)] (١) .

و الناظر إلى الفكر الوجودى ، وأرجو أن تكون فكرتى عنه صحيحة يرى أن الدعوة إلى الاحتكام إلى العقل و الخروج بالانسان من دائرة اللاوعى إلى دائرة الوعى واعتبار حرية المسلم باختلاف وجوهها وأشكالها إنما هى دعوة ليست جديدة على الفكر الاسلامى أو الفلسفة الاسلامية، فدعوات الاصلاح والتجديد قديماً وحديثاً لم تشغل إلا بقضيتى الوعى والحرية سواء أكانت حرية سياسية أو دينية أو اقتصادية أو اجتماعية أو أدبية و ما إلى ذلك .

أما قضية الوعى التى يركز عليها أو ما يسميه سارتر بالوعى الوضعى فيهدف منه على الوعى الذى يوحده العمل الفنى فى القارىء باعتباره اقتراحــاً موجهاً إلى حريته، والوعى الوضعى يصاحبه وعى غير وضعى، وهو الوعى بالحريه تجاه موقف خاص،

(١) سارتر « ما الأدب » ص ٦٧ ترجمة دكتور / غنيمى هلال .

فالكاتب يهدف إلى منح قرائه اللذة الفنية وهى ما يسميه « بالطرب الفنى » والوعى الذى يصل إليه الانسان عن طريق العمل الفنى حيث إن مهمة الكاتب بجلو موضوعه الوحيد فى الحياة وهو العالم، وفى حالة الطرب الفنى أى « المتعة بالعمل » « يبدو الوعى الخاص بالموضوع المقروء وعياً تصورياً للعالم فى مجموعه كما هو، وكما يجب أن يكون فى آن » (١) و يقول : « و يشتمل الوعى غير الوضعى حقاً على مجموعة الحريات الانسانية مؤتلفة بوصفه موضوع الثقة و الحاجة العالميتين ».

و قضية الالتزام التى تحدث عنها و اعتبرها الكثيرون من أجود آراء سارتر و فلسفته تمثل نقطة الالتقاء بين الفكر الاسلامى عامة و ما يراه سارتر، بل إن الفكر الاسلامى يجعل الالتزام قضية الحياة والمسلم، شخص ملتزم مادام على الأرض، فاذا كان كذلك فى مجالات الحياة كلها وحركتها فذلك فى مجال الأدب أقوى وأوجب بل إن سارتر يخرج الشعر من دائرة الالتزام و يقصره على النثر فهو يتحدث عن الكاتب فيقول : (فعمله إنما هو فى الاعراب عن المعانى) وعلينا أن نسجل هنا تفرقة أخرى هى أن ميدان المعانى إنما هو النثر، فالشعر يعد من باب الرسم والنحت و الموسيقى ، و قد لامنى قوم زاعمين أنى أبغض الشعر محتجين ، بأن مجلة « العصور الحديثة » قلما تنشر شعراً ، ولكن فى هذا الدليل على أننا نحبه ـ خلاف ما يزعمون ـ وحسبنا فى إقناعهم أن يلقوا نظرة على الانتاج الأدبى المعاصر ليروا فيه ضالة الشعر ، ويقول هؤلاء النقاد فى زهو المنتصر « لا تستطيع بحال أن تجعل الشعر التزامياً » و هذا حق و لم أرم إلى هذا ؟ لأنه يستخدم الكلمات كالنثر ؟ و لكنه لا يستخدمها بنفس الطريقة بل لنا أن نقول : إنه لا يستخدم الكلمات بحال ، ولكنه يخدمها، فالشعراء قوم يترفعون باللغة عن أن تكون نفعية » (٢)

(١) سارتر « ما الأدب » ص ٦٤ (٢) ما الأدب ص ١٢ ـ ١٤

ويعلق المترجم على الالتزام فيقول : « إن أدب الالتزام لا يريد من الكتاب أن يتصلوا من التبعة فى مواجهة مسائل عصرهم بالحديث عن مبادىء عامة لا تربط بوعى العصر ومشكلاته المحددة كل التحديد، تعللا بأنهم ينشدون الخلود لأدبهم وظناً منهم أن التعمق فى وعى العصر الذى يعيشون فيه يجعل أدبهم موقوتاً » (١)

إننا إذا أبعدنا الجانب الذى يتحدث فيه عن الله لا نجد جديداً فى فكر سارتر يجعلنا نهتم به هذا الاهتمام الذى وجده من الكتاب و الأدباء العرب و كأنه يبشر بأفكار و دعوات لا عهد للبشرية أو العرب بها .

و كان من نتائج التأثر غير الوعى بآراء سارتر وغيره من أدباء الغرب أمثال مس اليوت و البير كامو و غيرهم ، إن ظهرت آثار المذاهب الأوربية فى الأدب العربى الحديث كوافد غريب لا أصل له ولا جذور فى بنائنا الاجتماعى و واقعنا الاقتصادى و قيمنا ومثلنا . فكانت الهوة كبيرة بين القراء والأدب ، لأن الأدب الحديث يحلق فى أجواء لم يألفها . و ظهرت تعبيرات تجريدية و اللامعقول فى الشعر و القصة و المسرحية بدعوى مواكبة الحركة الفكرية و الاتجاهات العالمية فى الفن والأدب ، وهذا لا يمنع من وجود قلة من الأدباء يتذوقون هذه الألوان الوافدة بحكم ثقافاتهم وبحكم بقائهم فى الغرب فترة طويلة ، ولكن ليس عليهم أن يطالبونا بتذوق آداب لم نألفها ومعايشة وتبنى أفكار لم تنبع من ذواتنا وواقعنا ، وفالتجريدية و اللامعقول و غيرهما من الاتجاهات الأدبية كانت نتاج حركة المجتمع الصناعى فى الغرب و التقدم المادى للحضارة و دوامة العمل والحركة والقلق النفسى و التفكك الاجتماعى فى المجتمع الصناعى و نحن لازلنا بعيدين و سنظل بحكم ثقافتنا و ديننا و تراثنا بعيدين عن معاناة المجتمع الصناعى حيث تقوم العلاقات على أسس مادية ،

(١) المقدمة ص ٧

وتنطلق المقاييس الجمالية و الذوقية من قيم المجتمعات غير الاسلامية و كلها مقاييس و قيم لا تتلاءم مع أذواقنا و لا قيمنا الروحية المستمدة من ديننا .

إن الأدب العربى الحديث يعم الكثير من المظاهر المستعارة التى لا نجد لها خلفية أو أصالة فى أدبنا وذواتنا ، ونحن نعرف أن الأدب المؤثر المستمر هو الذى يستمد قضاياه من المجتمع الذى يعبر عنه و التجارب التى يعانيها الأديب فى مجتمعه و يعايشها حتى يكون الأديب كاتباً لمجتمعه و لغيره ، لمن يقرأون له و يفهمونه و يحسون بأنه يعبر عن ذاتهم و تجاربهم و حياتهم .

ماذا يكتب الأديب المسلم ؟

ليس واجب الأديب المسلم أن يكتب فى الشعر و النثر الفنى لأن مجالات كتابته واسعة و منها الرواية و القصة و التراجم ، و إذا أخذنا هذه الفنون و استعرضناها تاريخياً ومعاصرة اتضح لنا مدى الدور على عاتق الأديب المسلم .

التراجم :

كتب الرجال و الأنساب و الطبقات مثلت فى التراث الاسلامى نتاج التتبع لأخبار الرسول ﷺ والتحقق من أقواله وأفعاله لبيان صحيحها من منحولها ، ولأن جيل الصحابة هو الذى أخبر الرسول عنه ، أنه المنتسب إلى خير القرون و لأنهم السابقون إلى الاسلام المتشرفون بصحبة الرسول ﷺ والمجاهدون معه والمنتصرون لدينه ، لذلك كانت العناية بتسجيل أخبارهم و الكتابة عنهم و كانت كتب الطبقات الأول مثل كتاب الواقدى (١) فى القرن الثانى و ابن سعد (٢) من أول ماكتب

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد ، ذكر ابن النديم له ٢٨ مؤلفاً أهمها كتاب المغازى و فتوح الشام و فتح أفريقيا ترجم له ابن خلكان ★

فى ذلك ، و كل من يتحدث عن كتب الطبقات يخطر إلى ذهنه كتاب ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ « أسد الغابة فى معرفة الصحابة » و كتاب ابن حجر العسقلانى « الاصابة فى تمييز الصحابة » فى القرن التاسع الهجرى .

و قد كان ظهور الطبقات الخاصة بالصحابة سبباً فى توسع دائرة الكتابة فى رجال العلوم المختلفة والفنون المتباينة حسب نشاط الفكر البشرى فى مختلف جوانبه ، فظهر كتب طبقات الشعراء والنحاة واللغويين والأدباء فى اللغة والأدب والمفسرين و الحفاظ و القراء فى علوم القرآن و الفقهاء و المتكلمين و الأطباء وغيرهم (١) كما ظهرت تراجم الأعلام مثل « وفيات الأعيان » لابن خلكان فى القرن السابع ، و مكملات الوفيات ، كما خصصت التراجم لرجال كل قرن على حدة مثل « الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع » للسخاوى و « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » لابن حجر ، وغيرهما ، كما ألفت التراجم لأصحاب المذاهب الفقهية كطبقات الشافعية و الحنابلة و الحنفية .

كتب السيرة :

طوال القرون التى أعقبت وفاة الرسول ﷺ و الكتاب يكتبون فى سيرته العطرة التى تنكشف لهم فيها كل يوم جوانب جديدة و آفاق واسعة وسمات جديرة

★ فى ج ١ ص ٥٠٦ و ابن النديم فى الفهرست ، راجع جرجى زيدان ـ ١٥٠ ـ ١٥١ ج ثانى .

٢) هو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهرى صاحب كتاب طبقات الصحابة والتابعين أو كتاب الطبقات الكبيرة كتب فيها سيرة الرسول ﷺ وترجم لنحو ٣٠٠ صحابى و تابعى ، راجع المصدر السابق .

١) راجع جرجى زيدان ـ تاريخ آداب اللغة العربية ص ١٥١ ، ج ٢

بالتحقيق و المراجعة ، و السيرة النبوية كانت أول ما كتب عن تاريخ المسلمين فى العهد الأموى، ومع أن البداية كانت باسم المغازى والسير إلا أنهما انفصلا، فكان التأليف فى السيرة منفصلا عن التأليف فى المغازى ويعتبر كتاب «سيرة النبي ﷺ» المشهور بسيرة ابن هشام (١) أقدم كتاب موجود متفق عليه اعتمد فى كتابته تهذيب و تلخيص سيرة ابن إسحاق (٢) و كان الأدباء قديماً يكتبون فى التاريخ والسيرة، توالى التأليف بتعاقب القرون فى سيرة الرسول ﷺ إلى عصرنا هذا ، و قد كتب من المعاصرين فى السيرة عدد كبير منهم أحمد تيمور ، « حياة محمد » و العقاد فى « عبقرياته » و طه حسين على هامش السيرة ، و محمد فريد وجدى « حياة خاتم المرسلين » ومحمد شيت خطاب « الرسول القائد » وخالد محمدخالد ، وغيرها من الكثير المكتوب كما كتبت سيرة بنات الرسول ﷺ و زوجاته وأمه فيما كتبت الدكتوراة عائشة عبد الرحمن ، بنت الشاطى ، و غيرها ، و كذلك ما كتب الشيخ محمد أبو زهرة بعنوان سيرة خاتم النبيين ، و الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوى بعنوان « السيرة النوية »، كذلك كتبت مؤلفات عن فقه السيرة كما فى كتابى محمد الغزالى و محمد سعيد رمضان البوطى كما كتب المستشرقون عن السيرة كثيراً .

نماذج من الكتابة الأدبية للسيرة

برزت الكتابة الأدبية للسيرةالنبوية بخاصة ، والتاريخ الاسلامى بعامة كظاهرة

---

(١) هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى المعـــافرى ألف فى الأنساب ، توفى بمصر سنة ٢١٣ هـ

(٢) هو أبو بكر محمد بن اسحاق بن يسار مولى قيس بن مخرمة بن المطلب ابن عبد المناف توفى ببصرة سنة ١٥١ هـ ، من كتبه فى المغازى أخذ ابن هشام سيرته .

فى الثلث الأول من هذا القرن و قد ألف محمـــد حسين هيكل كتابه « حياة محمد » سنة ١٩٣٢م الذى كان ولا يزال من أجود ما كتب أدبياً فى السيرة النبوية وهو يعلل لهذه الكتابة فيقول: « ولم ألبث حين تبينت هذا الأمر أن دعوت إلى إحياء حضارتنا الشرقية ومصدر الحضارة سنا الأرواح المضيئة لى، كم فى ماضينا من أرواح ذات ضياء باهر قادرة بقوتها على أن تبعث الحضارة الاسلامية خلقاً جديداً كما بعث فلاسفة اليونان الحضارة الغربية المدنية ، و محمـــد بن عبد الله هو النور الأول الذى استمدت هذه الأرواح منه ضياءها و هو الشمس التى أمدت كل هذه الأقمار بسناها، لذلك جعلت سيرته موضع دراستى(١) » وهذه الدراسة الأدبية العلمية لحياة الرسول ﷺ تطورت بكتابة السيرة من مجال البحث التاريخى المحض إلى مجال البحث الأدبى العلمى الذى تمتزج فيه عواطف الكاتب و أحاسيسه و مشاعره على سيرة الشخصية التى يكتب عنها ، و لعل هذا الاتجاه الأدبى العلمى فى كتابة السيرة النبوية هى التى حفزت الدكتور طه حسين أن يكتب بعد عام واحد من هيكل أول فصول كتابه « على هامش السيرة ».

أولا : سيرة خاتم النبيين :

و من أحدث الكتب الأدبية عن حياة الرسول ﷺ كتاب الشيخ محمد أبو زهرة « خاتم النبيين ﷺ » والذى بدأ مقدمته بقطع راقية من الأدب السامى والمشاعر النبيلة التى تجذب القارىء إلى الكتاب فهو يقول : « إن الله خلقك بشراً سوياً ، و لكنك فوق سائر البشر و آثارك التى حملتها الأجيال من بعدك فوق القدر ، ونحن معشر المتبعين لك إن كان فينا شرف هذا الاتباع، إنما ندرك بالتصوير أمثالنا ، فمن خواطرنا و منازع نفوسنا نتعرف نفوس غيرنا و نحكم على أحوالهم

(١) هيكل « حياة محمد ».

وإن حاولنا أن ندرك من هو أعلى منا، فانه يجب أن يكون علوه على مرأى أنظارنا وفى مطالع آفاقنا فعندئذ نحاول وقد نصل، ولكنك يارسول الله فى علو لا نصل إليه، وفى سماك لا نراه، وليس منا من يضاهيك حتى نتمثله وتتخيله، فانى لأمثالنا أن يكتب فى شأنك، وأن يعلو إلى شأوك، إن ذلك أمر فوق المنال ويعلو على مدارك الخيال (١)» ويقول أيضاً مخاطباً الرسول ﷺ يا رسول الله إننا نكتب فى العظماء لنصور نواحى عظمتهم، ولكل عظيم ناحية واحدة من نواحى العظمة، فالاتجاه إلى تلك الناحية هى مفتاح عظمته، متسهل معرفته، ولكنك يارسول الله فوق عظمة الأشخاص، لأن وجوه عظمتك تعددت حتى يعجز المحصى عن الاحصاء والمستقرىء عن الاستقراء، وإذا نفدت الطاقة أقر مطمئناً بعجزه، ومؤمناً بأن وجودك فى هذا الوجود معجزة البشر، فاذا كنت من البشر، وانت فى كونك إلا بشراً، فلست إلهاً ولست ملكاً من الملائكة، فانك من مقام أعلى من سائر البشر ومن الملائكة، صانك ربك، وحفظك ورباك على عينه حتى كنت وحيداً بين الغلمان، بماكلأك الله به وحماك، وصبياً فريداً بين الصبيان، وكنت الشاب الأمين البعيد عن رجس الجاهلية بين الشباب، فكل شئ فى حياتك الأولى كان من الخوارق التى علت عن الأسباب والمسببات، فلم تكن أثر تربية موجهة، ولا أثر بيئة حاملة، ولا أثر شرف رفيع، وإن كان محققاً، ولكنك كنت صنيع الله، فكنت معجزة بشخصك وكونك ووجودك، فيك البشرية، وفيك المعجزة الالهية (٢)».

يتبع

---

(١) خاتم النبيين ص ٥.

(٢) المصدر السابق ص ٦.

مؤثرات أجنبيـــة فى جوانب
من منهج تربية ناشئة الأدباء

دكتور محمد مريسى سعد الحارثى
بكلية اللغة العربية الجامعة الاسلامية
المدينة المنورة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خاتم الأنبياء و المرسلين سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين .

أيها الاخوة ! السلام عليكم و رحمة الله و بركاته و بعد :

فان مجالات البحث فى هذه الندوة متعددة الجوانب تمثل فى مجموعها نوعا من أنواع الفكر الاسلامى « و هو الأدب الاسلامى » .

و سنعرض فى حديثنا هذا بعض المؤثرات الأجنبيـــة التى حاولت أن توجه مناهج التربية للناشئة من الأدباء فى القديم و الحديث ، و نشير إلى بعض المواقف و المحاولات لبعض علماء المسلمين الذين اهتموا بمبادىء التربية الاسلامية و وجهوا ناشئة المتعلمين و الأدباء إلى منابع تراثهم .

لقد قام الفكر الاسلامى ـ و منه الأدب ـ منذ نزول القرآن الكريم حتى بداية العصر العباسى الأول تقريباً يستمد مقوماته من الكتـــاب و السنة ، لأنهما المصدران الرئيسيان اللذان يمثلان مضمون الفكر الاسلامى ، أما شكل هـذا الفكر فقد استمد أيضاً من هذين المصدرين كما استمد كثيراً من مقوماته اللغوية و الفنية

من الشعر الجاهلى و الاسلامى إلى منتصف القرن الثانى الهجرى تقريباً حيث أخذ علماء اللغة شعر هذه الحقبة الزمانية نموذجاً يحتذى لتقعيد اللغة العربية .

و بعد أن انتشرت الدعوة الاسلامية فى بلاد الأعاجم أقبل كثير من سكان هذه البلاد على اعتناق الاسلام و توسع المسلمون فى الفتوحات الاسلامية واستتبع ذلك التوسع استقرار المهاجرين و الجنود من المسلمين فى الأقطار المفتوحة فامتزجوا بسكان الأرض الأصليين و توثقت روابط الأخوة الاسلامية بين العرب و جيرانهم ممن دخلوا فى الاسلام فمضت اللغة العربية تفرض نفسها على المجتمعات الجديدة ممن لا يتكلمونها وذلك لحاجة تلك المجتمعات إلى تعلم لغة الدين وإتقانها ، و بدأ العلماء من غير العرب يشاركون فى تطوير الفكر الاسلامى مشاركة فعلية و أصبح منهج كثير من المفكرين الاسلاميين مزيجاً من الثقافة العربية الاسلامية البحتة و من الثقافات الأجنبية التى عرفها العصر العباسى من فارسية و هندية و يونانية ، و قد كان أثر الثقافة الأجنبية فى الجوانب العلمية و التنظيم الادارى أبين وأعمق منه فى الأدب العربى ، فالثقافة الفارسية كان أثرها فى الشعر الاسلامى ضعيفاً وإن كان قد وجد شعراء من أصل فارسى ، فان أثرهم لم يتجاوز استخدامهم بعض الألفاظ الفارسية التى لاتكاد تذكر إذا ما قيست بألفاظ اللغة العربية و قد عربت تلك الألفاظ وخضعت فى أصولها وموازينها الصرفية لقواعد اللغة العربية ، أضف إلى ذلك محاولة بعض الشعراء نقل بعض الحكم و العادات الفارسية ، أما أثر الثقافة الفارسية فى النثر فقد كان واضحاً و جلياً فقد نبغ من الفرس كتاب حذقوا العربية و أتقنوها إلى جانب ثقافتهم الفارسية و كانت لهم مشاركات فى التأليف العلمى المنظم ، و كاد أثر الثقافة الهندية ينحصر فى الجوانب العلمية البحتة كالفلك و الرياضيات .

أما بالنسبة للثقافة اليونانية فان تأثيرها في الفكر الاسلامى يختلف عن تأثير الثقافة الفارسية والهندية، ذلك أن الفلسفة والمنطق اليونانيين قد صبغا منهج بعض المفكرين الاسلاميين آنذاك بصبغة عقليـة ظهر أثرها فى منهج البحث العلمى الذى أصبح قادراً على التنظيم و الترتيب و وضع المقدمات و المناقشة و التحليل وإيراد الحجج و البراهين و الوصول إلى النتائج ، و أصبحت الفلسفـة و المنطق تستخدم للدفاع عن العقيدة الاسلامية ـ فى منهج المتكلمين ـ من ناحية و تبحث فى مسائل أدبية و بلاغية من جهة أخرى ، و بذلك استطاعت الثقافة العربية الاسلامية أن تحتفظ بطابعها الاسلامى لأنها أخضعت الفلسفة اليونانية لمنهج مفكريها و بقيت تستمد مقوماتها الأساسية من عقيدة الاسلام واحترام التقاليد العربية الموروثة، أضف إلى ذلك أن المتقدمين من علماء المسلمين كانوا يتعاملون مع تلك الثقافات الأجنبية من مركز القوة فى عقيدتهم و مكانتهم العلمية وسلطانهم فأخضعوا كل شئ أخذوه عن الثقافات العالميـة لاختيارهم ، و مع كل هذه القوة و الحيطة و الحذر و حسن الاختيار فقد أساء المتكلمون استخدام المنهج العقلى فى مسائل العقيدة وأثروا بمنهجهم العقلى لا بمعتقدهم فى منهج بعض المفكرين من علماء المسلمين و أدبائهم بوجه عام و فى البيان العربى بوجه خاص ، و بدأت الروح العلمية تسرى بين ناشئة الأدباء ، و قد تنبه لهذا الأمر كثير من العلماء حينما أحسوا بتلك المفارقات التى طرأت على أذواق الناشئة من الأدباء فبادروا إلى تصنيف كتب الاختيارات خاصة فى الشعر و كتب اللغة ، وكان عبد الحميد الكاتب من أوائل الكتاب المبرزين الذين أخذوا يطلبون من عامة الكتاب التزود بالثقافة العربية الاسلامية وجعلها فى المقام الأول من اهتمامهم حيث قال : [فنافسوا معشر الكتاب فى صنوف العلم والأدب وتفقهوا فى الدين و أبدأوا بعلم كتاب الله عز و جل و الفرائض ثم العربية فانها ثقاف

ألسنتكم و أجيدوا الخط فانه حلية كتبكم و ارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها و سيرها فان ذلك معين لكم على ما تسعون إليه)]
وقد كان الجاحظ وهو من رؤوس المتكلمين يدعو إلى الاعتدال والتوازن فى العلوم و قد حاول أن يلائم بين المعارف المتنوعة من جهة و بين الأذواق المختلفة من جهة أخرى فاتخذ من ثقافة عصره موقفاً معتدلا كما حاول فيما قدمه من الأنماط الأدبية الرفيعة لتنمية أذواق الناشئة أن يربط بين قديم التراث و جديده و يلائم بين الأدب العربى الخالص الذى ليس فيه أثر من ثقافة أجنبية و بين الأدب العربى المحدث الذى تأثر بثقـافات الأمم الأخرى و بأذواق الشعراء المجددين ليقرر مبدأ التوازن و الاعتدال الذى حققه فى تنوع ثقافته ، فلما بدأ له آن [(الناس مؤكلون بتعظيم الغريب و استطراف البديع)] و أنهم يقدمون [(الطارف على التليد)] أخذ يوجه ناشئة الأدباء إلى التزود بالثقافة العربية الصرفـة التى تقوم اللسان فقد كانت الأعراب من أهل البادية فى عصره هم رواة الأدب القديم ولبعضهم مشاركات فى الأدب الحديث ، و كان العلماء يقصدونهم و يأخذون عنهم اللغة و الأدب فبدأ يرغب فى الأخذ عنهم و يرى [(أنه ليس فى الأرض كلام هو أمتع و لا أنفع و لا آنق و لا ألذ فى الأسمـاع و لا أشد اتصالا بالعقول السليمة و لا أفتق للسان و لا أجود تقويماً للبيان من طول استماع حديث الأعراب الفصحاء العقلاء و العلماء البلغـاء)] .

أما العالم الفاضل ابن قتيبة فقد طالب الأدباء من الناشئة وغيرهم بالاتزان فى مجالات المعرفة و حاول أن يحد من طغيان المصطلحات الفلسفية و علم المنطق على الذوق الأدبى ، فقد رأى أن الروح العلمية فى عصره أخذت تبعد الأدباء عن تذوق الأدب و عن روح الثقافة العربية الاسلامية الخالصة فدعا إلى عدم التوغل فى تلك

الروح العلمية، يقول فى مقدمة أدب الكاتب : [(فانى رأيت أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين ومن اسمه متطيرين و لأهله كارهين . . فأبعد غايات كاتبنا فى كتابته أن يكون حسن الخط قويم الحروف، وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتاً فى مدح قينة أو وصف كأس ، و أرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئاً من تقويم الكواكب و ينظر فى شئ من القضاء و حد المنطق ثم يعترض على كتاب الله بالطعن و هو لا يعرف معناه و على حديث رسول الله ﷺ بالتكذيب و هو لا يدرى من نقله . . . ولو أن هذا المعجب بنفسه الزارى على الاسلام برأيه نظر من جهة النظر لأحياه الله بنور الهدى و ثلج اليقين ، ولكنه طال عليه أن ينظر فى علم الكتاب و فى أخبار الرسول ﷺ و صحابته وفى علوم العرب ولغاتها و آدابها فنصب لذلك وعاداه وانحرف إلى علم قد سلمه له ولأمثاله المسلمون و قل فيه المتناظرون ، له ترجمة تروق بلا معنى واسم يهول بلا جسم]
و قد يكون افتتان الأدباء و توغل بعضهم فى دراسة الفلسفة و المنطق آنذاك قد دفعه إلى هذا الموقف المتشدد من أدباء عصره حين حاول أن يجردهم من كل أثر أدبى .

هذا وقد تناول فى كتابه «أدب الكاتب» كل ما يمكن أن يعين ناشئة الكتاب فى عصره و يدخل فى إعدادهم كدراسة اللغة و ألفاظها و تراكيبها و التدرب على الكتابة السليمة و الالمام بكثير من العلوم والمعارف واعتبر ذلك كله من الآلات الضرورية التى لا بد للكاتب أن يتزود بها ، و قد جمع فى كتاب المعانى الكبير ثروة ضخمة من الأشعار الغريبة و قام بشرحها لأغراض لغوية بحتة

أما كتابه «عيون الأخبار» فانه يعكس المفهوم السائد آنذاك لكلمة «أدب» التى تضم جانباً خلقياً يقوم على تهذيب النفس و غرس الفضائل فيها عن طريق تقديم

الأنماط الحسنة من آداب السلوك كما كانت تضم جانباً أدبياً فنياً وهو تقديم النماذج الأدبية الرائعة قصد الامتاع من ناحية و لتقديم المادة الضرورية لتدريب الناشئة فى مجال الأدب من ناحية ثانية، وقد اهتم بعض معاصريه بمثل ذلك المنهج التربوى و تبعه كثير من العلماء عن أتى بعده من العلماء المتقدمين .

أما فى العصر الحديث فقد خضع كثير من البلدان العربية والاسلامية فى هذا العصر للاستعمار الغربى الذى حاول أن يستغل نفوذه السياسى والعسكرى والصناعى فى فرض الثقافة الأوروبية على المجتمع المسلم الذى انبهر أمام تلك القوة الكبرى فأخذه الاعجاب بما وصلت إليه دول الغرب من تقدم فى مختلف الميادين و عند ما بدأت الشعوب العربية و الاسلامية تقاوم المستعمرين و تطالب بحرية الاستقلال صاحب هذه الصحوة العسكرية والسياسية المناهضة للمستعمرين نهضة علمية جادة فبدأت البعثات العلمية تتجه إلى الغرب و تنهل من مناهج التعليم فى الجامعات و فى معاهد التدريب فى محاولة منها للوصول إلى رفع المستوى العلمى بين أبناء الشعوب العربية و الاسلامية و نشطت الترجمة إلى العربية و اتسعت حركة الاستشراق التى أخذت تنهل من تراث الأمة الاسلامية تستفيد منه من ناحية وتشكك فى بعضه من ناحية أخرى ، وفى خضم هذه الحركة الفكرية الواسعة أخذت مناهج التربية و التعليم فى عالمنا العربى و الاسلامى تستمد بعض مقوماتها و أهدافها من مناهج غربية تختلف فى فلسفتها و نظرتها إلى الانسان عن مبادىء التربيـــة الاسلامية و لسنا فى حاجة إلى تتبع التأثير الأجنبى فى مناهج التعليم بشكل عام فمن تلك التأثيرات ما هو مفيد خاصة فى المجالات العلمية البحتة ، و منها ما لم ينهض بمتطلبات الحياة الاجتماعية فى العالم الاسلامى ، و منها ما يتعارض مع مبادىء التربية الاسلاميه الحقة ، ففى مجال الأدب العربى الحديث فان اتصاله بالآداب الأوروبية فى هذا العصر قد أتاح له أن

ينطلق إلى آفاق جديدة فى أجناسه و اتجاهاته و أشكاله و معاييره الفنية و ذلك عن طريق التقليد و المحاكاة فى أول الأمر ثم عن طريق التجربة الذاتيــة البحتة ، غير أن تلك الأصداء التى أحدثها الأدب الأجنبى فى الأدب العربى الحديث لم تكن فى درجة واحدة من حيث قوة تأثيرها ، فالمذاهب الذاتية فردية كانت أم جماعية كان تأثيرها أقوى من المذاهب العقيدية والسياسية مثلا ، ولهذا انتقلت إلى الأدب العربى بعض المذاهب التى امتزجت عند الغربيين بمبادىء عقدية و اجتماعية و سياسيـــة و فكرية دون نظرة متأنية تلائم بين هذه المبادىء الغربية التى عالجتها تلك المذاهب الأدبية و بين ما يقابلها فى حيـــاة المجتمع المسلم ، و على هذا حاول بعض الأدباء المعاصرين أن يسخر الأدب العربى الحديث لأغراض قومية و مذهبيـــة تتعارض مع المبادىء الاسلامية ، و هبط بعضهم إلى وحل الأدب المتحلل الرخيص ، و فى المقابل اتخذ عدد كبير من الأدباء المحافظين التراث الأدبى الاسلامى نقطـة انطلاق إلى التجديد مع الاستفادة من الآداب العالمية الأخرى ، إذ لا يضير الأدب الاسلامى أن يستفيد من آداب الأمم الأخرى فى بعض أجناسه و أشكاله إذا ما استطـاع أن يخضع تلك الأجناس و الأشكال الأدبية لمفاهيم إسلامية .

و لهذا نقف فى هذه المرحلة من حياتنا الثقافية المعاصره أمام مخزون ضخم من التقاليد الأدبية الاسلامية الموروثة عن عصور الاسلام الطويلة و أمام آداب أمم أجنبية معاصرة استطاعت أن تؤثر فى أدبنا العربى الحديث ، و هـذا الموقف يتطلب من موجهى الناشئة و واضعى المناهج التعليمية أن يلائموا بين هذه الآداب المتنوعة و أن يعطوا الأدب الاسلامى مفهومه الصحيح و ملامحه الواضحة التى تكسبه صفة الاستقرار و الاستقلال عن المذاهب العامية الأخرى اشتراكية كانت أم رأسمالية ، وهذا بلا شك يتطلب جهداً جماعياً كبيراً لاعادة النظر فى موروثاتنا

الأدبية و استعراضها من جديد و استنباطها من مصادرها الأساسية و تنقيتها و عرضها عرضاً علمياً منظماً و دراستها بعناية و استخراج الانماط الأدبية الحسنة التی تقوم السلوك وترسخ القيم الاسلامية فی النفوس وتنمی الأذواق و القدرات اللغوية والفنية عند الناشئة ، وتقديم ما يلائم أذواق الناشئة من الأدب الجيد عبر أجهزة الاعلام المختلفة و حسن الاختيار لما يترجم من الآداب العالمية إلى الأدب العربی و العمل علی توظيف المذاهب الأدبية الأجنبية ـ ما لم تتعارض مع أصل من أصول المبادیء الاسلامية ـ لمنهج الأدب الاسلامی و استخدام تلك الأجناس الأدبية المستحدثة وسيلة إلى غايات سامية تنبع من وعی أدبی إسلامی و تعالج قضايا الحياة المختلفة و فی الختام أتوجه إلى سماحة الشيخ أبی الحسن علی الحسنی الندوی رئيس الندوة العالمية للادب الاسلامی و إلى أعضاء دار العلوم ندوة العلماء فی لكهنو ، بجزيل الشكر و التقدير علی كريم دعوتهم ، وأسأل الله سبحانه وتعالی العون و التوفيق و الحمد لله رب العالمين .

من أساليب التربيـــة النبوية

الدكتور : على محمد جماز

تمهـــــــــيد :

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله و صحبه الذين آمنوا به وعزروه و نصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه ،أولئك هم المفلحون ، و رضى الله عمن آمن بدعوته و استمسك بسنته ، و جاهد فى الله حق الجهاد،و اللهم صل عليه و على آله و أصحابه و سلم تسليماً كبيراً .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، و هب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا و إسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، وبعد على حين فترة من الرسل ، وبعد أن قطعت البشرية دهراً طويلا فى دياجير الظلمات بلا راع ولا مرشد ولا معلم تتخبط فى دروب الحيرة وتترى فى مهاوى الجهل و الضلال . من الله عليها بمحمد ﷺ برسول الانسانية ومعلم البشرية يهديها من الضلال ، و يخرجها من الظلمات إلى النور ، ويعلمها من جهالة و يأخذ بيدها من الحيرة و الشقاء ، فكان سفينـــة الانقاذ فى بحر الحياة الزاخر المتلاطم الأمواج ، وصدق الله العظيم « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و إن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

و بزغ نور الفجر بعد ليل شديد الظلمات و أخـــذ يعم الآفاق ، و يبدد الظلمات ، و يجدد الحياة ويحى القلوب أينما حل .

و بدأت القافلة الشاردة الضالة تفيء إلى ربها و بارئها و تعرف رسالتها و تجاهد فى سبيل تحقيقها فقد عرفت نفسها يوم عرفت ربها .

و كان الذين حملوا المشعل الوضاء لينيروا الطريق رجالا من أتباع محمد ﷺ آمنوا برسالته ، و عرفوا غايتهم فى الحياة ، وفهموا وجهتهم فيها بعد أن كانوا يعيشون فى الدنيا بلا هدف ولا غاية .

وصفهم الله بقوله « محمد رسول الله و الذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله و رضواناً » إلى آخر السورة .

ولما عرفوا غايتهم عرفوا واجبهم وما هو المطلوب منهم لتحقيق هذه الغاية فانطلقوا يحققون منهج الله فى الأرض .

« يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم و افعلوا الخير لعلكم تفلحون » الآيات إلى آخر السورة .

هذه الجماعة المؤمنة لم توجد هكذا دفعة واحدة ، و لم تنبت فجأة دون مقدمات بل اجتازت مراحل من التربية و التعليم ، كان أستاذهم فيها محمد ﷺ و كانت مدرستهم هى مدرسة الاسلام الأولى و كتابهم هو كتاب الله عزوجل يقبسون من ضيائه ، وينهلون من رحيقه عذوبة الايمان وبرد اليقين .

لقد كان محمد ﷺ هو المعلم الأول و المربي الأول الذى تخرجت على يديه هذه الجماعة المؤمنة وحملت من بعده رسالة النور والعلم و الهداية ، علمها كيف تحمل الأمانة ، و تبلغ الرسالة و تقود الانسانية إلى الهدى و تخرج الناس من الظلمات إلى النور .

وما أصدق تلك الكلمة التى قالها ربعى بن عامر فى مواجهة رستم قائد الفرس حينما سأله ما الذى جاء بكم ؟ قال :

« إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده و من ضيق الدنيا إلى سعتها و من جور الأديان إلى عدل الاسلام .

أجل لقد أعطاها رسول الله المنهج الذى تسير على هداه و عبد لها الطريق الذى تسلكه فى تطبيق هذا المنهج و بين لها أنه المنهج الذى لا منهج سواه ، و أن طريقه هوالطريق الذى لا طريق غيره لا يضل من اتبعه ،ولا يزيغ عن الحق من سالكه « و أن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

و من العجيب أننا صرفنا ، إن عمداً وإن خطأً ، عن منهج رسولنا ﷺ فى التربية و فى غيرها وأخذنا نتعبد فى محراب أعدائنا ، وأصبحنا نرى فى كل ما يأتينا من الغرب شفاء من كل داء وما هو والله إلا السم الزعاف ، وصدق رسول الله ﷺ و هو يتنبأ بهـذا المصير المفزع الرهيب : لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر و ذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود و النصارى قال فمن ؟ أجل هل هناك غيرهم .

إن كل القوى المعادية للاسلام من الشرق أو الغرب قد تواطأت علينا واختلفت فيما بينهما فى كل شىء و لم تتفق إلا فى القضاء على الاسلام و إبعاداً منه عنه ، وفصل حياتها عن منهجه و نوره وهداه .

فهل من عودة أيها السادة إلى منهج الاسلام من جديد تجربة كما جربنا مناهج القوم ؟ خصوصاً و نحن نعلم أنه منهج قد جرب من قبل ، و سعدت به الدنيا حيناً من الزمن ، و قدم للعالم حضارة زاهرة مشرقة فى وقت كانت أوربا تعيش فى ظلام دامس من الجهل و التخلف حتى إذا نمنا نحن و تنكبنا طريقنا ، و تنكرنا لمنهجنا ، تلقفت أوربا راية القيادة فاستيقظوا حين نمنا ، و تقدموا حين تخلفنا ، و فى أيدينا

السراج الوهاج لايحتاج منا إلا إلى التطبيق لنكون خير أمة كما أراد الله لنا أن نكون.

و من العجائب و العجائب جمة قرب السبيل وما إليه وصول
كالعيس فى البيداء يقتلها الظمى و الماء فوق ظهورها محمول

إننا و الله الحمد نلمح تباشير يقظة إسلامية واعية فى كل بقعة من بقاع العالم الاسلامى و نحس بعودة ظامئة للاسلام و منهج الاسلام و رسول الاسلام، و نرى بزوغ فجر جديد ينذر بأن عهد الظلمات قد ولى وانقضى و أن المستقبل للاسلام إن شاء الله.

و فى هذه الصفحات سنلق إن شاء الله شيئاً من الضوء على بعض الأساليب التى اتبعها النبى ﷺ فى تربية أصحابه عسى أن يكون لنا فيها القدوة و المثل، فما أشد حاجتنا إلى الاقتداء برسولنا خصوصاً و نحن نجتاز أعنف مراحل حياتنا، وجربنا كل مناهج الأرض و تعاليم البشر فما عدنا منها إلا بالخيبه و الخسران، و التمزق و الضياع، و صدق الله العظيم « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر و ذكر الله كثيراً ».

السنة النبوية سجل حافل بكنوز الحكمة و المعرفة، ومصدر أصيل للتوجيه و التربية و الهداية كما هى مصدر للتشريع و الحكم و فيها منهج متكامل للحياة الانسانية الفاضلة، و هى مطمح أنظار المصلحين و الدعاة و المربين الذين ينشرون لشعوبهم السعادة فى الدنيا و الآخرة.

و إن المعلمين و المربين ليقفون فى محراب النبوة خاشعين و هم يرون المعلم الأول و المربى الأول يقدم لهم المبادىء الأصيلة فى التربية و التعليم، ويضع لهم القواعد الثابتة التى يسيرون عليها فى تربية الأجيال، تلك المبادىء و القواعد التى لا يزيدها مرور الأيام إلا إثباتاً حتى ليحسبها المربون فى كل عصر إنها وضعت

لعصرهم ، ولا عجب فى ذلك إذ كان محمد ﷺ الذى اصطفاه الله من بين خلقه ليبلغ رسالته الخاتمة هو المعلم و المرشد و المربى الذى يتعلم منه المربون و المعلمون .

وصدق الله العظيم « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر و ذكر الله كثيراً .

و أول هذه المبادىء : ـ

١ – غرس العقيدة الصحيحة عن الله و عن الجزاء الأخروى و انتزاع العقائد الجاهلية الفاسدة لأن الانسان بدون عقيدة إنسان فارغ تافه ضائع لا هدف له ولا غاية فى الحياة ، يعيش كما تعيش العجماوات يأكل ويشرب .

ولا يكون للانسان قيمة يفاخر بهـا ويعتز إلا إذا كانت له عقيدة سليمة واضحة يعيش لها و بها و يجاهد من أجلها ويضحى فى سبيلها ، فالمرء إلا عقيدته فاذا عاش بغير عقيدة فهو إنسان هامد وتراب خامد وتفاهة سارحة إلى غير مصير .

و هذه العقيدة هى حجر الزاوية فى بناء الانسان المسلم و هى أول ما عمد النبى ﷺ إلى تركيزها فى النفوس و غرسها فى القلوب .

حينما سئل رسول الله ﷺ فى حديث جبريل المشهور عن الاسلام ، قال : الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله .

وحينما سئل عن الايمان قال : أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر .

وحينما سئل عن الاحسان قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك .

فأول ركيزة يقوم عليها بناء الشخصية المسلمة هى الايمان بالله وعبادته وعدم

الاشراك به و فى الحديث الصحيح : بنى الاسلام على خمس ، و أول هذه الخمس شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله .

جاء أعرابى فقال يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ؟ قال صدق قال فمن خلق السماء ؟ قال الله .

قال فمن خلق الأرض ؟ قال الله قال فمن نصب هذه الجبال ، و جعل فيها ما جعل ؟ قال الله ، قال فبالله الذى خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك ؟ قال نعم ، وجعل الرجل يسأل عن الذى خلق و عن الذى أمر وعن الذى أرسل كل ذلك يقول له النبى ﷺ الله ، فالله عزوجل هو مصدر كل شيء فى هذا الكون ، و من الايمان بالله يجب أن ينبثق كل شيىء ، و العقيدة فى الله هى أساس كل شيء ، ومحور كل شيىء .

هكذا فهم عنه أصحابه رضوان الله عليهم وتربوا على مائدته صلوات الله عليه .

واكتفى الرجل بذلك ثم ولى و قال : و الذى بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن فقال النبى ﷺ لئن صدق ليدخلن الجنة .

وجاء رجل يسأله أن يدله على عمل يدخله الجنة ويباعده من النار فكان أول ما أوصاه به أن قال : تعبد الله ولا تشرك به شيئاً .

و تأتيه الوفود من أنحاء الجزيرة العربيه تريد أن تتعرف على هذا الدين الجديد فيغتنمها النبى ﷺ فرصة ، و يعلمهم الأساسيات التى يقوم عليها هذا الدين ، و الأساس الأول الذى يقوم عليه كل ما عداه ولا يغنى ما عداه شيئاً عنه هو الايمان بالله أولا ، هو كلمة التوحيد ، هو شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله .

جاء وفد عبد القيس من بلاد بعيدة يقولون له يا رسول الله مرنا بأمر نعمل به

و ندعو إليه من ورائنا فأمرهم بأشياء و نهاهم عن أشياء وكان أول ما أمرهم : الايمان بالله وحده ثم قال لهم فى رواية هل تدرون ما الايمان بالله قالوا الله و رسوله أعلم فقال لهم شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله ، وعدد لهم أركان الاسلام .

وحينما كان ﷺ يرسل بعوثه وسراياه للدعوة إلى الله كان يوصيهم ماذا يفعلون ، و كان على رأس وصاياه لهم أن يدعوا الناس أولا إلى شهادة أن لا إله إلا الله .

فى صحيح مسلم أن معاذ بن جبل قال : بعثنى رسول الله اليمن فقال إنك تأتى قوماً أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله ، فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم و ليلة إلى آخر ما أوصاه .

و فى حديث معاذ رضى الله عنه أن رسول الله قال أتدرى يا معاذ ما حق الله على العباد قال الله و رسوله أعلم قال حق العباد على الله أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئاً . وما ترك النبى ﷺ موقفاً مع قومه فى المجامع العامة والخاصة إلا وألح على هذا المعنى ودعاهم إليه .

و أحاديث النبى ﷺ الكثيرة المتعددة فى هذا الباب إنما هى تأكيد لما قرره القرآن فى كثير من آياته « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله و رسوله . . . الآية .

و الايمان بالله هو طريق النجاة وهو سفينة الانقاذ وهو التجارة الرابحة مع الله عزوجل . « يا أيها الذين آمنو آمنوا بالله و رسوله و الكتاب الذى نزل على رسوله ، و الكتاب الذى أنزل من قبل » .

« و من يؤمن بالله يهـد قلبه » .

« و من يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً »

« و من يؤمن بالله ويعمل صالحاً ندخله جنات تجرى من تحتها الأنهار »

الايمان بالله هو أول ما يعمد إليه المربى لأنه الأساس الذى يقوم عليه غيره وهيهات أن يرتفع بناء لا أساس له .

فاما الذين أمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه و فضل و يهديهم صراطاً مستقيماً .

(أما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فنوفيهم أجورهم)

« الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم »

« و الذين آمنوا بالله و رسوله و لم يفرقوا بين أحد بينهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم » وعشرات ومئات من الآيات الكريمة التى تجعل الايمان هو حجر الزاوية فى قيام الأمم و النهضات و فى تربية الأفراد و الجماعات .

إن الأمة التى تريد أن تنهض و تسعد لا بد لها أن تعتمد فى حياتها على الايمان الواثق بالله عزوجل و أن تزن أمور حياتها بهذا الميزان الدقيق ، و أن يكون منظورها فى كل قضية من قضاياها و كل مشاكلها من خلال الايمان بالله و اليوم الآخر .

لقد ربى النبي ﷺ أصحابه على الايمان فكانوا قادة للأمم وهداة بعد أن كانوا رعاة غنم و قدموا للعالم حضارة زاهرة تقوم على الايمان .

٢ـ الأخوة بين المؤمنين :

من المبادىء الهامة التى حرص النبى ﷺ على تمكينها بين المسلمين توثيق عرى الأخوة بينهم وإحكام الروابط بين قلوبهم باشاعة روح التكافل والتعاون والتراحم .

و حقق النبي فى ذلك الأمر نجاحاً بالغاً حتى أصبح الواحد منهم يؤثر أخاه على نفسه ، يفعل ذلك و هو موقن تماماً أنه يتقرب إلى الله تعالى فأصبحت الدنيا دبر آذانهم ، و الآخرة مطمح أنظارهم ، و رضوان الله عزوجل ملأ قلوبهم .

يقول النبي ﷺ فى الحديث الصحيح : « كونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله تعالى ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه و ماله و عرضه »

كما حذر ﷺ من كل ما يوهن عرى هذه الأخوة أو يعصف بها فنهى عن التباغض و التحاسد و التخاصم و التنافر إذ لا تعيش أخوة صادقة فى هذا الجو المشحون بالبغضاء بل تعيش فى مجتمع يتعامل بالحب والتواد والتآخى ، مجتمع متكافل متعاون متراحم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

و هل هناك تمثيل أروع وأبلغ من تشبيه النبي ﷺ المؤمنين فى تراحمهم و توادهم و تعاطفهم بجسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر و الحمى .

فكل فرد فى المجتمع المسلم يجب أن يشعر بشعور إخوانه ، ويحس باحساسهم ، و يشاركهم فى سرائهم و ضرائهم ، و يحب لهم ما يحب لنفسه ، فان ذلك هو مقتضى الايمان .

و إذن فلا مجال لخصومة أو عداوة بل هو الحب و الاخاء والرحمة والصفاء والسلام و الوئام ، فلا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا و يعرض هذا و خيرهما الذى يبدأ بالسلام .

و إذا كان الاخاء بين المؤمنين مبدءاً أصيلا فى علاقاتهم فان مما يغذيه وينميه أن يكون الحب فى الله هو ماء الحياة لهذا الاخاء ، فالاخاء شجرة يانعة باسقة إذا

رويت بماء الحب .

ومن ثم حرص ﷺ على تعميق هذا المعنى فى نفوس أصحابه ، ففى الحديث الصحيح أن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون . بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى .

ومن السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله رجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه و تفرقا عليه .

و قد ورد أن أبا إدريس الخولانى قال لمعاذ بن جبل رضى الله عنه أنى أحبك فى الله عزوجل فقال أبشر ثم أبشر فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ينصب لطائفة من الناس كراس حول العرش يوم القيامة يفزع الناس و هم لا يفزعون و يخاف الناس و هم لا يخافون و هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم و لا يحزنون ، قلنا يا رسول الله صفهم لنا قال : هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحا بينهم ، و لا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور ، و إنهم لعلى نور و لا يخافون إذا خاف الناس »

و كان النبى ﷺ يوصى أصحابه فيقول : إذا أحب أحـــدكم أخاه فليخبر أنه يحبه (رواه أبو داود و الترمذى و قال حديث حسن) .

و عن أنس رضى الله عنه أن رجلا كان عند النبى ﷺ فمر رجل به فقال يا رسول الله إنى أحب هذا فقال النبى ﷺ أ أعلمته قال لا قال أعلمه . فلحقه فقال : إنى أحبك فى الله فرد عليـــه رداً رقيقاً عذباً فقال : أحبك الذى أحببتنى فيه (رواه أبو داود باسناد صحيح) .

وعن أبى هريره رضى الله عنه أن رجلا زار أخاً له فى قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكاً ، فلما أتى عليه قال أين تريد قال أريد أخاً لى فى

القرية قال هل لك عليه من نعمة تربها (أى ترجوها) قال لا، غير أنى أحببته فى الله عزوجل قال فانى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه (مسلم).

و هكذا ما من مناسبة تلوح للنبى ﷺ إلا و يؤكد على هذا المعنى ليربط بين قلوب المؤمنين برباط الاخاء فى الله و المحبة فيـــه، فان هذا الاسلام لا يصلح له إلا قوم تعاقدت قلوبهم وترابطت وتآزرت على ذلك ولا ينتصر الاسلام عـلى أعدائه إلا بقوم عاشوا للحق الذى آمنوا به و تطلعت نفوسهم إلى ما عند الله، و آثرت أخراها على أولاها، و لا يكون ذلك إلا إذا أصبحوا كتلة متراصــة كالبنيان المرصوص يشد بعضــه بعضاً، و إلا إذا أصبحوا كاليدين تغسل إحداهما الأخرى.

و هكذا كان صحابة رسول الله ﷺ.

و لقـــد ترك لنا التاريخ صوراً ناصعة و أمثلة نابضة بالحياة لأخوة تزرى بأخوة الأشقاء فلم يكن الاخاء فى الله و الحب فيه، و إيثار المسلم أخاه على نفسه مجرد شعارات تلقى أو كلمات تترددة بل كانت توجيهات نبوية تنفذ، و واقعاً عملياً فى حياة المسلمين، فقد حكى أصحاب السير أن الأنصار كانوا يتسابقون فى احتضان إخوانهم من المهاجرين حتى رووا إنه ما نزل مهاجرى على أنصارى إلا بقرعة.

و لذا أثنى عليهم الحق تبارك وتعالى فى كتابه فقال: « والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا و يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصـــة و من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »

أى سمو ذلك الذى ارتقى بهـــذه النفوس حتى أصبحت تنافس الثريا فى سموها و رفعتها؟.

وأی فیض من روح النبوة قذفه النبی ﷺ فی قلوب أصحابه فحییت بعد موات.

و أی قبس من نور النبوة أضاء به النبی ﷺ نفوس أصحابه فاستضاءت و أشرقت.

آخی النبی ﷺ بین سعد بن الربیع من الأنصار و عبد الرحمن بن عوف من المهاجرین، فقال سعد لعبد الرحمن إننی من أکثر الأنصار مالا وهذا مالی أقسمه بینی و بینک نصفین، و لی زوجتان فانظر أعجبهما إلیک أطلقها فاذا انتهت عدتها تزوجتها.

إیثار و تضحیة من سعد یقابلهما عفة و إباء من عبد الرحمن فماذا قال له؟

قال له یا أخی بارک الله لک فی أهلک و فی مالک و أنا امرؤ تاجر فأین سوقکم، فدله علی السوق فتاجر وربح وعاد بعد ذلک بمال وفیر.

و من صور الایثار النادر الذی عمقه النبی ﷺ فی قلوب أصحابه، هذه القصة التی یرویها حذیفة العدوی فقال: انطلقت یوم الیرموک أطلب ابن عم لی، و معی شیء من الماء و أنا أقول: إن کان به رمق سقیته فاذا أنا به فقلت أسقیک فأشار إلی أن نعم فاذا رجل یتأوه فأشار إلی ابن عمی، أن انطلق إلیه فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقیک فأشار إلی أن نعم فسمع آخر یتأوه فأشار إلی أن انطلق إلیه فجئته فاذا هو قدمات فرجعت إلی هشام فاذا هو قد مات فرجعت إلی ابن عمی فاذا هو قد مات ولم یشرب منهم أحد إیثاراً لأخیه علی نفسه.

لقد أصبح ذلک التکاتف و الترابط و التکافل سمة بارزة من سمات الجماعة الاسلامیة وصار کل منهم یدرک غایته و یعرف واجبه، و ینهض لأدائه تلقائیاً دونما انتظار لأمر أو توجیه.

روی الامام أحمد فی مسنده أن وفد عبد القیس قدموا علی النبی ﷺ

فاحتفى بهم الأنصار و أكرموهم فلما كان قد سألهم النبي ﷺ كيف رأيتم كرامة إخوانكم لكم و ضيافتهم إياكم ؟ .

قالوا : خير إخوان ، ألانوا فرشنا ، و أطابوا مطعمنا ، و باتوا و أصبحوا يعلموننا كتاب ربنا ، و سنة نبينا صلى الله عليه و سلم ، فأعجب النبي ﷺ وفرح بها ، ثم أقبل علينا رجلا رجلا يعرضنا على ما تعلمنا وعلمنا ، فمنا من تعلم التحيات وأم الكتاب ، و السورة و السورتين ، و السنة و السنتين .

و من علامات الأخوة الصادقة كذلك أن تشعر بشعور أخيك ، و تحس باحساسه و تتعهده بالسؤال عن أحواله ، و تبدى اهتمامك البالغ بأمره ، فربما منعه حياؤه أن يبادئك بما يتألم ، و تكون أنت أسبق بالسؤال عنه ، و لا تكن ميت العاطفة ، قليل الاكتراث ، فتلك أنانية يمقتها الاسلام ويمقت أصحابها .

فعن ابن عباس أنه كان معتكفاً فى مسجد رسول الله ﷺ فدخل رجل نسلم عليه ثم جلس فسأله ابن عباس ، مالى أراك مكتئباً حزيناً ؟ فأخبره بخاصة أمره ، فقام ابن عباس من فوره ليسعى فى حاجة أخيه فقال له الرجل نسيت ما أنت فيه من الاعتكاف ؟

فقال له لا و الله ما نسيت ، و لكنى سمعت صاحب هذا القبر ودمعت عيناه ، ليقول : من مشى فى حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين .

مقدمة فى وحدة التراث العربى الاسلامى و خصائصه

الدكتور صالح جمال بدوى
رئيس قسم اللغة العربيـــة
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة

إن أبرز ظاهرة فى التاريخ الحـــديث هى السرعـــة الكبيرة التى تنتقل بها الأفكار و المذاهب و التيارات المختلفة التى تلقى غالباً قبولا من المجتمعات الانسانية و تربة خصبة للنمو و الانتشار السريع . وقد أدى ذلك إلى أن عالم اليوم أصبح كما يقولون « أصغر قرية صغيرة » بفضل تقدم تكنولوجيا و وسائل الاتصال والنقل السريعة التى قضت على مشكلة المسافة و البعد ، فان الحدث اليوم ينتقل بتفصيلاته و جزئياته لحظة حدوثه إلى كل أرجاء المعمورة .

و ما يعنينا من كل ذلك هنا إنما هو انتقال الفكرة بما تحمـــل من فلسفات و أيدولوجيات وسرعة انتشارها فى كل الجهات ، و ما أدى إليه ذلك فى محصلته النهائية من تحقيق تقارب لم يسبق له مثيل بين البشرية و نشوء مفهوم « العالمية » الذى أصبح يوجه نشاط الانسانية عامة و أصبحت مشكلات البشرية وقضايا الحياة محور اهتمام المجتمعات التى تعيش هذه المشكلات و القضايا لحظة بلحظـــة . و نشأ من ذلك ما يسمى بالرأى العام العـــالمى فى السياســـة و فى الأدب و فى الأخلاق و فى مناهج البحث ، وما يسمى « بحيوية تقارب المصاير » . وتنمو فى إطار هذه العالمية كثير من المفاهيم التى تخدم تقارب الشعوب و الحكومات و تعمل عـــلى

تحقيق تلاقيها باسم العون أو تبادل المنفعة أو الاستغلال ، و أوسع صور هـذا التلاق أو الارتباط ، الاجتماع على حضارة أو مدنية واحدة تصب فيها مواريث كل الحضارات المتقدمة مضافاً إليها كل الخبرات الخاصة أياً كانت قوميتها . وأخـذ كثير من القوميات يفقد مميزاته ، وتداعت كثير من سمات الشخصية أو الهوية الذاتية لمختلف شعوب الأرض .

فقد أدى التنافذ الثقافى و التلاقح فى الآراء إلى تخلى الحضارات الأصيلة عن كثير من مميزاتها الفردية و خصائصهـا . و أوصلها إلى قبول حلول تسوية وسطية (Compromise) قد لا تتفق مع قيمها و تقاليدها و مثلها فى سبيل تحقيق التقاء التراث الخاص بأمة ما بالتراث الانسانى العام .

وهكذا تحقق فى مجال الفكر والثقافة ، وهو ما يعنينا هنا ، شبه اتفاق صامت أو تراض سلبى (انهزامى) بقبول جملة مفاهيم و تصورات فى شئون الحياة وقضاياها الكبرى ، فهناك على سبيل المثال مفهوم عالمى للثقافة والمثقف تتشابه صفاته ومقوماته عند كل الأمم والأجناس تقريباً ، وتبنت المجتمعات الأدبية فى جهات الدنيا مفاهيم واحدة أو متقاربة فى الفنون والآداب تمثلها القيم الفنية التى تختص بأساليب الأداء و تصنيف النوع ، و القيم المعنوية سواء تلك التى تعرض لعنـاصر الفكرة و الخيال و الشعور أو القيم الخلقية التى تتناول مدلول الدين و العقيدة و الفضيلة و الرذيلة و الحسن و القبيح و الصدق والكذب . وأخذت هذه المجتمعات تتناقل فيما بينها إفرازات العقول و الأخيلة و المشاعر بما تحمـل من أصول فلسفيـة و أيدولوجية و مذاهب فى شئون الحياة و طرائق تناولها حيث غزت الشعوبيـة من جهة و من جهـة أخرى الوجودية العبثيـة و المادية الجدلية و الطبيعية و السيريالية و اللاعقلانية و الـلاانتمائية . . . . . NON _ ENGAGEMENT

هذه المجتمعات التى طبقتها بحذافيرها ، أو تجاوبت مع أصدائها فأفرغت عليها من خلال ممارستها لهـا إطاراً يقربها من الطبيعة الخاصة لذاتيتها و بيئتها .

و مع أن الحضارة الغربية فى جانبها العقلى ، كما يلاحظ بعض المفكرين ، ليست إلا ازدهاراً لبعض الجوانب المهمة فى ثقافة الاسلام حين أتى على الفكر الأوربى زمن تلقى فيه وحى النهضة عن حضارة الاسلام و علومها و مناهجها فان المسلمين ينزعون بسرعة كبيرة فى حياتهم الروحية نحو الغرب . وإنما تكمن الخطورة من ذلك فيما تعرضت له المباحث و المناهج الاسلامية فى مناقشاتها للقضايا الكبرى فى الحياة من توجيه أصبح يحمل الطوابع المادية و الأصول الأيدولوجية للحياة الغربية ، و من صياغة براقة لنتائج الفكر الأوربى قد تخدع النظر السريع فى الوصول إلى كنهها و حقيقتها (١) .

و الغرب لا يكاد يخفى روح العدائية و التنكر للثقافات القديمة و لا تخفى علينا نحن المسلمين محاربته و إنكاره لاسهامات الثقافة الاسلامية فى الكشوف العلمية و النظريات المبتكرة و مناهج البحث العلمى التى جاءت بها . و المحاولات اللاهثة لرد معطيات الحضارة الاسلامية إلى أصول قديمة كاليونانية القائمة على أساس تميز العبقرية الأوربية متغافلين عن حقيقة أن الثقافة الاسلامية هى فى الاساس حرب على وثنية الحضارة اليونانية وثورة عقلية على الفلسفة ونقد المنطق اليونانى التى تميزت بالتفكير النظرى المجرد وإغفال الواقع المحسوس على نحو ما يعترف به المنصفون من المفكرين منهم . (٢)

(١) محمد إقبال «تجديد التفكير الدينى فى الاسلام» ترجمة عباس محمود (القاهرة ١٩٥٥) ص ١٣ - ١٤ .

(٢) أنظر المصدر السابق ص ١٤٦ وما بعدها .

و لا تقوم هذه النزعة « العالمية » اليوم على قاعدة غلبة القوى على الضعيف فحسب ، وإنما هى تحمل فى كيانها هدماً للمواريث الخاصة للأمم الفقيرة من المدنية الحديثة ، وتسعى إلى طمس ملامح شخصيتها أو على أضعف التقدير تتجاهل الذاتيات الخاصة والطبائع المنفردة للحضارات الغافية وقيمها المنسية. ولقد جرف هذا الاكتساح فيما جرف القيم الخاصة والمقومات الفردية الأصيلة لشعوب المجتمعات القوية نفسها. فما أكبر الفرق بين حضارة القرن السابع عشر أو الثامن عشر والقرن العشرين فى أوربا نفسها ، وما أشد ما تغيرت قيم هذه المجتمعات فى غمرة الانجراف الأخير هذا (١) و إذا كانت كل حضارات الدنيا عرضة للفناء و التبدل و الانقطاع فان حضارة الاسلام أو الفكر الاسلامى شيء غير هذا. فهى حضارة ذات طبيعة خاصة مقدسة فى أساسها و محكومة بنواميس تضمن بقاءها و استمراريتها وتحافظ على مقوماتها و مفاهيمها و خصائصها من أن تتعرض للتبدل و التغير إلا ما يكون فى حكم التطور و وفق أدق المعايير و أيسر درجات التدرج حتى لا يضعف الانتماء إلى الأصول أو ينطقع الانسجام بين مراحل التراث و نقلات العصور .

وقبل أن نعرض بشيء لتوضيح هذه الطبيعة الخاصة للحضارة العربية الاسلامية نشير بمجرد إشارة إلى تجربة أربعة عشر قرناً تأكدت خلالها حقيقة هذه الخصوصية و وحدتها و ثباتها . فلقد جابهت الحضارة العربية الاسلامية أصنافاً من التحديات و الهجمات المناهضة من داخل المجتمع الاسلامى مثلا فى مدارس الفرق الاسلامية و غير الاسلامية ، و من خارجه حيث ظلت مستهدفة لأشكال متعددة من الغزو

---

(١) تأمل على سبيل المثال تطور مفاهيم الدين والأخلاق والعيب والرذيلة ... إلخ ، وأنظر تواريخ ظهور الفلسفات المنحرفة ونشاط المذاهب الأدبية العبثية .

و المجابهة و الدس و الكيد ، و لقد صمدت أمام كل هذه التحديات و التيارات ، وكانت تخرج دائماً من معارك صراعها الحضارى المستمر محتفظة بهويتها و معالمها ، فانه ما كان لمثل هذه التحديات أن يؤثر على جوهر الفكر الاسلامى و مثاليته ، أو أن يجعل من هذه الأمة امتداداً هامشياً أو ذيليا لأعدائها الذين فرضوا عليها ما فرضوا من تحديات (١) ، وإن نجحت فى فترات وفى بعض المجتمعات فى النيل من ممارسات فئات من الأمة الاسلامية و تطبيقاتها لقيم العقيدة والعبادة ومفاهيمها فى الحياة . بل لقد زاد الفكر الاسلامى صلابة فى صراعه مع هذه التيارات و توسعت المباحث الفكرية حين تصدت لمشكلات الحياة من سلم و حرب وتفسير لظواهر الكون و ماهية الانسان و مصيره فعالجت كل ذلك بتصورات إسلامية و قدمت لكل سؤال جواباً .

و لكن تحديات اليوم تفوق ضراوة و إلحاحاً فهى لا تفتأ تجابه المجتمعات المسلمة مجابهة سافرة و مقنعة . فان المذاهب المنحرفة و الأيدولوجيات الغربية تلابس حياة الناس و تتسلل إلى أعماق معتقداتهم و قيمهم إذ فقدت المجتمعات اليوم حذرها و بصيرتها فى غمار زحمة المشكلات و اتجاهات الأحداث .

و من خصوصية هذه الحضارة أنه لا يكاد الناس يتباعدون عن أصول حضارتهم حتى يقوم من يجدد أمر الدين فيهم . والدين هو أس هذه الحضارة ، وأى بعث لأمر الدين هو بعث لكافة جوانب الحياة والنشاط الانسانى فهو دين عموم و شمول ودين دنيا و آخرة ومعاش وخلود . و لقد تضعف الحضارة أو المدنية فى شكلها المجتمعى العام تبعاً للقوة السياسية و المادية أو ضعفها و لكن قيم الفكر

---

(١) أنظر : د. محمد عمارة فى « العرب والتحدى » سلسلة علم المعرفة ، الكويت.

الاسلامى و تصوراته و مفهوماته تظل أبداً حية متمثلة فى أعماق قلوب و سلوك أفراد معتنق هذا الدين لا تخبو فترة إلا لتنبعث من جديد .

و بعد فما قوام الفكر الاسلامى و ما خصائصه التى ينهض بها تراث الاسلام بكل ما فيه من جوانب روحية و مادية ؟ ،

أما قوامه أو مادته فمصادر التشريع الاسلامى .

و أما خصائصه فمصدرها أنه نظام إلهى لأمور الدين و الدنيا يمد الانسانية بمجموعة حقائق و تصورات محددة واضحة عن الكون و الحياة تتميز بالوسطية التى تجمع بين الخيرين (الدين و الدنيا ، الروح و الجسد ، السلم و الحرب) و بالثبات الذى لا يزحزحه تعاقب الأزمان أو يغير منه اختلاف الأوطان فلقد قدر لهذه الأمة ـ و نعم ما قدر ـ أن ترتبط عقيدة و فكراً و لغة و تاريخاً و نهج حياة بالماضى التليد الممتد ترابطاً يتماسك فيه حديثها بالقديم و حاضرها بالماضى و تشد أواصره عرى متينة لا انفصام لها .

فالتراث الثقافى من الحضارة العربية الاسلامية أشبه ما يمثل ببناء وضعت قواعده فى عصر نهضة العربية حين جاء الاسلام و نزل القرآن الكريم و تعاقبت بعد ذلك أجيال على هذا البناء تتعاهده بالعمارة و الاضافة و رسم الواجهة ، فكانت هناك على سبيل المثال واجهة عربية بحتة حتى نهاية العصر الأموى لها مميزاتها ، ثم عباسية أممية غنية بالاضافات و التجديدات ، فواجهة لم تتحدد ملامحها تماماً بعد فى العصر الوسيط ، فواجهة جديدة معاصرة تستمد تشكيلها من الواقع المعاش ، قوامها الماضى بكل تراثه والاسلام بكل حضارته و علومه و مبادئه .

فمثالية هذا الأدب أنه عريق لصيق بتراثه فی شكله و مضمونه شأنه فی هذا شأن سائر معطيات الحضارة الاسلامية الخالدة . بل لقد أفرغت هـــذه الحضارة من مميزاتها على الحضارات الأخرى التی أمدها الاسلام وأعان على نمائها مثل الفارسية و التركية و الأردية .

ومع أن مبدأ الارتباط بالتراث أمر لا تتفرد به أمة دون غيرها فان الشأن فی التراث الاسلامی أوكد من غيره . و من ثم فان ما ينطبق عـــلى آداب أمم شرقية و غربية من تقسيم مرحلی متمايز تبددت أشلاؤه ، و انبتت وشائجه خلال مراحل انتقاله لا ينطبق على أدب الاسلام و أمة العربية . فلقد انقطعت صلات عوالم اليوم من غير الأمة الاسلامية بماضی فكرها إلا من جذاذات تخل بتسلسها الفجوات و الاعتام .

وإنی أشك كثيراً فی أن أمة من الأمم تمتلك مثل هذه الميزة من النظر إلى التاريخ القديم فتصل إلى صورة بنفس الصفاء و الوضوح و الاحاطـــة التی يصل إليها المسلم بنظره إلى تاريخ أمته و مجد ملته فيحس بشركتـــه فی هـــذا التراث و ارتباطه العضوی ببنائه و تماسك ذاته مع هذا البناء الواحد و التصاقه بطينـــة هذا المجد الغابر القائم .

و سنلمس فی معالجة تالية لوحدة التراث العربی الاسلامی الحقيقية الاعجازية سنری أن ارتباط أسس هذا التراث ومفاهيمه بالديانة السماوية و بالقرآن الكريم أفاض على اللغة العربية بل وعلى كل التراث الاسلامی من خصوصيتهما و خلودهما مما حفظ عليه هويته و خصائصه و وحدة امتداده و انداحه عبر الزمان والمكان .

فان الحضارة الاسلامية التی قدمها الاسلام بـــكل مقوماتها و بمعطيات الفكر

و المدنية فيها بما تشمله من جوانب روحية و مادية (١) قامت فى أساسها على أصول منزلة لتخرج للعالم حضارة أبدية بنيت على كتاب الله وهدى رسوله. وهما المصدران الأساسيان لكل المد الحضارى الذى صنعته الأجيال المتعاقبة و ركيزة النهضة فيه .

---

(١) هذا لا يعنى مطلق التسليم بأفضلية كل ما تضمنه التراث وتصحيحه جملة ، فان الجانب البشرى فى التراث لا يخلو من متناقضات و من خطأ و صواب و من سمو و تطامن . و تلك سنة الحياة أن يكون الشيء و ضده فليس الناس سواء فى نعم الحس الصادق و الادراك الصحيح و الاستقامة و الهدى . و من خصوصية هذه الحضارة أنها تنفى المعلول و الفاسد أول ما يظهر وتحكم بالبدعة والضلال أول ما يكون الانحراف . وما حكم عليه من ذلك ببطلانه لا يحكم عليه بغيره فان المعايير واحدة فى دين هذا التراث و الأحكام فيه أبدية قديمة .

تقويم الترجمات لمعانى القرآن الكريم

الدكتور عبد الله عباس الندوى

[فيمايلى نص محاضرة ألقاها «الدكتور عبد الله عباس الندوى» أستاذ جامعة أم القرى مكة المكرمة ، فى الملتقى الخامس عشر للفكر الاسلامى فى الجزائر فى شهر ذى القعدة عام ١٤٠١هـ]

قبل الخوض فى ترجمة معانى القرآن أرى أن الموضوع يتطلب مقدمة وجيزة تشتمل على بيان حقيقة الترجمة و مقدرتها على نقل المعانى و البيان إلى لغة أخرى و استعراض خصائص العربية حتى يتسنى لنا البحث فى ترجمة معانى القرآن الكريم و بيان مشكلاتها ، و استعراض طرق اختارهـا المترجمون ، و النظر فى أسس تفيد تقييما للترجمات .

(أ) الترجمة ضرورة علمية لا غناء عنها لقوم مهما كان مبلغه فى العلوم و الآداب ، و اللغات ، على اختلافها ، ومنذ العصور القديمة تنمى ثروتها بالأخذ و العطاء عن طريق الترجمات ، و لكنه فى الوقت نفسه ، ومع الاعتراف بقيمة الترجمة و أهميتها أثبتت التجارب أنها تنقل المعانى و الأصول من اللغات المترجم منها و هى غير قادرة على نقل ما فى اللغة من فصاحة ، و بلاغـة القول ، لأن البلاغة تأتى من التراكيب النحوية ، والتراكيب النحوية تختلف من لغة إلى أخرى ، و هى ليست كالمفردات التى نجد لها نظائر فى كل لغة .

ولأجل هذا نرى أن الذين حاولوا ترجمة العلوم والفلسفات و الآراء والسير و الأخبار حالفهم النجاح و القبول ، أما الذين حاولوا ترجمة المأثورات من بدائع القول المشتمل على تصوير الأخيلة الدقيقـــة و تصوير المعانى الرقيقة فاضطروا إلى أخذ الجوهر واللب من اللغة المترجم منها ، و إلباسهما حللها من البلاغة التى تخص اللغة المترجم إليها ، و نجاح ابن المقفع مثلا فى ترجمة روايات بيـــدبا الفيلسوف الهندى كان مرده أنه أخذ جوهر القصة من الترجمة الفارسية ثم صاغها بالأسلوب العربى البليغ . هكذا فعل كل من الرصافى فى ترجمة شعر الخيام والمرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام فى ترجمة شعر محمد إقبال .

وجملة القول أن ترجمة المعانى سهل ميسور ، أما ترجمة نتائج الفكر و وحى الخيال تحتاج إلى عملية مزدوجة ، أخـــذ المعنى من الأصل ، و اختيار الأسلوب البليغ من لغة المترجم إليها .

(ب) اللغة العربية ، هى لغة قريش الناضجة المهذبة التى نزل بها القرآن الكريم لم تمـسها يد الأحداث و التطورات ، و صمدت على أصالتها عبر القرون ، لا تضاهيها لغة فى العالم فى الاحتفاظ بقيمها ، وهى تحتفظ بخصائص اللغات السامية من ناحية البناء و الاشتقاق ، و تفضل أخواتها اللغات السامية بحـــلاوة الجرس و غزارة المادة ، و توسع المعنى و دقة الوضع و إحكام النظم .

(ج) أما القرآن الكريم فـــله أسلوبه الخاص المتميز عن الأساليب المصطنعة ، أسلوب بديع لا عهد للأذهان بمثله فلا هو موزون مقفى ولا هو مجمع يتجزأ فيه المعنى فى عـــدد من الفقر و لا هو مرسل يطرد أسلوبه دون تقطيع و لا تسجيع ، نزل منجماً فى نحو ثلاث و عشرين سنـــة على حسب ما يعرض

من الحوادث . فلم يكن القرآن الكريم إذن خاضعاً لقانون التأليف وعقد الأبواب على مقتضى الأغراض .

تجمع على هذه الصورة و دون حسب أمر الرسول ﷺ تبعاً لارشاد الوحى ثم رتب فى سوره بوجه التقريب على حسب الطول والقصر ، لا على حسب تنزيله ولا على حسب موضوعه فتكررت بعض القصص لتأكيد الانذار أو لتشابه الأسباب لنزوله متفرقاً فى مكانين مختلفين (مكة ـ والمدينة) و أزمان متراخية وأغراض متجددة .

و تشتمل السور المكية ـ وهى تمثل ٨٦ سورة من مجموعة ١١٤ سورة ـ على أصول الدين ، و تشتمل السور المدنية على أصول الأحكام ، وأصول الدين ، جماعها الايمان بالله و رسوله و اليوم الآخر ، و الائتمار بالمعروف و الانتهاء عن المنكر ، و هى أمور تتصل بالعاطفة و الوجدان :

فالدعوة إليها و الحث عليها يقتضان الأسلوب الواضح القوى الموثق الفعال بالقلب بقصصه الواعظة ، و حكمه البالغة و أمثاله السامية و وعـده الخـالب ، و وعيده المخيف ، ولذلك تجد أسلوبها قصير الآى ، كثير السجع ، رائع التشبيه ، قوى المجـاز .

أما أصول الأحكام من عبادات و معاملات فهى موضوع السور المدنية و التعبير عنها يقتضى الأسلوب المحكم الجزل الهادىء ، و هدؤ البيان يستلزم طول الجمل و تفصيل الآى ، و وضوح الغرض . على أن القرآن لا يصطنع فى التشريع أساليب الفقـــه و لا تعريفات القانون ، إنما يسوق الأحكام فى معرض الدعوة و الهـداية . لأن قصده الأول إنما هو إعلان التوحيد و إظهار الدين و تطهير القلوب من أوضار الضلالة و الجهالة و الشرك . و لأن الدولة الجديدة لم تكن فى عهد الوحى من الاتساع و تشعب الاجتماع بحيث تطلب التشريع المفصل .

و بعد هذه العجالة من التمهيد ، نعرض لتفسير القرآن الكريم بغير لغتـه ، و هذا ما نعنى به الترجمة التفسيرية أو الترجمة لمعانى القرآن ، و الترجمة كما أسلفنا ينحصر جدواها فى نقل المعانى دون الأسلوب ، و كلمة « الترجمة » على وجه عام تطلق فى اللغة على معنيين :

الأول : نقل الكلام من لغـة إلى أخرى بدون بيان لمعنى الأصل المترجـم كوضع رديف مكان رديف من لغة واحدة .

الثانى : تفسير الكلام و بيان معناه بلغة أخرى .

قال فى تاج العروس : « و الترجمان المفسر للسان ، و قد ترجمه و ترجم عنه إذا فسر كلامه بلسان آخر » قال الجوهرى : «وقيل نقله من لغة إلى أخرى» وقال الذهبي : الترجمة تنقسم إلى قسمين : « ترجمة حرفية وترجمة معنوية أو تفسيرية .

أما الترجمة الحرفية فهى نقل الكلام من لغة إلى أخرى مع مراعاة الموافقة فى النظم و الترتيب و المحافظة على جميع معانى الأصل المترجم .

أما الترجمة التفسيرية : فهى شرح الـكلام و بيان معناه بلغة أخرى بدون مراعاة لنظم الأصل و ترتيبه و بدون المحافظة على جميع معانيه المرادة منه » .

الترجمة الحرفية للقرآن :

الترجمة الحرفية للقرآن لا يمكن أن تقوم مقام الأصل فى تحصيل كل ما يقصد منه ، فان القرآن نزل على أسلوب الحوار و الخطاب ، و فى الحوار يعتمـد على فهم المخاطب و معلوماته ، فقد تفيد الاشارة إلى القصد بلفظ أو لفظين و المخاطب يفهم مغزى الكلام كله ، و لأنه يعلم خلفيات الكلام و المـدلول الصحيح للكلمات بحكم معرفته و سليقته .

و هذا لا يتيسر لقارىء الترجمة اللهم إلا إذا كانت الترجمة مفسرة أو مذيلة بالشرح المستمد من الأحاديث النبوية الثابتة ، و هناك آيات من القرآن تؤكد لنا أن الترجمة الحرفية تكاد تكون بحكم المستحيل بالنسبة للقرآن الكريم .

المثال الأول ، يقول الله سبحانه و تعالى :

« و إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم و تودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » (١) . و القرآن لم يذكر فى هذه الآية و لا فى مكان آخر ما هو المقصود من الطائفتين وما هما ، و أيهما كانت غير ذات الشوكة و ما هو المقصود من ذات الشوكة و غير ذات الشوكة ، وإذن لا يمكن استيفاء فهم الآية بالترجمة الحرفية إن لم تكن مصحوبة بالشرح و التفصيل .

المثال الثانى ، جاء فى سورة التوبة :

« وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » (٢)

فمن كان هؤلاء الثلاثة يا ترىء إن القرآن لم يذكر أسماءهم و لم يذكر وقصة تبوك و ما جاء فى القرآن قصة كعب بن مالك و هلال بن أمية الواقفى ومرارة ابن الربيع ، ومن هنا تعجز الترجمة الحرفية عن الدلالة الواضحة على مدلول الآية إلا باستعانة من الروايات الصحيحة .

و المثال الثالث :

« و الذين اتخذوا مسجداً ضراراً و كفراً وتفريقاً بين المؤمنين و إرصاداً لمن حارب الله و رسوله من قبل » (٣) .

---

(١) سورة الأنفال الآية ٧ .

(٢) سورة التوبة الآية ٢٦ .

(٣) سورة التوبة الآية ١٠٨ .

فلم یذکر القرآن الکریم قصة أبی عامر الراهب الذی کان قد تنصر فی الجاهلیة وقرأ علم أهل الکتاب ثم بارز بعداوة الرسول والمسلمین وأقام مسجداً للتفریق بین المسلمین و لا یمکن فهم مغزی الآیة و المشار إلیهم فی الآیة « والذین اتخذوا إلخ » إلا باستعانة الحدیث النبوی ، والترجمة الحرفیة غیر قادرة علی إعطاء صورة کاملة للقصة حتی یفهم القاریء سبب الردع و خطورة الوضع .

و لنقتصر علی هذه الأمثلة الثلاثة و نری جوانب أخری یتعرض لها المترجمون الذین أرادوا إیفاء المدلول الکامل لکل کلمة من کلمات القرآن الکریم و قد وجدوا صعوبة فی اختیار الکلمات المترادفة فی لغاتهم التی ترجموا إلیها . وقد وجد عجز المترجمین فی اللغات الهندیة و الفارسیة عن بحث کلمات تستوفی جمیع المعانی التی توحی کلمة قرآنیة أو تعبیر عربی یخص القرآن الکریم ، کما توجد نفس الصعوبة عند المترجمین للقرآن الکریم فی اللغات الأوروبیة ، ونختار الانجلیزیة عنها لایضاح هذه النواحی ، و یمکن أن نستعرض هذه المشکلات علی النحو التالی :

۱— عجزت اللغة الانجلیزیة عن ترجمة حرفیة لکثیر من الأفعال العربیة مثل بخل ، صدق ، استوی ، أسرف ، أبطل ، من ، طغی ، أمات .

فکل هذه الکلمات تترجم عادة بجملة مرکبة من اسمین أو بفعل واسم ، و علی هذا تترجم .

یبخل	Is neggardly
صدق	Is truthful
یستوی	Is equal
یسرف	Is extravagant
یبطل	Maketh Vain or maketh void

مـــــن	Conferred a benifit
يطغـــى	Is exorbitant
يميـــت	Causes death

و من المعلوم أن الفعل المضارع يخص العربى وحدها ، وفى الانجليزية مثلا الفعل إما هو للحال أو المستقبل ، و لا يوجد نوع من الفعل يفيـــد معنى الحال و الاستقبال معاً كما أن وجود التثنية بين المفرد و الجمع يخص العربية وحدها فان المترجم مضطر الى إيضاح صيغ التثنية باضافة كلمة أخرى فيقول The Twain said مقابل كلمة واحدة « قالا » ولاشك أن الترجمة إذا كانت بلفظ أو لفظين لا تؤثر فى المعنى إذا استطاعت إفادة المعنى بكامله ، و لكننا نرى أن الفعــل إذا ترجـــم بالاسم ، أو الاسم ترجم بفعل فهذا يجرح وجه الكلام و يبعد القارىء من روح النص . ومثال ذلك ، إذا ترجمنا فعل « يبخل بكلمة معناها » « فيه بخل » أو فعل « قتل » بكلمة معناها أصبح سبباً لموته أو « جعله ميتا » لم نسعف القارىء بمدلول كلمة القرآن إلا أنه استطاع من خلال الترجمة فهم المعنى التقريبى ، و هناك طائفة من الكلمات القرآنية لا توجد لها مرادفات فى لغات أخرى فتترجم عادة بكلمــة واحدة متقاربة المعنى ، مثل :

الخوف ، الخشية ، إشفاق ، الرهب ، تقوى ، لكل هذه الكلمات تجدون فى الانجليزية كلمة واحدة Fear ، و حيث تنبه المترجمون ، وهم لا شك يعرفون معنى اللفظ وظلاله ترجموا هذه الكلمات بألفاظ ليست لها صلة لغوية بلفظ النص . وعلى سبيل المثال نأخذ كلمة التقوى فى آية :

« و تزودوا فان خير الزاد التقوى (١) » .

---

(١) البقرة الآية ١٩٧ .

فقد ترجمها محمد مارديوك بكتهال : So make Provision for your Selves (hereafter) : for the Best provision is to ward off evil

أی معنی التقوی هو To ward off evil ! الابتعاد من الشر

و يقول جورج سيل فی ترجمة هذه الآية . Make Provision for Your journey : but the best Provision is Piety

أی معنی التقوی هو Piety

و ترجم محمد علی اللاهوری And make provision for Yourseleves ' the best provision Beeing to keep one ' s duty

أی معنی التقوی Peing to keeP one ' s duty

و ترجمة المفسر الهندی الشيخ عبد الماجد دريابادی لهذه الآية

And take provision for the journey , for Verily the best Provision is abstainent .

أی معنی التقوی Abstinent

وترجم كل من أزيری ، عبد الله يوسف علی ، رادديل كلمة التقوی The Fear Of God و إن كانت الكلمة fear أو the fear of Gcd أو God fearing أقرب شیء إلی مفهوم التقوی ، من تعابير أخری ، و لكن بكتهال نظر إلی مدلول المادة (وقی يقی) فترجم To Ward Off مع العلم أن الاسم المأخوذ من الفعل أصبح ذا دلالة مستقلة مفهومة عند العرب بجميع ملامحه .

و أما الأستاذ محمد أسد فقد قرب إلى الأذهان المفهوم المتبادل لهذه الكلمة باختياره نهجاً آخر لم يسبقه أحد من المترجمين فهو يصرف النظر من مدلول مادة الكلمة ويعبر عن المعنى الشامل للكلمة ، ولذا يترجم كلمة التقوى بتعبيره God _ Conseiousness و لا شك أنه موفق فيما ذهب إليه و لكن هذا لا يتيسر لمن يتقيد بوضع كلمة مكان كلمة حسب وصف المعاجم و القواميس .

و لنرى كلمـة أخرى و هى الخشية ، يقول الراغب الأصفهانى فى تعريف هذه الكلمة : « الخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه ، و لذلك خص العلماء بها فى قوله : إنما يخشى الله من عباده العلمـاء . » و قال : و أما من جاءك يسعى و هو يخشى . و قال من خشي الرحمن . _ و قال فخشينا أن يرهقهما . _ و فى آية أخرى فلا تخشوهم و اخشونى » .

أما الخوف فهو عنـد الراغب الأصفهانى : توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة كما أن الرجاء و الطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة »

فظهر أن الخشية و الخوف ليستا مترادفتين فى العربية ، و لكل منهما مدلول خاص ، و هذا لا يتسنى للغـة الأجنبيـة أن تفرق بينهما ، و الآن فلننظر إلى محاولة المترجمين :

يقول الله سبحانه و تعـالى : فلا تخشوهم و اخشونى (البقرة _ ١٥٠)

ترجم هذه الآية المفسر الهندى دريابادى So fear them not ' fear me

وترجم كلمة الخوف فى آية (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (البقرة ١١٢)

No fear shall com· on them

Nor shall they grieve

و معنى ذلك أن المترجم دريابادى اعتبر كلمتين الخشية و الخوف مترادفتين .

و يقول بكتهال ، و عبد الله يوسف على فى ترجمتيهما :

« فلا تخشوهم و اخشونى » So fear them not

But fear me

« و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون » There no fear

Come upon them , neither

Shall they grieve .

و هكذا ذهب جورج سيل ، آربرى ، رادويل ، بيل ، فى ترجمة الكلمتين الخشية و الخوف إلى أنهما مترادفتان بمعنى FEAR الانجليزية .

و الحاصل أن هناك كلمات متقاربة المعنى بالعربية و لكن لكل كلمة مدلول خاص و استعمال معين لا يمكن و ضع كلمة مكان أخرى ، و لكن المترجمين يجدون لغاتهم عاجزة لا تستطيع التفريق بينها ، و لا شك أن الأستاذ محمد أسد ترجم كلمة الخوف بـ FEAR و الخشية بكلمة AWE و بذلك استطاع تغطية مدلول كلمة « الخشية » حسب تفسير الراغب و الرازى و الكشاف ، فقد نجد شرح الكلمة .

فى قاموس (Funk' s Standared Dictionary) أنها تشمل معنى الاحترم و التعظيم (To Impress With Reverential Fear) و لنكتف هنا بهذه الاشارة العابرة ما يعانيه المترجمون من فقر اللغات المترجم إليها إلى الألفاظ الدالة على مفاهيم الكلمة القرآنية ، و نأتى على جانب آخر يختار فيه المترجمون الذين يحبون ألا تفوتهم كلمة من القرآن إلا وقد ترجموها ، و من هذا القبيل نجد تنوع الضمائر ، أو ما يسمونه فى كتب النحو بانتشار الضمائر ، و القرآن يؤكد المعنى و يضغط على معنى الحصر بأرداف الضمائر المتوالية و مثال ذلك .

« إنا نحن نحي الموتى »
« إنا نحن نحيي و نميت »
« إنا نحن نزلنا الذكر »

فاذا أراد مترجم أن يكون أميناً للنص القرآنى فى ترجمته لكل حرف جاء فى القرآن و يرى لزاماً عليه أن يقدم معانى القرآن بدون أى تصرف منه فالترجمة اللفظية تتطلب منه أن يقول مثلا :

إنا	VERILY WE
نحن	WE
نحي	WE GIVE LIFE

طبعاً هذا غير مستساغ عقلا ان يترجم أحد VERILY WE , WE WE GIVE THE LIFE TO DEAD .

و لكنه لا يستطيع أن ينقل إلى ذهن القارىء تلك الروعة اللفظية والجلالة والهيبة التى تتجلى بتكرار الضمير فى القرآن ، و على هذا نجد المترجمين .

إما قالوا SURELY WE GIVE LIFE TO THF DEAD

أو VERILY WE SHALL GIVA LIFE TO DEAD

كما ترجم المرحوم عبد الله يوسف على .

وإنى عثرت على ترجمة واحدة فقط بين الترجمات و هى لمترجم غير معروف بين أوساط المترجمين ، الذى تنبه إلى ضرورة تكرار الضمير حيث يفيد التأكيد فقال

YES CERTAINLY IT IS WE
WHO RAISE THE DEAD

ونظراً إلى أن القرآن نزل على أسلوب الخطاب فقد يجد الدارس صعوبة فى ترجمة الآيات بدون إدخال كلمات تكمل الجمل على نسق الكتابة الحديثة و مثال ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق السموات و الأرض و جعل الظلمات و النور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون .

فالمترجم مضطر إلى إضافة مفعول لفعل يعدلون ، فيقول مثلا

Nevertheless They Who believ Oot In The Lord They Equalize Other Gods With Him .

فهذه الجملة الأخيرة Other Gods With him كما أضاف الأستاذ جورج سيل فى ترجمة أو Equalize Others كما ترجمه الدريابادى وعبد الله يوسف على ، أما محمد على اللاهورى فقد غير نظم الآية على وجه آخر فكتب

Yet Thos: Who disbliev Set Up Equals To Their Lord .

وهذا التصرف فى نظم الآية ذهب بنسق القرآن فلا نستطيع أن نصف هذه الترجمة مطابقاً لألفاظ القرآن ، و هكذا نجد الأستاذ محمد أسد فهو يفسر المفهوم للآية بكلمات لاعلاقة لها بألفاظ القرآن ، حيث ترجم الآية على النحو التالى :

And Yet Those Who Are bent On Denying The Truth Regarus Other Powers As Their Sustainers Equals .

و هذا تفسير لا غبار عليه من ناحية الصحة و لكنه لا يمكن أن يوصف بحال من الأحوال مطابقة لألفاظ القرآن الكريم .

يتبع

فى صالح من هذه الاعدامات ؟ !

فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسنى الندوى
رئيس كلية اللغة العربية بندوة العلماء

إن كنت ممن يرون فى قائد الثورة الاسلامية الايرانية الامام آيت الله الخمينى رجلا معصوماً عصمة الأنبياء لا يجوز فيه الانتقاد لأن ما يأتى به النبي يكون من وحى ربه ، أو كنت ممن لا يستخدمون عقولهم فى دراسة الأحداث و الأخطار لبقيت ساكتاً عن التساؤل عمايجرى فى إيران بعد الثورة التى قام بها الزعيم آيت الله الخمينى . و لكن الأمر ليس كذلك ، ولهذا أترك السكوت على الأحداث ، لأنها بلغت إلى حد الخطورة ، و هذه الخطورة ليست مقصورة بفكرة الثورة الاسلامية وحدها ، ولا بجانب محدود من جوانب العالم الاسلامى بل إنما تمس العالم الاسلامى كله ، لأنها تمس الاسلام ، وسمعة الاسلام لأنها تتصل بالهتاف الذى يرفعها القادة فى إيران فى كل آن ، هتاف كلمة الاسلام ، هل هذه الأحداث تستحق السكوت ولا يوجد لمنع هذه الدوامة من الاعدام و الاغتيال تدبير ، إعدام من جانب زعماء الثورة لأعيان المواطنين بالتوالى والاستمرار ، و رد فعل من جانب آخر فى صورة اغتيالات فظيعة ، و فى نتيجة كل ذلك سوء السمعة فى كل مكان ، سوء السمعة الاسلام والمسلمين لا لايران وحدها ، لأن الثورة الايرانية ربطت نفسها بالاسلام و ربطوه بسياستهم ربطاً ، وجروه وراء عملياتهم جراً ، فهو يستحق إذن كل ما

يستحقونه على عملياتهم من سوء الظن و التشهير ، الاسلام الذى كان يستحق أن يفدوه بمهجهم وأرواحهم من أن يلحقه عيب أو سوء ظن ، أو يصيبه شر من إجراء مشبوه أو غير لائق بمكانته السمحة الكريمة ، لتكون كلمته عالية وتبقى سمعته طيبة ، ويكون تأثيره على النفوس عظيماً ، كان عليهم أن لا يقحموا كلمة الاسلام فى كافة خطواتهم السياسية التى تتسم حينا بالتسرع وتتسم حينا بالعاطفة وتتسم حينا بالعصبية المذهبية ، وتتصف حينا بالمصالح الشخصية ، فاسم الاسلام يستحق أن يكون فوق الشبهات ، صحيح أن أعداء الاسلام يعادون الاسلام بطرق شيطانية خبيثة ، ولكن ذلك لا يبرر أن تسير الثورة المنسوبة إلى الاسلام أيضاً على خطط الظلم والارهاب ، هذه الاعدامات التى غطت جانباً كبيراً من عمليـــات الثورة الايرانية المدعوة بالثورة الاسلامية هل يوجد لها نظير فى حياة الرسول عليه السلام وخلفائه وأتباعه الأبرار ؟ وهل تتفق سياسة الاعدامات مع ما قام به الرسول عليه السلام عند ما فتح مكة و تمكن على رقاب أعداء الاسلام الأشداء للدين الاسلامى ؟

ثم ماذا كان يتوقعه أولياء الثورة الايرانية بعد السياسة الاعدامية و الارهابية التى يواصلونها منذ سنتين و نصف سنة ، فهل يجلس المصابون بآثار هذه السياسة وادعين مرتاحين ، فلا تثور فى نفوسهم النقمة و لا يتحرك فى نفوسهم الغضب ، و يبقى أبناء الشعب كلهم على المحبة و الوئام و الثقة و الانسجام ، كيف يا ترى ؟

ولماذا هذه الاعدامات فهل بلغ العجز بالقادة الايرانيين الاسلاميين عن الأخذ بوسائل أخرى لكف الشرور التى ينفذها أعداء الثورة مع الثورة ، ثم من هؤلاء الذين دأب قادة الثورة الاسلامية الايرانية فى إعدامهم ؟ هل كانوا أمريكيين أو كانوا إسرائليين ؟ كانوا من أبناء إيران المواطنين لها ، مهما كانوا واقعين فى الشر والعداء ، الا يمكن أن يمسهم إصلاح .

إن الذی یجری فی إیران لا یجوز أن ینسب إلی الاسلام، فان الاسلام بریئ من سفك الدم بهذه الغزارة ، إنه یختار وسائل الدعوة و یؤثرهـا علی الوسائل الأخری ، ولا یلجأ إلی الأخذ بوسائل الضغط و القتل إلا کالعملیة الجراحیة التی لا بد منها، ولیس معنی العملیة الجراحیة أن تقطع کل یوم جزءاً من أجزاء جسدك لیبقی عندك بعده قلبك وحده، فهل یبقی القلب بدون الجسد، فکروا یا أصحاب العقول! إننا نخاف من أن تکون الثورة الایرانیة الاسلامیة قد بدأت تضر بالاسلام وبالتاریخ الاسلامی أکثر من أن تنفعه ، فاذا لم یستطیع أنصار الثورة فی إیران أن ینقذوا ثورتهم من سوء السمعة أو الهزیمة فلا أقل من أن ینقذوا الاسلام الذی ربطوه بها من سوء السمعة و المقت ، إن الاسلام یجب أن یکون أسمی من کل سوء و من عاقبة السوء ، فاننا نخاف من أن غلبة زعماء الثورة إن زالت من إیران بعد هذه الأحوال یزول معها الدین الذی ربطوه بها و لأنه صار مقروناً بها و شدوه إلیها بحیث لا یمکن أن ینفصم عنها .

حرکة جدیدة لقبول الاسلام فی الهند

الدکتور محمد إشتیاق حسین

یجری بحث حار هذه الأیام حول مسألة إسلام المنبوذین فی الهند فیعتقد بعض الباحثین أنه یرجع إلی الثروة المتدفقة من البلاد العربیة وأحیانا یقال إنه نتیجة لضغط طائفی، کل ما کان یظهر من أعمال العنف ، و التخریب فی هذه البلاد قبل أیام کان یوجه کله إلی باکستان أو کان یعتبر مؤامرة الولایات المتحـــدة ببرنامج ما یسمی، بی ایل ٤٨٠، لکن الآن لا ینظر أحد إلی هذه المسألة بهذا الاعتبار، فما هی الأسباب التی نشأت بها هذه المسألة ؟

نشرت جريدة « اندين اكسپريس » فى عددها الصادر بدلهى الجديدة فى ٨ من شهر أغسطس على الصفحة الخامسة صورة « ياد كرن » هو الآن بعد إسلامه يعرف بـ « ياد محمد » و صورة زوجته وبنته، و قد اعتنق الاسلام مع أهله يوم العيـد المبارك فى دلهى ، و هو ذو ثروة ، لكن لسبب كونه منبوذاً كان معتوباً و مطروداً ، و الناس كانوا لا يعاملون معه معاملة حسنة ، و كذلك قضى اثنى عشرة سنة كاملة بين المسلمين و الهندوس فى دلهى لكنهم كانوا لا يعاملون معه إلا معاملة مهينة غير إنسانية ، وأسلم عدد من المنبوذين وهكذا عدد آخر من الناس الذين دخلوا فى الاسلام ، و الجدير بالذكر أن من يعتنق الاسلام ينكر أنه أسلم لاغراء مادي ، أو نتيجة لضغط و غير ذلك ، بل يدعى أنه أسلم لأنه كان يشعر بالخناق و ضاقت عليه الأرض ، و يقول إنه يشعر الآن فارقاً شاسعاً ، فالناس يكرمونه ويرفعون مكانته ومرتبته ، وفى معرض هذا البحث نشرت الجريدة ثلاثة آلاف من الهندوس من الطبقـة العليـا فى ولاية تامل نادو قد هجموا على قرية « المنبوذين » ، و أحرقوا مأة و خمسـة و ثمـانين بيتـاً ، و سلبوا أموالهم و دسوا السم فى ماء بئرهم .

كذلك يظهر كثير من الحوادث فى هذه البلاد التى يلاقى فيها المنبوذون من الظلم والاستبداد ما الله به عليم، حتى لا تأمن نساؤهم وبناتهم ، قال كبير الوزراء لولاية تامل نادو : إن المنبوذين لم يسلموا لضغط ، أما معنى دخولهم فى الاسلام فانهم يهيئون لأنفسهم مزيداً من المشكلات و الصعوبات ، لأنهم الآن يكونون محرومين من الوظائف و التسهيلات الأخرى من المرافق و التحفظات ، لأن المسلمين دائماً يواجهون الظلم والاستبداد من الأغلبية الهندوكية وتلحقهم الأضرار فى الأرواح والممتلكات ، فبعد دخولهم فى الاسلام عليهم أن لا يتوقعوا أى فائدة من الفوائد فى المستقبل ، أما

دخولهم الآن فى الاسلام فيبدو أنهم يظنون أن الاسلام و تعليماته حقيقة أبدية .

من جانب آخر يبدو من فزع الطبقـــة العليا للهندوس أنهم يفقدون أداة الفساد، والارهاب ، « قال الدكتور كاشى رام رئيس « بام سيف » لعموم الهند هو أيضا من المنبوذين بعد تحليل عميق : « إن الهندوس من الطبقة العليا هم مسئولون عن الاضطرابات و الارهاب لكى لا يتقارب المسلمون و المنبوذون بعضهم من بعض ، و إن من الحقيقـــة أن الطبقة العليا من الهندوس تعامل مع المنبوذين والطبقة السفلى معاملة سيئة تفرق بينهم و بين أنفسهم ، حتى تمنعهم من أن يدخلوا فى معابدهم و أن ينزعوا الماء من بئرهم مع أن الحكومـــة تدعى اللادينية فانها لم تقدر إلى الآن على مكافحة هذا المرض الخطير ، و العجب أنه بقدر ما يعم التعليم يزداد شعور المنبوذين بالحرمان وامتعاضهم ، ويهتمون بمسائلهم و مشاكلهم ، ويشكون من زعمائهم أنهم يرغبون عن مسائلهم و صعوباتهم ، من سبب ذلك تنشأ فيهم الرغبة إلى أن يحلوا المسائل بأنفسهم » .

« بام سيف » هو تنظيم غير سياسى للوظفين الرسميين له أعضاء يبلغ عددهم مائتى ألف ، وخمس عشرة جريدة يصدرها فى اللغة الهندية والانجليزية وغير ذلك من اللغات الأخرى ، و سيصدرون جريدة انجليزية يومية أيضاً .

ومن الناس من يدور رأسهم اليوم باستيقاظ المنبوذين ولكن لماذا لا يفكرون أن ذلك ثمرة ما تكسب أيديهم ، ومن أجل ذلك آلاف من الناس من الطابقة المطرودة اعتنقوا الاسلام أو قبلوا البوذية أو دخلوا فى المسيحية ، ولو اعتنق الاسلام جماعة من الناس فى أى مكان فعـلى الناس أن لا يتهموا المسلمـين و بـلاد العرب ، بل عليهم أن يفكروا بالهدوء و الطمأنينة فى الأسباب الحقيقية لأن المسلمين يعـدون فى هذا البلد فى الدرجة الثانية ، و أعدادهم فى الوظائف و المرافق الأخرى أقل من

الأغلبية ، فيدل هـذا الشق على أنهم لا يستطيعون أن يعينوا غيرهم إعانة مالية ـ بل يعينون غيرهم فى مجال الأخلاق ، و التربية ، و هذا من فرائض المسلمين لكى تشعر طبقة من المظلومين و المطرودين أنها كأسرة واحدة ، وأنها تستحق الكرامة كما يستحق أى مسلم فى مجتمعه .

بيان من التنظيم العالمى للاخوان المسلمين حول الاعتقالات الأخيرة فى مصر

إزاء الاجراءات التى أعلنها الرئيس السادات والتى شملت كل القوى المعارضة فى مصر وفى طليعتها الحركة الاسلامية ممثلة بالاخوان المسلمين والجماعات الاسلامية ، بما فى ذلك حل الجمعيات الخيرية و مصادرة أموالها و اعتقال كل القيادات الفعالة فى مصر و العلماء العاملين فيها .

يعلن التنظيم العالمى للاخوان المسلمين للرأى العام فى مصر و العالم الاسلامى ما يلى :

١ــ إن اعتقال رجال المعارضة السياسية فى مصر و إغلاق مجلاتها ـ بعد مأساة نقابة المحامين ـ يعتبر مجزرة حقيقية للحريات فى مصر ، و يكشف حقيقة (الديمقراطية) التى تمارس فى نظام حكم الفرد ، و تبين إلى أى مدى وصل انتهاك حقوق الانسان وكرامته ، أما مهزلة الاستفتاء الشعبي على هذه الاجراءات والذى أعلن عن نتائجه سلفاً ، فهى صورة لمسرحية يتبارى فيها الحكام المتسلطون لاقناع شعوبهم و الرأى العام زوراً بأن أنظمتهم تقوم على قواعد شعبية أو ديمقراطية .

٢ــ إن الحرب المكشوفة التى يشنها النظام المصرى على الاسلام و رجاله إرضاء لأمريكا و إسرائيل من خلال محاولة تطويع الاسلام لبواكب اتفاقات

كامب ديفيد ، و منع تلاوة آيات القرآن الكريم المتعلقة باليهود ، و محاولة تعديل المناهج الدراسية لتساير الصلح المزعوم ، و مصادرة المساجد الأهلية و إخضاع منابرها لسياسة النظام القائم ، تحت شعار (لا دين فى السياسة و لا سياسة فى الدين) . . كل ذلك لا يتعدى محاولة فاشلة من أجل تطويع الأمة لأعدائها و الاستسلام الكامل للولايات المتحدة و إسرائيل .

٣- أما الاحتماء وراء الفتنة الطائفية فهو أمر مكشوف و قد مضى على الحادث ثلاثة أشهر و انتهى تحقيق النيابة العامة دون اتهام أحد من الاخوان المسلمين ، و إن المسؤلين يعرفون جيداً الدور الذى قام به الأستاذ عمر التلمسانى وشباب الجماعات الاسلامية فى تهدئة العواطف و إخماد الفتنة ، و لقد أصبح واضحاً أن (الفتنة الطائفية) لم تكن إلا ستاراً لتبرير الاعتقالات والمصادرات وكم الأفواه ، وإن السبب الحقيقى هو محاولة إرضاء إسرائيل (١) لمتابعة تنفيذ بنود اتفاقات كامب ديفيد والتحضير لمؤامرة لا يمكن أن تتم إلا فى غياب الحركة الاسلامية المجاهدة فى مصر .

إن التنظيم العالمى للاخوان المسلمين إذ يحذر من هذه المؤامرة ، يدعو المسلمين وكل القوى الخيرة فى العالم للوقوف إلى جانب الشعب المصرى ، والحركة الاسلامية فى مواجهة الطغيان المتمثل فى القوى الدولية و أدواتها المحلية .

« و لينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

(التنظيم العالمى للاخوان المسلمين)

---

(١) ورد ذلك صراحة فى المؤتمر الصحفى الذى عقده السادات فى قريته ميت أبو الكوم .

أخبار اجتماعية و ثقافية :

جامعة الصالحات فى بهتكل (جنوبى الهند)

جامعة الصالحات فى مدينة باتكل أسست لتعليم البنات المسلمات و تربيتهن فى عام ١٩٧٣م ، و تم باذن الله تعالى إكمال بناية شامخة لها فى العام المنصرم ، وكلف إنجاز مشروع هذا البناء الشامخ نحو سبع مأة ألف روبية هندية ، وقد افتتح البناء سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى رئيس ندوة العلماء (لكنئو الهند) بتاريخ ٢٩ / من شهر ديسمبر ١٩٨١م .

عدد الطالبات فى هذه الجامعة فى العام الجارى نحو ٣٠٠ طالبة ، وتقوم عشر معلمات بخدمة التعليم و التدريس ، كما أن فى الجامعة قسماً لتحفيظ القرآن الكريم للبنات ، و قسماً آخر لتعليم الخياطة للطالبات المسلمات ، وإن معظم عدد الطالبات التى تتعلم الآن فى الجامعة تحرز شهادة الثانوية من المدارس العصرية ، أما الطالبات اللاتى يلتحقن إلى الجامعة بعد التخرج من المدارس العالية العصرية فقد وضع لهن منهج دراسى خاص يمتد على ثلاث سنوات ، و لكن البنات اللاتى يلتحقن إلى الجامعة بعد إتمام الدراسة الابتدائية من المدارس الرسمية و غير الرسمية قد وضع لهن منهج دراسى مدته خمس سنوات .

تهتم جامعة الصالحات بتعليم البنات دروس السنة و التفسير مع تعليمهن اللغة العربية و تربيتهن على آداب الحياة الاسلامية والأخلاق الفاضلة ، و أساليب الحياة المنزلية و تربية الأولاد ، و إن البنات يطبقن تعاليم الاسلام فى ضوء دراستهن على حياتهن فى داخل الجامعة وخارجها ، مما يترك تأثيراً حسناً على المجتمع الذى يعشن فيه و البيوتات التى يذهبن إليها و يزرنها .

إن مؤسس هذه الجامعة و مديرها الحالى هو الأستاذ محى الدين المنيرى ،

الذى يعرف فى أوساط هذه البلاد العلمية والدينية باخلاصه وثقوب نظره، وسلامة فكره، و رسوخ عقيدته، و بالنظر إلى ثقة الناس فى شخصه يراسلونه حول تعليم بناتهم فى جامعة الصالحات، لا فى داخل الهند وحدها بل تأتيه الطلبات من خارج الهند كذلك للراغبات فى الدراسة فى الجـامعة، إلا أن عجز الميزانية يحول دون قبول طلبـاتهم، كما أن عدم وجود المساكن الكافية للطالبات لا يسمح لهم بقبول هذه الطلبـات.

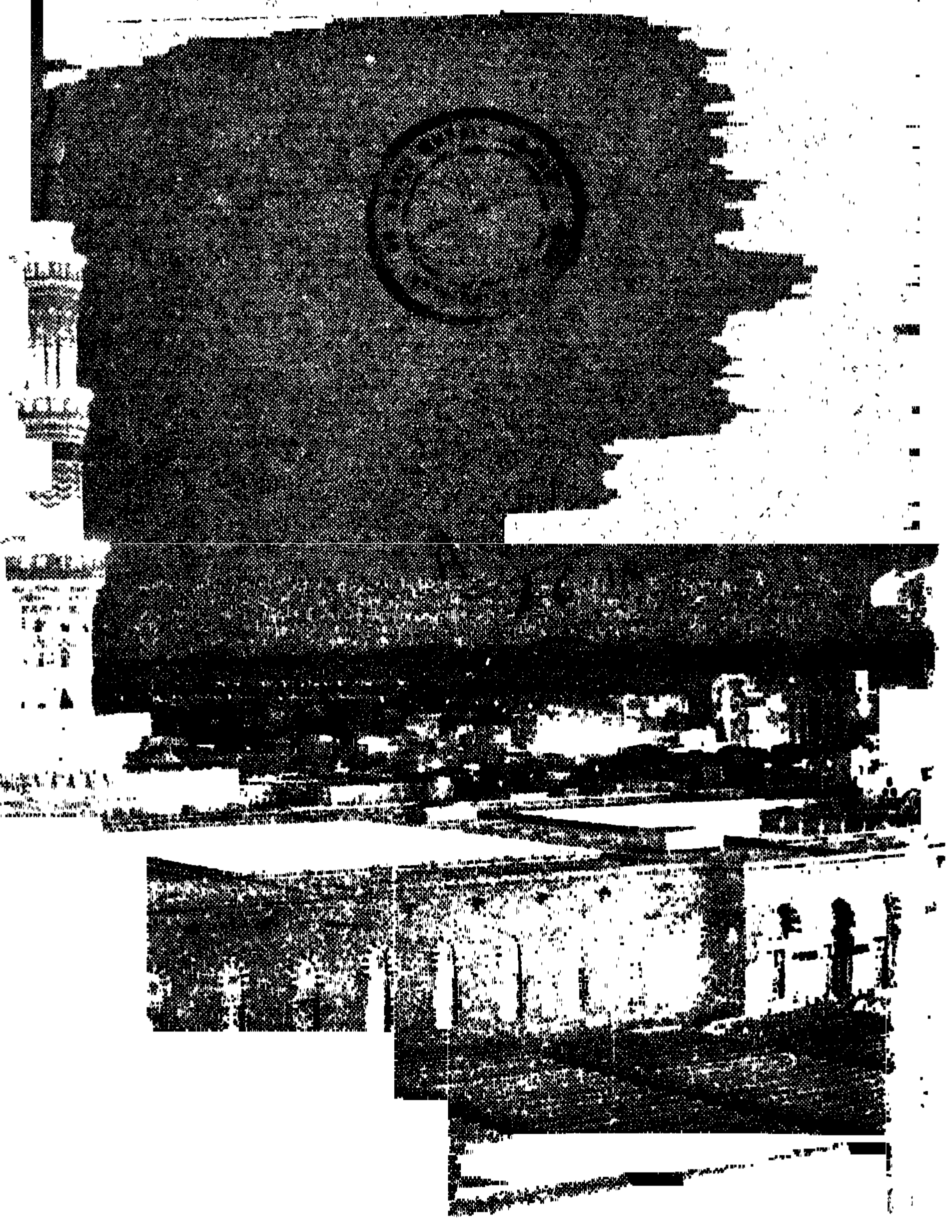
إن ميزانية الجامعة السنوية تبلغ فى الوقت الحاضر إلى مأة ألف، و لكنها لا تزال تتزايد مع مرور الوقت، فنرجو أصحاب الخير والثراء من المسلمين أن يساعدوا هذه الجامعة التى هى وحيدة لا مثيل لها فى جنوب الهند، وهى تقع فى وسط مدينة بانكل، بولاية كرنانك.

سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى فى السعودية

سافر سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى إلى المملكة العربية السعودية فى الشهر المنصرم، تلبية لدعوة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة للحضور فى دورة المجلس الأعلى للجامعة، وبعدما حضر سماحته دورة المجلس الأعلى فى شهر ذى القعدة غادر المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ليحضر هناك دورة المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى الثالثة والعشرين، وقد تابع جلسات المجلس التأسيسى و ألقى محاضرة عامة فى مقر الرابطة حول تأثير السنة فى تكوين السيرة.

و يرافقه فى هذه الرحلة الأخ السيد سلمان الحسينى الندوى أستاذ دار العلوم ندوة العلماء، ويرجى أن يعود سماحته إلى الهند فى سلامة الله تعالى بعد أداء مناسك الحج بأيام عديدة، ندعو الله سبحانه وتعالى أن ترافقه السلامة والعافية فى كل مكان.

البعث الإسلامي



البعث الإسلامي

مجلة إسلامية جامعة

رئاسة التحرير : سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

الاشتراكات السنوية

في الهند	٤٨ روبية، ثمن النسخة ٣ روبيات
في العالم العربي	٨ دولارات أمريكية أو ما يعادلها بالبريد العادي ١٥ دولاراً بالبريد الجوي
في أفريقيا الجنوبية والشمالية وأمريكا وأوروبا	٢٠ دولاراً بالبريد الجوي ٨ دولارات بالبريد العادي
في باكستان	٥٥ روبية بالبريد العادي مع أجرة البريد

الاشتراكات في باكستان ترسل إلى
مجلة «البلاغ» كراچي رقم ١٤

المراسلات

NADWA LUCKNOW

أنشأها فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني (رحمه الله)
في عام ١٣٧٥هـ سنة ١٩٥٥ء

تصدرها : ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

المراسلات:
البعث الإسلامي
ندوة العلماء. ص.ب ٩٣
لكهنؤ ـ الهند

NADWAT-UL-ULAMA
P.O. Box 93
Lucknow (India)

بسم الله الرحمن الرحيم

لا بد من تعاون

و من الواجب علي أن أشير بصراحة إلى أنه لا يصلح أمر العالم الاسلامي إذا بقي الشعب ساخطاً على الحكومة ، و الحكومة ناقمة من الشعب ، بل لا بد هنا من تعاون رجال الاصلاح و الدعاة ، و المبشرين و المنذرين ، و لا يمكن ذلك إلا إذا صلحت النية و صحت العزيمة ، و اتحدت الغاية ، فعلى كل واحد منا أن يعمل في حقله و يؤدي حقوق صاحبه و لا يبتغي رضا أحد ، ولا يرجو من رجل كلمة خير ، إنما هو يعمل لله ، و هو وحده يجزيه بجهاده « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » .

(الأستاذ المرحوم) محمد الحسني

(الاسلام الممتحن صفحة ٢٤)

المجلد السادس والعشرون
العدد السادس
★ ربيع الأول ١٤٠٢هـ ★
★ يناير ١٩٨٢م ★

في هذا العدد

هل تغير اليوم مفهوم التربية فى مجتمعاتنا ؟ سعيـــــد الأعظمى ٣

التوجيـــــه الاسلامى

نظرة فى الاعجاز البيانى فضيلة الدكتور محمد الغزالى ١٠

دور الحديث فى تكوين
المناخ الاسلامى و صيانته سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الندوى ١٧

الدعوة الاسلاميـــــة

مبادىء فى الأدب والدعوة فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى ٣٣

الهجرة ، المنطق الواسع للتاريخ الاسلامى الأستاذ الدكتور عبد الله عبد القادر ٤١

أدب التربية و المواعظ سعادة الدكتور غريب جمعة (القاهرة) ٤٨

دراســات و أبحــــاث

آراء الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى « » الأستاذ سلمان الحسينى الندوى ٥٧

الفقـــــــه الاسلامى

منح الشرعية للزانى و الشارب الدكتور فاروق عبد السلام ٦٨

الندوة العالمية للأدب الاسلامى

اختيار النصوص الأدبية من
وجهة النظر الاسلامية محمد عبد الحميد غراب ٧٥

اللغة العربية فى موكب الاسلام الأستاذ ثابت ادريس الخطيب ٨١

شعر الجهاد فى مقاومة الغزو المغولى الأستاذ مأمون فريز محمود جرار ٨٧

أخبار اجتماعية و ثقافية (كتب جديدة) قلم التحرير ٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيــــة :

هل تغير اليوم مفهوم التربية في مجتمعاتنا ؟

أمامنا اليوم مشكلة التربية الاسلامية .

تربية الجيل المسلم بكل ما في الكلمــة من معنى ، وهي من المشكلات الكبرى التي تشغل زوايا الفكر بشئ كثير من الأهمية ، وتستنفد جهود المعنيين بالتوجيه و الدعوة في جميع أنحاء العــالم ، و رغم أن المشكلة لم تواجه إهمالا وعدم اكتراث من أي جهة نظراً إلى ما لها من صلة عميقة الجذور بمستقبل العالم الاسلامي و المسلمين ، ولكنها لم تفقد خطورتها و ظلت في رأس قائمة القضايا التي تتطلب حلولا ناجعة و سريعة في المجتمعات الاسلامية كلها .

توسع اليوم مفهوم التربيـــة فبلغ إلى مداه ، و شمل كل جانب من جوانب التعليم و الثقافة و التربيــة و التزكية و التوجيه ، ذاك أن مستقبل الانسان يتوقف على نجاحها و تأثيرها ، و قد ركزت المجتمعات والدول المادية عنايتها على تحقيق جوانب التربية و تنفيذها في الحياة بمفهومها المـــادي المحدود فحظيت بتقدم مطرد و رقي شامل ، و آلت إليها زعامة الأمم و الشعوب في مجالات العلم و الثقافة و الحضارة و الصناعة ، و قلدتها كذلك دول المسلمين في العالم متجهة نحو الجانب المادي و مقتنعة بأن التربية الاسلامية لها مجالها في البرامج الدينية والمناهج التربوية التي تختص بالدعاة ورجال الإصلاح والتزكية .

إن هذا الاقتناع بتجزئة مفهوم التربيـــة و توزيعها بين أنواع مادية

و صناعية و تعليمية و توجيهية و دينية ، هو فى الواقع موطن الفساد فان التربية الاسلامية لا تعرف هذه التقسيمات ، لأنها وحدة كاملة تحوى جميع مناحى الحياة مما يحتاج فيه المرء إلى تعليم و تصنيع و توجيه وتزكية و تزويد بالعلوم والثقافات و الأخلاق و الفضائل ، و معلومات كافية عن الدين و الدنيا ، و اطلاع واسع على جوانب النفع المادى و المعنوى ، و لقد أشار القرآن الكريم إلى مسئولية الرسول ﷺ وقد بعث فى قوم أميين فقال : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة ، و إن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » فتلاوة آيات الله وتعليمهم الكتاب و الحكمة أمر واسع المفهوم لا يفوته جانب من جوانب التربية التى يحتاج إليها المسلم فى أى حال ومجال .

أما الكتاب والسنة فكلاهما فى الواقع تفسير واضح و كامل للمفهوم التربوى الواسع الذى يغطى الحياة الانسانية بجميع ما فيها من كليات و جزئيات ، وما فيها من أسرار و ظواهر و لقد ظل هذا المفهوم الأصيل للتربية مسار الدعاة والعلماء والمربين فيما سبق من الزمان ، فكانت الحياة نموذجاً واقعياً للطهر والعفاف والنضج والكمال والحب و الصفاء ، ومقياساً مثالياً لأفضل فرد و أمثل مجتمع ، وشهد العالم البشرى نوعاً غريباً للانسان العظيم ، ذلك الذى اختارته الحكمة الالهية لمنصب الخلافة الكبير وحسدته الملائكة على هذا الاختيار ، ذلك النوع العظيم من الانسان الذى كان مرضياً عند ربه فبشر بالرضا و وصف بأحسن وصف من ربه ، و بشر بالجنة و النعيم و هو فى الدنيا ، « إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، رضى الله عنهم و رضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربه » .

أى تربية كانت مع أولئك المرضيين ، وما الذى رفعهم إلى تلك القمة العالية

من الانسانية ، و من أين استحقوا هذا الجائزة الربانية الكبرى «رضى الله عنهم و رضوا عنه» أليس ذلك هو الايمان الخالص و العمل الصالح الذى حولهم من أسوأ حال إلى أزكى حال ، أليس ذلك هو السر فى توليهم منصب الأمانة الذى أبى أقوى الخلق أن يحمله و رفضت السماوات و الأرض و الجبال أن يتسلمنه ، أليس الايمان و العمل الصالح قوة تذوب أمامها الصخور و تخشع لها الجبال «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله» ولكن الانسان العظيم بفضل إيمانه القوى وعمله المخلص الصالح تمكن من تحمل هذه الأمانة الجليلة ، و تلقى هذا القرآن و تلاوة آياته على الناس .

هذه القوة التى تكونت بتلاقى القلب و الجوارح و بتلاحم الايمان و العمل فى الانسان هى التى تعتبر مصدر التربية فى الاسلام ، وهى التى صنعت ذلك الانسان المثالى الذى غير وجه التاريخ ، و صنع المعجزات ، و منح النوع البشرى مقياس السعادة والعز و السمو و النزاهة الذى إذا رأى إليه الانسان بعين الاعتبار رفعه إلى مرتقى عال و جعل منه إماماً و قائداً ، و مربياً و مرشداً و هادياً و مؤمناً قوياً يخضع لله و لرسوله ﷺ فيخضع له الخلق كله، ويكره الدنيا و حطامها فتأتى إليه الدنيا راغمة ذليلة .

زخر التاريخ الاسلامى بمنجزات هذه التربية و صنائعها ، زخرت بمنح غالية للقيم الخلقية و المثل العملية و النماذج الانسانية الرفيعة . زخرت بأمثلة الايمان و الأخلاق العالية فى كل جانب من جوانب الحياة الفردية والاجتماعية ، و فى كل حال من أحوال السلم والحرب، والحب والبغض، وبكل نوع من الطاعة والرفض، و اللين و الشدة ، و الرحمة و الغضب ، والأخذ و الرد ، و لا أدل على المنهج

الطبيعى الخالد للتربية فى الاسلام من هـذا التاريخ الزاخر بمادة التربية ، الغنى بالفيتامينات الحيـة القوية للتوجيه و التوعية ، و بفضل هذه المواد التربوية فى الاسلام تكفـل التاريخ إنجاب عدد ضخم من الرجال و الأبطال من كل نوع وفى كل فن ، ومن هنالك تواجد فى الثقافة الاسلامية فن مستقل عرف بفن أسماء الرجال ، و غنيت المكتبة الاسلامية بالتراجم و السير فى كل لغـة و بلاد و شعب ، لا يأتى عليها الحصر ، بينما عجزت الديانات و المـذاهب الأخرى عن تاريخ الصفوة المختارة من تراجم رجالها المثاليين فى هذا العدد الكبير .

نستطيع أن نتوصل من خلال دراسة المواد التربوية فى الاسلام إلى أن منهجه يتميز عن غيره من المناهج التربوية فى اعتماده الكلى على مراعاة جوانب النفس فى الطبيعة البشرية ، حيث إنه لا يعدو عنها قيد شعرة ، و ذلك هو الضمان الكامل لنجاح هذا المنهج العظيم ، و إنتاجه الضخم ، الواقع الذى عجزت عنه المناهج المادية للتربية ، و أخفقت فى تحقيق نتائجها المرجوة ، ثم إن الذين برزوا كنتيجة لها فى ساحة العمل وعلى مسرح الحياة لم يكونوا مثالا كاملا جامعاً بين الجوانب الانسانية والنواحى الخلقية كلها ، بالعكس مما أنتجته التربية الاسلامية من نماذج رائعة للبشر ، سعدت بهم الدنيا و نالت بهم الانسانية مركزها العظيم ، و ساد العالم جو من الحب و الحنان و السلام و الأمن والرخاء ، « و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » .

و رغم أن لدينا ذخائر غالية للمواد التربوية نعانى من تجرد مدهش عن كل تربية ، و نواجه من أجل ذلك نتائج قاسية فى كل مجال ، ثم نتطلع إلى النظم التربوية فى الغرب و الشرق ، و إلى ما تقدمه إلينـا المناهج المادية من أسـاليب براقة للتعليم و التربية ، معرضين عن كل ما جربناه من وسائل التربية الحكيمة

التى أثرت التاريخ الانسانى ، و جعلته موضع غبطة و اعتزاز ، ولعل ما جرنا إلى هذا الانسحاب عن ميدان الاسلام التربوى ، والاستغناء عن مواده الغزيرة فى هذا المجال هو « مركب نقص » يعيش داخل النفوس ، من غير أن نشعر به ، و ذلك هو فى الواقع أخطر شئ يجرد كل أمة ذات تاريخ و ماض و جهاد و تضحية ، عن لباسها الأصيل ويخلع عليها لباساً مستعاراً مهلهلا لا يغنى عن الدفء والستر .

تعيش الأمة الاسلامية هذا الواقع الأليم فى كل الجوانب الحيوية منذ غزو الحضارة الغربية عقر ديار المسلمين ، و لقد حاولت هى استبدال الفكر الاسلامى بأفكار مريضة ، وتأكيد أن الانسان فى عالمه المتطور يحتاج إلى تجاوب مع الأوضاع و الاستفادة من المفاهيم الجديدة للحياة ، هذا الكلام وإن كان مستساغاً وليس فيه ما ينافى العقيدة والضمير إلا أنه مدخل فى الحقيقة إلى أبواب واسعة من الانحراف و يتسرب الوهن منه إلى صميم العقائد ومقر الايمان ، من غير أن يشعر به المرء فى فى أول وهلة ، ولكن ذلك يتقوى و يرسخ و ينال من مراكز القوة و يزعزعها فى تستر و خفاء .

نحن لا ندعو بهذا الكلام إلى الزهد والانزواء عن كل ما هو مفيد وجديد فى العالم الحديث و فى العلوم الكونية و الطبيعية ، بل الواقع أننا من أولى الناس بالافادة من كل ما هو حديث وطريف ، فالتجارب العلمية و الصناعية و الحضارية ليست مما يختص بأمة أو بلد أو شعب ، و لكنها ملك مشاع بين البشر كلهم ، و نحن المسلمين أحق بالانتفاع بها فى كل ما ينفعنا ويقوينا على أداء مسئوليتنا .

أما أن نقبل كل ما يفرزه إلينا الغرب من أفكار وفلسفات ونظم وحضارات فليس من شأننا ولا من مهمتنا ، إنه يريد أن يفرض علينا الأساليب والآراء التى تعارض الفكر الاسلامى النقى و تنافى العقيدة الدينيـــة ، فينبغى أن نرفضها علناً

و جهاراً ، و خاصة فيما يتعلق بالتربية والتعليم وما يتصل بهما من أفكار و آراء ، إن المنهج التربوى فى إسلامنا يفوق كل فلسفة تربوية و تعليمية اخترعها الغرب أو الشرق ، و إن فيه غنى عن كل منهج مادى أو فكر علمانى يأخذ بالقشور الظاهرة و يهمل اللب ، ويربى الجسم و ينميه على حساب القلب و العاطفة.

نحن لسنا أمة الجسم ، و أمة المال و المنصب ، و أمة الأرباح المادية فقط و لكننا أمة وسط ، أخرجها الله تعالى لاقامة العدل و الأمر بالمعروف ، و منع الظلم و النهى عن المنكر ، فهى أمة تجمع بين الجانبين باتزان وقصد وتنشئ جسراً متيناً بين الروح و المادة ، و بين العقل و القلب ، و هى تقوم بالقسط و نشر العدالة على أساس الحب و الايمان ، « و كذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً » .

من هنا نكون مسئولين عما إذا رفضنا نعمة الله و ما أنزل لنا من منهج كامل للحياة ، و تطلعنا إلى الفلسفات المادية المهلهلة رجاء أن توافينا بحلول لمشكلاتنا التى نمر بها فى مجالات الحياة المختلفة ، سواء كان هذا التطلع من جراء العوامل الطارئة والاقليمية أو كان من أجل مركب النقص وإساءة الظن بالمنهج الاسلامى للتربية.

فى أى حال لا نستطيع أن نتبرأ عن المسئولية ، بل إنها و تتزايد تتسع على مر الأيام وسيما إذا كنا من أصحاب المبدأ و الضمير ، و فى عداد من يقومون بعمل التربية و إعداد الجيل لتحمل المسئولية .

« و إذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، و ما لهم من دونه من وال »

(سورة الرعد)

سعيد الأعظمي الندوي

التوجيه الاسلامي

نظرة فى الاعجـاز البيـانى

فضيلة الدكتور محمد الغزالى
المدير العام للدعوة الاسلامية (مصر)

إن إعجاز القرآن حقيقة يقررها الوحى و العقل معاً .

و بعد مرور أربعة عشر قرناً من الزمان ، تقلبت فيهـا البشرية بين أدوار مختلفة ، و نالت فيها حظوظاً من العلوم و المعارف الانسانية و العلمية ، و وصلت فيها إلى آفاق ضل عنها الرشد البشرى أحقاباً كثيرة . . بعد كل هذا يقف « إعجاز القرآن » حقيقة يقررها « التاريخ » أيضاً .

فالوحى و العقل و التاريخ يجمعون على التفرد الاعجازى لهذا الكتاب الكريم .

و قد وعى المسلمون حقيقة الاعجاز القرآنى منذ تلقوه . . . و منذ خرجت بهم كلمات الوحى من صحراء مكة المقفرة إلى عواصم الوثنية و الانحلال الكبرى فدكوا ، تحت رايتها ، قلاع الشرك و الضلال . . و ساحوا بها فى أرجاء المعمورة ينشرون الحضـــارة و الايمـــان الصحيح و دعائم الحق و حقوق الانسان ، و يحررون بكلمات قرآنهم النفوس المعذبة ، والأرواح المحاصرة و العقول التائبة ، و الأجساد المطحوسة .

أجل ، منذ خرج المسلمون بكلمات ربهم ، فنصروها و انتصروا بها ، و هم يعرفون قدر المنحة الالهية العظمى التى يمثلها القرآن الكريم ، وبالتالى ، فلم يقصروا فى الوقوف الذكى عند آياته البينات ، و منحوها أعمارهم ، يدرسونها من كل جوانبها ، اللغوية ، و البيانية ، و التشريعية ، و النفسية ، و العلمية .

و كان بيان « إعجاز القرآن » مناط اهتمامهم الكبير ، فصنفوا فيه المصنفات

وتحاوروا حول حقيقته واجتهدوا فيه بين مصيب ومخطئ.. لكن إيمانهم « بالاعجاز» كان حقيقة كبرى لا تقل عن إيمانهم بطلوع الشمس من المشرق ، و غروبها من المغرب « فالاعجاز » القرآنى يصل فى عقولهم و وجدانهم إلى أن يكون حقيقة - فوق العقل و التاريخ . . . - إنه حقيقة كونية .

و نحن فى كلمتنا هذه لن نتطرق إلى الجوانب النفسية و العلمية و التشريعية و التاريخية و غيرها من جوانب الاعجاز القرآنى ، و إنما نقتصر حديثنا على وجه واحد من وجوه الاعجاز ، و هو الاعجاز البيانى ، منوهين إلى أن ما نكتبه إنما يخضع لايجاز شديد ، فالاعجاز البيانى من أبرز نواحى الاعجاز القرآنى ، و قد كتبت فيه مؤلفات طيبة ، و ما زال أهلا لأن تكتب فيه مؤلفات أخرى لا تحصى .

الاعجاز البيانى :

إننى واحد من الألوف التى قرأت هذا القرآن، ومرت بمعانيه و غاياته مرور العابر حيناً ، و مرور المتفرس المتأمل حيناً آخر .

و القرآن ليس الكتاب الوحيد الذى طالعته ، فقد طالعت مئات الكتب الأخرى على اختلاف موضوعاتها ، واقتربت من نفوس أصحابها ومن ألبابهم ، وأذنت لهذه الكتب أن تترك آثارها فى فكرى ، لأقلبها على مكث ، وأنتفع بما أراه نافعاً و ألفظ ما أراه باطلا .

و من اليسير على و على أى قارىء مثلى أن يكون حكماً معيناً على الكتاب الذى تناوله فقد أخلص من قراءة كتاب (ما) ثم أقول :

هذا المؤلف واسع الاطلاع . . .

أو أقول : إن ثقافته غزيرة فى الآداب الأجنبية ، أو إنه طائل الثروة فى الأدب العربى القديم ، أو إنه طم بآخر ما وصلت إليه الكشوف العلمية ، أو إنه قصير الباع فى إعطاء المعنى حقه ، أو إنه مصطبغ بلون يسارى ، أو إنه من المعجبين

بالفيلسوف الفلانى ، أو إن فى نفسه عقدة تميل بأسلوبه إلى الحدة فى ناحية كذا ، أو إنه مرن الفهم و الآراء . . . إلخ .

و قد أعجز عن استبانة الخصائص الانسانية المتباينة فى تأليف الرجال الذين طالعت نتاجهم الذهنى ، أو آثارهم الروحية .

و كثيرون غيرى يجدون فى أنفسهم هذه المقدرة .

وقد تلوت القرآن مراراً ، ورجعت بصرى فى آياته و سوره ، وحاولت أن أجد شبهاً بين الأثر النفسى و الذهنى لما يكتب العلماء و الأدباء ، وبين الأثر النفسى و الذهنى لهذا القرآن ، فلم أقع على شئ بتاتاً .

و قد أحكم بأن كتاباً ما صدر عن مؤلف فى عصر كذا ، و إن جنسية هذا المؤلف و مزاجه و أهدافه هى كيت كيت .

أما بعد قراءة القرآن ، فأجزم أن قائل هذا الكلام محيط بالسموات والأرض مشرف على الأولين والآخرين ، خبير بأغوار الضمائر و أسرار النفوس ، يتحدث إلى الناس تحدى السيد الحقيق إلى عباده الذين خلقهم بقدرته ، و رباهم بنعمته ، و يتناول الأمم و القرون فى هالة من الجبروت الاستعلاء ، يستحيل أن تلمح فيها شارة لتكليف أو إدعاء ،

و مع رفعة المصدر الذى تحس أن القرآن جاء منه و إحساسك بأن هذا الشئ أتى من بعيد ، فانك ما تلبث أن تشعر بأن الكلام نفسه قريب من طبيعتك ، متجاوب مع فطرتك صريح فى مكاشفتك بما لك وما عليك ، متلطف فى إقناعك ، فما تجد بدأ من انقيادك لأدلته ، و انفساح صدرك لتقبله .

ولا تحسبن هذا الوصف متأثراً بمواريث التدين التى انتقلت إلينا من الأولين فان الكفار أنفسهم أدركوا أن القرآن مباين بأسلوبه الخاص لجنس ما ألفوا من كلام ، و ملكتهم الدهشة لدى سماعه .

فقد روى أن الوليد بن المغيرة ـ وهو من زعماء الكفر فى مكة ـ جاء إلى النبي ﷺ و استمع إلى ما يتلو من هذا القرآن فلما أنصت و تدبر ، كأنما رق قلبه ، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه و قال له :

يا عم ، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا ليعطوك إياه ، فانك أتيت محمداً و ملت إلى دينه .

قال الوليد ، مستنكراً عرض المال عليه : لقد علمت قريش أنى من أكثرها مالا .

قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك ، فيعلمون أنك مكذب له و كاره .

قال : و ماذا أقول ؟ فو الله ما فيكم رجل أعلم منى بالشعر . و لا برجزه و لا بقصيده و لا بأشعار الجن .

و الله ما يشبه الذى يقوله محمد شيئاً من هذا ، والله أن لقوله لحلاوة و إن عليه لطلاوة ، و إنه لمثمر أعلاه ، مشرق أسفله ، و إنه ليعلو ولا يعلى ، و إنه ليحطم ما تحته .

و غضب أبو جهل لهذه الشهادة ، فان الصدق فى هذه القضية لا يعنيه ، بل يؤذيه ،

و العراك على الرئاسة فى هذه البيئات مذهل عن شئون الكفر و الايمان ، فليكن محمد صادقاً

و ليكن كلامه وحياً .

و لكن المصلحة القبلية تقضى بكتمان أمره و انتقاص شخصه .

ولذلك عاد أبو جهل يلح على الوليد : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ،

فقال الوليد : دعنى أفكر .

و فكر الوليد ، ثم أحب أن يكون منطقياً مع نفسه فقال :

هذا سحر . .

ولعله يقصد بالسحر ما جاءت به قوى خفية ، لا يعرف الناس عادة حقيقتها ، و فى هذا الجوار نزل قوله عز و جل :

« ذرنى و من خلقت وحيداً ، و جعلت له مالا ممدوداً ، و بنين شهوداً ، و مهدت له تمهيداً ، ثم يطمع أن أزيد كلا ، إنه كان لآياتنا عنيداً ، سأرهقه صعوداً ، إنه فكر و قدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس و بسر ، ثم أدبر و استكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر ، سأصليه سقر »

والواقع أن من الكذب الشائن على الفطرة والبداهة ، وعلى العقل والرواية ، أن يزعم زاعم بأن القرآن الكريم كلام عادى ، و أن أديباً راسخ القدم فى البلاغة يستطيع أن يجيء بمثله .

وقد تساءل كثيرون عن أسرار هذا التفرد و التفوق الذى اتصف به القرآن الكريم و لا شك أن المعانى التى تضمنها و الذى سداها و لحمتها من الحق الخالد أساس لهذا الاعجاز ، بيد أن المعنى على جلاله إن لحقه قصور فى صورته و أثره ، نقصت قيمته ، و طاشت دلالته .

و هناك معان جميلة فى نفوس أصحابها : و لو استبانت على السطور لأشرقت بها الصحائف . . و لكنها مشاعر فى النفوس فحسب :

إن الكلام لفى الفؤاد و إنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فتصوير المعنى الصادق حتى يبرز فى الحروف كما يبرز الجمال الانسانى فى أبهى حاله ، وحتى ينتقل سناه إلى الأفئدة نفاذاً أخاذاً ركن ركين فى خدمة الحقيقة وبسط إمكانها ، و إزاحة العوائق من أمامها ،

وقد تعرض لفيف من علماء الاسلام لشرح الاعجاز البيانى فى القرآن الكريم وكنت أنا نفسى كثير الطواف حول هذا الجمال البيانى ، أسرح فيه الطرف وأردد

فيه الفكر ، لكنى كنت كالذى شغله الاعجاب بالجمال ، عن وضع تفاسير له أو لعلنى حاولت ثم غلبنى القصور ، فتوقفت حتى تسنح لى فرصة .

إلى أن قرأت للمرحوم العلامة الشيخ محمد عبدالله دراز كتابه « النبأ العظيم » نظرات جديدة فى القرآن ، فرأيت الرجل وفى هذا المجال حقه ، وأفاض فى الحديث كأنما يتدفق من ينبوع لا يغيض أبداً .

و وددت لو أن الرجل بقى حتى أكمل ما بدأ ، بيد أن المنية عاجلته ، فقضى و هو مجاهد فى سبيل ربه ، طيب الله ثراه .

شرح الدكتور فى تفصيل طويل المعانى التى احتواها القرآن و التى يستحيل بالبراهين الحاسمة ، أن تصدر عن بشر ، وأحصى جملة الشبه التى يمكن أن تخطر ببال أى متردد مرتاب ، ثم أجهز عليها .

ومضى يستعرض ما يقوله المستقصى فى طلب الحقيقة وبسط الاجابة فى أدب و فقه ، و اسمع إلى هذا البيان .

فان قال : قد تبينت الآن أن سكوت الناس عن معارضة القرآن كان عجزاً و أنهم وجدوا فى طبيعة القرآن سراً من أسرار الاعجـاز يسمو به عن قدرتهم ، ولكن لست أفهم أن ناحيته اللغوية يمكن أن تكون من نطاق هذا السر ، لأنى أقرأ القرآن فلا أجده يخرج من معهود العرب فى لغتهم العربية .

فمن حروفهم تركبت كلماته ، ومن كلماتهم ألفت جمله و آياته ، وعلى مناهجهم فى التأليف جاء تأليفه .

فأى جديد فى مفردات القرآن لم تعرفه العرب من موادها و أبنيتها ؟ و أى جديد فى تركيب القرآن لم تعرفه العرب من طوائفها ، ولم تأخذ به فى مذاهبها حتى تقول : إنه قد جاءهم بما فوق طاقتهم اللغوية ؟

قلت : أما أن القرآن الكريم لم يخرج فى لغته عن سن العرب فى كلامهم افراداً و تركيباً فذلك فى جملته حق لا ريب فيه ، و بذلك كان أدخل فى الاعجاز و أوضح فى قطع الأعذار .

« و لو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته ، أأعجمى وعربى »

و أما أنه أبعد ، فهل ذهب عنك أن مثل صنعة البيان كمثل صنعة البنيان ، فالمهندسون البناؤن لا يخلقون مادة بناء لم تكن فى الأرض ، ويخرجون فى صنعتهم عن قواعدها العامة ، ولا يعدو ما يصنعونه أن يكون جدراناً مرفوعة ، وسقفاً موضوعة ، و أبواباً مشرعة .

و لكنهم تتفاضل صناعاتهم وراء ذلك فى اختيار أمتن المواد ، و أبقاها على الدهر ، و أكنها للناس من الحر والقر ، وفى التعميق للأساس ، و تطويل البنيان و تخفيف المحمول منها على حامله ، و الانتفاع بالمساحة اليسيرة فى المرافق الكثيرة و ترتيب الحجرات و الأبهاء بحيث يتخللها الضوء و الهواء .

فنهم من يفى بذلك كله ، أو جله ، و منهم من يخل بشئ منه أو أشياء . . إلى فنون من الزخرف يتفاوت الذوق الهندسى فيها بعيداً .

كذلك ترى أهل اللغة الواحدة يؤدون الغرض الواحد على طرائق شتى يتفاوت حظها فى الحسن و المقبول .

و ما من كلمة من كلامهم ، و لا وضع من أوضاعهم بخارج عن مواد اللغة و قواعدها فى الجملة .

و لكنه حسن الاختيار فى تلك المواد و الأوضاع قد يعلو بالكلام حتى يسترعى سمعك و يثلج صدرك ، و يملك قلبك .

و سوء الاختيار فى شئ من ذلك قد ينزل به حتى تمجه أذنك ، وتفتر منه نفسك ، و ينفر منه طبعك .

« يتبع »

دور الحديث
في
تكوين المناخ الإسلامي وصيانته

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين و خاتم النبيين محمد و آله وصحبه أجمعين ، و من تبعهم باحسان ، و دعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

العناصر التي كونت المجتمع الجديد ، و أنشأت الأمة الجديدة :

أما بعد ! فقد كانت بعثة النبي صلى الله عليه و آله وسلم ، مصدر كل خير ، و منبع كل سعادة ، و بفضل ذلك وحده نشأ هذا المناخ الديني الفذ ، و المجتمع الاسلامي الفريد ، لكننا لو استعرضنا المنهج العملي في هذا الشأن و الوسائل التي استخدمت في هذا الغرض ، لعلمنا أن مفتاح هذا الانقلاب الذي دهشت منه العقول ، وتحيرت فيه الألباب ، و العناصر التي تكون منها هذا المجتمع الجديد ، و نشأت منها هذه الأمة الجديدة ، إنما هي الأمور الثلاثة :

١ـ القرآن الكريم .

٢ـ شخصية النبي صلى الله عليه و آله وسلم ، وحياته و سيرته و أخلاقه .

٣- تعليمات النبى عليه الصلاة و السلام و إرشاداته ، و توجيهاته و أعماله التى يسمى مجموعها بالسنة ، و يحتوى عليه الحديث النبوى .

و لو تأملنا لعلمنا أن هذه العناصر الثلاثة بمجموعها ، قد تعاملت فى تحقيق الأغراض و الفوائد المنشودة من البعثة ، و إيجاد أمة جديدة ، و الحق أنه لا يمكن أن يوجد بدونها مجتمع مثالى ، و حياة مثالية ، و هيكل اجتماعى تتجلى فيه العقائد و الأعمال ، و الأخلاق و السلوك ، و العواطف و الرغبات ، و الميول و الأذواق ، و الأواصر و العلاقات ، إن الحياة شرط للوجود ، و من سنة الحياة و الكون أن السراج إنما يستنير من السراج .

و ما نجده فى حياة الصحابة الكرام ، و التابعين لهم باحسان ، بجانب العقائد و الأعمال - من الخلق الاسلامى ، والذوق السامى . و العواطف الدينية العميقة ، و الكيفيات الايمانية العجيبة - لم يكن نتيجة تلاوة الكتاب و حدها ، و إنما كانت - بجانب ذلك - فيها يد لتلك الحياة المثلى المؤثرة ، الحبيبة الأثيرة ، التى كانوا يتفيئون (١) ظلالها ، و يتذوقون جمالها ، ولتلك السيرة و الأخلاق الفاضلة التى كانوا يشاهدونها ، و لتلك المجالس و الصحبة ، و الارشادات و التعليمات التى ظلوا يستفيدون منها و يسعدون بها ، على عهد صاحب النبوة عليه الصلاة و السلام .

كيف عاش الصحابة الاسلام ، ذوقاً و مشاهدة و عملا ؟ :

وهذه العوامل بمجموعها شكلت ذلك الذوق الاسلامى الممتاز الذى لا يقتصر على التقيد الرسمى بالقواعد المقررة ، و الضوابط المرسومة ، و إنما كان مشحوناً بالحوافز و الدوافع الطبيعية ، و الكيفيات العملية ، و روح العبادة الخالصة ،

(١) تفيأ الشجرة و فى الشجرة استظل بها ، و تتبع الظلال .

ويتسم ـ بجانب الوقوف عند الحدود وأداء الحقوق ـ بالمشاعر اللطيفة والأحاسيس الرقيقة ، و دقائق مكارم الأخلاق .

إنهم وجدوا القرآن الكريم ، يأمر باقامة الصلاة ، و وجدوه يلهج بذكر « الذين هم فى صلاتهم خاشعون (١) » ، ولكنهم لم يتوصلوا إلى كيفيتها الصحيحة إلا حينما صلوا مع الرسول ـ صلى الله عليه و آله و سلم ـ فعلا ، و شاهدوا هيئة ركوعه و سجوده ، الأمر الذى عبروا عنه بقولهم : « و هو يصلى و لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء (٢) » ، إنهم علموا من القرآن الكريم أن الصلاة شغل المؤمن المفضل ، و وظيفته الحبيبة الأثيرة ، و لكنهم لم يتمكنوا من تقدير مدى شغف المؤمن بها و حنينه إليها ، و رغبته فيها ، ما داموا لم يسمعوا لسان النبوة ـ على صاحبها الصلاة و السلام ـ يقول : « و جعل قرة عينى فى الصلاة (٣) » ويقول بلهجة ملؤها الحب والحنين و الولوع الزائد و الهيام البالغ : « يا بلال أقم الصلاة ، أرحنا بها (٤) » ، و كذلك لم يتمكنوا من إدراك عمق الصلة بين المسجد و قلب المؤمن ، حتى سمعوا فى شأن صالحى الأمة : « و رجل قلبه معلق فى المساجد (٥) » ، قد وجدوا القرآن الكريم يرغب فى الدعاء ، و يدعوا إلى الابتهال و التضرع إلى الله ، مرة بعد أخرى . و وجدوه يبدى لومه و عتابه على الذين يستكبرون عن الدعاء ، و كانوا يعرفون مفهوم التضرع والابتهال ، لكنهم لم يكتنهوا هذه الحقيقة كلها إلا عند ما شهدوا النبى ﷺ يقول و قد وضع فى « بدر » جبهته على الأرض : « أللهم أنشد عهدك و وعدك ،

(١) المؤمنون : ٢ .
(٢) رواه أبو داوٗد ، و الترمذى .
(٣) رواه النسائى .
(٤) رواه أبو داوٗد .
(٥) متفق عليه .

اللهم إن شئت لم تعبد (١) » ، و شهدوا کیفیة القلق و الاضطراب التی لم یسع أبا بکر أن یتحمل رؤیتها ، حتی قال له : « حسبك » إنهم کانوا یعرفون جیداً أن لب الدعاء وجوهره هو التضرع و الاعتراف بعبودیته ، وعجزه و فقره ، وضعفه و قلة حیلته ، و کلما کان الدعاء حاملا لهذه الروح ، زاخراً بهذه الحقیقة ، کان أکثر قیمة و أهمیة ، لکنهم لم یعرفوا حقیقة الاعتراف بالعبودیة ، و العجز و التضرع ، و الاطراح علی عتبة المولی الکریم ، ما لم یسمعوه - صلی الله علیه و آله وسلم - یقول فی عرفات :

« اللهم إنك تسمع کلامی و تری مکانی ، و تعلم سری وعلانیتی ، لا یخفی علیك شیء من أمری ، وأنا البائس الفقیر ، المستغیث المستجیر ، الوجل المشفق ، المقر المعترف بذنبي ، أسألك مسألة المسکین ، و أبتهل إلیك ابتهال المذنب الذلیل و أدعوك دعاء الخائف الضریر ، و دعاء من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عبرته ، وذل لك جسمه ، و رغم لك أنفه ، اللهم لا تجعلنی بدعائك شقیاً ، وکن لی رؤفاً رحیماً ، یا خیر المسئولین و یا خیر المعطین (٢) » .

کان خلقه القرآن :

إنهم رأوا القرآن الکریم یقرر أن الدنیا ظل زائل ، وأن الآخرة هی دار القرار ، و کانوا یحفظون « و ما هذه الحیٰوة الدنیا إلا لهو و لعب ، و إن الدار الآخرة لهی الحیوان (٢) » ، إلا أنهم إنما عرفوا حقیقة ذلك و تفسیره بالواقع العملی من حیاته صلی الله علیه و آله وسلم ، و فهموا - من أسلوب

(١) صحیح البخاری ، کتاب المغازی ، المجلد الثانی .
(١) کنز العمال ، عن ابن عباس رضی الله عنه .
(٢) العنکبوت — ٦٤ .

حياته و حياة أهل بيته - معنى كون الآخرة هى خيراً و أبقى ، وأنه كيف ينبغى أن تكون عيشة المؤثرين الآخرة على العاجلة ، و المؤمنين بـ « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة » و حياتهم العائلية ، و حينما كانوا يسمعون - بجانب شهودهم هذا المنهج للحياة و هذا الموقف من الدنيا ، و هذا الترغيب المجمل - أقوال النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، عن مصائب جهنم و شدائدها ، وعن نعم الجنة ولذائذها ، كان ينشأ فيهم مزيج من الخوف و الشوق ، و تتمثل الجنة و جهنم أمامهم كل وقت ، و كأنهم يشاهدونهما بأم أعينهم .

و كذلك كانوا يعرفون معنى أمثال كلمات الرحمة ، والتواضع ، و الرفق و الخلق ، و ما إليها من التعليمات و التوجيهات ، فقد كانوا أبناء اللغة ، و كانوا متعمقين فى القرآن ، لكنهم لم يعرفوا مدى سعة هذه الكلمات ، و طريق تطبيقها فى الحياة العملية و العمل بها ، فى واقع الحياة عملا صحيحاً ، إلا عند ما شهدوا النبى صلى الله عليه و آله وسلم يعامل الضعفاء و العجزة ، و الأطفال و النساء ، و اليتامى و الفقراء ، و الشيوخ ، وعامة رفاقه و أصحابه ، وخدمه و أهل بيته ، و سمعوا أقواله و وصاياه بهذا الخصوص ، قد عرفوا تعاليم القرآن فى صدد أداء حقوق عامة المسلمين ، لكن هناك أشكالا و صوراً لهذه الحقيقة قد لا تخطر من كثير من الناس على بال - مثل عيادة المريض ، و تشييع الجنائز ، و تشميت العاطس - و لو خطرت لما عرفوا لها قيمة ، و كذلك جاء فى القرآن الكريم تعاليم مؤكدة فيما يتعلق بالاحسان و حسن السلوك مع أهل الحقوق ، و البر بالوالدين ، و لكنى أتساءل كم من أساتذة الأخلاق و علماء النفس و التربية كان لهم أن يهتدوا إلى هذه المكانة السامية الفذة - فى شأن البر بالوالدين و الاحسان إلى أهل الحقوق - التى أشار إليها الحديث النبوى فى تنويه و إشادة ، « إن من

أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى (١) » ، و كم من أذهان كان لها أن تتوصل إلى تلك المعانى السامية للوفاء و الكرم ، التى تكشف عنها هذه الرواية :

« و ربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاءاً ثم يبعثها فى صدائق خديجة (٢) » .

هذا قليل جداً من كثير من أمثلة قسم الاجتماع و الأخلاق فى الحديث النبوى الشريف ، تدل على مدى اهتمام الحديث بشتى شعب الحياة ، و التعاليم الجديدة الطريفة فيما يتصل بها ، و بذلك فهو « حجر الفلاسفة » للانسانية (إن لم يكن فى هذا التعبير إساءة أدب) ، ونعمة لا تقدر بثمن ، و لا تشترى بمال .

لا بد من مناخ مناسب و بيئة متهيأة للأحكام :

إن التجارب الطويلة المتصلة التى مر بها تاريخ الأديان والأقوام ، تؤكد أن مجرد الأمر القانونى ، و الضابطة الرسمية ليسا بكفيلين بأن يضفيا على عمل نشاط ، مسحة من الروح و الكيفيات المطلوبة ، و لا تستطيعان أن تنشأ المناخ الذى لا بد منه ، حتى يجيء العمل مؤثراً مثمراً منتجاً . . فمثلا : إن مجرد الأمر المجمل باقامة الصلاة لا ينشيء تلك النفسية المؤمنة و لا توجد تلك البيئة المناسبة من أجل صيانة روح الصلاة و هيكلها ، و الحفاظ عليها ، و من أجل ظهور آثارها الروحانية و النفسية ، و العقلية و الاجتماعية ، و الخلقية و الدينية ، إن ذلك يستوجب مبادىء و أصولا ، و إرشادات و تعليمات ، تضفى على العمل روعة و قيمة وتهبه تأثيراً ووقعاً ، و لذلك فتطلب القرآن الكريم بدوره للصلاة ، الوضوء و الطهارة ، و الشعور و التعقل ، و الخشوع و الخضوع ، و السكوت و القنوت ، و الجماعة .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه .

(٢) متفق عليه .

غير أنه لا يخفى على العاقل الواعي أنه كلما كانت الصلاة مستوفية ـ بقدر ضروري وعلى صورة ممكنة التطبيق ـ للآداب والفضائل وإعداد الأرضية والتمهيدات الخارجية ، كان ذلك أقوى على إيجاد جو تستطيع فيه الصلاة أن تجيء بخصائصها و نتائجها الروحانية و الاجتماعية و الخلقية ، و إن الدارسين للحديث و السيرة و الراسخين فيهما يعلمون أن عمل النبي ﷺ ، و تعليماته و إرشاداته قد زادت في هذه الناحية زيادات قيمة وجيهة عادت بها الصلاة وسيلة أمضى إلى تزكية النفس ، و تربية الأخلاق ، و الانابة إلى الله ، والانقطاع عن الدنيا إلى الآخرة ، و إلى تعليم الأمة و تربيتها و توعيتها ، و توحيدها و تنسيقها و جمع شملها .

مثلا : التركيز على نية الوضوء و الاشادة بفضلها و استحضارها ، و فضل الخطوات الماضية إلى المساجد ، والدعاء الذي يدعى به في الطريق ، وأدب الدخول في المسجد ، وتحية المسجد ، و السنن الراتبة ، و فضل انتظار الصلاة ، و ثواب الصلاة مع الجماعة ، و ثواب الأذان و الاقامة ، و فضل الامامة و عظمتها ، و مكانتها و أحكامها ، و التأكيد على اتباع الامام في أعمال الصلاة ، و تسوية الصفوف ، و فضل الحلق المنصرفة إلى التعليم و التعلم في المسجد ، و حلق الذكر و العبادة ، و آداب الخروج من المسجد ، و الدعاء الذي يدعى به عند ذلك ، و ما إلى ذلك ، و من الواضح أن الصلاة تأتي ـ بعد الأخذ بهذه الآداب و الفضائل و التعليمات ـ أقوى ذريعة إلى التزكية والاصلاح ، والتعليم والتربية ، و الانابة والانقطاع إلى الله ، و أضف إلى ذلك كله ما ذكره الحديث ـ في اهتمام أي اهتمام ـ من قصة كيفية صلاة النبي صلى الله عليه و آله وسلم ، و هيامه بالصلوات النافلة ، و انهماكه عند تلاوة القرآن الكريم ، و انظر إلى أي درجة تبلغ صلاة الأمة بهذه المجموعة الكريمة ، من الآداب و التعليمات ، و أن أي جو

نفسي روحانى ينشأ ، وقس على ذلك الصوم والزكاة ، و الحج ، و انظر فى آدابها و فضائلها ، و ما أثر من أقوال النبي صلى الله عليـه و آله وسلم ، و وقائع حياته فى شأنها ، و إلى أى مدى تبق فعاليتها وقوتها إذا جردت عن هاتى الآداب و الفضائل و فصلت عن الجو الذى يكونه له الحديث ، و إلى أى مدى تبق صالحة لاثارة العواطف و إشعال الشوق ، و إيقاد جمرة الذوق ، وبعث الروح ، وشحن بطارية القلب وشحذ العقول و الأذهان ، وإعطاء قوة التماسك و الاستقامة ، وإيجاد مجتمع جديد صالح تسرى فيه روح العبادة و التقوى ، والخشية والانابة؟!.

و الواقع أن وقائع حياة النبي ﷺ المباركة ، و إرشاداته و تعاليمه ، تخلق ذلك الجو الذى تخضر فيه شجرة الدين ، و تورق و تثمر . إن الدين ليس مجموعة من الضوابط الخلقية الجافة ، إنه لا يبق حياً بدون العواطف و الروح و الوقائع و الأمثلة العملية . وخير مجموعة موثوق بها لهذه العواطف و الوقائع و الأمثلة العملية هى مجموعة الحديث النبوى الذى أصبحت من خصائص الأمـــة الاسلامية التى لا يشاركها فيها أمة من أمم الأنبياء - عليهم الصلاة و السلام - و أصحاب ديانة من الديانات السماوية التى لا يزال بقايا أتباعها و المنتمين إليها ، على اختلاف أنواعهم و مستوياتهم على وجه الأرض .

الديانات القديمـــــة ضيعت أخبــار حيـاة أنبيائها وسيرهم وأقوالهم الصحيحة ، وملأت الفراغ بقصص عظمائها :

و هذه الديانات - من يهودية و مسيحية و مجوسية و بوذية و برهمية - لم تلبث أن فقدت روحها و قوتها ، و صلاحيتها للحياة و البقاء ، فضلا عن النمو و الازدهار ، لأنها لم تعد تحتفظ بأخبار حياة أنبيائها الموثوق بها ، التى تجدد الايمان و اليقين ، و تبعث الروح ، و تنفخ الحياة ، و لم يتيسر لهذه الديانات

ذلك الجو النفسی الروحانی ، الذی یتقدم فیه أتباعها روحیاً و دینیاً ، و یقاومون به المغریات المادیة و غوائل الشیطان و النفس .

و أخیراً إنهم شعروا بالحاجة إلی ذلك فانها حاجة فطریة ، فملأوا هـذا الفراغ بقصص حیاة كبار أتباع الدیانات ، و أخبار « أحبارها ورهبانها » و بما دار فی مجالسهم من حدیث و حوار ، و ما روی عنهم من أحادیث و أخبار ، و أثر عنهم من أقوال و آثار .

و هنا تألفت لنفس هذا الغرض صحف من تلمود (١) ، عكف علیها الیهود تلاوة و شرحاً و مطالعة و دراسة ، حتی غطت علی التوارة نفسها ، ونقل من أقوال علماء الیهود ما یرجحها علی صحف العهد القدیم ، و قد جاء فیها ـ بطبیعة الحال ـ و بتأثیر العقلیة الیهودیة الضعیفة ، و المجتمع الیهودی المنحط الخاضع للتأثیرات الأجنبیة ، الشیء الكثیر من نسج الخیال و ضعف الاعتقاد و ما ینطبق علیه قوله تعالی : « و ما قدروا الله حق قدره (٢) » .

ولجأ المسیحیون بدورهم إلی تألیف كتب و إضافتها إلی صحف العهد الجدید ، ككتاب « أعمال الحواریین » و « رسائل بولس » و « رسائل بطرس »

---

(١) اسم عام للشنا والجیمارة ، یحتوی علی الشریعة الشفاهیة ، وتقلیدات أخری للیهود ، و نسخ التلمود — و أكثرها فی ١٢ مجلداً بقطع كامل — تحتوی علی أهم التفاسیر و الحواشی . و هی كثیرة جداً (دائرة المعارف للبستانی) و قد جاء فی دائرة المعارف الیهودیة « أن التلمود أیضاً یشهد بأن الوثنیة كانت فیها جاذبیـــة خاصة للیهود » Jewish Encyclopa dia Vol. XI AND XII P. 569 – 690 .

(٢) الأنعام — ٩١ .

و « رسائل يوحنا » ، و ككتاب « مشاهدات يوحنا » .

و هام البراهمة و أتباع الديانة الهندية القديمة ، بكتاب « كيتا » (GEETA) الذى يحتوى على أقوال أحد عظمائهم ، « سرى كرشن » (SRI KRISHNA) ورامائن (RAMAYANA) حكايات إلههم راما (RAMA) و ملحمة « مها بهارت » وغيرها من كتب القصص والملحمات ، وكذلك كان شأن المجوس الفرس بشرح « أوستا » الذى يسمى « رندا فيست »

و قد عجزت هذه الكتب كلها عن العودة بهذه الشعوب المتدينة و الديانات القديمة إلى تعاليم دعاتها الأولين ، و تصوير حياتهم وسلوكهم و اتجاهاتهم الأصيلة ، و عن إثارة عاطفة التقليد لحياتهم و التأسى بأسوتهم ، و الغيرة على دعوتهم و عقيدتهم ، بل أساءت إليها أكثر مما أحسنت ، و كانت السبب الرئيسى فى اعتلال ذوقها الدينى ، و انحراف فطرتها ، و إغراقها فى التقديس و التأليه ، و الخضوع الزائد لما كان أمعن فى الخيال ، و أبعد عن الحقيقة ، و أشد منافاة للفطرة السليمة ، و كان أثرها بعيداً و عميقاً و لا يزال ، فى آداب هذه الأمم و عقليتها ، و اجتماعها و ميولها و رغباتها و حولت هذه الديانات بالتدريج مجموعة من البدع و الخرافات و التأويلات الباردة ، و التفسيرات الجديدة المتطرفة ، تلاشت فيها تعاليم هذه الديانات الأصيلة كما تتلاشى قطرة من خل فى اليم .

مقارنة سريعة بين سير الأنبياء السابقين
ومؤسسى الديانات ، وبين الحديث والسيرة :

و قد أصبح إفلاس هذه الأمم و الديانات فى سيرة أنبيائها ، و أخبار حياتهم الصحيحة ، حقيقة مقررة لا يختلف فيها اثنان (١) ، و إذا قارن الانسان

---

(١) ليراجع للتفصيل « الرسالة المحمدية » للعلامة الكبير السيد سليمان الندوى ، المحاضرة الثانية ، ص/ ٤٦ ـ ٥٠ .

بين السيرة النبوية و مجموعة السنة و دواوين الحديث النبوى و بين سير الأنبياء السابقين و ما نقل فى حياتهم ، رأى العجب العجاب ، و ما تتحير منه الألباب ، فأكثرها توارت فى ظلمات الجهل والاهمال ، و الحوادث التاريخية الدامية ، و قد أدت هذه الديانات رسالتها فى فترة زمنية خاصة ، و مشى فى ضوئها الجيل الذى كلف أتباعهم ، ثم لم تبق حاجة إلى الاحتفاظ بها ، و إلى أن تتوارثها الأجيال ، و يكفينا أن نستعرض حياة سيدنا المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة و السلام ، فكان آخر الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه و آله وسلم ، وتنتسب إليه أمة عرف شغفها بالعلم و التأليف ، و إفراطها فى حب نبيها ، و إطراؤها له إطراءاً بلغ حد التأليه و التقديس ، و لكنها لم تستطع أن تعرض على العالم إلا نتفاً من أخباره و أقواله التى لا تكون هيكلا من حياة بشرية كاملة يقلده الانسان فى حياته الفردية ، أو يسير فى ضوئه مجتمع فاضل ، و قد كان الاعتقاد السائد فى العالم المسيحى قبل أيام أن « العهد الجديد » يتضمن أخبار السنوات الثلاث الأخيرة من سيرة المسيح و أخباره ، فانتهى تحقيق الباحثين و أصحاب الاختصاص فى الموضوع فى الزمن الأخير إلى أنها لا تتجاوز أخبار خمسين يوماً من حياته ، لا أكثر و لا أقل .

يقول القس الفاضل الدكتور شارلس اندرسن اسكات (CHARLES ANDERSON SCOTT) فى مقال له فى دائرة المعارف البريطانية الطبعة الرابعة عشرة ، ج /١٣ ص /١٧١٠) : « ينبغى أن يتنازل الانسان عن محاولة وضع كتاب فى سيرة المسيح بكل صراحة ، فانه لا وجود للمادة و المعلومات التى تساعد على تحقيق هذا الغرض والأيام التى توجد عنها بعض المعلومات ، لايزيد عددها على خمسين (٥٠) يوماً » .

أما الأنبیاء الآخرون ، و عظماء الملل و الدیانات السابقة ، فیصح القول بأن أخبارهم و صور حیاتهم مطمورة فی رکام الماضی ، و هناك حلقات رئیسیة لا یکمل بغیرها التاریخ ، و لا یتسنی بدونها الاقتداء و التقلید ، مفقودة لا یمکن البحث عنها ، و الاهتداء إلیها فی هذا العصر المتأخر ، و هـذا عین ما تقتضیه الحکمة الالهیة ومنطق الأشیاء ، فالمثل الانسانیة لها أعمار طبیعیة ، وحیویة محدودة فاذا انتهت لم تکن مصلحة فی تناقلها ، أما ما کانت الحاجة إلیه قائمة دائمة ، فبقی علی اختلاف الزمان و المکان و استمر و انتشر ، و أورق و أثمر (١) » .

أما الاسلام وحیاة صاحب رسالته ـ صلوات الله و سلامه علیه ـ فیختلف شأنهما عن شأن الدیانات السابقة و أصحاب رسالاتها الأولین ، اختلافاً لا مزید علیه ، فقد جاء فیهـا من الوضوح و التفصیل و الدقة ما لا یتصور فوقه العقل الانسانی ، و لا تؤیدها التجربة الطویلة لتدوین تاریخ العظماء و تسجیل و قائعهم و حوادث حیاتهم ـ بما فیهم الأنبیاء و أصحاب الرسالات ـ و نظرة عجلی فی کتب الحدیث والشمائل ـ فضلا عن کتب السیرة والمغازی ـ تدل علی صدق ما قلنا ، وحسب القاریء أن یستعرض الأحادیث الواردة فی حجة الوداع فی کتب الصحاح فیعرف کیف تطیب رسول الله صلی الله علیه و آله وسلم ، عند إحرامه ، و من باشر هذا التطییب ؟ ، و یعرف نوع هذا الطیب ، و طریقة إشعار رسول الله صلی الله علیه و آله وسلم هدیه ، و یعرف تفصیله وتحدیده ، هل کان فی الجانب الأیمن أو الأیسر ، وکیف سلت عنها الدم ، و یعرف کیف احتجم ، و یستطیع أن یحدد مکانه من الجسد الشریف و موضعه من الطریق ، و یستطیع أن یحدد

---

(١) ما بین الواوین مقتبس من کتـاب المحاضر « النبی الخاتم » ، ص /١٦ ـ ١٧ .

المنازل بين المدينة و مكة ، و يعد أيامه فى السفر ، و ذلك فى زمان لم يعرف الناس فيه كتابة اليوميات و تدوين المذكرات ، و لا تفوته شاردة و لا نادرة ، حتى يعرف قصة خروج حية فى هذا المشهد الحافل و إفلاتها من القتل ، ويعرف كل من كان رديف رسول الله عليه وآله وسلم ، فى هذه الرحلة (١) ، ويعرف اسم الحلاق ، و كيف قسم شعره ، و من خصهم بالشق الأيمن ، و من خصهم بالشق الأيسر ؟ ، هذا فضلا عن خطبه صلى الله عليه وآله وسلم ، يوم عرفة وفى منى ، و وصاياه التى حفظت و بلغت ، و عملا بقوله ﷺ : « ألا فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع (٢) » .

و قد اعترف بهذه الحقيقة الكتاب المنصفون من الغرب ــ و الفضل ما شهدت به الأعداء ــ يقول « جون ديون بورت » فى كتابه « السيرة المحمدية » عنوانه : « اعتذار من محمد والقرآن : (Apology For Mohammad And Quran)

« (لا ريب أنه لا يوجد فى الفاتحين و المشرعين ، و الذين سنوا السنن ، من يعرف الناس حياته و أحواله ، بأكثر تفصيلا و أشمل بياناً ، مما يعرفون من سيرة محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) و أحواله (٣) » .

و قد ألقى ريورند باسورت اسمت (Bosworth Smith) عضو كلية التثليث

---

(١) قد استوعب صاحب « نسيم الرياض » أسماء كل من أردفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حياته ، فذكر نحو ثمانيــة و ثلاثين (٣٨) رديفاً ، و زاد ابن منده على هذا العدد .

(٢) اقرأ تقديم المحاضر لكتاب « حجة الوداع و عمرات النبى صلى الله عليه و آله وسلم » للعلامة المحدث الشيخ محمد زكريا السهارنفورى .

(٣) نقلا من « الرسالة المحمدية » للعلامة السيد سليمان الندوى ، ص / ٩٨ .

فى أوكسفورد سنة ١٨٧٤م محاضرات عن « محمد و المحمدية » فى الجمعية الملكية فى بريطانيا العظمى ، قال فيها :

« أما الاسلام فأمره واضح كله ، ليس فيه سر مكتوم عن أحد ، و لا غمة يبهم أمرها على التاريخ ، ففى أيدى الناس تاريخه الصحيح ، وهم يعلمون من أمر محمد صلى الله عليه و آله وسلم ، كالذى يعلمونه من أمر لوثر و ملتن ، و إنك لا تجد فيما كتبه عنه المؤرخون الأولون ، أساطير ولا أوهاماً ، ولا مستحيلات ، و إذا عرض لك طرف من ذلك أمكنك تمييزه عن الحقـــائق التاريخية الراهنة ، فليس لأحد هنا أن يخدع نفسه أو يخدع غيره ، والأمر كله واضح وضوح النهار ، كأنه الشمس رأد الضحى ، يتبين تحت أشعة نورها كل شيء (١) » .

الحـــديث ميزان عادل لوزن حياة المسلمين و واقعهم ، و الحكم عليه فى كل عصر :

ثم إن الحديث ميزان عادل يستطيع المصلحون فى كل عصر أن يزنوا فيــه أعمال هذه الأمة و اتجاهاتها ، و يعرفوا الانحراف الواقع فى سير هذه الأمة ، و لا يتأتى الاعتدال الكامل فى الأخلاق و الأعمال إلا بالجمع بين القرآن و بين الحديث ، الذى هو يملأ هذا الفراغ الذى وقع بانتقــال الرسول صلى الله عليـــه و آله وسلم إلى الرفيق الأعلى ، و هذه الفجوة لا بد منها فى السنن الالهيـــة ، « و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل (٢) » ، « إنك ميت و إنهم ميتون (٣) » ، فلولا الحـــديث الذى يمثل هذه الحياة المعتدلة الكاملة المتزنة ، و لو لا التوجيهات النبوية الحكيمة ، و لو لا هذه الأحكام التى أخذ بها الرسول المجتمع الاسلامى ، لوقعت هذه الأمة فى إفراط و تفريط ، و اختل الاتزان ، و فقد المثال العملى الذى حث الله على الاقتداء به ، بقوله : « لقـــد كان لكم

(١) الرسالة المحمدية ، ص /١٠٠ . (٢) آل عمران ـ ١٤٤ . (٣) الزمر ـ ٣٠ .

فى رسول الله أسوة حسنة (١) » ، و بقوله : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله (٢) » ، و الذى يطلبه الانسان و يستمد منه الثقة و القوة فى الحياة ، و يقتنع بأن تطبيق الأحكام الدينية على الحياة ميسور و واقع .

الحديث وسيلة قوية للحسبة على المجتمع الاسلامى و مدرسة دائمة يتخرج فيها المصلحون و المجددون :

« ثم إن الحديث زاخر بالحياة و القوة و التأثير الذى لم يزل يبعث على الاصلاح و التجديد ، ولم يزل باعثاً على محاربة الفساد و البدع ، و حسبة المجتمع ، و لم يزل يظهر بتأثيره فى كل عصر و بلد ، من رفع راية الاصلاح و التجديد ، و حارب البدع و الخرافات ، و العادات الجاهلية ، و دعا إلى الدين الخالص و الاسلام الصحيح ، لذلك كله كان الحديث من حاجات هذه الأمة الأساسية ، و كان لابد من تقييده و تسجيله و حفظه و نشره (٣) » .

و قد ظلت كتب السنة والحديث ـ و لا تزال ـ مصدراً من مصادر الاصلاح و التجديد ، و التفكير الاسلامى الصحيح فى الأمة الاسلامية ، تلقى منه المصلحون فى عصورهم العلم الدينى الصحيح ، و الفكر الاسلامى النقى ، و احتجوا بأحاديثه و استندوا إليها فى دعوتهم ، إلى الدين والاصلاح ، و فى محاربتهم للبدع و الفتن و الفساد ، و لا يستغنى عن هذا المصدر كل من يريد إرجاع المسلمين فى عصره إلى الدين الخالص ، و الاسلام الكامل ، و يريد أن يوجد صلة بينهم و بين الحياة النبوية ، و الأسوة الكاملة ، و كل من تلجئه الحاجة و تطورات العصر إلى استنباط الأحكام الجديدة .

« يتبع »

---

(١) الأحزاب — ٢١ . (٢) آل عمران — ٣١ .

(٣) مقتبس من كتاب الحاضر « رجال الفكر والدعوة فى الاسلام » ، ج /١ ، ص /٩٨ الطبعة الرابعة عام ١٣٩٤هـ .

الدعوة الإسلامية

مبادىء فى الأدب و الدعوة

(٥)

فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى
أستاذ بكلية الشرعية و الدراسات الاسلامية
قسم الدعوة والدراسات العليا ـ بمكة المكرمة

(٤)

بيان حول المعنى :

إن الكلام حول المعنى يستدعى النظر إلى المعانى من جهات ثلاث :

الجهة الأولى :ـ

جهة كون المعنى له لفظ لغوى موضوع أو مستعمل فى عرف الناس أو فى مصطلحاتهم للدلالة عليه ، أو ليس له لفظ يدل عليه .

الجهة الثانية :ـ

جهة الدلالة على المعنى عن طريق الأسلوب الكلامى المباشر ، أو عن طريق الأسلوب الكلامى غير المباشر .

الجهة الثالثة :ـ

جهة المعانى نفسها و قيمها الفكرية و الجمالية .

و البحث العلمى الشامل المتزن يأخذ بأيدينا إلى النظر الثاقب فى المعانى من هذه الجهات الثلاث .

و بنظرة عجلى و بحث أولى متواضع أعقد لكل جهة من هذه الجهات الثلاث مقولة خاصة بها .

أولا ـ مقولة الجهة الأولى حول المعنى :

إن المعانى التى يمكن أن يحيط بها علم الانسان ، أو يصل إليها إدراكه الذهنى ، أو تخيلاته ، تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول :

هى المعانى التى لها ألفاظ لغوية تدل عليها .

القسم الثانى :

هى المعانى التى ليس لها ألفاظ لغوية تدل عليها .

‡ مثل بعض الوجدانيات و المشاعر النفسية التى لا يجد الشاعر بها ألفاظاً تدل عليها .

‡ و مثل بعض المركبات التخيلية التى ليس لها أمثلة فى الواقع .

‡ و مثل الغيبيات التى لم يصل إلى حس الناس أية صفة من صفاتها ، ولكن أدركوا بعض آثارها ، كالجاذبية قبل أن يتنبه العلماء إليها و يضعوا لها اسماً .

‡ و مثل كثير من عناصر الأرض و نباتاتها و حشراتها و أجزاء الأجسام المركبة التى لم يحدد الناس بعد أسماء لها .

‡ و مثل كثير من الطعوم و الروائح التى لا تحصر فروعها ، و إن عرفت أصولها ، و كذلك الأصوات وما بينها من فروق وما لأصول أنغامها من فروع .

‡ و مثل كثير من الأعمال ذات الحركات المركبة المتداخلة التى صار الناس يشاهدونها بعد اختراع الآلات و اكتشاف الطاقات .

وكلنا نلاحظ ، أنه كلما وضح فى أذهان الناس معنى من هذه المعانى ، وصاروا بحاجة إلى تداوله و التعبير عنه ، بدأوا يضعون له لفظاً منقولا أو مرتجلا يدل عليه ، و مع تداول هذا اللفظ مشيراً إلى المعنى الذى وضع له يغدو رمزاً معروفاً ، فكلما

ذكر هذا اللفظ ربط به الذهن معناه ، مستخرجاً له من خزائن المعانى عنده ، ووضعه فى ساحة التصور الحاضر .

و تعج كتب العلوم بالألفاظ المستحدثة التى هى من هذا القبيل ، و تعرف بالمصطلحات العلمية .

و تتزايد فى تداول الناس ضمن لغاتهم الدارجة ألفاظ تدل على معان لم يكن لها من قبل ألفاظ تدل عليها ، لأن هذه المعانى لم تكن موضوعة من قبل موضع التداول العام ، إذ لم تكن الحاجة ماسة إلى تداولها بين الناس .

و فى المقابل تموت ألفاظ دالة على معان ، لأن هذه المعانى لم تعد الحاجة ماسة إلى تداولها ، كأسماء بعض الأدوات التى أهمل الناس استعمالها .

و من الملاحظ أن اللغات يسرق بعضها من بعض معانى و ألفاظاً ، فتغدو متداولة فى غير مواطنها الأصلية بعد أن لم تكن كذلك .

و كثيراً ما يحتال الانسان ليدل الآخرين على معنى لا يجد له فى اللغة لفظاً يدل عليه دلالة واضحة ، إذ يلحظ شبهاً قوياً أو ضعيفاً بينه وبين شئ مما له فى اللغة لفظ يدل عليه ، فيستخدم اللفظ الدال على هذا الشبيه فيضرب مثلا منه ، وإذا كان هذا المعنى الشبيه قابلا للتعميم ثم التجريد من الحدود الحسية إذا كان من الحسيات ، فان الانسان يلجأ عادة إلى التعميم بملكة التعبير اللغوية الموجودة فى فطرته والمكتسبة من مجتمعه وعندئذ ينقل اللفظ الموضوع أساساً فى عرف الناس للمعنى الحسى ، ويعممه ثم يجرده من الحدود الحسية .

لقد كان الباب لفظاً دالا فى الحسيات على المدخل المخصص وسط حاجز أو سور ، والذى يمكن فتحه وإغلاقه عند الحاجة ، فيدخل منه الانسان هو وأشباؤه إلى دار أو بستان أو مدينة أو مغارة أو نحو ذلك ، أو يخرج منه .

ثم لاحظ الناس أن هذا المعنى إذا عم و جرد من الحدود التى عرفوها عند الاطلاق الأول كان لفظ الباب قابلا لأن يدل على المنفذ الذى يدخل منه الطائر إلى عشه و يخرج منه ، و الذى يدخل منه الحيوان إلى جحره و يخرج منه و على الثقب الذى تدخل منه النحلة مثلا إلى خليتها و تخرج منها .

ثم اتسع التعميم فصار قابلا لأن يدل على حواجز فى السحاب تحجز الأمطار عن الهطول ، و ربما تكون هذه الحواجز طاقات ذات أنظمة خاصة ، فاذا حركت هذه الحواجز تحريكا يسمح بهطول الأمطار هطلت الأمطار ، ومنه التعبير القرآنى فى سورة (القمر) :

« ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر » (١١)

ثم انتقل الذهن من التعميم إلى التجريد ، فصار للرزق أبواب و هى أبواب معنوية ، و صار للعلم أبواب و هى أبواب معنوية ، و من ذلك التعبير القرآنى فى سورة (الأنعام) :

« فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » (٤٤)

مبلسون : أى يائسون مبهوتون متحيرون ساكتون قد انقطعت حجتهم وهيمن عليهم الخزى و الندم .

و نظير الباب المفتاح و المفاتيح ، و من التعميم و التجريد مفاتيح الرزق ومفاتيح العلم ومقاليد السماوات والأرض ، قال الله تعالى فى سورة (الشورى) .

« له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر إنه بكل شئ عليم » (١٢) أى له مفاتيح السماوات و الأرض .

ومن احتيال الانسان للدلالة على مشاعر شوقه العنيف إلى محبوبه تشبيه هذه

المشاعر بالنار التى تلذع بحرارتها و تؤلم ، و تجفف رطوبة الجوانح ، و تداول العشاق و الشعراء هذا التعبير حتى قال الشاعر :

بنتم و بنا فما ابتلت جوانحنا شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا

* * * * * * * * * * * * *

ثانياً ـ مقولة الجهة الثانية حول المعنى :

و المعنى :

أ ــ إما أن تدل عليه فى الكلام بالأسلوب المباشر السافر .

ب ــ و إما أن تدل عليه فى الكلام بالأسلوب الملامس بساتر .

جـ ــ و إما أن تدل عليه فى الكلام بالأسلوب غير المباشر .

فالأسلوب المباشر السافر :

هو الأسلوب الذى تكون الدلالة فيه على المعنى المراد :

* باللفظ الموضوع له لغة ، و هو ما يسمى (حقيقة لغوية) .

* أو باللفظ الدال عليه فى الاستعمال العام الدارج و هو ما يسمى (حقيقة فى العرف العام) .

* أو باللفظ الدال عليـه عند أهل علم من العلوم ، أو فن من الفنون ، أو فى الاصطلاح الشرعى ، و هو ما يسمى (حقيقة فى الاصطلاح الخاص) .

و الأسلوب المباشر السافر فى الكلام قد يكون فى كثير من الأحوال هو الأسلوب الأوقع و الأكثر تأثيراً ، أو الأنفع و الأجدى ، أو الأكثر ضبطاً .

والأصل فى الكلام هو الأسلوب المباشر السافر ، وله النسبة الأكبر من كل الكلام .

ومن الأحوال التى يكون فيها الأسلوب المباشر السافر أوقع وأكثر تأثيراً ، أو أنفع و أجدى ، أو أكثر ضبطاً ، الأحوال التالية :

١ـ خطاب الذين يصعب عليهم الفهم بأسلوب غيره، كالصغار وضعفاء التفكير.

٢ـ حينما يكون المخاطب فى حالة انفعالية أفقدته الهدوء و الصفاء الفكرى، فالانسان فى مثل هذه الحالة لا يروق له إلا الكلام الذى يدل على المقصود بطريقة مبـــاشرة.

٣ـ لدى بيان الحقائق الكبرى العقدية، كالكلام الذى يحدد قضايا الايمان، فهذه يجب فيها التصريح المباشر السافر، مثل: لا إله إلا الله محمد رسول الله، آمنت بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر.

٤ـ لدى بيان المبادىء التى تعلنها الشعارات، فهذه ينبغى فيها التصريح الذى يدل على المعانى دلالة مباشرة سافرة.

٥ـ لدى كتابة نصوص التشريع أو التقنين، فالأدب الرفيع فيها هو التعبير بالأسلوب المباشر السافر، لئلا يكون فى الأفكار احتمالات تسمح بصرف الكلام عن دلالاته المقصودة.

٦ـ لدى التعبير عن الأحكام القضائية، فالنصوص ذات الدلالة المبـــاشرة السافرة فيها هى أكمل الأدب و أحكمه، عملا بما توجبه مقتضيات هذه الأحكام.

٧ـ فى معظم مواقف الدعاء لله تعالى، فالتعبير المباشر السافر الموجز فيها كثيراً ما يكون هو الأدب الأرفع، مثل: رب اغفر لى، و ارحمى و اهدنى، و سددنى، و عافنى، و ارزقنى حلالا طيباً مباركاً فيه.

٨ـ فى كثير من صور التعليم المنهجى.

٩ـ فى ذروات التعبيرات العاطفية، فالتعبير المباشر السافر فيها عند التصافى و انعدام الرقباء هو من أرق الأدب و أرفعه، إنه قد يكون أوقع عند وصول الحبيبين إلى التكاشف الصريح أن يقول كل منهما لحبيبه: إنى أحبك، أو يا حبيبى.

و الأسلوب الملامس بساتر :

هو الأسلوب الذى يستخدم فيه للدلالة على المعنى المراد طريق التشبيه و التمثيل ، أو الاستعارة ، أو المجاز المرسل ، أو المجاز العقلى إن قلنا به .

فحين نقول : « وجهه كالقمر » فان السامع أو القارىء يلمس أن المراد وصفه بأنه جميل ، و لكن حس اللمس يقع على ساتر التشبيه بالقمر ، ولا يباشر الملموس المراد ، و إنما يباشر الساتر فبين اللامس و الملموس فاصل الساتر ، و هو هنا ساتر التشبيه .

و يتكاثف الساتر فى التشبيه البليغ .

و يزيد الساتر كثافة فى الاستعارة التصريحية .

و يزيد الساتر كثافة أخرى فى الاستعارة المكنية .

مثلا : حين تقول للولد : كن مع والديك كفرخ الطير الذى يخفض جناحيه تذللا تحت صدر أمه أو جناحها ، فان الولد يلمس أن المراد مطالبته بأن يتواضع لوالديه كتواضع الذليل ذى الحاجة إلى الأمن والدفء والرزق ، ولكن يلمس هذه المعانى مع فاصل ساتر التشبيه .

فاذا حذفنا أداة التشبيه ، و جعلناه تشبيهاً بليغاً ، لمس المراد نفسه ، إلا أنه شعر قليلا بزيادة كثافة الفاصل .

ثم إذا قلنا له كما جاء فى القرآن : [و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة] على طريقة الاستعارة المكنية ، فانه يلمس المراد نفسه أيضاً ، لكنه يشعر بأن كثافة الفاصل قد زادت من جهة ، و ازدانت بحلاوة ملامس خاصة بها ، مع جس المراد من ورائها .

و نلاحظ نظير ذلك فى المجاز المرسل ، و فى المجاز العقلى إذا قلنا به .

فقول الله تعالى : « يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت » هو من المجاز المرسل باطلاق الكل وإرادة البعض ، ونحن حين نسمع هذا القول ، و يسرع إلى تصورنا أن الاصبع كلها لا تدخل عادة فى الأذن ، إنما الذى يدخل منها رأس الأنملة فقط ، نعلم أن المراد أنهم يجعلون رؤوس أناملهم فى آذانهم ، ولكن لمسنا ذلك من وراء فاصل ، و هو هنا ساتر المجاز المرسل .

و مع لمس المراد من وراء الساتر أحسسنا بزينة خاصة فى هذا الساتر نفسه ، و بفكرة مضافة ، و هى أنهم يبالغون بضغط أصابعهم على آذانهم ، فلو كان الواقع يسمح بدخولها كلها فى آذانهم لفعلوا من شدة ذعرهم و حذرهم ، وهذا معنى بديع يضفى على الكلام زينة حلوة

وقول الله تعالى : « فجرت أودية بقدرها » أسند فيه الجريان إلى الأودية ، مع أن الجريان للماء فيها ، و لكننا حين نقرأ أو نسمع هذا الكلام نلمس المقصود منه من وراء فاصل وهو ساتر المجاز ، إذ أسند الجريان للمحل ، وهو هنا الأودية ، ومع لمس المراد من وراء الساتر نحس بزينة خاصة فى هذا الساتر ، وبفكرة مضافة ، و هى أن الناظر إلى تدفق الماء فى الأودية ، و تدافع أمواجه ، يتوهم فى لحظات الانبهار أن الأودية تجرى أيضاً مع الماء ، وهذا معنى بديع يضفى على الكلام زينة حلوة ، و يصور حالة التخيل التى تعترى الناظرين المندهشين .

إن هذا الأسلوب الذى هو وسط بين الأسلوب المباشر السافر ، والأسلوب غير المباشر ، أسلوب يتسع لاضافة زينات أدبية كثيرة ، تضفى على الكلام جمالا ، ورونقاً وأناقة وبهاء ، مع ما فى هذه الزينات من أفكار ودلالات يمكن إضافتها ، و من تصوير فنى بديع يمكن أن يقدمه الأديب البارع عن طريقها .

† † † † † † †

الهجرة، المنطق الواسع للتاريخ الاسلامى

سماحة الأستاذ الدكتور عبد الله عبد القادر
بالفقيه الحسينى الاندونيسى

الهجرة بين طياتها تحمل توحيد القوى و التعاضد مع رجال الايمان والبيعة. هاجر النبي ﷺ وأصحابه من مكة وهي وطنهم، ترعرعوا و تربوا فى شعابه، و حب الوطن لاصق بالنفوس، هاجروا من مكة و حيل بتلك الهجرة بينهم و بين بيت الله الحرام الذى جعل الله للناس سواء العاكف فيه والباد، هاجروا تاركين المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، يصب عليهم كفار بألوان العذاب و صنوف النكال، و تركوها عزلا من كل شئ سوى الايمان بالله و بالدعوة، و خفت فى ربوعها صوت الحكمة و انفرد فيه الشيطان يصيح بكلمة الشرك و الضلال، هاجروا و قد اجتمعت هذه المعانى كلها فى صدورهم و تفاعلت فى قلوبهم حتى كل لهم وعيهم و امتزجت بها دماؤهم، و صارت شغلهم الشاغل، و هدفهم الأسمى، وما كادت تدخل السنة الثالثة من الهجرة حتى هيئت لهم ظروف التحرش من القوم و أذن لهم فى تعقبهم رداً لبغضهم و نظراً لكلمة الحق، « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و إن الله على نصرهم لقدير » (الحج ٣٩)، و بذلك وقعت عدة غزوات، كان النظر الأخير فيها حليف الايمان إلى أن جاءتهم السنة السادسة من الهجرة، و فيها انبعثت نحو الوطن و نحو الرحمة بانقاء البشرية المغرية فى مكة و ضواحيها وطارت القلوب شعاعاً لكل ذلك.

يستقبل المسلمون عامة و العرب خاصة العام الثانى و أربعمائة بعد الألف من هجرة النبى العربى سيدنا محمد صلوات الله و سلامه عليه و آله و صحبه المخلصين من مكة إلى المدينة ، موطن أهل البيعة و المناصرة و الهجرة فى جميع نواحيها ماثلة فى القلوب ، شاخصة فى الأذهان ، متربعة على قمة أحداث التوجيه البشرى ، تملى على دعاة الخير والفضيلة ، دعاة الايمان والحرية ، دعاة الحق و العدالة ، واجبهم فى مكافحة الشر والرذيلة ، والوثنية والاستعباد والباطل والطغيان ، ما دام فى البشرية قلوب تنبض بالايمان ولسان يلهج بسيدنا محمد بن عبد الله ، وبذلك كان من الحق علينا لهذه الحالة المدهشة ، و نحن فى مقام التوجيه ، و إحياء الوعى الاسلامى و العربى ، وخاصة فى هذا الوقت الذى نستقبله فيه هذا الوليد الضخم وتتبادل فيه قوى الشر والطغيان التآمر على قتل هذا الوعى فى ضمائر طلاب الحرية و الاستقرار و الأمن ، كان من الحق علينا أن نقف عند هذا الحادث التاريخى العظيم الجلل الذى غير وجه البسيطة و حول اتجاهها من مجارى الشر والشقاء إلى سبيل الخير و السعادة .

و قد عنى المؤرخون كثيراً و هم يتكلمون عن هذا الحادث بذكر حوادث الايذاء التى كانت تتصل بالرسول عليه الصلاة و السلام و أصحابه الذين لبوا دعوته ، و من هنا ألبسه أرباب الهوى الخاص و هم يكتبون سيرة النبى (ﷺ) العربى ثوب الفرار و عدم الصبر فى القيام برسالته ، و لم يتورعوا إمعاناً فيما يبتغون من تشهير أن يطلقوا عليه كلمة « النبى الفار » ، و قد ظنوا فى ظل من الحيرة والاضطراب أن هذا الثوب المهلهل الذى خلعوه على الحادث العظيم يستطيع أن يستر الحقيقة التى يحملها بين جنبيه ، و التى لم تلبث بعد الوصول إلى المدينة أن يسطع نورها ، و انتشر أريجها و بددت الغشاوة الكثيفة التى وضعها الجهل و الطغيان على العقل البشرى حيناً من الدهر .

و الواقع أن هذه الهجرة التى خاضوا عليها ذلك الثوب المهلهل ، لم تكن إلا أثراً من آثار هجرة سبقتها هى هجرة عما كان عليه القوم من عقائد فاسدة، وشرائع باطلة ، و عادات و تقاليد ، كان لها فى هدم الانسانيـة ما ليس للمعاول اقوية فى تقويض البناء الشامخ العتيد ، نعم . . . هاجر النبى صلى الله عليـه و آله و سلم و أصحابه بقلوبهم قبل أن يهاجروا بأبدانهم ، هاجروا من يوم أن بعثه الله بالحق بشيراً و نذيراً و داعياً إلى الله باذنه و سراجاً منيراً .

هاجروا إلى التوحيد البريئ والاخلاص النقى ، و الانابة الحقة ، و التوكل الصحيح ومحبة الخير للخير، هاجروا إلى هذه التعاليم السياسية التى نهضت بالانسانية من كبوتها ، و رفعتها من حضيض هوت إليـه فى جاهليتها ، و ذكرتها بأنها ما خلقت عبثاً ، ولا باطلا ، ولا لتفسد فى الأرض أو تسفك الدماء ولا ليستعبد قويها ضعيفها ، ذكرتها بأنها ما خلقت إلا لتكون خليفـة عن الله رب العالمين، تسبح بحمده ، و تقدس له و تعمل صالحاً حتى تسمو بالعلم إلى ما يمكن أن يصل إليه من درجات الرشد و أطوار الكمال .

هذا ما هاجر إليه النبى سيدنا محمد صلى الله عليه و آله وسلم وصحبه القليل، لا لشئ سوى أنه الحق الذى شرح الصدور ، و استولى على الحواس و الأفئدة و امتزج بالدماء و الأرواح ، فامتلأت النفوس غيرة عليه ، و أخـذت تتلمس وسائل حفظه و نشره و العمل بمقتضاه ، و إسعاد الانسانية به ، رأى هذا النفر القليل ، أن سعادة العالم معقودة بادراك تلك اللذات الروحية التى سرت إليهم من دعوة هذا النبى الكريم ، و رأوا أن مكة و قد تألب أهلها عليهم ، و قلبوا لهم ظهر المجن وقعدوا لهم فى كل مرصد ، و تجسسوا عليهم من كل نافذة لم تكن لهم طمأنينـة يتسع لهم فيها مجال العمل ، و يتمكنون فيها من تلبية الايمان و القيام

بحقــه ، رأوا أن غايتهم التى لها يعملون ، تنحصر فى توحيــد الله و الدعوة إليه و إقرار السلم و العدل فى خلقه ، و أنه سبحانه و تعالى يعبد فى كل مكان ، و تنشر دعوته فى كل مكان ، و ينبعث نور هــديه فى كل مكان ، ، و ليست مكة وحــدها ، هى منبع ذلك الخير ، رأوا أن الأرض منها خبيث جــدب ، لا يقبل البذر الطيب ، و لا ينبت النبات الحسن ، و منها طيب خصب يتشرب ماؤه و يمد بذره بقوة الانبات ، ثم لا يزال به ينميــه و يقويه حتى يؤتى أكله و ينضج ثمره « و البلد الطيب يخرج نباته باذن ربه و الذى خبث لا يخرج إلا نكداً » (١) .

رأوا أن جبال مكة و هضابها لم تمنع أريج الدعوة التى آمنوا بها و استعذبوا العذاب و الموت فى سبيلها ، من أن يسرى و ينتشر و يحمله الجلال و الجمال حتى ينزل من المدينة وهم بمكة مقيمون « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله (٢) رأوا أن هؤلاء الرجال يقتحمون العقبة بايمان قوى و حب عميق ، و يمدون إليهم يد البيعة : تريد الوفاء و الصــدق ، وبذل المهج ، دون الرسول لخذ لنفسك ولربك بما أحببت .

رأوا أن سبب النصر بهذا قد تهيأ ، و سبيل العمل على العزة قد تعبد ، فلم يجدوا بداً من التمسك بهذا السبب ، فاتجهوا إلى مدينة الأنصار ، و تم لهم بفضل الله ما أرادوا ، اتجه النبى وصحبه إلى المدينة ، و كان هذا من أشد ما يخافه أهل البغى و العدوان ، و لقد اجتمع رؤساؤهم و قادة أمرهم ، فى دار ندوتهم للتشاور فيما يتخذون من وسائل القضاء على محمد و صحبه ، حينما سمعوا نبأ « بيعة المدينة »

(١) الأعراف ـ ٥٨ (٢) النور ـ ٣٦ ـ ٣٧

التى زعزعت ثقتهم بأنفسهم ، فقال أحدهم : أخرجوه من أرضكم تستريحون منه ، فرفضوا هذا الرأى ، و قالوا : إنه إذا خرج اجتمعت حوله الجموع لما يرون من حلاوة منطقه و عذوبة لفظه ، و تغلغل روحه ، و قال آخر ، نحبسه حتى يدركه ما أدرك الشعراء قبله من الموت ، فرفضوا هذا أيضاً ، و قالوا ، إنا إذا حبسناه لا يلبث الخبر أن يبلغ أنصاره ونحن أدرى الناس بمن دخلوا فى دينه ، فهم يفضلونه على الآباء و الأبناء ، و ربما جر هذا علينا من الحرب و نحن فى غنى عنه ، فقال ثالث ، الرأى أن نقتله قتلة ، لا يستطيع بنو أبيه أن يأخذوا بثأره ، خذوا من كل قبيلة شاباً ، و ارقبوه أمام داره ، حتى إذا خرج منها اضربوه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه فى القبائل ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلها ، و يذهب أهل محمد بالدية ، فوقع هذا الرأى عندهم موقع القبول ، و قد كان آخر ما فى كنانتهم من سهام ، فأدوا له وسائل التنفيذ الممكنة ، ولكن الله الذى تكفل بحفظ رسوله ورعايته ، وأنزل عليه فى محكم كتابه « والله يعصمك من الناس » (١) أفسد عليهم تدبيرهم ، و أحبط أعمالهم ، وخرج رسوله من بين الحديد و النار محفوفاً بالعزة و الكرامة « و إذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك و يمكرون الله و الله خير الماكرين » (٢) .

و على هذا الوجه تمت الهجرة ، وترك النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصحبه قريشاً تغلى كالمراجل فوق النار المتقدة ، تتبخر منها أفانين الحنق على سهام طاشت ، و مكر رد فى نحورهم ، و مكائد ذهبت أدراج الرياح ، و تلك سنة الله فى تآمر أهل البغى والعدوان على أهل الدين والايمان ، والحوادث الزمنية تقدم فى كل جيل و أمة ، شواهد تلك السنة الالهية التى لا تتخلق ، ولن تجد لسنة الله

(١) المائدة ـ ٦٧ (٢) الأنفال ـ ٣٠

تبديلا» (١) وبهذه السنة يكرم الله أولياء، يحتضنهم ويقوى شوكتهم، وينفخ فيهم من روحه، ويقذف فى قلوب أعدائهم الرعب بما يفسدون، وبما يعيثون، وبما يريقون، و بهذه السنة يؤيد الله أولياءه و يحقق لهم النصر الذى وعد، يهدد به على أيديهم من يخذل دينه، و ينبذ شرعته، ويفرق كلمة الموحدين «إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا، فأنزل الله سكينته عليه و أيده بجنود لم تروها و جعل كلمة الذين كفروا السفلى و كلمة الله هى العليا و الله عزيز حكيم» (٢).

وإذن لم تكن الهجرة فراراً من الأذى ولا هرباً من التنكيل، ولا التماساً للرزق، و لا خوراً فى العزيمة، و لا خوفاً من الموت فى سبيل الله، و إنما هو الايمان بالله، يملأ نفس صاحبه عزة وكرامة ويأبى عليه أن يخلد إلى السكون، أو يرضى بالخنوع أو ينقاد بسلطان القهر الذى يصنعه الحرية فى تصرفه و إقامة دينه و الاتصال باخوانه الذين يجب أن يتساند معهم و يكونوا جميعاً وحدة قوية تحمى بيضتهم، و تحفظ عزتهم و ترفع رأسهم، و فى ظلها يبثون دعوتهم، و ينشرون العدل و يحققون السلم و المساواة و يدعون إلى الخير و السعادة و هكذا تمت الهجرة، و كانت بقرارها و آثارها برداً و سلاماً على الانسانية، أخرجتها من ظلماتها و أنقذتها من حضيضها و هدتها من حيرتها و دفعت بها إلى طرق الخير و الصلاح، أسست بها دولة قوية على مبادىء الأخوة فى الله و التضامن الانسانى العام، ثم تتابعت عليها التشريعات الالهية بما يسعد الفرد و الجماعة فى علاقتهم بربهم و علاقة بعضهم ببعض، و أخذت على كاهلها بحكم الله تطهير الأرض من عبادة غير الله و محاربة الظلم و الظالمين، أينما حلوا و كيفما

---

(١) الأحزاب - ٦٢ (٢) التوبة - ٤٠

كانو ا . ثم امتدت إلى رض الفرس و الروم . و أصبح سلطان الأرض فى قبضة الموحدين لسلطان السماء ، و بذلك تحقق وعد الله لعباده الموفين بعهدهم البارين بايمانهم « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً » (١) .

هذا هو حادث الهجرة فى ذاته ، فى عوامله و نتائجه ، فاذا استقبل المسلمون اليوم العام الهجرى و قد قطعت الأهواء والشهوات بينهم ما أمر الله به أن يوصل فتفرقت بهم الكلمة ، واختلفت عليهم السبل ، وسلموا أنفسهم لأرباب البغى والعدوان .

ثم أخذت سنة الله فى إحياء الوعى ، و تنبيه الضمائر إلى القذف بمعسكر المفرقين فى باطن الأرض و مهب الريح ، فانه جدير بهم و قد رأوا آيات الله المبصرة ، تعمل عملها فى المنافقين المفسدين أن يعملوا على جمع القوى و ربط القلوب و توحيد الكلمة ، و تقوية الصفوف ، و أن تتجاوب قلوبهم بآلامهم المشتركة و قضاياهم المتحدة ، و أن يتنبهوا إلى ما يراد بهم على يد بضعة تنتسب إليهم من خسف و إذلال فيضعوا للأمر خطته ، و يهيئوا له عدته ، حتى يعود إليهم عز الاسلام و مجد العروبة « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله و للرسول إذا دعاكم لما يحييكم » (٢) .

---

(١) النور ـ ٥٥ (٢) الأنفال ـ ٢٤

أدب التربيـة و المواعظ
(٥)

سعادة الدكتور غريب جمعة (القاهرة)

النموذج الرابع :

الكلام على قوله تعالى : « كلا إذا بلغت التراقى »

كلا : ردع و زجر ، و المعنى : ارتدعوا عن ما يؤدى إلى العذاب « إذا بلغت » يعنى النفس ، و هذه كناية عن غير مذكور ، و التراقى : العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين و شمال و واحد التراقى : ترقوة ، و يكنى ببلوغ النفس إلى التراقى عن الاشفاء على الموت .

« و قيل من راق » و فيه قولان :

أحدهما : أنه قول الملائكة بعضهم لبعض : من يرقى روحه ؟ ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب .

و الثانى : أنه من قول أهله : من يرقيه بالرقى و القولان عن ابن عباس .

قوله تعالى : «وظن» أى أيقن الذى بلغت روحه إلى التراقى «أنه الفراق» للدنيا ،

« و التفت الساق بالساق » فيه خمسة أقوال :

أحدهما : أمر الدنيا بالآخرة ، قاله ابن عباس .

و الثانى : اجتمع فيه الحياة بالموت قاله الحسن .

و الثالث : التفت ساقاه عند الموت ، قاله الشعبى .

و الرابع : التفت ساقاه فى الكفن ، قاله سعيد بن المسيب .

و الخامس : التفت الشدة بالشدة ، قاله قتادة .

قال الزجاج : آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة .

يا لها من ساعة لا تشبهها ساعة ، يندم فيها أهل التقى فكيف أهل الاضاعة ، يجتمع فيها شدة الموت إلى حسرة الفوت .

لما احتضر أبو بكر الصديق رضى الله عنه قالت عائشة رضى الله عنها .

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى ** إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فقال ليس كذلك و لكن قولى : « و جاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » (١) و لذلك كان يقولها أبو بكر .

و قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند الموت : ويلى و ويل أمى إن لم يرحمنى ربى !

و لما دخلوا على عثمان رضى الله عنه جعل يتمثل

أرى الموت لا يبقى حزيناً ولا يدع ** لعاد ملاذا فى البلاد و مرتقى

يبيت أهل الحصن و الحصن مغلق ** و يأتى الجبال من شماريخها العلى

و لما جرح على بن أبى طالب رضى الله عنه جعل يقول :

شد حيازيمك للموت ** فان الموت لاقيك

و لا تجزع من الموت ** إذا حل بواديك

و لما احتضر معاوية جعل يقول :

إن تناقش يكن نقاشك يا رب ** عذاباً لا طوق لى بالعذاب

---

(١) ق / ١٩

أو تجاوز فأنت رب «عفو» *** عن مسىء ذنوبه كالتراب

و لما احتضر معاذ بن جبل جعل يقول : أعوذ بالله من ليلة صباحها النار مرحباً بالموت ، زائر مغب حبيب جاء على فاقة ، اللهم إنى قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا و طول البقاء فيها لكرى (١) الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر و مكايدة الساعات و مزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر .

و لما احتضر أبو الدرداء جعل يقول : ألا رجل يعمل لمثل مصرعى هذا ؟ ألا رجل يعمل لمثل ساعتى هذه ؟ ألا رجل يعمل لمثل يومى هذا ؟ وبكى فقالت امرأته : تبكى و قد صاحبت رسول الله ﷺ ، فقال : وما لى لا أبكى ولا أدرى علام أهجم من ذنوبى .

و لما احتضر أبو هريرة بكى ، فقيل له وما يبكيك ؟ بعد المفازة و قلة الزاد و عقبة كئود ، المهبط منها إلى الجنة أو إلى النار .

و قيل لحذيفة فى مرضه : ما تشتهى ؟ قال الجنة ، قيل فما تشتكى ؟ قال : الذنوب .

و لما احتضر عمرو بن العاص قال كيف تجدك ؟ فقال : و الله لكأن جنبى فى تخت (٢) وكأنى أتنفس من سم الخياط وكأن غصن شوك يجر به من قدامى إلى هامتى ثم قال :

ليتنى كنت قبل ما قد بدالى *** فى تلال الجبال أرعى الوعولا (٣)

ليتنى كنت حمضاً (٤) عركتنى الاماء بذرير الاذخر ، ونظر إلى صناديق فيها

---

(١) كرى الأنهار : شقها (٢) التخت : وعاء تصان فيه الثياب

(٣) البيت لأمية بن أبى الصلت من ديوانه ص ٤٥

(٤) الحمض : ما ملح أو مر من النبات وهى كفاكهة للإبل .

مال فقال لابنه : من يأخذها بما فيها ؟ يا ليته كان بعراً !.

و كان عبد الملك بن مروان يقول فى مرضه : وددت أنى عبد لرجل من تهامة أرعى غنيمات فى جبالها و أنى لم آل من هذا الأمر شيئاً .

و لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال : إلهى أمرتنى فلم ائتمر ، و زجرتنى فلم انزجر ، غير أنى أقول لا إله إلا الله .

و لما احتضر الرشيد أمر بحفر قبره ثم حمل إليه فاطلع فيه فبكى حتى رحم ، ثم قال : يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه .

و كان المعتصم يقول عند موته : ذهبت الحيل فلا حيلة .

و بكى عامر بن عبد قيس لما احتضر و قال : إنما أبكى على ظمأ الهواجر و قيام ليل الشتاء .

و بكى أبو الشعثاء عند موته قيل له : ما يبكيك ؟ فقال : لم أشتف من قيام الليل .

و بكى يزيد الرقاشى عند موته فقيل : ما يبكيك ؟ فقال : أبكى على ما يفوتنى من قيام الليل و صيام النهار ، ثم جعل يقول : يا يزيد من يصلى لك و من يصوم عنك ، و من يتقرب إلى الله عز و جل بالأعمال بعدك ؟ ، ويحكم يا إخوانى : لا تغتروا بشبابكم فكأن قد حل بكم مثل ما قد حل بى .

و قال المزنى : دخلت على الشافعى فى علته التى مات فيها فقلت له يا أبا عبد الله كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت من الدنيا راحلا و لاخوانى مفارقاً ، و بكأس المنية شارباً ، و على الله وارداً و لا أدرى نفسى تصير إلى الجنة فأهنئها أم إلى النار فأعزيها ، ثم بكى و قال :

ولما قسى قلبى و ضاقت مذاهبى ✿ جعلت رجائى نحو عفوك سلماً

تعـــاظمنى ذنبى فلمـــا قرنتـــه ★ بعفوك ربى كان عفوك أعظما
ومازلت ذا عفو عن الذنب سيدى ★ تجود و تعفو منـــة و تكرماً
ولولاك لم يغو بابليس عابد ★ فكيف وقد أغوى صفيك آدما

وقال إبراهيم بن أدهم : مرض بعض العباد فدخلنا نعوده فجعل يتنفس و يتأسف ، فقلت له : على ماذا تتأسف ؟ قال : على ليلة نمتها ، و يوم أفطرته ، وساعة غفلت فيها عن ذكر الله عزوجل ،

و بكى بعض العباد عند موته ، فقيل له : مايبكيك ؟ أن يصوم الصائمون ولست فيهم ، و يذكر الذاكرون ولست فيهم ، و يصلى المصلون ولست فيهم .

وقال أبومحمد العجلى : دخلت على رجل وهو فى الموت ، فقال لى : سخرت بى الدنيا حتى ذهبت أيامى ، و لما احتضر عضد الدولة تمثل :

قتلت صناديد الرجال فلم أدع ★ عدواً و لم أمهل على ظنة خلقاً
وأخليت دور الملك من كل نازل ★ فشردتهم غرباً و بددتهم شرقاً
فلما بلغت المجد عزاً و رفعة ★ وصارت رقاب الخلق أجمع لى رقا
رمانى الردى سهماً فأخمد جمرتى ★ فها أنذا فى جفوتى عاطلا ملقا (١)
فأذهبت دنياى و دينى سفاهة ★ فمن ذا الذى منى بمصرعه أشقى

ثم جعل يقول : « ما أغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانيه » (٢) ، فرددها إلى أن مات .

ركب الأمان من الزمان مطية ★ ليست كما اعتاد الركائب برك
والمرء مثل الخوف بين سهاده ★ و كراه يسكن تارة و يحرك

(١) الملق : ككتف : الضعيف ، و سكنت اللام للوزن .
(٢) الحاقة / ٢٨ ، ٢٩ .

يا مشغولا قلبه بلبنى و سعدى ، يا مستلذ الرقاد و هذه الركائب تحدى ، يا عظيم المعاص ، يا مخطئاً جداً ، يا ظالماً طال ما عتا وتعدى ، كم جاوز حداً وأتى ذنباً عمداً ، يا أسير الهوى قد أصبح له عبداً ، يا ناظماً خرزات الأمل فى سلك المنى عقداً ، يا معرضاً عما قد حل ، كم حل عقداً ، كم عاهد مرة وكم نقض عهداً ، و توسدت بعد اللين حجراً صلباً صلداً ، من لك إذا لحقت أباً و أماً و أخاً و عماً و جداً ، من لك إذا سقيت كأساً لا تجد من شربها بداً ، مزجت أوصاباً وصابا صار المصاب عندها شهداً ، وسافرت سفراً يا له من سفر بعداً ، و احتو شك عملك هزلا كان أو جداً ، ولقيت منكراً و نكيراً فهل لقيت أحداً فبادر قبل الموت فما تستطيع للفوت رداً .

نهاك عن البطالة و التصابى ★ نحول الجسم و الرأس الخضيب

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً ★ فبعض الشئ من بعض قريب

أخبرنا محمد بن أبى منصور ، أنبأنا على بن الحسين ، أنبأنا أبو على بن شاذان ، سمعت أبا صالح كاتب الليث يذكر عن الفضل بن زياد ، عن الأوزاعى أنه وعظ فقال فى موعظته :

« أيها الناس تقووا بهذه النعم التى أصبحتم فيها على الهرب من النار الموقدة التى تطلع على الأفئدة ، فانكم فى دار الثواء فيها قليل ، وأنتم فيها مؤجلون ، وخلائف من بعد القرون ، الذين استقبلوا من الدنيا زخرفها و زهرتها ، فهم كانوا أطول منكم أعماراً و أمد أجساماً وأعظم آثاراً ، فخددوا (١) الجبال و جابوا الصخور و نقبوا فى البلاد مؤيدين ببطاش شديد و أجسام كالعماد ، فما لبثت الأيام و الليالى أن طوت مدتهم وعفت آثارهم ، و أخوت منازلهم ، وأنست ذكرهم ، فما تحس

(١) خددوا : شقوا .

تحس منهم من أحد و لا تسمع لهم ركزاً » كانوا بلهو الأمل آمنين كبيات قوم غافلين أوكصباح قوم نادمين ، ثم إنكم قد علمتم الذى نزل بساحتهم بياتاً فأصبح كثير منهم فى ديارهم جاثمين ، و أصبح الباقون ينظرون فى آثار نقمـــة وزوال نعمة و مساكن خاوية ، فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم و عبرة لمن يخشى ، وأصبحتم من بعدهم فى أجل منقوص ودنيا مقبوضة فى زمان قد ولى عفوه وذهب رجاؤه ، فلم يبق منه إلا جمة (١) شر وصبابة كدر و أهاويل عبر وأرسال فتن ورذالة خلف ، بهم ظهر الفساد فى البروالبحر ، فلاتكونوا أشباهاً لمن خدعه الأمل و غره طول الأجــل ، نسأل الله عزوجل أن يجعلنا ممن وعى نذره و عقل مسراه فهد لنفسه .

تزوج دنياه الغبي بجهـــله ★ فقد نشرت من بعد ما قبض المهر
تطهر بيعد من أذاها وكيدها ★ فتلك بغى لا يصح لها طهر
ونحن كركب الموج ما بين بعضهم ★ وبين الردى إلا الذراع أوالشبر

الكلام على قوله تعالى : « ما عندكم ينفد و ما عند الله باق » .

يا كثير الخلاف يا عظيم الشقاق ، ياسيئ الآداب، يا قبيح الأخلاق ، يا قليل الصبر ، يا عديم الوفاق ، يا من سيبكى كثيراً إذا انتبه وفاق ، و التفت الساق بالساق ، أين من أنس بالدنيا و نسي الزوال ، أين من عمر القصور وجمع المال ، تقلبت بالقوم أحوال الأهوال ، كم أراك عبرة و قد قال « سنريهم آياتنا فى الآفاق » .

أين صديقك المؤانس ، أين رفيقك المجالس ، أين الماشى فقيراً و أين الفارس ، امتدت إلى الكل كف المخالس ، فنزلوا تحت الأطباق .

---

(١) الجمة : المجتمع من الشئ ، و الصبابة : البقية .

و کأن قد رحلت کما رحلوا ، نزلت وشیکاً حیث نزلوا ، وحملت إلی القبر کما حملوا ، « إلی ربك يومئذ المساق » من لك إذا ألم الألم وسکت الصوت و تمکن الندم ، و وقع بك الفوت ، و أقبل لأخذ الروح ملك الموت و جاءت جنوده و قیل من راق ،

ونزلت منزلا لیس بمسکون . وتعوضت بعد الحرکات السکون ، فیا أسفاً لك کیف تکون ، وأهوال القبر لاتطاق ، وفرق مالك و سکنت الدار ، و دارالبلاء فما دار إذ دار ، و شغلك الوزر عمن مجروزار ، و لم ینفعك ندم الرفاق .

أما أکثر عمرك قد مضی ، أما أعظم زمانك قد انقضی ، أفی أفعالك ما یصلح للرضا إذا التقینا یوم التلاق ، یا ساعیاً فی هواه تصور رمسك ، یاموسعاً إلی خطاه تذکر حبسك ، یامأسوراً فی سجن الشهوات خلص نفسك قبل أن تعز السلامة وتعتاق الأعناق ، وینصب الصراط ویوضع المیزان وینشر الکتاب یحوی ما قد کان ، ویشهد الجلد والملك والمکان ، والنار الحبس والحاکم الخلاق . فحینئذ یشیب المولود و تخرس الألسن و تنطق الجلود وتظهر الوجوه بین بیض وسود ، یوم یکشف عن ساق ، فبادر قبل أن لا یمکن و حاذر قبل أن یفوت الممکن ، و أحسن قبل أن لا تحسن فالیوم البرهان و غداً السباق .

فانتهب عمراً یفنی بالمساء و الصباح ، و عامل مولی یجزل العطایا و الأرباح و لا تبخل فقدحث علی السماح « ما عندکم ینفد و ما عند الله باق »

★★★

دراسات وأبحاث

آراء الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى
فى تاريخ التشريع الاسلامى
و أسباب الاختلاف فى المذاهب الفقهية

للأستاذ سلمان الحسينى الندوى

[كنت أعددت بحثاً فى آراء الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى فى تاريخ التشريع الاسلامى و أسباب الاختلاف بين الفقهاء ، و قضية الاجتهاد و التقليد ، و مكانة الامام الدهلوى فى الفقه ، و قد كنت اعتمدت فى ذلك على كتابه « الانصاف فى بيان أسباب الاختلاف » و أكثرت منه الاقتباسات مع عناوين جانبية وضعتها للتركيز على النقاط التى يتناولها ، و تذييلات أردت بها الايضاح ، كما راجعت كتابه « عقد الجيد فى أحكام الاجتهاد و التقليد » و لخصته و رتبت المعلومات ترتيباً خاصاً و ذيلتها بتعليقات طفيفة ، كما استفدت من كتابه « التفهيمات » الذى هو فى حقيقة الحال « مذكرته الخاصة » التى بث فيها آراءه فى كل موضوع تناوله بالتأليف ، و كنت أردت أن يكون هذا البحث تمهيداً للبحث فى فقه الامام الدهلوى و ترجمة أهم مباحث كتابه « المصفى شرح الموطأ » الذى يعد من روائع الكتب فى فقه الحديث ، وقد تجلى فيه اجتهاده حتى قال العلامة اللكهنوى « إنه تكلم فيه ككلام المجتهدين » (١) و وصفه العلامة السيد صديق حسن

(١) نزهة الخواطر ج ٦ ـ ص ٤٠٨

خان فقال : « لو سبق به الزمن و كان فی عصر السلف لعد إمام الأئمة وتاج المجتهدين » (٢) إلا أنه لم تسنح لی الفرصة حتى الآن امرض تلك المباحث الرائعة التی أرجو أن أوفق لترجمتها ، وأبدأ هذه الحلقة الأولى ببحثه فی تاريخ التشريع الاسلامی وسوف يكون فی عـدة حلقات ، ثم أثنيها ببحثه فی قضية ،الاجتهاد والتقليد ، ثم أذكر مكانة الامام الدهلوی فی الفقه وهل هو معدود فی المجتهدين أو المقلدين ، ثم أتناول ترجمة أهم مباحثه فی كتابه المصفی ـ الذی هو بالفارسية ـ وما توفيق إلا بالله عليـه توكلت و إليه أنيب] .

الباب الأول

أسبـاب اختلاف الصحـابة والتابعين ، تاريخه وعوامله :

لقد أكمل الله ـ عز و جل ـ بمحمد ـ ﷺ شريعته الغراء ، فأنزل ـ جلت قدرته ـ « اليوم أكملت لكم دينكم ، أتممت عليكم نعمتی و رضيت لكم الاسلام ديناً » و كان كمال هـذا الدين إيذاناً بأنه الدين الأخير الذی يبقى على مر الزمن كما قد صرحت بذلك أيضاً نصوص قطعية واضحة ، فروعی فيه من صفات الكمال ومسايرة كل الحاجات البشرية الصالحة ، والتطورات الحضارية والثقافية والمدنية الصحيحة المقبولة و ميزان المبادیء الاسلامية ما يتكفل بحل كل معضلة ، و مشكلة ، و أودعت فيه من خلال المرونة و السعة و اليسر و السماحة ما يقضی بتلبيـة المقتضيات البشرية الصالحة ، و كان من ذلك فتح باب القياس و الاجتهاد الذی لا يقصر عن الاجابة

(٢) إتحاف النبلاء .

على أي مسألة طريفة ومعقدة أو جديدة ، ومهما كانت هناك وحدة في المقصد و الهدف و الفة بين القلوب ، فان العقول بتفاوتها في إدراك المعاني و قوة الاستنتاج و الاستنباط تختلف و تتعارض ، كما أنها لما يصاحبها من ملابسات وأجواء و خلفيات و أحداث تختلف وجهات نتائجها و آثار هذه النتائج على جميع القضايا المبحوث فيها ، ومن ثم فان هذا سبب مهم من أسباب الاختلاف ، يشارك فيه الناس جميعاً ، كما أن هناك أسباباً خارجية من إطلاع بعض الناس على تفاصيل القضية وعدم إطلاع آخر عليها ، أو من قبول بعضهم أخبار شخص وعدم قبول آخر لأخبار ذلك الشخص ، أو أن تكون الأخبار نفسها متعارضة ، أو متكافئة في قوتها و وزنها مع تعدد معانيها وعدم تمارض بعضها مع بعض آخر . كل هذا و غير هذا مما يسبب الخلاف بين باحثين في قضية واحدة ، و قد كان الصحابة - رضي الله عنهم - واجهوا كل هذه الحقائق بطبيعة الحال . وظهر الاختلاف بينهم ، وتناقشوا أحياناً و أدلوا بحججهم فيما بينهم أحياناً أخرى ، و اتسع مدار الخلاف فيما بين التابعين و لكنه - على أي حال - كان يدور في نطاق ضيق ، ولم تكن تعتمد هذه الخلافات - في كثير من الأحيان - على الأدلة العلمية و الأصول الفقهيـة التي تأخر زمن ظهورها و تدوينها بل كانت تعتمد على تذوق الكلام ، و فهم الدليل و مناط الأحكام ، و قد كان تعلم كثير من الأحكام عن طريق المحاكاة للنبي ﷺ و الاقتداء به في أفعاله و أقواله .

طريق التشريع الحكائي : يقول الامام الدهلوي :

« إن رسول الله ﷺ لم يكن الفقه في زمانه مدوناً ، و لم يكن البحث في الأحكام يومئذ ، مثل البحث من هؤلاء الفقهاء .. .. فكان يتوضأ و يرى الصحابة - رضي الله عنهم - وضوءه ، فيأخذون به من غير أن يبين أن هذا

ركن ، و ذاك أدب ، وكان يصلى فيرون صلاته فيصلون كما رأوه يصلى ، و حج فرمق الناس حجه ، ففعلوا كما فعل و هـــذا كان غالب حاله ﷺ و لم يبين أن فروض الوضوء ستة ، أو أربعة ، و لم يفرض أنه يحتمل أن يتوضأ إنسان بغير موالاة حتى يحكم عليه بالصحة و الفساد إلا ما شاء الله ، و قلما كانوا يسألونه عن هـــذه الأشياء .

« عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : « ما رأيت قوماً كانوا خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض، كلهن فى القرآن ، منهن « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيــه » (١) و يسألونك عن المحيض ، (٢) قال : ما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم » (٣)

الاستفتاء بعد وقوع الحادث :

و كان النبى ﷺ يستفتيه الناس فى الوقائع فيفتيهم ، و يرفع إليه القضايا فيقضى فيها ، و يرى الناس يفعلون معروفاً فيمدحه أو منكراً فينكر عليه ، و كل ما أفتى به مستفتياً ، وقضى به فى قضية أو أنكره على فاعله كان فى الاجتماعات ، و لذلك كان الشيخان أبو بكر و عمر - رضى الله عنهما ـ إذا لم يكن لهما علم فى المسألة يسألان الناس عن حديث رسول الله ﷺ وقال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ ما سمعت رسول الله ﷺ قال فيها شيئاً يعنى الجدة ، و سأل الناس ، فلما صلى الظهر قال : أيكم سمع رسول الله ﷺ فى الجدة شيئاً ، فقال المغيرة بن شعبة

(١) سورة البقرة الآية ٢١٧

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٢

(٣) رواه الدارمى فى سننه ١ ، ٤٨ ، انظر الاتقان للسيوطى ٢ : ٣١٥ وجامع بيان العلم وفضله ص ١٤٢

ـ رضی الله عنه ـ « أنا » قال : ماذا ؟ قال : أعطاها رسول الله ﷺ سدساً ، قال : أيعلم ذلك أحد غيرك ، فقال محمد بن مسلمة : صدق ، فأعطاها أبو بكر السدس (۱) .

« و بالجملة فهذه عادته الكريمة ﷺ فرأى كل صحابی ما يسره الله له من عباداته ، و فتاواه و أقضيته ، فحفظها و عقلها ، و عرف لكل شئ و جهاً من قبل حفوف القرائن به ، فحمل بعضها على الاباحة ، و بعضها على الاستحباب و بعضها على النسخ لامارات و قرائن ، كانت كافية عنده ، ولم يكن العمدة عندهم إلا وجدان الاطمينان و الثلج من غير التفات إلى طرق الاستدلال ، كما ترى الأعراب يفهمون مقصود الكلام فيما بينهم و يثلج صدورهم بالتصريح و التلويح و الايماء من حيث لا يشعرون فانقضى عصره الكريم و هم على ذلك » .

دور الاختلاف البدائی ، أسبابه و عوامله :

أفاض الامام فی هذا البحث ، و مضى يتتبع تاريخ الصحابة و كيف تفرقوا فی البلدان ، و الأمصار ، و ما أدى إلى اختلافهم فی الآراء الفقهية من أسباب و عوامل ، و حلل كل ذلك تحليلا دقيقاً رائعاً يقول :

« ثم إنهم تفرقوا (۲) فی البلاد ، و صار كل واحد مقتدى فی ناحية من

---

(۱) رواه مالك فی الموطأ ۲/ ۵۱۳ فی الفرائض و الترمذی فی الفرائض « باب ما جاء فی ميراث الجدة » و صححه .

(۲) و يحسن أن أنقل هنا كلام الأستاذ ابن عاشور فی كتابه « الاجتهاد : ماضيه وحاضره » (ص ۵٦ـ۵۷) يقول : « تفرق الصحابة ـ رضی الله عنهم ـ فی الأمصار المفتوحة ، و أصبحوا هداة يرجع إليهم سكانها لمعرفة دينهم فكانوا يبينون لهم الأحكام المنصوصة غير الاجتهادية ، و يستنبطون حكـ

النواحى ، فكثرت الوقائع ، و دارت المسائل ، فاستفتوا فيها ، فأجاب كل واحد حسب ما حفظه و استنبطه ، و إن لم يجد فيما حفظه و استنبطه ما يصلح للجواب اجتهد برأيه ، وعرف العلة التى أدار رسول الله ﷺ عليها الحكم فى منصوصاته ، فطرد الحكم حيثما وجدها ، لا يألو جهداً ، فى موافقة غرضه ﷺ فعند ذلك وقع الاختلاف بينهم على ضروب (١) .

★ لم يجدوه منصوصاً عليه فى القرآن والسنة .. .. واجتهاد مجتهد يختلف عن اجتهاد مجتهد آخر باختلاف التقدير للوقائع و تقويمها ، و اختلاف الأدلة التى يستدل بها و الاختلاف فى إدراج الجزئيات تحت الأدلة الاجمالية ، و القواعد العامة ، و اختلاف المناهج الذهنية الخاصة بكل واحد من المجتهدين ، و لعدم وصول الأحاديث الشريفة جميعها إلى جميعهم ، و الذين كانوا يعيشون فى مصر واحد أو فى أماكن قريبة من بعضها ، تقاربت فتاواهم ، و اشتركت طرائق الاستدلال بينهم لتأثر بعضهم بالبعض وتبادل الآراء ، و تلاقى وجهات النظر . و أما المقيمون منهم بأماكن متباعدة ، فقد اختلف مناهجهم الاجتهادية ، و تباعدت طرائق الاستدلال بينهم » (انظر : الاجتهاد و مدى حاجتنا إليه فى هذا العصر للأستاذ سيد محمد موسى ص ٤٩٩-٥٠٠) .

(١) بحث الدكتور مصطفى سعيد الخن فى كتابه « أثر الاختلاف فى القواعد الأصولية فى اختلاف الفقهاء» فى أسباب الاختلاف بين الفقهاء، وعدها ثمانية أذكرها فيما يلى مع الأمثلة لكل واحدة منها .

١- اختلاف القراءات : مثل اختلافهم فى آية « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة إلخ ، فقد أخذت الامامية من الشيعة بقراءة الجر فى « أرجلكم » خلافاً للجمهور .

(البقية على ص ٦٣)

١- أولا : أن صحابياً سمع حكماً في قضية أو فتوى ولم يسمعه الآخر فاجتهد برأيه في ذلك و هذا على وجوه :

(بقية الهامش على ص ٦٢)

٢- عدم الاطلاع على الحديث : كما لم يطلع أبو بكر رضى الله عنه على ميراث الجدة ، حتى أخبره المغيرة بن شعبته ولم يكن يعلم عمر رضى الله عنه ـ أن المرأة ترث من دية زوجها حتى كتب إليه الضحاك بن سفيان ، (رواه أبو داود في الفرائض و الترمذي فيه) .

٣- الشك في ثبوت الحديث : كما شك عمر ـ رضى الله عنه ـ في حديث فاطمة بنت قيس في المبتوتة .

٤ــ الاختلاف في فهم النص وتفسيره كما أختلف الفقهاء في تفسير الخليطين ، فمنهم من فسره بالشريكيين و منهم من فسره بغير ذلك .

٥- الاشتراك في اللفظ : كما وقع الاختلاف في لفظ « القرء » وانبنت عليه الأحكام المختلفة .

٦- تعارض الأدلة : و الحق أنه لا يكون هناك تعارض بين الأدلة ، غير أنه قد تكتنف النصوص عوامل فيظهر وقد حدث بينهما من التعارض ما يجعل المجتهد يقف أمامها مرجحاً بعضها على بعض بحسب مايظهر له من الأدلة . وكمثال لذلك ، نكاح المحرم ، فقد تعارضت فيها الروايات ، واختلف الأئمة في الأحكام ، وهذا باب واسع الاختلاف .

٧- عدم وجود نص في المسألة : و هنا يدخل القياس و الاعتبار بالمصلحة ، و غير ذلك من الأصول ومن الأمثلة لذلك مسألة « ميراث الجد مع الاخوة » وقتل الجماعة بالواحد و غير ذلك .

(البقية على ص ٦٤)

الف– أحدها أن يقع اجتهاده موافقاً للحديث ، مثاله : ما رواه النسائى وغيره (١) أن ابن مسعود رضى الله عنه سئل عن امرأة مات عنها زوجها و لم يفرض لها ، فقال : لم أر رسول الله ﷺ يقضى فى ذلك ، فاختلفوا عليه شهراً ، و ألحوا ، فاجتهد برأيه وقضى بأن لها مهر نسائها لا وكس ولا شطط ، وعليها العدة ، ولها الميراث ، فقام معقل بن يسار فشهد بأنه ﷺ قضى بمثل ذلك فى امرأة منهم ، ففرح بذلك ابن مسعود فرحة لم يفرح مثلها قط بعد الاسلام .

ب – وثانيها : أن يقع بينهما المناظرة ، ويظهر الحديث بالوجه الذى يقع به غالب الظن فيرجع عن اجتهاده إلى المسموع .

ج – ثالثها : أن يبلغه الحديث ولكن لاعلى الوجه الذى يقع به غالب الظن ، فلم يترك اجتهاده ، بل طعن فى الحديث ، مثاله : ما رواه أصحاب الأصول من أن فاطمة بنت قيس شهدت عند عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بأنها كانت مطلقة الثلاث ، فلم يجعل لها رسول الله ﷺ نفقة و لا سكنى فرد ـ عمر ـ شهادتها و قال : لانترك كتاب الله بقول امرأة لاندرى أصدقت

(بقية الهامش على ص : ٦٣)

٨ الاختلاف فى القواعد الأصولية : و المراد بها الأسس و المناهج التى يضعها المجتهد نصب عينه ، وهو من أسباب الخلاف فى الفروع ، (انظر ص ٣٨ ـ ١١٦ من الكتاب المذكور) و انظر رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، لابن تيمية ، والانصاف فى التنبيه على أسباب الخلاف ، للشيخ عبد الله بن محمد البطليوسى وكتاب دراسات فى الاختلافات الفقهية لمحمد أبى الفتح البيانونى .

---

(١) رواه النسائى فى النكاح باب إباحة التزويج بغير صداق ، و الترمذى فى النكاح باب ماجاء فى الرجل يتزوج المرأة فيموت عنها قبل أن يفرض لها ، و أبو داود فى النكاح فى باب من تزوج و لم يسم صداقاً .

أم كذبت ، لها النفقة و السكنى (١) .

د ــ ورابعها : أن لا يصل إليه الحديث «أصلا ، مثاله : ما أخرج مسلم :» (٢) أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن ، فسمعت عائشة ـ رضى الله عنها ـ بذلك ، فقالت ياعجبا لابن عمر هذا ، يأمر النساء أن ينقضن رؤوسهن ، أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن ، لقد كنت أغتسل أنا و رسول الله ﷺ من إناء واحد وما أزيد على أن أفرغ على رأسى ثلاث أفراغات

٢ــ ثانيا أن يروا رسول الله ﷺ فعل فعــلا ، فحمله بعضهم على القربة و بعضهم على الاباحة . مثال : ما رواه أصحاب الأصول فى قضية التحصيب أى النزول بالأبطح عند النضر [من عرفات] « نزل رسول الله ﷺ به (٣) فذهب

---

(١) قوله (لاندرى أصدقت أم كذبت) ليس هو بهـذا اللفظ فى الأصول الخمسة ، فالذى عند مسلم لاندرى حفظت أو نسيت ، ونحوه عند أبى داود و الترمذى و لم تذكر هذه الجملة عند النسائى و ابن ماجه ، و قد وردت هذه اللفظة « فى المصنف » لابن أبى شيبة ٥ : ١٤٧ ، وشرح معانى الآثار للطحاوى ٣ : ٦٧ ، و لكنها بمعنى « أوهمت » كما جاءت هــذه اللفظة فى رواية أخرى و قد حقق الكلام فى ذلك فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة فى تعليقه على كتاب « الانصاف فى بيان أسباب الاختلاف » انظر ص ٢٤ ـ ٢٥ .

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب الحيض فى باب حكم ضفائر المغتسلة الحديث رقم ٣٣١ وجاء فى نسخة مسلم بتحقيق وتصحيح فواد عبد الباقى ، اسم الصحابى عبد الله بن عمرو ، لا ابن عمر . فليتنبه له .

(٣) أخرجه البخارى فى الحج باب النزول بين عرفة وجمع ، و مسلم فى الحج باب الافاضة من عرفات إلى المزدلفة ، و الموطأ فى الحج باب صلاة المزدلفة ، و أبو داود فى المناسك باب الدفعــة من عرفة ، و النسائى فى المواقيت باب كيف الجمع ، و فى الحج باب النزول بعد الدفع من عرفــة .

أبو هريرة و ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ إلى أنه على وجه القربة ، فجعلوه من سنن الحج ، و ذهبت عائشة ـ رضى الله عنها ـ و ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ إلى أنه كان على وجه الاتفاق ، وليس من السنن.

٣ـ ثالثاً : اختلاف الوهم : مثاله : أن رسول الله ﷺ حج فرآه الناس فذهب بعضهم إلى أنه كان متمتعاً ، وبعضهم إلى أنه كان قارناً ، وبعضهم إلى أنه كان مفرداً.

٤ـ رابعاً : اختلاف السهو والنسيان : مثاله : ما روى أن ابن عمر كان يقول : اعتمر رسول الله ﷺ فى رجب ، فسمعت بذلك عائشة ـ رضى الله عنها ـ فقضت عليه بالسهو (١) .

٥ـ خامساً : اختلاف الضبط : مثاله : ما روى ابن عمر عنه ﷺ من أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، فقضت عائشة عليه بأنه لم يأخذ الحديث على وجهه (٢)

٦ـ سادساً : اختلافهم فى علة الحكم : مثاله القيام للجنازة ، فقال قائل لتعظيم الملائكة فيعم المؤمن و الكافر ، و قال قائل لهول الموت ، فيعمهما ، و قال قائل : مر على رسول الله ﷺ بجنازة يهودى فقام لها كراهة أن تعلو فوق رأسه (٣) ، فيخص الكافر .

٧ـ سابعاً : اختلافهم فى الجمع بين المختلفين : مثاله : رخص رسول الله ﷺ فى

---

(١) رواه البخارى فى الحج باب كم اعتمر النبى ﷺ .

(٢) روى القصة البخارى فى الجنائز ، باب قول النبى ﷺ يعذب الميت ببكاء أهله عليه إلخ ، و أخرجه مسلم فى الجنائز ،

(٣) جاءت هذه القصة فى البخارى ، الجنائز باب من قام لجنازة يهودى ، وأخرجها مسلم فى الجنائز باب القيام للجنازة ، و أخرجها النسائى وأحمد ، ولم أجد فى أى من هذه الكتب « كراهة أن تعلو فوق رأسه » بل لما قيل للرسول ﷺ إنها جنازة يهودى قال : أ ليست نفساً ، أو ما يشبه هذا الكلام مما يدل على أنه كان لحرمة النفس أو لهول الموت .

المتعة عام خيبر ثم نهى عنها ، ثم رخص فيها عام أوطاس ثم نهى عنها (١) ، فقال ابن عباس: كانت الرخصة للضرورة والحكم باق على ذلك (٢) ، وقال الجمهور: كانت الرخصة إباحة و النهى نسخاً لها .

هذه سبعة أسباب تؤدى إلى الاختلاف فى القضايا الفقهية ، تتبعها الامام الدهلوى وبينها بأمثلتها وشواهدها ، ويمكن أن يزداد عليها أسباب أخرى كالاختلاف فى القراءات ، و الاشتراك فى اللفظ ، وعدم وجود نص فى المسألة ثم يزداد إلى هذه الأسباب سبب آخر وهو متأخر لم يكن موجوداً فى عهد الصحابة و التابعين ، و هو الاختلاف فى القواعد الأصولية التى يبنى عليها كل إمام من الأئمة المقتدى بهم مذهبه ، و قد نشأت خلافات واسعة النطاق فى الفروع الفقهية بسبب الخلاف فى الأصول و القواعد الفقهية ، يتبين ذلك بمراجعة كتب أصول الفقه المدونة فى المذاهب الأربعة .

---

(١) أخرج نحوه البخارى فى النكاح باب نهى النبى ﷺ عن نكاح المتعة، ومسلم فى النكاح باب نكاح المتعة ، و أبو داؤد فى النكاح باب نكاح المتعة ، و النسائى فى النكاح باب تحريم المتعة .

(٢) ثبت رجوع ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن مذهبه هذا ، فقد أخرج الترمذى فى النكاح باب ما جاء فى تحريم نكاح المتعة عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : إنما كانت المتعة فى أول الاسلام .. إلى أن قال حتى إذا نزلت الآية « إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم » قال ابن عباس: فكل فرج سواهما فهو حرام ، وهو حديث حسن بشواهده ، قال الحافظ فى الفتح : وقد روى روايات عديدة عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى الرجوع يقوى بعضها بعضاً ، فثبت أن ابن عباس مع الجمهور ، (انظر جامع الأصول ج ١١ تعليق ص ٤٤٦ .

منح الشرعية للزانى و الشارب ؟!

بقلم : الدكتور فاروق عبد السلام

‡ من كان يصدق أو يتصور أنه سيأتى زمان على المسلمين يزنى فيه الزانى منهم وهو آمن مطمئن .. لا عقاب ولا حساب ، تحميه الشرعية ويحرسه القانون؟! وكل الذى شددت عليه الدولة فيه ويطارده من أجله القانون وتسحب منه الشرعية أن يقع فعله تحت ظرف من ظروف الاكراه أو الخـداع .. كاستعمال العنف أو استخدام مخدر أو اللعب على قاصر ..

هى إذاً دولة عصرية و متحضرة .. و كل ما تريده من مواطنها الزانى أن يكون مثلها عصرياً غير متوحش .. يقع منه الزنا بلغة عصرية ومتحضرة .. بالانسجام و التراضى !!

‡ من كان يصدق أو يتصور أنه سيأتى يوم على المسلمين يشرب فيه الخمر شاربها وهو آمن مطمئن فى رعاية القانون وحماية الشرعية .. لا عقاب ولا حساب .. و كل الذى يحاسب عليه ويسأل من أجله هو السكر البين فى المحل أو الطريق العـام ! !

‡ ‡ و لكنه الواقع .. و الواقع المر فى كثير من بلاد المسلمين على زماننا ومنذ أكثر من نصف قرن وحتى الآن .. وأساسه النقل الأعمى والولع المهزوم ..

ولع المغلوب بالغالب .. و الأخذ العشوائى بفلسفة الدولة العلمانية الحديثة .. التى تنكر الدين .. و فى أفضل أحوالها تفصل بينه و بين الدولة فصلا تاماً تصبح فيه الحاكية للبشر والتشريع والحكم للخلق دون الخالق؟! والفرد فى ظل الفلسفة العلمانية حر التصرف فى جسده و نفسه وماله و عقله مالم يترتب على تصرفه إلحاق الأذى بغيره .. له أن يزنى ما شاء و يشرب ما شاء مادام ذلك بالتراضى و دون التعدى على حق الغير .. و لا حق فى ظل فلسفتهم العمياء لله .. و العياذ بالله !! و بناءاً عليه إذا وقع فعل الزنا من متزوجه حكم عليها .. و لكن لزوجها حق وقف تنفيذ هذا الحكم برضائه معاشرتها له كما كانت ـ لأنه وحده فى شرعتهم هو الذى أضير وهو وحده صاحب الحق .. فاذا تنازل عن حقه فلا جريمة .. و بالتالى لا عقاب ..

‡ من كان يصدق أو يتصور أن هذه الفلسفة العلمانية و الوضعية و هذه المعانى الشاذة و الفجة تنقلها على علاتها و تعمل بها على شذوذها و غرابتها أغلب بلاد المسلمين .. رغم خروجها الواضح و السافر على شريعة الله و إنكارها لثابت ثبت بدليل قطعى لا شبهة فيه ..

‡ ‡ من كان يصدق أو يتصور أن مصر بلد الأزهر الشريف يأتى يوم عليها يصدر فيها قانون للعقوبات تنص المادة ٢٧٤ منه على ما يلى :

« المرأة المتزوجة التى ثبت زناها يحكم عليها بالحبس مدة لا تزيد على سنتين ، لكن لزوجها أن يقف تنفيذ هذا الحكم برضائه معاشرتها له كما كانت » .

أى أن عقوبة زنا المحصنة و التى يلزم أن تكون الرجم كما فى شرع الله ينزل عليها التخفيض على أيدى البشر إلى حد أن تصبح الحبس سنتين .. و حتى السنتين من حق الزوج رفعها لو شاء !!

و ما أيسر الأمر على أى بغى لو شاءت .. فتزوج نفسها من تيس مستعار يؤدى المهمة و تضحك به على ذقون المهرجين من فقهاء التشريع و فلاسفة التنوير فى سيرك العلمانية الغريب العجيب !! و أكثر من هذا غرابة و أمعن فى الفجر والتطاول على شرع الله ما تنص عليه المادة ٢٧٣ من نفس قانون العقوبات المصرى و التى تقول :

« لا تجوز محاكمة الزانية إلا بناءاً على دعوى زوجها إلا أنه إذا زنى الزوج فى المسكن المقيم فيه مع زوجته كالمبين فى المادة ٢٧٧ لا تسمع دعواه عليها » .

أى إن الزوجة التى زنى زوجها فى مسكن الزوجية تستطيع أن تزنى ما شاءت دون عقاب .. لأن زوجها لا تسمع دعواه عليها .. و لا تجوز محاكمتها إلا بناءاً على دعواه ؟!

ومما ورد فى الأثر أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .. أى إن السلطان و القانون لحماية الفضيلة و الحث عليها .. وهنا ويا للعجب السلطان و القانون للحث على الرذيلة و التشجيع عليها .. حيث تدفع المادة ٢٧٣ الزوجة دفعاً للزنا بعد زنا زوجها .. دون خوف من عقاب .. زناً بزنا .. مقاصة فى حد من حدود الله .. و العيـاذ بالله من طواغيت البشر و تخاريفهم حينما تئول إليهم مقاليد الأمور فى الحاكمية و التشريع !!

و تقول المادة ٣٨٥ من نفس قانون العقوبات المصرى :

« يجازى بغرامة لا تتجاوز جنيهاً مصرياً أو الحبس مدة لا تزيد على أسبوع :— .. .. من وجد فى حالة سكر فى الطرق العمومية أو فى المحلات العمومية » .

و كأن الذى عقد العزم و صمم على طفح هذا المنكر و استعد لدفع مبلغ و قدره الشئ الفلانى فى ثمنه سوف يعجزه دفع جنيه واحد زيادة على أصل الثمن ! ! و هو الذى يدفع مثله و أكثر أحياناً كبقشيش لحاملها أو بائعها !!

إنه الهزل فى مقام الجد !! واللعب والعبث بأقدس الأمانات .. أمانة التشريع و الحكم بين الناس فيما حرم عليهم رب الناس ..

‡ و منح الشرعية للزانى و الشارب على هذه الصورة الفاضحة العارية ليس أسوأ ما أصاب بلاد المسلمين فى ظل القيم العلمانية الرخيصة .. فهناك ما هو أسوأ وأحط من ذلك بكثير .. هناك بعض الدول الاسلامية كتركيا ـ التى كانت عاصمتها عاصمة آخر خلافة إسلامية ـ لم يمنعها الحياء أو الخجل من التصريح ببيوت رسمية للبغاء .. و للدولة من وراء ذلك نصيبها من الرسوم والضرائب والذى يدخل الميزانية العامة .. فيدخل بذلك بيت مال المسلمين بعض الذى تكسبه البغايا بفروجهن ! ! و يا للحسرة !! و أى حسرة !! و رحم الله أمير الشعراء يوم قال :

فقل لرسول الله : ياخير مرسل ‡ أبثك ما تدرى من الحسرات
شعوبك فى شرق البلاد وغربها ‡ كأصحاب كهف فى عميق سبات

‡ ‡ هذا و منح الشرعية للزانى و الشارب تحت راية الاسلام يثير من الحقائق والقضايا المرة و المريرة ما يستحق وقفة من شعوب المسلمين .. كل المسلمين من حكام و محكومين .. و أهم هذه الحقائق :

أولا : قال عليه أفضل الصلاة و السلام :

« حد يعمل به فى الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحاً »

و حدود الله معطلة فى كثير من بلاد المسلمين و منذ أكثر من نصف قرن

و حتى الآن ؟!

و كلما طرحت أو أثيرت قضية الحدود سارع الخبيثون من أعداء المسلمين و المهزومون من بين أبناء المسلمين إلى ترديد القول بأن العقوبة الاسلامية لا تتفق وطبيعة العصر الذى يرفض عقوبة من نوع الرجم أو الجلد أو الصلب أو القطع .. و كذبوا والله .. لأنه لو كان الاعتراض و الخلاف على قسوة العقوبة لجاء التبديل و التغيير فى باب الحساب والعقاب وليس فى باب التأثيم و التجريم ؟! لقد أباحوا الزنا و أحلوا الشرب .. فما معنى الخلاف على العقوبة كيفاً أو كماً بعد ذلك .. الأصل و هو الجريمة مباح !! فما قيمة الجدل حول الفرع وهو العقوبة ؟!

‡ ‡ وأصل الأمر وحقيقته قبل هذه وتلك .. أنهم فى ظل فلسفتهم العلمانية اللادينية ومن منطلق إنكارهم لوجود الله .. أو عزله و الحجر عليه و تحديد إقامته فى حظيرة الشعائر الكنيسية .. أصبحوا هم كبشر أصحاب الحق الأصيل فى الحاكمية والتشريع .. فى تحديد الحلال من الحرام .. و وضع العقوبة التى توافق هواهم .. و تبعهم من تبعهم من أبناء المسلمين كالقطيع .. و لكى تتفق و يجعل لنا الله مخرجاً مما نحن فيه .. لا بد من الاتفاق أولا على إجابة شافية وموحدة للسؤال الأزلى:

‡ لمن الحاكمية ؟! و من صاحب الحق الأصيل فى الحكم و التشريع .. الخلق أم الخالق ؟!

ثانياً : مما يدل على الردة فى الشرع و باتفاق الفقهاء إنكار المحرمات الثابتة بدليل قطعى لا شبهة فيه .. كانكار تحريم الزنا و إنكار تحريم الخمر بجملتها .. و المرتد يحكم بتكفيره ويقتل .. و عند البعض يستتاب قبل الحكم ثلاثة أيام .. وعند البعض الآخر الاستتابة ليست بلازمة ..

فكيف بمجتمع مسلم؟! .. اتفقت سلطاته الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية

على استباحة محرم ثابت فى شرع الله بدليل قطعى لا شبهة فيه .. و قننت ذلك وأقرت و أصرت و استمرت على ذلك لأكثر من نصف قرن و حتى الآن ؟!

ثم يتعجب البعض ويندهش و يتساءل فى بلاهة وغباء عن السر وراء ازدياد انتشار المكفرين فى هذه الأيام ـ ولا يكلف هذا البعض نفسه السؤال : و لماذا يصر حكام المسلمين على استباحة محرم ثابت بدليل قطعى لا شبهة فيه .. ولماذا وحتى متى الاصرار من جانبهم و الاستمرار على منح المرتد و الزانى و الشارب الشرعية تحت راية الاسلام ؟! فيفتحون بذلك باباً يدخل منه المكفرون .. و طاقة يعيش فيها المتطرفون ..

ثالثاً : يتعجب البعض أيضاً و يندهش و يسأل و يتساءل فى بلاهة و غباء عن السر وراء نكبة المسلمين حالياً و تخلفهم .. وما المخرج ؟! و كيف السبيل ؟! ولماذا يتخلى المولى عن عبيده ؟! و حتى متى ضياع المسجد الأقصى مسرى رسول الله ؟! و متى يتولاهم الرحمن الرحيم برحمته ؟! ولا يكلف هذا البعض نفس التدبر و التأمل و العظة و الاعتبار من زمان كان المسلمون الأوائل فيه إذا استعصت عليهم معركة راحوا يبحثون و يفتشون فى أنفسهم عن سنة من سنن رسول الله أهملوها ولو كانت السواك ؟!

ونحن اجترأنا على الكبائر .. و استبحنا الحرام وشرعناه !! و حرمنا الحلال و جرمناه !! وننتظر من الله الفرج .. وهيهات و هيهات وهو الحق العادل والقائل فى كتابه العزيز :

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

* * *

الحلقة الخامسة

من بحوث

الندوة العالمية للأدب الإسلامي

اختيار النصوص الأدبية من وجهة النظر الاسلامية

محمد عبد الحميد غراب
موجه اللغة العربية
بوزارة التربية و التعليم والشباب

([أ]) استعراض لبعض نصوص أدبية تتعارض مع نظرة الاسلام ([أ])

إذا نظرنا إلى النصوص المختارة في مناهج التربية الحالية في أغلب البلاد الاسلامية و خاصة في أدق و أخطر مراحل العمر (مرحلة المراهقة) وما يصاحبها من تفتح عقول شبابنا ، وظهور شخصيتهم المستقلة وما قد تتعرض له من انحرافات و زيغ عن الطريق المستقيم . . إذا نظرنا إلى هذه النصوص المختارة لهذه المرحلة بالذات نجد العجب العجاب مما لا يتفق مع روح الاسلام التي نسعى لتربية أبنائنا في ظلالها .

تعالوا معنا نستعرض كتاباً من كتب الأدب والنصوص المقرر دراسته للصف الأول الثانوي في كثير من البلاد العربية الاسلامية (من واقع دراسة قام بها الدكتور عبد العظيم الديب / جامعة قطر) أن هذا الكتاب يدرس عصور الأدب العربي هي (العصر الجاهلي ، و عصر صدر الاسلام ، و عصر بني أمية . .) و يختار لهذه العصور نماذج من الأدب شعراً و نثراً يدرسها و يحللها ويطالب أبناءنا بحفظ جزء منها لا يقل عن النصف .

فكيف عالج الكتاب كل عصر من هذه العصور؟ وبأي روح اختار نصوص

كل عصر؟ أنه فى العصر الجاهلى يختار نصوصاً تتحدث عن: (مآثر عربية : فروسية، دعوة إلى السلام فخر و اعتزاز، قيم خلقية، فى الحفاظ على الكرامة، من صور الكرم، قيادة حكيمة طريق السيادة و الشرف . . .) .

ثم يقرر فى بيان الملامح العامة لهذا العصر فوق الصفات السابقة (أن العرب كانوا أسبق إلى المكرمات، و أن غيرهم لا يلحق بهم.. وأن الشرف صفة أصيلة فيهم . . و أنهم أهل كرم و عزة . . و أهل وفاء بالوعد . .) .

و عند ما يتحدث عن خصائص الأدب الجاهلى و أغراضه نراه يتعاطف مع هؤلاء الجاهليين فى تفسير الظاهرات الأدبية فى عصرهم، فيقرر : (أن مدحهم يمتاز بإيثار الصدق و عدم المبالغة أو الفناء فى الممدوح، و فخرهم غير نزاع الى المبالغة المسرفة . . أما اعتذارهم فقليل فى شعرهم لأنه لا يتفق مع إباء العربى و اعتداده بنفسه ! ! !) .

و من هنا نرى الدفاع المستميت عن الجاهلية، و السمو بصورة المجتمع الجاهلى، و إبرازها فى صورة مشرقة محببة إلى النفوس . . بل نجد أخطر من ذلك فى مقدمة الكتاب أنه يريد كما يقول : (أن يعمق فى أبنائنا هذه المفاهيم، ويصحح النظرة إلى الأدب الجاهلى ويبرز ما فيه من قيم اجتماعية، و إنسانية خالدة..) .

هذا ما يعرضه الكتاب عن ملامح العصر الجاهلى واتجاهاته من خلال النصوص الأدبية التى اختارها . .

فماذا عن عصر صدر الاسلام، و العصر الأموى ؟ إننا نرى الكتاب فى هذين العصرين يلقى عليهما ظلالا من التعتيم والتشويه والتحريف لا تتفق مع أنوار الاسلام التى سطعت عليهما . .

و حين ننظر إلى النصوص المختارة لتمثل أدب الاسلام و بنى أمية فى هذين

العصرين فماذا نجد ؟ إننا نجد الموضوعات التالية :—

(تهديد و وعيد ، على يستنفر أصحابه لقتال معاوية ، الكميت يمدح الهاشميين عبد الله بن قيس يأسى لتفرق قريش ، ويمدح الأمويين ، الفرزدق يهجو جريراً ، جرير يرد . . . غزل لعمر بن أبى ربيعة و لجميل ، و لابن الدمينة . .) ، و لا نجد إلا نصاً واحداً فى الدفاع عن العقيدة لحسان و نصاً آخر فى الاشادة و التأييد للدين الجديد .

ثم نرى هذا الكتاب يحدد لشبابنا المسلم الملامح البارزة للحياة العامة فى هذين العصرين و تصوير الأدب لها من خلال النصوص السابقة ، أن هذه الحياة كانت تدور حول :—

النزاع بين المهاجرين والأنصار ، وردة إلى العصبية القبلية ، وحزبية متصارعة على الحكم ، وقتل للخلفاء الراشدين ، و مكر و دهاء و خداع من معاوية ، وفساد و إفساد لنظام الحكم و شراء لألسنة الشعراء و أقلام الكتاب . . إلى غير ذلك مما يصور الانحدار الأخلاقى الذى وصل إليه المسلمون فى هذين العصرين و ما يزال صوت القوة يرن فى الآذان حينذاك . . ! ! !

و لو انتقلنا إلى غرض من أغراض الشعر فى هذين العصرين و هو الغزل لنرى كيف عالجه هذا الكتاب ؟ و كيف اختار النصوص التى تمثله ؟ و هل كان هذا الاختيار يتفق مع وجهة نظر الاسلام ؟

لقد اختار الكتاب ثلاثة نصوص من الغزل من جملة النصوص المختارة وهى أربعة عشر نصاً وكان يكفى أن يختار نصاً واحداً يمثل هذا اللون فى هذا العصر كما فعل فى العصر الجاهلى حتى لا نوحى لشبابنا أن الغزل كان شغل أجدادنا الشاغل فى هذين العصرين . .

هذا من حيث الكم و الشكل ، أما من حيث المضمون فان اختيار الكتاب لهذه النصوص الثلاثة الغزلية كان فى غاية السوء و البعد عن روح الاسلام فقد اختار ما فحش من الغزل ، و ما يصور الفجور فيه و المتعة الجسدية حين اختار قصة غزلية من أشهر قصص عمر بن أبى ربيعة تصور مجونه ومغامراته العاطفية !! و لشبابنا المراهق فى هذه المرحلة أن يتخيل ما يشاء ، و أن يقول ما يريد و أن ينحرف مع موجات الانحراف فى القرن العشرين بعد أن يسمع قصة هذه المغامرات و المناورات النسائية التى نعلمها له فى مدارسنا ! ! ! و أين كانت هذه المغامرات؟ و متى حدثت ؟ إنها كانت فى الأرض المقدسة ، و لمـــا تزل ريح النبوة تملأ بطاحها ! ! ! .

وأخيراً نرى الطامة الكبرى فى تحليل الكتاب لخصائص هذا اللون من الأدب الغزلى وعوامل ظهوره أنه يقول : لقد شاع فى العصر الجاهلى (لأن العربى ذو حس مرهف يتذوق الجمال) أما فى العصر الاسلامى بشطريه ، فقد شاع (لأن المسلم أراد أن يغرق فى همومه ، و ينسى فشله ، و التغرير به ، و حتى يصرفه الحكام عن السياسة و أمور الدولة . .)

و قد يقول قائل : أليس من حق أجدادنا عرب الجاهلية أن نمجد بطولاتهم ليزداد اعتزازنا بهم ؟ .

ولكننا نرد قائلين : إذا كان هذا حقاً لهم ، فان واجبنا علينا أن نكون أمناء فى عرض الحقائق التاريخية ، فنعرض كل ما فى العصر الجاهلى من سوءات ومفاسد ، تمهيداً لاثبات أثر الاسلام فى القضاء عليها ، و إخراجهم من ظلماتها .

ثم لماذا نحجب عن أبنائنا أفضل ما فى تاريخنا الاسلامى و أدبه فى العصر الاسلامى بشطريه (صدر الاسلام و بنى أمية) ونركز فى عرضنا على اختيار كل ما

يسيء إلى هذا العصر من نصوص أليس هذا تشويشاً للتاريخ؟ و بتراً للحقائق؟!

و إذا كانت هذه هي حقائق التاريخ الاسلامى فى هذا العصر ، أ هي كل الحقائق ؟ أ هذا هو التفسير الوحيد لها ؟ أ هذه هي السن المناسبة لعرض هذه الحقائق ؟ .. أ هذه وحدها النصوص الأدبية التى تمثل هذا العصر ؟ ..

لا شك أن هناك نصوصاً كثيرة و عديدة تصور بصدق أحداث هذا العصر ، و تساعدنا فى تحقيق أهداف التربية الاسلامية من دراسة هذه النصوص ، و تعمل على رفع الروح الاسلامية والانتماء الايمانى بين شبابنا من خلالها ، وتدعو إلى التفانى و إعلاء كلمة الله فى الأرض حتى لا تكون فتنة و يكون الدين لله .. ..

ولو عدنا إلى اختيار الكتاب للنصوص الأدبية التى تمثل أثر القرآن الكريم و الحديث الشريف فى أدب هذا العصر بشطريه نجد الشئ الغريب و العجيب .. أنه يختار عشر آيات كريمة فقط من القرآن الكريم عشر آيات فقط ؟؟!! و يختار ستة أحاديث نبوية شريفة ، و خطبة واحدة للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ثم خطبة لأبى بكر و أخرى لعلى رضى الله عنهما .

و واضح جداً أن هذا الاختيار من حيث الكم لا يتناسب بحال من الأحوال و ضخامة الأثر الكبير للقرآن الكريم فى اللغة و الأدب و الحياة و الناس فى هذا العصر ، كما أن هذه النصوص المختارة لا تحقق الأهداف المنشودة فى تربية الفرد المسلم تربية إسلامية تخلق منه الشخصية المسلمة القادرة على حمل أمانة الانسان المستخلف من الله فى الأرض ، و الذى يعمل على تطبيق منهج الله ، و نشر رسالته فى العالمين ..

[(ب)] نماذج من نصوص أدبية تتفق مع وجهة النظر الاسلامية [(ب)]

نحاول هنا أن نختار بعض النماذج من النصوص الأدبية التى تحقق وجهة النظر

الاسلامية و آثرنا أن تكون كلها من العصر الحديث ، لتكون أشد ارتباطاً بواقعنا المعاصر و بقضايا الاسلام و تحديات العصر و لأن هذه النماذج لم يكتب لها الذيوع والانتشار كما كتب لغيرها فى العصور السابقة منذ ظهور الاسلام، و يمكن بسهولة الرجوع إليها ، و الاختيار منها . . .

ونأمل أن تستجيب وزارات التربية والتعليم فى بلادنا الاسلامية إلى دعوات المصلحين لتغيير مناهجها الدراسية ، أو لتعديل فى اختيار نصوصها الأدبية لتلائم الروح الاسلامية التى أخذت تتغلغل فى جوانب حياتنا الحديثة ، استجابة لحركة البعث الاسلامى المتنامى الذى أخذ ينشر أنواره فى العالم ، « و الله متم نوره ولو كره الكافرون .. » و هذه النماذج قطرة من بحر شعراء الدعوة الاسلامية الذين وطنوا مواهبهم الشعرية للدفاع عن الاسلام ، و جعل كلمة الله هى العليا « و الله غالب على أمره و لكن أكثر الناس لا يعلمون » .

اللغـــة العربيـــة فى موكب الاسلام

[[٢]]

الأستـاذ ثابت ادريس الخطيب
وزارة التربية و التعليم و الشباب
دولة الامارات العربيـــة المتحـدة

وإنما كان يدفع أهل العربية إلى ذلك شدة حرصهم على اللغة التى غدت لغة الدين الجديد خشية أن يقع فيها ما ليس منها . . و الذى يطالع فى هذا الباب كتاباً ككتاب المزهر للسيوطى يقف عند شاهد من شواهد ذلك الحرص على نحو ما نرى من شروط يوردها لبعض علماء اللغة لصحة ما يروى من هذه اللغة وهى شروط تتجلى فيها الموضوعية و الدقة و روعة البحث (١) وإنما كان ذلك بفضل الاسلام و كتابه الخالد القرآن الذى غدا باعثاً لكل دراسة و دافعاً لميلاد كل مصنف من المصنفات و التآليف التى لا يكاد يحيط بها حصر .

و فى موكب الاسلام اكتسبت اللغة العربية معانى لم تكن تعرفها من قبل و لا كانت تعرف التعبير عنها و قد اعتاد مؤرخو الأدب أن يقفوا عند ألفاظ ابتدأها الاسلام ابتداء كالفرقان و الكفر والايمان و الاشراك و الاسلام والنفاق و الصلاة و الصوم و الزكاة و التيمم و الركوع و السجود و نحو ذلك . . و الحق أن المسألة لم تكن مسألة ألفـاظ فحسب ـ كما يقول الدكتور

---

(١) المزهر للسيوطى : ج ١ .

شوقى ضيف (١) ـ وإنما كانت مسألة دين جديد له مضمونه الشامل الذى لم يكن العرب يعرفونه ...

لقد انتشرت اللغة العربية مع الفتوح فى مشارق الأرض و مغاربها و من حسن حظ العربيـة أنها ارتبطت بالاسلام و صار تعلمهـا واجباً من الواجبات فتلاوة القرآن فرض مكتوب على المسلم و الاسلام يحث على حفظه و ترتيله و قد حمل ذلك جمهور المسلمين على حفظه أو حفظ أجزاء منه ، و عكف على تلاوته كبيرهم و صغيرهم حتى أولئك الذين سكنوا الصحارى البعيدة و رؤس الجبال ، و قد كان لهذا تأثيره الكبير عليهم فقد طبعهم بطوابعه اللغوية (٢) .

ولقد أتاح ذلك للغة العربية لا أن تنتشر هذا الانتشار لحسب بل أن تحفظ أيضاً و تظل على مر العصور جديدة غضة لا تبلى مع الزمان ، و قد بهر هذا حتى أعداء الاسلام و خصومه ، فما استطاعوا أن يحبسوا ألسنتهم و أقلامهم عن التعبير عن إعجابهم و فى ذلك يقول المستشرق (رنان) (٣) : ، إن انتشار اللغة العربية ليعتبر من أغرب ما وقع فى تاريخ البشر ، كما يعتبر من أصعب الأمور التى استعصى حلها ، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادىء ذى بدء ، فبدأت فجأة على غاية الكمال ، سلسة أى سلاسة ، غنية أى غنى ، كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا أدنى تعديل ، فليس لها طفولة و لا شيخوخة ، ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة ، و لا أدرى هل وقع مثل ذلك للغة من لغات الأرض قبل أن تدخل فى أدوار أو (أطوار مختلفة) .

(١) العصر الاسلامى : ص ٣١ .
(٢) العصر الاسلامى : ص ٣١ .
(٣) الاسلام و الحضارة العربية لمحمد كرد على ج ١ : ص ١٨٠ ـ ١٨١ .

ونحن نقول لأمثال هؤلاء إنما السر يكمن فى انتشار الاسلام وفى إقبال الناس عليه و دخولهم فيه أفواجاً ، وهل العربية إلا جزء منه ، و وعاء له . تنتشر بانتشاره و تقوى بقوته و يرتفع شأنها بارتفاع شأنه ! !

و الذى يستقرىء تاريخ الحضارة الاسلامية يقف أيضاً مذهولا مندهشاً و أصداء الأصوات المنبعثة من مجالس العلم فى حلقات المساجد والساحات و المجامع فى ألوان العلم و المعرفة و الثقافة ما زالت تتردد فى مسامعه و يتمثل صورها المشرقة فى خياله ، و وعاء هذا كله لغة عربية واحدة لا تختلف فى قليل ولا كثير عن اللغة العربية التى نزل بها القرآن ، أو التى نعرفها اليوم إلا فى اتساع دلالات ألفاظها ، و زيادة ثروتها من التراكيب و نحو ذلك .

لقد فتح الاسلام بقرآنه العظيم القلوب فاذاً أهل الأمصار التى فتحت يقبلون على الاسلام و يدخلون فيه أفواجاً و يتعلمون اللغة العربية ، فيأخذهم أسلوب القرآن المعجز و يهجر كثير منهم لغاتهم الأصلية جاعلين المقام الأول للغة العربية لا لأنها لغة قوم أو شعب غالب ، بل لأنها لغة الدين الذى اعتنقوه وأصبحوا شركاء فى حمله و الجهاد فى سبيله لاعلاء شأنه و نشره ، فوطدت اللغة العربية أقدامها فى البلاد المفتوحة ، و حلت محل اللغات المحلية شيئاً فشيئاً ، وأقبل على تعلمها الجميع حتى بعض الذين لم يدخلوا فى الاسلام . . لقد حلت محل الفارسية و السريانية فى العراق و فارس ، و الرومية و السريانية فى الشام ، و القبطية و الرومية فى مصر و اللاتينية فى شمال أفريقية . .

إن المتتبع لأحداث التاريخ عند الأمم قديمها و وسيطها و حديثها لا يستطيع العثور على شبيه لتلك الظاهرة الغريبة التى لم تتكرر فى غضون التاريخ . . أمم

بأسرها و أقطار بمجموعها تترك لغاتها و تستبدل بها لغة جديدة فى بضع عشرات من السنين .

و لعل من شواهد ذلك و نحن نتابع حركة العربية فى موكب الاسلام ما يروى من إقبال أهل الأندلس على اللغة العربية ، فلم يمض على فتحها أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربيـة ليفهمها النصارى ، لأن هؤلاء زهدوا فى اللغة اللاتينية و نشأ لهم غرام بالعربية ، فأخذوا يتقنون آدابها ، و يتغنون بأشعارها ، و يكتبون بها كأبنائها ، و يعجبون ببلاغتها إعجاب أهلها بها ، و أصبحوا يتكلمون بالأسبانية و البرتغالية و العربية على السواء ، ثم أخذوا لا يتعاقدون بينهم إلا بالعربية (١) .

وسعى المسلمون فى ظل الدولة الاسلامية إلى أن يجعلوا العربية لغة علم فضلا عن كونها لغة أدب ودين ، و لم يحاربوا لغات الأمصار الأصلية التى انضوت تحت لواء الاسلام على رسوخها فيها ، بل ساروا فى نشر اللغة العربية مرتبطة بالاسلام سيراً متعقلا ، و عملت قاعدة الانتخاب ـ كما يقولون ـ عملها فى اللغة : ما عملت فى العناصر فبقى ما هو مفيد للناس فى مصالحهم على اختلاف نحلهم و مللهم (٢) .

بل إن الدول التى كانت تجاور الدولة الاسلامية اضطرت إلى اتخاذ منشئين حاذقين بالعربية ليجيبوا الدولة الاسلامية على المكاتبات الرسمية باللغة العربية .. (٣) .

و لعل من الأمور التى ساعدت على انتشار العربية مع الفتوح عاملا لا ينبغى إغفاله و هو هجرة القبائل العربية التى صاحبت الفتح ، وكانت هذه القبائل أساس

(١) الاسلام و الحضارة العربية ج ١ : ص ١٨٥ .

(٢) الاسلام و الحضارة العربية ج ١ : ص ١٨١ .

(٣) الاسلام و الحضارة العربية ج ١ : ص ١٨١ .

تعريب الأمصار المفتوحة ، و كانت سرعة انتشارها مرتبطة بسرعة فتوح أهلها .

و استمدت العربية قوتها من قوة الدولة الاسلامية و قد أصابها ما أصاب الدولة وفى ذلك يصدق رأى ابن حزم الذى يرى أن اللغة يسقط أكثرها وتبطل بسقوط دولة أهلها و دخول غيرهم عليهـم فى أماكنهم أو بنقلهـم عن ديارهم و اختلاطهم بغيرهم ، فانما يفيد لغة الأمة و علومها و أخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها ، و أما من تلفت دولتهم و غلب عليهم عدوهم و اشتغلوا بالخوف والحاجة و الذل و خدمة أعدائهم فضمون منهم موت الخاطر (١) .

إن ما أصاب العربية فى القرون الأخيرة جزء مما أصاب الأمة الاسلامية حين تحكم فى مقاليدها أعداؤها ، وحاولوا أن يحولوا بينها وبين الاسلام فتحولت العربية إلى مجرد رصف للكلمات و إلى الصنعة و التكلف فى فترة من الفترات ، فجمدت حركة الفكر و تعطل الاجتهاد و عاش المسلمون فى عهد الفتاوى عالة على أحكام السـابقين . . .

و ولدت أفكار غريبة و مفاهيم خطيرة ، زرعها أعداء الاسلام و دخلت الأمة الاسلامية فى القرنين الأخيرين (التاسع عشر و العشرين) فى إسار الاتجاهات القومية و الاقليمية ، و برزت دعاوى الجاهلية وراحت الشعوب تتحرك ـ جهلا ـ مع هذه الاتجاهات التى تزعم المناداة بها مضللون من المثقفين المضبوعين بثقافة الغرب ، فأخذ كل شعب يبحث فى التاريخ عن جذوره ، و ربما جعلت بعض الشعوب بتأثير التضليل بالاسلام مرحلة غير مؤثرة من مراحل هذا التاريخ ، بل ربما تمادت فأغفلت ذكره ، و ترتب على ذلك إحياء لغاتها القديمة و التخلى عن لغة العقيدة حتى لقد وصل الاذعان لثقـافة الغرب المسمومة إلى درجة تنقية بعض

(١) الأحكام فى أصول الأحكام ١ /٣٢ .

الشعوب الاسلامية للغاتها من الألفاظ العربية . . .

إن الشعوب التى لم تعرف الاسلام فى عصرنا هذا ، و لم تدرك سر إعجاز القرآن لجهلها بالاسلام و بلغة القرآن تحتاج إلى من يحمل لها الدعوة على نحو ما فعل الصحابة و التابعون . . و إن مجرد الوصول إلى عقول هذه الشعوب فى شرق الأرض و غربها سيكون من أبرز نتائجه المتوقعة إقبال هذه الشعوب على الاسلام و على لغة القرآن و بخاصة و نحن نشهد فى هذه السنوات صحوة إسلامية فى سائر أقطار العالم الاسلامى و هى صحوة تبشر بعودة الاسلام إلى الحياة من جديد لتعود الأمة الاسلامية إلى احتلال مكانها فى القيادة و الريادة و فى ذلك خير يصيب اللغة العربية منه نصيب كبير . .

وتحضرنى فى ختام هذه المقالة كلمات لجان جاك روسو فى القرن الثامن عشر عن العربية و القرآن و تأثيرهما فى النفوس إذ يقول (١) .

« من الناس من يتعلم قليلا من العربية ثم يقرأ القرآن و يضحك منه ، و لو أنه سمع محمداً يمليه على الناس بتلك اللغـــة الفصحى الرقيقة و ذلك الصوت المقنع المطرب المؤثر فى شغاف القلوب ، ورآه يؤيد أحكامه بقوة البيان لخر ساجداً على الأرض وناداه : أيها النبى رسول الله خذ بأيدينا إلى مواقف الشرف والفخار ، أو مواقع التهالكة والأخطار ، فنحن من أجلك نود الموت أو الانتصار » .

★ ★ ★ ★

(١) الاسلام و الحضارة العربية ج ١ /٧١ .

شعر الجهاد فى مقاومة الغزو المغولى

(٢)

الأستاذ مأمون فريز محمود جرار
ماجستير فى الأدب العربى بالشارقة

١ـ تصوير طبيعة الصراع مع المغول :

كان الغزو المغولى فى معظم مراحله غزواً كافراً واضح الكفر ، بالرغم من دخول بعض المغول فى الاسلام ومن مرافقة بعض المسلمين من غير المغول لهم عند دخول بغداد (١) و قد صور الشعراء هذه الحقيقة و ساعدهم على توضيحها ذلك الخليط الذى كان يضمه جيش المغول من أصحاب الملل و النحل !.

قال شاعر فى حديثه عن هزيمة المغول فى عين جالوت :

هلك الكفر فى الشام جميعاً :: واستجد الاسلام بعد دحوضه (٢)

و قال القاضى محى الدين بن عبد الظاهر يصف جيش المغول الذى هزمه المسلمون فى وقعة الرحبة على نهر الفرات سنة ٦٧١ :

تجمع جيش الشرك من كل فرقة :: وظنوا بأنا لا نطيق لهم غلباً (٣)

و قال القاضى ناصر الدين بن العسقلانى فى موقعة حمص سنة ٦٨٠هـ :

هى الوقعة الصماء و الحطمة التى :: بها انكسر الكفر الذى لم يجد جبراً

---

(١) كان الخواجة نصير الدين الوطوسى فى جيش هولاكو الذى دخل بغداد .

(٢) المختصر فى تاريخ البشر لأبى الفداء ، جـ ٣ ص ٢٠٦ .

(٣) فوات الوفيات جـ ١ ص ٢٣٨ .

فلله منا الحمد و الشكر دائماً :: فقد أصل الاسلام و استأصل الكفرا (١)

و قد انتشر الاسلام عند بعض المغول و دخل فيه بعض ملوكهم ، و منهم غازان محمود (من أحفاد هولاكو). إلا إن إسلامه لم يعصمه من الولوغ فى دماء المسلمين و التحالف مع الكفرة من أعدائهم كالأرمن والعيث فى ديار الشام فساداً مرة بعد مرة ! وقد كان إسلام غازان وبعض المغول سبباً فى تردد كثير من المسلمين فى قتالهم و تساؤلهم عن جواز ذلك القتال .. و قد كان لشيخ الاسلام ابن تيمية دور فى جلاء حقيقة هذا الأمر ، فأفتى بوجوب قتالهم لأن التتار أعظم خروجاً عن شريعة الاسلام من مانعى الزكاة و الخوارج (٢) ..

و لم يتأثر الشعراء بشبهة إسلام بعض المغول فبقيت صورة الصراع معهم فى الشعر هى صراع بين الكفر والاسلام قال شمس‌الدين الطيبى يصف تصدى المسلمين لجموع المغول فى موقعة مرج الصفر سنة ٧٠٢هـ ، و التى كانت بقيادة أخى غازان ملك المغول :

قاموا لقوة دين الله ما وهنوا :: لما أصابهم فيــه و ما ضعفوا

وجاهدوا فى سبيل الله فانتصروا :: من بعد ظلم ومما ساء لهم أنفوا

لما أتتهم جموع الكفر يقدمهم :: رأس الضلال الذى فى عقله حنف (٣)

و يخاطب ملك المغول مشيراً إلى محاولاته المتكررة لحيازة الشام ، شأنه فى ذلك شأن أسلافه من ملوك المغول .

قد مات قبلك آباء بحسرتهـــا ⁂ و كلهم مغرم مغرى بهما كلف

---

(١) زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة (خ) بيبرس الدواداری، جـ ٩ ص ١٦٢ .

(٢) انظر فتاوى ابن تيمية : جـ ٤ ص ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(٣) الوافى بالوفيات : جـ ٤ ص ٣٦٣ .

إن الذى فى جحيم النار مسكنه ❊ لا تستباح له الجنات و الغرف (١)

و هذا الشاعر محمد المنبجي يبين أن النصر فى موقعة مرج الصفر، هو نصر للاسلام على الشرك :

ياوقعة المرج مرج الصفر افتخرت ❊ بك الوقائع فى الآفاق و العصر

رفعت بالنصر أعلام الهدى ولقد ❊ جردت للشرك كسراً ليس ينجبر (٢)

٢- الدعوة إلى الجهاد و ضرب أحلاف المغول :

ترددت الدعوة إلى الجهاد و سلوك سبيل القوة فى مدافعة المغول منذ موقعة عين جالوت ، و ذلك بعد أن رأى المسلمون ما نتج عن تلك الموقعة من حفظ لبلاد المسلمين وأهلها ، و نجد شاعراً يدعو إلى الجهاد من خلال رثائه للملك الناصر يوسف بن محمد ، ملك دمشق الأيوبى ، الذى استسلم للغول قبل عين جالوت ، ورأى ألا فائدة من الجهاد و ذهبوا به إلى بلادهم ثم قتلوه بعد وصول أنباء عين جالوت .. فقال أمين الدين على بن عثمان السليمانى الأربلى مقارناً بين موقفه ومصيره و موقف قادة المماليك :

وقد كان محض الرأى قبل عواملا ❊ مشرعة عرصاتها تسبق النبلا

ترى لهم عند اللقاء تسرعاً ❊ إلى الطعن صعباً عاينوا الأمر أو سهلا

كما فعلت أبطال مصر وقبلها ❊ فياطيب ما أبقى و ياحسن ما أبلى

غزوا فى سبيل الله غزوة واحد ❊ فما قفلوا إلا و قد دمروا الكلا

وجاءوا بهم قتلى وأسرى رؤوسهم ❊ على قصب المران تحسبها أثلا

وأول ما أرضى الاله و رسله ❊ وكان دليل النصر أن قتل الرسلا

---

(١) المصدر نفسه : جـ ٤ ص ٣٦٤

(٢) كنز الدرر أبو بكر الدواداري ، جـ ٩ ص ٩٢

فلو بادرت أقيالك الحرب مثلهم * * ظفرتم ولم يهتز عرش ولا ثلا (١)

و لئن كانت هذه الدعوة متأخرة بالنسبة للملك القتيل فانها تمثل دعوة للسلمين إلى سلوك سبيل القتال الذى هو سبيل العزة و المنعة ، و أمامهم نموذج تطبيق فی عين جالوت :

و من أساليب شعر الجهاد الأعلى من شأن المجاهدين و وصفهم بأحسن الأوصاف و وصف عدة القتال فی صورة محببة إلى النفس تبين أن العز فی ظلال السيوف ، قال شمس الدين الطيبي بعد مرج الصفر سنة ٧٠٢هـ :

لا عيش إلا لفتيان إذا انتدبوا ††† ثاروا وإن نهضوا فی غمة كشفوا

يقى بهم ملة الاسلام ناصرها ††† كما يقى الدرة المكنونة الصرف (٢)

و قال فی وصف عدة القتال :

برق الصوارم للأبصار يختطف ‡ و النقع يحكى سحاباً بالدما يكف

أحلى و أعلى وأغلى قيمة وسنى ‡ من ريق ثغر الغوانی حين يرتشف

وفی قدود القنا معنى شغفت به ‡ لا بالقدود التی قد زانها الهيف

ومن غدا بالخدود الحمر ذا كلف ‡ فاننی بحدود البيض لی كلف

ولأمة الحرب فی عينی أجمل من ‡ لام العذار الذی فی الخد ينعطف

كلاهما زرد هـذا يفيد وذا ‡ يردی فشأناهما فی الفعل يختلف

والخيل فی طلب الأوتار صاهلة ‡ ألذ لحناً من الأوتار تأتلف

ما مجلس الشرب والأطارل دائرة ‡ كموقف الحرب والأبطال تزدلف

والرزق من تحت ظل الرمح مقترن † † بالعز والذل يأباه الفتى الصلف (٣)

---

(١) ذيل مرآة الزمان جـ ٢ ص ١٤٥-١٤٦

(٢) الوافی بالوفيات ، جـ ٤ ص ٣٦٣

(٣) الوافی بالوفيات ، جـ ٤ ص ٣٦٢-٣٦٣

و يلفت النظر فى هذه الأبيات الصور المتقابلة صور الجهاد وصور اللهو و كأن الشاعر يشير بهذا إلى اتجاهين فى المجتمع آنذاك وهو يعلى من اتجاه الجهاد و يدعو إليه .

ويحدثنا القاضى أبو بكر جمال الدين «عبد القاهر بن محمد الخطيب التبريزى» عن القتال فى صورة تحبيه إلى النفس و نراه يتمنى الشهادة فيقول :

وددت لوكنت بين الصف منجدلا [:] قد ارتوت من دمى الخطية السمر
و كوثر الحرب قد راقت مشاربه [:] تحت العجاجة و الأبطال تعتكر
و السيف يبدى بديعاً من فواقره [:] والرمح ينظم والهامات تنتثر (١)

و نجد الشاعر يدعو المقاتلين إلى المحافظة على عدة القتال لأن الجهاد مستمر لا ينتهى بالنصر فى معركة ، فادام الأعداء يحتلون بلاد الاسلام فلا بد من متابعة الجهاد قال :

صونوا جيادكم اللاتى بكم هميت [::] فى بارق الحرب و الرمضاء تستعر
إنا لنرجوه من بغـداد ينهلها [::] بمـاء دجـلة يرويهـا فتصطـدر
يومهـا و أمام المسلمين معـاً [::] ثقوا بقولى فهذا منه منتظر (٢) .

ويكشف لنا شعر الجهاد عن حقيقة تاريخية هامة ، وهى أن الغزو المغولى كان يضم حلفاً من أعداء الاسلام يضم الفرنج والأرمن وأخلاطاً أخرى بالاضافة إلى المغول ، ونجد إشارات مبكرة تشير إلى هذا الحلف ، من ذلك قول ابن أبى اليسر التنوخى فى رثاء بغداد :

---

(١) درة الأســـــلاك لابن حبيب «خ» جـ ١ ص ٢٤٧ و انظر : كنز الدرر : جـ ٩ ص ٩٥ .
(٢) كنز الدرر : جـ ٩ ص ٩٩ - ١٠٠ .

علا الصليب على أعلى منابرها [::] وقام بالأمر من يحويه زنار (١).

و قال القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر يصف جيش المغول فى موقعة حمص سنة ٦٨٠هـ.

لما بغى جيش أبغا فى تجامره [::] و لم يعد له إلا القنا جسر

وأجمع المغل و التكفور و اتفقوا [::] مع الفرنج ومن أردى به الكفر

جاءت ثمانون ألفا من بعوثهم [::] لأرض حمص وكان البعث والنشر (٢)

فالجيش مكون من المغول و الأرمن الذين رمز إليهم بذكر التكفور لقب ملكهم و الفرنج.

و يبين شهاب الدين محمود أحلاف المغول الذين شاركوهم فى حصار الرحبة سنة ٧١٢هـ فيقول:

أتوا كالدبا ما بين كرج وأرمن [::] ومغل وأتراك وعرب وأعجام (٣)

وكان الأرمن من أشد أحلاف المغول أذى للسلمين، ومن ذلك ما فعلوه فى دمشق سنة ٦٩٩ هـ عندما دخلوها مع جيش المغول بقيادة ملكهم غازان، و ظل فى نفس المسلمين من أفعالهم ما لم يمحه مر السنين، و لذلك نجد القاضى جمال الدين أبا بكر، يذكر المسلمين بعد وقعة مرج الصفر سنة ٧٠٢هـ بفظائع الأرمن و يدعوهم إلى الأخذ بالثأر منهم فيقول:

هبوا إلى سيس من أحلام رقد تكم [::] وسارعوا فى طلاب الثأر وابتدروا

بكل غيران أخذ الروح همته [::] فى غير نفس الردى ما له وطر

(١) النجوم الزاهرة: ج ٧ ص ٥٢.

(٢) الوافى بالوفيات: جـ ٣ ص ٣٦٨.

(٣) درة الاسلاك: ج ١ ص ٣٠١.

أيرقد الليل فى أمن و فى دعة [::] عن كيد قوم لهم فى شأنكم سهر
إن تتركوهم فان القوم ما تركوا [::] يوماً عليكم وما أبقوا ولم يذروا (١)

ثم يعرض الشاعر صوراً من جرائم الأرمن فى سورة تستثير الحمية و تذكى نار الغيرة فى النفوس قال :

أما رأيتم عانيتم و قد فعلوا [::] فى الصالحية مالا تفعل التتر
أشفوا صدوركم إن كنتم غيراً [::] على نسائكم يا قوم و ادكروا
كم من عجوز و من شيخ ومكتهل [::] و من فتاة نماها الحسن و الخفر
بيضاء خرعوبة بكر محجبة [::] لا الشمس تنظرها صوناً ولا القمر
و ذات بعل مخبأة مخدرة [::] من دونها تضرب الأستار قد أسروا
و مطفل أثكلوا وجداً بواحدها [::] وحامل أجهضت خوفاً وقد ذكروا
وكم أراقوا وكم ساقوا وكم هتكوا [::] و كم تعلوا بما نالوا و كم فخروا
و حرقوا فى نواحيها فوا حربا [::] و خربوا الشامخ العالى وكم دثروا
و جامع التوبة المحروق مهجته [::] يشير لا توبة للقوم إن ظفروا
فما قعادكم عن أخذ ثأركم [::] هبوا سراعاً و خافوا الله يا غير
و فوهم الحرب انصافاً و معدلة [::] و حرروا نوب الأيام و اعتبروا
و سارعوا واقتلوهم إنهم قتلوا [::] و بادروا و أسروهم أنهم أسروا
و خربوا دارهم و أسبوا حريمهم [::] وأوقروا ضعف ما أوعوا وما وقروا
بجلا يسجل فان الدهر ذو نوب [::] من ذا يغالب ما يأتى به القدر
بزوم الملك قهراً عن جواركم [::] وخربوا كل ما شادوا وما عمروا (٢)

(١) كنز الدرر : ج ٩ ص ٩٦ .

(٢) المصدر نفسه : ج ٩ ص ٩٦ - ٩٨ .

٣- تصوير الانتصارات و وصف المعارك :

كان تصوير الانتصارات ووصف المعارك ميداناً واسعاً للشعراء ، اتخذوا منه وسيلة لرفع معنويات المسلمين و استئصال ما وقر فى نفوسهم من خوف المغول ، ولاظهار قوة المسلمين ، ووصف المغول المنهزمين أمامهم ، فى أسلوب ينم عن العزة و القوة من جانب ، والسخرية والشماتة من جانب آخر .

فى سنة ٦٧١هـ قصدت فرقة من المغول مدينة الرحبة ، ثم نزلت على البيرة على شاطىء الفرات و تجهز الظاهر بيبرس لهم ، و سار إليهم بجيش من المسلمين ، ومعه مراكب على ظهور الجمال ليستعين بها فى خوض النهر ، و حدثت بين المسلمين و المغول معركة عظيمة ، و خاض فيها المسلمون النهر بخيولهم ، و التحموا من المغول فى الماء ، و كان النصر لهم فى تلك المعركة .

و فى ذلك يقول يوسف المهمندار :

لو عاينت عيناك يوم نزالنا [::] والخيل تطفح فى العجاج الأكدر
وسنا الأسنة و الضياء من الظبا [::] كشف لأعيننا قتام العثير
لرأيت سداً من حديد ما يرى [::] فوق الفرات و فوقه نار ترى !
ورأيت سد الخيل قد بلغ الزبى [::] ومن الفوارس أبحراً فى أبحر (١)

و يركز الشاعر تصويره على فلول المغول المهزومة ، و جثث قتلاهم التى تملأ ساحة المعركة فيقول :

لم يفتحوا للرمى منهم أعينا [::] حتى كحلن بكل لدن أسمر
فتسابقوا هرباً و لكن ردهم [::] دون الهزيمة رمح كل غضنفر
ملأوا الفضاء فمن قليل لم ندع [::] فوق البسيطة منهم من مخبر

(١) الوافى بالوفيات « خ » ج ٢٦ ص ٩٨ .

سدت علينا طرقنا قتلاهم [::] حتى جنحنا للمكان الأبعر
ما كان أجرى خيلنا فى أثرهم [::] لو أنها برؤوسنا لم تعثر (١) .

و فى سنة ٦٨٠هـ ، جرت بين المسلمين و المغول موقعة قرب حمص و كان قائد المغول فيها منكوتمر أخو ملكهم أبغاه ، و كانت عدة جيشهم ثمانين ألفاً بمن فيهم من الكرج و الروم و الأرمن ، و الفرنج ، و التحم الفريقان قرب مشهد خالد بن الوليد و قد تأرجح النصر بين الفريقين و لكن الله عزوجل نصر المسلمين ، و ولى المغول الادبار ، وقتل فى الهزيمة منهم أكثر ممن قتل فى الميدان وانقلبت الآية ، فبعد أن كان المغول يسوق الجمع من المسلمين إلى حتفهم مستسلمين . صار العشرة من المغول يقتلهم واحد من المسلمين (٢) .

و قد سجل الشعراء هذه الموقعة و أحداثها : و من ذلك ما قاله القاضى ناصر الدين بن العسقلانى :

هى النعمة العظمى ، هى النصرة الكبرى [::] هى اللفظ والمعنى هى البشر والبشرى
هى المطلب الأسنى ، هى المنحة التى [::] لقد شرفت قدراً ، وقد عظمت ذكراً
هى الوقعة الصما و الحطمة التى [::] بها انكسر الكفر الذى لم يجد جبراً (٣)

و قال القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر :

جاء الخميسان فى يوم الخميس ضحى [::] و امتدت الحرب حتى أذن العصر
و السيف يركع و الأعلام رافعة [::] والرؤوس تسجد لا عجب ولا كبر
و الخيل لا تغتدى إلا على جثث [::] والسهل من أروس القتلى به وعر

(١) المصدر نفسه : ج ٦ ص ٩٨ .
(٢) زبدة الفكرة : ج ٩ ص ١٦٠ .
(٣) زبدة الفكرة : ج ٩ ص ١٦٢ .

والبيض تغمد و الأجفان من مهج [::] والسمر ناهيك يا ماتفعل السمر!
لجاء من عجب عيدان فى رجب [::] للسيف والرمح هذا الفطر والنحر (١)

وكان من أعظم انتصارات المسلمين على المغول موقعة مرج الصفر « شقحب » سنة ٧٠٢هـ ، و جاء هذا النصر بعد أن هاجم المغول بلاد الشام سنة ٦٩٩هـ ، بقيادة ملكهم غازان و هزموا المسلمين فى موقعة وادى الخزندار ، و احتلوا دمشق ، و أفسدوا فيها ، ثم رجعوا سنة ٧٠٠هـ ، فنهبوا و سبوا و رجعوا إلى بلادهم ، و جرت مراسلات بين الجانبين من أجل الصلح إلا أنها لم تسفر عن إتفاق ، فصمم غازان على التحرك إلى الشام سنة ٧٠٢هـ و وصل الرحبة بجيش عدته ثمانون ألفاً ، و أناب عنه فى قيادة الجيش ، قطلوشاه ، أحد أكابر قادة المغول ، وخاف الناس خوفاً شديداً ، و رحل أهل حلب وحماة إلى دمشق ، و كان لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، موقف بطولى فى هذه الغزوة ، فقد أسهم فى تثبيت المسلمين ، و بث روح النصر فيهم (٢) . و حدثت معركة حامية . نصر الله فيها المسلمين ، و قتل من المغول خلق كثيراً ، و قد تغنى الشعراء بهـــذا النصر فأطربوا ، و استشعروا من بعده الأمان ، فقد أحسوا إن ما نزل بالمغول من الهزيمة اعطاهم درساً لن ينسوه !

و ممن نظم الشعر فى هذا الانتصار القاضى جمال الدين أبو بكر ، و من ذلك قوله :

الله أكبر جاء النصر و الظفر :::: و الحمد لله هذا كنت انتظر
.. واقبل العسكر المنصور يقدمه :::: من الملائك جند ليس ينحصر

---

(١) الوافى بالوفيات : ج ٣ ص ٣٦٨ .
(٢) ابن كثير : ج ١٤ ص ٢٣ .

وقد أحفوا به ، والأرض من زجل ::: ترتج إن سبحوا لله أو ذكروا
..حتى إذا عب مثل البحر جحفلنا ::: و مد فيضاً على أعدائنا جزروا
اصلوهم جاحماً يشوى الوجوه وقد ::: حمى الوطيس ونار الحرب تستعر
و أحرقتهم سراعاً كل صاعقة ::: من السيوف بنيران لها شرر
لاذوا بشم شماريخ الجبال فما ::: حمتهم قلل منه و لا صور
و مزقوا شرداً بين الوهام فكم ::: شلو تنازع فيه الذئب و النمر
أين المفر و قد حام الحمام بهم ::: هيهات لا ملجأ يرجى ولا وزر (١)

و قال محمد المنجبي يصف قدوم المغول إلى الشام ، و ضخامة جيشهم ، ثم كيف دارت عليهم الدائرة :

إن البغاة بنى خاقان أقدمهم ::: على هلاكهم الطغيان و الأشر
راموا و قد حشدوا غلباً فما غلبوا ::: وحاولوا النصر تضليلا فما نصروا
أتوا و قد مكر الله العزيز بهم ::: فرد طغيانهم بالغيظ إذ مكروا
وضيقوا الأرض من سهل ومن جبل ::: كأنما هم جراد فيه منتشر
داسوا بلادك لا يثنى أعنتهم ::: عن قصدها جهلهم والتيه و البطر
غرتهم فتنة فى الدهر عن غلط (٢) ::: منها لحاك بهم من بعدها العبر
قابلتهم بجيوش مالهم قبل ::: بيأسها فلقد قلوا و إن كثروا
أفنيتهـــم بليوث منك باسلة ::: و هل تقاوم آساد الشرى الحمر (٣)

و يبين الشاعر ما كان لهذا النصر من أثر فى نفوس المسلمين فيقول :

و بعدها قد أمنا كل حادثة ::: فما لنائبة ناب و لا ظفر (٤) .

« يتبع »

---

(١) كنز الدرر : ج ٩ ، ص ٩٣ ـ ٩٥ .
(٢) إشارة إلى هزيمة المسلمين فى وادى الخزندار سنة ٦٩٩هـ واستيلاء التتار على دمشق .
(٣) كنز الدرر : ج ٩ ص ٩٢ . (٤) المصدر نفسه : ج ٩ ص ٩٣ .

أخبار و اجتماعية و ثقافية

[كتب جديدة]

أرسل إلينا فضيلة الدكتور تقي الدين الندوي المظاهري عدة كتب من مؤلفاته حول السنة وأئمة الحديث ، ولقد اشتغل فضيلته بتدريس مادة الحديث في دار العلوم ندوة العلماء ردحاً من الزمان ، و استطاع خلال ذلك أن يعد سلسلة من الكتب حول أعلام الحديث و كبار مدوني هذا الفن ، و من بينها ثلاثة كتب عن ثلاثة أئمة كبار ، و هي كما يلي :

أولا — الامام مالك (رضى الله عنه) و مكانة كتابه « الموطأ » .

تناول المؤلف في هذا الكتاب جانبين مهمين للموضوع ، تحدث في واحد منهما عن حياة الامام مالك و سيرته بغاية من الدقة و الاهتمام و عن مواقفه من اتباع السنة و التمسك بها و صراحته بالحق في كل مناسبة ، مهما جر ذلك إلى نتيجة ، و في الثاني يتحدث عن كتابه « الموطأ » و مكانته بين كتب السنـــة و دواوين الحديث ، و ما كان لهذا الكتاب العظيم من تأثير عميق في تكوين مجتمع إسلامي يعتني بالفقه و الايمان ، و يجمع بين فهم الكتاب و السنة و بالاحتكام إليهما في جميع قضايا الحياة و مشكلات المجتمع .

يقول في مقدمة الكتاب : « و قد جعلته في فصلين ، الأول في حياة الامام مالك و طلبه للعلم و نشره له ، وفي حليته و فضائله ، و الثاني في كتابه الموطأ ، تاليفه و مكانته و خصائصه و فضائله ، و لقد تولى طبع الكتاب وزارة الاعلام بدولة الامارات العربية المتحدة .

ثانياً — الامام البخاري (رضى الله عنه) أمام الحفاظ و المحدثين .

هذا الكتاب يحتوي على تعريف شخصية هذا الامام العظيم الذي يعتبر في رأس قائمة أعلام المحدثين ، و يعتبر كتابه البخاري أصح الكتب بعد كتاب الله ، كما يشتمل على بيان منزلة صحيح البخاري و قيمته الموضوعية مع الاشارة إلى خصائصه

البارزة التى يجب أن يعرفها كل دارس للسنة وطالب للحديث ، وقد وزع المؤلف هذا الكتاب أيضاً بين فصلين اثنين :

أحدهما فى ترجمة الامام البخارى وحياته وبيان علمه ومدى نبوغه وعبقريته ، و ما الذى حداه إلى طلب علم الحديث ، فكيف تمكن من تذليل العقبات وتحمل المشاق فى سبيل هذا العلم الشريف ، و وفق إلى الاتصال بعلماء هذا الفن وشيوخ الحديث ، تحدث المؤلف فى هذا الفصل عن شيوخه وتلاميذه وسعة حفظه ، ونبوغه و عن مذهبه الفقهى و عن اعتراف علماء عصره بحفظه وسعة اطلاعه ، و أشار فيه إلى ما كان يتمتع به من مكانة عالية فى الورع والتقى و الشغف بتلاوة القرآن الكريم والاشتغال بدارسة الحديث و التمسك بالسنة والحرص الكبير على اتباعها .

و أودع فى الفصل الثانى بيان الأسباب التى بعثته على تاليف هذا الكتاب العظيم و ما لقيه من إعجاب و قبول كبيرين فى أوساط العلم و العلماء ، و مدى ما أكرمه الله به من الخلود و الدوام ، و تحدث فيـــه عن مكانته بين الصحاح الستة ، و قام بالموازنة بين صحيحى البخارى ومسلم ، و ذكر شرط الامام البخارى فى صحيحه ، و الايرادات التى تورد على بعض رواته و جوابه عنها ، مع الاشارة إلى خصائص الكتاب و أبوابه و تراجمه ، و ما إلى ذلك من إشارات مفيدة تزيد فى قيمة كتاب الدكتور الندوى و تبين مدى عنايته بهذا الفن الشريف .

ثالثاً — أبوداؤد ، الامام الحافظ الفقيه :

هذا الكتاب القيم يحتوى على جوانب عديدة تتصل بالموضوع ، فمثلا تحدث المؤلف فى الفصل الأول عن العصر الذى عاش فيه الامام أبو داؤد ، وأحس فيه بالحاجة الملحة إلى تاليف ديوان فى الحديث يحل محل السنن فى فن الحديث .

و فى الفصل الثانى تكلم عن سنن أبى داؤد ، و منزلتها بين كتب السنـــة و خصائصها التى تتميز بها ، وعن شروط الامام أبى داؤد فى السنن و مكانتها بين الكتب الستة ، و فى خاتمة الكتاب أدرج المؤلف نماذج من أحاديث هذه السنن التى رواها أبو داؤد فى الأبواب المختلفة .

ويغنينا ما كتبه فضيلة الشيخ محمد الغزالى فى مقدمة الكتاب ، عن أى إشادة به ، و نقتطف منه ما يلى !

« و لما كانت هذه السنن قد تعرضت فى العصر الحديث لألوان من الهجوم بعضها مريب ، و بعضها ساذج فقد أصبح مفروضاً على الخبراء بالسنة أن يزيدوا أمرها وضوحاً ، وأن يكشفوا من جوانب هذا التراث العظيم ما خفى على الكثيرين .

و أخونا الشيخ (دكتور) تقى الدين الندوى المظاهرى من رجال الآثار الذين شغلوا أنفسهم بخدمة السنة الشريفة و تمحيص تراث النبوة العزيز ، و جهده فى التعريف بأبى داؤد و مكانة كتاب (السنن) يستحق التنويه به ! !

٤- بعث إلينا فضيلة الشيخ عبد الجبار المؤى الأعظمى أستاذ التفسير و الحديث بجامعة مظهر العلوم بمدينة بنارس (الهند) الجزء الأول من كتابه « التصويبات لما فى حواشى البخارى من التصحيفات »

قام المؤلف فى هذا الكتاب بتصويب الأخطاء التى حدثت فيما كتبه محدث الهند الكبير الشيخ أحمد على السهارنبورى من تعليقات على صحيح البخارى ، إيضاحاً لمعانى الأحاديث الواردة فيه و تفسيراً لألفاظها و معضلاتها بالاضافة إلى تحقيق لمتونها و اسنادها

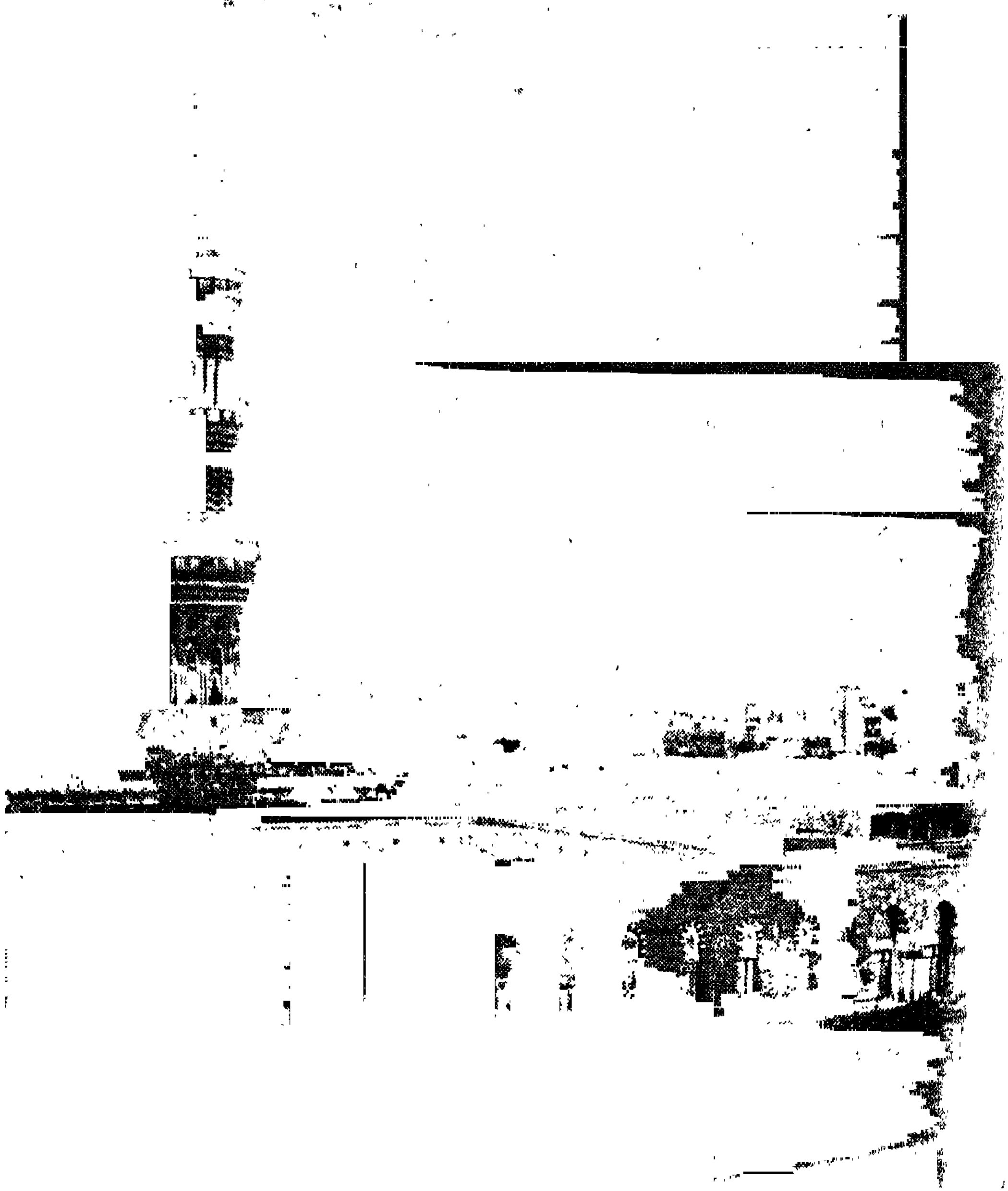
و لقد تخللت هذه التعليقات أخطاء و تحريفات مطبعية نظراً إلى عدم اعتناء أهل المطابع بالتصحيح و التحقيق حيث إن الاستفادة من هذه التعليقات أصبحت مستحيلة بعد ما تكررت الطبعات و تكاثرت التصحيفات ، رغم أن كثيراً من أصحاب الدرس و التدريس لم ينتبهوا إليها ، و ظلوا يمارسون عملهم على ما وجدوه مكتوباً فى حواشى الكتاب ،

و إن فضيلة الشيخ عبد الجبار رحمة الله الأعظمى ليستحق كل تقدير وثناء من الأوساط العلمية والمدارس الاسلامية التى تعنى بدراسة و تدريس هذا الكتاب العظيم ، و إن هذا العمل لمشكور ومقبول باذن الله تعالى فى كل طبقة من طبقات العلماء و المدرسين و الطلاب فى البلاد الهندية بصفة خاصة ، نرجو الله تعالى أن يسبغ على عمله هذا ثوب القبول ، و يوفقه إلى إتمامه ، فانه نعم المولى ونعم النصير

(سعيد الأعظمى)

البعث الإسلامي

إلى الإسلام من جديد



بسم الله الرحمن الرحيم

لا بد من تعاون

و من الواجب علي أن أشير بصراحة إلى أنه لا يصلح أمر العالم الاسلامى إذا بقى الشعب ساخطاً على الحكومة ، و الحكومة ناقمة من الشعب ، بل لا بد هنا من تعاون رجال الاصلاح و الدعاة ، و المبشرين و المنذرين ، و لا يمكن ذلك إلا إذا صلحت النية و صحت العزيمة ، و اتحدت الغاية ، فعلى كل واحد منا أن يعمل فى حقله و يؤدى حقوق صاحبه و لا يبتغى رضا أحد ، ولا يرجو من رجل كلمة خير ، إنما هو يعمل لله ، و هو وحده يجزيه بجهاده « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » .

(الأستاذ المرحوم) محمد الحسنى

(الاسلام الممتحن صفحة ٢٤)

المجلد السادس والعشرون

العدد السابع (7)

★ ربيع الثانى ١٤٠٢هـ ★

★ فبراير ١٩٨٢م ★

أنشأها فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسنى (رحمه الله)

فى عام ١٣٧٥هـ سنة ١٩٥٥ء

تصدرها : ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

المراسلات :

البعث الإسلامي

ندوة العلماء ص.ب ٩٣

لكهنؤ — الهند

NADWAT-UL-ULAMA

P.o. Box 93

Lucknow (India)

في هذا العدد

إلى من تتجه المسئولية في إخفاقنا ونجاح عدونا؟ سعيـــــد الأعظمي ٣

التوجيـه الاسـلامى

نظرة في الاعجاز البياني فضيلة الدكتور محمد الغزالي ١٠

دور الحديث في تكوين

المناخ الاسلامي وصيانته سماحة الشيخ السيد أبي الحسن على الندوى ٢٣

حديث مع الأستاذ أنور الجندى دكتور عبد الحليم عويس ٣٤

الدعوة الاسـلاميـة

مبادىء في الأدب و الدعوة فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكه الميدانى ٤٢

أدب التربية و المواعظ الدكتور غريب جمعة (القاهرة) ٤٨

دراسات و أبحـاث

أضواء على المعتقدات الأولية عند المسيحيين

كما يفسرها علماؤهم و مفكروهم فضيلة الأستاذ محمد تقى العثماني ٥٧

الفقه الاسـلامى

التحذير من المعاملات الربوية سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ٧٧

الاسلام يحارب التسول سماحة الأستاذ الدكتور عبد الله عبد القادر بلفقيه ٨٠

الندوة العالمية للأدب الاسلامى

شعر الجهاد في مقاومة الغزو المغولى الأستاذ مأمون فريز محمود جرار ٨٤

العالم الاسـلامى

صور و أوضـاع واضح رشيد الندوى ٩١

مجمع دار المصنفين يعقد ندوة عالمية حول قلم التحرير

« الاسلام و المستشرقون » ٩٥

الأستاذ محمد المبارك في ذمة الله » » ٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية:

إلى من نتجه بالمسؤولية في إخفاقنا ونجاح عدونا؟

قبل أن نوجه المسؤولية إلى عدونا الذى فاجأنا بإجراءاته الإجرامية و تنفيذ مطامعه الصهيونية في عقر ديارنا و أوطاننا، يحسن بنا أن نستعرض الوضع الذى نرضاه في حياتنا الشخصية و الخلقية و الاجتماعية و السياسية، ويجب أن نتفقد بشئ من الجدية والواقعية، أحوالنا التى اصطنعناها، وأخلاقنا التى عشناها على جميع المستويات و في كل القطاعات، إذ من العبث أن نزرع حنظلا و نتوقع عنباً، ومن الحمق المبين أن نتخذ السبع مطية ثم نثق فيه و نأمن منه الضراوة و الوثوب، ذلك أن طبائع الأشياء لا تتأثر بالظنون ساءت أو حسنت، ولا تتغير بالرؤية، صدقت أو كذبت، إن العدو الذى تأصلت العداوة في طبيعته و اختمرت الكراهية بلحمه و دمه لا ينتزعها حسن ظن و لا تقللها مصلحة سياسية أو حاجة من حاجات النفس.

في أربعينات هذا القرن جاء العدو اليهودى بخيله ورجله فاحتل في وطننا الأم فلسطين وداس بأقدامه المشؤومة ديارنا ومقدساتنا و شرد إخواننا وطرد آباءنا وأمهاتنا وردها من صيحات الاستنكار التى أرسلناها على كل مستوى و قرارات الاحتجاج على عمله التى لم تكن تمت إلى أى شرعية قانونية بأى صلة، و رغم التوسل بمجلس الأمن و المؤسسات الدولية لحقوق الإنسان لم تتمخض جهودنا بأى نتيجة إيجابية، و لكن بالعكس من ذلك ظلت جذور الاحتلال تضرب إلى الأعماق وتتسع مطامعه الصهيونية لتمتد مناطق نفوذه في الشرق [illegible] بعد وبعد أن مضت مدة طويلة [illegible] العدو الصهيونى شارك

العدوان على قناة السويس ويعتبر أهم عضو مع الدولتين المهاجمتين على القناة و هما بريطانيا وفرنسا وكانت الدولة الثالثة هى إسرائيل ، وهنالك برز العدو اليهودى كدولة لها أهميتها فى السياسة العالمية ، و عرف هذا العدوان بالعدوان الثلاثى .

و يومها كانت إسرائيل دولة فى فلسطين تقوم بتشريد و مطاردة أهلها و تتهيأ بنشاط موسع فى توطيد دعائمها و توسيع رقعتها ، بأساليب عدوانية تلقنها الدول الكبرى ، التى منحتها الشرعية السياسية و أشرفت على نموها و اتساعها و تركيز دعائمها فى الأرض المحتلة ، و سهرت على مصالحها و حاجاتها من كل نوع ومهدت لها الطريق نحو الاستيلاء على المقدسات و الاحتلال فى القدس و أولى القبلتين و ثالث الحرمين . و صاح العالم الاسلامى ضد هذا الاعتداء ، و استصرخ المسلمون ضمير العالم و بذلوا أقصى جهودهم لطرد هذا العدو الخسيس ، و الماكر النجس ، و العودة بهذا الداء و البلاء المفاجئ إلى الوراء ، و لكن دون جدوى ، بل كلما حاولت الدول العربية الاسلامية تطهير المسجد الأقصى منه استحكمت قبضته عليه ، فلم تتمكن هذه المجموعة الكبيرة للدول العربية من إزاحة العــدو عن شبر من الأرض فضلا عن تصفية وجوده .

لم تصمد هذه الدول العربية الكثيرة فى وجه عصبة من أفاق الأرض تحتل أرضنا و مقدساتنا على مرأى العالم و مسمعه ، ثم تتسع إلى ما تشاء و تبدأ بنشاطها باعلان دولة إسرائيل دون حق أو شرعية ، و الدول العربية الاسلامية تسمع و ترى كل ذلك بشئ من الدهشة والهدوء دون أن تثور لها ثائرة ، أو تقوم ضدها قيامة ، و لم ينته الأمر بهذا الحد بل تعدى إلى أن بعض الدول الاسلامية التى سبقت لها معارك حامية ضد إسرائيل تقدمت إليها بعقد الأخوة والصداقة بايعاز من المعسكرات الكبيرة ، وتبادلت الدولتان العلاقات الدبلوماسية مع احتفاظ الجانب

العربى الاسلامى بالآداب السياسية الدولية وخرق الجانب الاسرائيلى قوانين وآداب السياسة العالمية ، والاستمرار فى ضرب الدول المجاورة و تدمير الأرواح الانسانية و قتل المواطنين الأبرياء بوقاحة منقطعة النظير ، و ما يوم لبنان على العالم بسر ، و ما هو بيوم أو يومين ، و لكنها أيام لا يأتى عليها الحصر .

إسرائيل تنطلق فى الوطن الاسلامى بجراءة و وقاحة بالغتين ، و تخوف شعوبنا و تدوس مقدساتنا و تنتهك حرماتنا ، شأن اللص الجريئ الذى يعلن وجوده فى البيت الذى يدخله و يتغنى خلال عملية النهب و السرقة ، و لا يكاد يتهدده أحد من أفراد ذلك البيت رغم كثرتهم و انفراده ، فيرونه ما يفعل و لكن لا يستطيعون أن يحولوا دون عمله أو يمنعوه ، ذلك هو إسرائيل التى دخلت الوطن العربى فاتسعت فيه إلى ما تشاء ، و هى تحتل فيه الآن حيثما تريد ، وتضرب فيه ما تحاول ضربه من مدينة أو قبيلة أو عمران و قرية ، فحيناً تقذف القنابل المدمرة على القرى الآمنة فى الأردن و لبنان ، و آخر تدمر الجاليات العربية الاسلامية فى الضفة الغربية ، و أمس فقط كانت قد أوغلت الأراضى المصرية ، و غصبت الخليل و القدس واحتلت المسجد الأقصى و جزءاً من المرتفعات السورية و تحتل اليوم فى مرتفعات الجولان الباقية و تستهدف مساكن اللاجئين الفلسطينيين و مراكز المسلمين فى لبنان و سوريا و الأردن و مصر .

و المسلمون كلهم يستنكرون إجراءاتها و يلعنونها من بعيد و الدول العربية الاسلامية كلها تتخذ قرارات الاستنكار و الاحتجاج و تكتفى بها أو تتقدم خطوة واحدة فتنتظر ملاءمة الجو لتقديم قضيتها الاجرامية فى مجلس الأمن ، و سواء وصلت القضية إلى مجلس الأمن أو غيره من المحافل الدولية و المحاكم العالمية ، ولكن إسرائيل لا تقيم لذلك وزنا ما ، و لا تبالى بما إذا اتفقت دول العالم كلها ضد

إسرائيل ، أو اتخذت عليها قرار استنكار و احتجاج ، إنها لا يعنيها أى شئ من ذلك و إنما الذى يهمها هو أن لا يتوقف نشاطها العدوانى للحظة واحدة حتى يتحقق حلمها القديم بأسرع ما يمكن ، و تستحكم قبضتها على جميع المناطق التى تنتج البترول و تتسع نطاق حكمها من المحيط إلى الخليج وما وراء الخليج .

إسرائيل مكبة على تحقيق الهدف الذى تبنته بشئ كثير من السرعة و الاهتمام و الجدية لا تلوى على شئ ، و لا يثنيها لعنة أو قرار عما هى مقبلة عليه ، و هى تستفيد من كل لمحة دون أى توقف أو انتظار ،وتعد إعدادات ضخمة للمستقبل العظيم الذى تحلم به فتستنجد من دول العالم الكبرى و تصادق كل دولة تحس فيها بشئ مما يفيدها فى أى جانب من مشاريعها و مخططاتها العملاقة التى تشرف عليها الولايات المتحدة و فرنسا و بريطانيا و جميع الدول الراقية الكبيرة ، إنها لا تتلكأ للحظة واحدة فى مد يد الصداقة و الود إلى أى بلد تجد لديه معارضة للصالح العربية الاسلامية ، و الشواهد على ذلك كثيرة متوفرة يعرفها المعنيون بالقضايا العربية الاسلامية فى العالم الاسلامى .

و لا ندرى ماذا ستهدفه من بلد أو أرض للاحتلال فى مستقبل قريب - لا قدر الله - بعد هذا الاحتلال الجديد ، بعد الخليل و القدس و الضفة الغربية و الأقصى و الجولان و هى تفيض حيوية و نشاطاً فى هذا المجال بصفة خاصة ، و إن سادتها الكبار يشحنونها بشحنات من السلاح و المال و العدة و العتاد ، ولا يزالون يمدونها بتأكيد و قوة ، ألم تروا كيف أن المسؤلين الاسرائيليين يتجولون فى العالم كله شرقاً و غرباً وجهاراً و خفية ، يجرون اتصالات بزعماء الدول و يستمدون منهم تعاوناً مخلصاً فيما يهدفونه من اغتصاب الدول الاسلامية و الاستيلاء على أراضيها و ممتلكاتها ، و من السيطرة على الحرمين الشريفين

— وقاهما الله من كل سوء — و احتلال المملكة العربية السعودية و اليمن ، و ما جاورهما من بر و بحر .

و مهما تظاهرت دول العالم بمعارضتها لاسرائيل و موافقتها وتأييدها للعرب فی القضية الفلسطينية و القضايا الأخرى ، و لكنها لا تعارضهـا فی الواقع ، بل و تساندها بكل شئ مما تستطيعه فی خفاء ، و سوف لا نجد دولة من دول العالم تبدی عطفها على العرب و تؤكد تأييدها ضد إسرائيل إلا أن لديها مصالح سياسية تتطلب منها أن تفعل ذلك ـ أما أن تكون مخلصة للعرب فی هذه القضية وتعارض وجود إسرائيل و تعتبرها دولة مزورة كاذبة لا تقوم على شرعية سياسية ، فهيهات أن تفعل ذلك ، وحسبنا كمثال الاتحاد السوفياتی الذی يؤكد للعرب تأييده الكبير فی القضية الاسرائيلية ، و معارضته لاسرائيل ، إلا أنه يريد بذلك خداع المسلمين و العرب نظراً إلى بعض الفوائد المادية و المصالح السياسية ، ومن الذی لا يدری أنه منافق فی كثير من سياساته الدولية ، و أن الزعماء السوفيات بمجرد انتمائهم إلى اليهودية و ارتباطاتهم القوية بالمحفل الماسونی لا يستطيعون أن يعارضوا إسرائيل فی شئ ، فضلا عن أن يروها دولة غير شرعية فی بلد عربی وأرض إسلامية ، وهلا رأينا أفغانستان المسلمة من خلال هذه الرؤية .

لا يمكن أن نكون أذكياء فی السياسة العالمية أو يعتبرنا الناس زعماء الحكم و خبراء شئون البلاد و الشعب إلا إذا كنـا عارفين بطبائع الشعوب و خبايا النفوس ، و إذا كنا مطلعين على دهاء السـاسة و زوايا أفكارهم ، و كانت عندنا تجارب للمتاهات التی تكلف شئون الحكم والسياسة الدخول فيها ، وكانت لدينا خبرات بمختلف النظرات والاتجاهات والفلسفات السياسية ، وبذلك يمكننا القيام بمسئوليات الحكم ، و تسيير دفة البلاد بمنظور خلقی مطلوب ، و هنالك نستطيع أن نتوقى

الخداعات السياسية ، ونميز بين القول والقائل وبين الصديق المخلص و العدو الانتهازى .

إذا أولينا هذا الجانب المهم فى حياتنا السياسية الاعتناء ، و أعطيناه القسط المطلوب من التفكير حالفنا الحظ فى التوقى من السياسة الانتهازية ، والأخذ بالحيطة البالغة فى الثقة فى كل من يتزيا بزى الصديق ، و قد يكون من السذاجة البالغة أن نعتبر هؤلاء المكرة الخدعة مخلصين ، و قد يكون من الحمق أن نستجيب لكل من ينعق بالمودة ويتمثل لنا كمخلص يتفانى فى حبنا والحدب على بلادنا ومصالحنا ، إذ أن السياسة عمل لا يتقنه كل إنسان و إن كان ينتمى إلى أسر الحكام و إن كان عريقاً فى القيادة و الزعامة ، و خاصة السياسة المعاصرة التى لا تجدر بأن تدعى سياسة .

يجب أن نفتش عن ذلك العدو الكامن فى داخل نفوسنا ، الذى يعيش معنا و فينا ، و نأخذ بالعدة الكاملة لطرده من نفوسنا و مجتمعنا حتى من حدود بلادنا ، ذلك هوالاقتناع الكافى بالبقية الباقية من ثروة الايمان والأخلاق ، والاعتناء الزائد بتنمية ثروة المال والانتاج المادى ، والشغف الكبير باسعاد أسرة أو شعب لحسب مع صرف النظر عن إسعاد الانسانية ، بل عن إنقاذ الانسان من هوة الهلاك و التعاسة و الشقاء ، و التركيز الكبير على الاهتمام بالرخاء الاقتصادى و تصعيد رصائد الحسابات فى البنوك الأجنبية ، مع إغفال الجانب الخلقى والتربوى ، وإهمال ما بين الله و الانسان من علاقة صادقة ، و التغنى بالعلاقات الودية الكاذبة بين دولة و دولة ، و شعب و شعب .

لا بد من تغيير كامل و ثورة شاملة ، فاذا تم ذلك تم الانتصار فى معاركنا اليوم وتمت الغلبة و العزة ضد أعدائنا ، و جاء النصر من عند الله ، و نزل المدد من السماء ، و « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ؟ .

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

!! نظرة فى الاعجاز البيانى !!

(٢)

فضيلة الدكتور محمد الغزالى
المدير العام للدعوة الاسلامية *[مصر].

و ينتقل الدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز إلى خصائص الأسلوب القرآنى فيبين الأسباب التى بلغ بها درجة الاعجاز ، و لو لا الاعجاز ، و لو لا أن الرجل حافظ فاقه لكتاب الله ، و ضليع مكين فى آداب العربية ، و عابد تخبت تكشف أمام بصيرته النيرة الحكم البالغات التى غابت عن غيره ، ما استطاع أن يصور لنا هذه الخصائص ويجعلها منا رأى العين . . . و نكتفى بنماذج قليلة من كلماته لا تغنى البتة عن مدارسة الكتاب ذاته ، قال :

‡‡ خطاب العامة ‡‡ و ‡‡ خطاب الخاصة ‡‡

و هاتان غايتان أخريان متباعدتان عند الناس .

فلو أنك خاطبت الأذكياء بالواضح المكشوف الذى تخاطب به الأغبياء انزلت بهم إلى مستوى لا يرضونه لأنفسهم فى الخطاب ، و لو أنك خاطبت العامة باللمحة و الاشارة التى تخاطب بها الأذكياء لجئتهم من ذلك بما لا تطيقه عقولهم، فلا غنى لك ـ إن أردت أن تعطى كلتا الطائفتين حظها كاملا من بيانك أن تخاطب كل واحدة منهما بغير ما تخاطب به الأخرى ، كما تخاطب الأطفال بغير ما تخاطب به الرجال ، [(فأما أن جملة واحدة تلقى إلى العلماء و الجهلاء ، و إلى الأذكياء و الأغبياء ،

السوقة و الملوك ، فيراها كل منهم مقدرة على مقياس عقله ، و على وفق
فذلك ما لا تجده على أتمه إلا فى القرآن الكريم ، فهو قرآن واحد، يراه
ـفى كلام بلطائف التعبير ، و يراه العامة أحسن كلام و أقربه إلى عقولهم.
، على أفهامهم ، و لا يحتاجون فيه إلى ترجمان وراء وضع اللغة ، « ولقد
قرآن للذكر فهل من مدكر» ، فهو متعة العامة والخاصة على السواء ، ميسر
. أراد .

ع العقل و (إمتاع العاطفة) : †

فى النفس الانسانية قوتان : قوة تفكيره ، و قوة وجدان ، و حاجة كل
منهما غير حاجة أختها ، فأما إحداهما : فتنقب عن الحق لمعرفته ، و عن
مل به ، و أما الأخرى : فتجد إحساسها بما فى الأشياء من لذة و ألم .
البيان التام هو الذى يوفى لك هاتين الحاجتين ، و يطير إلى نفسك بهذين
، فيؤتيها حظها من الفائدة العقلية ، و المتعة الوجدانية معاً ، فهل رأيت
م من كلام الناس ؟ .

ـد عرفنا كلام العلماء و الحكماء ، و عرفنا كلام الأدباء و الشعراء فما وجدنا
ـ و هؤلاء إلا غلواً فى جانب ، و قصوراً فى جانب .

ما الحكماء: فانما يؤدون إليك ثمار عقولهم غذاء لعقلك، ولا تتوجه نفوسهم
ـاه نفسك، واختلاب عاطفتك ، فتراهم حين يقدمون إليك حقائق العلوم ،
ـن لما فيها من جفاف و نبو عن الطباع .

و أما الشعراء : فانما يسعون إلى استثارة وجدانك ، و تحريك أوتار
ن نفسك، فلا يبالون بما صوروه لك أن يكون غياً أو رشداً وأن يكون
. تخيلا .

فتراهم جادين هازلين، يستبكون وإن كانوا لا يبكون، ويطربون وإن كانوا لا يطربون، « و الشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ».

وكل امرىء حين يفكر، فانما هو فيلسوف صغير، فسل علماء النفس (هل رايتم أحداً تتكافأ فيه قوة التفكير، وقوة الوجدان، وسائر القوى النفسية على سواء ولو مالت هذه القوى إلى شئ من التعادل عند قليل من الناس، هل ترونها تعمل فى النفس دفعة واحدة و بنسبة واحدة.

يجيبوك بلسان واحد:

كلا، بل لا تعمل إلا مناوبة فى حال بعد حال، و كلما تسلطت واحدة منهن اضمحلت الأخرى، و كاد يمحى أثرها.

فالذى ينهمك فى التفكير تتناقص قوة وجدانه، و الذى يقع تحت تأثير لذة أو ألم يضعف تفكيرة وهكذا لاتقصد النفس الانسانية إلى جانب من هاتين الغايتين قصداً واحداً، و إلا لكانت مقبلة مدبرة معاً، و صدق الله: « ما جعل لرجل من قلبين فى جوفه ».

فكيف تطمع من إنسان فى أن يهب لك هذين الطلبين على سواء ؟

وما كلام المتكلم إلا صورة الحال الغالبة عليه من بين تلك الأحوال.

هذا مقياس يستطيع أن تتبين به فى كل لسان وقلم، أى القوتين كان خاضعاً لها حين قال أو كتب.

فاذا رأيته يتجه إلى تقرير حقيقة نظرية، أو وصف طريقة عملية، قلت هذا ثمرة الفكرة، و إذا تعمد إلى تحريض النفس أو تنفيرها أو قبضها أو بسطها و استثارة كوامن لذتها أو ألمها قلت هذا ثمر العاطفة،

و إذا رأيته قد انتقل من أحد هذين الضربين إلى الآخر ، فتفرغ له بعد ما قضى وطره من سابقه ، كما ينتقل من غرض إلى غرض عرفت بذلك تعاقب التفكير والشعور على نفسه ، وأما إن أسلوباً واحداً ، يتجه اتجاهاً واحداً ، يجمع فى يديك هذين الطرفين معاً ، كما يحمل الغصن الواحد من الشجرة أوراقاً وأزهاراً و أثماراً معاً أو كما يسرى الروح فى الجسد و الماء فى العود الأخضر، فذلك مالا تظفر به فى كلام بشر و لا هو من سنن الله فى النفس الانسانية .

فمن لك إذن بهذا الكلام الواحد الذى يجيء من الحقيقة البرهانية الصارمة بما يرضى أولئك الفلاسفة المتعمقين و من المتعة الوجدانية الطيبة بما يرضى حتى هؤلاء الشعراء المرحين ؟

وهو القادر على أن يخاطب العقل والقلب بلسان ، وأن يمزج الحق والجمال معاً يلتقيان و لا يبغيان ، و أن يخرج من بينهما شراباً خالصاً سائغاً للشاربين .

و هذا هو ما تجده فى كتابه الكريم حيثما توجهت .

ألا تراه فى فسحة قصصه و أخباره . لا ينسى حق العقل من حكمة وعبرة أو لا تراه فى معمعة براهينه وأحكامه ، لا ينسى حظ القلب من تشويق و ترقيق و تحذير و تنفير و تهويل و تعجيب ، و تبكيت و تأنيب يبث ذلك فى مطالع آياته و مقاطعها و تضاعيفها .

. .. « تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله » « إنه لقول فصل و ما هو بالهزل »

وكتب السيد هبة الدين الحسينى رسالة جيدة فى إعجاز القرآن لخصها الأستاذ عيسى صباغ فى هاتين النظريتين .

يقول الشيخ هبة الدين : لا ريب أن القرآن قد أدهش نوابغ العرب ،

و أخرس شقشقة البلغاء فى عصره .

و لكن أسلوبه الرائق و لفظه الراق و نظامه العجيب ؟ أم لبدائع معانيه الجذابة ، و عظمة مبادئه و لطائف أمثلته ؟

لا نعلم .. و إنما نعلم أنه أدهش و يدهش العربى العارف .. وربما كان أثره فى العامة من النواحى الأولى ، و فى الخاصة من النواحى الأخرى ، كما أثر بانبائه عن الغيب و بأسرار إرشاداته و استعاراته فى الأجيال السائرة .

أجل هذا القرآن مدهش من أى وجه كان ، و أية عبقرية ساطعة و قد استعان به منقذ العرب على هدايتهم بعد ما غدوا سكارى بخمرته ، فأحيا ذكرهم ، و أصلح أمرهم ، وأدبهم كما شاءت المصلحة و استخرجهم من ظلمة العادات القاسية إلى ضياء عيشة راضية .

ثم استخدم أولئك المهتدين بأنوار القرآن كألسنة لدعوة الأمم و سيوف لادانة العالم .

و يستطرد إلى بيان ميزة القرآن بين المعجزات فيقول بأسلوبه السهل البليغ :

إن أكبر ميزة فى القرآن ـ وهى التى وضعته فوق المعجزات كلها ـ هى أنه مجموعة فصول ليست سوى صبابة أحرف عربية .. من أيسر أعمال البشر وقد فاقت مع ذلك عبقرية كل عبقرى .. ..

فلم يخلق رب الانسان للانسان عملا ـ بعد التفكر ـ أيسر لديه من الكلام .

و كلما كان العمل البشرى أيسر صدوراً . و أكثر وجوداً ، قل النبوغ فيه و صعب اقتراس الاعجاز و الاعجاب منه .

هذا و نرى الناس فى عهدنا مطبوعين على استحباب الشهرة و الأثرة وطلب التفاضل والتفاخر فاذا رأوا أحدهم يبغى التفوق عليهم بصناعته ، اندفعوا بكل قواهم

إلى مباراته و جدوا لكى يأتوا بخير منه .. و قد فطر البشر على مثل هذا الشعور .. و الشعب العربى المعاصر للنبى ﷺ، كان و لا ريب منطوياً على هذا الشعور تمـامـــــــــاً .

فلماذا لم يندفع إلى مباراة القرآن ؟ و لا سيما بعد ما شاهدوا من صناعة النبى ﷺ فائدة و عائدة .

ولم لم يعارضوا عبقريته فى البلاغة و هو فرد وهم ألوف .

ألعدم وجود أساتذة فيهم لهذه الصناعة كلا، لقد كانت تربة الحجاز خصبة منبتة لأساتذة الفصاحة و البلاغة .

فلم لم يندفعوا إلى معارضته بالمثل ، و هو المعارض لهم بكل ما يستطيع من قوة ، و لماذا اندفعوا إلى مقاتلته دون مقابلته و إلى مقابلة الأسنة دون الألسنة و بالحراب بدل الكتاب ، حتى أفرغوا كنانتهم برى آخر نبلة فيها ولم ينجحوا ، ليت شعرى مم وبم أعجزت عبقرية ذلك الفرد المستضعف فيهم وهم ألوف يعتزون بألوف ؟ و كيف أعجزتهم أسطر و كلمات و حروف ..

ثم ينتقل المؤلف إلى تحليل تلك الدهشة وتعليل بواعثها ، فيقول : جرى بنا أن نحلل هذه الدهشة الغريبة و أسبابها الحقيقية و نقيس أنفسنا (و نحن فى هذا القرن) على أولئك الأساتذة (و إن كانوا فى القرون الأولى) قياساً حسب ذلك المقياس القائل . الناس كالناس و الأيام واحدة ، فاذا عم الاعجاب بالقرآن أساتذة عصرنا الراقى فلا نلوم المعجبين بالقرآن فى القرون الأولى ..

ثم يستشهد بتقدير العلامة (جبر ضومط) فى كتابه (الخواطر الحسان) لآيات القرآن ـ و بلاغتها ، و بشعر و نثر الفيلسوف الدكتور شبلى شميل القائل :

دع من محمد فى صدرى قرآنه ما قد نحاه للحمة الغـــايات

إنى و إن أك قد كفرت بدينه هل أكفرن بمحكم الآيات
و مواعظ لو أنهم عملوا بها ما قيدوا العمرات بالعادات
من دونه الأبطال فى كل الورى من حاضر أو غائب أو آت

كما قال : إن فى القرآن أصولا اجتماعية فيها من المرونة ما يجعلها صالحة الأخذ بها فى كل زمان ومكان .. حتى فى أمر النساء فانه كلفهن بأن يكن محجوبات عن الريب والفواحش ، و أوجب على الرجل أن يتزوج واحدة عند عدم إمكان العـــدل . ..

و القرآن قد فتح أمام البشر أبواب العمل فى الدنيا و الآخرة ، بعد أن أغلق غيره من الأديان تلك الأبواب . ..

و ذكر أن الشيخ ناصف اليزجى أوصى ولده ابراهيم ـ لتقوية براعته فى الأدب العربى قائلا ، « إذا شئت أن تفوق أقرانك فى العلم و الأدب ، و صناعة الانشاء فعليك بحفظ القرآن و نهج البلاغة » . ..

ونوه باعجاب طائفة من نوابغ الفرنجة أمثال كارليل وولز وتولستوى ومونيته بالقرآن الشريف و بعبقرية النبى ﷺ . ..

ثم انتقل إلى موضوع دهشة الأولين الذين قهرتهم عبقرية النبى الأمى وقرآنه فقـال : إذا قام بيننا البناء و الحداد ينظمان القريض الجيد أعجبنا حسن القصيدة من جهة و غرابة من جهة أخرى ، لأنهما عاملان أميان لم يأخـذا من الدراسة و الكتابة حظاً .

فمحمد الأمى المخاطب بآية « و ما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك » ربيب البادية و خريج حى بنى سعد ، ينهض فى أم القرى بدعوى نسخ الأنظمة و تعديل الشرائع و إصلاح العالم ..

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى : إنه أفنى قواه فى معارضة أقوام سفلة ، و كابد الأذى و الأسى من الأفواه و الأيدى ، و قضى حياته فى إدارة الحروب و المغازى ، و هو ما بين هذه و تلك يأتى بكتاب يعجز عن مباراته بلغاء عصره ونوابغ دهره ، رجل كذلك لابد وأن يدهش الناس أمره وحق لهم أن يندهشوا لأن الرجل الأمى قد يفوز بالعبقرية و لكن عبقريته لابد أن تتجه إما إلى ميادين الحروب فيكون من عظماء الفاتحين ، أو تتجه إلى أندية الرأى و مجالس الشورى فيكون من كبار الساسة و الدهاة ..

أما أن يجمع تلكم الحسنيين ويضيف إليهما نبوغاً فى العلم ونبوغاً فى التشريع و القضاء و نبوغاً فى جذب عواطف الخاصة و العامة فلم يسمع به التاريخ ، ولم يسمع به الزمان .. .

و ربما عد الفن وجوده ضرباً من المحال .. .. إذن فالدهشة طبيعية لدى مشاهدة بطل كهذا .. .

بطل العلم و النظم .. .

بطل فى السياسة و الفلسفة معاً .. .

بطل فى الادارة و فى مدرسة الخاصة و العامة جميعاً .. .

بطل فى التشريع و التنفيذ حتى على نفسه و أهله ..

بطل فى كل ذلك ثم هو فوق ذلك أمى غير متعلم ..

وأكثر ما يعجب فيه أنه لم يتخصص بفن واحد من الفنون ، لا فى ألفاظه و نظمه ، ولا فى معانيه و حكمه ، فبينما نراه يتصدر ببلاغة عجمى و أمثال عذبى ، إذا هو يجرى فى ميدان العلم أو مضمار الفلسفة فيبدى من أسرار الطب و الطبيعة و كائنات الأرض و كائنات السماء و نواميس الكون ما لا تفى بشرحه الصحائف

عما نطق به أمس و انكشف سره اليوم ..

و الحالة أنه لم يك يملك شيئاً منها يوم أخبر عنها ..

ثم نراه خائضاً فى تاريخ القرون الخالية و الأمم البائدة ، و غير مستند على آثار و أسفار ثم تأتى الحفريات و الأثريات مصدقتين له و شارحتين إياه بعد قرون و أجيال .. . و كذلك نراه يسن نظاماً ، و يفسخ أحكاماً ، غير مستند فى ذلك إلى مشورات أو مؤتمرات ولكن الظروف الأخيرة ، و التجارب المتعاقبة ، و مؤتمرات عصورنا الحالية تذعن له ، وتعلن اتفاقاً معه ، ذلك عدا الأنباء الغيبية عن أحوال أفراد و أقوام هى و الله بواعث الاعجاب و الدهشة العامة التى اعترت و تعترى الناس من عرب و مستعربة .. كلما تلووا القرآن أو تليت عليهم آياته و فسرت بيناته .. و سنتناول فى نظراتنا الثانية أسس إعجاز القرآن

قال : رأينا فى نظراتنا السابقة نموذجاً شائقاً من التفكير والتحليل فى أسلوب عصرى سائغ جرى به قلم العلامة : « وهبة الدين الحسينى الشهرستانى تمهيداً لبحثه فى القرآن ..

يبدأ علامتنا تحليله بسؤاله : هل تحدى الرسول بالقرآن ثم يقول : صدور التحدى من الرسول لأهل الصنعة أساس ينبغى ثبوته قبل أى شئ آخر ، حتى يكون المعجز معجزة و يكون عدم التصدى بعد التحدى ملزماً للخصم .. .

و يتبع هذا بشواهد الآيات الناطقة بالتحدى ، و منها هذه الآية :

« و إن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله و ادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » .

ولكن فصحاء العرب أعرضوا عن هذا التحدى المتكرر ، وأحجم أبو سفيان عن تجنيد جيش من شعراء الجزيرة و أدبائها لمعارضة القرآن بل جد فى تأليف

جيش من عشرة آلاف مقاتل يخاصم النبى و حزبه .. .

إلى جانب هذا من حاولوا المعارضة ..

ثم نجد أمثال الوليد و لبيد و الأعشى و كعب بن زهير يذعنون لسمو معانى القرآن و بلاغته و قد كانوا معدودين أساطين البلاغة فى زمنهم ..

و تؤثر روعة القرآن فى نفوس العرب فيرفعون القصائد السبع المعلقات من حول الكعبة و هى خير ما جادت قرائح الشعراء العباقرة أمثال : امرىء القيس ، و طرفة بن العبد ، و كعب بن زهير ، و عمرو بن كلثوم ، خجلا منهم و انفعالا كالذى زين البيت بقناديل الزيت ، ثم سطعت من حولهن مصابيح الكهرباء القوية ـ على حد تعبير المؤلف .

وقد حاول أفذاذ من الأدباء بعد معارضة القرآن فلم يوفقوا ، وذكر المؤلف عدداً منهم و لعل أشهرهم عبد الله بن المقفع .. .

ثم استشهد المولف بآراء نخبة من أعلام الفرنجة النقاد وكبار الأدباء فى تقدير مزايا القرآن و أسرار إعجازه .. .

و ينتقل المؤلف بعد ذلك إلى تشريح هذه المزايا ، فيعد منها ثمانية وعشرين كرؤوس أقلام ثم يتناول وجوه الاعجاز على المحك و يقارن بين الشاهنامة الفارسية فى امتيازها و القرآن العربى فى إعجازه على سبيل المثال .. .

ثم يذكر النظريات السبع للعلماء فى وجه الاعجاز و أهمها صدور القرآن من أمى و بلاغته و غرابة أسلوبه ، و أنباؤه الغريبة الصادقة .. ،

وحرى بنا أن نذكر هنا مع تلك المزايا الاجمالية التى سردها المؤلف بعض أسرار الاعجاز فى القرآن ، ألا و هى :

١ـ فصاحة ألفاظه الجامعة لكل شرائطها .

٢ـ بلاغته بالمعنى الاصطلاحى المشهور ، أى موافقة الكلام لمقتضى الحال ، و مناسبات المقام ، أو بلاغته الذوقية المنسوبة .

٣ـ مسحة البداوة ، أى عروبة العبارات الممثلة لسذاجة البداوة مع اشتمالها على بسائط الحضارة .

٤ـ توفر المحاسن الطبيعية فوق المحاسن البديعية .

٥ـ إيجاز بالغ حد الروعة بدون أن يخل بالمقصود .. .

٦ـ إطناب غير ممل فى تكراره .

٧ـ سمو المعنى و علو المرمى فى قصد الكمال الأسمى .

٨ـ طلاوة أساليبه الفطرية و مقاطعه المبهجة و أوزانه المتنوعة .

٩ـ فواصله الحسنى و أسجاعه المطبوعة .

١٠ـ أنباؤه الغيبية و إخباره عن كوامن الزمان و خفايا الأمور .

١١ـ أسرار علمية لم تهتد العقول إليها بعد عصر القرآن إلا بمعونة الأدوات الدقيقة و الآلات الرقيقة المستحدثة ..

١٢ـ تناوله لغوامض أحوال المجتمع ، وآداب أخلاقية تهذب الأفراد وتصلح شؤون العائلات ،

١٣ـ احتواؤه على قوانين حكيمة فى فقه تشريعى يفوق ما فى التوراة والانجيل و كتب الشرائع الأخرى ..

١٤ـ سلامته من التعارض و التناقض و الاختلاف ..

١٥ـ خلوصه من تنافر الحروف و تنافى المقاصد ..

١٦ـ ظهوره على لسان بدوى أمى لم يعرف الدراسة ، و لا ألف محاضرة العلماء ولا جاب الممالك سائحاً مستكملا ثقافته ..

١٧- طراوته فى كل زمن أى كونه غضاً طرياً كلما تلى و أينما تلى .. .

١٨- اشتماله على السهل الممتنع الذى يعد فى الشعر ملاك الاعجاز و التفوق النهـــائى ..

١٩- طواعية عبارته لتحمل الوجوه وتشابه المعانى فى حدود الدقة الفقهية.

٢٠- قصصه الحلوة و كشوفه التاريخية عن حوادث القرون الخالية ..

٢١- أمثاله الحسنى التى تجعل المعقول محسوساً ، و تجعل الغائب عن الذهن حاضراً لديه .

٢٢- معارفه الالهية كأحسن كتاب فى علم اللاهوت ، و كشف أسرار عالم الملكوت و أوسع سفر عن مراحل المبدء و المعاد ..

٢٣- خطاباته البديعة و طرق إقناعه الفذة ..

٢٤- تعاليمه العسكرية و مناهجه فى سبيل الصلح و قواعد الحرب

٢٥- سلامته من الخرافات و الأباطيل التى من شأنها إجهاز العلم عليها كلما تكاملت أصوله و فروعه .

٢٦- قوة الحجة و تفوق المنطق .

٢٧- اشتماله على الرموز فى فواتح السور ، و دهشة الفكر حولها و حول غيرها مما لا يبعثه على التساؤل .

٢٨- جذباته الروحية الخلابة للألباب، الساحرة للعقول ، الفاتنة للنفوس.

و مما لا شك فيه أن الاعجاز القرآنى ـ بعد كل ما ذكرنا لا يتجلى فى عصر أكثر ما يتجلى فى عصرنا بعد أن انتشرت مناهج البحث العلمى ، و النقد التاريخى و الأدبى .

فلا زال القرآن ـ مع ما شهدته العصور الأخيرة من رقى أدبى وعلمى يثبت

فى هيمنة رفيعة صفته الاعجازية و نسبته الالهية المحيطة الشاملة و إنه نسيج يـانى
وحده ، و لم يقف إعجازه شامخاً متفرداً أمام الكتب السماوية الأخرى التى
أصابها من التحريف ما أصابها فحسب .. . و لكنه بقى معجزاً أمام
العقل العلمى المعاصر مع كل جولات هذا العقل ، و نواحى
بروزه .. وأمام النقد الأدبى « والأدب المقارن »
بالرغم من المدارس النقدية التى ظهرت !
ولو ارتفع المسلمون عقلياً و عملياً
إلى المستوى الذى رسمه
لهم كتاب دينهم
المعجز
لكان من أمر
حاضرهم غير ما نرى ،
ولكان مستقبلهم أعز وأكرم ..
« إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم »
صدق الله العظيم



دور الحديث
في
تكوين المناخ الإسلامي وصيانته

[[٢]]

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

شهادة التاريخ لتأثير الحديث وكتب السنة في الاصلاح و التجديد :

و يشهد بهذه الحقيقة تاريخ الاسلام و المسلمين نفسه ، فكلما ضعفت صلتهم بكتب الحديث و السنة و معرفتهم بها ، على كثرة وجود الدعاة إلى الله ، و المشتغلين بتزكية النفوس و تهذيب الأخلاق ، والزهد في الدنيا و العمل بالسنة ، و طالت هذه الفترة ، غزت المجتمع الاسلامي ، الزاخر بأصحاب الاختصاص العلوم الاسلامية ، المتبحرين في العلوم الحكمية و الأدبية ، وفي عهد غلبة الاسلام و حكم المسلمين ، بدع طريفة و تقاليد عجمية ، و أعراف دخيلة ، حتى كاد يكون نسخة من مجتمع جاهلي ، و صدقت النبوة المحمدية و الحديث الصحيح : « لتركبن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر ، و ذراعاً بذراع (١) » وخفت صوت الاصلاح و خبا مصباح العلم .

و من شاء فليستعرض الموضع الديني و واقع حياة المسلمين في القرن العاشر الهجري في الهند ، القرن الذي كادت صلة الأوساط الدينية و العلمية في شبه القارة الهندية ، تنقطع عن علم الحديث الشريف و مصادر السنة الصحيحة ، و كانت تعيش في عزلة عن مراكز العلم الديني ، و تدريس الحديث الشريف ، في الحجاز

(١) رواه الحاكم .

و الیمن ، و مصر و الشام ، و أصبحت مقتصرة علی کتب المذهب و شروحها و تدقیقاتها و کتب الأصول والحکمة ، کیف فشت فیها البدع و عمت المنکرات ، و استحدثت أشکال متنوعة للعبادات والقربات ، و راجت سجدة التحیة ، و اتخذت القبور مساجد ، و أوقدت علیها السرج ، و کثرت الأعیاد الدینیة و الاحتفالات فی أیام وفاة الأولیاء و الصالحین ، و عمرت المشاهد و أصبحت کعبة القاصدین ، حتی قیض الله لهذه البلاد أئمة مصلحین و علماء ربانیین ، کالامام أحمد بن عبد الأحد السرهندی (م ١٠٣٤ه) الذی أنکر علی شعائر الشرك ، و التقالید غیر الاسلامیة الهندیة إنکاراً شدیداً ، وأنکر وجود « البدعة الحسنة» بالاطلاق و أنکر علی وحدة الوجود ، و دعا إلی التمسك بالسنة ، و محاربة البدعة دعوة واضحة مجلجلة ، و قال کلمته التاریخیة المأثورة :

« نحن فی حاجة إلی کلام محمد العربی صلی الله علیه و آله وسلم ، لسنا فی حاجة إلی کلام الشیخ محی الدین ابن عربی ، أو صدر الدین القونوی و الشیخ عبد الرزاق الکاشی ، و إلی « النصوص » لا إلی « الفصوص (١) » ، إن الفتوحات المدنیة أغنتنا عن « الفتوحات المکیة (٢) » .

و شمر معاصره العلامـــة عبـــد الحق بن سیف الدین البخاری الدهلوی (م ١٠٥٢ه) عن ساق الجد فی نشر الحدیث الشریف ، و شرحه و تدریسه ، و تلاهما شیخ الاسلام أحمد بن عبد الرحیم المعروف بولی الله الدهلوی صاحب « حجة الله البالغة » (م ١١٧٦ه) وأبناؤه النجباء ، و تلامیذه النبغاء ، و قاموا

(١) و (٢) إشارة إلی کتـــاب الشیخ ابن عربی المشهور « فصوص الحکم » و کتابه الکبیر « الفتوحات المکیة » ، مقتبس من رسالة رقم ٢/١٠٠ ، مجموع رسائل الشیخ المجدد .

بتعليم كتاب الله وسنة رسوله ، وشرح العقيدة الاسلامية الحنيفية ، ونادوا بالدين الخالص ، و قاموا بتدريس الصحاح السنة و نشرها وتقريرها فى المناهج الدراسية ، حتى نفقت سوق السنة و قامت دولة الحديث فى هذه الربوع البعيدة عن مركز الاسلام ، حتى أصبحت منتجعاً لرواد علم الحديث ، و منهلا عذباً لطالبى التوسع و التحقيق ، و قامت حركات إصلاحية من أقوى حركات الاصلاح و التجديد فى العالم الاسلامى كله فى القرن الثالث عشر ، وحسب القارىء أن يقرأ تاريخ حركة الامامين الشهيدين السيد أحمد بن عرفان الشهيد ، و الشيخ محمد إسماعيل الشهيد (١٢٤٦هـ) الاصلاحية الشاملة (١) ، التى جعلت البلاد غير البلاد و الشعب غير الشعب ، و هبت بها رياح الايمان و الحماس الاسلامى ، و الغيرة على دين الله و على عقيدته الصافية ، قوية جددت ذكريات القرون المشهود لها بالخير و أخبار الأولين ، و قد أحيت هذه الحركة الاصلاحية و الدعوة إلى الدين الخالص كثيراً من السنن التى أميتت ، و قضت على كثير من البدع والمحدثات و العادات الجاهلية التى كانت لها جولة وصولة ، و ذلك كله بفضل ظهور آثار السنة و نشر الحديث ، و إنى واثق بأنه إذا لم يكن وجود لكتب السنة و دواوين الحديث ، و لم يكن سبيل إلى معرفة السنن و التمييز بينها وبين البدع ، لم يكن وجود لهؤلاء المصلحين الكبار والأئمة الأعلام ، الذين يتجمل بهم تاريخ الاسلام ، من عهد شيخ الاسلام الحافظ ابن تيمية (م٧٢٨هـ) إلى عهد شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب (م١٢٠٦هـ) و معاصريه من المصلحين و المربين ، و من نبغ بعده من رجال

(١) ليرجع للتفصيل إلى كتاب المحاضر « إذا هبت ريح الايمان » طبع بيروت ، ورسالة « الامام الذى لم يوف حقه من الانصاف والاعتراف » طبع لكهنو و القاهرة .

الدعوة و الاصلاح ، كالعلامة محمد بن علی الشوكانی (م ١٢٥٥ھ) و الأمير محمد ابن إسماعيل الصنعانی (م ١١٨٢ھ) و أحمد بن عبد الله بن إدريس الحسنی (م ١٢٥٣ھ) ، و السيد عبد الله الغزنوی الأمرتسری الشيخ محمد أعظم الكابلی (م ١٢٩٨ھ) و الشيخ رشيد أحمد الكنكوهی (م ١٣٢٣ھ) و الشيخ حسين علی الوانی (م ١٣٦٣ھ) و الشيخ غلام رسول القلعوی (م ١٢٩١ھ) و غيرهم (١) ، و هی قصة كثير من الأقطار العربية كالعراق و الشام و مصر ، و تونس و الجزائر ، و المغرب الأقصی والبلاد العجمية كأفغانستان وتركستان ، إلا أننا اقتصرنا علی الحديث عن الهند ، رغبة فی الاختصار ، ولأن المحاضر يعرفها عن كثب لا عن كتب .

الحديث سجل الجو الايمانی الأول و خلده للأجيال القادمة :

و من دلائل كون الاسلام هو الدين الالهی الأخير ، و الرسالة الالهية الخالدة ، الباقية ، أنه لم يمن المسلمون بالعزلة الفكرية ، و الارتجال العملی والسلوكی الذی منيت به أتباع الديانات القديمة ، لعدم وجود الرصيد الدينی ، والركيزة العلمية ، أما المسلمون فقد سجل الحديث النبوی الشريف ، لهم للأبد ، ذلك الجو الايمانی و الروحانی الذی عاش فيه و تربی الصحابة الكرام رضی الله عنهم ، و الكيفيات النفسية و الروحية التی لابست حياتهم ، و واكبتها طول الطريق ، و بذلك فقد أمكن للأجيال المتلاحقة القادمة من المسلمين ، أن تصل بقفزة واحدة إلی الجو الذی تنور بوجود شخصية النبی صلی الله عليه و آله وسلم ، يتكلم و الصحابة كلهم

(١) اقرأ تراجم أعلام الهند فی كتاب « نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر » للعلامة عبد الحی الحسنی ، ج ٧ و ٨ ، طبع دائرة المعارف ، حيدر آباد (الهند) .

آذان صاغية ، و قلوب واعية ، كأن على رؤسهم الطير ، تتجلى فيه مواقف العمل بجانب الأحكام ، و بجانب أشكال العمل تتمثل مشاهد العواطف و الكيفيات ، يستطيع فيـه المرء أن يقدر بدوره أن أى نوع من الأعمال و الأخلاق يخلقه الايمان ، و أن أى نوع من الحياة يوجده اليقين فى الآخرة ؟ أنها نافذة يستطيع المرء أن يطل منها على حياة النبى صلى الله عليه و آله وسلم العائلية ، ومشهد الحياة فى بيته ، و أشغاله فى الليالى ، و عيشة أهل بيته ، و يمكنه أن يرى مشهد سجوده بعينيه . و يسمع دعاءه و مناجاته بأذنيه ، و هنالك هل يمكن العيون ـ التى ترى عينيه مستعبرتين و قدميـه متورمتين ـ و الآذان التى تسمع « أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً (١) » ، أن تمنى بالغفلة و التقصير ، إن العيون التى شهدت أن يمضى هلال بعد هلال ، ولا توقد نار فى بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، و رأت بطنه معصوباً بحجرين ، و إن الحصير قد أثر فى ظهره ، و رأت أنه لا يقصد فراشه فى الليل حتى يفرق الذهب و الفضة المتبقيين ، و لا يقر له قرار حتى ينتهى من ذلك ، ورأت عند مرض وفاته أن الزيت لانارة السراج يستقرض من بيت الجـار ، و كيف تغيب عنهـا حقيقة الدنيا ، إن الذى شهد أنه كيف يخدم أهل بيته ، و يحنو على صغاره ، و يتسامح مع خدمه ، و يعطف على رفاقه ، ويرحم أصحابه ، ويرفق بأعدائه ، أنى يقصد سواه ليتلقى درس الانسانية الكاملة ، و يتعلم مكارم الأخلاق .

المجتمع الاسلامى بألوانه المختلفة والحياة بحقائقها المتنوعة فى مرآة الحديث :

و إن هذا الجو لايستفيد فيه المرء من شخصية النبى صلى الله عليه وآله وسلم وحدها و إنما سيجد أبواب بيوت الصحابة مفتوحة على مصراعيها ، و سيشهد ،

(١) متفق عليه .

دون ما عصر و كلفه ، حياة بيوتهم و أوساطها ، يراهم رهباناً فى الليل ، فرساناً بالنهار ، و يرى مشاغلهم فى الأسواق ، و تفرغهم فى المساجـــد ، و يرى فيهم التواضع و الايثار ، و الاشتغال بالله عن النفس و إغراء النفس الأمارة بالسوء ، و طاعتهم الكاملة غالباً ، و سقطاتهم البشرية أحياناً ، هناك تتمثل أمام العين قصة إيثار أبى طلحة الأنصارى ، وقصه تخلف سيدنا كعب بن مالك من غزوة تبوك ، و امتحان حبه للرسول و وفائه للاسلام ، و شهادته على نفسه ، و استقامتـــه فى هذه المحنة ، ثم توبة الله عليه ، توبة مقرونة بالتوبة على الرسول و الخارجين فى الغزوة ، تكريماً له ، و تطييباً لقلبه و وقايته من « مركب النقص » ، و كذلك قصة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها و موقفها الحساس الدقيق فى قصـة الافك ، و إيمانها وغيرتها وعزة نفسها ، ثم نزول براءتها من فوق سبع سماوات ، وموقف أبى بكر الصديق فى هذا الموقف الحساس الدقيق المثير للغيرة و الطبيعة البشرية ، و صدقه و استقامته فيه ، و عودته إلى البر بمن آذاه فى أعز شيء إليه ، و بالجملة فان ذلك جو طبيعى تتجلى فيه الحياة بحقائقها المتنوعة ، و ألوانها المختلفة و الطبيعة البشرية بمظاهرها و خصائصها ، و حواها الحديث النبوى الشريف ، و سجلها باقية إلى يوم القيامة .

و بقاء صورة العهد النبوى — بجانب القرآن الكريم — مسجلة ، و بقاء حديث صاحب النبوة ، و صورة جو عهدها ، معجزة من معجزات الاسلام ، ومزية من مزاياه ، التى لاتشاركه فيها ديانة . إن الدين الذى جاء ليبقى إلى يوم القيامة و يقدم للأجيال القادمة نماذج عملية و يوفر دواعى العمل و نوازعه ، و يغذى العقل و القلب فى وقت واحد ، لا يمكنه أن يعيش بدون الجو ، و هذا الجو قد بات مصوناً محفوظاً بفضل الحديث .

عناية المسلمين بتدوين الحديث و خدمته ، تقدير العزيز العليم :

إن دراسة تاريخ تدوين الحديث تدل دلالة واضحة على أن ذلك لم يكن صدفة ، أو بدعة أحدثها الناس فى العصور الأخيرة ، إن عناية الصحابة بكتابة الحديث على العهد النبوى ، و تقييد عدد وجيه من الحديث ، ثم عناية التابعين ـ منذ أواخر عهد الصحابة بالذات ـ بتدوين الحديث و ترتيبه ، و تقاطر طلاب العلم من خراسان و تركستان ، و هيامهم بجمع الحديث ، و شغفهم باستظهاره ، و حفظه ، و ذاكرتهم القوية المدهشة ، و عزيمتهم و علو همتهم ، ثم وجود المجتهدين فى فن أسماء الرجال و فن الرواية ، الذين كانت لهم قدم راسخة و ملكة قوية ، و نظر ثاقب فى هذه الناحية ، ثم تفرغهم لذلك ، و انقطاعهم إليه ، و انشغالهم به عن نفوسهم و ملذاتهم ، ثم إقبال الأمة على الحديث إقبالا كلياً ، و شغفها بحديث رسولها شغفاً لا يوجد له نظير فى تاريخ الأمم ، و قيامها بحفظه و دراسته و نشره قياماً لا مزيد عليه ، و اشتغالها به من نواح شتى (١) ، إن ذلك كله دليل واضح على أن الله تعالى كان يريد ـ كجمع القرآن ـ صيانة « صحيفة هذه الحياة » ، وبفضل ذلك بقى امتداد الحياة المباركة ـ على صاحبها الصلاة و السلام ـ و ظلت الأمة فى كل دور من أدوارها تتمتع بذلك التراث الروحانى و الطبيعى ، و الملى و الايمانى ، الذى سعد به الصحابة رضى الله عنهم مباشرة .

(١) راجع للتفصيل كتاب « رجال الفكر و الدعوة فى الاسلام » ، ج / ١ ، عنوان : « المحدثون وعلو همتهم » ، ص /١٠٢ ـ ١٠٣ ، والكتاب القيم « السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى » لدكتور مصطفى السباعى ، عنوان : « تدوين السنة » ، ص / ١٢١ ـ ١٢٥ .

توارث الأمة الذوق الدينی و المزاج الاسلامی :

وعلى ذلك فلم يعمر التوارث فی خصوص العقائد والأحكام ، و إنما جرى و كذلك فی الذوق و المزاج ، و العقلية و النفسية ، و بفعل الحديث ظل ذوق الصحابة ينتقل من جيل إلى جيل ، و من عهد إلى عهد ، و من طبقة إلى طبقة ، و لم يأت فی تاريخ الأمة الطويل حين من الدهر ، فقد فيه هذا الذوق كلياً ، فقد وجد فی كل عصر رجال يعدون بحق من حاملی ذوق الصحابة ، رغبة فی العبادة ، و تقوى من الله و خشية منه ، و استقامة و عزيمة ، وتواضع واحتساب نفس ، و حنين إلى الآخرة و رغبة عن الدنيا و عناية زائدة بالأمر بالمعروف والنهی عن المنكر ، و كراهية شديدة للبدع ، و نزعة قوية إلى اتباع السنة الأمر الذی لا يحصل إلا بالانشغال بدراسة الحديث و العكوف عليه ، تعلماً و فهماً ، و تعليماً و تدريساً ، و شرحاً و تدويناً ، أو بملازمة أولئك الذين اقتبسوا من مشكاة النبوة ، و كان لهم نصيب غير منقوص من هذا التراث النبوی ، و ظلت الأمة تتوارث هذا الذوق عبر عصورها ، منذ القرن الأول إلى هذا القرن الرابع عشر الهجری ، رغم طابع المادية و التدهور الذی يتسم به هذا العهد ، و لا تزال هذه الثروة القيمة باقية ، و الاستفادة منها قائمة .

دافع جديد إلى إنكار الحديث و السنة :

و قد علل العالم الغربی المهتدی محمد أسد (ليو بولد ويس سابقاً) التنصل من السنة و نزعة إنكار الحديث - التی ظهرت طلائعها فی الفترة الأخيرة - فی ضوء معرفته لنفسية الجيل الجديد ، وقوة سيطرة الحضارة الغربية ، بصعوبة التطبيق بين موازين الحضارة الغربية و قيمها و أساليب حياتها و « موضاتها » ، و بين السنة و الجمع بين الحياة التی تقوم على الحب العميق و الثقة التامة بصاحب الرسالة الاسلامية ، و مصدر السنة النبوية - عليه الصلاة و السلام - و بين تقديس

الحضارة الغربية و النظر إليها كآخر ما وصل إليه العلم الانسانى ، و لعل هذا هو السبب الذى يحث بعض القادة السياسيين و الحكام ، فى بعض الشعوب الاسلامية و الأقطار العربية ، على الهجوم على السنة و إنكار الحديث ، يقول محمد أسد :

« و فى هذه الأيام التى زاد فيها نفوذ المدنية الغربية فى البلاد الاسلامية ، نجد سبباً جديداً يضاف إلى الموقف المستغرب الذى يقفه من نسميهم « متنورى المسلمين » من هذه القضية ، ذلك هو قولهم أنه من المستحيل أن نعيش على سنة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن نتبع الطريقة الغربية فى الحياة فى آن واحد ، ثم إن الجيل المسلم الحاضر مستعد لأن يكبر كل شئ غربى ، و أن يتعبد لكل مدنية أجنبية ، لأنها أجنبية ، ولأنها قوية و براقة من الناحية المادية ، هذا التفرنج كان أقوى الأسباب التى جعلت أحاديث النبى عليه الصلاة و السلام ، و جعلت جميع نظام السنة معها لا تجد قبولا فى يومنا هذا ، إن السنة تعارض الآراء الأساسية التى تقوم عليها المدنية الغربية معارضة صريحة ، حتى إن أولئك الذين خلبتهم الثانية (المدنية الغربية) ، لا يجدون مخرجاً من مأزقهم هذا إلا برفض السنة ، على أنها غير واجبة الاتباع على المسلمين ، ذلك لأنها قائمة على أحاديث لا يوثق بها ، وبعد هذه المحاكمة الوجيزة يصبح تحريف تعاليم القرآن الكريم ، لكى تظهر موافقة لروح المدنية الغربية أكثر سهولة (١) » .

التشكيك فى حجية الحديث و إنكار السنة
مؤامرة على الاسلام ، ستبوء بالخيبة و الاخفاق :

و الذين يحاولون أن يحرموا الأمة هذا المنبع الفياض للحياة و الهداية و القوة ، بإثارة الشك و الارتياب فى حجية الحديث و قيمته ، و زحزحة ثقتها به ، إنهم لا يدرون مدى الضرر و الخسارة التى يلحقونها بها ، إنهم لا يدرون

(١) « الاسلام على مفترق الطرق » ، ص/ ٩٥ - ٩٦ ترجمة الدكتور عمر فروخ ، طبع دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٥١م .

أنهم يكونون بذلك قد جعلوا أمتهم « محرومة الارث» محذوفة الصدر « مقطوعة الأصل » ، حائرة تائهة ، كما صنع أعداء اليهودية و المسيحية ، أو حدثان الدهر معهما ، فلو أنهم يصنعون ذلك عن شعور و وعى ، لما كان لهذه الأمة و دينها عدو ألد منهم وأحنق ، لأنه لاتعود إذن هناك وسيلة إلى إنشاء هذا الذوق الدينى من جديد ، الذوق الذى كان يمتاز به الصحابة رضى الله عنهم والذى لا يمكن أن يوجد إلا بصحبة النبى صلى الله عليه و آله وسلم مباشرة ، أو بواسطة الحديث الذى هو صورة حية لذلك العهد ، و مذكرة ناطقة للحياة النبوية تزخر بكيفيات العهد النبوى ، و تتعطر بأريجه و تفوح برياه .

وقد أحسن الأستاذ محمد أسد فى كتابه القيم « الاسلام على مفترق الطرق » تشخيص هذا الداء للاسلام و مدى خطر هذه المؤامرة التى تحاول تجريد المجتمع الاسلامى من هذه القوة التى لاعوض عنها ، وهذه الثروة التى لامثيل لها ، فيقول :

« لقد كان السنة الهيكل الحديدى الذى قام عليه صرح الاسلام ، وإنك إذا أزلت هيكل بناء ما ، أفيد هشك بعدئذ أن يقوض ذلك البناء ، كأنه بيت من ورق (١) » .

و يتحدث عن تأثير إنكار الحديث و ضرورة اتباع السنة ، فيذكر نتيجة ذلك و يقول :

« و لكن تلك المنزلة الممتازة التى للاسلام — على أنه نظام خلق و عمل ، و نظام شخصى و اجتماعى — تنتهى بهذه الطريقة (يعنى بانكار الحديث وضرورة اتباع السنة) إلى التهافت و الاندثار (٢) » .

و بالرغم من هذه المحاولات الطائشة للتشكيك فى حجية الحديث و الدعوة إلى إنكار السنة التى ظهرت على مستويات مختلفة و بدوافع متنوعة ، عقائدية ،

(١) « الاسلام على مفترق الطرق» ص / ٨٥ .
(٢) نفس المصدر ، ص / ٩٥ .

و سياسية ، و شخصية ، وللهروب من مسئولية العمل بالأحكام الشرعية ، والالتزام الدينی ، فی فترات مختلفة (١) ، لم يزل شعار السنة عالياً ، و الدعوة إليها قائمة ، و قد عجنت بها طينة المجتمع الاسلامی ، و تغلغلت فی أحشائه ، و جرت منه مجری الروح و الدم ، حتی أصبح من المستحيل تجريده منها ، وإقامة مجتمع جديد علی مجرد الدعوة إلی القرآن الذی اقترن بعمل الرسول صلی الله عليه وسلم وشرحه له ، وتفصيل ما جاء فيه مجملا « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم (٢) » ، و لا يزال الحديث النبوی الشريف معتنی به ، دراسة و تفهماً و تحقيقاً و نشراً لمصادره التی لم ترضوه الشمس بعد ، ولا تزال الحسبة قائمة علی المجتمع الاسلامی ، و الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر ، و الرد علی البدع و المحدثات علی قدم و ساق ، بما فی ذلك من تقليد الحضارة الغربية التقليد الأعمی ، و الردة العقائدية والفكرية و الحضارية ، و قبول المدنية الغربية برمتها و بحذافيرها ، وعلی علاتها ، و مخالفاتها للحياة الاسلامية ، بفضل الاحتكام إلی السنة و الرجوع إلی الحديث ، تحقيقاً لما أخبر به النبی صلی الله عليه وآله وسلم : « لاتزال طائفة من أمتی قوامة علی أمر الله لا يضرها من خالفها (٣) » ، و فی حديث آخر : « لا تزال طائفة من أمتی ظاهرين علی الحق حتی تقوم الساعة (٤) » .

إن شأن المشككين فی حجية الحديث و الحاملين للواء إنكار السنة ، مع الحديث النبوی و السنة المطهرة ، كما حكاه الشاعر العربی القديم :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها، وأوهی قرنه الوعل

---

(١) ليراجع للتفصيل الباب الثانی من كتاب «السنة ومكانتها فی التشريع الاسلامی» فی الشبه الواردة علی السنة فی مختلف العصور ، ص / ١٤٣ إلی ١٥٣ .

(٢) النحل — ٤٤ . (٣) رواه ابن ماجة .

(٤) رواه الحاكم .

حديث مع الأستاذ أنور الجندى

[أجرى الدكتور عبد الحليم عويس حديثاً ضافياً مع الأستاذ أنور الجندى عضو المجلس الأعلى للشئون الاسلامية و عضو اتحاد الكتاب وعضو نقابة الصحفيين بالقاهرة ، و ذلك لنشره فى إحدى المجلات الاسلامية ، وقد حصلنا على صورة من هذا الحديث نقدمها مع تعريف موجز للكاتب الاسلامى الذى قدم فى ميدان التأليف عدداً من الدراسات الموسعة فى مجال الأدب و التاريخ و الصحافة . وفى مقدمتها (معلمة الاسلام) التى صدر منها حتى الآن خمسون حلقة وسلسلة (فى دائرة الصور) ٣٠ حلقة و(على طريق الأصالة الاسلامية) ٢٠ حلقة ، و قد كتب الأستاذ أنور الجندى فى مجلة البعث الاسلامى منذ سنوات عديدة وشارك بأبحاثه فى مؤتمرى الأدب و الاستشراق]

يقول :

تجيء هذه المقابلة فى أوائل العام الثانى من القرن الخامس عشر الهجرى : أى بعد خمسين سنة كاملة من اليوم الذى بدأت أحمل فيه القلم للكتابة ، و لكن شتان ما بين البدء و الختام ، فهى جولة طويلة خلال خمسة عقود نحمد الله أنها بعد فترة من التهويم سرعان ما عرفت طريقها فى صبيح هذا القلم منذ بدأت مرحلة الوعى خالصاً لله تبارك و تعالى ، فقد تكشف لى فى هذه السن الباكرة ، و فى هذا العام بالذات ١٣٥١هـ الموافق ١٩٢٣ع ، وأنا بعد فى السادسة عشرة ، تلك الخطة

المدبرة لتغريب الشرق و الاسلام و العرب ، و لعل هذا هو موقع التحدى فى حياتى كلها ، و من هذه النقطة كانت وجهتى التى توجهت إليها و أعيش لها ، فقبل أن أعرف حقيقة مفهوم الاسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع ، كنت قد قرأت كتاب هاملتون جب (وجهة الاسلام) ملخصاً على صفحات السياسة الأسبوعية بقلم الدكتور محمد حسين هيكل وفهمت هذا الخطر الزاحف ، خطر تغريب الاسلام و الشرق والعرب ، ومنذ ذلك الوقت لم تغب عنى لحظة هذه القضية الكبرى التى شغلتنى من بعد شغلا جماً ، خلال هذه الرحلة الشاقة الطويلة التى لم أتوقف خلالها عن كشف الشبهات والرد على الاتهامات و قد خضت هذه المرحلة الطويلة فلم أدع نصاً أو كتاباً أو شبهة ـ مما وقع تحت يدى ـ و مما وجه إلى الاسلام و رسوله وتاريخه ، أو إلى اللغة العربية إلا حاصرتها وكشفت زيفها وأثبت وجه الحق فيها .

نعم : هو طريق طويل على هدف واضح و لكنه يتمثل فى بعض مراحله بالقوة وبالضعف ، و ربما تكشفت لى أخطاء جريت وراءها ثمة ، ثم عدت لأصححها و هى أخطاء جاءت نتيجة نقص العلم بأبعاد الأمور ، و خاصة فيما يتعلق بتاريخ بعض الذين أبرزتهم مدرسة التغريب من الشعوبيين والفلاسفة القدامى والغربيين وما يتعلق بشخصيات الأدب و التاريخ و بالدولة العثمانية و السلطان عبد الحميد .

كنت أعرف الاستعمار و مخططاته فى السيطرة و الاحتواء ، و لكن أحداً لم يكن قبل « هاملتون جب » قد كشف من هذه المؤامرة الخطيرة على هذا النحو حين قال إن الغرب يدبر منذ وقت بعيد محاولة لتغريب الأمة الاسلامية وذلك باحتوائها و إذابتها فى أتون الأممية والعالمية عن طريق تطبيق القانون الوضعى و اقتصاد الربا و مناهج التعليم الغربية والعلمانية ، ذلك حتى تفقد هذه الأمة ذاتيتها و كيانها الذى صنعه الاسلام .

كان هذا المعنى جديداً بالنسبة لجيلنا الناشئ إذ ذاك ، و حتى بالنسبة للذين كنا نقرأ لهم ولا نفهم الوجه أو الهدف عما يلقون من سموم ، أمثال طه حسين و سلامه موسى و محمود عزمى وجيل جاء بعدهم ، ثم جاءت مؤامرة التبشير الغربى فى المعاهد التعليمية كاشفة عن هذا الخطر ، وكان الحديث عن الاستشراق وأخطاره ما زال جديداً لم ينكشف بعد على هذه الصورة ، و من ثم بدأت مع هذا الخيط الرفيع و هدانى الحق تبارك وتعالى إلى طريق الفهم والوجه ، حين فهمت الاسلام فهماً صحيحاً ، و من ثم وهبت قلبى منذ ذلك الوقت لهذا الخطر وهذا التحدى فى مختلف مجالات الفكر الاسلامى ، فلم أدع مجالا من مجالات الأدب والفلسفة والتاريخ و اللغة و دراسات الاجتماع و الاقتصاد والتربية والأخلاق إلا مضيت أبحث فيها عن الأصالة و أكشف عن الزيف و أصحح المفاهيم و أحرر القيم ، ولا أزكى على الله أحداً فقد كنت واحداً مغموراً من جيل جديد من الدعاة إلى الله كلهم أشد قوة منى و أعظم أثراً و لكنى تابعت طريقهم فلم أتوقف داعياً إلى الخروج من التبعية إلى الأصالة و من التقليد إلى الرشد الفكرى فنرجو أن يجعل الله لنا — أجر العاملين فى هذا السبيل ـ و قد مضى إلى الله تبارك و تعالى منهم أعلام كنا خلف خطوهم ، و بقى أعلام « فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلا » .

س .. أعمالكم العلمية : المحاور و أبرز المؤلفات فى كل محور

ج .. كانت الأعمال العلمية استجابة للتحدى ، فقد جاءت كتابة تاريخ الأدب العربى المعاصر فى مواجهة الكتابات الاقليمية ، التى تقول بأدب مصرى و أدب شامى وهكذا ، فأحببت أن أقدم الأدب العربى فى الوطن العربى كله واحدة واحدة.

وكذلك كانت هناك صيحة تسأل : أين أعلامنا وأين أبطالنا المعاصرون فى كل

الميادين ؟ و من ثم فقد حاولت أن أقدم موسوعة كاملة لأعلام الأدب و أخرى لأعلام أطلقت عليهم (أعلام وأصحاب أقلام) ومجموعة أخرى لقادة الحركات الوطنية و القومية و زعماء الطب و القانون و الاقتصاد و البيان و اللغة .

أما الأدب فقد كانت موسوعة معالم الأدب العربى المعاصر ، تضم أعلام النثر ، و الشعر ، و القصة ، واللغة ، والترجمة ، وأدب المرأة ، و كانت دراستى (خصائص الأدب العربى فى مواجهة المذاهب الوافدة) عصارة عملى كله فى هذا المجـــــال .

و كذلك حاولت أن أقدم دراسة موجزة لتاريخ الاسلام كله ، عند ما سألنى صديق عما إذا كانت توجد مثل هذه الدراسة المتحررة من قيود الدول و العصور وتقسيمات البلاد والأقطار وقد كانت هذه المحاولة كتابى (الاسلام وحركة التاريخ)

ثم كانت (معلمة الاسلام) التى قدرنا أن تضم ٩٩ مصطلحاً من المصطلحات المنثورة الآن فى مجال الثقافة من خلال وجهة نظر الاسلام إليها و قد صدر منها خمسون حلقة .

و هناك دراسات حول التبشير و الاستشراق و محاولات التغريب و الغزو الثقافى و الشبهات المثارة فى مختلف ميادين السياسة و الاقتصاد و الاجتماع نرجو أن تكتمل فى إطار منهج كامل جامع .

و الله وحده هو القادر على تحقيق الرجاء .

و لا أستطيع أن أقول إلا أن هذا العمل هو من نتاج الفكر الاسلامى الأصيل و كل ميزة لى فى هذا أنى استطعت تنسيقه و ترتيبه و صياغته على نحو عصرى ، وهذا وحده هو عملى ، أما عصارة هذا التراث فهى من عطاء أعلام الفكر الاسلامى قديماً و حديثاً .

س ۰ ماذا ترى فى تركيز الجهود على العمل على كشف شبهات التغريب و الغزو الثقافى .

ج ۰ (١) الهدف هو إخراج المسلمين من التبعية للفكر الغربى أو الوافد أو أى أسلوب غير أسلوب الاسلام وخاصة وقد افتتن الناس بأسلوب العيش العربى الذى يستهدف إخراجهم من ذاتيتهم الخاصة ويصهرهم فى بوتقة الأممية فتضيع ميزتهم التى ميزهم بها الاسلام .

(٢) كشف الزيف الذى حاول الاستشراق و دعاة التغريب بثه فى النفس المسلمة خلال سنوات طويلة عن طريق الصحافة وأجهزة الاعلام من دعوى عريضة بعظمة الحضارة الغربية و أنها المنطلق الوحيد للمسلمين لبناء مجتمعهم بينما تؤكد كل الدلائل و الوقائع أن الهزائم التى توالت على المسلمين فى الخمسين سنة الأخيرة (نكبة و نكسة و هزيمة) كانت نتيجة قبول هذه الخدعة ، فضلا عما تكشف من سقوط الحضارة الغربية فى مجتمعها سقوطاً لا قيام بعده و أن المصلحين الغربيين يتطلعون اليوم إلى نظام جديد بعد أن فشل كلا النظامين الرأسمالى و الماركسى فى تحقيق أشواق الانسان ، و أن هناك فى الغرب الآن من يتطلع فى كثير من الأمل إلى أن الاسلام هو المنهج الذى يستطيع أن يحقق للبشرية ما تطمح إليه ، فكيف يقول الغربيون هذا بينما أصحاب هذا المنهج مخدوعون عنه يتطلعون إلى فتات موائد الأمم ، و غارقون فى تبعية ذليلة و إعجاب كاذب بحضارة منهارة ، كذلك فان عشرات من الكتاب فى الغرب نفسه قد كشفوا اليوم بصدق عن الدور العظيم الذى قام به الاسلام بعد أن قدم المنهج العلمى التجريبى الذى قامت عليه الحضارة المعاصرة ، وقد جاءت إشارات عريضة بالشريعة الاسلامية فى مؤتمرات متوالية و لمناهج التاريخ و الاجتماع و التربية الاسلامية بينما لا تزال أغلب جامعاتنا و مدارسنا تقدم لأبنائنا نظريات الغرب المدحوضة (دارون و فرويد و ماركس) على أنها علم أصيل و علوم الغرب التجريبية ، على أنها من صنع الغرب وحده ، وإنه لا أولية

للسلمين فيها و أن المسلمين ليس لهم فى العصر الحاضر وجهة نظر فى كل هذه العلوم و المناهج و الدراسات الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و التربوية ، بينما أن التاريخ يشهد بأن جذور هذه العلوم كلها بدأت من عند المسلمين ، هذا فضلا عن أن العلوم البشرية التى حاول الغرب تطبيقها و نقلها إلى أفق المجتمع الاسلامى قد أثبت فشلها وعجزها عن العطاء ، وبينما يحدث هذا يتجاهل الفكر الغربى أن للمسلمين منهج حياة جامعاً شاملا ، وأنه اجتماع الدنيا و الآخرة و العقل و القلب ، و العلم و الروح و ليس منهجاً انشطارياً وأن للمسلمين أسلوب عيش متميزاً و أن كل ما ينقصهم هو نقل التكنولوجيا و العلوم التجريبية التى قدموها هم للغرب فى يسر فى أول النهضة ، بينما الغرب الآن يحول دون إعادتها إليهم ، و لقد كان ضرورياً أن نكشف لبنى قومنا مدى الخطر الذى يواجه الذاتية الاسلامية التى صنعها الاسلام لتكون متميزة مستقلة ، عن جميع طوابع الأمم ، وحتى تحمل أمانة تبليغ الاسلام للعالمين ، : هذه الذاتية التى تتعرض اليوم تحت ضغط النفوذ الغربى الرأسمالى و الماركسية و الصهيونية لمحاولة تزييفها و احتوائها والقضاء عليها ، و صهر المسلمين فى البوتقة العلمانية المادية الأممية ، وهذا أخطر ما تعرضت له الشخصية الاسلامية فى عصر من العصور ، (بل لا نبالغ إذا قلنا إنه أخطر من حملات الحروب الصليبية و التتار و الباطنية فى القرون السابقة) وليس هناك من سبيل لدفع الخطر وحماية البيضة من التماس مفهوم الاسلام الصحيح الذى يقوم على التوحيد الخالص والاخاء الانسانى و إحياء مفهوم الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و إقامة مفهوم الجهاد الاسلامى ، تلك الشريعة الماضية إلى يوم القيامة لا بد من التماس هذا المنهج والتذكير الدائم بالخطر الماحق الذى يواجه الفكر الاسلامى والمجتمع الاسلامى نتيجة لمؤامرات التغريب و الشعوبية والغزو الثقافى ، التى تغير جلدها بين كل حين و تلبس لبوساً مغايراً لخداع الأجيال الجديدة .

س • هل تعتقدون أن هذه هى أمانة الباحث الاسلامى فى هذا العصر .

ج • نعم : أعتقد أن هذه هى الأمانة التى أحملها ويحملها معى عدد كبير من كتاب الاسلام و مفكريه فى هذه المرحلة الخطيرة من حياة أمتنا ، مرحلة استهلال القرن الخامس عشر الهجرى الذى يتطلع المسلمون فيه إلى نصر كنصر بدر إن شاء الله ، وهى أمانة يجب أن نحملها دون ملل أو تقاعس مرابطين فى سبيل إعلاء كلمة الله ، وإيماناً بحقه تبارك وتعالى على كل صاحب قلم وصاحب علم مما علمه الله ، وعلى الدعاة إلى الله أن يثبتوا فى هذه المعركة و أن يخلصوا وجوههم لله ، وأن ينكروا ذواتهم و أن يلتمسوا أخلاق المجاهدين الذين سبقوا على الطريق و أن يجعلوا من أخلاقهم سناناً فاتكة لقتل الشبهات و السموم و التحديات التى تواجه الاسلام وفكره و لغته فى محاولة لتغريبه أو احتوائه .

و أعتقد أن الدعاة إلى الله ملتزمون بأشيـــاء كثيرة : ملتزمون أساساً فى أنفسهم و بيوتهم بمفاهيم الاسلام ، و أن لا تكون الكتابة الاسلاميـــة تجارة أو مغنماً ، وأن يؤمنوا بأن الاسلام منهج حيـــاة و نظام مجتمع ، و أن المسلم ملتزم بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، و أن الاسلام ليس فكراً أو فلسفة ولكنه دعوة ، وأن كتاباتهم يجب أن تخاطب العقول والقلوب معاً ، وأن لا تكون تفسيرات الاسلام و تأويلاته فى سبيل من غاية الدنيا أو إرضاء الكبير أو تدبيراً لواقع أو إقراراً للرخص دون العزائم فان الرخص لا تبنى الأمم .

و أن لا تحمل الدعوة إلى الله طابع العنف أو الشدة أو التعصب أو التماس مذاهب الغلو ، بل تكون يسيرة كريمة سمحة ، تقوم على الحكمة و الموعظة الحسنة و تقبل بأدنى درجة من الايمان ثم ترتقى بالفرد حتى يصل إلى ذروة الايمان وأن لا ينفصل الدعاة إلى الله عن المجتمع و لا يرفضونه ، بل يأخذون الأمور من حيث يبدأ الاصلاح يسيراً ينمو مع الزمن و يرتفع مع الأيام حتى يبلغ الغاية .

★ الدّعوة الإسلامية ★

★ مبادىء فى الأدب و الدعوة ★

(٦)

فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكه الميدانى
أستاذ بكلية الشريعة
قسم الدعوة و الدراسات العليا ـ مكة المكرمة

الأسلوب غير المباشر :

و الأسلوب غير المباشر يكون بالتعبير عن فكرة لتفهم معها فكرة أخرى، عن طريق اللوازم العقليه القريبة، أو متوسطة القرب، أو البعيدة، أو شديدة البعد.

و هذه الفكرة الأخرى إنما يريد المتكلم الاشارة إليها من طرف خفى، ولا يريد التعبير عنها بأسلوب مباشر، لغرض بيانى، أو غرض تربوى، أو أى غرض آخر يقصده البلغاء.

فمع ما فى هذا الأسلوب من دلالة على ذكاء من يستعمله، و مع ما فيه من مجال واسع لتفنن أدبى لا حصر له من قبل نوابغ الأدباء، و عباقرة البلغاء و الشعراء، فهو مجال لتحقيق أغراض كثيرة منها الأغراض التالية :

١ـ عدم مواجهة المخاطبين بما يراد إعلامهم به لدواع تربوية، أو لدواع نفسية، كعدم المواجهة بالتكليف، و عدم المواجهة بالنقد، و عدم المواجهة بالعتاب، و عدم المواجهة بالتلويم، و غير ذلك.

٢ـ إرضاء نفس من يخاطب به، إذ يشعر بأنه محترم مقدر من قبل من يخاطبه، فهو فى نظره من مستوى الأذكياء و كبراء القوم الذين يخاطبون باشارات الكلام و كناياته، و لا يحتاجون إلى صريح القول.

٣- إخفاء المراد على جمهور المستمعين ، و إشعار المخاطب وحده بالرمز ، لأغراض سياسية ، أو عسكرية أو تربوية أو نحوها .

كما وقع فى غزوة الخندق ، إذ بلغ الرسول ﷺ أن بنى قريظة نقضوا عهدهم ، فأرسل وفداً من الأنصار فيه سيد الأوس و الخزرج إلى كعب بن أسد القرظى سيد يهود بنى قريظة ليستطلعوا الخبر ، و قال لهم : انطلقوا حتى تنظروا ، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فان كان حقاً فالحنوا لى لحناً أعرفه ، ولا تفتوا فى أعضاد القوم (أى تكلموا بالرمز و لا تتكلموا بصريح القول) .

و كذلك فعلوا لما علموا أن بنى قريظة قد نقضوا عهدهم حقاً ، إنهم لما عادوا إلى رسول الله ﷺ ، سلموا عليه ، ثم قالوا له : عضل و القارة ، ففهم الرسول المراد ، و علم أن القوم قد غدروا كما غدرت عضل و القارة بأصحاب الرجيع .

٤- التوصل عن طريق اللوازم العقلية إلى معان قد لا يكون لها ألفاظ تدل عليها دلالة مباشرة .

٥- تزيين الكلام ليكون أكثر تأثيراً فى نفوس المخاطبين .

٦- و قد يكون الأسلوب غير المباشر مقرباً للفكرة الغامضة ، أو مقدماً لها مقترنة بحجتها المقنعة بها .

٧- إمكان التهرب من إرادة المعنى عند الاحراج ، وذلك إذا كانت إرادته تسوء المخاطب به ، أو تسوء غيره من أنداده أو حساده ، أو غيرهم .

و من أمثلة ذلك من يشير بطرف خفى إلى حبه ، أو يلمح إلماحاً خفياً لأن أمامه رقباء من الأنداد أو الحساد ، أو من لا يرضى بهذه العلاقة غيرة أو نخوة أو مخافة العار ، و المتكلم لا يريد إثارة هؤلاء نحوه لئلا يكيدوه .

و فى كثير من الأحوال يكون خطاب الناس بالأساليب غير المباشرة هو

الأجدی ، لأنه أوقع فی نفوسهم ، و أکثر إرضاء لغرورهم .

و لکن لا یصح أن یکون کل الکلام جاریاً وفق الأسلوب غیر المباشر ، فالأصل فی الکلام هو الأسلوب المباشر ، و هو بمثابة الخبز الذی تؤکل معه ألوان الأطعمة ، إن الأسلوب غیر المباشر ینبغی أن لا یزید فی الکلام کثیراً حتی لا یفقد الکلام قواعده و أرکانه الأساسیة .

إن الأسلوب غیر المباشر ینبغی أن یکون فی غضون الکلام الجاری علی الأسلوب المباشر ، و بمقدار الأغراض البلاغیة ، و بمقدار الحلیات التی تتزین بها الحسان عادة .

و ینبغی أیضاً أن یکون الکلام متنوعاً ، لا ملازماً لوناً واحداً من ألوان الأسالیب غیر المباشرة .

إن أبدع الکلام وأحلاه ما کان متنوعاً کثیر الألوان ، غیر مقتصر علی نمط واحد ، ومع ذلك فلیس هذا فی کل مائدة کلامیة ، إنه قد تجمل فی بعض الأحیان و فی بعض المناسبات مائدة کلامیة من لون واحد من الکلام فقط .

إن طبائع النفوس عجیبة ، و ینبغی أن یکون میزان الأدیب تجاهها شدید الحساسیة ، یتتبعها بالمؤثرات الآتیة علیها .

و یعرف الأسلوب غیر المباشر عند علماء البلاغة باسم (الکنایة) و یدخل فیه ما یعرف عند علماء أصول الفقه باسم (المفهوم) أو باسم (الفحوی) فیقولون : « منطوق اللفظ و مفهومه » سواء أکان المفهوم موافقاً أو مخالفاً ، و یقولون : « فحوی الکلام » و هو عندهم کالمفهوم المقابل للمنطوق .

و المعنی المدلول علیه بهذا الأسلوب غیر المباشر :

الف ـ إما أن یکون معنی قریب التناول لا یحتاج إلی متابعة لوازم عقلیة

متعددة ، مثل قولنا للدلالة على طول إنسان : (لا يدخل الأبواب إلا و هو يخفض رأسه أو يتقاصر بجسمه) .

و يمكن أن نمثل له بقول الله تعالى : « و أحسنوا إن الله يحب المحسنين » أى ويثيبهم و يدخلهم جنات النعيم ، لأن من أحبه الله أكرمه و أدخله فى رحمته ، فهذه من لوازم المحبة ، و نظيره فى القرآن كثير .

و يدخل فيه مثل قول الله تعالى فى بيان واجبات بر الوالدين : « و لا تقل لهما أف و لا تنهرهما » أى ولا تفعل أيضاً ما هو أشد من ذلك بداهة لأن من نهى عن القبيح الأخف فهو منهى عن القبيح الشديد و الأشد لزوماً عقلياً .

ب ـ و إما أن يكون معنى متوسط البعد ، يدركه الذهن دون تأمل عميق ، و ينتقل مع لوازم منطوق اللفظ إليه بغير مشقة فكرية .

مثل الكناية عن كثرة إطعام الضيفان عند البدو ، أن يقول قائلهم فلان : (كثير الرماد) أى مضياف جواد ، لأن كثرة الرماد عندهم من كثرة إيقاد النار ، و كثرة إيقاد النار من كثرة الطابخ عليها ، و كثرة الطبخ تدل على كثرة الضيوف بحسب العادة .

ج ـ و إما أن يكون معنى بعيداً ، بسبب كثرة لوازمه العقلية ، أو بسبب أن هذه اللوازم تحتاج إلى تعمق فى التفكير حتى يدركها الذهن ، وغالباً لا يدركها إلا الأذكياء و العلماء .

و نمثل لهذا بقول إبراهيم عليه السلام حين رفض عبادة الأصنام و كل ما فى الأرض ، و بدأ يبحث عن ربه فى السماء ، « فلما رأى كوكباً قال « هذا ربى ، فلما أفل قال : لا أحب الآفلين » .

أى : إن غياب الكوكب ظاهرة حدوث ، و صفة الحدوث لا تكون من

صفات الرب الخالق ، فالكوكب لا يصلح لأن يكون رباً ، فأنا لا أحب الآفلين الذين ليس أحد منهم يصلح لأن يكون رباً خالقاً ، إنما أحب عبادة ربى الحق.

جملة « لا أحب الآفلين » فى معرض البحث عن الرب الخالق ، تستدعى لدى أهل الفكر و النظر و الأذكياء التأمل فى كل هذه اللوازم.

د ـ و إما أن يكون معنى يلمح لمحاً ، أو يشم شماً ، و يتطلب إدراكه حساً مرهفاً ، و ممارسة لادراك مشاعر النفوس من وراء تعبيرات اللسان .

و قد لا تظهر لوازم فكرية تدل عليه ، بل قد تكون الاشارة إليه من قرائن الأحوال ، أو من التصريح بشئ وعدم التصريح بقرينة أو مقابلة مع وجود الدواعى لهذا التصريح .

و يعمل الذكاء وقوة الحدس فى هذا المجال ، لاكتشاف ما يختلج فى النفوس من معان لم يفصح عنها اللسان ، لسبب من الأسباب ، كالاستحياء أو الكبر أو العفة ، أو الخوف ، أو غير ذلك .

و نستطيع أن نمثل لهذا القسم بالأمثلة التالية :

١ـ قول موسى عليه السلام بعد أن سقى لابنتى الشيخ الصالح عند ماء مدين ، ثم تولى إلى الظل :

« رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير » (٢٤ القصص ٢٨) .

فهو فى هذا يشير باستحياء إلى حاجته إلى الزوجة إشارة خفية لا تعرف إلا من قرينة الحال .

٢ـ قول أيوب عليه السلام بعد أن طال به المرض ثمانية عشر عاماً ، يا رب إنى مسنى الشيطان بنصب و عذاب ، قال تعالى مبيناً دعاءه فى سورة ـ ص ـ ٣٨ .

« واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب » ـ٤١ .

بنصب وعذاب : أى بتعب و بلاء و مؤلمات جسدية و نفسية فهو فى دعائه هذا يشير باستحياء إشارة خفية إلى طلب الشفاء، معللا ذلك بأثر وساوس الشيطان فى نفسه من جراء طول المرض ، فهذه الوساوس قد زادت متاعب جسده وآلامه و عذبت نفسه .

٣ـ قول امرأة عمران حين وضعت جنينها الذى كانت قد نذرته محرراً لبيت المقدس ، و كانت تنتظر أن يكون ذكراً ، فجاء أنثى و أسمتها مريم ، قالت كما جاء فى سورة (آل عمران) :

« رب إنى وضعتها أنثى » و قالت : « و ليس الذكر كالأنثى » ـ٣٦ـ فهى تشير بقرينة الحال إلى مشاعر التحسر التى تشغل قلبها ساعتئذ .

٤ـ قول ذى النون عليه السلام و هو فى بطن الحوت لربه :

« لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين » (٨٧ الأنبياء) ، فالقول توحيد و تسبيح و اعتراف بالذنب ، إلا أنه يشير باستحياء شديد و من طرف خفى إلى طلب النجاة . (يتبع)

(أدب التربية و المواعظ)

(٦)

سعادة الدكتور غريب جمعة (القاهرة)

النموذج الخامس :

في قصة مريم و عيسى عليهما السلام .

الحمد لله لا شأن يشغله و لا نسيان يذهله و لا قاطع لمن يصله و لا ناصر لمن يخذله ، جل عن مثل يطاوله ، أو ند يشاكله ، أو نظير يقابله أو مناظر يقاوله ، يثيب بالعمل القليل و يقبله ، و يحلم عن العاصي فلا يعاجله ، ويدعي الكافر شريكا و يمهله ، ثم إذا بطش هلك كسرى و صواهله و ذهب قيصر و معاقله ، استوى على العرش وما العرش يحمله . و ينزل لا كالمنتقل تخلو منازله ، هذه جملة اعتقادنا و هذا حاصله ، من ادعى علينا التشبيه فالله يقابله ، مذهبنا مذهب أحمد و من كان يطاوله ، وطريقنا طريق الشافعي و قد عرفت فضائله ، و نرفض قول حبهم وقد عرف باطله و نؤمل رؤية الحق ومتى خاب آمله ، لقد حنت حنة إلى ولد فسألت من لا يرد سائله ، فيالها من مكفول ما تعنى كافله ، فلما بلغت حملت بمن شرف حامله ، فعجبت من ولد لا من والد يشاكله ، فقيل هزى إليك فهزت جذعاً يابساً تزاوله ، فأخرج في الحال رطباً يلتذ أكله ، فاستدلت على تكوين ولد تحمد شمائله ، فالنصارى غلت و اليهود عتت « فأتت به قومها تحمله » .

أحمده حمداً أديمه و أوصله ، و أصلى على رسوله محمد الذى ارتجت ليلة

ولادته أعالى الايوان وأسافله ، وعلى أبى بكر ثانى اثنين فاعرفوا من قائله ، وعلى عمر الذى صفا الاسلام بجده و عذبت مناهله ، وعلى عثمان الذى زارته الشهادة ، وما تعبت رواحله ، وعلى على بحر العلوم فما يدرك ساحله ، و على العباس أقرب الخلق نسباً فمن يساجله ،

قال الله تعالى : « و اذكر فى الكتاب مريم » (١)

الكتاب القرآن و مريم اسم أعجمى و كان اسم أمها حنة فتمنت ولداً فلما حملت جعلت حملها محرراً خادماً للكنيسة ، فلما وضعتها أنثى حملتها إليهم فكفلها زكريا .

فلما بلغت خمس عشرة سنة « انتبذت » أى تنحت عن أهلها « مكاناً شرقياً » مما يلى المشرق « فاتخذت من دونهم حجاباً » أى حاجزاً يمنع من النظر قال ابن عباس : فضربت ستراً لتطهر من الحيض و تمتشط ، و قال السدى : احتجبت بالجدار .

« فأرسلنا إليها روحنا » و هو جبريل « فتمثل لها » أى تصور فى صورة البشر التام الخلقة .

قال ابن عباس : جاءها فى صورة شاب جعد قطط (٢) حين اخضر شاربه .

« قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً » المعنى : إن كنت تتق الله فستنتهى بتعويذى .

« قال إنما أنا رسول ربك » أى فلا تخافى « لأهب » لك أى أرسلنى ليهب « لك غلاماً زكياً » أى طاهراً من الذنوب « قالت أنى يكون لى غلام » أى

(١) مريم : ١٦ .

(٢) الجعد : القصير الشعر و القطط : بمعناه .

كيف يكون « ولم يمسسنى بشر » تعنى الزوج « ولم أك بغياً » والبغى الفاجرة . « قال كذلك قال ربك هو على هين » أى يسير أن أهب لك غلاماً من غير أب « و لنجعله آية للناس » أى دلالة على قدرتنا « ورحمة منا » أى لمن اتبعه وآمن به « وكان أمراً مقضياً » أى محكوماً به مفروغاً منه، قال ابن عباس : فنفخ جبريل فى جيب درعها فاستمر بها حملها ، و فى مقدار حملها سبعة أقوال : أحدها : أنها حين حملت وضعت ، قاله ابن عباس : والثانى : حملته تسع ساعات، قاله الحسن ، و الثالث : تسعة أشهر ، قاله سعيد بن جبير ، و الرابع ثلاث ساعات : حملته فى ساعة و صور فى ساعة ووضعته فى ساعة ، قاله مقاتل ، و الخامس : ثمانية أشهر فعاش، ولم يعش مولود قط لثمانية أشهر فكان هذا آية، حكاه الزجاج ، والسادس : ستة أشهر ، حكاه الماوردى ، و السابع : ساعة واحدة ، حكاه الثعالبي .

قال وهب : أصبحت الأصنام ليلة ولادة عيسى منكسة على رؤوسها كلما ردوها انقلبت ، فحارت الشياطين ، و كان ابليس الأرض ثم جاء فقال ، رأيت مولوداً فلم أستطع أن أدنو إليه .

قوله تعالى « فانتبذت به » أى بالحمل « مكاناً قصياً » أى بعيداً قال ابن اسحاق : مشت ستة أميال فراراً من قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج « فأجاءه المخاض» المعنى لجاء بها ، والمخاض وجع الولادة « إلى جذع النخلة » وهو ساق نخلة يابسة فى الصحراء ليس لها رأس و لا سعف ، « قالت يا ليتنى مت قبل هذا » اليوم و هذا الأمر ، قالته حياءاً من الناس « و كنت نسياً منسياً » أى ليتنى لم أكن شيئاً .

« فناداها من تحتها » و فيه قولان : أحدهما : الملك و كانت على نشز ، و الثانى : عيسى لما ولدته ، و السرى : النهر الصغير، و كانت قد حزنت لجدب

المكان وخلوه عن ماء أو طعام فقيل لها قد أجرينا لك نهراً و أطلعنا لك رطباً، وفى ذلك آية تدل على قدرة الله عز و جل فى إيجاد عيسى .

« وهزى إليك بجذع النخلة » الباء زائدة « تساقط عليك رطباً جنياً » وهو الطرى المجتنى ، فكلى من الرطب « واشربى من النهر وقرى عيناً » بولادة عيسى ، و الصوم : الصمت و إنما أمرت بالسكوت لأنها لم يكن لها حجة عند الناس .

و فى سنها يومئذ ثلاثة أقوال : أحدها : خمس عشرة سنة ، قاله ابن عباس و وهب ، و الثانى اثنتى عشرة سنة : قاله زيد بن أسلم ، و الثالث ثلاث عشرة سنة : قاله مقاتل ، قال ابن عباس : فلما مضت عليه أربعون يوماً وطهرت من نفاسها جاءت إلى قومها بعيسى فبكوا و كانوا صالحين و قالوا « يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً » أى عظيماً « يا أخت هارون » و فيه أربعة أقوال : أحدها : أنه أخ لها من أمها وكان أمثل فتى فى بنى اسرائيل ، و الثانى : أنها كانت من بنى هارون أخى موسى ، و الثالث : أنه رجل صالح من بنى اسرائيل شبهوها به فى الصلاح ، وهذه الأقوال عن ابن عباس ، والرابع : أنه رجل من فساق بنى اسرائيل قاله وهب : « ما كان أبوك » يعنون عمران « امرأ سوء » أى زانياً « وما كانت أمك بغياً » أى زانية « فأشارت إليه » أى أومأت إلى عيسى أن كلموه ، و كان عيسى قد كلمها قبل قومها و قال : يا أماه أبشرى فانى عبد الله و رسوله ، فلما أشارت أن كلموه تعجبوا وقالوا « كيف نكلم من كان فى المهد صبياً » وكان زائدة ، فنزع فمه من ثديها و جلس و قال : « إنى عبد الله آتانى الكتاب » قال عكرمة : قضى أن يؤتينى الكتاب و قال غيره : علم التوراة وهو فى بطن أمه .

و أوحى الله إليه تعالى و هو ابن ثلاث سنين و أنزل عليه الانجيل و كان يبرىء الأكمه و الأبرص و كان يجتمع على بابه من المرضى خمسون ألفاً فيداويهم بالدعاء فاتبعوه و سألوه أن يحيى لهم سام بن نوح ، فأتى قبره فناداه و انشق القبر

و قام فقال : هذا عيسى بن مريم فاتبعوه ، ثم قال سل ربك أن يردنى كما كنت فسأل ربه فعاد .

وكان عيسى عليه السلام يلبس الصوف و يتخذ نعليه من لحاء الشجر شراكها ليف، وكانت مريم تلتقط فاذا علم بها نثر لها فتتحول إلى مكان لا تعرف فيه .

وكان يقول لباسى الصوف و شعارى الخوف و بيتى المسجد ، وطيبى الماء ، و أدمى الجوع و دابتى رجلاى و سراجى بالليل القمر و مصطلاى فى الشتاء مشارق الشمس ، و فاكهتى و ريحانى بقول الأرض ، و جلسائى المساكين .

وكان يقول لأصحابه : أهينوا الدنيا تكرمكم الآخرة إنكم لا تدركون ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون ، ولا تبلغون ما تريدون إلا بترك ما تشتهون .

أخبرنا الحسن بن أحمد عن محمد بن سباع النميرى قال : بينا عيسى بن مريم عليه السلام يسيح فى بعض بلاد الشام اشتد به المطر والرعد والبرق ، لجعل يطلب شيئاً يلجأ إليه فرفعت له خيمة من بعيد فاذا فيها امرأة لحاد عنها فاذا هو بكهف فى جبل فأتاه فاذا فى الكهف أسد فرفع يده ثم قال : إلهى جعلت لكل شئ مأوى و لم تجعل لى مأوى .

فأجابه الجليل : مأواك عندى فى مستقر رحمتى لأزوجنك يوم القيامة مأة حوراء خلقتها بيدى ، و لأطعمن فى عرسك أربعة آلاف عام ، كل عام منها كعمر الدنيا ، و لآمرن منادياً ينادى : أين الزاهدون فى الدنيا ، زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم .

و قال أبو على الجلد : لقى عيسى بن مريم عليه السلام ابليس فقال : أسألك بالحى القيوم الذى جعل عليك اللعنة ما الذى يسل جسمك ويقطع ظهرك؟ فضرب نفسه فى الأرض ثم قام فقال : لو لا أنك أقسمت على بالحى القيوم

ما أخرتك، أما الذى يقطع ظهرى فصلاة الرجل فى بيته نافلة وفى الجماعة ، وأما الذى يسل جسمى فصهيل الفرس فى سبيل الله .

و قال ابن عباس : دخل عيسى عليه السلام خوخة فدخل وراءه رجل من اليهود فألقى عليه شبه عيسى فقتلوه و صلبوه .

وقال علماء النقل : رفع لثلاث ساعات من النهار وألبس النور وكسى الريش و قطعت عنه لذة المطعم و المشرب فأصبح إنسياً ملكياً .

و قال بعضهم : رفع ليلة القدر و كان عمره ثلاثاً و ثلاثين سنة و أشهراً و ماتت أمه بعد رفعه بست سنين و كان عمرها نيفاً و خمسين سنة .

و جاء فى الحديث عن النبى ﷺ : أن عيسى ينزل على المنارة البيضاء بشرقى دمشق ، فيكسر الصليب و يقتل الخنزير ، و يضع الجزية و يقاتل الناس على الاسلام و يقتل الدجال و يتزوج ويولد له و يمكث خمساً و أربعين سنة ثم يموت فيدفن مع رسول الله ﷺ .

الكلام على البسملة

حكم المنية فى البرية جارى ... ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يرى الانسان فيها مخبراً ... حتى يرى خبراً من الأخبار
طبعت على كدر و أنت تريدها ... صفواً من الأقذار و الأكدار
و مكلف الأيام ضد طباعها ... متطلب فى الماء جذوة نار
و إذا رجوت المستحيل فانما ... تبنى الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم و المنية يقظة ... و المرأ بينهما خيال سار
والنفس إن رضيت بذلك أو أبت ... منقادة بأزمة المقدار
فاقضوا مآربكم عجالا إنما ... أعماركم سفر من الأسفار

وتراكضوا خيل الشباب وبادروا ـــ أن تسترد فانهن عوار
و الدهر يخدع بالمنى ويغص إن ـــ هنا و يهدم ما بنى ببوار
قد لاح فى ليل الشباب كواكب ـــ إن أمهلت عادت إلى الاسفار

لقد مزقت المواعظ المسامع ، وما أراه انتفع السامع، ولقد بدا نور الهدى فى المطالع لكنه قد عمى المطالع ، و لقد بانت عبر من غبر لمن عبر المصارع ، فما بالها فانسكبت المدامع ، يامن شبابه قد مضى ، هل ما مضى من العمر راجع ، تيقظ ، الحذر ثم اعتذر و راجع ، فالهول شديد ، و الحساب دقيق و الطريق واسع « إن عذاب ربك لواقع » .

أيها المطمئن إلى الدنيا و تطلبه بذحل (١) ، قد مرضت عين بصيرته فيها فما ينفع الكحل ، يتبختر فى رياضها وما ثم إلا و حل ، اقبل نصحى واشدد الرحل عن محل المحل و تأمر على نفسك فالتحل لحل .

أيا صاح نهى الصاحى ـــ بجيل منك مدارك (٢)
إلى كم مع دنياك ـــ و تلك المومس الفارك (٣)
تخون الأول و العهد ـــ لخل العروس أو شارك
متى يلحقنى بالركب ـــ هذا الجمل البارك
ألا قد ذهب الناس ـــ و نضوى رازم بارك (٤)

آه لنفس انفصلت ساعتها وما حصلت طاعاتها ، تبعتها تبعاتها وما نفعتها دعامتها شهورها و جمعاتها و مجالسها و جماعاتها، ومذكورها ورعاتها ، وقصائدها ومسجعاتها و الدنيا و لسعاتها و المحن و جزعاتها ، و المنون و وقعاتها، و ما لانت مع هذا ممتنعاتها ، و لا خفت من رقاد الغفلة هجعاتها ، يامن قد شاب أقبل على شأنك ،

(١) الذحل : الثأر
(٢) مدارك : متدارك
(٣) الفارك : المبغضة
(٤) النضو : البعير المهزول

و اكشف هذا الحجاب و أسبل دمع شانك (۱) ، خلعت خلعة الشباب و كانت عارية ولبست ثوباً تخلعه فى البرية خدع الهوى و دع كل بابية فقد أنار الهدى بمصابيح جلية .

سار الشباب فلم تعرف له خبراً و لا رأينا خيالا منه منتاباً
و حق للعيس لو نالت بنا بلداً فيه الصباكون عور الند أقتابا
ألقى إليه قميص الشيب رهن بلى ثم استجد قميص الشيب محتاجاً
ما زال يمطل دنياه بتوبته حتى أتته مناياه و ما تابا

كان الحسن يقول : يا ابن آدم بع عاجلتك بعاقبتك تربحهما جميعاً ولا تبع عاقبتك بعاجلتك فتخسرهما جميعاً ، الثواء هنا قليل وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون ؟ المعاينة فكأنها و الله قد كانت ؟ و إنما ينتظر بأولكم أن يلحق بآخركم .

يا ابن آدم دينك دينك فان سلم لك دينك سلم لك لحمك و دمك وإن تكن الأخرى فانها نار لا تطفى و نفس لا تموت ، إنك معروض على ربك و مرتهن بعملك ، فخذ مما فى يديك لما بين يديك عند الموت يأتيك الخير ، يا ابن آدم ترك الخطيئة أهون من معالجة التوبة ، يا ابن آدم لا تعلق قلبك بالدنيا فتعلقه بشر معلق قطع حبالها و أغلق عنك بابها حسبك ما بلغك المحل .

استغفر الله منيباً خاشعاً و اهجر لميس و اجتنب ديارها
من زاره عاقى الصبا فانما زار من الأسد الجثوم دارها
و أفضل الأزر إزار عفة إذا الرجال طرحت آزارها
من أبر النخل إبار محسن أحمد فى إركابها آثارها
و العقل خير لا يخاف غشه إذا الرجال اتهمت أخبارها
فأجبر النفس على التقوى ولا تقل لم أستطع إجبارها

(۱) شأنك : عيبك

« يتبع »

دراسات وابحاث

أضواء على المعتقدات الأولية عند المسيحيين
كما يفسرها علماؤهم و مفكروهم

بقلم : فضيلة الأستاذ محمد تقي العثماني
رئيس تحرير مجلة « البلاغ » الشهرية كراتشي ، باكستان
تعريب : الأستاذ نور عالم الندوي

تعريف المسيحية :

جاء تعريف المسيحية في دائرة المعارف البريطانية (Encyclopeadia Britanica) بما يلي :

« الديانة التي تعزو أصلها إلى يسوع من سكان « الناصرة » (Nazareth) و تعتبره مختاراً (مسيحاً) من الله (١) » .

و هذا التعريف مجمل للغاية ، و قد تناوله « الفرد ، أي ، جاروى » بشئ من التفصيل و الايضاح ، يقول في مقالته « المسيحية » في « دائرة معارف الأديان و الأخلاق » :

« يمكن تعريف المسيحية بأنها ديانة خلقية ، تاريخية ، كونية ، موحدة ، مؤمنة بالكفارة ، أحكمت فيها العلاقة بين الله و الانسان بشخصية و سيرة المولى يسوع المسيح » .

ثم تناول « جاروى » كل جزء من أجزاء هذا التعريف بالشرح والايضاح . فالمراد من « الديانة الخلقية » عنده ، هي الديانة التي لم تعلم أبناءها الوصول

(١) دائرة المعارف البريطانية ، مقالة « المسيحية » ج ٥ ، ص ٦٩٣ .

إلى غرض دنيوى ، عن طريق العبادات و التضحيات ، بل كان هدفها الوحيد هو الفوز بالكمال الروحانى و نيل رضا الله .

و معنى « الديانة التاريخيـــة » عنده ، أن مدار التفكير و العمل فيها هو « شخصية تاريخية » و هى شخصية عيسى عليه السلام ، و لقوله و فعله السلطة العليا و الكلمة النهائية فى هذه الديانة .

و معنى كونها « كونية » عنده ، أنها لا تختص بنوع من العنصر و الجنس ، لأن دعوتها عالمية .

و إنما يعتبر « جاروى » المسيحية (Monotheist) لأنها تؤمن بوحدانية إلهية ، رغم إيمانها بثلاثة أقانيم (Persons) فيقول :

« رغم أن عقيدة التثليث المسيحية ـ أو بعبارة أصح : « التوحيد فى التثليث » ـ يرى ويقال فيها : إنها تقاربت إلى حد خطر من عقيدة ثلاثة آلهة ، لكن المسيحية موحدة فى روحها ، و تؤمن بوحدانية الاله كعقيدة كنيسية » .

أشار التعريف المذكور أعلاه إلى المزية الأخيرة للمسيحية ، بأنها تؤمن بـــ « الكفارة » (Atonement) يقول « جاروى » وهو يشرح هـــذا الجزء من التعريف :

« العلاقـــة التى يجب أن تكون بين الله و العبد ، تعتقد المسيحية أنهـا قد اختلت بالذنب ، و من اللازم أن تقام من جديد ، و ذلك لايتم إلا بتوسيط المسيح عليه السلام » (١) .

ذلك هو تعريف موجز بالمسيحية ، غير أن المعرفة الصحيحية بهذه الديانة سوف لا تتم مالم تتم المعرفة بمعتقداتها الأساسية كافة على ما هى عليه ، و لذلك فسنفرد

---

(١) دائرة معارف الأديان والأخلاق ، ج ٣ ص ٥٨١ ، مقالة (Christianity)

كلا منها بالشرح و الايضاح .

عقيدة الاله فى الديانة المسيحية :

أما وجود الله ، فان الديانة المسيحيــــة لا تختلف فى ذلك عن الديانات الأخرى ، إنها أيضاً تؤمن بالله بصفاته التى تؤمن بها غيرها من الديانات ، يقول « مارس ريلتون » .

« عقيدة المسيحية فى الله أنه ذات حية خالدة ، يتصف بجميع صفات الكمال ، يمكن إحساسه ، و لا يمكن إدراكه كل الادراك ، فتحليل حقيقتــه تحليلا صحيحاً فوق قدرة أذهاننا ، فما هو فى نفسه ؟ لا نعلم ! وما علمنا إلا ما علمه هو النوع البشرى عن طريق الوحى » (١) .

عقيدة التثليث :

إن القضية واضحة لاغبار عليها إلى هذا الحد ، غير أن التفاصيل التى تؤمن بها هذه الديانة فيما يتعلق بعقيدة الاله ، معقدة جداً ، ليس يسهل فهمها ، فكل – حتى الرجل العادى – يعلم أن الاله فى الديانة المسيحية مركب من ثلاثة أقانيم (Persons) : « الأب » و « الابن » و « روح القدس » و تلك هى التى تسمى عقيدة « التثليث » (Trinitarian Doctrine) لكن تصريحات علماء المسيحية بدورها فى شرح وعرض هذه العقيدة متضاربة إلى حد لا يمكن الجزم بواحد منها ، فما هى تلك الأقانيم الثلاثة التى كان مجموعها إلهاً عندهم ؟ هناك اختلاف فى تحديدها هو الآخر ، فبعضهم يقول : إن الله مجموع الأب و الابن و روح القدس (٢) ،

(١) H. Maurice Relton : Studies In Christian Doctrine Macmillan, London 1960, P. 3.

(٢) و ذلك هو مذهب جمهور المسيحيين ، راجع دائرة المعارف البريطانية ، ج ٢٢ ، ص ٤٨٩ مقالة (Trinity)

و بعضهم يقول : إن الأب و الابن و مريم العذراء هم الأقانيم الثلاثة التى مجموعها الاله (١) ، ثم ما هى مكانة كل أقنوم من هذه الأقانيم على الانفراد ، وما هى نسبة كل منها من الاله المجموع الذى يسمونه « الثالوث » (Trinity) ؟ هناك سلسلة طويلة من الاختلاف على الاجابة على هذا السؤال كذلك ؟ فطائفة ترى أن كلا منها إله بذاته ، كالاله المجموع « الثالوث » (٢) و طائفة أخرى ترى أن كلا من هذه الثلاثة إله بذاته و لكنه دون الاله المجموع « الثالوث » و إنه أطلقت عليه كلمة « الاله » توسعاً ، (٣) و طائفة ثالثة تقول : إن هذه الثلاثة ليست إلهاً ، إنما الاله هو مجموعها « الثالوث » (٤) .

التوحيد فى التثليث :

على كل فان هناك اختلافات كثيرة ، جعلت عقيدة « التثليث » أضغاث أحلام ، وسنقدم من تفاسير هذه العقيدة هنا ، ما يبدو أكثر قبولا و أعم اختياراً لدى المسيحيين وهو فيمايلى ، كما جاء فى دائرة المعارف البريطانية .

« يمكن التعبير عن عقيدة التثليث المسيحية تعبيراً صحيحاً بالكلمات الآتية : إن

---

(١) كان ذلك مذهب فرقة « أيزمدتيس » من العرب ، و قد بادت هذه الفرقـة ، انظر « نويد جاويد » (البشارة الخالدة) ص ٣٥٦ ، نقلا عن القس (Sale) .

(٢) Hibbert Journal XX1V No. I. As Quoteb By The Encyclopaedia Britannica, I950, P. 479, V. 22, (Trinity) .

(٣) St. Thoms Aquinas Basicwritings. Of. P. 327 V. I.

(٤) و ذلك ما ذهبت إليه الفرقة المرقولية ، انظر « الخطط المقريزية » ج ٣ ، ص ٤٠٨ ، لبنان ١٩٥٩ م .

الآب إله والابن إله وروح القدس إله، غير أن هؤلاء الثلاثة بالمجموع ليسوا ثلاثة آلهة، وإنما هم إله واحد، ذلك أنه بينما نضطر طبقاً للعقيدة المسيحية أن نعتبر كلا من هذه الأقانيم الثلاثة إلهاً و مولى، إذا المذهب الكاثوليكى ينهانا أن نعتبرها ثلاثة آلهة أو ثلاثة موالى ».

و يقول « سينت آجستين » (St. Augstine) العالم و الفيلسوف المسيحى المعروف فى القرن الثالث الميلادى، و هو يتناول هذه القضية بشئ من التفصيل، و ذلك فى كتابه الشهير (On The Trinity).

« جميع علماء العهد القديم و العهد الجديد الكاثوليك، الذين أتيح لى أن أقرأهم، و الذين كتبوا من قبلى فى موضوع « التثليث » كلهم يريدون أن يلقنوا - فى ضوء الصحف المقدسة - عقيدة: أن الآب و الابن و روح القدس يشكلون بالمجموع « وحدة إلهية » لا تقبل التقسيم فى كنهها و حقيقتها، فليسوا ثلاثة آلهة وإنما هم إله واحد، وبما أن الآب خلق الابن، فالآب ليس بالابن، و كذلك الابن ولد من الآب، فالابن ليس بالآب، و كذلك روح القدس ليس بالآب و بالابن، و إنما هو روح الآب و الابن، يوجد فيهما سواء، ويشاركهما فى الوحدة الثالوثية.

« و لا يظنن أن هذه الوحدة الثالوثية هى ذاتها ولدت من بطن مريم العذراء و صلبها « بنطيس بيلاطس » و دفنت، ثم قامت من القبر فى اليوم الثالث، و دخلت الجنة، لأن هذه الحوادث لم تقع للوحدة الثالوثية، و إنما حدثت للابن وحده، و كذلك لا يظنن أن هذه الوحدة هى التى نزلت على يسوع المسيح مثل حمامة لدى اصطباغه (١) ....

(١) إشارة إلى قصة متى ٣ : ١٦.

« لأن ذلك إنما حدث مع روح القدس ، و على ذلك فلا يصح أن يظن أن يسوع المسيح إذا كان تجرى عليه عملية الاصطباغ ، أو كان قائماً مع تلاميذه على الجبل قد نادته الوحدة الثالوثية قائلة : أنت ابنى (١) .

« . . . . . و إنما كانت تلك كلمات الآب موجهة إلى الابن ، و كما أن الآب و الابن و روح القدس لا يقبلون التقسيم ، كذلك هم يعملون على صورة غير قابلة للتقسيم ، و تلك هى عقيدتى ، لأنها عقيدة كاثوليكية (٢) » .

فما هو السبب المبرر عند المسيحيين فى توحيد الثلاثة ، و تثليث الواحد ؟ وقبل أن تعرف الجواب على هذا السؤال لابد أن تعرف ما هو المراد عندهم من الآب، والابن ، و روح القدس ؟ :

الآب :

المراد من « الآب » عند المسيحيين هو الذات الالهية وحدها مجردة من صفتى الكلام و الحياة ، وهى بمنزلة الأصل والمبدأ (Principle) لوجود الابن ، و ليس معنى « الآب ـ على حد تفسير الفيلسوف المسيحى الشهير « سينت توماس آكوناس » (St. Thomas Aquinas) ـ أنه ولد أحداً ، و قد مضى حين من الدهر كان فيــه « الآب » و لم يكن « الابن » بــل إنه مصطلح إلهى لا يعنى إلا أن الآب مبدأ الابن ، كالذات تكون مبدأ الصفات ، و إلا فان الابن موجود منذ ما يوجد الآب ، و ليس لأحد منهما سابقة زمنية على الآخر (٣) .

---

(١) تلميح إلى قصة متى ١٧ : ٥ أى قصة التجلى .

(٢) Basic Writings Of St. AuJustine, Trans By : A. W. Haddan And Edited By ; Whitney, New York 1948, P. 672, V. 2.

(٣) Basic Writings Of St. Thomas Aquinas, Edited By ; Pegis PP. 324 _ 26, V. I New York 1945 .

و لماذا تسمى « الذات الالهية » « بالأب» ؟ يقول « الفرد أى جاروى » و هو يرد على هذا السؤال :

« الغرض من ذلك لفت الأنظار إلى عدة حقائق، أولا : الاشارة إلى أن الخلق جميعاً محتاج فى وجوده إلى الله ، احتياج الابن إلى الأب ، و ثانياً : الدلالة على أن الله لطيف بعباده عطوف عليه ، عطف الأب على الابن » (١) .

الابن :

المراد من « الابن » عند المسيحيين كلام الله (Word Of God) لكنه ليس ككلام البشر ، يقول « آكويناس » وهو يبين الفرق بين كلام الله وكلام البشر :

« ليس للكلام وجود جوهرى فى الطبيعة البشرية ، فلا يقال له : ابن الانسان أو مولوده ، أما كلام الله فهو جوهر له وجود فى ماهية الله ، فيقال له « الابن » حقيقة لا مجازاً ، و أما مبدؤه فيقال له « الأب » (٢) .

و كل ما يتلقاه الله من المعلومات، إنما يتلقاه - كما تقرره العقيدة المسيحية - بهذه الصفة ، أى الكلام ، و بهذه الصفة وجد كل شئ ، وهى قديمة خالدة ، قدم و خلود الأب (٣) . و هذه الصفة الالهية هى التى تجسدت فى الأقنوم الانسانى ، ليسوع المسيح بن مريم ، و من ثم يقال له « ابن الله » .

و عقيدة التجسد هذه لها مكانة ذات أهمية مستقلة ، فسنفصلها فيما يأتى إن شاء الله :

---

(١) دائرة معارف الأديان و الأخلاق ، ج ٣ ، ص ٥٨٥ .

(٢) Aquinas The Summa Theologica' Q. 33. Art 206, 3.

(٣) Augustine ; The Cityof God Book Xi Ch XXIV .

روح القدس :

و المراد من « روح القدس » (Holy Spirit) صفتا الحياة و الحب للأب و الابن ، أى أن الذات الالهية (الأب) يحب بها صفة عليه (الابن) و الابن كذلك يحب الأب ، و هـــذه الصفـــة كذلك لها وجود جوهرى ، و قديمة خالدة قدم و خلود الأب و الابن ، و من ثم فهى أقنوم (Person) مستقل (١) . و يعتقد المسيحيون أن هذه الصفة هى التى نزلت على المسيح عليه السلام لدى اصطباغه متجسدة فى حمامة (٢) . ثم لما رفعه الله إلى السماء ، فان روح القدس هذا هو الذى نزل على الحواريين مثل ألسنة نارية ، يوم عيد « الخمسين » أو عيد « المنصرة » (٣) (Pentecost) (٤) .

إذاً فكانت خلاصة عقيدة « التوحيد فى التثليث » (Tri _ Unity) أن الله يشتمل على ثلاثة أقانيم ، أو أشخاص (Persons) : الذات الالهية التى تسمى

---

(١) The City Of God, P. 168 V. 2 .

(٢) انظر متى ٣ : ١٦ ، و ما قـــدمناه من مقتطفات مما قاله « آجستين » فى تفسير عقيدة التثليث .

(٣) « المنصرة » كلمة عبرانية معناها محفل أو اجتماع ، وعيدالمنصرة أو عيد الخمسين هو عند المسيحيين عيد تذكار حلول روح القدس على التلاميذ فى العليـــة الصهيونية بأورشليم ، و يقع بعد عيد « الفصح » أو « أحد القيامة » _ أى قيامة يسوع المسيح من القبر فى اليوم الثالث بعد الصلبوت و الموت _ بخمسين يوماً ، و عيد المنصرة عند اليهود هو عيد تذكار نزول الشريعة فى طور سيناء (المترجم) .

(٤) الأعمال ٢ : ١ _ ١٢ ، و آجستين ، ج ٢ ، ص ٦٧٢ .

« الآب » و كلام الله الذى يسمى « الابن » و صفتا حياته وحبه اللتان تسميان « روح القدس » و كل من هذه الثلاثة إله ، غير أنها بالمجموع ليست بثلاثة آلهة ، و إنما هى إله واحد .

اتحاد الثلاثة و الواحد :

وهناك سؤال يبرز على السطح بهذه المناسبة، هو: أنه إذا كان كل من الآب و الابن وروح القدس إلهاً ، فأنى كان الاله واحداً ؟ إنه إذاً كان ثلاثة بالطبع !

و تلك هى القضية التى ظلت لغزاً من الألغاز منذ أول عهد المسيحية ، و حاول كبار المفكرين المسيحيين أن يحلوها بأساليب جديدة . و على أساس ذلك نشأت فرق كثيرة ، و استمر النقاش و الجدال سنوات طويلة ، و لكن الواقع أن هذا السؤل لايزال ينتظر من يجيب عليه إجابة معقولة ، وقد تحدث البروفيسور «مارس ريلتون» عن الصورة الممتعة لما قدمته فرق شتى من حلول مختلفة للقضية ، وذلك فى كتابه القيم «دراسات فى العقيدة المسيحية (Studies In Christian Doctrin :) .

نهضت الفرقة « الأبيونية » (Ebionites) ليحلها ، فسقطت فى أول الطريق ، و اعترفت بأنها لا تستطيع الاحتفاظ بعقيـــدة التوحيــد ، لو آمنت بألوهية المسيح عليه السلام ، فلا بد من الاعتراف بأنه لم يكن الاله الكامل ، و يمكن أن يقال : إنه كان مثيل الله ، أو إنعكاساً لأخلاق الله . و لا يمكن أن يقال : إنه كان فى حقيقته إلهاً ، مثلما كان « الآب » ! .

و بما أن هذه الفرقة حاولت حل هذه القضية بضرب القاعدة التى تقوم عليها العقيدة المسيحية ، فعارضتها الكنيسة معارضة سافرة ، واعتبرت المنتمين إليها مبتدعين ملحدين ، و على ذلك فكان هذا الحل للقضية مرفوضاً .

و نهض بعض رجال الفرقة الابيونية ، و قالوا : لا ينبغى معارضة ألوهية

المسيح بهذه الصراحة ، ينبغى أن يعتبر أنه كان إلهاً ، و تجنباً من تهمة « الشرك » يجب الايمان بأن الاله بالذات إنما هو « الأب » لكن العقيدة الثالوثية أيضاً صحيحة ، ذلك أن الأب بنفسه قد منح الابن و روح القدس صفة الألوهية هذه .

غير أن هذا المذهب هو الآخر كان يتعارض مع عامة المذاهب الكنيسة ، لأن الكنيسة تؤمن بالابن إلهاً بالذات كالأب تماماً ، فاعتبرت هذه الفرقة كذلك ملحدة ، وبقيت القضية كما كانت دونما حل .

ونهضت فرقة ثالثة باسم (Patripassian) وكان « نائتس » و « براكسيز » (Praxeas) و « كالستس » (Calistus) و « زيفاْرينوس » (Zephyrinus) من أبرز زعمائها ، و قد جاؤا من أجل حل هذه القضية بفلسفة جديدة ، وزعموا أن الأب و الابن ليسا فى الواقع أقنومين منفردين ، و إنما هما مظهران مختلفان لأقنوم واحد ، أطلق على كل منهما اسم على حدة ، وأن الله فى الواقع هو الأب ، و هو قديم فى ذاته ، خالد لا يفنى ، و لا تدركه الأنظار البشرية ، و لا تطرأ عليه العوارض البشرية ، و بما أنه إله ، و لا يستطيع أحد أن يفرض حداً على الارادة الالهية ، فلو شاء فى وقت أن يفرض على نفسه العوارض البشرية ، لصنع ذلك ، و لو شاء لتراءى للانسان فى صورته ، حتى إنه لو شاء لمات أمام الناس ، فشاء الله ذات مرة أن يظهر فى صورة إنسان ، فتجسد فى يسوع المسيح ، وتراءى للناس ، و نالتــــه اليهود بأنواع الايذاء حتى صلبوه ، إذاً فان يسوع المسيح أو الابن ليس بأقنوم مستقل ، وإنما هو الأب الذى اتخذ شكل الانسان وأطلق على نفسه اسم « الابن » (١) .

---

(١) قد عرضنا هنا خلاصة عقائد هــذه الفرق ، و ليراجع للتفصيل كتاب « مارس ريلتون » (Studies In christian Doctrine' P. P. 61 – 74) .

ومن الواضح أن هذه الفلسفة إذ تقدمت خطوة نحو حل قضية « اتحاد الثلاثة و الواحد » فانها أثارت بجانب ذلك قضايا مستعصية على الحل ، ثم إن هـــذه الفرقة هى الأخرى لم تسعف المذهب الكنيسى بشئ فى اعتباره الآب و الابن أقنومنين مستقلين ، فاعتبرت كذلك مبتدعة ، وبقيت القضية كما كانت تنتظر الحل .

و قد كانت من الفرق المبتدعة محاولات أخرى من أجل حل القضية ، غير أنها كانت جميعاً غير مقبولة ، لأنها كانت تضرب المذهب المتبع لدى الكنيسة ، بشكل من الأشكال .

و لننظر الآن أن الكنيسة الكاثوليكية الرومية كيف حلت هذه القضية ؟ .

توصلت فى ضوء دراستى للموضوع إلى أن معظم العلماء الكاثوليك الروميين قد رفضوا كلياً أن يحلوا هذه العقدة ، وقالوا إن « توحيد الثلاثة وتثليث الواحد » سرمكنون لا نطيق أن نفهمه (١) ، و هناك علماء آخرون حاولوا تقديم تأويل

---

(١) و قد عبر عن ذلك بعض القساوسة الهنود بأن عقيـــدة التثليث من « المتشابهات » و كما أن المقطعات القرآنية ، و « الرحمن على العرش استوى » و ما إليها من آيات القرآن ، لا يعلم مرادها . كذلك عقيدة التثليث مما هو فوق فهمنا و إدراكنا ،

حقيقة المتشابهات :

و بما أن السادة القساوسة عندنا كثيراً ما يغالطون المسلمين بهذه السفسطة ، فلنفصل الرد على ذلك فى هذه السطور :

و أول ما يجب أن يلاحظ فى هذا الصدد ، أن ما يتضمنه المتشابهات من الآيات القرآنية من المعانى و المفاهيم التى نعجز عن فهمها ، لا يشتمل أبداً على العقائد الجذرية فى الدين ، التى كان الايمان بها من الشروط الأولية★

عقلي لهذه العقيدة ، أما القساوسة الهنود ، الذين قاموا بالتبشير بالمسيحية على امتداد قرن مضى ، فان دراسة دلائلهم تدل على أنهم من أجل كونهم على بعد عن مراكز المسيحية ، لم يتمكنوا من تفهم تفاصيل الديانة المسيحية ، و نكتفي منها بتقديم مثال

★ للنجاة ، و قد بين الله تعالى العقائد التي فرض علينا الايمان بها ، و جاءت كل عقيدة منها بحيث لا يمكن تحديها بأى دليل عقلي ، و المتشابهات هي ما إذا لم يفهمه المرء ، لم يشكل عائقاً دون نجاته ، و لا يتوقف على إدراكه عقيدة أساسية ، أو حكم عملي ، و بالعكس من ذلك فان عقيدة التثليث في المسيحية هي العقيدة الأولى التي تتوقف نجاة المرء على الايمان بها ، فلو كانت هي بدورها من المتشابهات لكان معنى ذلك أن الله كلفنا الفهم والايمان بشئ لا يأتي في نطاق فهمنا ، بعبارة أخرى : إن نجاة المرء ـ فيما ترى العقيدة المسيحية ـ و إيمانه يتوقفان على شئ يفوق قدرة فهمه ، أما المتشابهات القرآنية ، فان إسلام المرء و إيمانه لا يتوقفان على إدراكها و المعرفة بمغزاها ، فلو ظل أحد عبر حياته جاهلا بالمتشابهات ، لما غير ذلك من إيمانه شيئاً .

و ثانياً : فان اعتبار عقيدة التثليث من « المتشابهات » دليل الجهل بحقيقة المتشابهات أو بالمسيحية ذاتها ، ذلك أن المتشابهات ما لايستطيع الفهم البشري أن يدركه ، ولا يكون مما يتعارض مع العقل ، أى أن المتشابهات تكون مما وراء العقل ، و لا تكون مما لا يقبله العقل .

و المتشابهات في الاسلام نوعان : الأول ما لا يدرك له معنى على الاطلاق ، و ذلك مثل حروف المقطعات ، نحو « الم » فلم يستطع أحد حتى يوم الناس هذا ، أن يجزم بمعاني حروفها و ما تتضمنه من أسرار ، ★

يدل على مدى فهم هؤلاء السادة للمسيحية؟ ألف القسيس « قائم الدين » رسالة صغيرة باسم « تكشيف التثليث » فى شرح وتفسير عقيدة التثليث ، طبعت فى « لاهور » (باكستان) عام ١٩٧٢م ، يقول المؤلف فى رسالته و هو يضرب مثلا لعقيدة « التوحيد » فى التثليث » :

★ و الثانى ما يفهم له معنى من ظاهر الألفاظ ، و لكنه لا يتفق والعقل ، فيقال : إن هذا المفهوم الفائح من ظاهر الكلمات ، ليس بمراد ، أما المعنى المقصود فلا نعلمه ، فمثلا : جاء فى القرآن الكريم « الرحمن على العرش استوى » فلهذه الألفاظ معنى يفهم من ظاهرها ، لكنه لا يطابق العقل ، لأن الذات الالهية غير متناهية ، فلا يسعها مكان ، فذهب جمهور الأمة المسلمة إلى أن الظاهر من الآية غير مراد ، أما المعنى المراد فلا نعلمه نحن البشر .

و من الواضح أن عقيدة التثليث لا تدخل فى النوع الأول من المتشابهات ، لأن الكلمات المستعملة فى هـــذه العقيدة يفهم معناها من ظاهرها ، و كذلك لا تدخل فى النوع الثانى ، لأن السادة المسيحيين لوقالوا : إن المعنى الظاهر من هذه العقيدة لايوافق العقل ، فالمعنى الظاهر غير مراد ، و المراد شئ آخر لا نعلمه ، لاستقامت الدعوى ، غير أن الديانة المسيحية تصرح بأن ظاهر معنى هذه العقيدة هو المراد و من الواجب على كل مسيحى أن يؤمن بأن الله ثلاثة أقانيم ، و أن هذه الثلاثة واحدة . إذاً فانهم يزعمون أنهم لا يؤمنون بعقيدة لا تتفق مع العقل ، و إنما يقولون إنهم لا يفهمون المراد الحقيقى منها .

ثم إن الآيات القرآنية التى يعدها المسلمون من « المتشابهــات » ★

« التأمل فى التركيب الجسمانى للانسان يدل على أن كيانه يتألف من الأجزاء المادية المتجانسة ، التى تستطيع الأنظار المادية أن ترى هيئتها الاتحادية ، فمثلا : العظم ، واللحم ، والدم ، من اتحاد هذه الأشياء الثلاثة يقوم الجسم الانسانى فى الوجود ، ولو فقد واحد منها لما تم وجود الجسم الانسانى » (١) .

حاول السيد القسيس فى العبارة المسرودة أعلاه ، أن يثبت أن الكائن الانسانى كما يتألف من الأجزاء الثلاثة : اللحم والدم و العظم ، كذلك فان الذات الالهية ـ معاذ الله ـ تتألف من ثلاثة أقانيم ، مما يدل على أن السيد القس يفهم أن المراد من « ثلاثة أقانيم » فى المسيحية ، هى « ثلاثة أجزاء » و كما أن الشئ المركب من أجزاء يكون من حيث المجموع واحداً كذلك الذات الالهية رغم تألفها من ثلاثة أقانيم واحدة ، على حين أن المسيحية لا تؤمن بثلاثة أقانيم كثلاثة أجزاء ، وإنما تؤمن بها كثلاثة أشخاص مستقلين (٢) ، ومن هناك فانها لم تستخدم للأب و الابن و روح القدس كلمة « الأجزاء » و إنما استعملت كلمة « الأقانيم » (Persons) أو « الأشخاص » و لا شك أن الكائن الانسانى يتألف من اللحم و العظم و الدم ، لكن أحداً لا يقول بأن اللحم وحده ، أو العظم

★ عقيدتهم فيها : أن الدعوى التى تتضمنها هذه الآيات ، لا يفهمونها ، ولكن مهما كانت هذه الدعوى فانها توافق العقل و تطابق الدليل ، بالعكس من ذلك فان مذهب المسيحيين فى عقيدة التثليث أن الدعوى التى تتضمنها محددة معلومة ، و لكنهم لا يفهمون الدليل عليها ، على كل فان عقيدة التثليث ليست من « المتشابهات » فى شئ ، (المؤلف) .

(١) تكشيف التثليث ، ص ٢٤ ، مدينة لاهور ، ١٩٧٢م .
(٢) راجع تفسير ذلك فى ألفاظ « آجستين » فيما أسلفنا . .

وحده ، أو الدم وحده . « إنسان » و إنما يقول إنه جزء من الانسان ، وعلى العكس من ذلك فان المسيحية تعد كلا من الأب و الابن و روح القدس إلهاً ، و لا يعده جزءاً من الله (١) .

و إنما قدمنا هذا المثال ، لكى يرى القراء أن معظم القسيسين الهنود كيف تغيب عن أنظارهم تفاصيل دياناتهم نفسها ، عندما ينهضون لكى يثبتوا التثليث بدلائل عقلية ، ولذلك فسنعرض صفحاً عن دلائلهم ، و سنبحث عما قاله القدماء من علماء المسيحية ، و توصلت فى ضوء دراستى و بحثى فى هذا الشأن أن ما كتبه العالم و الفيلسوف المسيحى « سينت آجستين » فى القرن الثالث المسيحى هو أكثر الكتب الموضوعة فى هذا الموضوع بسطاً و تفصيلا و شمولا ، و كل من درج من بعده استفاد منه ، ونقل الكتاب إلى الانجليزية (A. W. Haddan) و طبع باسم (On The Trinity) وهو مدرج فى مجموع مقالات «آجستين» الذى طبع فى « نيويورك » عام ١٩٤٨م باسم (Basic Writigs Of St. Augustine) (٢) و إذا كانت المباحث النقلية تشغل الحيز الأكبر من الكتاب ، فانه قدم فى أواخر الكتاب أمثلة لاثبات أن « اتحاد الثلاثة و الواحد » جائز عقلا ، و سنعرض خلاصة هذه الأمثلة فيما يلى .

---

(١) فلو اعتبرت المسيحية هذه الثلاثة أجزاء لله ، لصح التأويل الذى قدمه القس قائم الدين ، و إن كان اعتبار الله مركباً من الأجزاء مما لا يقبله العقل فى ضوء الدلائل الأخرى ، كما أن ذلك يتنافى مع قدمه و دوامه

(٢) ومهما أحلنا على « آجستين » فى هذا الكتاب ، فان المراد من ذلك هو مجموع مقالاته هذا ، ليس غير .

إثبات التثليث بضرب المثال بالدماغ :

و المثال الأول الذى قدمه « آجستين » هو أن دماغ الانسان أداة العلم عند الانسان ، و أن العالم و المعلوم و أداة العلم ثلاثة أشياء على الانفراد فى الأغلب ، مثلا : إذا كان لك علم بوجود زيد ، فأنت عالم ، و زيد معلوم ، و دماغه أداة العلم ، إذاً فان :

العالم :- :- :- :- :- :- هو أنت

و المعلوم :- :- :- :- :- هو زيد

و أداة العلم :- :- :- :- :- هى الدماغ

و بجانب ذلك فان دماغك عنده علم بوجود نفسه أيضاً ، و على ذلك فكان الدماغ هو العالم و أداة العلم معاً ، لأن الدماغ حصل له العلم بنفسه عن طريق نفسه فكان الواقع إذاً كما يلى : .

العالم :- :- :- :- :- :- هو الدماغ

و المعلوم :- :- :- :- :- هو الدماغ

و أداة العلم :- :- :- :- هى الدماغ

فقد رأيت فى المثال أن العالم و المعلوم و أداة العلم ثلاثة أشياء فى الواقع على الانفراد ، و لكنها صارت واحدة ، فقد كان العالم شيئاً ، و المعلوم شيئاً آخر و أداة العلم شيئاً ثالثاً ، و لكن هذه الثلاثة كانت واحدة فى المثال الثانى ، فلو سأل أحد : من هو العالم ؟ لكان الجواب : الدماغ ، و لو سأل : ما هو المعلوم لكان الجواب : الدماغ ، و لو سأل : ما هى أداة العلم ؟ لكان الجواب : الدماغ ، ليس إلا ، على حين أن الدماغ واحد ، والسر فى ذلك أن الدماغ يحمل ثلاث صفات ، و لحامل كل منها يقال : الدماغ ، و لكن لا يقال : إن

الدماغ ثلاثة :

يقول « آجستين » : إن الله كذلك عبارة عن ثلاثة أقانيم ، و كل من هذه الأقانيم إله ، و لكن ذلك لا يستلزم أن يكون الاله ثلاثة ، و إنما هو إله واحد (۱) .

لقد أبدى « آجستين » عن ذكائه البالغ بضرب هذا المثال ، لكننا لوأمعنا فيه بانصاف ، لعلمنا أنه لا يسمن و لا يغني من جوع ، لأن الدماغ في المثال المذكور أعلاه ، واحد في الحقيقة ، و تثليثه اعتباری ، لیس حقيقياً ، على حين أن المسيحية تؤمن في الاله بالتوحيد الحقيق و التثليث الحقيقي معاً .

و تفصيل ذلك أن الدماغ في المثال المذكور ، له ثلاثة اعتبارات ، و هو عالم باعتبار ، و معلوم باعتبار ، و أداة علم باعتبار ، و لكن هذه الثلاثة واحدة باعتبار الوجود الخارجي الواقعي ، والمصداق الخارجي للعالم هو ذلك الدماغ الذي هو مصداق المعلوم و أداة العلم ، و ليس أن الدماغ العالم كائن مستقل ، و الدماغ المعلوم كائن مستقل آخر ، و الدماغ الذي هو أداة العلم كائن مستقل ثالث ، لكن الأب والابن وروح القدس ليست ثلاث صفات اعتبارية للاله عند المسيحية، وإنما هي ثلاثة كائنات مستقلة ، فالأب له وجود خارجي على حدة ، و الابن له وجود خارجي مستقل ، و روح القدس له وجود في الخارج منفرد ، و كل من هذه الكائنات الثلاثة مستقل عن الآخر تماماً ، في أفعاله و أحكامه ، ويقول «آجستين» بدوره في مستهل كتابه :

«ولا يظنن أن هذه الوحدة الثالوثية هي ذاتها ولدت من بطن مريم العذراء و صلبها « بينطس بيلاطس » و دفنت ، ثم قامت من قبرها في اليوم الثالث ،

(۱) « آجستين » ، ج ۲ ، ص ۷۹۲ .

و دخلت فى الجنة ، لأن هذه الحوادث لم تقع للوحدة الثالوثية ، و إنما حدثت للابن وحده ، و كذلك لا يظنن أن هذه الوحدة الثالوثية هى التى نزلت على يسوع المسيح مثل حمامة لدى اصطباغ، . . . .

« لأن هذا الحادث إنما كان مع روح القدس ، و على ذلك فلا يصح أن يظن أن يسوع المسيح إذ كان تجرى عليه عملية الاصطباغ أو كان قائماً على الجبل مع تلاميذه ، فنادته الوحدة الثالوثية قائلة : أنت ابنى .

« .. .. و إنما كانت تلك كلمات الأب موجهة إلى الابن (١) » .

تؤكد هذه العبارة بصورة واضحة أن المسيحية لاتؤمن بمجرد الفرق الاعتبارى أو الاضافى فيما بين الأب و الابن و روح القدس ، و إنما تعتبرها ثلاثة كائنات حقيقية منفردة ، على حين أن مثال الدماغ السالف الذكر ، ليس فيه العالم والمعلوم وأداة العلم ثلاثة كائنات أو ذوات حقيقية ، و إنما هى ثلاث صفات اعتبارية لكائن حقيق واحد ، و سوف لا يقول عاقل واع إن الدماغ العالم له وجود مستقل ، و الدماغ المعلوم له وجود ثان مستقل ، و الدماغ الذى هو أداة العلم له وجود ثالث مستقل ، و رغم ذلك فان هذه الثلاثة واحدة ، على حين أن لباب عقيدة التثليث أن الأب كائن مستقل ، و الابن كائن آخر مستقل ، و روح القدس كائن ثالث مستقل و رغم ذلك فان الثلاثة واحدة .

و عصارة القول : إن المسيحية تزعم أن الوحدة و التعدد « التثليث » كليهما حقيق فى الله معاً . لكن المثال الذى قدمه « آجستين » كانت الوحدة فيه حقيقية ، و التعدد ليس بحقيق ، وإنما هو إضافى ، فلا يثبت بذلك « اتحاد الثلاثة و الواحد بصورة حقيقية » أما كثرة الصفات فى ذات الله وحدها ، فليس ذلك

(١) آجستين ، ج ٢ ، ص ٦٧٢ .

موضع خلاف ، فقد أجمعت عليه الديانات كافة التى تومن بأن الله يتصف بالصفات الكثيرة رغم كونه واحداً ، إنه رحيم ، و قهار ، و عالم الغيب ، و قادر على الاطلاق ، وأمثال ذلك ، له صفات كثيرة ، و ذلك لا يمس وحدانيته إطلاقاً ، لأن أحداً لايقول إن الله الرحيم غير الله القهار ، أو إن الله القادر على كل شئ غيرهما ، و عـلى العكس من ذلك فان المسيحية تقول بأن الأب إله على حدة ، و الابن إله على حـدة ، و روح القدس إله على حدة ، ورغم ذلك ليسوا ثلاثة آلهة ، و إنما هم إله واحد .

مثال آخر :

و كذلك قدم « آجستين » مثالا آخر ، إنه يقول إن دماغ الانسان يحب علمه ، و هو يعلم هذا الحب ، إذاً فانه محب بالنسبة إلى علمه ، و عالم بالاضافة إلى حبه أى أن :

الدماغ ـ: ـ: ـ: بالنسبـة إلى علمه ـ: ـ: ـ: ـ: محب

والدماغ ـ: ـ: ـ: بالنسـة إلى حبه ـ: ـ: ـ: ـ: عالم

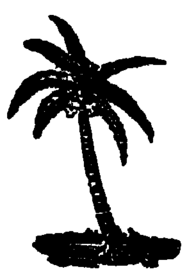
و على ذلك فوجدت هناك ثلاثة أشياء : الدماغ ، المحب ، العالم ، و الثلاثة واحدة ، لأن المحب هو الدماغ ، و العالم ، هو الدماغ ، و الدماغ هو الدماغ ، و كذلك فان الله له ثلاثة أقانيم : الذات الالهية (الأب) علمه (الابن) حبه (روح القدس) و هذه الثلاثة واحدة .

وهذا المثال كذلك يقوم على سوء الفهم ، و ذلك أن الدماغ ذات ، والمحب و العالم صفتاها ، اللتان ليس لهما وجود مستقل ، و بالعكس من ذلك فان الأب عند المسيحية هو الذات ، و الكلام (الابن) والحب (روح القدس) صفتاها اللتان لهما وجود جوهرى . حقيقى مستقل ، إذاً فان الوحدة فى مثال الدماغ

حقيقية و التعدد اعتبارى ، و ذلك ممكن تماماً ، أما عقيدة التثليث فقد جاءت فيها دعوى التعدد الحقيقى (التثليث) مع الوحدة الحقيقية ، و ذلك مستحيل عقلا .

و لوكانت عقيدة المسيحية أن الله ذات و أن كلامه وحبه ليس لهما وجود جوهرى مستقل عن الله ، لصح هذا المثال ، و هناك لم تعد هذه القضية مختلفاً فيها فيما بين الاسلام والمسيحية ، ولكن الذى عقد الأمر أن المسيحية تعتبر الحب كائناً مستقلا له وجود جوهرى ، وتؤمن بكل من الأب و الابن و روح القدس إلهاً ، و رغم ذلك تزعم أنهم ليسوا ثلاثة آلهة و إنما هم إله واحد ، و ذلك لا ينطبق بشكل من الأشكال على مثال الدماغ المذكور ، لأن المحب و العالم ليس لهما وجود مستقل فى المثال ، على حين أن الابن و روح القدس لهما فى الديانة المسيحية وجود مستقل عن الأب .

قد جعل «آجستين» هذين المثالين مدار بحثه العقلى فى كتابه ، وقد لاحظت أن المثالين لا يستقيمان .



«««« التحذير من المعاملات الربوية »»»»

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - الرئيس العام
لادارات البحوث العلمية
و الافتاء و الدعوة و الارشاد (الرياض)

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين و من سار على نهجهم و اهتدى بهداهم إلى يوم الدين - و بعد :-

فقد كثرت الدعايات للساهمة فى البنوك الربوية فى الصحف و المجلات المحلية و الأجنبية و إغراء الناس بإيداع أموالهم فيها مقابل فوائد ربوية صريحة معلنة كل بحسب الفترة الزمنية التى يبقى فيها ماله مودعاً فى ذلك البنك، ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن الفوائد التى يأخذها أرباب الأموال مقابل مساهمتهم أو إيداعهم فى تلك البنوك حرام سحت و هى عين الربا الذى حرمه الله و رسوله و من كبائر الذنوب و مما يمحق البركة و يفسد المال على صاحبه إذا خالطه و يسبب عدم قبول عمله، وقد صح عن رسول الله أنه قال: [إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين] فقال تعالى : « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات و اعملوا صالحاً » و قال تعالى : « ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » ثم ذكر : الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب له] رواه مسلم.

و ليعلم كل مسلم أنه مسئول أمام ربه عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، ففى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال : [لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن شبابه فيما أبلاه و عن عمره فيما أفناه و عن ماله من أين جمعه وفيم أنفقه و عن علمه ماذا عمل به] و اعلم أيها المسلم وفقك الله أن الربا كبيرة عظيمة من كبائر الذنوب التى جاء تحريمها فى كتاب الله و سنة رسوله ﷺ بجميع أشكاله و أنواعه ومسمياته ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة و اتقوا الله لعلكم تفلحون » و قال تعالى : « وما آتيتم من رباً ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله » وقال تعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله و من عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، يمحق الله الربا و يربى الصدقات و الله لا يحب كل كفار أثيم » و قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و ذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله و رسوله ، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون و لا تظلمون » ، وقال النبى ﷺ : [اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله و ما هن قال : الشرك بالله و السحر و قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق و أكل الربا و أكل مال اليتيم و التولى يوم الزحف و قذف المحصنات الغافلات المؤمنات] و معنى الموبقات المهلكات ، و قد عد الربا منهن ، و قال ﷺ : [الربا ثلاثة و سبعون حوباً أيسرها مثل أن يأتى الرجل أمه] و صح أن رسول الله ﷺ : لعن آكل الربا ومؤكله و كاتبه وشاهديه وقال : هم سواء] وقال ﷺ : الذهب بالذهب و الفضة بالفضة و البر بالبر و التمر بالتمر و الشعير بالشعير و الملح بالملح مثلا بمثل يداً بيد

فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطى فيه سواء] رواه مسلم ، فهذه بعض الأدلة من كتاب الله و سنة رسوله ﷺ تبين تحريم الربا و خطره على الفرد و الأمة و أن من تعامل به و تعاطاه فقد أصبح محارباً لله و رسوله ، فنصيحتى لكل مسلم أن يكتفى بما أباح الله و رسوله و أن يكف عما حرمه الله ورسوله ، ففيما أباح الله كفاية وغنى عما حرم، وألا يغتر بكثرة بنوك الربا وانتشار معاملاتها فى كل مكان فان كثيراً من الناس أصبح لا يهتم بأحكام الاسلام وإنما يهتم بما يدر عليه المال من أى طريق كان و ما ذاك إلا لضعف الايمان وقلة الخوف من الله عز و جل و غلبة حب الدنيا على القلوب، نسأل الله السلامة ، و هذا الواقع المؤلم من الكثير من المسلمين يوجب على المؤسسات الخاصة والجهات الرسمية وخواص التجار بأن يتعاونوا جميعاً على تعزيز المصارف الاسلامية التى بدأت تظهر فى بلاد المسلمين و ثبت نجاحها ولله الحمد، و أن يعمل الجميع على تحويل البنوك القائمة اليوم إلى بنوك إسلامية تكون معاملاتها متمشية مع الشريعة الاسلامية و خالية من الربا بجميع أشكاله وصوره ، كما أنى أوجه نصيحتى إلى المسئولين فى الصحف المحلية خاصة و فى صحف البلاد الاسلامية عامة أن يطهروا صحافتهم من نشر كل ما يخالف شرع الله فى أى مجال من مجالات الحياة، كما آمل من الجهات المسئولة التأكيد على رؤساء الصحف بأن لا ينشروا شيئاً فيه مخالفة لدين الله و شرعه .

والله المسئول أن يوفق المسلمين عامة و ولاة أمورهم خاصة للتمسك بشرعه و تحكيم شريعته و أن يأخذ بنواصيهم إلى ما فيه صلاح دينهم و دنياهم وأن يجنبنا جميعاً طريق المغضوب عليهم والضالين ، إنه ولى ذلك والقادر عليه، وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد و على آله و صحبه أجمعين ..

الاسلام يحارب التسول

سماحة الأستاذ الدكتور عبد الله عبد القادر بلفقيه
الحسينى الاندونيسى

مهما اشتد حرص الاسلام على تقرير مبدأ الانفاق فى سبيل الله ، لم يرد منه مجرد الانفاق و البذل بأن يخرج المثرى بعض ماله لغيره أياً كان ذلك الغير ، و إنما أراد بالانفاق الذى قرره على أغنياء المسلمين ما يحقق الضمان الاجتماعى بين الأغنياء وأرباب الحقوق عليهم ، وذوى الفقر والحاجة الذى لم يكن - لديهم قوة عملية يدفعون بها حاجتهم وينقذون من مخالب الفقر المذلة للنفوس المضيعة للكرامات .

و من هنا رسم للانفاق دوائره التى ينبغى أن يتجه إليها ، رسم دوائر للأهل و الأقارب « و آتى المال على حبه ذوى القربى » (البقرة ١٧٧) « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض » (الأنفال ٧٥) « و آت ذا القربى حقه » (الاسراء ٢٦) « و بالوالدين إحساناً و بذى القربى » (النساء ٣٦) و رسم دائرة الفقراء والمساكين الذين لا يجدون ولا يقدرون على أن يعملوا - « و لا يحض على طعام المسكين » (الماعون ٣) « و اليتامى و المساكين » (البقرة ١٧٧) « ولم نك نطعم المسكين » (المدثر ٤٤) و رسم بكلمة (فى سبيل الله) دائرة الانفاق فى المصالح العامة والمشروعات الجماعية ، وفى أوائلها المصالح الخيرية ، و المستشفيات العلاجية ، و المعاهد العلمية ، و ما إلى ذلك مما يحقق للمجتمع حاجته فى حفظ كيانه و حفظ صحته و عقله و ثقافته .

و لا يكاد يشتبه أحد فى تحديد دائرة أهله و أقاربه ، و لا فى تحديد دائرة

المشروعات النافعة - فهما دائرتان واضحتان لا لبس فيهما و لا خفاء .

نعم يقع الاشتباه عند كثير من الناس فى دائرة الفقر والمسكنة ، هذه الدائرة التى يتزيا بزى أهلها الحقيقيين كثير من المتحرفين ، سولت لهم نفوسهم البطالة فمدوا أيديهم بالسؤال ، و اتخذوا مشروعية الصدقة فى الاسلام سبيلا للجمع عن طريق التمسكن ، والظهور بمظهر الفقراء المستخفين وبذلك استغلوا بماء وجوههم عاطفة الناس .

يطالب الله الانسان القادر على العمل أن يعمل تحصيلا لرزقه و حفظاً لماء وجهه ، و يشدد عليه فى ذلك كله و يضع السعى أمامه فى مستوى العبادة فيتحلل الانسان من تلك الأوامر ، و ينزع نفسه من معانى الكرامة منزعاً ، و يتخذ التسول صنعة يتنقل بها فى الطريق و المقاهى ، و مركبات الترام والقطار والميادين العامة ، منها يتعيش ، و بها المال يجمع ، يقف للمارة بالمرصاد ، يسد عليهم طريقهم ، و يعترضهم فى سيرهم مرتلا لهم دعوات فاذا لم يعط بها قابلها لعنات « فان أعطوا منها رضوا و إن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون » (التوبة ٥٨) .

إن هذا الصنف كثر فى هذه الأيام ، و تفنن فى مظاهر العجز ، و دواعى سؤال ، فمنهم من يتعارج ، و منهم من يتعامى ، و من يزعم أنه خرج من مستشفى العلاج و ليس معه أجرة القطار ، و لا أجرة المأوى و لا ثمن الخبز ، هؤلاء كذبة فجرة ، فقدوا ماء الوجه . و حرموا فضيلة الحياة ، و استطابوا هذه الوسيلة الوضيعة لجمع المال بغير كد و عمل .

المسكين الذى يستحق العطف و يجب له البذل ، هو من قعد به المرض و السعى فى العمل ، و هو من سعى إلى عمل فسدت فى وجهه السبل ، هذا هو المسكين ، ومع هذا فشأنه أن تدل عليه حالته ، فيعطف عليه أهل الخير و السخاء « للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضرباً فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً » (البقرة ٢٧٣) ليس المسكين

من ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان- ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه (١)] [لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلق الله و ليس بوجهه مزعة لحم (٢)] إن تنظيم الانفاق فى هذه الدائرة ، دائرة الفقر و المسكنة من أوجب الواجبات على المصلحين و القائمين بشؤون المجتمع ، عليهم أن يتعرفوا المحتاجين حقيقة ، وبخاصة الأسر التى أخنى عليها الدهر ، وصارت بعد العزة إلى ذلة ، و بعد الغنى و اليسار إلى الحاجة و المسكنة و يمنعم الحياء عن الظهور بمظهر السائلين أو المتسولين ، و قد يكون من أقرب الطرق لمعرفة هؤلاء ، تقسيم المدن إلى مناطق ، يكلف أمناء كل حى من أحيائها بمعرفة المحتاجين للعمل أو المعونة فيها ، وبما يجمعون من أهل الخير واليسار ، يسدون حاجة المحتاج بنفقة يدفعونها أو عمل يهيئونه له ، ويجرى هذا التنظيم فى كل قرية ، وأعتقد أنه إذا وضع موضع التنفيذ و العناية ، كانت الصدقات التى يبذلها الأفراد لهؤلاء المتسكعين المتوسلين ، رأس مال كبيراً ، به تنقذ بلادنا من مظاهر التسول التى امتلأت بها الشوارع و أمكن الانتفاع بكثير من هؤلاء المتسولين فيما تحتاجه البلاد فى توسيع الوديان للزراعة ، و شق الأنهار و تعبيد الطرق ، و ستجد الحكومة منهم جيشاً جراراً به تنتفع البلاد وبه تتق خطرهم فى الأمن كما تتق خطرهم فى الكرامة .

---

(١) ليس المسكين من ترده اللقمة واللقمتان إلخ - رواه أحمد بن حنبل فى المسند و رواه البخارى و مسلم و أبو داوّد و النسائى عن ابن مسعود (صحيح) بلفظ ليس المسكين الذى يطوف على الناس فترده اللقمة و اللقمتان إلخ (انظر الجامع الصغير صفحة ٢٧٢ مطبعة دار القلم ١٩٦٦) .

(٢) لا تزال المسألة بأحدكم إلخ - رواه البخارى ج ١ ص ٢٥٧ فى باب من سأل الناس تكثراً ، مكتبة أحمد بن سعد بن نبهان و أولاده سورابايا .

الحلقة السادسة

من بحوث

الندوة العالمية للأدب الإسلامي

شعر الجهاد فى مقاومة الغزو المغولى

الأستاذ مأمون فريز محمود جرار
ماجيستر فى الأدب العربى بالشارقة

٤- مدح قادة الجهاد :

وقف نفر من الشعراء إلى جانب أبطال المسلمين الذين تصدوا لغارات المغول ، و كان من الطبيعى وهم يسجلون أحداث الغزو ، و انتصارات المسلمين ، أن يلتفتوا إلى أولئك الأبطال الذين كان لهم من العزيمة و قوة البأس ، ما جعلهم يثبتون أمام جحافل المغول و يردونهم على أعقابهم خاسرين .

و قد رسم الشعراء للقادة المسلمين صورة طيبة ، تجتمع فيها صفات القوة و الخير ، و إن ما يجعلنا نحس بصدق ذلك التصوير ، إن التاريخ حفظ لنا من أفعال أولئك القادة ، صفحة مشرقة من الجهاد و البطولة !

من الصفات التى مدح بها القائد المسلم جهاده فى سبيل الله ، ودفاعه عن الدين ، قال شرف الدين الأنصارى فى مدح الملك المنصور صاحب حماة الذى شارك فى موقعة عين جالوت :

يا ناصر الدين يا محمد ما أولى بحمد من ينصر الدينا (١)

و من نتائج ذلك الجهاد و نصرة الدين نشر الأمن فى ربوع المسلمين ، قال الأنصارى فى ممدوحه :

فلقد أنمت المحصنات أوامنا و لقد أقمت شعائر النساك

---

(١) ديوان الصاحب شرف الدين : ص ٤٧٤ .

سلبت مهجـة كل بر مسلم و هزمت كل معاند أفاك (١)

و قال القاضى ناصر الدين بن العسقلانى ، مبيناً نعمة الله على المسلمين بجعل قلاوون سلطاناً عليهم و ذلك فى مدحه له بعد موقعة حمص سنة ٦٨٠هـ :

لخير أراد الله ملك قلاون فأحيا به الاسلام و الملة الغرا

وصان حريم المسلمين بسيفه فلا أيم تسبي ولا توطأ العذرا (٢)

و القائد المسلم رمز للقوة و البطولة ، و تدبير أمور الحرب ، فهو يثبت حين يفر غيره ، و يصمد حتى يفرج كربة المعركة ، و يجد للدين مخرجاً .

قال شرف الدين الأنصارى فى ملك حماة المنصور الثانى ، يصف موقفه فى عين جالوت :

صادم جيش التتار مقتحماً ما جشأت نفسه و لم تجش (٣)

و قال القاضى محى الدين عبد الظاهر ، يمدح قلاوون لصموده فى موقعة حمص سنة ٦٨٠هـ :

لله فى حمص مقاماً قامــه والنـار من بين الأسنة توهـج

والناس قد فروا فلا مترتب والناس قد هربوا فليس معرج

فثنى العنان وما انثنى حتى بدا للدين من أمر الأعادى مخرج (٤)

ومن مظاهر قوة القائد المسلم الحنكة العسكرية التى تتجلى فى حسن الاستعداد للمعركة و براعة التنظيم ، و التخطيط السليم ، قال شرف الدين الأنصارى يمدح

(١) المصدر نفسه ص ٦٦٧ ، ذيل مرآة الزمان ج ٣ ص ١١٥ .
(٢) زبدة الفكرة : ج ٩ ص ١٦٣ .
(٣) ديوان الصاحب شرف الدين : ص ٢٦٨ .
(٤) زبدة الفكرة : ج ٩ ص ١٦١-١٦٢ .

ملك حماة ، و یذکر وقفته فی موقعة عین جالوت :

جردت یوم الأربعاء عزیمـــة خفیت عواقبهـــا عن الادراك
و أقمت فی یوم الخمیس مبالغاً فی الجمـــع بین طوائف الأتراك
ووقفت فی یوم العروبة موقفاً أوسعت فیـه الفتك بالفتـــاك (١)

و مع الحنكة العسکریة ، شدة الصولة علی الأعداء ، و قوة البطش بهم ، قال ناصر الدین بن العسقلانی یصف قلاوون فی موقعة حمص سنة ٦٨٠هـ :

هو المقدم الكرار فی حومة الوغی إذا أحجم الأبطال و امتلأوا ذعراً
هو الأسد العادی علی أنفس العدی هو القمر الهادی إذا أظلم المسری(٢)

و ما دام القائد المسلم بهذا البأس ، فان ظهوره فی المعرکة یملأ قلوب المغول رعباً ، فیولون الأدبار ، قال الأمیر ناصر الدین بن النقیب ، یذکر أثر بیبرس علی الأعداء فی وقعة الفرات ٦٧١هـ :

طلعت علیهم کالصبح یجلو بطلعتـــه من الظـــلم اعتکاراً
فلما آن رأوك فما استطاعوا ثباتاً لا و لا ملکوا اصطباراً
و ولوا هاربین بلا عقول و باتوا خائفین و هم حیـاری (٣)

و قد حاول بعض الشعراء استثارة همة القادة المسلمین لمتابعة الجهاد ، حتی تتحرر بلاد الاسلام من الغزو المغولی ، مشیرین إلی أن ذلك غیر کثیر علی من تحققت علی یدیه الانتصارات العظیمة علی المغول و غیرهم من أعداء الاسلام ، قال

---

(١) دیوان الصـــاحب شرف الدین : ص ٥٥٧ ، ذیل مرآة الزمان : ج ٢ ص ١١٥ .

(٢) زبدة الفکرة : ج ٩ ص ١٦٢ .

(٣) الروض الزاهر فی سیرة الملك الظاهر ، لمحی الدین بن عبد الظاهر : ص ٤١٠ .

القاضى جمال الدين أبوبكر أثر انتصار المسلمين فى مرج الصفر سنة ٧٠٢هـ، متحدثاً عن المأمول من الملك الناصر محمد بن قلاوون :

أنا لنرجوه من بغداد ينهلها (١) بمــاء دجلة يرويها فتصطدر
ويجمع الشمل فى دار السلام بمن يودها ، ويؤدون الذى نذروا
يؤمهـا و أمام المسلمين معـاً ثقوا بقولى فهذا منه منتظر (٢)

و كذلك فعل شهاب الدين محمود فى مدحه للاشرف خليل بن قلاوون إثر فتح عكا و استردادها من الصليبيين فهو يقول :

من كان مبدأه عكا وصور معاً فالصين أدنى إلى كفيه من حلب !

و لم يكن هذا القول تخرصاً من الشاعر ، فابن كثير يروى أن الأشرف خليل ،كان قد عزم على غزو العراق ، و استرجاع تلك البلاد من أيدى التتار ، واستعد لذلك ، ونادى به فى البلاد ، ولكن حال بينه وبين ذلك الموت (٣) .

و لم يقتصر الشعراء فى مدح أبطال المسلمين و قادتهم على الجانب الحربى ، بل تعدوا ذلك إلى جوانب أخرى ، فهو فى الوقت الذى يبيد الأعداء ، يذم بالعطاء على المسلمين و ينشر الخير بينهم ، قال القاضى محى الدين بن عبد الظاهر يمدح بيبرس ، وذلك بمناسبة قدوم طائفة من التتار المستأمنين ، الذين دخلوا فى الاسلام ، سنة ٦٦٠هـ .

يا مليكاً له الحسام المبيـد و كريماً له العطاء المفيـــد

(١) الضمير عائد إلى الخيل التى ورد ذكرها فى سياق القصيدة .
(٢) كنز الدرر : ج ٩ ص ٩٩-١٠٠ .
(٣) ابن كثير : ج ١٣ ص ٣٣٥ .

لك سيف به الغوى شقى و نوال به الولى سعيـــد (١)

و قال علاء الدين بن عبد الظاهر فى الملك الناصر محمد بن قلاوون ، مبيناً ما أصاب المسلمين من خير على يديه :

أنت غيث إذا وردت إلى الشـا م و نيـل إذا تيممت مصراً

أطلع الله من جبينك شمســاً ليس تخفى و من محياك بدراً

كان أمر التتار مستصعب الحــا ل فصيرت عسر ذلك يسراً (٢)

و لما كان ينعم الناس به من أمن ، و حماية من الغزاة ، استنطق الشعراء الطبيعة لتعبر عن شعورها بالمنة للقائد .

قال شهاب الدين محمود ، فى مدح بيبرس إثر معركة الفرات سنة ٥٧١هـ :

شكرت مساعيك المعاقل والورى و الترب و الآساد و الأطيار

هذى منعت و هؤلاء حميتهــم وسقيت تلك وعم ذى الايثار (٣)

خاتمـــــــــــــة :

إن دراسة شعر الجهاد فى مواجهة الغزو المغولى تكشف عن جوانب عديدة كانت غامضة من قبل ، فقد شاع بين مؤرخى الأدب أن البطولة قد طويت صفحته بعد سقوط بغداد (٤) .

---

(١) الروض الظاهر : ص ١٧٩ .

(٢) درة الاسلاك (خ) ج ١ ص ٢٤٧ .

(٣) ذيل مرآة الزمان : ج ٣ ص ٤ .

(٤) انظر : البطولة منذ سقوط بغداد حتى فجر النهضة ، شكرى فيصل ، مجلة الآداب بيروت ، العدد الأول ١٩٥٩م ص ٤٦ .

و ما أشرنا إلى طرف منه فى الصفحات السابقة ينقض هذه المقولة ، فان كثيراً مما قيل فى أبطال الجهاد ضد الغزاة المغول يمثل صفحة مشرقة فى سفر الملاحم فى التاريخ الاسلامى تضم إلى بطولات صلاح الدين و نور الدين و عماد الدين ، وسيف الدولة الحمدانى والمنصور بن أبي عامر ومن سبقهم من أبطال الاسلام.

كذلك شاع عند مؤرخى الأدب أن الشعر انطفأت شعلته ، وتدنت أغراضه ، و ليست هذه المقولة بأصدق من سابقتها ، فاذا سلمنا بوجود تيار شعرى هابط ، و أغراض نزلت بالشعر من عليائه ، فان علينا ألا نغفل هذا التيار الجاد ، الذى يمثله شعر الجهاد ، و الذى تسمع و أنت تقرؤه صدى أصوات الشعراء العظام ، وصاف الملاحم ، واقرأ إن شئت قصائد شهاب الدين محمود ، و القاضى محى الدين ابن عبد الظاهر ، و القاضى أبي بكر جمال الدين ، و شمس الدين طيبي وغيرهم . . لقد تأثروا بمقاييس عصرهم الأدبية ، و تأثروا بشيوع المحسنات البديعية ، إلا أن ذلك لم يفقد شعرهم رواءه ، وفيه من الصدق والقوة ، ما يضمن له البقاء والقبول فى سجل الأدب .

و تكشف هذه الدراسة كذلك عن حقيقة تتعلق بطبيعة هذه الأمة الاسلامية ، وهى أن فيها قوة كامنة ، ولئن طأطأت رأسها حيناً من الدهر للغزاة ، أو استسلمت للمعتدين ، فان نار الثأر تمور فى الأعماق ، و إن أرحام الأمهات لا تعقم ، فانها تلد فى كل عصر من يجدد لهذه الأمة الأمجاد ، و مهما تكالبت قوى البغى على المسلمين فان الجولة الأخيرة لهم باذن الله .

العالم الإسلامي

صور و أوضاع

من المرتفعات إلى الحضيض

واضح رشيد الندوى

كان القرار الاسرائيلى بضم مرتفعات الجولان إلى إسرائيل ، و منح احتلال الأراضى السورية الصبغة الشرعية ، امتداداً للسياسة التوسعيـــة و تحقيقاً لحلقة من حلقات المخطط الصهيونى الذى تسير عليه إسرائيل منذ مولدها فى أرض فلسطين ، وعلى الجانب الآخر ، يعتبر هذا الاجراء امتداداً لسياسة الخيبة ، بل الانهزامية والتراجع ، ـ إن لم نقل الخيانة و الغدر ـ التى تسلكها قيادات الثورة الاشتراكية التى دأبت على الارتماء فى أحضان أعداء الاسلام و المسلمين شرقياً و غربياً :

قد يكون قرار إسرائيل بضم الجولان ، مفاجأة لعدة دول من دول الرفض و الصمود ، ولكنه فى الواقع ليس غريباً ، فقد كانت الأحداث كلها ، تسير إلى هذه الجهة وكانت سائر المؤشرات تشير إلى هذه النقطة ، كما لم يكن سقوط الجولان مفاجأة فى عام ١٩٦٧م .

ترفع أصوات الاحتجاج على هذا الاجراء ، و أصوات فى تأييد سوريا ، و العطف على قضيتها ، لكنها لا تختلف عن أصوات النائحات على اليتيم ، و قد جاء فى المثل العربى ، ليست النائحة كالثكلى ، فان سوريا نفسها سلمت الجولان فى عام ١٩٦٧م و قد ثبت ذلك و نشرت تلك الوثائق التى تكشف هذه المؤامرة ، و لم يصل « القائد الأســـد » إلى كرسى الحكم إلا مجاراة للدور الذى مثله فى وصول القوات الاسرائيلية إلى هذه المواقع الاستراتيجية .

إن الذين يعطفون على سوريا ، هم فى خـداع النفس ، إذ يتصورون أن هذا الاجراء الاسرائيلى ، كان صدمة للحكام فى سوريا ، فلو كان للحكام السوريين ضمير حى اكان احتلال الجولان هذه المدة الطويلة ، و تهديدات إسرائيل وعملياتها فى لبنان أمام مرأى من القوات السورية و سمعها أقوى و أشد لاثارته من هذا الاجراء الرسمى ، و إذا كان فى هـذا الاجراء ما يهم سوريا فهو أنه فضح حاكم سوريا أمام أعدائه من الاسلاميين ، و أضعف موقفـه ، و ذلك فى الواقع سر اضطراب الولايات المتحدة الأمركية التى كانت تساند سوريا و تدعم اقتصادها لتصمـد فى حربها الاسلام و الاسلاميين ، فاشتركت أمريكا فى إدانة إسرائيل ، و اتخذ قرار مجلس الأمن بالاجماع ، لأن ضعف موقف حاكم سوريا يعزز موقف الاسلاميين ، و قد امتنعت أمريكا قبل شهور عن إدانة إسرائيل على غاراتها على المفاعل الذرى العراقى و التى كانت خرقاً سافراً للعرف الدولى ، و انتهاكا لحرمة المجال الجوى لعدة دول ، و عملا إجرامياً ، امتنعت أمريكا عن الادانة و لكنها على أحر من جمر على الاجراء الاسرائيلى الأخير ، و يصح القول إن أمريكا لم تضطرب باحتلال إسرائيل عسكرياً للجولان كاضطرابها بضم الجولان شرعياً .

لقد ذهبت الجولان فعلا عندما صعدت إليها القوات الاسرائيلية و نزلت عنها القوات السورية ، و لن تعود إلا بصعود القوات العربية من جديد ، و بذل تضحيات فى سبيلها ، إنها لن تعود و قوات سوريا تقاتل اخوانها ، و تدك مدافعها مساجدها و مدارسها و ان تعود و صيحات أبناء البلاد ترتفع للنجدة من الطغاة ، و دعوات المظلومين تصعد إلى السماء للنصر على الظالمين ، ولن تعود ، والمقدسات تنتهك فى البلاد ، و يسخر من القيم .

لقد عرف العرب ، أن الاحتجاجات لا تجدى و عرف العرب أن الطرق

التی اختاروها ، والسیاسة التی انتهجوها منذ أن تخلوا عن قیادة الاسلام دیناً ودولة ، لاتصل بهم إلا إلی خیبات وصدمات ، وإن الجدران التی تهدم و تنهار لاتسندها الصیحات و الصرخات .

إن الطریق إلی النصر واضح مبین ، و ما النصر إلا من عند الله .

مدافع العمال تضرب العمال

العمال فی کل بلد من البلدان الصناعیة فی العالم مصدر قوة للحرکة الشیوعیة ، التی قامت باسم العمال والطبقات الکادحة کرد فعل الاضطهاد والظلم بأیدی الاقطاعین و الرأسمالیین ، و تعتمد الاشتراکیة علی العمال الذین تثیرهم فی کل بلد ، و تؤلف نقابات عمالیة و تحرضهم علی المطالبة بحقوقهم و تستخدمهم ضد النظم القائمة و ضد أصحاب العمل ، ومن أجل ذلک تضمر حرکات العمال فی سائر بلدان العالم ولاءها للاتحاد السوفیتی الذی یعتبر أنه رائد حقوق العمال والسلام فی العالم ویستلهم العمال و زعماءهم من البیانات و التوجیهات والتحرکات التی تحدث فی البلاد الاشتراکیة .

کان ذلک الانطباع سائداً قبل الأحداث فی بولندا ، واجراءات التعسف التی اتخذها الاتحاد السوفیتی ، وقد فضح العمال فی بولندا الاتحاد السوفیتی ، وإخلاصه للعمال ، وحرکة العمال ، کما فضحت الأحداث فی أفغانستان زعامة الاتحاد السوفیتی للدول المستضعفة و حمایتها ضد الاستعمار الغربی .

برز الاتحاد السوفیتی فی أفغانستان کدولة توسعیة مستعمرة تنطلق بمنطق القوة لکبت طموح الشعوب ، و إرغامها علی قبول نظام مستورد ضد رغباتها ، وبرز الاتحاد السوفیتی فی بولندا ، کدولة محاربة للعمال و الطبقات الکادحة التی تطالب بحقوقها المشروعة ، الحقوق التی یدعی الاشتراکیون أنهم من حماتها .

لقد تغيرت الموازين فى أفغانستان و بولندا ، و انكشفت المطامع السوفيتية و ظهرت حقيقتها ، فان الاتحاد السوفيتى ، يستخدم قوته الحربية فى أفغانستان ضد المواطنين الأبرياء الذين يريدون أن يعيشوا فى بلادهم حسب رغباتهم ، ومعتقداتهم ، و يستخدم قوته الحربية و وسائل القمع فى بولندا لاسكات الجماهير العمالية التى تطالب بحقوقها و هى حقوق مشروعة ، إنها لا تطالب بحق تغيير نظام الحكم ، أو تغيير النظام الاقتصادى أو تغيير المذهب السياسى فى البلاد ، ولا تريد الثورة على الاشتراكية و إنما تطالب أن تمنح حق الاضراب ، و أن يسمع صوتها و أن لا تكون المعاملة معها معاملة الآلات و الأجهزة الميكانيكية ، فانهم بشر ، لهم عواطف ، ولهم مقتضيات بشرية ، إنهم يشاهدون أن العمال فى البلاد التى يعتبرها الاشتراكيون أعداء العمال يتمتعون بحرية و حقوق أكثر مما يتمتع بها العمال فى بلاد العمال ، فلهم حق فى أن يطالبوا بحقوقهم المسلوبة .

إن الموازين للحرية و الحقوق الانسانية فى الاتحاد السوفيتى مزدوجة كدول الاستعمار الغربى ، موازين لداخل البلاد ، و موازين لخارجها ، فقد وردت تقارير من الاتحاد السوفيتى أخيراً تفيد بقيام حركات متشتتة للطالبة بالحقوق الأساسية ، منها حرية التعبير و حرية العبادة ، و حرية الملكية التى سلبها النظام الاشتراكى ويتزعم هذه الحركة الكاتب السوفيتى العالمى سخاروف وأعضاء أسرته الذين أضربوا عن الطعام لرفع صوتهم كما أفادت تقارير أخرى أن منشورات وزعت فى عدد من المدن السوفيتية تطالب بالحقوق الأساسية ، وسائر هذه الأحداث تكشف القناع عن وجه من يتزعم بأنه رائد السلام العالمى و حامى العمال .

مجمع دار المصنفين يعقد ندوة عالمية حول « الاسلام و المستشرقون »

قلم التحرير

أعلن مجمع دار المصنفين بمدينة أعظم كره (الهند) عقد ندوة عالمية حول الاسلام و المستشرقين ، فى الأسبوع الأخير من شهر فبراير القادم عام ١٩٨٢م ، و ذلك فى الفترة ما بين ٢١ - ٢٣ فبراير ١٩٨٢ المصادفة ٢٦ - ٢٨ ربيع الثانى عام ١٤٠٢هـ .

وقد وجهت سكرتارية الندوة المزمع عقدها رسائل الدعوة إلى أعلام الفكر الاسلامى ، و رجال العلم و الثقافة و الدعوة الاسلامية ، فى العالم كله ، و قررت عناوين الموضوع البارزة لكتابة البحوث حولها ، و للمساهمة فى نقاش الموضوع الأساسى ، و هى كما يلى :

١- المستشرقون و القرآن الكريم
٢- المستشرقون و السيرة النبوية
٣- المستشرقون والعلوم الاسلامية
٤- المستشرقون و السنة
٥- المستشرقون والتاريخ الاسلامى
٦- المستشرقون و التصوف

و إن مجمع دار المصنفين يعقد هذه الندوة على دعوة من سماحة الشيخ

أبي الحسن على الحسنى الندوى رئيس المجمع الحالى و رئيس ندوة العلماء فى الهند ، نظراً إلى أن عقد مثل هذه الندوات الاسلامية حاجة الفكر الاسلامى الأكيدة ، و إنها ستقوم بتصحيح كثير من الأخطاء المزعومة التى يشهرها المستشرقون ضد العلوم الاسلامية و مصادرها و ضد التاريخ و الفقه و السلوك الاسلامى ، كما أنها ستقوم بدور إيجابى مهم فى مجال الدعم الفكرى و الدعوى للاسلام ، و تكشف زيوف المستشرقين التى ألصقوها بالشخصية الاسلامية ، وهى خطر كبير على العقائد الاسلامية و القضايا الايمانية الغيبية ، كما لا يخفى على ذوى الاطلاع و التجارب من المسلمين .

و لقد تفطن لهذا الخطر الداهم رجال من ندوة العلماء منذ أكثر من ستين سنة ، و أرادوا سد هذا الاتجاه و معالجته بالبحث العلمى و نشر المفيد من تراث الاسلام ، و ذلك عن طريق مجمع علمى يكون منبراً لهذا العمل الكبير ، ليتسنى فيه لرجال العلم العكوف على الدراسة الدقيقة الأمينة للقضايا العلمية الاسلامية التى يثار حولها الغبار ، فأنشأوا مجمع دار المصنفين ، و كان من منشئيه و المتفرغين الأولين للعمل فيه العلامه السيد سليمان الندوى ، و الشيخ عبد السلام الندوى ، و الشيخ مسعود على الندوى ، و ذلك تحت إشراف و توجيه أستاذهم العلامة شبلى النعمانى ،معتمد الشئون العلمية لدار العلوم ندوة العلماء .

و اختار المجمع أولا ثلاثة من جوانب الثقافة و الفكر ، و هى : الفكر الاسلامى ، و التاريخ الاسلامى ، و الثقافة الأدبية ، وقدم فيها نتاجاً علمياً رزينا ، بدد شبهات كثير من أهل العلم و أعاد ثقة كثير من المتعلمين و أهل البحث إلى الاسلام و إلى تاريخه و فكره ، و كانت اللغة الأردية هى اللغة التى قاموا فيها بأكثر عملهم ، و هى كانت اللغة العلمية الأولى السائدة فى شبه القارة الهندية ،

و نالت مطبوعات هذا المجمع قبولا و تقديراً عظيمين من شرق الهند إلى غربها بما فيها باكستان التى كانت غير منفصلة عن شبه القارة .

ولقد كان المستشرقون وأشباههم من علماء الشرق خصماً خاصاً لرجال المجمع فى جهودهم العلمية ، بسبب ما كان يثير أولئك من الشبهات حول نقاط علمية وتاريخية مختلفة فى تاريخ الفكر الاسلامى ، و استمر عمل المجمع بالمستوى العلمى الرفيع ، و نال التقدير و الاعجاب خلال أجيال عديدة مرت له ، و تكونت من جهود رجاله مكتبة إسلامية ذات قيمة علمية كبيرة .

و لقد فكر رجال المجمع مراراً خلال المدة الماضية أن يعقدوا ندوة يستعرضوا فيها أعمال المستشرقين و بحوثهم نحو الموضوعات الاسلامية ، فيكون بذلك تقييم لأعمالهم و استعراض لجهودهم العلمية فى المجالين السلبى و الايجابى ، فان ذلك موضوع مهم من الموضوعات التى تستحق عقد ندوة علمية عليها .

و أذن الله بأن يتمكن المجمع على عقد عزمه لعقد هذه الندوة العالمية حول الاستشراق و الاسلام و نرجو رجال الفكر الاسلامى و المعنيين بالقضايا العلمية الاسلامية و بموضوعات الدراسة و البحث الاسلامى التعاون فى القيام بهذه المهمة الاسلامية العلمية و إبداء آرائهم و توجيهاتهم نحو إنجاح الندوة فى هدفها الكبير.

أفادت الأنباء الأخيرة بوفاة الشيخ عبد الله المفلح رئيس تحرير مجلة الدعوة (الصادرة من الرياض) سابقاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، و سننشر بعض التفاصيل فى الأعداد القادمة .

الأستاذ محمد المبارك فى ذمة الله

قلم التحرير

حملت الأنباء خبر وفاة الأستاذ محمد المبارك أستاذ جامعة الملك عبد العزيز بجدة، عقب نوبة قلبية فوجئ بها وهو فى طريق عودته من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، و ذلك ليلة الجمعة ١٥/ صفر ١٤٠٢ه فانا لله و إنا إليه راجعون .

و كان الخبر صدمة عنيفة للاوساط العلمية والدينية ، و قد فجع به إخوانه و محبوه و المعجبون به ، و تلقى النبأ المؤلم بشئ كثير من الدهشة و الألم سماحة العلامة مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى (رئيس ندوة العلماء فى الهند) و حزن لما بينه و بين الفقيد المرحوم من صلة أخوية عميقة و قديمة ، فقد كان يعرفه ويحبه منذ أن لقيه فى دمشق و اطلع على نشاطه العلمى و الدعوى فى عام ١٣٧١ه ، كما كان الفقيد رحمه الله عميق الصلة بندوة العلماء و نشاطاتها العلمية والأدبية والدعوية ، ولقد كتب لمجلة البعث الاسلامى بحوثاً ومقالات نشرت فيها .

كان الأستاذ المرحوم من كبار المفكرين الاسلاميين و الدعاة المخلصين ، وله مواقف عظيمة فى مجالات الدفاع عن الاسلام ، و تزويد الفكر الاسلامى بآرائه الناصعة و أفكاره الغالية ، و قد وفق إلى تعميق النظرة الاجتماعية فى الاسلام ، و تمكن من إيجاد فلسفة الاجتماع الاسلامى و أضفى عليه لوناً تعبدياً من القدسية و الطهر و الجمال .

قام الأستاذ المرحوم بأعمال جليلة فى مضمار الفكر الاسلامى ، وتزويد المكتبة الاسلامية بانتاجاته الغزيرة الفريدة التى تعتبر إضافة قيمة فى الكتاب الاسلامى ،

ولقد وفق إلى تعميم خدماته العلمية و التربوية الجليلة فزار جامعات العالم الاسلامى و أفادها بغزارة علمه وسعة مادته و خصوبة فكره و حسن اطلاعه على جوانب العلوم و خفايا الفكر ، و استطاع بتفهمه الصحيح للاسلام كنهج كامل شامل للحياة أن يفند المفاهيم الخاطئة ، و يدحض أباطيل الخصوم وأعداء الاسلام ، مما ينشرونه ضد الاسلام ، و له مواقف فى هذا المجال محمودة لا يكاد ينساها التاريخ الاسلامى المعاصر ، و قد اعترف بمكانته الفريدة بعض المستشرقين فى أوربا و كتبوا عنه .

و كان يحضر الندوات العلمية و المؤتمرات الاسلامية فى العالم كله فيفيدها بآرائه الغالية الجليلة التى كان يعرضها عن طريق بحوثه و محاضراته القيمة و نقاشه القوى على الحضور ، و لقد اجتمعت به لآخر مرة فى جاكرتا « إندونيشيا » فى رمضان المنصرم حيث حضر لالقاء محاضرات و دروس دعوية فى دورة تدريب الدعاة التى أقامتها رابطة العالم الاسلامى (مكة المكرمة) و لم تكن اللقاءات التى سعدنا بها فى هذه المناسبة خالية من الفوائد العلمية و الفكرية .

ولا شك فان وفاته خسارة كبيرة للعالم الاسلامى كله ، خسارة للعلم و للعلماء ، و قد خسرت فيه الأوساط العلمية و الفكرية و الدعوية و التربوية عالماً كبيراً ، و مفكراً إسلامياً و داعية مخلصاً ، وإنه لمصاب كبير للجميع ، ندعو الله سبحانه أن يعوضنا عن هذا المصاب الأليم ما يليق بنا ، وأن يسد بمنه هذا الفراغ الهائل الذى حدث من أجل وفاته ، و أن يتغمده برحمته و غفرانه ، و يلهم الجميع من أهله و إخوانه الصبر الجميل .

و فيما يلى لمحة عن حياته ، نقتبسها من الزميلة « أخبار العالم الاسلامى » المكية الغراء .

« ولد المفكر الاسلامى الأستاذ محمد المبارك عام ١٩١٢ فى دمشق .

درس فى ثانويات دمشق ثم نال شهادتى الليسانس فى الحقوق و الآداب من

الجامعة السورية فى حدود عام ١٩٣٣ أكمل تعليمه العالى فى جامعة السوربون .

عمل مدرساً و موجهاً للغة العربية فى وزارة المعارف السورية ، ثم عميداً لكلية الشريعة ، ثم مدرساً فى كليات الحقوق و الآداب و الشريعة .

تقلد أكثر من مرة مناصب وزارية منها وزارة الزراعة و الأشغال العامة والمواصلات و وزارة المعارف ، كتب فى مجالين اثنين فى القضايا التى تتعلق بالاسلام و العقيدة و القضايا التى تتعلق باللغة و آدابها .

و من كتبه سلسلة نظام الاسلام و عدة مؤلفات عن الامام ابن تيمية ، ونحو إنسانية سعيدة ، و فقه اللغة ، و خصائص العربية ، من منهل الأدب الخالد ، الحسبة فى الاسلام ، الأمة العربية فى معركة تحقيق الذات ، القصة فى كتاب البخلاء ، نصوص لغوية من القرآن الكريم و غير ذلك .

درس فى جامعات دمشق و الجامعة الأردنية و الملك عبد العزيز بجدة ، وجامعة أم درمان فى السودان ، وعمل أستاذاً زائراً فى العديد من الجامعات العربية و الاسلامية و الدولية .

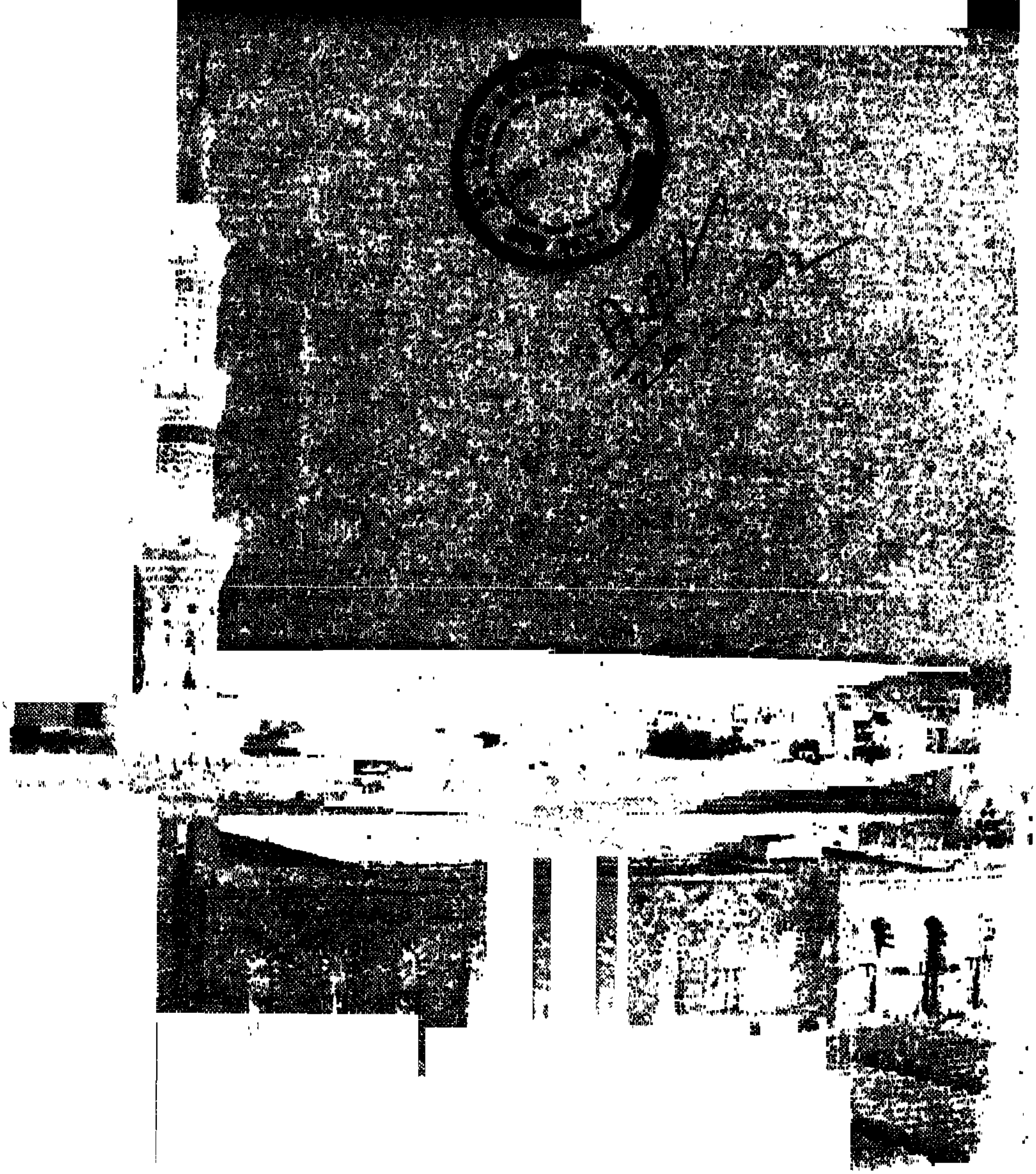
حضر عشرات المؤتمرات الاسلامية والعربية والدولية و كتب عنه المستشرق الفرنسى جاك بيرك ، و استشهد بالعديد من آرائه التى انصبت على تأصيل علم اجتماع إسلامى و نظارات تطبيقية عن تجارب الأمم فى أفريقيا و الهند و بين لها طريق خلاصها فيما لو طبقت الاسلام .

وكان له دور بارز فى حركة الجهاد الوطنى ضد الاستعمار الفرنسى فى سوريا حتى الاستقلال و دخل السجن غير مرة .

ساهم بفعالية فى توضيح دور الاسلام الحضارى ضمن الوفود الاسلامية التى شاركت فى المؤتمرات الدولية لا سيما فى الحوار الاسلامى المسيحى .

شعارنا
إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي



بسم الله الرحمن الرحيم

لا بد من تعاون

و من الواجب على أن أشير بصراحة إلى أنه لا يصلح أمر العالم الاسلامى إذا بقى الشعب ساخطاً على الحكومة ، و الحكومة ناقمة من الشعب ، بل لا بد هنا من تعاون رجال الاصلاح و الدعاة ، و المبشرين و المنذرين ، و لا يمكن ذلك إلا إذا صلحت النية و صحت العزيمة ، و اتحدت الغاية ، فعلى كل واحـد منا أن يعمل فى حقله و يؤدى حقوق صاحبه و لا يبتغى رضا أحد ، ولا يرجو من رجل كلمة خير ، إنما هو يعمل لله ، و هو وحـده يجزيه بجهاده « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » .

(الأستاذ المرحوم) محمـد الحسنى

(الاسلام الممتحن صفحة ٢٤)

(26)

المجلد السادس والعشرون

العدد الثامن (8)

★ جمادى الأولى ١٤٠٢هـ ★

★ مارس ١٩٨٢م ★

أنشأها فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسنى (رحمه الله)
فى عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

تصدرها : ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

المراسلات :
البعث الإسلامي
ندوة العلماء . ص . ب ٩٣
لكهنؤ ـــ الهند

NADWAT-UL-ULAMA
P.o. Box 93
Lucknow (India)

محتويات العدد

المسلم بين ذاتية الايمان و العقيدة

و واقع التنازل عنها — سعيد الأعظمي — ٣

التوجيه الاسلامي

مكانة العلم و مسئوليات العلماء — سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الندوي — ١٠

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين — سماحة الدكتور عبد الله عبد القادر بلفقيه — ٢١

الدعوة الاسلامية

مبادىء في الأدب و الدعوة — فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني — ٢٥

أدب التربية و المواعظ — الدكتور غريب جمعة (القاهرة) — ٣٥

دراسات و أبحاث

آراء الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي

في تاريخ التشريع الاسلامي — الأستاذ سلمان الحسيني الندوي — ٤٦

الفقه الاسلامي

منح الشرعية لمانع الزكاة — الدكتور فاروق عبد السلام — ٥٨

الندوة العالمية للأدب الاسلامي

الأدب الاسلامي ربيع للأدب العربي — فضيلة الشيخ محمد سعيد المجددي — ٦٥

أدب الصحوة الاسلامية — واضح رشيد الندوي — ٧٠

اختيار النصوص الأدبية من وجهة

النظر الاسلامية — الأستاذ محمد سلطان الذوق الجاتكامي — ٨٦

أخبار اجتماعية و ثقافية

أيام في ربوع الهند التاريخية — سعيد الأعظمي — ٩٣

مسلمو التيبت اللاجئون في كشمير — عصمة الله التيمي الندوي — ٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

★ الافتتاحية :

المسلم بين ذاتية الايمان والعقيدة
و واقع التنازل عنها

ما بين تسع مائة وألف مليون مسلم يسكنون في العالم اليوم، ومن الطبيعي أن يكونوا أهم موضوع يشغل الأذهان و الأقلام، في جميع المجالات الحيوية، ويثير التساؤلات حول ما يعيشونه من ظروف مواتية أو معارضة ولكن الموضوع هذا استرعى أهمية أكثر منذ بدء القرن الهجري الجديد الذى جاء معه بموجة من التفاؤلات لدى الأوساط الاسلامية الكثيرة، و أخرى من المخاوف و المحاذير في أوساط سياسية و اجتماعية تنظر المسلمين بنظرة فيها شيء كثير من الخوف و الغيظ، و الحقد والحنق، و هي تهتم دائماً باحداث الأوضاع القيادة ضدهم، و إزاحتهم عن مراكزهم، و شغلهم عما ليس من شأنهم و وظيفتهم.

و تحقيقاً لهذا الغرض المشئوم، وإزالة الشخصية الاسلامية، تواجدت في العالم شرقاً وغرباً مؤسسات عميلة، مؤيدة بالمال والرجال، قامت بنشاطات موجهة ضد المسلمين، و بذلت جهوداً مكثفة للقضاء على العنصر الاسلامي في العالم كله، و نستطيع أن نذكر منها على سبيل المثال الاشتراكية التى يتولاها الاتحاد السوفياتي و الصين الشعبية في الشرق، و الرأسمالية التى تتزعمها دعامتها الولايات المتحدة و الدول الغربية الأوربية في الغرب، و ينبع منها حركات و اتجاهات علمية و فكرية و سياسية و اجتماعية كلها تستهدف الغرض

المذكور ، و تركز على إضعاف المسلمين و تمييعهم بأسلوب شتى و لافتات جذابة ، و يمكن أن نسمى من هذه الحركات و الاتجاهات: الصهيونية العالمية ، و الماسونية السرية ، و البلشفية الماركسية ، والشيوعية الملحدة . و الوجودية الفنية ، والطبيعية المنحرفة ، كل هذه التحركات نشطت لأداء مهمتها ، و هى بكلمة واحدة : تغيير الفكر الاسلامى بالأفكار المشبوهة الملحدة ، و تحويل المسلم عن مكانته العقائدية إلى أسفل درك من الردة الفكرية ، و إخراج هيبة الايمان و قيمته من النفوس، وكل ذلك بطريق سرى لا يشعر فيه المرء بردة رغم ارتداده تماماً .

من هنالك كان المسلمون موضع اهتمام الأوساط المعادية التى ظلت ولا تزال تبذل إمكانياتها المستطاعة فى سبيل الاذابة من كل نوع ، و هى لا تألو جهداً فى اتخاذ أخسأ الوسائل و أرذل الامكانيات لافتراس الرجل المسلم و خلعه من لباس الشرف والزينة ، سواء بالاغراءات المادية الرخيصة ، أو بالأساليب الفكرية والتربوية ، أو التلويث الخلقى و تحبيب الرذائل و المنكرات إلى النفس . و قد رأينا و قرأنا نماذج ذلك فى التاريخ المعاصر ، إلا أن هذه المطامع لم تقف عند هذا الحد بل و تجاوزت إلى الاستعمارات و الاحتلالات ، و إلى استخدام العنف و القوة فى سبيل السيطرة على البلاد والأمصار ، والاستيلاء على مقاليد الحكم ومنابع الخيرات ، ولنا فى دول الشرق و شعوبها شواهد كثيرة لهذه المطامع ذات الألوان والأنواع ، ورغماً من تحرر دول الشرق الآسيوية الكثيرة من ربقة الاستعمار الأجنبى فانها لم تتحرر من الاستعمار الفكرى السريع الذى يمارسه الغرب والشرق ضد المسلمين ، و يحاول استعباد الفكر و الاتجاه ، و تحويل قبلتهما إلى أوربا و أمريكا و إلى روسيا و الصين .

هذه القوى المادية مكبة بخيلها ورجلها وبسبيل مفعم من وسائلها على فصل المسلمين

عن منبع قوتهم و مركز إيمانهم ، وعقائدهم ، و قد أقبلت على هذه المهمة بسرعة أكثر و تركيز أكبر منذ أن اطلعت على التفاؤلات و التطلعات فی مجال الدعوة الاسلامية مع استهلال القرن الهجری ، و نشطت دعاة الانحلال و أعداء الفضائل والأخلاق فی ابتكار طرق الصيد ، واختراع أنماط الاستهواء والافتتان ، واستهدفت طبقة الشباب والشابات بأخص وجه ، فان الرؤية الحديثة فی هذا المجال تختلف عن الرؤى القديمة ، و تتركز فی الطبقة التی تعتبر ذات تأثير بعيد فی الحياة والمجتمع ، ولذلك فان وجهة النشاط اتجهت من الكبار إلى الشباب ، ومن الحكام إلى الرعايا ، أولئك الذين يشكلون عناصر الثورة ضد الكبار و الحكام و يؤثرون فيهم بفرض أفكارهم ونظراتهم عليهم ، وإخضاعهم للتأثيرات الجماهيرية وضغوط العوامل المادية .

تضافرت جهود الهدامين اليوم ضد الفكر الاسلامی و الرؤية الخلقية فی العالم كله ، و هی تتهيأ لشن هجوم عارم على الشخصية المسلمة لتجريدها من الذاتية الاسلامية أولا ، و تغييرها بشخصية مادية بحتة ثانياً ، ذلك أن ذاتية الايمان و العقيدة لدى المسلم هی فی الواقع موضع الخطر الكبير ، وهی التی تبعث الخوف والقلق فی نفس العدو ، وتتركه يتقلب على الجمر ، فلا شئ أمقت فی نظره من ذاتية المسلم التی تؤهله لمواجهة كل محنة و قسوة ، و معاناة كل ظرف ، و تحمل كل ثمن فی سبيل إيمانه وعقيدته ، فكيف لا يتمنى تجريده عن حلية العقيدة ، وكيف لا يضع كل مؤهلاته و إمكانياته فی تغيير وجهة نظره نحو الايمان بالله ، والرسول والكتاب ، والبعث و الحساب ، و الجنة والنار ، و كيف يرضى بتصلبه فی هذه العقائد الثابتة التی إذا أنكرها أحد خرج عن ربقة الاسلام « و لن ترضى عنك اليهود و لا النصارى حتى تتبع ملتهم » .

هذا مايدبر ضد المسلمين ، وما يحشر من أسرع الوسائل والاغراءات لصدهم

عن السير فى طريق الايمان والعقيدة، ولكن هذه الجهود المكثفة لم تذهب سدى، إنما خلفت تأثيراً فى قليل أو كثير على الحياة الاسلامية ، حيث إن كثيراً من شبابنا انجرفوا مع هذا التيار ، و لم يبالوا بما إذا جردهم ذلك من جمال الأخلاق ومتاع الايمان، لأنهم لم يروا أمامهم أمثلة حية كاملة لحياة المسلم الصادقة ، ونموذجاً أمثل للمؤمن المخلص الذى يعرف مكانته وغايته فى الحياة، فلم تتفاعل حياتهم بأخلاق المسلم ولا بسيرته و نظرته نحو الحياة و الانسان ، و قد أنتج ذلك ما أنتج من الانحراف ، و الزيغ و الضلال ، و الحيد عن طريق الهداية الربانية التى جاء بها خاتم النبيين محمد ﷺ كآخر رسالة من السماء إلى الأرض تتكفل - إذا تناولها الناس بالقبول والعمل والتنفيذ - السعادة الدائمة والعزة الخالدة و النزاهة والعلو ، فى الدين و الدنيا .

و هنا يجب أن نقف برهة من الوقت نفكر فى الواقع الذى يعيشه المسلم على جميع المستويات ، و نوازن بين واقع اليوم وما عاشه المسلمون و مارسوه أمس ، إذا فعلنا ذلك وجدنا الحياة بين طرفى النقيض ، وجدنا الطاعة والامتثال و الايمان و الثقة ثم العز والسعادة و التمكين فى الأرض والخلافة الالهية والغلبة و الانتصار فى الواقع الذى عاشه المسلمون قبلنا، ورأينا المعاصى والنكران، والبدع والمنكرات، و نسيان الحقوق ثم الذل و الخنوع و الشقاء و العبودية و الضعف و الانحطاط ، و التدهور و الانحلال فى جانب اليوم و واقعه ، هذا الفرق الهائل بين الواقعين ، و بين الحاضر و الغابر هو فى الحقيقة سر ذلك الشقاء و الفساد الذى يعانى منه المسلمون و يدفعون قيمته فى أحداثهم و أزماتهم ، و فى محنهم و قضاياهم اليوم .

و إذا كنا نؤمن بأن الحياة و الكون و الانسان ، ليس أى شئ من ذلك جامداً واقفاً ، و لا متحجراً صامداً ، و لكنه متحرك حافل بالنشاط و صالح

للتغير والتطور فى كل حين وجيل ، فكان لا بد أن يعتمد على منهج حتى لا يفقد قيمته و نشاطه فى أى زمان و مكان ، و قد أنزل الله سبحانه وتعالى ذلك المنهج القويم للحياة الانسانية بالحق والعدل وسماه الاسلام « إن الدين عند الله الاسلام » وأعلن أن ذلك هو الطريق السوى للانسان ، لايفوته القصد والاتزان ولا الشمول و الخلود ، فما دام المرء سائراً فيه ، و متمسكا بآدابه و تعاليمه فهو على نور من ربه ، و هداية من رسوله ﷺ ، و لن يصيبه الخور و الاضمحلال ، و لا الذل و العار إلا إذا حاد عن ذلك الطريق و سلك مسلكا لا يمت إليه بسبب ، ولقد وعد الله المؤمنين الصادقين بعزة الاستخلاف والقوة والأمن والسلام ما لم يحيدوا عن طريق العبادة والتوحيد ، وما لم ينصرفوا عن واقع كلمة الاسلام وحقيقتها « وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، و ليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى لايشركون بى شيئاً ، و من كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون »

لا أظن أن ثمة إعلاناً أصدع من هذا ، و وعداً أوضح من هذا الوعد ، و تهديداً أشد من هذا التهديد ، فمن كفر بعد هذا الاعلان الصريح فانه لفاسق ، لا يستحق رحمة الله ، بل ولا يستحق الأمن والسلامة فكيف بالخلافة والامامة ، ولقد كرر الله سبحانه هذا المعنى بأساليب مختلفة وتعابير متعددة فمثلا قال : « ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله و لتنظر نفس ما قدمت لغد ، و اتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ، و لا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، أولئك هم الفاسقون » يطالب بالتقوى و يكرر المطالبة بها ، و يحث على الايمان و العمل الصالح ، برفع قيمتها وزيادة أهميتها ، بقوله : « و لتنظر نفس ما قدمت لغد » و يحذر المؤمن مما إذا نسى ربه فتغافل عن تحقيق العمل فى الحياة و تقديم الزاد للغد ، فماذا جر

ذلك عليه من نتيجة قاسية وعاقبة وخيمة؟ أليس أن الله تعالى أنساه نفسه ، وأى عذاب أشد من أن ينسى الانسان نفسه ، و يعيش فى غفلة عنها .

ذلك هو الضعف والهوان الذى يقاسيه المسلم ، وذلك هو الخوف والجوع ، و أنواع منوعة من التعاسة والشقاء ، و ألوان من الظلم و العدوان يواجهها المسلم فى نفسه وأسرته ومجتمعه و وطنه ، وحتى فى إيمانه وعقيدته ، وشعائره وشرائعه .

ذلك هو نشاط الحركات الهدامة و الاتجاهات المشبوهة و النظرات المعادية التى تستهدف الاسلام مرة و المسلمين أخرى ، و كل ما نشاهده اليوم من تجمعات الشعوب و الأحزاب و الدول و الحكومات و تألبها على المسلمين حكومة و شعباً و ديناً و دولة ، ليس إلا ثمرة هذا التخلى الشائن عن الصفات الايمانية و التعاليم الاسلامية والفضائل الخلقية ، ولو أن المسلم شعر بقيمته وقيمة هذه النعمة الكبرى التى أضفاها الله عليه ، وقدرها واعتز بها وثم عاش فى ظلالها وأكل من روافدها ، واجتنى من ثمارها ، ذابت التحركات والتجمعات بأسرع من طرفة العين ، و ماتت المؤامرات و المخططات فى مهدها ، و تخاذل العدو و تراجع ، و انحلت المشكلات و القضايا و ساد الأمن و الهدوء ، و أحس الناس بالسعادة التى تغطى الحياة من جميع النواحى ، ورجعت التحديات والأخطار التى تحيط بنا من كل جانب ، أدراجها ، و تحول العالم من الجحيم إلى النعيم ، و صدق الله العظيم « و لا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، أولئك هم الفاسقون »

سعيد الأعظمي الندوي

التوجيه الإسلامي

مكانة العلم و مسئوليات العلماء

[زار سماحة الشيخ مولانا أبي الحسن علي الحسني الندوي جامعة كشمير في سري نكر على دعوة من مدير الجامعة للحضور في احتفال توزيع الشهادات على المتخرجين من الجامعة ، و قبول شهادة الشرف للدكتوراة ، و ذلك في شهر نوفمبر ١٩٨١م ، .. وبالمناسبة ألقى سماحة الشيخ الندوي كلمة الرئاسة في هذا الاحتفال ، بعنوان « مكانة العلم و مسئوليات العلماء » و قد حضر فيه عدد كبير من المسئولين عن الجامعة وكبار رجال الثقافة والعلم ، والعلماء والمعنيين بموضوع التعليم والتربية وأعضاء حكومة كشمير ، وأعيان البلد ، نقدمها إلى قرائنا الكرام ، مع شكر الأستاذ سلمان الحسيني الندوي الذي قام بتعريب الكلمة] التحرير

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين محمد و آله و صحبه أجمعين . أما بعد :

سادتي و إخواني !

إنني أعتقد أن العلم وحدة لا تتجزأ ، ولا يجوز تقسيمه إلى قديم و جديد و نظري و تطبيق ، و قد نوه الدكتور محمد اقبال بأن أسطورة القديم و الجديد إنما هي من نسج الخيال الفج السقيم .

إننى أرى أن العلم حقيقة مشاعة و هى موهبة من الله العليم ، لا تحتكرها أمة دون أخرى أو بلد دون بلد ، إننى أجد فى « الكثرة » من العلم ، وحدة غير منفصمة العرى ، إن هذه الوحدة هى وحدة « الصدق » و البحث عن « الصدق » والذوق العلمى لا يروى عطشه ، والسرور الغامر بالعثور عليه لا يضاهيه سرور ، ورغم هذه الحقيقة فاننى أرى أن أشكر معالى مدير الجامعة ونائب المدير ، وجميع المسئولين فى هذه الجامعة على أنهم اختاروا للتكريم العلمى شخصاً ينتمى إلى الطراز القديم من التعليم و يتصل به .

إننى لا أعترف فى مجال العلم و الأدب و الشعر و الفلسفة ، بتلك القاعدة الشائعة التى لا تسمى العالم أو المفكر إلا من تزيأ « بزيها الخاص » وقد سلم الناس بأن من لايلبس تلك البذلة الخاصة لايستحق تكريماً ، ولايسمع منه ، وليس بأهل أن يؤخذ عنه ، و لسوء الحظ فقد سيطر هذا التفكير فى مجال الأدب و الشعر أيضاً ، فكل من لا يعلق على حانوته لافتة « الأدب » و لا يلبس بذلته لحضور ندوة الأدب ، فهو « قليل الأدب » وإن الناس لم يغفروا أبداً زلة أولئك الأدباء و الشعراء الذين لم يرتدوا زيهم ، أو لم يستطيعوا أن يظفروا بزيهم .

إننى أعتقد بشمول العلم وسعة أفقه وجدته وطراوته ، ولم تزل الهداية الربانية ، تسند مثل هذا العلم وتكلؤه عين الله الحارسة ، فان العلم الخالص و الطلب الصادق لا تتأخر عنهما منحة الله و عطاؤه فى أى وقت .

سادتى ! أتذكر بمناسبة هذه الحفلة التى أقيمت فى هذه الجامعة المؤقرة لتوزيع الشهادات فى سفوح جبال هملايا و فى أحد أوديتها الخضراء الجميلة ، ذلك الواقع الذى تمثل قبل أربعة عشر قرناً من الزمن على جبل لم يسم سمو هذه الجبال و لم يخضر مثل هذا الاخضرار فى بلد قاحل أجرد ، الواقع الذى خلف آثاراً عميقة خالدة

على التاريخ البشرى بل على مقادير البشر و لا يوجد لها نظير فى التاريخ ، و له صلة خاصة بذلك « اللوح » و « القلم » اللذين يقوم عليهما أساس العلم و المدنية ، و البحث و التحقيق ، و الكتابة و التأليف ، و لم يكن يتصور دونها وجود هذه المعاهد العظيمة ، و المكتبات الواسعة الكبيرة ، التى تتجمل بها الدنيا ، وتتضاعف بها قيمة الحياة و لذة العيش ، أعنى بذلك الوحى الأول الذى نزل على محمد العربى ﷺ فى غار حراء على مقربة من مدينة مكة المكرمة فيما يقرب من ١٢ / فبراير عام ٦١١ م ، كان ذلك الوحى بهذه الكلمات الخالدة :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، إقرأ و ربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » (سورة العلق الآيات ١-٥)

إن الله عز و جل ، فى هذه الحلقة الأولى من وحيه العظيم ، و فى هذه الرشحة من وابل الرحمة ، لم يمهل إعلان هذه الحقيقة أن تقدم العلم منوط بالقلم ، هل فى سجل التاريخ من مثيل لهذا الواقع الذى تمثل فى الخلوة الخاشعة فى غار حراء الذى كان نبى المستقبل الأمى يتحنث فيه ويبحث عن طريق لهداية الناس ، والذى كان لا يعرف كيف يستخدم القلم ، و لم يمارس فى حياته هذا الفن ؟ هل يتصور فوق هذا فى الوحى الذى ينزل على نبى أمى بين أمة أمية - لا يعرف الناس فيها الكتابة و القراءة فضلا عن أن توجد هناك معاهد وجامعات - والذى يربط بعد قرون وأجيال بين الأرض و السماء ، هل يتصور أن يكون مبدأ هذا الوحى وأول لفظة من عبارتها ، « اقرأ » فيقال لمن لم يقرأ فى حياته فيما يوحى إليه من ربه ، « اقرأ » إنها إشارة إلى أن الأمة التى سوف تقوم بدعوته و جهاده لا تكتفى بطلب العلم لحسب ، بل تنهض مرشدة معلمة ، هادية ، تنشر العلم و تبثه ، و إن العهد الذى بدأ بنبوته ليس عهد الأمية ، و الجهالة و مصادمة العلم ، بل هو عهد

العلم و العقل و الحكمة ، و عهد البناء و الانسانية و الرقى .

ثم تأملوا فى قوله تعالى : « باسم ربك الذى خلق » لقد كان من أكبر الأخطاء ، التى وقعت فى سبيل العلم ، إن صلته كانت قد انقطعت عن رب العالمين خالق الكون ، فسار العلم فى مسار منحرف ، وضل و عمى ، ولكن وصل حبله المنقطع هنا فى هذا الوحى الأول بالله العظيم ، فلما ذكر العلم ، ونال هذا التكريم ، كان من اللازم التنبيه على أنه لا يتقدم فى مجاله إلا « باسم الرب » لأنه هو الواهب للعلم وخالقه ، ولا يستطيع العلم أن يتقدم تقدماً صحيحاً بناءاً إلا فى ضوء هدايته.

لقد كان هذا النداء العلوى أعظم نداء فى تاريخ العالم و أبعثه على التغيير والثورة على الأوضاع الجاهلية سمعته أذن الدنيا ، و لم يكن أحد يتصور ذلك من قبل ، لو جمع أدباء العالم و شعراؤه و مفكروه و قيل لهم ، قدروا و فكروا فى الوحى الذى سينزل ، بماذا تكون بدايته ؟ و ما الذى ينال الأولية منه ؟ لا أعتقد أن أحداً منهم يعرف بطبيعة هذا الشعب الأمى و عقليته - يستطيع أن يقول إنه سيبدأ « باقرأ » .

كان هذا النداء دعوة صارخة إلى الثورة و الانقلاب و إلى أنه لا يجوز للعلم من الآن فصاعداً أن يخطو خطوة واحدة فى مضمار الكون إلا بهداية العليم الحكيم ، لأن رحلة العلم طويلة ، عسيرة ملتوية متعرجة ، يقطع فيها الطريق على ركب الحياة ، وتواجه كل خطوة من الخطوات أودية عميقة هائلة ، وبحور سحيقة مائجة ، وتعترض طريقه الحيات والعقارب ، فلا بد إذن فى هذا الطريق من خريت ماهر ، ودليل لا تخفى عليه الخوافى ، و هو الله العليم الخبير ، ليس هو مجرد العلم أو الأدب ، فليس العلم عبارة عن النقوش الجميلة المزخرفة ، و الدمى المزينة المكسوة ، ليس العلم عبارة عن وسائل الترفيه و التسلية ، أو سبباً للتحريش بين الناس و إلقاء

العداوة بين القلوب ، ليس العلم ما يثير شعباً على شعب و يورث بينهما الصراع الدائم ، أو ما يعلم كيف الطريق إلى ملء « خندق المعدة » أو يعلم استخدام اللسان ، و اللباقة فى الكلام ، بل العلم ما يقرأ باسم الله :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم »

ذلك الرب الأكرم كيف لا يعرف جميع حاجات الناس و ضروراتهم ، ثم يتكفل بها ، هل هناك من رفع مكانة القلم ، و أشاد بها هذه الاشادة العظيمة ، حتى لم تغفل الحلقة الأولى من الوحى الالهى فى غار حراء ذكر هذا القلم ، الذى قد لا يعثر عليه فى أى بيت من بيوت مكة بعد بحث طويل و تفتيش دقيق ، اللهم إلا فى بيت ورقة بن نوفل ، و أمثاله من الكتبة الذين تعلموا شيئاً من الكتابة فى بلد عجمى ، و نقلوه إلى الجزيرة العربية .

ثم ذكرت هذه الآية الكريمة حقيقة مثيرة خالدة ، و هى أن العلم لا نهاية له ولا حدود. «علم الانسان مالم يعلم» ما هو العلم الحديث، وما هى التكنولوجيا، و كيف وصول الانسان إلى القمر ، وكيف تسخيرنا للفضاء ، وكيف طويت الدنيا و قربت المسافات ؟ كل ذلك من آثار هذا الاعلان الخالد : « علم الانسان ما لم يعلم »

سادتى ! اسمحوا لى أن أنتهز هذه الفرصة السعيدة كطالب يقطع سفره فى أودية العلم ، فأتقدم ببعض الاقتراحات و المشورات .

إن المهمة الأساسية للجامعات هى تكوين السيرة الانسانية المثالية ، فينبغى أن تضع الجامعة شاباً لا يرضى أبداً ببيع ضميره إزاء عرض من الدنيا قليل ، فان الفلسفات والنظم المعاصرة تعتقد بأن كل شخص له ثمن مقدر معلوم ، فاذا لم تستطع

أن تشتريه بثمن بخس ، فلتشتره بثمن مناسب ، و لا تعتبر الجامعة ناجحة فى دورها إلا إذا أعدت شباباً كفوّاً فى خلقه و علمه ، لا يساوم و لا يبيع مبادءه ، ولا تستطيع أى فلسفة هدامة أو حركة منحرفة ، أو دعوة مضللة أن تشترى ضميره ، و يقدر أن يقول فى ثقة واعتماد و صراحة و جراءة فى كلمات الدكتور إقبال :

« لك الحمد يا رب ! إذ لست من سقط المتاع ، و لست من عبيد الملوك و السلاطين ، لقد رزقتنى حكمة و فراسة ، و لكنى أحمدك على أننى لم أبعهما للملك من الملوك »

و المهمة الثانية أن يتخرج من جامعاتنا شباب مستعدون ليهبوا حياتهم للحق والصدق ، والعلم و الهداية ، شباب يجدون فى الجوع لذة لا يجدها النهم فى الأكل اللذيذ و الشبع المزيد ، و يجدون متعة فى الفقد و الحرمان لا يجدها المحظوظون ، و المكثرون ، ويوجهون عظيم صلاحياتهم وطاقاتهم ، وأفضل مواهبهم وكفاءاتهم ، التى شحنتهم بها جامعتهم ، لحماية الانسانية و صيانتها من الدمار الرهيب .

ينبغى أن تراجع الجامعات حساباتها ، فتنظر كم تخرج من أبنائها ؟ من الشباب الأكفاء ، إننى أصارحكم بأنه لم يعد شئ فى أيامنا هذه على بلد من البلدان ، ويشاد بذكره نظراً إلى عدد جامعاته ، و معاهده ، إن هذا قصور فى النظر ، و فكرة متخلفة لم تعد صالحة للقبول ، إن القضية هى قضية عدد أولئك الشباب الجامعيين الذين يقضون حياتهم فى الشوق إلى العلم ، و البحث والتحقيق ، ونشر العلم النافع و الخلق الفاضل ، و مقاومة المنكرات ، و الفوضى الخلقية ، و يقفون فى وجه الوحشية السفاكة للدماء ، وعبادة القوة والمنفعة والمال ، كم عدد الشباب الذين نذروا نفوسهم لرفع مستوى شعوبهم علماً و خلقاً ، و تربيتهم و توعيتهم ، ولكى ينفخوا فيهم روح العزة و الاباء ، الذين ينسون حظوظهم العاجلة ، و يطبقون أعينهم عن

مصالحهم الشخصية ، و المنافع المادية ، و يهبون أنفسهم لخدمة القضية العامة . إن المقياس الصحيح فى ذلك أن نرى كم من الشباب عكفوا على العلوم و الدراسات النافعة تاركين وراءهم راحة الدنيا و نعيمها ، و رقيها ليخرجوا إلى أمتهم بأعمال بناءة خالدة .

والحق أن الغرض الأساسى من كل من الأدب والشعر، والحكمة والفلسفة، و التصنيف و التأليف بعث حياة جديدة ونفخ روح جديدة ، لا أن يكون لمعان سراب والتهاب شعلة لا تلبث أن تنطفئ ، وأتمثل هنا ببعض أبيات الشاعر الاسلامى محمد إقبال الذى قالها مخاطباً لأحد الأدباء و الشعراء ، و لكنها تصدق على العلم و الأدب و الفلسفة و الحكمة ، يقول ، ما معناه :

« يا أهل الذوق والنظر العميق ، أنعم و أكرم بنظركم ، و لكن أى قيمة للنظر الذى لا يدرك الحقيقة ؟ لا خير فى نشيد شاعر و لا فى صوت مغن ، إذا لم يفيضا على المجتمع الحياة والحماس ، ولا بارك الله فى نسيم السحر ، إذا لم تستفد منه الحديقة إلا الفتور و الخمول و الذوى و الذبول ، إن غاية الاحسان فى فن من فنون العلم والأدب لوعة الحياة الدائمة ، ما قيمة شرارة تلتهب سريعاً و تنطفئ سريعـــاً » .

سادتى ! و اسمحوا لى أخيراً أن أوجه بعض النصائح إلى هؤلاء الشباب الخريجين الذين يحملون من هنا شهادات العلم و يستحقون التهنئة عليها ، و السعداء الذين لا يزالون يقتطفون من أزهار العلم فى رحاب هذه الجامعة ، وسوف أستعين فى حديثى هذا ـ الذى قد يكون جاداً و ثقيلا ـ بقصة طريفة لعلها تملح المجلس و تمتع الأسماع .

يحكى أن فريقاً من تلاميذ المدارس ركبوا سفينة للنزهة فى البحر أو للوصول

إلى البر ، و كان فى النفس نشاط و فى الوقت سعة ، و كان الملاح الجدف الأمى خير موضوع للدعابة و التندر ، و خير وسيلة للتلهى و ترويح النفس ، و خاطبه تلميذ ذكى جريئ ، و قال : يا عم ماذا درست من العلوم ؟ قال : و لا شئ يا عزيزى قال : أما درست العلوم الطبيعية يا عمى ؟ قال : كلا و لا سمعت بها ! و تكلم أحد زملائه و قال : و لكنك درست علم الأقليدس و الجبر و المقابلة ! قال : و هذا أغرب ، و تصدقون أنى أول مرة أسمع هذه الأسماء الهائلة الغريبة ، و تكلم ثالث « شاطر » فقال : ولكنى متأكد بأنك درست الجغرافية والتاريخ ، فقال : وهل هما اسمان لبلدين أو علمان لشخصين ؟ وهنا لم يملك الشباب نفوسهم المرحة و علا صوتهم بالقهقهة ، و قالوا : ما سنك يا عم ؟ قال : أنا فى الأربعين من سنى ! قالوا لقد ضيعت نصف عمرك ياعمنا ، وسكت الملاح الأمى على غصص و مضض ، و بقى ينتظر دوره ، و الزمان دوار .

وهاج البحر وماج وارتفعت الأمواج ، وبدأت السفينة تضطرب والأمواج فاغرة أفواهها لتبتلعها ، واضطرب الشباب فى السفينة وكانت أول تجربتهم فى البحر و أشرفت السفينة على الغرق ، و جاء دور الملاح الأمى فقال فى هدوء و وقار ، ما هى العلوم التى درستموها يا شباب ؟ و بدأ الشباب يتلون قائمة طويلة للعلوم و الآداب التى درسوها فى الكلية ، ويتوسعون فيها فى الجامعة من غير أن يفطنوا لغرض الملاح الجاهل الحكيم ، و لما انتهوا من عد العلوم المرعبة اسماؤها ، قال فى وقار : تمزجه نشوة الانتصار ، لقد درستم يا أبنائى هذه العلوم الكثيرة ، فهل درستم علم السباحة ؟ وهل تعرفون إذا انقلبت هذه السفينة ـ لا قدر الله ـ كيف تسبحون و تصلون إلى الساحل بسلام ؟ قالوا : لا والله يا عم ، هو العلم الوحيد الذى فاتتنا دراسته والالمام به ، هنالك ضحك الملاح ، وقال : إذا كنت قد ضيعت

نصف عمرى ، فقد أتلفتم عمركم كله ، لأن هذه العلوم لا تغنى عنكم فى هذا الطوفان إنما كان ينجدكم العلم الوحيد ، هو علم السباحة الذى تجهلونه (١) »

و لا يزال الوضع - فى أيامنا هذه - فى بلدان العالم الراقية المتحضرة التى تبدو كأنها تملك مقادير الأمم ، حيث ارتطمت سفينة الحياة فى ورطة لجية وتعصف بها الأمواج العاتيـة كالتماسيح الهائلة الضارية فاغرة أفواهها لتبتلعها ، و الشاطئ بعيد ، و الخطر محدق قريب ، و يحمل ركاب السفينة المحترمون كل شيئ إلا فن السباحة ، و بتعبير أفصح و أوضح ، تعلموا كل علم و فن ، و لكنهم لم يتعلموا كيف يعيشون حياة الانسان الكريم الذى يخشى ربه ، و يرحم خلقه ، و يتوجع لما أصابهم من ويلات و نكبات ، لقد صور الدكتور إقبال هذا الوضع الخطير ، و هذا التناقض العجيب الذى أصيب به أبناء القرن العشرين ، بل المجتمعات البشرية كلها ، يقول :

« من الغريب أن من اقتنص أشعة الشمس ، لم يعرف كيف ينير ليله وكيف يصبح ، و أن من بحث عن مسالك النجوم و طرقها ، لم يستطع أن يسافر فى بيداء أفكاره ، و من عكف على الألغاز يحلها و يشرحها لم يستطع أن يميز النفع من الضرر »

إن الشروط الأساسية للحياة الكريمة الناجحة المأمونة من الخطر و الضرر هى معرفة الطريق إلى حياة إنسانية نبيلة ، و الخشية لله الواحد ، و حب الناس ، و صلاحية ضبط النفس و قسرها ، و صفة إيثار المصلحة الجماعية على المصلحة الفردية ، واحترام الانسانية ، والعواطف الكريمة للحفاظ على الأنفس والأعراض والأموال ، وإيثار أداء الحقوق لأهلها على المطالبة بها ، وحماية المضطهدين المظلومين و نصرة الضعفاء المساكين ، و جراءة مواجهة الطغاة الجبارين ، و عدم الخوف من

(١) من كتاب المؤلف « النبوة و الأنبياء » ص ٣٣ ٣٤ الطبعة الرابعة .

الناس الذين لا يحملون إلا الثروة و الجاه ، و عدم الخضوع أمامهم ، والصراح بقولة الحق دائماً ، والشهادة على نفسه وجماعته ، و التمسك بالعدل لنفسه و لغيره و إقامة القسطاس المستقيم، و الايمان الجازم بإله قادر شاهد بصير ، و التفكير المسئولية أمامه ، والخوف من حسابه ، هذه هى الشروط الأساسية للحياة الشريفة المحترمة ، وهذه هى الضمانات اللازمة لوجود المجتمع الصالح الرشيد والحكومة القو المحروسة ، و إن تربية هذا المجتمع ، و تهيئة الجو المناسب له ، من أولى فرائض الجامعات ، و المؤسسات العلمية ، و إيجاد هؤلاء الشباب من أهم مسئوليات المثقفين و المفكرين ، و المسئولين فى البلاد .

ويلزمنا فى مثل هذه المناسبات أن نراجع أنفسنا ، و ننظر إلى أى مدى نجحت مؤسساتنا و جامعاتنا ، و كم من شبابها الخريجين و أبنائها العاملين يستحقون ا يهنئوا و يبارك لهم ، و ما هى محاولاتنا للحصول على هذه الأهداف و المقاص العظيمة فى المستقبل ، و ماذا أعددنا له و جهزنا ، إنها قضية تستحق أكبر قسـ من التأمل و التفكير .

و ختاماً أشكركم على هذا التكريم ، و الثقة التى وضعتموها فى ، و عواطف الحب و الاحترام ، التى أبديتموها عن طريق هذا التكريم

★ ★ ★ ★

« قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين »

سماحة الأستاذ الدكتور عبد الله عبد القادر بلفقيه الحسينى
رئيس المجلس الأعلى لشئون الفتوى و الدعوة باندونيسيا

فى هذه اللحظة المباركة حبب إلى نفسى أن أعرض لكافة قرائى الكرام فى جميع الأقطار الاسلامية و فى أى بلد كانوا آية قرآنية افتت نظرى ، و أثلجت فؤادى ، و انبعثت همتى و روحى طمعاً فى نيل رحمته تعالى و هدايته ، وهى قوله تعالى كما هى فى سورة المائدة ١٥ ـ ١٦ .

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم » صدق الله العظيم .

* * *

جهزه مولاه لسفر طويل شاق يكابد فيه أعمالا جساماً ، فيها حياته و حياة أسرته ، فأعد له الظهر الذى يركب ، و هيأ له الزاد و المتاع ، و قوة الانتاج و الدفاع ، و ما كاد يقطع المرحلة الأولى حتى أخذته السماء بصيب ، فيه ظلمات و رعد و برق ، و تلاحقت أصوات الوحوش فى سمعه من كل جانب ، فلم يجد بدأ من أن ينيخ بعيره ، و أن يستلقى على وجهه بجانبه ، و سرقته من نفسه سنة انتبه منها على صوت رهيب مفزع ، فاذا الراحلة قد ضلت ، وعليها كل حياته ، فانعقد لسانه ، و ملأه الحزن على ضلال الراحلة و الخوف من الظلام و السباع ، فقد

حيل بينه وبين مواصلة السير فى العمل الذى كلفه إياه مولاه و جهزه بجهازه .

و بينما هو ساع فى المناجاة التماساً للخلاص من الأهوال التى أحاطت به ، و إذا القمر يرسل عليه اشعته الهادئة فتضيئ ما حوله ، و تبدد السحب ، وتسكت السماء ، و يكف رعدها و ينطفئ برقها ، و تهرول السباع إلى الكهوف ، و إذا بالراحلة واقفة بجانبه ، وعليها حاجته و عدته ، فتعود إليه نفسه و يستقر فى صدره قلبه ، وينطلق لسانه ، و تنفعل جوارحه بالشكر و الثناء ، ثم يأخذ فى تنظيم شأنه و استئناف عمله و يخطو فى طريقه إلى مهمته .

هذا مثل « الروح الفطرى » الذى صاغ الله الكون على محور منه ، وجعله فى الأرض خليفة يحييها و ينميها ، و يظهر أسرار الله فيها ، سخر له ما أودعه فى أرضه و سمائه ومائه وهوائه ، و أغراه بالبحث و النظر ، و الكف و العمل ، و ربط سعادته باستخدام ما يصل إليه من أسرار فى خير الانسانية و بنائها « إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه » (الانشقاق ٢) ، و لكن البشرية بما ابتليت به من قوى الشهوة و الغضب وحب الاستعلاء و الطغيان تقمصت روحاً آخر تغلب على روحها الفطرى وانتزعها منه وخرج بها عن وضعها فى صحيفة الترتيب الكونى ، قطع صلتها بخالقها فأنكرت ألوهيته أو عبث بها وعبدت ما لا يسمع ولا يبصر ، و خشعت لما لا ينفع و لا يضر ، و قطع صلتها بأسرتها ، فوأدت البنت و لها مكانتها فى الحياة ، وأكرهت الفتاة على البغاء ولها عفتها وشرفها ، وقتلت الأولاد لا لشيئ سوى أنها لم تنل حظاً من الغنى ، و قطع صلتها بمجتمعها ، فتحكمت فى العقائد و الأخلاق و سنن الاجتماع ، و اتخذت أساس معاملاتها القوة الغاشمة ، و التسخير و الاذلال حتى خلا جوفها من الرحمة و الشفقة ، و عزف عنها البر والاحسان و هكذا اختلس الروح الفطرى نظرات ضعيفة ، ولكنها نفذت إلى ما

وراء تلك الحجب المتراكمة و اتجهت إلى مصدر الخلق و الايجاد ، مصدر الرأفة و الرحمة ، مصدر الهداية و الانقاذ « و إذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » (البقرة ١٧٦) ، استمع له و هو السميع العليم ، ونظر إليه و هو الرؤوف الرحيم.

وفى هذه الآونة انطلقت بشرى الانقاذ بمولد سيدنا وشفيعنا محمد بن عبد الله ، فاهتز لها باطن العالم واشرأب الروح الفطرى إلى السماء يقلب وجهه فيها ، وما هى إلا فترة النمو و الاعداد حتى وافته رسالة السماء « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم » (التوبة ١٢٨) .

جاء ذلك النور يحمل قبسه رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله و سلم « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً » (الاسراء ٩) يهدى للتى هى أقوم فى العلاقة بالخالق و بالناس ، فى العلاقة بالبناء و التعمير . فى العلاقة بالكون ظاهره وباطنه ، بصره النور بكل هذا ، و بصره بأن له وراء هذه الحياة ذات الكدح و العمل حياة أخرى هى حياة الطهر و المثل الأعلى فى الكمال و السعادة الدائمة « أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » (آل عمران) « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا و لا تحزنوا ، و أبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » (سورة حم السجده الآية ٣٠) .

هذا هو النور التى تبوأ به « الروح الفطرى » مكانه من الضمير العالمى فبدل قسوته رحمة ، و ضلاله هدى ، و انحرافه استقامة ، و جهله علماً ، وخوفه أمناً ، و خرابه نظاماً و تعميراً .

هذا هو النور الذى تحتفل باحيائه و ذكراه البلاد الاسلامية من أقصاها إلى أقصاها فى شهر ربيع الأول من كل عام هجرى ، و تحتل الأمة الاسلامية مكانتها المرموقة ، وبه تكون الحفلات المثمرة العطية بذكرى ولادة سيدنا محمد بن عبدالله ، سدد الله خطانا و هدانا بهديه و الاحتفاظ بتعاليمه الخالدة .

إن العالم كله الآن قد تفاعلت فيه قوى المادة ، و المادة وحدها مصدر الطغيان و العبث بالانسانية وقد آمنت الأمة الاسلامية بذلك حتى الايمان وقررت العمل على نشر مبادىء السلم و الأمان ، و إذن لأبد لها من الاحتفاظ بعدة ذلك المسلم ، و هو النور الذى يستخدم المادة لخير الانسانية و يحقق للأمة الاسلامية آمالها ، و بذلك تحيا الروح الفطرى و الضمير العالمى .

أفلا يحسن بنا أن نتخذ من هذه الذكرى قدوة لنا فى كل ما نحتاج إليه من إرشادات و تعليمات ، و أسوة لنا فى كل ما نجتازه من مشكلات و عقبات ، وفى كل ما نفقده من أخلاق و قيم ، حتى تعود حياتنا إلى درب السعادة و الحب و العدل ، و يسود العالم روح الاخوة و التعاون ، فان لنا فى رسول الله أسوة حسنة ، « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، و ذكر الله كثيراً » .

* * *

الدعوة الإسلامية

مبادئ في الأدب و الدعوة

(٧)

فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني
أستاذ بكلية الشريعة و الدراسات الاسلامية
قسم الدعوة و الدراسات العليا ـ بمكة المكرمة

ثالثاً ـ مقولة الجهة الثالثة حول المعنى :

★ ألف ـ إن المعاني أنفسها في أذهان الناس ومقولاتهم تنقسم إلى أقسام خمسة :

١ـ فمنها ما هو حق بلا ريب .

٢ـ و منها ما هو باطل بلا ريب .

٣ـ و منها ما يترجح في الظن أنه حق ، و تختلف نسبة الرجحان .

٤ـ و منها ما يترجح في الظن أنه باطل و تختلف نسبة الرجحان .

٥ـ ومنها ما هو واقف في المنطقة المتوسطة تماماً ، وهي الأمور التي تكافأت قوتا النفي والاثبات بالنسبة إليها ، فلا هي راجحة إلى جانب الحق ولا هي راجحة إلى جانب الباطل ، وهذه الحالة الذهنية بالنسبة إلى الأمور التي هي من هذا القبيل يطلق عليها علماؤنا كلمة (الشك) في اصطلاحهم ، لكن كلمة الشك في التعبير القرآني تعني غير هذا : « أ في الله شك ؟ » أي أ في إثبات وجود الله أي احتمال مهما كان ضعيفاً يفترض معه أن لا يكون للكون رب خالق فاطر ؟ إن هذا مرفوض بداهـــــة .

★ ب ـ و إن المعاني أنفسها تختلف بالنسبة إلى أفهام الناس بعداً و قرباً .

• فمنها ما هو قريب من مدارك الناس ، سهل المأخذ سهل الفهم .

* ومنها ما هو بعيد نسبياً لا تتوصل إليه أفهام الناس ومداركهم إلا بالتأمل و دقة الملاحظة ، أو بقسط من البحث .

* ومنها ما هو عميق بعيد الغور لا يصل إليه إلا الأذكياء والنبهاء والعباقرة، أو الباحثون المنقبون .

* و منها ما لا تستطيع مدارك الناس بالوصول إليه أو الاحاطة به ، وقد أصبحت الآلات الالكترونية تقدم للعقول نتائج لا تستطيع العقول بأنفسها التوصل إليها ، و هنالك فى الغيب علوم لم يؤت الناس وسائل الوصول إليها ، نبهت على بعضها الوسائل الحديثة ، و دلت على بحورها العميقة آية « و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا » ٨٥ الأسراء / ١٧ - ودلت عليها آية « و لو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام و البحر يمده من بعد سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم » ٢٧ لقمان ٣١ .

إن المعانى كبحور عظيمة لها سطوح و شواطئ و تحت السطوح أعماق ، وتحت الأعماق أعماق أخرى ، وتحت الأعماق أغوار ، وتحت الأغوار أغوار سحيقة .

و من الناس من يأخذ من المعانى ما يصل إلى الشواطئ . ومن الناس من يركب بحار المعانى ويجرى على سطوحها ويتناول من السطوح أو من العمق القريب ، ومن الناس من يغوص إلى بعض الأعماق ومن الناس من يغوص إلى بعض الأغوار ، ويتفاوت الناس فى نسب غوصهم ، وكل منهم يستخرج من بحار المعانى على مقدار غوصه ، و على مقدار استيعابه .

عناصر الجمال فى المعانى :

أما عناصر الجمال فى المعانى فمتنوعة ، منها العناصر التالية :

العنصر الأول :

تناسق الأفكار و ترابطها بوشائجها المنطقية دون إعنات للفكر ، ثم تكاملها

و لو مع طى بعض العناصر التى يمكن أن تفهم ذهناً ، و لا يشترط التعبير عن وشائج الترابط ، بل ربما يكون طى ذلك أحلى و أكثر جمالا أدبياً .

العنصر الثانى :

الانتقال من الجذور و الأصول فى الأفكار إلى الفروع الكبرى فالصغرى فالأوراق والثمار ، أو من الفروع إلى الأصول ، أما الخلط من غير ترابط منطقى فهو قبيح تنفر منه الأذهان ، لأنها لا تستطيع أن تجربه فى جداولها المنطقية الفطرية ، و لأنه يتنافى مع أسلوب الطبيعة المنظمة بأبدع نظام .

العنصر الثالث :

محاكاة الواقع بتصوير فنى يبرز الحركة والحياة والمشاعر ، ويعبر عن مختلف أبعاد الواقع ، و لا يقتصر على التصوير الجامد للأشكال و الرسوم الظاهرة .

العنصر الرابع :

الصدق فى التعبير عن الحقيقة ، أو عن المشاعر و الأحاسيس أو عن الآمال والرغائب ، أو عما يسبح فيه الخيال متأثراً بمطالب النفوس وشهواتها ومطامحها .

العنصر الخامس :

ما تشتمل عليه المعانى مما يحرك فى الناس المشاعر الوجدانية أو النفسية الحلوة ، و العواطف الوجدانية أو النفسية الحلوة ، أو يرضى شهوات النفوس .

العنصر السادس :

ما يعجب الأذهان من إشراقات ذكاء ، و أفكار جديدة مبتكرة بشرط أن لا تكون قبيحة بطبيعتها .

العنصر السابع :

ما يسر الخيال ويعجبه ويمتعه مما يرضى الرغبات النفسية التى يتمناها الانسان

و يعجز عن الوصول إليها و تحقيقها .

ألف ـ فمن الحق و الصدق ما هو جميل جداً :

إن التصوير الفنى الذى يبرز فى الكلام صورة الواقع المتحدث عنه ، حتى كأنه مشاهد ملموس بحركته و حياته و رونقه و جماله ، هو من أرفع الأدب و أجمله ، و كم من واقع هو أجمل و أكمل من الخيال ،

وإن الكلام الذى يعبر عن الحقائق الفكرية المجردة بطريقة مفهومة سهلة لينة طيعة فى الفكر و فى اللسان ، هو من أرفع الأدب و أجمله .

وإن الكلام الذى يحدد الأحكام الشرعية أو الأحكام القانونية أو مسائل العلوم بوضوح ، ودقة تامة ، ورشاقة وعذوبة لفظ ، هو من أرفع الأدب وأجمله .

وإن الكلام الذى يعبر تعبيراً صادقاً عن مشاعر النفس الوجدانية أو التخيلية لدى مشاهدة ظاهرة طبيعية أو حادثة إنسانية هو من أرفع الأدب وأجمله .

و إن الكلام الحلو الذى يرضى الآمال والمطامع النفسية ، باقناعات صادقة ، أو باقناعات توهم بأنها صادقة فتستر بذلك عورات التلفيق و الكذب ، هو من أرفع الأدب و أجمله .

أما الكلام الذى تنكشف فيه عورات للتلفيق و الكذب فهو كلام تمجه النفوس ، و لو سيق لارضاء الآمال و المطامع النفسية .

و إن الكلام الذى يصنع قصصاً مقتبسة مما يجرى فى الواقع نظائرها ، هو من أرفع الكلام القصصى و أجمله .

دعوى « أعذب الشعر أكذبه »

أما دعوى « أعذب الشعر أكذبه » فهى دعوى لا أساس لها من الصحة لدى التحليل و البحث عن العناصر الجمالية فى الأدب .

إن الحق إذا لبس ثوباً أدبياً جميلا كان أجمل من الباطل لا محالة ، مهما لبس من أثواب جميلة مزخرفة .

إن الحلة والحلية الأدبية اللتين يرفل بهما قول الله تعالى فى سورة (الرعد) :

« أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً و مما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق و الباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، و أما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال (١٧) »

للفكرة الحق التى تبين واقع انتصار الحق و المحقين بعد إحداث الصراع بين الفريقين ، أجمل من كل أدب يزين فكرة باطلة لتكون مقبولة محببة .

ربما يكون تضخيم الحق وتجسيمه فى الصورة الأدبية عملا أدبياً جميلا ، لأن التضخيم و التجسيم فى مفاهيم الناس لون من ألوان البيان و الشرح للحقيقة ، و بعد الشرح ترجع الحقيقة فى تصور الناس إلى حجمها الطبيعى .

إن الفكرة المشتملة على كذب سخيف ممجوج قد يستعذبها الذهن لطرافتها ، و لكن يمجها الذوق و الحس المرهف العارف بألوان الجمال ، لسخافتها و مجافاتها للحقيقة مجافاة واسعة المسافة .

فى قول المتنبى :

كفى بجسمى نحولا أننى رجل لو لا مخاطبتى إياك لم ترنى

و فى قول الآخر :

ولو أن مابى من جوى وصبابة على جمل لم يدخل النـار كافر

قد نلاحظ فكرة غريبة لا يتصيدها إلا شاعر ذكى ، فنعجب بطرافتها ، ولكننا مع ذلك نمجها ، لأنها تشتمل على دعوى كاذبة سخيفة .

أما حين تكون الفكرة مبتكرة حلوة ، و تكون الدعوى صادقة فى أصلها ، مضخمة مجسمة مبالغاً بها فى صورتها الأدبية ، فان الكلام يكون حينئذ أرفع أدباً و أعلى كعباً و أوقع فى النفس .

هلم فلنلحظ اجتماع الصدق و الأدب الرفيع فى قول الله تعالى فى سورة (ق ٥٠) .

« يوم نقول لجهنم : هل امتلأت ؟ وتقول هل من مزيد ؟ (٣٠) »

إن فى هذه الآية حلاوة فكرة السؤال و الجواب ، و حلاوة الجواب الذكى الذى لم يكن مباشراً بصيغة : (لم امتلئ) أو بصيغة (لا) مع كثرة الذين ألقوا فيها ، و إنما جاء على صيغة بسؤال النهم الشره طالب المزيد : « هل من مزيد ؟ » .

و مادام باستطاعة الانسان أن ينتقى من الحق و الصدق عناصر جمالية لأدبه فما أوفر الحق و الصدق فى بيانات الاسلام أمام الدعاة إلى الله ، و ما عليهم إلا أن يغترفوا .

★ ب ـ و من الأفكار الجديدة المبتكرة ما هو جميل جداً :

وكلنا نلاحظ أن الناس تعجبهم وتحلو لديهم المعانى الجديدة المبتكرة ، ويقولون فى عباراتهم الدارجة : لكل جديد لذة .

فاشتمال الكلام على المعانى الجديدة المبتكرة ـ دون أن تكون قبيحة فى ذاتها ـ هو من عناصر الجمال الأدبى ، و الزينة الجوهرية فى الكلام .

على أن كل فكرة جديدة مبتكرة يستعذبها الناس و يعجبون بها ، قد تمسى مبتذلة مزهوداً فيها ، متى تداولها الناس و استعملوها كثيراً ، باستثناء الأفكار التى هى بمثابة الخبز فى الأكل أو الملح فى الطعام ، أو الماء و الهواء .

وما أوفر المعانى الجديدة التى يمكن استنباطها من كتاب الله عزوجل، ويمكن إرضاء عقول الناس بها، وما على الدعاة إلى الله إلا أن يحسنوا الاستفادة منها.

و من المبتكرات فى المعانى ما تكون جدته فى الجمع و التركيب.

مثـــلا :

إن التعبير الساذج عن عدم العدل فى مجال الحب الذى يعاتب به الانسان العادى أميراً ذا مكانة، أن يقول له : ياسيدى إنى أحبك حباً عظيماً مع المحبين، و لكنك لا تعامل معى بالعدل كما تعامل الآخرين.

إن مشاعر هذا الانسان وقفت عند هذا الحد فأعطى هذا التعبير.

لكن المتنبي بذكائه تجاوز هذه المشاعر البسيطة، فأدرك أن سيف الدولة أعدل الناس، وأدرك أنه هو الحكم لو شاء أن يشكوه إلى حكم، ثم رجع فأدرك أنة هو الخصم، استدرك ليكشف أن الخصومة على حبه وما يقتضيه هذا الحب.

كل هذه الأفكار و المشاعر قد اجتمعت و تراكبت، و تدخل الذكاء فأحاط بها معاً، و تدخلت القدرة البيانية على التعبير عنها مجتمعة بطريقة تفهم بلا تعقيد ولا كد للذهن، فقال المتنبي لسيف الدولة :

يا أعدل الناس إلا فى معاملتى فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

★ ج ـ ولاشراقات الذكاء فى الأدب تأثير

عظيم جداً فى ارتفـاع المستوى الأدبى :

إن التعبيرات غير المباشرة عن الأفكار المقصودة بالذات لا تكاد تحصر.

و يتفاوت الناس فيها بمقدار تفاوتهم فى القدرة على تصيد المعانى التى لهـا بالأفكار المقصودة صلة يمكن عن طريقها الاشارة إليها، أو الدلالة عليها، و لو إلماحاً، أو من جانب خفى.

و من الأسباب الجوهرية فى ارتقاء المستوى الأدبى للكلام ، ما يكون لدى المتكلم أو الكاتب من قدرة فى هذا المجال .

كالقدرة على تصيد الأشباه والنظائر ، و استخدام بعضها لبعض ، فى الأمثال و التشبيهات ، و الاستعارات ، و أنواع المجاز التى يكنى بها الأديب عن مراده .

و كالقدرة على معرفة الروابط بين الأفكار ، و الانتقال فيها بين اللوازم و الملزومات . و الأجزاء و الكل الذى يجمعها ، والخاص و العام ، و المتناقضات والأضداد ، وغير ذلك من المعانى ذات الترابط فيما بينها فى الواقع أو فى الفكر ، فهى تتخاطر معاً ولو كانت متناقضات و اضداداً ، و يستدعى بعضها بعضاً .

و لا بد مع ذلك من توافر الذوق الفنى و الحس الجمالى الرفيع ، لوضع هذه الأشياء فى مواضعها ، بحسب مقتضى حال المخاطب ، فرداً كان أو جماعة .

مثـــلا :

إعتاد الأدباء و الشعراء أن يشبهوا الجواد بالبحر . لأن البحر ماؤه كثير ، و عطاؤه وفير ، فهو لا يمنع آخذاً منه ، لـكن اشراقات الذكاء مكنت الشاعر من أن يعطى هذا التشبيه زينة جديدة محببة ، بتقسيم البحر إلى لجة و ساحل ، فقـال فى ممدوحه :

هو البحر من أى النواحى أتيته فلجته المعروف و الجود ساحله

★ د ـ و لتحريك المشاعر الوجدانية و النفسية الحلوة تأثير عظيم فى أرتفاع المستوى الأدبى :

و لا ريب فى أن الناس تعجبهم و ترضيهم و تحلو لديهم المعانى التى تحرك لديهم المشاعر الوجدانية والنفسية الحلوة ، والعواطف الوجدانية و النفسية الحلوة ، أو تذكرهم بهـا ،

مثل : مشاعر الحب ، و اقاءات الأحبة ، و عواطف الحنان و الشفقة ، ومشاعر الشوق لدى العشاق ، ومشاعر الايمان و أحاسيسه العميقة لدى المؤمنين ، ومشاعر العبادة الحلوة لدى العباد الصالحين ، ومشاعر الفخر و الاعتزاز بالأمجاد ، و مشاعر الاحسان وفعل الخير ، و مشاعر الأخوة و الصدق و الوفاء ، ومشاعر الأبوة و الأمومة و سائر القرابات ، و مشاعر العطف على الأيتام ، و مشاعر التوبة والندم و الرجعة إلى الله ، و مشاعر الزهد بالدنيا و التطلع إلى النعيم المقيم فى الآخرة ، و مشاعر التضحية والبطولة و الفداء ، و مشاعر الايثار ، و مشاعر البر و التقوى ، و مشاعر التحدى والصمود ، و آمال النصر على الطغاة و البغاة و عباد الشيطان .

و ما أوفر المعانى التى تحرك هذه المشاعر الحلوة لدى الدعاة إلى سبيل الله ، و ما عليهم إلا أن يحسنوا الاستفادة منها .

ثم إن المشاعر النفسية و الوجدانية ، منها ما هو ساذج بسيط ، و منها ما هو مركب متفاصل ، و منها ما هو مركب متداخل معقد .

و يرتقى مستوى الكلام الأدبى لدى علية الأدباء ، ولدى العامة أيضاً ، بقدر ارتقاء المشاعر التى يأتى التعبير عنها و لوبطريقة مباشرة .

و يصلح مثالا لهذا سمو المشاعر فى قول المتنبى لسيف الدولة :

أن كان سركمو ما قال حاسدنا فمـــا الجرح إذا أرضاكمو ألم
يا من يعز علينـا أن نفارقهـم و جداننا كل شئ بعدهم عـدم

و مركب المشاعر فى قوله له :

يا أعدل الناس إلا فى معاملتى فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

المشاعر الوجدانية و النفسية فى الدعوة إلى الله :

و إذا كان للمشاعر الوجدانية و النفسية هذا الأثر فى ارتقاء مستوى الكلام الأدبى ، وفى تأثيره القوى على النفوس ، فان لدى الدعاة إلى الله كنزاً عظيماً من المشاعر التى يتيسر لهم الانتفاع منها فى تحقيق أهداف الدعوة ، وفى رفع مستوى كلامهم الأدبى .

و لكن لا بد أن ننبه إلى عنصر مهم جداً ، ألا و هو أن يكون المتكلم منفعلا حقاً فى عمق وجدانه و نفسه ، بالمشاعر التى يريد التعبير عنها ، و يحرص على تحريكها فى أعماق سامعيه أو قارئيه .

إنه كلما كانت مشاعر الداعى حول ما يدعو إليه من دين الله أعمق ، و كان إحساسه بها أعنف و أوضح كان تأثيره فى سامعيه أكثر و أعمق ، و لذلك نجد تأثير المخلصين عظيماً .

و حين تقترن بهذه المشاعر الصادقة العميقه ، قدرات أدبية على البيان ، و تجارب مختلفات فى ميادين التعبير الأدبى عن الأفكار و عن الأحاسيس والمشاعر النفسية أو الوجدانية ، فان القدرة على التعبير عن هذه المشاعر تكون أكمل و أوفى ، ثم يكون الكلام أكثر نفاذاً إلى أعماق سامعيه أو قارئيه ، و أكثر تحريكا لمشاعرهم .

و يرتقى الداعى إلى سبيل الله فى تعبيراته الأدبية البليغة ضمن دعوته بمقدار ارتقاء تجاربه الايمانية ، وتجاربه الوجدانية ، ومشاعره النفسية الحلوة ، فى مجالات الصلة بالله ، و الطاعة له ، و التوبة و الندم ، و عطاءات الخير ، و التطبيقات الاسلامية المسعدة للنفوس ، و المريحة للضمائر ، و الممدة للقلوب بالطمأنينة .

« يتبع » ‡ ‡ ‡

أدب التربية و المواعظ

—:([٧]):—

سعادة الدكتور غريب جمعة (القاهرة)

الكلام على قوله تعالى: «ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً (١)»

قرأ الجمهور : نصوحاً بفتح النون ، و قرأ أبو بكر عن عاصم بضمها ، قال الزجاج : من فتح فعلى صفة التوبة ، و المعنى توبة بالغة فى النصح ، و فعول من أسماء الفاعلين التى تستعمل للمبالغة فى الوصف ، يقال : رجل صبور و شكور ، و من قرأ بالضم فمعناه ينصحون بها نصوحاً ، يقال : نصحت له نصحاً و نصاحة و نصوحاً .

قال عمر بن الخطاب : التوبة النصوح أن يتوب العبد من الذنب وهو يحدث نفسه ألا يعود ، و سئل الحسن البصرى عن التوبة النصوح فقال :

ندم بالقلب و استغفار باللسان و ترك بالجوارح و إضمار أن لا يعود .

و قال ابن مسعود : التوبة النصوح تكفر كل سيئة ، ثم قرأ هذه الآية .

* * *

أعلم أن التائب الصادق كلما اشتد ندمه زاد مقته لنفسه على قبح زلته ، فمنهم من قوى مقته لها ورأى تعريضها للقتل مباحاً فى بعض الأحوال فعرضها له كما فعل ماعز و الغامدية .

---

(١) التحريم : ٨ .

أخبرنا ابن عبد الواحد ، أنبأنا الحسن بن علي ، أخبرنا أحمد بن جعفر ، حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنى أبى ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنى بشير بن المهاجر ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، قال : كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل يقال له ماعز بن مالك فقال : يانبي الله إنى قد زنيت وأنا أريد أن تطهرنى فطهرنى ، فقال له النبي ﷺ : إرجع ، فلما كان من الغداة أتاه أيضاً فاعترف عنده بالزنا ، فقال له النبي ﷺ : إرجع ، ثم أرسل النبي ﷺ إلى قومه فسألهم عنه ، فقال : ما تعلمون من ماعز بن مالك الأسلمى ؟ هل ترون به بأساً و ما تنكرون من عقله شيئاً ؟ قالوا : يا نبي الله ما نرى به بأساً ولا ننكر من عقله شيئاً ، ثم عاد إلى النبي ﷺ الثالثة فاعترف عنده بالزنا وقال : يا نبي الله طهرنى ، فأرسل النبي ﷺ إلى قومه أيضاً فسألهم عنه فقالوا له كما قالوا فى المرة الأولى : ما نرى به بأساً وما ننكر من عقله شيئاً ثم رجع إلى النبي ﷺ الرابعة فاعترف عنده بالزنا ، فأمر النبي ﷺ فحفر له حفيرة فجعل فيها إلى صدره ثم أمر الناس أن يرجموه .

قال بريدة : و كنت جالساً عند النبي ﷺ فجاءته امرأة من غامد فقالت : يانبي الله إنى قد زنيت و إنى أريد أن تطهرنى ، فقال لها النبي ﷺ : إرجعى ، فلما كان من الغد أتته أيضاً فاعترفت عنده بالزنا ، فقال لها : إرجعى ، فلما أن كان من الغد أتته فاعترفت عنده بالزنا ، و قالت : يانبي الله طهرنى فلعلك أن تردنى كما رددت ماعز بن مالك فو الله إنى لحبلى من الزنا ، فقال لها النبي ﷺ : إرجعى حتى تلدى ، فلما ولدت جاءت بالصبي تحمله فقالت : يانبي الله هذا قد ولدت ، قال : فاذهبي حتى تفطميه ، فلما فطمته جاءت بالصبي وفي يده كسرة خبز فقالت : يا نبي الله ، هذا قد فطمته .

فأمر النبي ﷺ بالصبي فدفع إلى رجل من المسلمين وأمر بها فحفر لها حفيرة فجعلت فيها إلى صدرها ، ثم أمر الناس أن يرجموها ، فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجه خالد فسبها ، فسمع النبي ﷺ سبه إياهافقال :

مهلا يا خالد فو الذى نفسى بيده لقد تابت توبة لوتابها صاحب مكس (١) لغفر له ، ثم أمر بها فصلى عليها و دفنت . (انفرد باخراج الحديثين مسلم) ص ١٦٩٠ .

و قد أخرج فى بعض الطرق أن ما عزاً قال لرسول الله ﷺ : طهرنى ، فقال له : ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه ، فرجع غير بعيد ، ثم جاء فقال : يا رسول الله طهرنى ، فقال : ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه ، فرجع ثم جاء فقال : طهرنى ، حتى إذا كانت الرابعة قال له الرسول ﷺ : مم أطهرك ؟ قال : من الزنا ، فلما رجمه قال : « لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم » .

* * *

فانظر إلى مقت هؤلاء أنفسهم حتى أسلموها إلى الهلاك غضباً عليها لما فعلت ، و من التائبين من لم يجز له التعريض بقتلها فكان ينغص عيشها .

قال بعض السلف : رأيت ضيغماً العابد قد أخذ كوزاً من ماء بارد فصبه فى الجب واكتال غيره ، فقلت له فى ذلك ، فقال : نظرت نظرة وأنا شاب فجعلت على نفسى ألا أذيقها الماء البارد ، أنغص عليها أيام الحياة ، (هذه وجهة نظر تخص هذا العابد و هى تطرف فى زجر النفس) .

يا نادما على الذنوب أين أثر ندمك ، أين بكاؤك على زلة قدمك ، أين حذرك من أليم العقاب ، و أين قلقك من خوف العتاب ، أنعتقد أن التوبة قول

---

(١) المكس : الظلم ودراهم كانت تؤخذ من بائعى الأسواق فى الجاهلية .

باللسان، إنما التوبة نار تحرق الانسان، جرد قلبك من الأقذار، ثم ألبسه الاعتذار، ثم حله حلة الانكسار، ثم أقمه على باب الدار .

لهج بعض العباد بالبكاء فعوتب على كثرته فقال :

بكيت على الذنوب لعظم جرمی و حق لكل من يعصى البكاء
فلو أن البكاء يرد همی لأسعدت الدموع معاً دمائی

* * *

اعلم أن التائب المحقق يشغله تنظيف ما وسخ ، و الحزن على ما فرط عن تصوير زلة ثانية ، يا هذا اكتب قصة الرجوع بقلم النزوع بمداد الدموع ، واسع بها على قدم الخضوع إلى باب الخشوع ، و أتبعها بالعطش والجوع ، و سل رفعها فرب سؤال مسموع ، كم هتك ستر من فعل خطيئة قد فعلتها و سترت ، فابك على كثرة الذنب أو على قلة الشكر .

لئن جل ذنبی وارتكبت المآثما و أصبحت فی بحر الخطيئه عائماً
أجرر ذيلی فی متابعة الهوى لأقضی أوطار البطالة هائماً
فهاأنا ذا يارب أقررت بالذی جنيت على نفسی وأصبحت نادماً
أجل ذنوبی عند عفوك سيدی حقير و إن كانت ذنوبی عظائماً

* * *

تشبث بذيل الحلم وصح بصاحب العفو لعل شفيع الاعتراف يسأل فی أسير الاقتراف .

ذنبی إليك عظيم و أنت للعفو أهل
فان عفوت بفضل و إن أخذت فعدل

يا هذا مناجاتك منجاتك ، و صلاتك صلاتك ، ناد فی نادی الأسحار و الناس

نائمون ، يا أكرم من أمله الآملون .

على دين ثقيل أنت قاضيه   يا من يحملنى ذنبى رجائيه
الحال مرهقة والنفس مشفقة   من دائها المتمادى أو تداويه

إن طردتنى فالى من أذهب ، وإن أبعدتنى فاليك أنسب ، علمت ذنبى وخلقتنى ، و رأيت زللى و رزقتنى .

برنى معروفكم قبل أبى   و غذانى بركم قبل اللبن
و إذ أنتم وأنتم أنتم   لم تولونى و تولونى فمن

يا هذا ! ماء العين فى الأرض حياة الزرع ، و ماء الحذر حياة القلب .

يا طالب الجنة ! بذنب واحد أخرج أبوك منها ، أتطمع فى دخولها بذنوب لم تتب عنها ، إن امرءاً تنقضى بالجهل ساعاته ، و تذهب بالمعاصى أوقاته ، لخليق أن تجرى دائماً دموعه ، و حقيق أن يقل فى الدجى هجوعه .

وا أسفا لمن ذهب عمره فى الخلاف ، و صار قلبه بالخطايا فى غلاف ، لما سترت عن التائبين العواقب فزعوا إلى البكاء واستراحوا إلى الأحزان ، كانوا يتزاورون فلا تجرى فى خلوة الزيارة إلا دموع الحذر .

باحت بسرى فى الهوى أدمعى   و دلت الواشى على موضعى
يا قوم إن كنتم على مذهبى   فى الوجد والحزن فنوحوا معى
يحق لى أبكى على زلتى   فلا تلومونى على أدمعى

* * *

آه ! لنفس لا تعقل أمرها ثم جهلت قدرها تضيع فى المعاصى عمرها وتخوض من الذنوب غمرها ، إلى متى تعصى وكم تتمرد ، و أقبح من قبيحك أنك تتعمد . يا ردىء العزم يا سىء المقصد ، يانقى الثوب والقلب أسود ، ما هذا الأمل ولست

بمخلد ، أما تخاف من أوعدك و هدد ، يا مستوراً على القبيح أتقر أم تجحد ، يا من شاب و ما تاب هذا الدأب مذ أنت أمرد ، يا مشترياً لذة تزول بالعذاب السرمد ، يا مرمياً فى جب الهوى هذا الحبل وما تصعد ، بالله عليك تأمل نصحى و تفقد . أما الطريق طويلة فاقبل منى و تزود ، تخلص من إصر الهوى فالى كم مقيد ، ميز ما يبقى بما يفنى ثم اطلب الأجود ، ما أرى قولى يؤثر فيك ولو درس يجلد ، أظرف من فعلك قلة فهمك و أنت تتبغدد ، أسفاً لأيام مضت فى الذنوب و تولت ، تحكمت فيها النفس فأفسدتها إذ تولت ، وعلى ليال كست الصحائف لونها فوكست و أذلت ، وعلى ساعات فى طلاب الهوى هوت واضمحلت ، حسرة عن حسير ذهبت وحلت ، آه اشيب كان الشباب منه أصلح ، ولذى عيب ما قرمه (١) العتاب ولا أصلح ، و لمفرط يخسر كل يوم و لا يربح ، و لمتخبط فى ظلام الظلم و الصباح قد أصبح .

قد تناهت فى بلائى حيلتى و بلائى كله من قبلى
كلما قلت تجلت غمتى غدت فى ثانية لا تنجلى
لعبت بى شهواتى و انقضت لى حياتى فى غرور الأمل
و أحلت بى ذنوبى سقماً كيف بالبرء كيف لى
لقد رمتنى سيئاتى و الهوى بسهام فأصابت مقتلى
و أنى شيبى و حالى كالذى كنت فيه فى الزمان الأول

* * *

لو رأيت التائب لرأيت جفناً مقروحاً ، تبصره فى الأسحار على باب الاعتذار مطروحاً ، سمع قول الاله يوحى فيما يوحى « توبوا إلى الله توبة نصوحاً »

---

(١) قرمه : عضه و آلمه .

مطعمه يسير ، وحزنه كثير ، ومزعجه مثير ، فكأنه أسير ، قد رمى جريحاً ، أنحل بدنه الصيام ، و أتعب قدمه القيام ، و حلف بالعزم على هجر المنام . فبذل جسداً وروحاً « توبوا إلى الله توبة نصوحاً »

الذل قد علاه ، والحزن قد وهاه ، يذم نفسه على هواه ، وبهذا صار ممدوحاً ، أين من يبكى جنايات الشباب التى بها اسود الكتاب ، أين من يأتى إلى الباب تجد الباب مفتوحاً « توبوا إلى الله توبة نصوحاً » .

و الحمد لله وحده

* * *

و هكذا بعد قراءة هذه النماذج من مواعظ العلامة ابن الجوزى يتضح لنا ما يأتى :

★ أولا :

تحفل هذه المواعظ بمادة واسعة من تفسير القرآن الكريم حيث يستعرض الروايات ثم يفصل القول فيها مؤيداً لما يقول و هو أسلوب التفسير بالمنقول .

★ ثانياً :

تحفل بمادة لغوية نقلها ابن الجوزى عن أئمة اللغة و النحو كالزجاج وغيره .

★ ثالثاً :

الميل إلى التأنق و الحلية اللفظية و الصنعة الكلامية و ذلك بلزوم السجع كما رأينا و هو ذو نفس طويل فى ذلك يساعد على وفرة المعنى و روعة الخيال وقد أصبحت القدرة على الصنعة اللفظية ميزة واضحة فيه تأتيه على غير تكلف ولا تحضير و لا تحبير .

★ رابعاً :

إيثار الاشارة والقصة ليكون الوعظ ألين على الأسماع و أوقع فى القلوب.

★ خامساً :

غناء مواعظه بالمادة الأدبية وهى الشعر الذى كان وسيلة من وسائل ابن الجوزى فى التأثير ، و قد حفظ لنا بهذا الشعر تراثاً أدبياً إسلامياً لم يلتفت إليه أصحاب المجموعات و المختارات الأدبية ، هو شعر الزهد و الرقائق و التأمل و الاعتبار ، ويدل ذلك على قدرة ابن الجوزى الفائقة على الرواية وعلى تذوقه الأدبى السليم.

يقول الدكتور مصطفى عبد الواحد موضحاً ذلك.

« و الحق أن ابن الجوزى قد أسدى إلى الأدب الاسلامى صنيعة لا تنكر حين جمع فى كتابه (١) هذا الحشد الضخم من المختارات الشعرية التى تصور كيف تمثل الأدب العربى معانى الاسلام ، وكيف عبر عن الحقائق التى أمن بها الوجدان العربى ، ولو أن ابن الجوزى عنى بنسبة هذا الشعر إلى قائليه لتمت الفائدة ولاستطعنا أن نصدر حكمنا فى مواقف العصور الأدبية من قضية الأدب الاسلامى على نحو دقيق »

★ سادساً :

يمكننا أن نقول : إنه لا بد للداعية الناجح والواعظ المؤثر من دراسة آداب اللغة العربية قديمها وحديثها ، وقد كان ابن الجوزى واعظاً أديباً له من الثراء اللغوى ومن الخبرة بمراقع الكلام ومن عذوبة الأسلوب ما ليس لغيره . لذلك كان عظيم التأثير فى النفوس سريع النفاذ إلى القلوب ، وعاشت مواعظه فى السطور وفى الصدور إلى يومنا هذا و إلى ما يشاء الله لها .

و على ذلك يمكننا القول بأن ابن الجوزى أثر فى أدب المواعظ على النحو التالى.

(١) يقصد كتاب التبصرة .

—:([يتبع]):—

١- الأسلوب :

رأينا ابن الجوزى يخرج علوم الدين بالأدب فكثرت فى وعظه الحلية اللفظية و الصنعة الكلاميـــة مع ايراد الكثير من التوريات و الاستعارات و التشبيهات و يصرح ابن ابن الجوزى بأنه هذا شئ قد استجد و لا غرابة فيه و لا مذمة منه و ذلك إذ يقول :

« كان السلف يتبعون المواعظ باليسير من غير تحسين لفظ أو زخرفة نطق و من تأمل مواعظ الحسن البصرى و غيره من السلف علم ما أشرت إليه » كما أدخل لونا جديداً فى أسلوب التعبير هو التعبير الرمزى أو منهج الاشارة القرآنية ، و ذلك بأن يكتفى فيه بالاشارة إلى جزء من آية لا يدق فهمها أو معرفة بقيتها على العين البصيرة أو الحافظ القارىء ، ولقد أشار ابن الجوزى فى بعض كتبه إلى أنه آثر منهج الاشارة هـــذا لأنه يؤثر فى الباطن قبل الظاهر و يعمل فى القلب قبل السمع و من كلامه :

« و من لم يهزه يسير الاشارة لم ينفعه كثير العبارة »

٢- طريقة العرض :

رأينا أن طريقة ابن الجوزى فى عرض الحقائق الدينية على المستمعين تثير إنتباههم و تأخذ بلبهم حيث اعتاد الناس أن يسمعوا كلاماً فى الجنة والنار وقصصاً فى يوسف و زليخا و موسى و الجبل و غير ذلك ، أما ابن الجوزى فكانت له طريقة أخرى و عرض آخر يستهدف تأصيل الايمان فى النفوس والترغيب بعاجل الثواب فى الدنيا حتى لايتعلق المحروم بانتظار الثواب فى الآخرة فقط و فى هــذا تجاوب مع الفطرة البشرية التى تحب النفع العاجل .

وإذا كان هناك من مآخذ على ابن الجوزى فانها تنحصر فيما يذكره الدكتور

جمعة الخولى صاحب أطروحة الدكتوراه عن ابن الجوزى الواعظ حيث يقول :

« ومن الملاحظ أن ابن الجوزى كثيراً ما كان يلتزم فى وعظه السجع المرصع و الاناقة اللفظية و الحلية الكلامية و الانشاء المنمق و ما دامت بيئته كانت تتحمل هذا فلا لوم عليه ، و جدير بنا أن نقدر ظروف زمانه ومكانه وأن نذكر كيف كانت وسائله إلى الفهم و الادراك أما فى عصرنا هذا فان بيئتنا لا تتحمل ذلك .

كما نلحظ أيضاً أن ابن الجوزى كثيراً ما كان همه أن يجئ بالغرائب وبكثير من الرقائق و يطيل فى حشد قصص دينى و حكايات مؤلفة لترغيب فى طاعة أو تحذير من معصية .

و قد تميزت بعض كتـــاباته بالوعظ السلبى كما فى كتبه : عجيب الخطب و المدهش فى الوعظ و الخطب ، و رؤوس القوارير ، و هذا النوع من الوعظ لا يصلح فى أيام نهضات الأمم .

و بعد : ـ فأرجو أن أكون قد أتيت بالصواب و وفيت بالغرض فى هـذه العجالة حول كلمات و كتـابات العلامـــة ابن الجوزى رحمه الله رحمة واسعة ، و آخر دعواى :

« ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا و لا تحملنا ما لا طاقة لنا به و اعف عنا و اغفر لنا و ارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » .

(البقرة/ جزء من الآية ٢٨٦)

دراسات وأبحاث

آراء الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى
فى تاريخ التشريع الاسلامى
★★ و أسباب الاختلاف فى المذاهب الفقهية ★★
([٢])

الأستاذ سلمان الحسينى الندوى

★ عصر التابعين و نشأة المذاهب الفقهية :

و لما بدأ عصر التابعين الذين أخذوا عن الصحابة الكرام ـ رضى الله عنهم ـ حسب ما تيسر لكل واحد منهم فى بلده أو فى رحلاته إلى مختلف الأقطار الاسلامية ، وكان الواحد منهم يرجع إلى عدد من الصحابة ويجمع أحاديثهم وفقههم و فتاواهم و ينظر فيها و يبنى عليها ، و يستخرج منها بعض القواعد ويعتمد عليها ، فصارت تتكون من مجموعاتهم الحديثية وفتاواهم نواة المذاهب الفقهية ، يقول الامام الدهلوى مبيناً ذلك :

« وبالجملة فاختلفت مذاهب أصحاب النبى ﷺ و أخذ عنهم التابعون كذلك ، كل واحد ما تيسر له ، ورجح بعض الأقوال على بعض ، واضمحل فى نظرهم بعض الأقوال وإن كان مأثوراً عن كبار الصحابة كالمذهب المأثور من عمر و ابن مسعود فى تيمم الجنب (١) ، اضمحل عندهم لما استفاض من الأحاديث عن عمار وعمران بن

(١) أخرج حديث ابن مسعود هذا عن طريق شقيق بن سلمة الأسدى البخارى فى التيمم ، باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض و فى أبواب أخرى ، ←

حصين و غيرهما (١) فمنذ ذلك صار لكل عالم من علماء التابعين مذهب على حياله فانتصب فى كل بلد إمام مثل سعيد بن المسيب (م ٩٣هـ) و سالم بن عبد الله بن عمر (م ١٠٦هـ) فى المدينة، وبعدهما الزهرى (م ١٢٣هـ) و القاضى يحى بن سعيد (م ١٤٣هـ) و ربيعة بن أبى عبد الرحمن (م ١٣٦هـ) فيها ، و عطاء بن أبى رباح (م ١١٤هـ) بمكة ، و إبراهيم النخعى (م ٩٥هـ) و الشعبى (م ١٠٣هـ) بالكوفة ، والحسن البصرى (م ١١٠هـ) بالبصرة ، وطاؤوس بن كيسان (م ١٠٦هـ) باليمن ، و مكحول (م ١١٢هـ) بالشام (٢) .

★ الرحلات فى طلب الحديث وكثرة الفتاوى والأقضية :

و قد كان هؤلاء التابعون الأعلام الذين أكثروا الأخذ عن صحابة الرسول ﷺ طبق صيتهم الآفاق ، و ضربت إليهم أكباد الابل ، و شدت إليهم الرحال ،

— و أخرجه مسلم فى الحيض باب التيمم ، و أبو داؤد و النسائى فى الطهارة باب التيمم ، و أما حديث عمر ـ رضى الله عنه ـ فأخرجه عن طريق عبد الرحمن بن أبزى ، البخارى فى الوضوء باب المتيمم هل ينفخ فيها ، و باب التيمم للوجه والكفين ، وغيرهما من الأبواب ، ومسلم فى الحيض باب التيمم ، و أبو داؤد و النسائى فى الطهارة ، و هذه الأحاديث كلها تتناول قصة عمار بن ياسر

(١) حديث عمران بن حصين أخرجه البخارى فى التيمم باب الصعيد الطيب وضوء المسلم، وباب التيمم ضربة ، وغيرهما من الأبواب ، ومسلم فى المساجد باب قضاء الصلاة الفائتة ، و النسائى فى الطهارة باب التيمم بالصعيد .

(٢) الانصاف ص ٣٠ ـ ٣١ .

لا سيما من كان منهم فى مدينة الرسول ﷺ إذ كانت هى موطن الاسلام الأول و مهبط الوحى، وكان الناس يأتون إليها للزيارة وتلق الأحاديث النبوية ومشاهدة الحياة العملية التى كان يعيشها سكانها من الرعيل الأول ، وكانت المدينة تمتاز بفقهائها السبعة وهم ، (١) عبيد الله بن عتبة بن مسعود (م ٩٨هـ) (٢) و عروة ابن الزبير بن العوام (م ٩٤هـ) (٣) و قاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق (م ١٠٨هـ) (٤) و سعيد بن المسيب (م ٩٤هـ) (٥) و أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (م ٩٤هـ) (٦) و سليمان بن يسار (م ١٠٩هـ) (٧) وخارجة بن زيد بن ثابت (م ٩٩هـ) وكل هؤلاء ممن كثر الأخذ و التلق عنهم و ملأت رواياتهم جانباً كبيراً من الكتب الست .

وكان فى مكة من كبار التابعين مجاهد (م ١٣٢هـ) وعطاء (م ١١٤هـ) وسعيد ابن جبير (م ٩٤هـ) و ابن أبى مليكة (م ١١٧هـ) .

وكان فى الكوفة التى أصبحت دار الخلافة فى عهد على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ و التى آثرها عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بعبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ (م ٣٢هـ) الذى نشر هناك العلم و الفقه، مثل علقمة (م ٦١هـ) و الأسود بن يزيد (م ٧٥هـ) و مسروق بن الأجدع (م ٦٣هـ) وغيرهم من فقهاء التابعين الذين ترامى إليهم الناس من الأقطار و الأصقاع البعيدة .

يقول الامام الدهلوى : « فأظمأ الله أكباداً إلى علومهم فرغبوا فيها وأخذوا عنهم الحديث و فتاوى الصحابة و أقاويلهم و مذاهب هؤلاء العلماء و تحقيقاتهم من عند أنفسهم ، و استفتى منهم المستفتون و دارت المسائل بينهم و رفعت إليهم الأقضية » (١) .

---

(١) الانصاف ص ٣١ .

★ الاتجاهات العلميــــــة وتشعب المدارس الفقهية :

و قد كان الفقهاء من التابعين و المفتون فيهم يتتبعون قضايا الصحابة الذين جمعوا أحاديثهم و أكثروا التلق عنهم ، وكان - بطبيعة الحال - ميلهم إلى الصحابة الذين كانوا فى أمصارهم لكثرة اعتمادهم عليهم و تأثرهم بهم و معرفتهم عن كثب معرفة تفصيلية ، أكثر من ميلهم إلى الصحابة الذين لم يساكنوهم ولم يروا آثارهم عن كثب و طول صحبة ، فظهر ميل كل واحد إلى علماء قطره و مصره لجمع أحاديثهم و قضاياهم و استخرج منها الأصول التى يركن إليها فى القضايا المتجددة الكثيرة التى كانت تعرض للسلمين لاتساع الفتوح الاسلامية و دخول الشعوب المختلفة و الأقطار المتباعدة فى الدولة الاسلامية ، يبين ذلك الامام الدهلوى فيقول :

« وكان سعيد بن المسيب (م ٩٤هـ) و إبراهيم النخعى (م ٩٥هـ) وأمثالهما جمعوا أبواب الفقه أجمعها ، وكان لهم فى كل باب أصول تلقوها من السلف ».

★ مدرسة أهل المدينة :

و كان سعيد و أصحابه يذهبون إلى أن أهل الحرمين أثبت الناس فى الفقه ، و أصل مذهبهم فتاوى عمر و عثمان و قضاياهما ، و فتاوى عبد الله بن عمر (م ٧٤هـ) وعائشة (م ٥٨هـ) وابن عباس (م ٦٨هـ) و قضايا قضاة المدينة ، فجمعوا من ذلك ما يسره الله لهم ، ثم نظروا فيها نظر اعتبار و تفتيش ، فما كان منها مجمعاً عليه بين علماء المدينة فانهم يأخذون عليه بنواجذهم ، و ما كان فيه اختلاف عندهم فانهم يأخذون بأقواها و أرجحها ، إما لكثرة من ذهب إليه منهم أو لموافقته بقياس قوى أو تخريج صريح من الكتاب و السنة و نحو ذلك ، و إذا لم يجدوا - فيما

حفظوا منهم ـ جواب المسألة خرجوا من كلامهم وتتبعوا الايماء (١) والاقتضاء (٢) لحصل لهم مسائل كثيرة فى كل باب باب (٣) .

★ مدرسة أهل الكوفة : وإذا كان فى المدينة المنورة هؤلاء الأجلة من الصحابة و الأعلام من التابعين فان الكوفة كتلك ، كانت تزهو بألف و خمسين من الصحابة كان على رأسهم عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنهم ـ يروى الحافظ الدولابى بسنده عن قتادة قال : نزل الكوفة ألف و خمسون رجلا من أصحاب النبى ﷺ و أربعة و عشرون من أهل بدر (٤) .

و يقول العجلى رحمه الله (م ٢٦١هـ) وهو ممن يقرن بالامام أحمد بن حنبل و يحيي بن معين فى تاريخه : « نزل الكوفة ألف و خمسمائة من الصحابة (٥)

(١) الايماء : و هو أن أداء المقصود يكون بعبارات بازاء الاعتبارات المناسبة فيقصد البلغاء مطابقة العبارة الاعتبار المناسب الزايد على أصل المقصود فيفهم الكلام الاعتبار المناسب له ، كالتقييد بالوصف أو الشرط يدلان على عدم الحكم عند عدمهما .. (حجة الله البلغة ج ١ ص ١٠٨) .

(٢) الاقتضاء : هو فهم المعنى بواسطة لزومه للستعمل فيه عادة أو عقلا أو شرعاً ، كأعتقت وبعت يقتضى سبق ملك ، (انظر حجة الله البالغة ج ١ ص ٨ ١) و جاء فى أصول الشاشى ص ٣١ (طبع المجتبائى : هو زيادة على النص لا يتحقق معنى النص إلا به .

(٣) الانصاف : ص ٣٢ .

(٤) عبد الرشيد النعمانى ، ابن ماجه و علم الحديث ص ٣٩ نقلا عن الكنى و الأسماء ج ١ ص ١٧٤ .

(٥) ابن ماجه و علم الحديث ص ٣٩ .

ـ رضى الله عنهم ـ » و لما انتقلت دار الخلافة إليها ، انتقل ثقل العلم معها ، فكانت هناك فتاوى على ابن أبى طالب ـ كرمه الله وجهه ـ و أقضيته التى شغلت حيزاً كبيراً من الأحكام الفقهية عدا فتاوى عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ التى أصبحت عمدة تلاميذه ، و تأسست عليها المدرسة الكوفية ، يقول الامام الدهلوى :

« و كان إبراهيم وأصحابه يرون أن عبد الله بن مسعود وأصحابه أثبت الناس فى الفقه كما قال علقمة لمسروق : هل أحد منهم أثبت من عبد الله (١) ، و قول أبى حنيفة (م ١٥٠هـ) للأوزاعى (م ١٥٧هـ) : إبراهيم أفقه من سالم ، و لو لا فضل الصحبة لقلت : إن علقمة أفقه من عبد الله بن عمر ، و عبد الله هو عبد الله (٢) » .

« و أصل مذهبه فتاوى عبد الله بن مسعود و قضايا على و فتاواه وقضايا شريح وغيره من قضاة الكوفة ، فجمع من ذلك ما يسره الله ، ثم صنع فى آثارهم كما صنع أهل المدينة فى آثار أهل المدينة ، و خرج كما خرجوا فتخلص له مسائل الفقه فى كل باب باب »

« و كان سعيد بن المسيب لسان فقهاء المدينة و كان أحفظهم لقضايا عمر و لحديث أبى هريرة ، و إبراهيم لسان فقهاء الكوفة ، فاذا تكلم بشئ ولم ينسباه إلى أحد فانه فى الأكثر منسوب إلى أحد من السلف (٣) صريحاً أو إيماء ، ونحو

(١) لم أطلع إلى الآن على مخرج هذا القول ، و من كان عنده إطلاع فيتفضل بافادتى به .

(٢) الانصاف ص ٣٢-٣٣ ، وقد ذكر هذه القصة ابن الهمام فى فتح القدير .

(٣) هذا إذا كان ما لم ينسبوه حديثاً لا مجال للاجتهاد فيه فأمر واضح ، فانهم

ذلك . فاجتمع عليهما فقهاء بلدهما و أخذوا عنهما وعقلوه و خرجوا عليه ، والله أعلم (١) (٢) .

= لا ينقلون إلا عن الصحابة و هم عن الرسول ﷺ و لكن المسائل الاجتهاديه أيضاً مأثورات عن أساتذتهم من الصحابة ويسيرون على منوالهم فى الاجتهاد إذا دعت إلى ذلك قضية جديدة لم يجدوا فيها نصاً ظاهراً ، و تكون الايماءات عند ذلك منارات الطريق ، يهتدون بها فى حل القضايا و كشف المعضلات .

---

(١) الانصاف ص ٣٢-٣٣ .

(٢) وقبل أن أفضى إلى الفصل الثانى أود أن نقف هنا وقفة ، فقد رأينا كيف مهدت الأصول ووضعت قوانين الفقه عند إبراهيم النخعى وسعيد بن المسيب و غيرهما من فقهاء التابعين و تتلمذ عليهم من جاء بعدهم كما تتلمذوا هم على من تقدمهم وخرجوا على أقوالهم ونظروا وفرعوا ، ولكن انتماءهم كان انتماءاً علماً مبنياً على البصيرة ، و الاتباع ، و لم يكن ذلك تعصباً منهم لمذهب صحابى سكن البلد الذى يسكنون فيه ، و لم تكن نسبتهم إلى أسماء الأعلام الذين يهتدون بأصولهم كالنافعى أو السالمى أو العلقمى أو الابراهيمى ، وما أحسن ما قال الامام أبو زيد الدبوسى الحنفى فى « تقويم الأدلة » : كان الناس فى الصدر الأول أعنى الصحابة و التابعين و الصالحين يبنون أمورهم على الحجة ، فكانوا يأخذون بالكتاب ثم بالسنة ثم بأقوال من بعد رسول الله ﷺ ما يصح بالحجة ، فكان الرجل يأخذ بقول عمر فى مسألة ثم يخالفه بقول على فى مسألة أخرى ، و قد ظهر من أصحاب أبى حنيفة أنهم وافقوه مرة و خالفوه أخرى بحسب ما تتضح لهم الحجة ، ولم يكن =

الفصل الثانى : اختلاف مذاهب الفقهاء :

تلقى عن الفقهاء التابعين أتباعهم و تأثروا بهم فى الأقضية و الفتاوى وجمعوا ما وصل إليهم من علمهم الذى كان يشتمل على الآثار المرفوعة و الموقوفة . و اجتهاداتهم المستقلة و تخريجاتهم المتفرعة و أصولهم التى بنوا عليها كثيراً من الأحكام ، وكان تلاميذ كل مدرسة يرجحون أساتذتها وعلماءها و يحفظون أحاديثهم و مسائلهم وينسجون على منوالهم وكانت طريقتهم فى الاحتجاج بهم أن يتمسكوا

المذهب فى الشريعة عمرياً ولا علوياً ، بل النسبة كانت إلى رسول الله ﷺ فكانوا قروناً أثنى عليهم رسول الله ﷺ بالخير ، فكانوا يرون الحجة ، لا علماءهم ولا نفوسهم ، فلما ذهبت التقوى عن عامة القرن الرابع وكسلوا عن طلب الحجج جعلوا علماءهم حجة واتبعوهم فصار بعضهم حنفياً و بعضهم مالكياً ، و بعضهم شافعياً ، ينصرون الحجة بالرجال و يعتقدون الصحة بالميلاد على ذلك المذهب ثم كل قرن بعدهم اتبع عالمه كيفما أصاب بلا تمييز حتى تبدلت السنن بالبدع ، فضل الحق بين الهوى (تقويم الأدلة ص ٧) .

و المراد أن الانتماء أصبح بمجرد عصبية ، لا عن دليل و فهم للمذهب ، أو عن ضرورة إلى الاتباع لعالم ، فان هذا الانتماء يجوز لأحد شخصين ، شخص لا يعرف مظان الأدلة أو لا يفهمها فهو فى حكم العامة ، فيقلد عالم بلده ، و شخص يقتنع بمذهب إمام اقتناعاً تاماً ، فيتبعه ، و لا ينشأ الاقتناع إلا بعد الوقوف على أدلة الأئمة و طرق استدلالهم - والله أعلم بالصواب - .

بما رفعوه وأسندوه أو أرسلوه أو وقفوه، إلا إذا كانت القضية مختلفاً فيها وجاءت فيها آثار تخالف ما وجدوا عليه عالم بلدهم فينظرون فى الأحاديث و يقارنون بينها و يرجحون بعضها على بعض بقرائن تطمئن إليها نفوسهم.

★ مسالك الاحتجاج و الترجيح بين الآثار فى عهد أتباع التابعين:

و قد وضحت ـ فى عهد أتباع التابعين ـ مسالكهم فى الاحتجاج و الترجيح و النظر فى الأدلة أكثر من ذى قبل، و دخل الفقه فى دور التأصيل و التأسيس و ظهرت اتجاهات مسلكية كانت تتمشى مع الروح العلمية والانصاف. يذكر الامام الدهلوى طريقتهم فى الاحتجاج و الترجيح فيقول:

« وكان صنيع العلماء فى هذه الطبقة —(وهى طبقة أتباع التابعين)— متشابها، و حاصل صنيعهم: »

« (١) أن يتمسك بالمسند من حديث رسول الله ﷺ و المرسل جميعاً، و يستدل بأقوال الصحابة و التابعين علماً منهم أنها إما أحاديث منقولة عن رسول الله ﷺ اختصروها، فجعلوها موقوفة كما قال إبراهيم و قد روى حديث: نهى رسول الله ﷺ عن المحاقلة و المزابنة، فقيل له: أما تحفظ عن رسول الله ﷺ حديثاً غير ذلك؟ قال: بلى ولكن أقول: قال عبد الله، قال علقمة أحب إلى.

(٢) أو يكون استنباطاً منهم من النصوص.

(٣) أو اجتهاداً منهم بآرائهم، و هم أحسن صنيعاً فى كل ذلك ممن يجئ بعدهم و أكثر إصابة و أقدم زماناً و أوعى علماً فتعين العمل بها (أى بأقوال الصحابة و التابعين).

(٤) و إذا اختلفت أحاديث رسول الله ﷺ فى مسألة رجعوا إلى أقوال

الصحابة ، ونظروا فاذا كانوا قد علموا أنه ينسخ بعضه بعضاً قالوا به ، أو صرفوا بعضه عن ظاهره ، أو لم يصرحوا بذلك و لكن اتفقوا على تركه و عدم القول بموجبه فانه كابداء علة فيه أو الحكم بنسخه وتأويله ، كما روى الامام مالك حديث و لوغ الكلب ثم قال: جاء هذا الحديث و لكن لا أدرى ما حقيقته ، حكاه ابن الحاجب فى « مختصر الأصول » يعنى لم أرالفقهاء يعملون به .

(٥) أما إذا اختلفت مذاهب الصحابة و التابعين فى مسألة فالمختار عند كل عالم مذهب أهل بلده و شيوخه لأنه أعرف بصحيح أقاويلهم من السقيم و أوعى الأصول المناسبة لها ، و قلبه أميل إلى فضلهم و تبحرهم .

(٦) فان اتفق أهل البلد على شئ أخذوا عليه بالنواجذ ، و هو الذى يقول فى مثله مالك « السنة التى لا اختلاف فيها عندنا كذا و كذا » .

(٧) وإن اختلفوا - أى إذا كان الاختلاف بين أهل بلد واحد أيضاً - أخذوا بأقوى الأقوال و أرجحها ، إما لكثرة القائلين به ، أو لموافقته لقياس قوى ، أو تخريج من الكتاب و السنة و هو الذى يقول فى مثله مالك : « هذا أحسن ما سمعت » .

(٨) فاذا لم يجدوا فيما حفظوا منهم جواب المسألة خرجوا من كلامهم وتتبعوا الايماء و الاقتضاء (١) .

ومن هنا رأينا تميز المذاهب ، ونجد طائفة من الصحابة - رضى الله عنهم - على رأس كل مذهب ، فاذا كان عمر و عثمان و عائشة ، و ابن عمر و ابن عباس و زيد بن ثابت - رضى الله عنهم - و أصحابهم من سعيد بن المسيب ، وعروة ، و سالم ، و عكرمة ، و عطاء بن يسار ، و قاسم ، و عبيد الله بن عبد الله ، و الزهرى ، و يحى بن سعيد ، و زيد بن أسلم ، و ربيعة ، و أمثالهم - رحمهم

---

(١) الانصاف ص ٣٥-٣٨ بتصرف و اختصار .

الله - أحق بالأخذ من غيرهم عند أهل المدينة فان مذهب عبدالله بن مسعود وأصحابه و قضايا على و شريح والشعبى ، و فتاوى إبراهيم النخعى ، أحق بالأخذ عند أهل الكوفة من غيرهم ، و قد قال علقمة لمسروق حين مال إلى قول زيد بن ثابت فى التشريك (١) قال : هل أحد منهم أثبت من عبد الله . فقال : لا ، ولكن رأيت زيد بن ثابت و أهل المدينة يشركون (٢) .

★ تدوين الأحاديث والأقضية و الفتاوى :

و بدأ فى هذه الطبقة تدوين الكتب التى تجمع بين الأحاديث المرفوعة والموقوفة وفتاوى الصحابة والتابعين ، لأنها كلها كانت مادة الفقة و الاستنباط ، فقام العلماء الأعلام فى الأقطار الاسلامية يؤلفون لهم مجاميع تحوى الفقه و الحديث ، يقول الامام الدهلوى :

« و ألهموا فى هذه الطبقة التدوين ، فدون مالك (م ١٧٩هـ) ، و محمد بن عبد الرحمن بن أبى ذئب (م ١٥٨هـ) بالمدينة ، وابن جريج (م ١٥٠هـ) وابن عيينة (م ١٩٨هـ) بمكة ، والثورى (م ١٦١هـ) بالكوفة ، والربيع بن صبيح (م ١٦٠هـ) بالبصرة ، و كلهم مشوا على هذا المنهج الذى ذكرته » (٣) .

---

(١) التشريك فى الفرائض أن يرث المرأة زوجها وأمها وأخواتها لأمها وإخوتها لأبيها و أمها ، فجاء عن زيد بن ثابت أن للزوج النصف و للأم السدس و للأخوين للأم الثلث ، و الاخوان للأم و الأب يشاركانهما فى الثلث لا يسقطان ، وكان عمر - رضى الله عنه - يسقط الاخوة من الأم والأب فقيل له : هب أن أبانا كان حماراً ألسنا من أم واحدة ، فشركهم (انظر تلخيص الحبير الجزء الثالث ص ٨٦) .

(٢) الانصاف ص ٣٥-٣٧ .

(٣) الانصاف ص ٣٨ .

و كان من أوائل المؤلفين غير هؤلاء : سعيد بن أبى عروبة (م ١٥٦ هـ) و حماد بن سلمة (م ١٧٦ هـ) بالبصرة ، و الأوزاعى (م ١٥٧ هـ) بالشام ، و معمر (م ١٥٤هـ) باليمن ، و ابن المبارك (م ١٨١ هـ) بخراسان ، و الليث بن سعد (م ١٧٥ هـ) بمصر ، و هشيم (م ١٧٣ هـ) بواسط ، و جرير بن عبد الحميد (م ١٨٨ هـ) بالرى ، و قد كان هؤلاء فى عصر واحد لا يدرى أيهم سبق إلى ذلك (١) (٢) .

« يتبع »

---

(١) أنظر السنة و مكانتها فى التشريع الاسلامى ص ١٠٥ .

(٢) أما التأليف و التدوين للأحاديث المجردة من غير ذكر الفتاوى و الأقضية فقد سبق ذلك ، و وجدت هناك مجاميع كثيرة تبلغ المئات ، فقد بحث الأستاذ مصطفى الأعظمى فى كتابه (دراسات فى الحديث النبوى) فى الجزء الأول منه عن الكتب و المجاميع الحديثية التى كانت توجد ـ وقد ذكرت فى نصوص صريحة ـ إلى عصر أتباع التابعين فبلغ عدد من كانت عندهم الكتب و المجاميع ٢٥٢ (اثنين و خمسين و مائتين) و قد يكون عند كل واحد أكثر من كتاب أو مجموعة ، فلا يستغرب إذا قيل إنها كانت تبلغ المئات .

منح الشرعية لمانع الزكاة

بقلم : الدكتور فاروق عبد السلام

من كان يصدق أو يتصور بعد حرب الردة أنه سيأتى زمان على المسلمين يجرؤ فيه أو يقدم فيه حاكم مسلم أو نظام حكم إسلامى على ترك فريضة الزكاة لضمير الفرد و اختياره .. من منعها كمن دفعها مواطن صالح غير متهم أو مطارد من القانون يتمتع بنفس الحقوق و نفس الشرعية الدستورية لا فرق بينه و بين من أداها ؟!

و بكل الحسرة و العجب يفرض السؤال نفسه ..

لمن إذاً قال خليفة رسول الله :

« و الله لأقاتلن من فرق بين الصلاة و الزكاة فان الزكاة حق المال ، و الله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلهم على منعها » .

هل قال ذلك لقومه و من أجل أهله و المسلمين على عهده فحسب .. أم للمسلمين فى مشارق الأرض و مغاربها قديماً و حديثاً و إلى أن يرث الله الأرض و من عليها ؟ ! بل للمسلمين من أول زمانهم إلى آخره .. فسيد ولد آدم المصطفى المعصوم عليه أفضل الصلاة و السلام يقول :

« عليكم بسنتى و سنة الخلفاء الراشدين من بعدى »

و يقول عليه أفضل الصلاة و السلام :

« أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم »

والزكاة من قبل ومن بعد ركن الاسلام الثالث .. ولا إسلام بغير زكاة .. و حديث ابن عمر المشهور - بنى الاسلام على خمس - متفق عليه و من أنكرها و جحد وجوبها كفر باتفاق العلماء !!

فما الذى أصاب القوم فى عقولهم و عقول حكامهم من المسلمين حتى تهمل فريضة الزكاة بالترك لحرية اختيار الأفراد و كأنها نافلة من النوافل وهى التى أحل فيها الصديق دماء قوم من المسلمين أنكروها ؟!

ما حدث لا يصب على التفسير ولا يستعصى على الفهم .. فى غفلة من الزمان وبتدبير من أعداء الاسلام آلت مقاليد الأمور فى كثير من بلاد المسلمين إلى حفنة من صغار العلمانيين المسحورين بكل ما هو غربى .. دون تمييز بين الغث و الثمين و الصالح و الطالح .. و دون تفرقة بين ما يمكن أن تقبله أصول الشريعة من اجتهادات و إضافات المدنية الحديثة .. وبين ما ترده وترفضه رفضاً لا يقبل الجدل و النقاش لثبوت نص بشأنه ثبوتاً قطعياً لا شبهة فيه .. و ترتب على هذا الشغف و الوله و التأثر الكامل و الشمولى بفلسفة الغرب الحديث و النقل العشوائى لكل ما هو علمانى إيمان هذا البعض المتحكم والمتسلط على مقاليد الأمور فى بلاد المسلمين إيماناً مطلقاً ببدعة الفصل بين الدين و السياسة .. و من السياسة أو كالسياسة فى نظرهم شئون المال و الاقتصاد .. و فى اعتقادهم و فى نظرهم كما هو فى اعتقاد من أخذوا عنهم ونقلوا منهم .. الدين هو ما يؤدى من شعائر فى دور العبادة فحسب !! ولا يدرج فى ملتهم مع الدين من بند المال و الاقتصاد إلا الصدقه أو الحسنة التى تودى فى الخفاء للفقراء و المساكين يخرجها المرء بيمينه لا تعلم بها يساره .. و إن

جاز هذا الفصل فی ملة الغرب المسیحی :

* اظروف الصراع الدموی الرهیب بین رجال الحکم و رجال الكنيسة !!

* و لوقوع و ثبوت التحریف المزری و المخزی فی المصادر الأولية للديانة لديهم ، الأمر الذی أفقدتهم الثقة فی كتبهم المقدسة !!

* ولخلو هذه المصادر من تشريعات مالية واقتصادية تناسب تطور العصر !!

إن جاز هذا عليهم و لديهم فكيف يجوز على الاسلام و المسلمين ؟!

* وليس فی تاریخ المسلمين مثل هذا الصراع الدموی بين رجال الحكم والسياسة و رجال الدين .

* و حفظ الله للسلمين كتابهم دون تحريف .

* وفی مصادر الشريعة المتفق عليها من النصوص الثابتة ما يخص أمور المال والاقتصاد بنفس القدر وعلى نفس المستوی مما يخص غير ذلك من أمور المسلمين .

ما ورد و ما ثبت فی الزكاة لا يقل شأناً ولا قدراً ولا مرتبة عما ثبت فی الصلاة أو الصوم بأی حال من الأحوال ..

وما ورد فی الشرع عن الزكاة و التجارة والربا والكفارة والجزية و العشور والمواريث ثابت كله بأدلة قطعية لا شبهة فيها و ورد مفصلا بشروط محددة ومقدرة و معلومة .. و جميعه لم يقف عند حد الدراسات النظرية .. و تطبيقه لم يقف عند حد زمان فرضه ونزوله .. بل امتد على مدى أكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان يقيم لحضارة الاسلام اقتصاداً عملاقاً لدولة تمتد من المحيط إلى الخليج .. جاء عليها يوم فاضت فيه ميزانية بيت مال المسلمين حتى أبرت كل بائس ، وأغنت كل مسكين و أعانت كل من لا يستطيع الباءة على الزواج !!

و لكن أعداء الاسلام و المهزومين من بين أبناء المسلمين اليوم لا يعترفون

لشئ من هذا و لا يدينون فى عالم الاقتصاد إلا بمدرستين و نظامين .. رأسمالى حر ، واشتراكى موجه ، وإن كان لكل منهما تفريعاته ومشتقاته وتعديلاته وشطحاته ، . . و كأن الاسلام لم ينفرد بنظام اقتصادى خاص به .. له تاريخه .. و له سماته المميزه بين هذين النظامين السائدين و الشائعين ؟!

و مع ذلك فان مافات سدنة العلمانية و دعاتها ممن يحرقون البخور دوماً فى محرابها بالحق و بالباطل هو أنه لا يوجد مانع فى الشرع يمنع من الاستفادة من شتى النظم الأجنبية الحديثة و حتى من إضافات العلمانية والمدنية فى شتى المجالات ، اقتصادية وغير اقتصادية ما دام ما يؤخذ منها لا يصطدم بنص ثابت فى كتاب الله وسنة رسوله .. إلا أن ما هو أهم من ذلك ومحل الخلاف فى مجال ومقام حديثنا هذا هو أن النظر فيما يؤخذ أو يترك من إضافات الآخرين فى شئون المال و الاقتصاد لا محل له إلا بعد الأخذ بالثابت فى شريعة الله مما يخص شئون المال و الاقتصاد !! و عماد ذلك فريضة الزكاة .. و ذلك يحتمه عقلا وشرعاً و بالبديهة والمنطق أمران هامان :

★ الأول : أن الواجب الشرعى يحتم تقديم الثابت بالنص على ما هو محل اجتهاد و نظر و من إضافات الغير .

★ الثانى : أنه ليس من المعقول التفكير فى الاستعارة من الآخرين إلا بعد تقديم و حصر رصيدنا المحلى .. إذ ربما لو طبقنا الثابت من سياسات مالية و اقتصادية واردة فى الاسلام لأغنانا هذا عن استعارة الكثير من إضافات الآخرين و حمانا من التورط فى الكثير !!

• و الزكاة أولا و أخيراً ركن الاسلام ككل .. فهى بالتالى أهم الأركان

و فاتحة الكتاب فى اقتصاد الاسلام .. و منزلة الزكاة فى الاسلام - إن كان هناك من لا يعلم - تحتم على الحاكم المسلم أخذها من مانعها بقوة القانون كما تفرض عليه مطاردة منكرها بحد السيف .. وزيادة فى الايضاح ومما يلزم فى شأنه التنبيه والالحاح حسبة لله و ابراءاً للذمة فى مجال الحديث عن فريضة الزكاة كأحد أركان الاقتصاد الاسلامى المهملة و من واقع حالنا المعاصر المؤلم يتحتم وضع النقط على الحروف لابراز و تدبر هذه الحقائق الهامه :

★ أولا : لا إسلام بغير زكاة .. والزكاة لا تترك لضمير الفرد وحرية اختياره .. و لا يمنح منكرها و لا مانعها الشرعية القانونية و الدستورية بأى حال .. و زمام أمرها فى يد الحكام فعقوبة منكرها و كذلك مانعها ثابتة بغير خـــلاف ..

* فحرب الردة من المعلوم بالضرورة فى تاريخ المسلمين ، و عن كفر جاحد الزكاة قال « النووى » :

* وإن كان ممن لا يخفى عليه ذلك كمسلم مختلط بالمسلمين صار بجحدها كافراً و جرت عليه أحكام المرتدين من الاستتابة و القتل وغيرهما لأن وجوب الزكاة معلوم من دين الله تعالى ضرورة ، فمن جحد وجوبها فقد كذب الله وكذب رسوله ﷺ فحكم بكفره »

* أما مانعها فعقوبته الشرعية بقوله ﷺ فى الحديث الشريف :

« من أعطاها مؤتجراً فله أجره و من منعها فانا آخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا لا يحل لآل محمد منها شئ »

★ ثانياً : ترك فريضة الزكاة لاختيـار الأفراد و عدم توقيع العقوبة

الشرعية على مانعها ومنحه الشرعية هو الذى يظهرها بالمظهر الذى يجمل البعض يحكم جهالة بعدم قدرتها على إقامة نظام اقتصادى كفأ فى ظل ظروفنا المعاصرة .. ذلك لأنه فى حالة تركها لضمير الفرد لايدفعها إلا النفر المؤمن بوازع القرآن وليس بوازع السلطان، وهم قليل وهم عادة من الطبقات المحدودة الدخل فتصبح على ذلك حصيلتها قليلة لا يعتمد عليها حينئذ اقتصاد بلد من البلاد .. و العيب حينئذ ليس فى الزكاة و لكن فيمن آلت إليهم مقاليد الأمور فى بلاد المسلمين ..

- إن صاحب المليون لن يدفع خمسة و عشرين ألفاً بمحض اختياره !!
- و إذا كان ذلك كذلك !! فمن غير الحاكم يستطيع أن يأخذها منه وزيادة عليها شطر ماله .. أى نصف مليون و خمسة و عشرين ألفاً ؟!

★ ثالثاً : قد يتصور البعض أن جريمتنا المعاصرة نحو فريضة الزكاة تقف عند حد منح الشرعية لمانعها بتركها لمحض اختياره و تركه بغير عقاب إذا منعها .. ولكن الأمر أدهى من ذلك و أمر حيث تمنح الشرعية أيضاً وتحت راية الاسلام لمنكرها و من جحدها ؟!

و هذا واقع و واقع مر فى بعض بلاد المسلمين المعاصرة .. و على وجه التحديد فى كل بلد مسلم يصرح بقيام حزب شيوعى ملحد !! إن كل حزب شيوعى يعد حزباً من المرتدين .. يحارب حرباً كحرب الردة ولا يمنح الشرعية بأى حال، . . فالشيوعى ينكر وجود الله .. و ينكر الدين ككل .. و من ينكر الأصل ينكر الفرع ضمناً .. بديهة و عقلا و دون حاجة إلى إقرار بطبيعة الحال ..

★ رابعاً : فى صراع المسلمين مع الشيوعية العالمية و هى تطوق بلادهم من الشرق فتضع يدها على أفغان و عدن و تحيلها ما بين يوم و ليلة من بلاد

موحدة إلى بلاد ملحدة .. وفى صراعهم مع الصليبية العالمية و هى تساند الصهيونية العالمية على وضع يدها على فلسطين و المسجد الأقصى و انتزاع الاعتراف بشرعية هذا الوجود الصهيونى من بعض بلاد المسلمين .. فى صراعهم مع قوى البغى والطغيان من كل صوب و حدب و من شرق و غرب لا مخرج لهم من كبوتهم و نكبتهم إلا بأمر الله .. فالمسلم لا ينتصر إلا بفضل « لا إله إلا الله محمد رسول الله . » و لا إله إلا الله بحقها .. و من حقها إيتاء الزكاة .. و رحم الله عملاق الاسلام عمر بن الخطاب يوم قال لخليفة رسول الله بعد حرب الردة ..

« لولاك لهلكنا »

و لقد هلكنا يا أمير المؤمنين بعد ردة حلت و لا أبا بكر لها ..

و سبحان من يغير و لا يتغير وصدق الله العظيم :

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

« و إذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، و ما لهم من دونه من وال »

(سورة الرعد الآية ١١)

الأدب الاسلامى ربيع للأدب العربى

فضيلة الشيخ محمد سعيد المجددى البهوفالى

الحمد لله الذى خلق الانسان و علمه البيان ، و الصلاة و السلام على رسوله سيدنا محمد ، إمام الخير و قائد الخير ، و على آله وأصحابه أجمعين .

أيها السادة! أحييكم بتحية الاسلام ، دين الهدى ودين الحق ، الذى أعاد إلى البشرية شرفها و كرامتها بعد أن أضاعتها فى ظلمات الجهل و الطغيان ، و منحها العلم و الحكمة ، و الثقافة العالية و الحضارة الزاخرة بكل وسائل الخير ، والحرية الصحيحة ، و الأدب الصالح ، و الضياء و النور ، و رفع الفكرة البشرية والعقل الانسانى من حضيض الجهالة إلى ذروة المجد و العرفان « و لقد كرمنا بنى آدم و حملناهم فى البر و البحر و رزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (١) » .

كرم الله تعالى سيدنا و أبانا آدم عليه السلام أولا بالعلم ظاهره و باطنه ، فكان خاصته الأولى التى تميز بها على الملائكة ، فورثه بنوه ، و استناروابأضوائه فى مراحل حياتهم و تطورات نشأتهم و عصور نمائهم ما شاء الله « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين » ثم أضاعوا العلم الحقيقى الذى هو نور من الله يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، فهو يضيئ الطريق

(١) سورة الاسراء : ٧٠ .

السوى أمام الانسان فى جميع مجالات الحياة ، ويمنحه الرشد و السداد و النجاح ، تركوا باطن العلم وعكفوا على ظاهره ، عكفوا على جمع الكلمات والآداب والفنون التى كانت وسائط التعبير عن العلم المكنون فى أزياء هذه الأصناف ، فبعث الله الرسل و هداهم إلى العلم الحقيق الخالد . . . فكما تجلت أضواء هذا العلم فى لسان كل جيل من الأجيال الغابرة كذلك تجلت فى لسان عربى مبين بعد طلوع شمس العلم على جزيرة العرب .

قبل بعثة الرسول ﷺ كان معظم الأدب العربى مع غزارته وتنوعه وسيطة لابداء النزعات البشرية الخسيسة والأهواء النفسانية الفاسدة السافلة ، أو كان وسيطة لاظهار التكاثر و التفاخر فى الأموال و الأولاد ، أو كان سببا لابداء السرور والحبور فى الأفراح والأعياد ، جاء الاسلام فقلب الموقف رأسا على عقب ، فجعل الأدب العربى وسيلة لانهاض الانسان من الدرجة السافلة إلى العالية ومن سفساف الأمور إلى معاليها ، و من منكرات الأخلاق إلى مكارمها و من الخصائل الذميمة إلى الصفات الحميدة ، حيث أصلح أفكار الانسان و معتقداته ونياته ، فصلحت بذلك أعماله و أخلاقه و أهواؤه ثم صلحت جميع مجالات حياته بضوء العلم الحقيقى علم النبوة و الرسالة الالهية ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها . وفى الحديث : إن الله تعالى يحب معالى الأمور و أشرافها ، و يكره سفسافها .

كان لهذا التغيير الفكرى و المعنوى تأثير عميق فى الأدب العربى ، فسما الوجدان ، وصفت الأذهان ، وخمدت العصبية الجاهلية ، و عذب البيان ، و تزين الأدب العربى نثراونظماً بأزهار جميلة و باقات أنيقة لا مثيل لها فى الأدب العربى قبل الاسلام ، و نستطيع أن نتعرف على هذا الأثر الاسلامى الجميل الذى ظهر فى الشعر العربى بالمثال الآتى ، يقول الشاعر الجاهلى : ألا لا يجهلن أحد علينا ـ

فنجهل فوق جهل الجاهلينا . أما الشاعر الاسلامى فيقول :

و إن بليت بشخص لاخلاق له فكن كأنك لم تسمع و لم يقل

ذاك هو عمرو بن كلثوم أحد شعراء المعلقات وهذا هو صلاح الدين الصفدى شاعر القرن الثامن للهجره ، و ذلك ما أرشد إليه القرآن الكريم بقول الله عزوجل : و عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا و إذا خاطبهم الجهلون قالوا سلماً (١) .

على أن هذا الأثر الاسلامى ظهر فى الشعر العربى فى أواخر عهد بنى أمية ، لأن المسلمين فى الصدر الأول اشتغلوا بالقرآن الكريم و تفرغوا له ، و صرفوا عنايتهم إلى حفظه و إلى رواية الحديث النبوى الشريف، فخفت صوت الشعر لقلة الدواعى إليه ، و لكن الخطابة ازدهرت ونشأت على نمط إسلامى جديد وارتقت بنزول القرآن المجيد ارتقاءاً باهرا لأنه أصبح مصدرا رئيسياً للدعوة و الخطابة و اتسعت دائرة اللغة باستحداث الألفاظ الدينية و أصبح منبعا للمعانى والأساليب ، نزل بأسلوب بديع لا عهد للآذان و لا للأذهان بمثله ، فوقف العرب أمامه صامتين منصتين مع كونهم خطباء مصاقع و شعراء فحولا . ظهر ذلك أولا فى كلام الرسول ﷺ وفى خطبه ثم فى كلام الخلفاء وخطبهم و رسائلهم إلى العاملين ، و كلام الرسول ﷺ غنى عن عرض بعض الأمثلة منه فى هذا الصدد ، فان الأدب العربى حافل بالأحاديث ، عليها سمة العبقرية و جلاء النبوة .

ورد الربيع فرحباً بوروده بنور بهجته و نور وروده

نعم إن حديقة الأدب العربى ازدهرت ونضرت بنسيم الاسلام نضارة رائعة بديعة مثمرة نافعة غير ضارة ، و امتلأ و توفر نثره و شعره بالحكم و العلوم

(١) سورة الفرقان : ٦٣ .

النافعة الخالدة بفضل كتاب الله و بفضل حديث الرسول ﷺ ، كأن أزهارها و باقاتها أصبحت عطرة فائحة و أشجارها صارت مثمرة نافعة ، و من قبل كانت « ذات أكل خمط و أثل و شئ من سدر قليل » .

إن الرسول ﷺ أوضح شرف العلم وفضيلته بقوله : وإنما بعثت معلماً » وأبدى غاية بعثته بقوله « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » و أظهر حقيقة العلم بقوله : العلم علمان ، فعلم فى القلب فذلك العلم النافع و علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم ، عن جابر » بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتو العلم » (١) .

و هذا العلم النافع يخاطب روح الانسان بأسلوب جميل وفكر رفيع وموعظة حسنة و كلام مهذب غير مبتذل يصل إلى قرارة النفس فيحدث يقظة فى الحياة و يبنى القيم الرفيعة فى روح الفرد والمجتمع ، بينما الأدب بشكل أجوف لا يحاول الرقى بالانسان إلى مثل أعلى بل يبقى فى أنواعه الفنية صافياً و مكدرا ، جيداً و رديئاً ، و لا يكون رفيع المستوى فنياً فى كل حال ، الاسلام يزرع الذوق الرفيع فى نفس البشر ، و يهتم باصلاح البشرية ظاهرا و باطنا و يدعو إلى التفكر فى الآفاق و الأنفس و فى مكنونات هذا الكون العريض . و يرشد إلى إصلاح ما يحتاج إليه الانسان من أمور الدنيا و الآخرة « كذلك يبين الله لكم الآيت لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة (٢) » وفى الحديث : من فقه الرجل أن يصلح معيشته وليس من حب الدنيا طلب ما يصلحك ، عن أبى الدرداء» والقرآن الكريم يشير إلى الانتفاع بجميع أنواع العلوم النافعة مع التمسك بالعلم الذى يهدى إلى الحقيقة الأولى و هى معرفة الخالق العلى الأكبر ، فنى نزول أول خمس آيات من القرآن الكريم عند بدء الوحى ببشارة من قراءة وكتابة وإفادة من علم ، حث على

---

(١) سورة العنكبوت : ٤٩ . (٢) سورة البقرة : ٢١٩ - ٢٢٠ .

تحصیل العلم النافع بجمیع مستلزماته و أدواته للرجال والنساء علی السواء ، « اقرأ باسم ربك الذی خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ و ربك الأكرم ، الذی علم بالقلم ، علم الانسان مالم یعلم (١) » فجعل الله القراءة والكتابة و التعلیم نقطة البدء لوحیه الجلیل ، و لما قیض الله تعالی للغة العربیة أن تكون أخیراً لغة كتابه العزیز و أن تحمل الرسالة الالهیة إلی كافة الناس من عرب و من عجم تستضیئ بها البشریة إلی یوم القیامة فقد أودع فی أدبها من محاسن الكلام و تأثیر البیان مالم یودعه فی أیة لغة أخری فی العالم ، فهذا شرف عظیم لها و تراث جمیل لجمیع المسلمین فی أنحاء الأرض ، فالمسلمون فی البلاد العربیة ولاسیما خارجها یحیون هذه اللغة الشریفة و یتشوقون إلی تعلمها و یبذلون جهدهم إلی إجادتها لأنها لغة نزل بها القرآن الكریم ولأنها لغة نطق بها سیدهم محمد ﷺ ، لا لأنها لغة المعلقات و المذهبات ، و لا لأنها لغة قال بها الشنفری لامیة العرب ، أو لأنها لغة شعراء العرب و خطبائه الذین كانوا زعماء القریض و أمراء البیان .

وصفوة القول : إن التعلق باللغة العربیة یجعل المسلم ذا صلة قریبة وقویة بكتاب الله العزیز و بسنة رسوله ﷺ ثم یجمع المسلمین فی الشرق و الغرب و فی كل مكان ، فهی الرابطة القویة لوحدتهم و اجتماع شملهم و رأب صدعهم ، و فیها أدب صالح مبارك ینفخ روح الحیاة فی الجسد الهامد ، و روح الأخوة و المحبة فی قلوب المسلمین جمیعاً و فی خلق الله كافة ، فان رسولنا و قائدنا أوصانا بالتعظیم لأمر الله والشفقة علی خلق الله « إن الله مع الذین اتقوا و الذین هم محسنون » هذا ، و السلام علیكم و رحمة الله و الحمد لله أولا و آخراً .

****

(١) سورة العلق : ١ ـ ٥ .

أدب الصحوة الاسلامية

(١)

واضح رشيد الندوى

قضى الأدب العربى حياة الخمول ، متنحيا عن الحياة ، و مسائلها ، قروناً طويلة بعد أن خضع لأسلوب التكلف و الزخرفة و التنميق ، و صار صناعة ، اضعف الملكات الأدبية ، و السليقة فى الانشاء ، و صار تعبيراً عن خيال مكرر معار ، فى أسلوب منمق موشى ، يمجه الذوق السليم ، و تعافه الطبيعة .

لقد سلك ابن خلدون مسلكا جديداً ومال عن النهج المألوف للادباء والكتاب ، و اختار للتعبير عن آرائه و أفكاره ، و تقديم وجهات نظره و تصوير الحياة ، أسلوباً مرسلا غير متقيد ، تستسيغه الأذهان و لذلك اعتبره مؤرخو الأدب مجدداً للاسلوب العربى ، و محولا له من أسلوب الصنعة إلى الأسلوب المتوازن المتصل بالحياة ، لكن المنهج الذى سلكه ابن خلدون ظل منعزلا غير مؤثر على أساليب الكتابة حتى فى عصر النهضة العلمية فى عهد محمد على فى مصر ، و تبدى دراسة الرسائل والعقود ، والفرامين التى كانت تصدر من بلاط السلطان عبد الحميد ورسائل و كتابات الأدباء فى أوائل القرن العشرين أن الكتاب ظلوا متمسكين بأسلوب الزخرفة اللفظية و التعقيد ، فاذا كان هذا الأسلوب متبعاً لدى الولاة و الحكام و الوزراء ، فما بال الأدباء و المتفننين الذين يميلون إلى التنميق و التزيين اللفظى .

كان أول اتصال الادب العربى بالحياة ، و مسايرته لركبها ، و استرساله فى وصف نعيمها و شقاءها و ابرازه لتطلعات الانسان و تصوير عيشته و التعبير عن

أحلامه ، و وصف بؤسه و حرمانه ، و تمثيله دور المثير للهمم ، و التحميس و الدفع إلى العمل و الكفاح بأيدى الدعاة و المصلحين ، الذين خاطبوا الأمة الاسلامية مباشرة ، و حاولوا إيقاظها من السبات ، و أثاروا فيها الحمية الدينية ، و الغيرة ، و روح الاباء و الصمود و أن تشمر عن ساق الجد لمواجهة الأخطار المحدقة بها من كل جانب ، و انذروها بتداعى كيانها .

و لنقف هنا قليلا لنستعرض أساليب الكتابة فى العهد الذى كانت قد وضعت فيه اللبنات الأولى للكيان العلمى و بدأت العلوم تنقل إلى العربية ، و بدأ فيه الاختلاط بعلماء الغرب ، و شاعت اتجاهات تقليد الغرب لنعرف أى تأثير كان أقوى على الأدب ، أهو تأثير العلوم الغربية ؟ أم تأثير جهود الاصلاح و الدعوة التى قام بها المصلحون الاسلاميون .

يعتبر رفاعة بك الطهطاوى إمام النهضة العلمية فى مصر ، و عهده عهد تطعيم الفكر العربى ، بالفكر الغربى ونقلت فى عهده عدة آثار أدبية غربية إلى اللغة العربية . كتب أحمد عبيد ، وهو معاصر لرفاعة بك الطهطاوى فى كتابه « الروض الأزهر » كنت تحت إرشاد مدير مدرسة الألسن السيد رفاعه الطهطاوى فأجاد تربيتى كغيرى ، حتى حسن حالى و اجتهادى فى نيل المعالى ، بين أمثالى ، و اقتضى رأيه المؤيد وحزمه المعضد ، أن أترجم كتاباً فى التاريخ ، فاختار ملكا من ملوك الافرنج تعلو همته على المريخ ، وهو كتاب بطرس الأكبر وفضله أشهر من أن يذكر » (١) إلخ .

و كتب رفاعة بك الطهطاوى نفسه ، « الوطن هو عش الانسان الذى فيه درج و منه خرج ، و مجمع أسرته ومقطع سرته ، وهو البلد الذى نشأته تربته ، و غذاه هواؤه ، و رباه نسيمه ، و حلت عنه التمائم فيه (٢) .

(١) الادب الحديث ص ٢٩ ج١ . (٢) نفس المصدر .

و قد حاول السيد رفاعة تجديد الأدب و أسلوبه لكنه لم يتخلص جملة من تلك القيود القديمة و الزخارف اللفظية (١) .

و كتب الشيخ حسن عطار « إن أحسن وشى رقمه الأقلام ، و أبهى زهر تفتحت عنــــه الآكام ، عاطر سلام يفوح بعبير المحبة نفحه و يشرق فى سماء الطروس صبحه .

سلام كزهر الروض أو نفحة الصبا ، أو الراح تجلى فى يد الرشأ الألمى ، سلام عاطر الأردان ، تحمله الصبا سارية على الرند و البان » .

تدل هذه النماذج التى عرضناها على أن الأسلوب الأدبى لم يتغير رغم الحركة العلمية فى مصر ، و ظل الكتاب يقتدون بأسلوب الكتابة القديم ، و يتضح جلياً من الواقع أن عدداً من الكتاب ظلوا يقلدون الحريرى ، وألفوا كتباً فى معارضة المقامات ، ما يدل على كلفهم بذلك الأسلوب .

ألف الشيخ ناصيف بن عبد الله اليازجى (١٨٠٠ - ١٨٧١م) مقامات البحرين ، جاء فى إحدى مقاماته .

« قال سهيل بن عباد ، دخلت بلاد العرب فى التماس بعض الأدب ، فقصدت نادى الأوس و الخزرج ، لأتفرج و أتخرج ، وآخذ من ألسنتهم بعض المنهج ، فلما صرت فى بهرة النادى ، أخذ بمجامع فؤادى » .

و الذى يطالع مجمع البحرين يجدة مجموعة من الغرائب البديعة و الصناعات الشعرية و المعلومات اللغوية و النحوية و الأوضاع الطبية الفلكية و الأمثال العربية و الألغاز اللفظية ، كل ذلك فى جو من البداوة ، يشعر القارىء فيــــه أنه يعيش بين مضارب الأعراب ، أو فى عصور العربية الأولى بعيداً عن عصر الكاتب و بيئته (٢) .

---

(١) الأدب ص٣٨ ج ١

(٢) انيس مقديسى فى الفنون الأدبية .

وألف شهاب الدين الآلوسى (١٨٠٢-١٨٥٤م) صاحب تفسير «روح المعانى» مقامات طبعت فى كربلا . يقول : فيها و هو يصف القسطنطينية .

« بلدة مونقة الأرجاء ، رائقة الأنحاء ، ذات القصور ، تضيق عن تصورها سعة الأذهان و تتجاذب الحسن هى و قصور الجنان إلخ .

و يقول فى موضع و هو يحذر أولاده من الدجالين :

« يا بنى ! بعض الناس ذئاب ، عليهم من جلود الشاة ثياب إلخ » .

هذه نماذج العصر الذى كانت العلوم فيه شائعة ، و بدأ فيه الاختلاط ، أو الالتقاء بالفكر الغربى ، و لكن هذه النهضة كانت علمية صرفة ، بدون أى تأثير على الأسلوب الأدبى الذى كان أسلوباً مزخرفاً و مسجوعاً ، و قد بدأت آثار النهضة الأدبية فى عصر إسماعيل ١٨٦٣م الذى التفت إلى توسيع نطاق الأدب وتحريره من القيود ، وتقريبه من الحياة ، و كان من الذين سعوا لتحويل الأدب إلى الاتجاه الجديد و وصف واقع الحياة ، أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ - ١٨٨٧م) الذى وسع نطاق الأدب باعتبار الموضوع ، لكنه لم يتحرر هو الآخر كليا من تأثير الأسلوب المسجوع كما يدل عليه النموذج التالى :

كتب أحمد فارس فى وصف مصر :

« من خصائصها أيضاً أن البغاث بها يستنسر ، و الذباب يستصقر ، والناقة تستبعر ، و الجحش يستمهر ، و الهر يستنمر ، بشرط أن تكون هذه الحيوانات مجلوبة إليها من بلاد بعيدة إلخ » .

و كلام أحمد فارس رغم ما ينسب إليه المارونيون من تجديد و زعامة أدبية موفور الازدواج ، شديد الاطناب ، كثير الاستطراد ، ظاهر المبالغة ، على حد تعبير أحمد حسن الزيات .

و إذا قرأنا ما كتبه حمزة فتح الله (١٨٨٩ - ١٩١٨م) و عبـــد الله النديم (١٨٩٦م) و غيرهما من الكتاب و الخطبـاء و الزعماء الذين كان لهم تأثير على النفوس، علمنا أن أسلوب المتأخرين من الكتاب العرب كان يغلب عليهم، وكان ذلك هو الأسلوب السائد، فى عصر أقبل الناس فيه على النقل و الترجمة، وبدأت فيه الحياة السياسية و الأدبية، وهو أسلوب المتأخرين، أسلوب التكلف، وهو الأسلوب الذى لا يستطيع أن يساير الحياة المتغيرة، ويعالج المسائل المتجددة للحياة، لأنه أسلوب مثقل و متكلف، فلا يلائم إلا طبيعة المعقدين أو المتفرجين أو النائحين على الشقاء، أما الذين يخوضون الحياة، و يعزمون على تغيير الحياة، أو توجيهها إلى جهة جديدة، فيحتاجون إلى أسلوب سيال، مثير تمتزج فيه العاطفة والجدية، إلى أسلوب يحمل تأثير الشعر فى إثارة العواطف، و إيقاظ الضمائر، وعمل النثر العلمى فى تكوين الفكر، والتفهيم والاقناع، لأن تأثير الانفعال الذى يحدث بالشعر يكون قصير المدى وقصير الأمد مهما كان قوياً، أما الأسلوب العلمى الخالص فهو يجمد القرائح ويهدأ الأعصاب.

وصل السيد جمال الدين الافغانى إلى مصر، فى مارس ١٨٧١م و صادف طبقتين، طبقة مفتونة بالغرب تمهيد استيلاء الغرب و تعبيد الطريق له، وطبقة من الكتاب والعلماء الذين انقطعت صلتهم بالحياة، يعيشون فى عصر سابق، مثل الشيخ الناصيف اليازجى.

يصف المفتى محمد عبده الاتجاهات الأدبية فى مصر لدى وصول السيد جمال الدين فيقول: «كان أرباب العلم فى الديار المصرية القادرون على الاجادة فى المواضيع المختلفة منحصرين فى عدد قليل، وما كنا نعرف منهم إلا عبد الله باشا الفكرى، و خيرى باشا، و محمد باشا على ضعف فيه، و مصطفى باشا على تخصص فيه، و من عدا هؤلاء فاما ساجعون فى المراسلات الخاصة، و إما مصنفون فى بعض

الفنون العربية و الفقهية و ما شاكلها ، و من عشر سنوات ترى كتبـة فى القطر المصرى لا يشق غبارهم و لا يوطأ مضمارهم ، أغلبهم أحداث فى السن ، شيوخ فى الصنعة ، و ما منهم إلا أخذ عنه أو من تلاميذه ، أو تقلد المتصلين به »

كافح السيد جمال الدين أول ما كافح أسلوب الكتابة ، وجعل الأدب السلاح الأقوى للدعوة إلى الاصلاح ، و صد الهجوم على الملة الاسلامية ، و دعا دعوة صريحة إلى ترك ذلك الأسلوب العقيم الذى كان يسود فى عصره .

ويلاحظ هذا التحول فيما كتبه أديب إسحاق تلميذ السيد جمال الدين ، وهو يشرح خصائص الأسلوب الجديد نتيجة لتربيه السيد جمال الدين .

« رأيت أن أصرف العناية والاجتهاد إلى تهذيب العبارة ، وتقريب الاشارة ، لتقرير المعنى فى الأفهام ، من أقرب و أعـــذب وجوه الكلام ، و انتقاء اللفظ الرشيق والمعنى الرقيق ، متجنبا من الكلام ما كان غريباً وحشياً ، أو مبتذلا سوقياً ، فان التهافت على الغريب عجز ، و فساد التركيب بالخروج عن دائرة الانشاء داء إذا سرى فى القراء و المطالعين ، أدى إلى فساد » (١)

كان السيد جمال الدين يحمل تلاميذه وهم الذين التفوا حوله خلال إقامته بمصر ، و كانوا من أذكياء الطلاب و من خير الأزهريين على نبذ الأسلوب الأدبى القديم الذى كان عقيما ، و نفخ فيهم روح الانبعاث و الاندفاع و الانطلاق ، و معالجة المسائل بجد و واقعية ، و حملهم على إنشاء الفصول الأدبية والاجتماعية والسياسية ، و اختيار أسلوب يلائم العصر ، و يكون عاماً مفهوماً ، و كان تلاميذه هم طليعة النهضة الأدبية و مؤسسى بنيانها و هم الذين تقـــدموا للكتابة فى الصحف

(١) فى الأدب الحديث ص ۲۷۷ .

و المجلات ، و كان منهم خطباء و عاملون فى السياسة و الاجتماع ، استفاد كل منهم حسب ذوقه ، و طبيعته و كفاءته ، و اندفع فى ذلك الطريق .

حول السيد جمال الدين مجرى الأدب ونقله من حال إلى حال ، كان الأدب عبد الارستقراطية لا هم له إلا مدح الملوك و الأمراء ، والتغنى بأفعالهم وصفاتهم مهما بلغ من ظلمهم .

أتى السيد جمال ، فسخر الأدب فى خدمة الشعب يطالب بحقوقه ويدفع الظلم عنه ، و يهاجم من اعتدى عليه كائناً من كان ، يبين للناس سوء حالهم و مواضع بؤسهم ، و يبصرهم سبب فقرهم ، و يحرضهم أن يخرجوا من الظلمات إلى النور . و ألا يخشوا بأس الحاكم .

أدباء مصر أمثال السيد على أبى النصر ، و الشيخ على الليثى و عبد الله باشا فكرى تتصفح آثارهم فما ترى إلا غزلا فى حبيب ، أو رسالة إلى صديق ، أو مدحاً لأمير ، أو استعطافا له و اعتذارا له ، فلما جاء جمال الدين قلب هذا الوضع وفتح للناس منافذ للقول (١) » .

يقول المفتى محمد عبده :

« اتفق أرباب النظر فى هذا العصر على أن قدوم السيد جمال الدين الأفغانى إلى مصر ، كان مبدأ الحركة الفكرية التى بدأت فى البلاد العربية و سائر الشرق الأدنى ، ولم تزل تنمو إلى الآن رامية إلى تحقيق الشرق بالمعارف التى ساد بها الغرب ، ورفع سيطرة هذا عن ذاك ، وإعادة الشرق سيرته الأولى من الرقى .

و يقول عن تأثير السيد جمال الدين فى الأدب :

« كانت (للسيد جمال الدين) حلقة خاصة فى منزله انتظم فيها عدد من

(١) زعماء الاصلاح ص ٦٩

أدباء القطر يستفيضون بحر حكمتــه و يستمطرون صوب صوابه اشتهر منهم الشيخ محمد عبده ، و الشيخ عبد الكريم سلمان ، وإبراهيم آفندى اللقانى ، و السيد وفا القونى ، وسعد باشا زغلول ، الذى قيل لى إنه أدرك أخريات أيام السيد بمصر ، و لازمه ثلاثة من أدباء الشام النازلين بمصر مثل أديب إسحاق ، و سليم النقاش و سعيد البستانى وغيرهم ، و اندفع مريدوه وحملة علمه يكتبون و يخطبون ويبثون إلى الملأ ما التقطوه من فوائده و انتظموه من فرائده ، كان ذلك لساناً عالياً ، لا عهد للناس بأمثاله ، و أسلوباً راقياً انقطعت منذ قرون عديدة نسبة رجاله ، فأحدث فى الأمه حركة أفكار لم تكن من قبله و نفخ فيها روحا سرية ظهر عليها طالع عرفانه و فضله فنشطت همم ، واستجدت عزائم ، و هبت وقوى ، فاضت قرائح (١) .

يصف المفتى محمد عبده الانقلاب الذى أحدثه السيد جمال الدين فى العقول، و الحياة العامة : « جاء إلى هذه الديار فى سنة ١٢٨٦هـ رجل غريب بصير فى الدين ، عارف بأحوال الأمم ، واسع الاطلاع ، جم المعارف ، جريئ القلب ، وهو المعروف بالسيد جمال الدين الأفغانى ، اشتغل بالتدريس لبعض العلوم العقلية ، فاستيقظت مشاعر ، و انتبهت عقول ، وخف حجاب الغفلة » .

وترك السيد جمال الدين مصر ، وقد نشأ بها جيلا من الكتاب والأدباء ، و الصحفيين الذين كان لهم دور قيادى فى تنشئة الأجيال القادمــة من الكتاب والساسة ، ولم تنقطع صلته بمصر والعالم العربى بمغادرته مكرها ، بل أقام جسراً بينه و بين العالم الاسلامى عن طريق العروة الوثقى التى تعتبر نواة الصحافة الاسلامية والأدب الاسلامى ، وقد أخذت هذه الجريدة من نفوس الشرقيين عموما والمسلمين

(١) حاضر العالم الاسلامى ص ٢٩١

خصوصا ما لم يأخذه قبلها وعظ واعظ ، ولا تنبيه منبه ، و هى ذات أثر فى كل ما جد بعد من حركات الوطنية و الحرية فى بلاد الشرق (١) »

كان جوهر دعوة السيد جمال الدين مكافحة الخطر الأوروبى الذى كان يهدد العالم الاسلامى كله بعلومه و ثقافته ، واستعماره السياسى ، و كان يؤمن بأن ذلك الهدف لا يتحقق إلا بالوحدة و إبراز الشخصية الاسلامية ، فخلق روح الصمود فيها ، و كان يرى الجهالة رأس البلاء ، و الجمود العائق الأكبر فى التقدم .

و قد كانت دراسة السيد جمال الدين للحياة دراسة سياسة وقد قال و هو يستعرض الظروف السائدة فى بلاد المسلمين فى الشرق : « خصصت جهاز دماغى لتشخيص دائه و تحرى دوائه ، فوجدت أقتل داء انقسام أهله ، وتشتت آرائهم ، و اختلافهم على الاتحاد ، و اتحادهم على الاختلاف ، فعمدت على توحيد كلمتهم ، و تنبيههم للخطر الغربى المحدق لهم »

ألهب السيد جمال الضمائر ، بدروسه ومقالاته ، و ترك أثره فى كل مكان زاره ، و عقلية كل شخص اتصل به ، و أيقظت العروة الوثقى الشعور ، فأخافت القوى الاستعمارية أكثر مما تخيفها المدافع و الرشاشات .

كان السيد جمال الدين يرى أن صلاح الحكم و صلاح الرعيـــة متلازمان ، و الحكومة الصالحة عـــديمة الجدوى إذا كان الشعب غير صالح ، و لا تستقيم الحكومة و تنضبط إلا برأى مستنير قوى .

و دعا السيد جمال إلى حكومة إسلامية تقوم على أساس تعاليم الاسلام ، و حينما رأى تعذر ذلك ، دعا إلى تحالف بين الحكومات على أساس القرآن ، و العدل ، و الشورى ، يكون سلطانهم جميعهم القرآن ، و وجهة وحدتهم الدين ،

---

(١) مصطفى عبد الرزاق « العروة الوثقى »

و كل ذى ملك على ملكه يسعى بجهـده لحفظ الآخرين ، فان حيـاته بحياتهم و عزه بعزهم » .

انتشرت فى عهد السيد جمال الدين الحركة العلمية ، وشاع فى البلاد الاسلامية بايعاز العلماء فى الغرب ، أن التخلف فى البلاد الاسلامية يرجع إلى الجهالة ، واتباع الدين ، فتهافت الناس على فتح المدارس ، و علموا أن ذلك يحمل مفتاح التقدم ، فكتب يقول :

« يظن قوم أن الأمة المنبثقة فى أقطار واسعة من الأرض مع تفرق أهوائها و إخلادها إلى مادون رتبتها بدرجات لا تحصر ، و رضاهـا بالدون من العيش و التماس الشرف بالانتماء لمن ليس من جنسها و لا من مشربهـا ، بل لمن كان خاضعاً لسيادتها ، راضخا لأحكامها ، مع هذا كله يتم شفاءها من هذه الأمراض القاتلة ، بانشاء المدارس العمومية ، دفعة واحدة ، فى كل بقعة من بقاعها و تكون على الطراز الجديد المعروف بأوربا حتى تعم المعارف جميع الأفراد فى زمن قريب »

ثم يبحث المسألة و أبعادها و أن المدارس لا يمكن أن تفتح إلا إذ كان حكم قوى قائم بهذا الأمر ثم إنه لا يأتى بالنتائج إلا بعد مدة طويلة من الزمن عند ما ينشأ جيل جديد يتسلم زمام الأمور ، وهو عملية بطيئة ثم إذا تحقق ذلك ، و انتظرت الأمة الاسلامية هذا الزمن المطلوب ليعم التعليم فنتائجـه غير مضمونه لأنه كما قال السيد جمال الدين :

« ماذا يكون فى أولئك الناشئين فى علوم لم تكن ينابيعها من صدورهم ، ولو صدقوا فى خدمة أوطانهم ، يكون منهم ما تعطيه حالهم يؤدون ما تعلموه كما سمعوه ، لا يراعون فيه النسبة بينه وبين مشارب الأمة وطباعها ، وما مرت عليهم من عاداتها ، فيستعملونه على غير وضعه ، ولبعدهم عن أصله ، ولهوهم بحاضره عن ماضيه ، وغفلتهم

عن آتيه يظنونه على ما بلغهم هو الكمال لكل نفس و الحياة لكل روح » .

ثم يقول : شيد العثمانيون والمصريون عددا من المدارس على النمط الجديد، وبعثوا بطوائف منهم إلى البلاد الغربية ليحملوا ما يحتاجون إليه من العلوم والمعارف و الصنائع و الآداب ، وكل ما يسمونه تمدنا ، و هو فى الحقيقة تمدن للبلاد التى نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانسانى ، هل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا لأنفسهم من ذلك .

ثم يتساءل السيد جمال الدين عن النتائج التى حصلت بعد إنشاء هذه المدارس ، ثم يقول : « نعم وجد بينهم أفراد يتفيهقون بألفاظ الحرية و الوطنية و الجنسية وما شاكلها ويصوغونها فى عبادات متقطعة بتراء لا تعرف غايتها و لا تعلم بدايتها ، و وسموا أنفسهم زعماء الحرية أو بسمة أخرى على حسب ما يختارون ، و وقفوا عند هذا الحد ، و منهم آخرون عمدوا إلى العمل بما يصل إليهم من العلم ، فقلبوا أوضاع المبانى و المساكن ، و بدلوا هيئات المآكل و الملابس و الفراش والآنية وسائر الماعون ، وتنافسوا فى تطبيقها على أجود ما يكون منها فى الممالك الأجنبية ، و عدوها من مفاخرهم و نسفوا بها ثروتهم إلى غير بلادهم .

و يهاجم المقلدين للغرب فقال :

« علمتنا التجارب و نطقت مواضى الحوادث بأن المقلدين من كل أمة المنتحلين أطوار غيرها يكونون فيها منافذ وكوى ، لتطرق الأعداء إليها ، و تكون مداركهم مهابط الوساوس و مخازن الدسائس ، بل يكونون بما أفعمت أفئدتهم من تعظيم الذين قلدوهم و احتقار من لم يكن على مثالهم شؤماً على أبناء أمتهم .

فما هو العلاج ؟

يقول السيد جمال الدين !

« علاجها الناجع إنما يكون برجوعها إلى قواعد دينها و الأخذ بأحكامه

على ما كان فى بدايته و إرشاد العامة بمواعظـه الوافية بتطهير القلوب ، و تهذيب الأخلاق ، و إيقاد نيران الغيرة ، و جمع الكلمة ، وبيع الأرواح لشرف الأمة ، و لأن جرثومة الدين متأصلة فى النفوس بالوراثة من أحقـاب طويلة ، و القلوب مطمئنة إليه و فى زواياها نورخفى فى محبته فلا يحتاج القائم باحياء الأمة إلا إلى نفخة واحدة يسرى نفثها فى جميع الأرواح ، لأقرب وقت »

ثم يقول : و من طلب إصلاح أمة شأنها ما ذكرنا بوسيلة سوى هذه فقد ركب بها شططا ، وجعل النهاية بداية و انعكست التربية و خالف فيها نظام الوجود فينعكس عليه القصد ، و لا يزيد الأمة إلا نحسا و لا يكسبها إلا تعسا (١) .

أصدر السيد جمال الدين العروه الوثقى فى ١٣/ مارس ١٨٨٤م - ١٤/ جمادى الأولى ١٣٠١هـ بمعاونة تلميذه الشيخ محمد عبـده ، و كانت من أهداف المجلة كما بينها فى العدد الأول : .

« ستأتى فى خدمة الشرقيين على ما فى الامكان من بيان الواجبات التى كان التفريط فيهـا موجباً للسقوط و الضعف ، و توضيح الطرق التى يجب سلوكها لتدارك ما فات و الاحتراس من غوائل ما هوآت » .

وتكشف الغطاء عن الشبهة التى شغلت أوهام المترفين ، ولبست عليهم مسالك الرشـد ، و تزيح الوساوس التى أخذت بعقول المنعمين حتى أورثتهم اليأس من مداواة علاتهم وشفاء أدوائهم .

و تنبه على أن التكافؤ فى القوى الذاتية و المكتسبة هو الحافظ للعلاقات والروابط السياسية فان فقد التكافؤ لم تكن الرابطة إلا وسيلة القوى لابتلاع الضعيف .

و تهتم بدفع ما يرمى به الشرقيون عمومـاً و المسلمون خصوصاً من التهم

---

(١) العروة الوثقى

الباطلة التى يوجهها إليهم من لا خبرة له بحالهم و لا وقوف على حقائق أمورهم ، و إبطال زعم الزاعمين أن المسلمين لا يتقدمون إلى المدنية ما داموا على أصولهم التى فاز بها آباؤهم الأولون »

لقد أثارت العروة الوثقى الضمير الشرقى . و حفزتهم إلى العمل ، و دافع السيد جمال الدين و تلميذه محمد عبده عن الاسلام و استحثا المسلمين على الجد و الكفاح ، و صدرت جرائد و مجلات إسلامية أخرى لمكافحة الغزو الفكرى و السياسى لأوربا ، و نفخ روح العمل و الجهاد فى المسلمين ، و قامت حركات و منظمات لتوحيد المسلمين ، و تربيتهم و تثقيفهم ، فكان دوراً حيوياً فى مكافحة الاستعمار السياسى و الثقافى ، و دفع الأباطيل التى كانت تروجها الأقلام المسعورة التى وجدت فى العالم الاسلامى بعودة أفواج المتعلمين من الغرب ، و كثرة ورود رجال التربية والثقافة من الغربيين ، وكافح هؤلاء القادة عناصر التدسيس والتشكيك فى الأدب و التاريخ ، و الثقافة الاسلامية .

إن أخوف ما كان يخافه المستعمرون هو قوة الشعور الدينى الاسلامى ، لأن الاسلام دين يدعو إلى العزة و الكرامة ، و يأبى على المسلم أن يخضع لسواه ، و أن يذل ، و فى يقظة الشعور الدينى استرجاع لماضى هذه الأمة المجيد ، و كان هذا الشعور مرتبطاً باللغة ، و التاريخ ، و الثقافة ، و قد جرب المستعمرون أن الحروب التى شنوها على المسلمين لم تكسر شوكتهم ، فحاولوا تجربة جديدة وهى إضعاف الشعور الدينى و الارتباط بالماضى ، و استهواء الشعب المسلم بالمغريات المادية ، و الخلقية ، و فى الوقت نفسه تلقينهم بأن ضعفهم و انحطاطهم يرجع إلى ارتباطهم باللغة ، و الدين ، و الثقافة الشرقية ، فوجهوا سائر طاقاتهم إلى الطعن فى اللغة

العربيـــة الفصحى ، و الثقافة العربية الاسلاميـة ، و تشويه سمعة رجال الدين ، و الحط من شأنهم .

و قد تفرس السيد جمال الدين ، و أتباعه لهذا الخطر ، فركزوا على صيانة التراث الاسلامى والشخصية الاسلامية . وتنقيتها من الشوائب ، وقد وقع بعض اتباعه فى الافراط و التفريط فى ذلك ، لـكنهم فى تلك الظروف القاسية التى كان الدين و رجال الدين فيهـا مطعونين من كل جانب ، حاولوا أن يصونوا ما أمـكنهم من الدين و الثقافة الاسلامية ، فكان موقفهم فى تلك الظروف موقف من يحمى داره من الحريق ، فحاول المصلحون من أتباع السيـــد جمال الاحتفاظ بالشعور الدينى ، وقد مثلت مجلة المنار دورا رائداً فيه ، يقول الامام الشهيد حسن البنا وهو يشيد بدور المنار :

« توفى السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامية بعد أن دخلت فى عامها الخامس و الثلاثين ، و صدر من هذا المجلد عددان هما الأول و الثانى ، و توقفت عن الصدور بعد أن ظلت طوال هذه المدة مدرسة أنجبت الـكثير من رجال النهضة الاسلامية الحديثة » .

أنشئت بعد الحرب العالمية الأولى جمعيات دينية كثيرة ، كافحت الانحلال الخلقى وغزو الحضارة الغربية ، كان منها الشبان المسلمون ، وحركة الخلافة فى الهند ، وظهرت فى هذا العهد عدة جرائد ومجلات إسلامية ، وتصدت الصحافة الاسلامية بمواجهة الاستعمار السياسى و الغزو الثقافى ، و قد كان السيد محى الدين الخطيب فى البلاد العربية رائد هذه النهضة العلمية و الأدبية التى هاجمت على الغزو الفكرى ، كما كان الأخوان ، محمد على جوهر ، وشوكت على ، رائدى النهضة الأدبية ، والصحافة الاسلامية فى شبه القارة الهندية .

كافحت الصحافة الاسلامية بمكانتها الأدبية المعترف بها ، الغزو الفكرى بكل حدة ، و صلابة و صمود ، فاذا كانت المنار و الفتح ، و المؤيد ، و الرسالة ، و الثقافة ، و الأزهر و منبر الاسلام ، تقوم بنضال مقدس فى العالم العربى ، كانت الهند تسير جنبا بجنب معها بالصحف و المجلات التى كان يصدرها مولانا محمد على ، و أتباعه ، و مولانا أبو الكلام آزاد و العلامة شبلى النعمانى . و الأستاذ عبد الماجد دريابادى .

كافح هؤلاء الأدباء الاستعمار ، و أيقظوا المسلمين من سباتهم ، و وحدوا صفوفهم ، ونفخوا فيهم روح العمل و ألبوهم على أعدائهم ، و أثاروا فيهم العاطفة الدينية ، و دافعوا عن الاسلام و نفوا عنه الأباطيل و السموم التى كان ينفثها المستشرقون و أتباعهم .

و نظرة على ما ألفه الاسلاميون فى نقد طه حسين وحده تدل على عمق وسعة دور الاسلاميين فى الدفاع عن الاسلام و مصادره .

إن أدباء العرب هم فى الواقع الأدباء الذين احترموا اللغة العربية ، و قدروا التراث العربى ، و قدسوا الثقافة العربية ، و تمجدوا بعهد العرب الزاخر الذى انتقل فيه العرب من الجزيرة ، و خرجوا من حياة العزلة ، و الشقاق ، و التحجر إلى قيادة العالم ، و التف العالم حولهم ، و انتشرت بفضل ذلك العهد الثقافة العربية ، و اللغة العربية و آدابها إلى سائر أنحاء العالم . و صار العرب فيه قدوة و أسوة ، والذين نظروا إلى هذا العهد باحتقار ، وشكوا فى أدب العرب ، و شعرهم ، و تاريخهم ، و ثقافتهم و بهتوا بثقافة الروم و اليونانيين و حاولوا أن يربطوا العرب بذيلهم ، و يرجعوا كل فضل من تاريخ آداب العرب وحضارتهم إلى اليونانيين و الروم ، و شوهوا التاريخ المجيد ، إن هؤلاء الكتاب و الأدباء

و المؤرخين وإن كانوا ينتمون قوميا إلى العرب، لايستحقون أن يعتبروا الكتاب العرب والأدباء العرب الأقحاح ، و إنما هم متغربون .

لقد كان من الظلم السافر أن عد من أدباء العرب من طالب بتغيير الخط العربي ، وإحلال العامية محل الفصحى ، وبذر الشكوك فى التراث الأدبى للعرب ، و أنكر أصالة الآداب و العلوم العربية ، و شك فى بطولة قادة العرب ، وتاريخهم المجيد ، إنما الأدباء العرب الأقحاح هم الذين دافعوا عن التراث العربى الأدبى والثقافى ، و الفكرى ، و التاريخ العربى ، و دعوا إلى إحياء عناصر المجد العربى التى منحت العرب قيادة العالم .

وإذا استعرضنا تاريخ الأدب المعاصر لمعت أسماء أولئك الكتاب الذين كافحوا أقلام الغزاة من الغرب ، و تلاميذهم من المنتسبين إلى العرب، و هم خجلون بهذا الانتساب، لمعت تلك الأسماء للكتاب الذين ردوا العدوان على العرب وحضارتهم، و آدابهم ، و كان فى مقدمتهم الأمير شكيب أرسلان ، و مصطفى صادق الرافعى ، و المنفلوطى ، والامام حسن البنا ، و أتباعهم من الكتاب من الاخوان ، و أقلام من الهند تلك البلاد النائية التى دافعت عن الصحوة الاسلامية و دعت إلى الجامعة الاسلامية و صدت الغزو الفكرى .

اختبــار النصوص الأدبيــة
من وجهة النظر الاسلامية

محمد سلطان الذوق الجاتكامى (بنغلاديش)

أحمد الله حمد الشاكرين لنعمه ، و أصلى و أسلم على سيدنا محمد منبع حكمه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اهتدى بهديه وهديهم إلى يوم الدين .

أيها السادة الأفاضل ، السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

يسعدنى اليوم أن أوجه أخلص شكرى إلى أسرة ندوة العلماء بالهند الموقرة ، على عقدهم هذه الندوة الأدبية العظيمة ، و على إتاحة الفرصة لى أن أساهم فيها ، و قبل أن أخوض فى صميم الموضوع أتحدث عن خلفية الأدب العربى و واقعه باختصار ، روما للوصول إلى الهدف الذى يرمى إليه هذا المقال و ضناً بأوقاتكم الثمينــة .

★ نشأة الأدب الأولى إن اللغة العربية و آدابها تمتاز عن سائر اللغـات بأنها تمثل روحاً دينياً و تعليماً روحياً إلى جانب اشتمالها على جميع المزايا الأدبية و المعانى البليغة ، و لكنها عند مانشأت فى مرحلتها الأولى نشأت كالأدب الجاهلى ، لأن تاريخها يرجع إلى مايقرب قرناً و نصف قرن قبل الاسلام ، وهذا الباب من التاريخ هو الذى نسميه بالعصر الجاهلى ، وهو عصر التوتر الخلقى و عصر الشرك و الاشتباكات و العصبية القبلية و النهب و الغارات وانتهاك الاعراض وما إلى ذلك من الأعمال السلبية من وجهة

نظر الاسلام ، و مع ذلك كانت للعرب بعض الخصائص الحميدة من مراعاة الذمة و الضيافة و الحماسة و صفاء اللغة و صدق التعبير ، مع ما كان للشعراء فى ذلك العصر منزلة فى المجتمع رفيعة ، لأنهم كانوا حماة الأعراض و حفظة الآثار و نقلة الأخبار ، فلكل هذه الأسباب و لأسباب أخرى للأدب الجاهلى خاصة الشعر منه أهمية كبرى لدراسة أوضاعهم الاجتماعية و معتقداتهم الدينية ، و إلى ذلك أشار سيدنا عمر بن الخطاب فى قوله : عليكم بالشعر الجاهلى فان الشعر ديوان العرب .

★ علوم العرب قبل الاسلام و بعده : « كانت العرب يعقدون المجالس لمناشدة الأشعار و مبادلة الأخبار و المسامرة ، أو البحث فى بعض الشئون العامة ، وكانوا يسمون تلك المجالس الأندية ، و منها نادى قريش و دار الندوة و كانت بجوار الكعبة ، على أنهم كانوا حينما اجتمعوا على فراغ من العمل عمدوا إلى المناشدة و المفاخرة و المسامرة ، و خصوصاً فى المواسم المعبرة عنها بالأسواق ، و كانت للعرب فى الجاهلية أسواق يقيمونها فى أشهر السنة و ينتقلون من إحداها إلى الأخرى .

و كان للأنساب فى عصور الجاهلية عند الأمم القديمة شأن كبير ـ و كان لهم عناية عظمى فى حفظ أنسابهم للتناصر على الاعداء أو التفاخر بالآباء ـ وبالجملة ما سميناه علوم العرب قبل الاسلام يبلغ إلى بضعة عشر علماً ، فلما جاء الاسلام أهمل بعضها كالكهانة و العيافة و القيافة ، و بقى بعضها عند أهله و نشأ ما يقوم مقامه فى عصر الحضارة ، كالنجوم و الأنواء و مهاب الرياح و الطب و الخيل ، و ارتقى الباقى و اتسع عما كان فى الجاهلية ، كالشعر و الخطابة و البلاغة ، و كان الاسلام مساعداً على ارتقائها بالقرآن الكريم (١) .

(١) تاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان ج ٢ ـ بتلخيص .

★ تأثير الاسلام و كتابه المقدس فى تنمية الأدب:

جاء الاسلام بمحاسنه و آدابه و ألغى مراسيم الجاهلية و خرافاتها ، قرع القرآن والحديث أسماع العرب لأول مرة ، فأخذا بمجامع قلوبهم ، واستقرا فى المقر الرئيسى من أذهانهم ، و غيرا من عاداتهم و أخلاقهم و سائر أحوالهم ، فظهر أثر ذلك فى علومهم و آدابهم ، وبعد أن كان هم عرب الجاهلية إذا اجتمعوا فى ناد أو سوق ، إنشاد الشعر و التفاخر و التفاضل أصبح همهم القرآن و حفظه و تلاوته صباح مساء (١) .

فكسا الاسلام آداب الجاهلية خاصة الشعر والخطابة منها رونقاً عجيباً وغرس فيها روحاً جديداً و زادها بلاغة و حكمة ، بما كان يتوخاها الخطباء من تقليد أسلوب القرآن الكريم و اقتباس الآى القرآنية ، و قد كان للقرآن الكريم نحو هذا التأثير فى تغيير طابع الشعر أيضاً، يقول طه حسين فى كتابه « من حديث الشعر و النثر » :

« و لم يكد القرآن الكريم يستقر فى الأمصار خارج الجزيرة حتى بدأت الشعوب تتأثر به تأثراً سريعاً ، و لم يكد ينتهى القرن الأول و يبتدىء القرن الثانى حتى نلاحظ فى هذه البلاد التى فتحها المسلمون فى الشام و مصر و العراق و أفريقيا الشمالية و أسبانيا أن هذه الشعوب قد أخذت تتطور تطوراً سريعاً كلما يسرع إليها الاسلام » .

و يقول جرجى زيدان : « إن القرآن الكريم هو النموذج الحى فى اللغة العربية ، هو واضع النثر الفنى و منبع المعانى والأساليب والمعارف ، نزل بأسلوب بديع لا عهد للآذان و لا للأذهان بمثله ، فشغل المسلمون بالقرآن و فرغوا له ،

(١) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ج ١ .

فسرى هديه فيهم مسرى الروح ، ونزل وحيه منهم منزلة الطبع ، وأثر فى ألسنتهم و أفئدتهم و أنظمتهم ما لم يؤثر كتاب سماوى آخر فى أهله » (١) .

★ تأثير الكلام النبوى فى الأدب العربى : و كانت أحاديث الرسول ﷺ بعد القرآن الكريم تمتاز باشراق ديباجتها و اتساق عبارتها وتساوق ألفاظها و فقرها ، فغيرت بقوة بلاغتها و صدق لهجتها مجرى الأدب العربى ، فانها و إن لم تكن وحياً فكانت من سبيله ، بل هو وحى سرى ، فكان كل منطوق الرسول ﷺ يعلوه رواء الطبع و جلال النبوة و رونق الفصاحة ، ويتجلى بروائع البلاغة النبوية التى أدهشت كل ناطق بالضاد ، فانه ﷺ نشأ و تقلب فى أفصح القبائل و أخلصها منطقاً و أعذبها و أحلاها بياناً ، فكان « مولده فى بنى هاشم و أخواله فى بنى زهرة ، ورضاعته فى سعد بن بكر ، ومنشؤه فى قريش ، ومتزوجه فى بنى سعد ، ومهاجرته إلى بنى عمرو ، وهم الأوس و الخزرج من الأنصار ، لم يخرج عن هؤلاء فى النشأة واللغة ، ولقد كان فى قريش و بنى سعد وحدهم ما يقوم بالعرب جملة ، و لذا قال ﷺ « وأنا أفصح العرب بيد أنى من قريش » (٢) .

★ المثل الأعلى للأدب الاسلامى : مما لا يشك فيه أى تلميذ من تلاميذ مكتبة الفكر الاسلامية ، أن فترة صدر الاسلام تعد أفضل فترات التاريخ الاسلامى من كل جانب ، و لها فى نفوس الأمة المسلمة مكانة مرموقة ، لأنها فترة الرسالة ، فترة الاتصال الالهى بسلاسل الوحى ، فترة الرسول ﷺ و صحابته و أئمة دينه ، و ما كان لعصر من

---

(١) تاريخ اللغة العربية ج ١ .

(٢) تاريخ آداب العرب للرافعى ج ٢ .

عصور الدنيا أن يحظى بقدسية وإجلال مثل ما حظى به عهد الرسول ﷺ وصحابته و من تبعهم باحسان. و لذلك نالت هذه الفترة العناية و الرعاية و الدراسة ما لم تنله فترة أخرى فى التاريخ العربى وغير العربى منذ فجر الاسلام ، ولكننى أصدق إن قلت : بقيت هناك ناحية دون عناية تليق بها، وهى الناحية الأدبية ، فقد غفل عنها أو تغافل و تكاسل كثير من الدارسين و الباحثين فى العصور المتأخرة ، ولو درسنا وفحصنا عنها حق الفحص لوجدنا فيها الأسوة الحسنى والمنهج الأقوى لاختيار النصوص الأدبية فى كل زمان و مكان .

★ موقف الرسول ﷺ من الشعر و الأدب:

قد جاء فى الحديث النبوى « إن من البيان سحراً و إن من الشعر حكماً (١) وذكر عند الرسول ﷺ الشعر فقال : هو كلام فحسنه حسن و قبيحه قبيح (٢)، و سمع النبى ﷺ الشعر من أكثر من شاعر و استجاده و استزاد منه ، و كان من أصحابه شعراء معروفون مثل حسان ابن ثابت و كعب بن مالك و عبد الله بن رواحة من الأنصار و كعب بن زهير صاحب البردة وغيرهم .

و أذن لحسان أن يذود بلسانه وشعره و يرد عنه هجو شعراء قريش، وقال له : اهجهم و روح القدس معك. و حتى الشعر الجاهلى كان النبى ﷺ يعجبه منه ما كرم و سما و تمثل بالخلق الفاضل و تمدح بمكارم الأخلاق ، كان يحب شعر عنترة ، و عنترة هو الذى يقول :

---

(١) أحمد و أبو داؤد عن ابن عباس باسناد صحيح .

(٢) رواه الدار قطنى .

و أغض طرفی حین تبدو جارتی ـ حتى یواری جارتی مأواها ـ .

و هذا من أخلاق الاسلام یوافق قول الله تعالى : « قل للمؤمنین یغضوا من أبصارهم » و یسمع قول لبید :

ألا كل شیء ما خلا الله باطل و كل نعیم لا محالة زائل

فیقول : و أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبید .

وأما ما كان من الضرب الآخر أی الشعر الذی نزه الله عنه رسوله وكتابه بقوله « وما علمناه الشعر وما ینبغی له » و بقوله « وما هو بقول شاعر قلیلا ما تؤمنون » فقد قال فیه ﷺ : لأن یمتلئ جوف أحدكم قیحاً یریه خیر له من أن یمتلئ شعراً (١) .

★ مقیاس النقد و الدراسة : هذا الذی یوجد فی الأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ هو محك المنتقد ، لدراسة النصوص الأدبیة المسیطرة على مناهجنا الدراسیة ، فان الأدب بشعره وأمثاله و حكمه و وصایاه و خطبه آلة یصوغ الناشئة على الأخلاق الفاضلة و سلاح للـــداعیة .

و الدارسون فی المدارس و الجامعات من فلذات أكباد الأمة قلوبهم أراض طیبة لالقاء بذور الایمان والعلم والثقافة فیها ، ولا شك أنهم رجال الغد ، ویستطیع الأدیب الموفق أن یقتبس كثیراً من النصوص الأدبیة وبخاصة الشعر الرفیع البلیغ ، فینقلها من موضعها الأصلی الذی سیقت فیه إلى موضع یلیق ، و كثیراً ما استعار أهل المحبة و المعرفة لله كلام العشاق المجازیین فاستعملوها فی أغراضهم الربانیة ، ولم

---

(١) رواه مسلم .

يلتفتوا إلى أنها قيلت فى ليلى أو بثينة أو عزة ، بل ربما بقيت هذه الأسماء فلم يبالوا بها ، إلا أن الاكثار من هذا النوع من النظم والنثر و بناء أساس المنهج التعليمى على ذلك ، لا سيما ما كان منه لافت ميول النشء الجديد إلى التلوث الذهنى وصدأ القلب ، فسوف لا يجدى كثيراً ، فلا ينبغى أن يتضلع منه .

و إذا كنا نريد أن نضع الشئ فى محله و ندرس الأدب الاسلامى الذى هو تراث الأمة و سجل حضارتها و نشيد أمجادها فلا بد من الرجوع إلى المنهل العذب الأصيل للأدب العربى و هو أدب القرن الاسلامى الأول ، نعم بوسعنا أن نقدم من الأدب القديم والجديد مؤلفات ومختارات تنهض بالمثل العليا و النماذج الرائعة ، و تصل الأدب فى كل عصر بمصدره الأصيل .

إن أدب كل أمة نراه فى كل عصر من عصور التاريخ ساور أوضاع المجتمع و تأثر من العوامل الدينية والسياسية ، فان تيقظت فى أمة حركة روحية وصلحت أحوالها الاجتماعية تسعدت آدابها و إلا شقيت الآداب و تعكرت مواردها .

« يتبع »

أيام فى ربوع الهند التاريخية !

سعيد الأعظمى

كان من حسن حظى أن أقوم بجولة فى بعض الربوع التاريخية ذات الآثار الاسلامية والذكريات الخالدة فى الهند، وفى مقدمتها مدينة «أورنغ آباد» فى جنوب الهند، وما والاها من المناطق التاريخية، وكنت قد تلقيت دعوة أنا والأستاذ واضح رشيد الندوى لزيارة هذه المدينة من الأخ الفاضل الأستاذ رياض الدين الندوى مدير جامعة كاشف العلوم منذ مدة، لكن الظروف لم تسمح لنا باستجابة الدعوة فى وقتها، ولما تكررت الدعوة وافق على السفر سماحة مربينا الجليل مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى رئيس ندوة العلماء، و فضيلة الشيخ محمد معين الندوى نائب رئيس ندوة العلماء، وفضيلة الأستاذ محمد الرابع الندوى، رئيس كلية اللغة العربية.

توجهت أنا و معى الزميل الكريم الشيخ إنعام الله فى صباح ١٤ / ربيع الأول ١٤٠٢هـ الموافق ١١ / يناير ١٩٨٢م إلى أورنغ آباد، و استغرقت الرحلة من لكهنؤ إلى محطة «من ماد» ٢٤ ساعة، و استقبلنا فى هذه المحطة الأستاذ رياض الدين الندوى مدير الجامعة والأستاذ نور عالم الندوى أستاذ الجامعة، وقابلانا بترحاب وسرور، وتابعنا الرحلة معهما إلى أورنغ آباد بالسيارة الخاصة إذ أن المسافة من هنا بعيدة لا يقل عن ١٤٠ كيلو متراً، ووصلنا بعد ثلاث ساعات إلى أورنغ آباد ونزلنا فى مضيف الجامعة حيث قابلنا فضيلة الشيخ مجيب الدين القاسمى رئيس هيئة التدريس فى الجامعة وفضيلة الشيخ عبد الستار إمام الجامع الكبير وأساتذة الجامعة وطلابها بحفاوة، وبعد ماصلينا صلاة الظهر تناولنا الغداء مع الجماعة، وأخذنا قسطاً من الراحة.

و فوجئنا بعد صلاة العصر بحفلة ترحيب عقدت على ساحة الجامعة تضم عدداً وجيهاً من أعضاء الجامعة و وجهاء البلد والأساتذة والطلاب، و ألقيت فيها كلمات تعبر عن مدى سرور المناسبة، وفى الأخير ألقيت أنا كلمة صغيرة كرد على كلمة

التحية و التعريف و حانت صلاة المغرب ، و انفض المجلس على خير ، و اجتمع بعض الاخوة الكرام من أعضاء الجامعة وأصدقاء البلد فی الفترة بين المغرب والعشاء فی مكتب المدير حيث تبادلنا بعض الآراء حول موضوعات مختلفة ، و اتجهنا بعد صلاة العشاء إلى منزل الأخ الفاضل الأستاذ رياض الدين الندوی للحضور فی مأدبة العشاء ، التی كانت تتسم بكلفة تنم عن اهتمامه الكبير بتكريم و حفاوة الضيوف ، فقد ضمت المائدة عدداً وجيهاً من صفوة المدعوين .

و فی اليوم التالی اتجهنا مع الاخوة الكرام الأستاذ رياض الدين الندوی و الأستاذ نور عالم الندوی و الأخ صغير أحمد الندوی إلى مركز تاريخی مهم ، اسمه «أجنتا» (AJANTA) ويقع على مسافة تبعد نحو ١٠٠ كيلو متر من أورنغ آباد . و هنا رأينا عجباً ، فقد صادفنا جبال أجنتا ذات آثار تاريخية خالدة ، فيها كهوف واسعة على غرار القاعات الكبيرة و هی ذات طابقين ، و كلها منحوتة فی الصخور ، ولكنها تبدو كأجمل ما يبنى اليوم من عمارات ومبانی ، فيها من النقوش و الصور و الزخارف ما يفوق فی جماله و دقته و براعته الفنية أجمل النقوش و الزخارف التی تشيد اليوم بالبلاط و المواد الكيمياوية من الألوان و الأصباغ التی لا تنتجها إلا مصانع الدول الراقية الكبرى ، ويقولون إن تاريخ هذه الكهوف و الغيران يرجع إلى القرن السادس الميلادی .

و قد تجولنا فی داخل الكهوف ورقينا الدور الثانی ، وقضينا العجب من هذا الفن المعماری و العقل الهندسی ، الذی بلغ إلى هذه الذروة فی الابداع ، و يبدو أن هذا العمل الشاق يكون قد استغرق مدة طويلة ، و قد صادفنا بعض الكهوف لم يكتمل ، و بقی فی المرحلة الأولى من النحت ، كأنه ينتظر من يأتی و يشتغل باكماله و هو منه على ميعاد .

فكرنا أن هذه الكهوف يكون عهدها بالتكبير و التهليل بعيداً جداً فاتفق رأينا جميعاً على أداء صلاة الظهر فی أحد الكهوف ، و ما لبث أن رفع الشيخ إنعام الله صوته بالأذان الذی استلفت أنظار السياح و كبرنا و هللنا ، ثم أقمنا صلاة الظهر

فی داخل کهف من هذه الکهوف ، و أمرنی الاخوان بالامامة فأممتهم ، و صلینا الظهر جماعة ، فسر کل واحد منا علی هذا التوفیق ، ورجعنا ولم نستوف مشاهدة الآثار و المشاهد کلها ، فقد یبلغ عدد هذه الکهوف ٣٢ کهفاً کما یقولون ، و کلها نموذج فی الصناعة والفن والهندسة ، وتشهد بعبقریة الانسان فی ذلك الزمان البعید ، وفیها ما یشیر إلی طریق الدیانة البوذیة فی العبادة و الوعظ و التفکیر ، فی الجدران الخلفیة من کل کهف صورة کبیرة لبوذا تمثله فی حالة العبادة و المراقبة الفکریة .

رجعنا إلی أورنغ آباد قبیل صلاة العصر ، و کان موعدنا بعد صلاة العصر مع الطلاب الفلسطینیین الذین یدرسون فی کلیة آزاد العالیـــــــة العصریة و هی تنتمی إلی مولانا أبی الکلام آزاد ، و لما وصلنا إلی الکلیة اجتمع الطلاب فی قاعة و عقدوا حفلا ترحیباً بمناسبة زیارتنا لهم ، و قد ألقیت کلمة حماسیة باللغة العربیة قوبلت بالاحتفاء و القبول ، و ترکت تأثیراً عمیقاً فی نفوس إخواننا العرب الذین یتمیزون عن جمیع الشعوب فی الاعتراف بالواقع و تحمل المسئولیة فیما إذا خانهم الحق فی شأن من شئون الحیاة ، و بعد نهایة الکلمة وجهوا إلی أسئلة عن بعض القضایا الحاضرة و رددت علیها ، و إن کان بعض الاخوة ذوی اتجاه اشتراکی و لکن ذلك رد فعل عنیف لما قد لاقاه الشعب الفلسطینی من اضطهاد و طرد و تشرید علی ید العدو الیهودی منذ مدة قصیرة ، و لما یبدیه الاتحاد السوفیاتی من عطف کبیر علی الشعب الفلسطینی ویویده حقه المشروع مع معارضته الکاملة للولایات المتحدة فی ظاهر الأمر .

و بعد ما صلینا المغرب فی مسجد الکلیة رجعنا إلی مدرسة أنوار العلوم التی کنا متواعدین زیارتها ، وبعد صلاة العشاء حضرنا دعوة عشاء لدی أحد وجهاء البلد ، و هو ذو صلة قویة مع العمل الاسلامی ومع المسئولین عن جامعة کاشف العلوم ، و فی اللیل عقدت حفلة عامة فی الجامع الکبیر و هو من جملة آثار أورنغ زیب الاسلامیة و یحیط به من الجوانب الثلاثة حجرات تتوسطها ساحة واسعة ، و فی هذه الغرف فصول دراسیة و سکن للطلاب ، و ستنتقل هذه الفصول و المساکن

إلى أرض واسعة أخرى فى ضاحية المدينة اشتراها أصحاب الجامعة لتشييد بناء الجامعة مع جميع مرافقها و سيكون للجامعة شأن و يتسع نطاق عملها باذن الله تعالى ، إذا وفق المسئولون إلى تهيئة الوسائل لهذا العمل الكبير ، ونرجو أن ينالوا مساعدات من أصحاب الخير و من الجهات المعنية فى الدول الاسلامية التى تساعد المدارس و المراكز الاسلامية و الجامعات و المؤسسات الدينية .

انتهت الحفلة الليلية فى وقت متأخر من الليل ، و قد ألقى الشيخ إنعام الله كلمة فياضة استمرت أكثر من ساعة ونصف ساعة ، أعجب بها المستمعون ، وطلبوا منى كلمة و لكن الوقت لم يكن ملائماً لكلمة طويلة فاكتفيت بكلام قصير جداً . و أعلنوا نهاية الحفل .

فى اليوم الثالث عقد النادى العربى فى الجامعة حفلة تحية وترحيب بنا ، وطلبت من الشيخ إنعام الله أن يبدأ الحفل بكلمة وجيزة باللغة الأردية ، ثم ابتدأ دور النادى العربى ، وألقيت كلمات ومحاضرات للطلاب ، وكلمة تحية تكريماً لنا ، ولقد ضم الحفل عدداً وجيهاً من أعيان البلد و أعضاء الجامعة و أساتذتها و عدداً لا بأس به من إخواننا الفلسطينيين ، و فى الأخير ألقيت كلمة طويلة بوحى من الزمان و المكان ، تناولت جوانب شتى من القضايا المعاصرة ، و قلت فى الأخير :

إنه لا ينبغى أن ننخدع من أعدائنا الدهاة الذين يضمرون لنا الحقد والبغض و يتمثلون فى زى الأصدقاء ، و يتظاهرون بالولاء و الوداد ، و العلاقات الودية الخالصة ، ولا يفعلون ذلك إلا حرصاً على ثرواتنا المادية وطمعاً فى خيرات بلادنا و معادنها ، و ما أن تسنح لهم الفرصة إلا و يتواثبون علينا كأضرى الأعداء ، و يتقاسمون خيراتنا و ثرواتنا بدفعنا إلى الهاوية و جر المهالك و المتاعب علينا ، و إننا إذا ركزنا بعض العناية على تنمية الجانب المعنوى و التضامن و تربية أبنائنا و شعوبنا على المكارم و الفضائل هان علينا الخطر ، و ذهب عنا الخوف ، وزال عنا الشعور بضعفنا وبقوة عدونا ، والله سبحانه وتعالى يقول : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا و لا تحزنوا و أبشروا بالجنة

التى كنتم توعدون، وانتهيت من كلمتى الطويلة التى لم تكن إلا بتوفيق من الله تعالى وحده ، و وقف الأستاذ نور عالم فعلق عليها ، و أبدى انطباعاته السارة و شكر للحاضر ، لجزاه الله خيراً .

وفور نهاية الحفل توجهنا إلى مدرسة البنات التى هى أحد فروع الجامعة بعد ما تجولنا فى الجامعة فصولا وإدارات ، وزرنا المدرسة وسمعنا من الأخوات الطالبات كلمات ألقينها بمناسبة حضورنا ، ورد عليهن الشيخ إنعام الله بكلمة جيدة خاطب فيها النساء المسلمات ، وانتهى المجلس بكلمة قصيرة ألقيتها على طلب من المسئولين الكرام ، وزرنا بعد ذلك آثاراً تاريخية فى البلد ومنها بناية مقبرة زوجة الملك أورنغ زيب ، و هى بناية تشبه فى كثير من طرازها المعمارى مبنى التاج محل فى آغره .

و بعد ما تناولنا الغداء فى منزل أحد وجهاء البلد من المهندسين ممن لهم صلة مخلصة مع المسئولين عن جامعة كاشف العلوم توجهنا إلى مدينة خلد آباد التى كان الملك أورنغ زيب عمرها و اختارها لقضاء أيامه الأخيرة و كرقد له بعد الوفاة ، و قد زرنا المكان الذى فيه قبره و ليس كمقابر الملوك ، إنما هو قبر فى غاية من التواضع ، و قضينا وقتاً لا بأس به فى المضيف الرسمى الذى بناه « النظام » أمير ولاية حيدر آباد ، و هو جميل و مريح جداً ، رابض فى مكان مرتفع يطل منه على واد واسع و جميل ذى بهجة كبيرة تبهج العين و تثلج القلب .

و مررنا بمدينة دولت آباد كذلك ، و على آثار تاريخية جميلة ، كلها من آثار هذا الملك الصالح الذى جمع بين الملك والورع ، والحكم و التقوى ، و العلم و الحكمة ، و قد علمنا بأن هذه المنطقة كانت مركز العلم و العلماء فى أيامه ، فقد سبق إليها عدد كبير من العلماء الربانيين وأعلام التربية والاصلاح ، ولا تزال لكثير منهم آثار وذكريات تدل على علو مكانتهم وعمق تأثيرهم فى حياة المسلمين فى الهند .

رجعنا من خلدآباد من غير أن نستوعب زيارة المشاهد والآثار كلها ، ونظراً إلى قلة وقتنا واقتراب موعد سفرنا إلى مدينة اندور توجهنا منها إلى جبال « ألورا » التى تحتوى على كهوف كثيرة و قاعات واسعة ، فيها معابد الهندوس وكلها منحوتة

فى داخل الجبال و أكثرها ذو طابقين ، و قد دخلنا أحد المعابد الواسعة و رأينا كيف أن الناحتين قاموا بنحت المعابد والإصنام والأروقة و القاعات الكبرى من هذه الجبال؟ يقولون : إن هذا العمل المضنى قد استغرق قروناً عديدة حتى تكامل ، و ذلك إن دل فانما يدل على عبقرية اليد الانسانية وعلو الهمة ، ويصدق ما أشار إليه القرآن الكريم من مثل هذا النحت الذى يستعصى فهمه حيث قال « وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين »

تجولنا فى المنطقة على عجل ، و كانت الحيرة تملأ الجوانح ، وخاصة من هذه الصناعة الغريبة التى لا تتسنى للانسان المتحضر اليوم إلا بتوافر وسائل ومواد البناء الكثيرة ، فكيف استطاع إنسان ذلك العصر الذى يرجع تاريخه إلى ما قبل الاسلام أو ما يصادف زمن مجئ الاسلام ، أن يقوم بهذه الأعجوبة التاريخية الكبرى ، فى بلد مثل الهند ، و جبال بعيدة عن مراكز الحضارة و العلم .

صلينا المغرب فى مسجد بناه أحد الشيوخ الكبار اسمه « مؤمن العارف بالله » فى سفح جبال قريبة من مدينة أورنغ آباد ويرجع تاريخه إلى قرون التاريخ الأولى ، و رجعنا إلى مركز الدعوة و التبليغ حيث ألقى الشيخ إنعام الله كلمة توجيهية أمام الجماعة ، كان لها تأثير جميل فى النفوس .

و فى الساعة التاسعة و النصف ليلا ودعنا الاخوة الكرام و أساتذة الجامعة و طلابها ، و فضيلة الشيخ عبد الستار إمام الجامع الكبير وخطيبه ، و رافقنا إلى محطة « من ملد » فضيلة الأخ الكريم الأستاذ رياض الدين الندوى مدير الجامعة والشيخ مجيب الدين القاسمى رئيس هيئة التدريس بالجامعة والأستاذ نور عالم الندوى أستاذ الجامعة ، حيث ودعونا إلى « إندور » وإلى فرصة أخرى أوسع ـ باذن الله ـ و شكراً لجميع الاخوة الكرام و المحبين ، من المسئولين عن جامعة كاشف العلوم و أعضائها و أساتذتها و طلابها .

* * *

مسلمو التيبت اللاجئون

★★ فى كشمير يناشدون المسلمين ★★

أكثر من ألف مسلم من التيبت ، فروا بدينهم من الخطوط الشيوعية القبيحة ، تركوا أرضهم التى عاش عليها آباؤهم و أجدادهم أكثر من ثمانمائة سنة فى التيبت ينعمون بالخير ، و الهدوء ، و الأمن ، و السلام ، و الاحترام و الحرية الدينية مع أن حكومة التيبت كانت غير مسلمة .

جاءت سنة ١٩٥٠م لتحمل معها زوبعة شيوعية صينية بتعيين إدارة شيوعية على هذه المناطق مكشرة عن نابها الأحمر ، و معلنة عن شغفها بالدماء ، ملحة بل و متعجلة فى تخريب أفكار المسلمين الآمنين حتى يتركوا دينهم ليعتنقوا خزعبلات ، و هواجس الشيوعية المريضة الخبيثة .

أجبر الأبناء على دخول المدارس الشيوعية ، ومنع المسلمون من أداء الصلاة علانية ، و كممت الأفواه ، و كبتت الحريات حتى جاء عام ١٩٥٩م لتنفجر ثورة محلية مسلمة تعارض الحكم الشيوعى و أسلوبه تعبيراً عن إيمان راسخ فى النفوس لا تزلزله تهديدات الشياطين الذين يملكون كل قوة مادية و معنوية لا تخر أمامها إلا النفوس الضعيفة التى لا تثق بالله تعالى ، و مع هذه القوة اخمدت الثورة ، وقضى عليها و لكن لم يقض على ما بنفوس المؤمنين ، و اعتقل الزعماء ، و سجن العلماء و عذبوا ، و ظل بالسجن خمسة من زعماء التيبت بعد سياسيين كمناوئين للنظام الشيوعى ، ومن ذلك الحين لم يعرف المسلمون خلال عامين الأمن والأمان والحرية الدينية ، و مات كثير من المسلمين مما اضطرهم إلى طلب الخروج ، و بعد رفض فى السابق سمح لهم بالخروج ، و كان المقام فى كشمير بعد سماح الحكومة الهندية التى عاملتهم معاملة حسنة و أسكنتهم فى مدينة « سرينكر » من ولاية كشمير .

عاشوا فى المخيمات لمدة عامين ، ثم نقلوا إلى بناء صغير حين انعدمت المساعدة من المسلمين فى العالم .. إنهم يعيشون كل عائلة ــ ربما تزيد عن عشرة ــ فى غرفة

واحدة .. حوالى مائة وخمسين عائلة فى حجرات معدومة من دورات المياه والحمامات و أنابيب المياه لمدة تسعة عشر عاماً تحت هذه الظروف القاسية و الأحوال السيئة بينما كانوا فى أحسن حال من الناحية الاقتصادية و المعيشية و تحول الحال إلى ضياع . . يحرم أولادهم من التعليم والتربية ، حرمت النساء من الحجاب وحرم الشيوخ و العجائز من راحة البال والهدوء ، و الظروف فى معظم الأحوال لا تساعد على الحياة الاسلامية الصحيحة بتأثير الحضارة الغربية والتبرج الجاهلى و اختلاط الرجال بالنساء، مع محاولات الخروج من هذه الظروف قاموا بانتخابات عامة لتسعة أعضاء يكونون لجنة لدراسة وسائل الانقاذ للحصول على مخرج سميت .

« الجمعية الاصلاحية لمسلمى التيبت اللاجئين »

هذا وتقوم بعض الجهات التى اطلعت على الأحوال بمد يد العون فى حدود ضيقة مثل الزعيم الروحى للبوذيين و بعض الجمعيات التنصيرية الأمريكية وغيرها .

و غير خاف الأهداف الحقيقية فيما وراء هذه المساعدات .

و لقد من الله عليهم حين منحتهم حكومة « جامون و كشمير » قطعة أرض واسعة فى سرينجر وسيقيمون عليها مساكن خاصة وساعدتهم بمبلغ ثلاثمائة ألف روبية لانشاء بعض المرافق التى تحتاج إلى حوالى خمسة ملايين وثلاثمائة ألف روبية لتشييد ٢٠٨ منزلا لهؤلاء المسلمين الذين يعجزون كل العجز حتى عن إقامة منزل واحد .

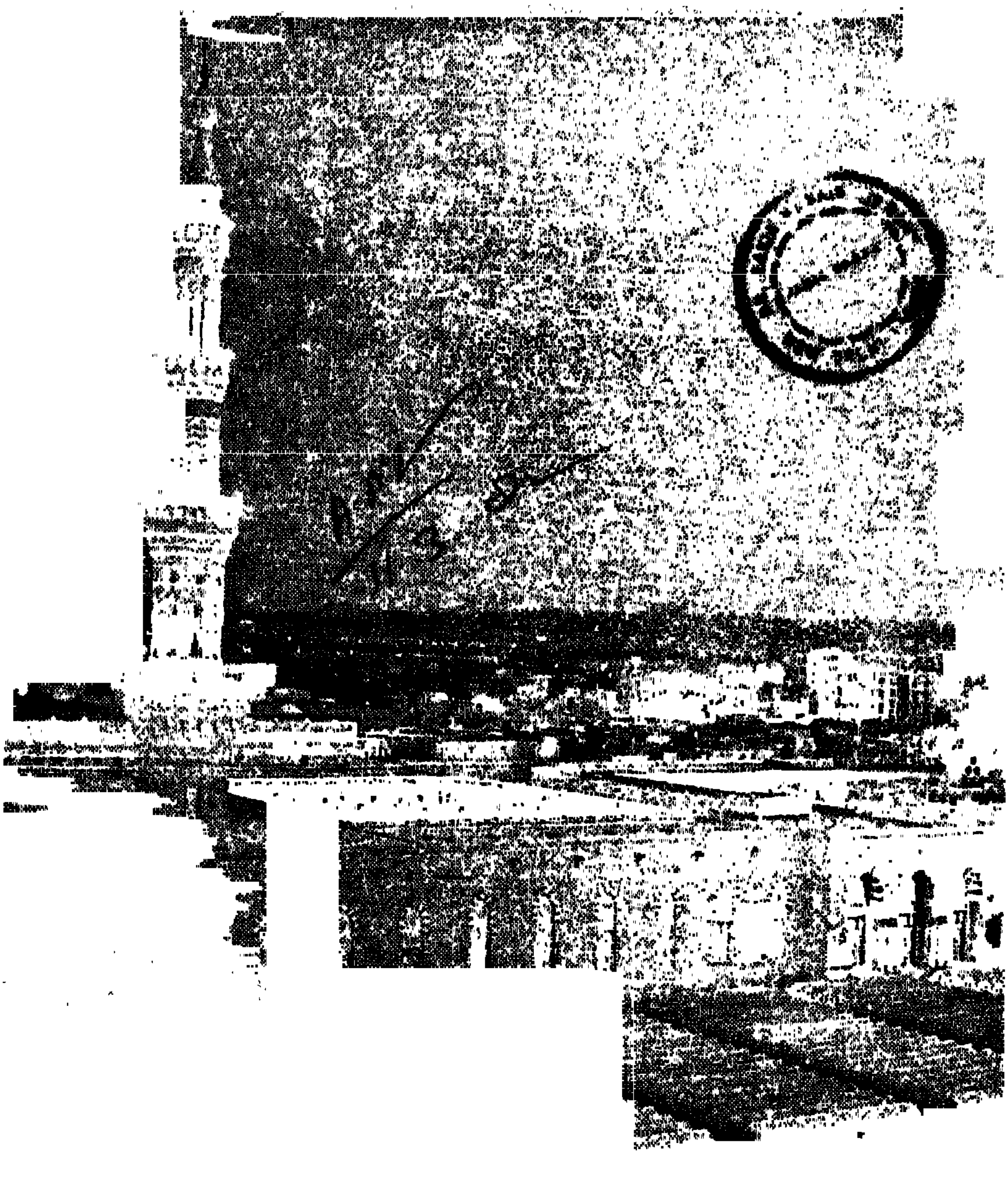
والجدير بالذكر أن فضيلة الشيخ السيد أبو الحسن على الندوى أمين عام ندوة العلماء بالهند وعضو المجلس التأسيسى للرابطة وفضيلة الشيخ بدر عبد الله العلى المطوع من الكويت قد اطلعا على مأساة هؤلاء المسلمين الذين فروا بدينهم تاركين أرضهم من أجل كلمة التوحيد وباعوا الدنيا و نعيمها .. أفلا يجدون تضامن وتكافل المسلمين فى شتى إرجاء العالم الاسلامى ؟!

وهذا حق نحفيهم من همزات الشياطين و وساوس الختالين من التنصيريين وغيرهم.

هذا ، وواجب المسلمين فى كل مكان مد يد المساعدة إلى إخوانهم هؤلاء .

عصمة الله التيقى الندوى

إلى الاسلا
من جديد



بسم الله الرحمن الرحيم

لا بد من تعاون

و من الواجب على أن أشير بصراحة إلى أنه لا يصلح أمر العالم الاسلامى إذا بقى الشعب ساخطاً على الحكومة ، و الحكومة ناقمة من الشعب ، بل لا بد هنا من تعاون رجال الاصلاح و الدعاة ، و المبشرين و المنذرين ، و لا يمكن ذلك إلا إذا صلحت النية و صحت العزيمة ، و اتحدت الغاية ، فعلى كل واحد منا أن يعمل فى حقله و يؤدى حقوق صاحبه و لا يبتغى رضا أحد ، ولا يرجو من رجل كلمة خير ، إنما هو يعمل لله ، و هو وحده يجزيه بجهاده « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » .

(الأستاذ المرحوم) محمد الحسنى

(الاسلام الممتحن صفحة ٧٤)

المجلد السادس والعشرون

العدد التاسع

★ جمادى الثانية ١٤٠٢هـ ★

★ أبريل ١٩٨٢م ★

أنشأها فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني (رحمه الله)
في عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

تصدرها : ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

المراسلات :
البعث الإسلامي
ندوة العلماء - ص.ب ٩٣
لكهنؤ - الهند

NADWAT-UL-ULAMA
P.O. Box 93
Lucknow (India)

محتويات العدد

هذا هو الاستشراق فما هي عدتنا نحوه ؟! — سعيد الأعظمي — ٣

التوجيه الاسلامي

دراسة عن معجزة القرآن الكريم — الأستاذ محمد محمود شاكر — ١٠

اليقظة الاسلامية ! — سماحة الشيخ السيد أبي الحسن على الندوى — ١٩

الدعوة الاسلامية

الايمان نفحة إلهية يهديها الله لمن شاء من عباده — سماحة الدكتور عبد الله عبد القادر بلفقيه — ٢٦

مبادىء فى الأدب و الدعوة — فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى — ٣١

دراسات و أبحاث

معتقدات المسيحيين فى شأن سيدنا المسيح عليه السلام — فضيلة الأستاذ محمد تقى العثمانى — ٤٣

حركة الاستشراق فى ميزان العلم والتاريخ — محمد صدر الحسن الندوى — ٥٩

الندوة العالمية للأدب الاسلامى

أدب الصحوة الاسلامية — واضح رشيد الندوى — ٦٦

اختبار النصوص الأدبية من وجهة النظر الاسلامية — الأستاذ محمد سلطان ذوق الجاتكامى — ٨٣

العالم الاسلامى

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

بمناسبة إعلان جائزة الملك لخدمة الاسلام — فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى — ٨٨

أيام فى و لاية « مالوه » فى الهند المتوسطة — سعيد الأعظمى الندوى — ٩٣

أخبار اجتماعية و ثقافية

فضيلة الشيخ محمد الثانى الحسنى فى ذمة الله و التاريخ — « قلم التحرير » — ٩٧

ندوة علمية حول « الاسلام و المستشرقون » — » » — ٩٩

« فتح الرحمن فى إثبات مذهب النعمان » — « قلم التحرير » — ٩٩

الجمعية المحمدية فى تلسى فور ـ غونده (الهند) — » » — ١٠٠

دار العلوم أحمدية السلفية تؤجل مهرجانها التعليمى — » » — ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

★ الافتتاحية :

هذا هو الاستشراق !

فما هي عدتنا نحوه ؟!

منى الاسلام فى معتقداته الأساسية و فى مصادره الأصيلة بمؤامرة خطيرة و دقيقة يرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر الميلادى ، و إن كانت لها جذور تضرب إلى أيام المسلمين فى الأندلس الاسلامية إبان ازدهارها وعظمتها ، فقد كانت مدارسهم عامرة بطلاب العلم ، ومن بينهم رهبان الغرب الذين تلقوا فى هذه المدارس العلوم الاسلامية و تعلموا فيها اللغة العربية حتى تمكنوا من ترجمة القرآن والأحاديث النبوية إلى لغات الغرب ، وتوسعوا فى الثقافة الاسلامية ، و من برز من هؤلاء الغربيين الذين درسوا فى مدارس الأندلس الاسلامية وتخرجوا منها فى العلوم الاسلامية راهب فرنسى اسمه « جربرت » (JERBERT) الذى عرف بالبابا فى كنيسة روما فى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى ، و يليه فى الشهرة و المكانة « بيرل اينير ـ Pierrele aenere » (١٠٩٢ ـ ١١٥٦ م) و « جيرار دى كريمون ـ Gerard de cremone » (١١١٤ ـ ١١٨٧ م) .

ركز الغرب منذ يقظته الدينية التى سموها « عهد الاصلاح الدينى » عنايته بصفة خاصة على دراسة العلوم الاسلامية الشرقية وإتقان اللغة العربية وآدابها و عبروا عن ذلك بالاستشراق ، ولم يكن الغرض من هذا الاستشراق إلا دك صرح الاسلام الدينى و زعزعة الاعتقاد بالحقائق الثابتة ، و زرع الشبهات فى النفوس وإثارة الشكوك حول تعاليم الاسلام وخلود رسالته ، كل ذلك بأسلوب دراسى تحليلى ، وكنتيجة تتمخض من مجهودات علمية عكفوا عليها طوال مدة من الحياة ، حتى تمكنوا من استخراج الحقائق العلمية والتاريخية ومعلومات تتقاصر عنها [illegible] من جلة العلماء المسلمين الأقدمين [illegible] كما يزعمون

إن الدوافع الاستشراقية نابعة فى الواقع من ذلك المقت الشديد الذى يضمره المستشرقون فى كوامن نفوسهم و خباياها نحو الاسلام الذى يرونه أكبر خصم فى سبيل حضارتهم المادية ، واتجاهاتهم الاستعمارية وغاياتهم الرخيصة ، إنهم لايشكون مثقال ذرة فى كون الاسلام آخر رسالة تتكفل سعادة الانسان و الحياة و الكون فى كل عصر و جيل إلى أن يأذن الله بفناء هذا العالم ، و لا يرتابون فيما جاء به الاسلام من هداية سماوية تشمل الحياة الانسانية فى جميع مناحيها ومجالاتها ، ولكنهم للحقد الشديد الذى يحملونه فى قلوبهم ضد الاسلام و المسلمين أرادوا أن يندسوا إلى صفوف العلماء و المسلمين و يتظاهروا بالاخلاص الكبير و بالنصح الخالص للعلوم الاسلامية والتراث الدينى واللغة العربية ، و يتزيأوا بأزياء البحث والتحقيق و التنقيب و التحليل ، فيتناولوا هذه العلوم بالدس والتسميم ، و يقوموا بابرازها فى ثوب قشيب من تحقيق نادر و دراسة عميقة ، من غير أن يشعر الباحثون من علمائنا و مؤرخينا و كتابنا و مؤلفينا بما فى ذلك من سموم ناقعة ، وبذلك تتحقق نواياهم الخبيثة فى هدم الاسلام وإضعاف الثقة بخلوده وإخراج هيبة التاريخ الاسلامى و السيرة والمقدسات الاسلامية من نفوس المسلمين ، و لقد أشار إلى هذه الحقيقة وليم جيفورد بلجراف فيما قال : « متى توارى القرآن و مكة و المدينة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة (الغربية) التى لم يبعده عنها إلا محمد ﷺ وكتابه » (أباطيل واسمار - محمود محمد شاكر ص/١٢٨).

بالاضافة إلى ترسيخ أقدامهم فى بلاد المسلمين و مراكزهم العملية و الثقافية باسم الدراسة والتحقيق ، و إنجاز نواياهم الاستعمارية بهذا التطبيق و تكوين قواعد التبشير فى هاتيك الدول ، حيث إن الاستشراق تلتقى فيه مصالح عديدة فى وقت واحد ، و تتحقق به أهداف تخدم اليهودية و النصرانية كديانتين قديمتين لهما الحق كل الحق فى القيام بالدور الريادى فى العالم كله ، رغم أن طبقة كبيرة من المسلمين أعجبت بالمستشرقين واعتبرتهم نموذجاً مثالياً للدراسة والبحث ، وما علمت بالخيانات العلمية التى استساغوها وبنوا عليها صرح اكتشافاتهم العلمية و التاريخية المزعوم ، وبها تستطيع

أن تقدر مدى حقدهم على الاسلام ، و تآمرهم على الحضارة الاسلامية و مصادر الدين و سيرة النبي عليه السلام ، يقول الأستاذ الدكتور محمد البهى و هو يتحدث عن أهداف الاستشراق فى كتابه « المبشرون و المستشرقون »

« وقد تركزت أهداف الاستشراق مع تنوعها أخيراً فى خلق التخاذل الروحى، وإيجاد الشعور بالنقص فى نفوس المسلمين والشرقيين عامة، وحملهم من هذا الطريق على الرضا و الخضوع للتوجيهات الغربية »

و يتسنى تقدير تلفيقات المستشرقين و أباطيلهم فى ضوء ما قد كتبه بعض علماء المسلمين و محققيهم ، و فى مقدمتهم الداعية الاسلامى الكبير الأستاذ الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله الذى أشار إلى الخيانات العلمية الكبرى التى تلبس بها المستشرقون، وقد كشف القناع عن وجوههم الكالحة فى كتابه القيم « السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى » و خاصة فضح المستشرق « جولد زيهر ـ Goldizher » فى كتاباته عن الامام الزهرى ، و كشف عن خياناته العلمية التى أدهشت أوساط العلماء ممن كانوا معجبين به ومعترفين بمكانته العالية فى الدراسات الاسلامية، كما أن بعض المنصفين من المستشرقين الذين ضاقوا ذرعاً بالأكاذيب والاتهامات التى وجهت إلى الحقائق الاسلامية الناصعة لتزييفها وإسقاط منزلتها بين الناس، سبقوا الاطلاع على مخططات الاستشراق الرهيبة ، و أهدافه الاجرامية ، وعلى هذا الأساس فقط وفق المستشرق الفرنسى « دينيه ـ E. dinet » إلى الاعتناق بالاسلام والدفاع عنه مع كشف نوايا المستشرقين و أساليبهم الخداعة لتشويه وجه الاسلام النقى ، كما اهتدى إلى الاسلام فى عصرنا الحاضر المستشرق النمساوى « لبولد ويس » سابقاً ، و تسمى باسمه الاسلامى محمد أسد ، و قد تحدث عن قصة عودته إلى الاسلام فى كتابه الشهير « الطريق إلى مكة » (Road to Mecca) .

إلا أن عدد المنصفين من هذه الفئة الحاقدة قليل لا يعدو عدد الأصابع ، ذلك لأن بواعث عملهم لم تكن إلا لتفنيد تعاليم الاسلام و تصوير المسلم بأخس وأتفه شكل، وقد استخدموا لهذا الغرض كل وسيلة من وسائل التلفيق والتشويه ،

سواء عن طريق التأليف والنشر والبث والاعلام بجميع أنواعه وألوانه ، أو طريق التعليم و التربية و التبشير و الصحافة و المؤتمرات و الجمعيات ، و باسم النشاطات الانسانية والخدمات الاجتماعية ، إنهم لم يدخروا وسعاً فى التأثير فى النفوس أولا ، وإثبات كفاءتهم العلمية والدراسية ثانياً ، وقد أقاموا لذلك كل الاعتبارات التى مست الحاجة إليها ضمن مخططاتهم الاستشراقية .

كانت أهداف المستشرقين تدور فى الغالب حول التشكيك بصحة الكتاب و السنة و إنكار النبوة و تزييف السيرة النبوية ، و هدم صرح الفقه الاسلامى ، وإثارة الشبهات حول التاريخ الاسلامى وإزالة الثقة برجال وأعلام الأمة الاسلامية الذين مثلوا السيرة الاسلامية النقية و الخلق الاسلامى النبيل و كانوا أمثل نموذج للمسلم الكامل ، و لكنهم لم يتظاهروا فى أى حال بما إذا كانوا يتوخون من وراء أعمالهم نوعاً من العداء و الحقد ، بل الواقع أنهم بالعكس من ذلك ظهروا للناس نصحاء مخلصين لا يريدون إلا خدمة العلم ، و التحقيق و الدراسة فى موضوعية كاملة ، و قد اغتر بهذه الدعوى الكاذبة كثير من المسلمين المثقفين و وقعوا فريسة هذا النفاق والتلبيس الذى تأسس عليه عمل الاستشراق ، و لكن قيض الله فى كل عصر من قام بكشف أضاليلهم ، وفضح أكاذيبهم ، وإبراز مواضع دسهم واختلاقهم .

كما قد أشار إلى خطورة هذه المؤامرة المكثفة التى خفيت على معظم علماء المسلمين ، وصرح بما يقوم به المستشرقون من هدم الاسلام وتاريخه باسم الدراسات الاسلامية ، علامة الهند الكبير الدكتور السيد سليمان الندوى رحمه الله ، صاحب السيرة النبوية ، ورئيس الشئون التعليمية فى جامعة ندوة العلماء سابقاً ، ورئيس إكاديمية شبلى (مجمع دار المصنفين) فى الهند سابقاً ، منذ عقود من السنين ، يقول فى إحدى كتاباته ، عن المستشرقين مع اعتراف بمجهوداتهم العلمية فى إثارة دفائن العلوم وإنارة جوانب منها :

« إن علماء أوربا إذا كانوا قد وفقوا لتوفير بضاعة من العلوم الحديثة وعرض ثقافاتهم الأوربية بأساليب جديدة فان أهمية العلوم الاسلامية استرعت شغفهم العلمى إلى أن يعتنوا بها ، و تواجدت منهم فئة مستقلة باسم المستشرقين استهدفت صيانة

و نشر الآداب العربية و علومها و اعتبرتها غاية بذاتها ، و لا شك فان مجهودات المستشرقين الملحوظة نحو العلوم الاسلامية و آدابها لجديرة بالشكر حيث إنهم قاموا بإثارة بعض الدفائن من تراثنا العلمى و الأدبى و تنشيطها من جديد .

و مما لا شك فيه أن هذه العلوم و الحضارة الاسلامية لم تكن ذات انتماء خاص بهم و لا بتاريخهم و دياناتهم ، لذلك فما كانوا يستطيعون أن ينظروا إليها بنظرة الحب و العطف كشأن المسلمين ، و من ثم كان لمجهوداتهم العلمية فى مجالات العلوم و الحضارة الاسلامية بعض النفع فى جانب ، وأضرار بالغة فى جانب آخر تحتم على علماء المسلمين أن يتداركوها بدراساتهم و تحقيقاتهم العلمية الرصينة .

كما ظهرت من بينهم فئة أخرى رضيت بوضع هذه المجهودات المباركة بغير موضعها ، وبدأت تنظر إلى العلوم الاسلامية من خلال وجهات الأنظار الغربية و المسيحية ، و فتحت جبهة جديدة باسم التحقيق و الدراسة ، تشن منها هجمات سافرة على دين إسلام و على نبى الاسلام و على العلوم و الآداب الاسلامية وعلى الحضارة الاسلامية، حتى تراكمت اليوم دراسات ومؤلفات من هذا النوع وتكونت منها مكتبة بذاتها، و رغم أن هذه الفئة اتخذت التاريخ الاسلامى والعلوم والآداب الاسلامية مجالا لنشاطها الدراسى بادى ذى بدء إلا أن هذا المجال مازال يتسع إلى أن شمل السير و التراجم و علم الكلام و الفقه الاسلامى ثم اتسع وغطى الكتاب والسنة وموضوع التزكية ، و توافرت كتب و مؤلفات فى هذه الموضوعات بأقلام المستشرقين ، تحمل طابع الدراسة و التحقيق .

يصعب أن نقدر مدى أضرار هذا النوع من الكتب و المؤلفات التى نالت من قيمة الاسلام وتنال منها فى المستقبل، فان تركنا هذه السموم تسرى فى الكيان الاسلامى ولم نبحث لها عن درياق، فماذا سيكون مصير علومنا وآدابنا الاسلامية، وكيف تتسرب سموم هذه الدراسات النافعة إلى أذهان الناشئة من المفكرين والعلماء»

(مجلة المعارف الشهرية) .

و تتجلى حقائق واضحة إلى خطورة موقف المستشرقين من العلوم الاسلامية

و مصادرها الأصيلة من خلال ما كتبه الباحثون من علماء الاسلام حول المستشرقين و دسائسهم و افتراءاتهم ، و رغم أن العالم الاسلامى قد تكشف عليه الآن أسرار الاستشراق وظهر للسلمين وجوه المستشرقين السوداء فى مرآة الحقيقة لا يزال العمل الاستشراقى مستمراً بأساليب جديدة ، وأسماء مستعارة .

لقد آن الأوان أن يتنبه المسلمون فى كل مكان إلى هذا التعصب الأعمى والحقد الأسود الذى نبع منه الاستشراق ، حتى يتهيأوا لتحطيم أوكار الفساد ، و الاغارة على مراكز الهدم للقيم الدينية و الخلقية و التشكيك فى العلوم والمصادر الاسلامية ، و لقد سن لنا بعض علماء العالم الاسلامى سنة الهجوم على هذه المراكز و دحض أباطيل الأعداء ، فى ضوء الحجج والبراهين القاطعة ، ومن بين هؤلاء العلماء الأعلام الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله ، الذى وفق بفضل الله لتحطيم قلعة الاستشراق فى كتابه « السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى » وهو يتوقع من الجيل الحاضر أن يتحلى بالاستقلال الفكرى ويشعر بأهمية شخصيته الحضارية والتاريخية ، يقول فى إحدى كتاباته :

« ابتدأ عندنا الشعور بوجوب الاستقلال الفكرى ، الشعور بشخصيتنا وقيمة حضارتنا وتراثنا ، الشعور بالخجل لموقفنا السابق من اتكالنا على المستشرقين فى معرفة ما عندنا من تراث وعقيدة وتشريع ، و انتشر هذا الوعى فى أوساطنا المثقفة من دينية وغيرها ، فبدأنا نكتشف الحقيقة ، حقيقة هؤلاء المستشرقين فى أبحاثهم وأهدافهم الدينية و الاستعمارية من ورائها .

ما زلنا نسير فى هذا الاتجاه الذى لم يستكمل قوته و استقلاله الذاتى بعد ، لأنها سنة الله فى الأشياء ، و لكننا واصلون إلى هذه المرحلة باذن الله ، حتى يأتى يوم يستغرب فيه أبناؤنا و أحفادنا ، كيف كنا بسطاء مخدوعين بهؤلاء المستشرقين إلى هذا الحد » (المستشرقون ، ما لهم و ما عليهم) .

فهل نحن فى الطريق إلى وضع إمكانياتنا فى وجه هذه المؤامرة الخطيرة التى خدعت صفوة عقول العالم الاسلامى و شوهت عليها وجه الاسلام النقى ! ؟

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

دراسة عن معجزة القرآن الكريم

((٣))

للأستاذ محمد محمود شاكر

[نشرت الحلقة الأولى من هذا المقال فى العدد التاسع و العاشر ، المجلد الخامس والعشرين نرجو مراجعتها إذا أراد أن يطلع عليها القارىء الكريم] « التحرير »

ولم تكد دولة بنى العباس ترسى قواعدها حتى دخلت بعض العقول إلى « إعجاز القرآن » ، من باب غير باب السفه والاستطالة ، [illegible] بالأمر [illegible] المنكر [illegible] ولسانا : أبو إسحاق [illegible] إبراهيم بن سيار النظام فأتاه من [illegible] الرأى و النظر [illegible] زعم أن الله قد صرف [illegible] معارضة القرآن ، مع قدرتهم عليها [illegible] هذه الصرفة هى المعجزة ، أما [illegible] القرآن فهى فى إخباره [illegible] غيب مضى ، و كل غيب سيأتى ، و هذه مقالة لا أصل لها إلا الحيرة و الابتهار من هذا الذى أعجز أهل الجاهلية و أسكتهم ، و هب قوم يعارضونه و يجادلونه ، منهم صاحبه أبو عثمان الجاحظ ، فألف كتابه فى « نظم القرآن » ، وأنه غاية فى البلاغة ، وقال الجاحظ وغيره و من يليهم ، ولكن ظل الأمر محصوراً فى إثبات « الصرفة » و إبطالها ، و فى طرف من الاستدلال على بلاغة القرآن و سلامته مما يشين لفظه ، و خلوه من [illegible] و [illegible] على المعانى الدقيقة ، و ما فيه من نبأ الغيب ، إلى آخر ما تجده مبسوطاً فى كتب القوم ، و الذى عرفت قولنا فيه فيما مضى من كلامنا .

ثم كثرت السابلة من هذه الفئات حتى عرفوا باسم المتكلمين ، وكان أمرهم

أهل جدال ولغط بسطة لسانه ونطقه وحفظه وتمنطقه الذي بقليل ... إذا أطلقت مسألة « إعجاز القرآن » مسألة كلامية يجب أن ينهض بها رجل حاذق ، لا تبرى أن تكون للمتكلمين ، وأبو بكر الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ والناس يومئذ بين رجلين : ضال هو نفسه ، ذاهب عن الحق ، غافل عن الرشد ، وآخر مصدود عن نصرته ، مكدود في محنته ، فقد أدى ذلك إلى خوض الملحدين في أصول الدين ، وتشكيكهم أهل الضعف في كل يقين .. و ذكر لي عن بعض جهالهم أنه جعل يقابله ببعض الأشعار ، ويوازن بينه وبين غيره من الكلام ، ولا يرضى بذلك حتى يفضله عليه ، وليس هذا ببدع من ملحدة هذا العصر ، وقد سبقهم إلى عظم ما يقولون إخوانهم من ملحدة قريش و غيرهم (كتابه إعجاز القرآن ص ٦) فهذا هو الذي حفزه و أهاجه حتى كتب كتابه المعروف « إعجاز القرآن » .

و كتب الباقلاني كتابه و أهل اللسان العربي يومئذ هم الناس ، و لم يزل تذوقهم للبيان ما وصفت لك ، تذوق ملتبس بالطباع ، مردود إلى السلائق ، مستحوذ بمدارسة الشعر وسماعه وروايته ولكن لم يضر جمهور هذه الطباع شيئاً أن استفاض الجدل و ظهر سلطانه ، وأن صارت كل فرقة تصنع كلاماً ، تناضل به عن رأيها ، وتقطع به حجة خصمها ، طلباً للغلبة ، لا تمحيصاً للرأي وخلوصاً عن الحق ، ورضي الله عن أبي بكر الباقلاني ، فقد جمع في كتابه خيراً كثيراً ، وافتتح بسليم فطرته أبواباً كانت قبله مغلقة ، وكشف عن وجوه البلاغة حجاباً مستوراً ، و لكنه زل زلة كانت لها بعد ذلك آثار متلاحقة ، و لم نسلم حتى اليوم من قصة الملاحقة التي انتهت إليها .

كان الباقلاني حقيقاً أن يخرج النهج الذي أتاه الله ... تمحيص مسألة « الإعجاز » ويومئذ يجعل الشعر الجاهلي أصلاً في دراسة بيان عرب الجاهلية ومن ... خصائص بيان البشر ، والباقلاني رحمه الله كان ... في ...

واحفظ أن خصائص بيان القرآن مخالفة لخصائص بيان البشر، وقد ألمح إلى ذلك في كتابه، كما ألمح إليه من سبقه، بيد أن جدل المتكلمين قبله وعلى عهده، وخوض الملحدين في أصول الدين كما قال، "و منهجهم في اللجاجة و طلب الغلبة، كل ذلك لم يدعه حتى استغرق في الرد عليهم، على مثل مناهجهم من النظر، ثم دارت به الدنيا، لما بلغ أن بعض جهالهم يعدل القرآن ببعض الأشعار، ويوازن بينه وبين غيره من الكلام.

وأنت تستطيع أن تقرأ كتابه فصلا فصلا لتجد مصداق ما أقول لك، حتى إذا انتهى إلى الذى هاجه، من موازنة القرآن ببعض الأشعار، هب إلى تسفيه هذه الموازنة فدعاك في أوسط كتابه أن تعمد معه إلى مالا تشك في جودته من شعر امرىء القيس، و ما لا ترتاب في براعته و لا تتوقف في فصاحته، كما قال في كتابه (٢٤١) فطرح بين يديك هذه القصيدة، و جعل يفصلها وينقدها ويمحو من محاسنها و يثبت، و يقف بك على مواضع خللها، و يفضى بك إلى مكان ضعفها، و لم يزل يعريها حتى كشف الغطاء عن عوارها، ثم ختم ذلك بقوله: «و قد بينا لك أن هذه القصيدة و نظائرها، تتفاوت في أبياتها تفاوتاً بيناً في الجودة والرداءة والسلاسة والانعقاد، والسلامة والانحلال، والتمكن والاستصعاب، و التسهل و الاسترسال، و التوحش و الاستكراه، و له شركاء في نظائرها، و منازعون في محاسنها، و معارضون في بدائعها».

فلما انتهى من ذلك افتتح فصلا شريفاً جليلا، ذكر فيه آيات من القرآن، و حاول أن يقفك على بدائع نظمها و بيانها، و هذا الفصل هو أدل الدليل على أن الباقلانى لو كان استقام له المنهج الذى ذكرناه لبلغ فيه غاية يسبق فيها المتقدم، و يكد فيها جهد المتأخر، ولكنه لم يزد في هذا الفصل على أن جعل يوقفك على بيان شرف الآيات لفظاً و معنى، و لطيف حكايتها، و تلاؤم وصفها، وتشاكل

نظائرها ، و أن نظم القرآن لا يتفاوت فى شئ ، و لا يتباين فى أمر ، و لا يختل فى حال ، بل له المثل الأعلى و الفضل الأسنى (كتابه ص ٣٠٢-٣٠٥) و ذكر تناسب الآيات فى البلاغة والابداع ، وتماثلها فى السلاسة و الاعراب ، و إفرادها بتلك الأسلوب ، و تخصصها بذلك الترتيب ، أما غيرها من الكلام فهو يضطرب فى مجاريه ، و يختل تصرفه فى معانيه ، و هو كثير التلون ، دائم التغير و التنكر ، و يقف بك على بديع مستحسن ، ويعقبه بقبيح مستهجن يأتيك باللفظة المستنكرة ، بين الكلمات هى كاللآلى الزهر (كتابه ص ٣١٣ - ٣١٤) ثم انتهى إلى قوله فى القرآن : « و على هذا فقس بحثك عن شرف الكلام وما له من علو الشأن ، لا يطلب مطلبا إلا انفتح ، و لا يسلك قلبا إلا انشرح ، و لا يذهب مذهباً إلا استناد و أضاء ، ولا يضرب مضرباً إلا بلغ فيه السماء ، و لا تقع منه على فائدة فقدرت أنها أقصى فوائدها إلا قصرت . و لا تظفر بحكمة فظننت أنها زبدة حكمها إلا قد أخللت ، إن الذى عارض القرآن بشعر امرىء القيس ، لأضل من حمار باهلة و أحمق من هبنقة » (كتابه ص ٣٢١-٣٢٢) .

و صدق الباقلانى فى كل ما قال ، إلا أنه لم يرد على أن بين خلو القرآن من الاختلاف و التغير ، و براءته من كل ما يلحق كلام الناس من عيب وخلل ، و كل ما هو قرين لضعف طباعهم ، وإن استحكمت قواهم ، و دال على عماهم عن كثير من الحق ، وإن استنارت بصائرهم ، و لعمرى إنه الحق لاينال منه الباطل ، و لكنه غير الذى ينبغى أن نطلبه من كشف أصول البيان التى يفارق بها بيان القرآن بيان البشر من الوجه الذى فصلناه .

و ليس هذا موضع بحثنا الآن ، و لكن بحثنا عن الشعر الجاهلى ، وما كان على أمر لا

فهذه الموازنة التى جاءت الباقلانى ، كما ذكر ، هو ما حمله على هتك الستر عن حقيقة امرىء القيس ، ليكشف الناس عيبها وخللها ، لا ليستخرج منها خصائص بيانهم ، وكيف كانت هذه الخصائص مفارقة لخصائص بيان القرآن . فلما نزل الباقلانى هذه المنزلة و أخطأ الطريق زل به من بعده و لم يخطئه ، و أخذوا الشعر الجاهلى كله هذا المأخذ ، و لكن العجب بعد ذلك أن (الشعر الجاهلى) ظل عند البلغاء و جمهور الناس هو مثقف الألسنة و الحجة على اللغة ، و الشاهد على النحو و ما إلى ذلك ، ولكنهم إذا جاءوا لذكر القرآن وإعجازه ، اتخذوه هدفاً للنقد والتخلية ، و إظهار العيب ، و تبيين الخلل ، بإزاء كلام برىء من كل عيب و خلل ، فبقى الأمر أمر موازنة لا عدل فيها ، وكان حسبهم من الدليل أن أهل الجاهلية بتركهم معارضة القرآن بشعرهم أو كلامهم ، هو إقرار لا معقب عليه بفضل هذا القرآن على شعرهم وكلامهم ، فلم تكن بالباقلانى حاجة إلى سلوك هذا الطريق الذى سلكه ، إلا ما حمله عليه ما نعق به جاهل من جهال الملحدة ، من الموازنة بين الكلامين ، و تفضيل شعرهم على القرآن .

و كان قد نازع ذلك باب آخر من اللجاجة فى الموازنة بين شعر الجاهلية و شعر المحدثين من شعراء الاسلام ، و ظل الجدال فى تفضيل أحدهما على الآخر باباً تقتحمه الألسنة طلباً للغالبة و الظهور ، و داخل ذلك من الازراء على الشعر الجاهلى و عيبه ما داخل ، فكان هذا أيضاً صارفاً عن مدارسته على الوجه الذى طلبناه فى صدر حديثنا ، و فى خلال ذلك كله ، تهجمت على فهم الشعر الجاهلى أخطاء شديدة الخطر ، غشت حقيقته بحجاب كثيف من الغموض ، زاده كثافة ما لحق الشعر الجاهلى من التشتيت و الضياع و ما أصابه من اختلال الرواية بالزيادة و النقصان ، و التقديم و التأخير ، حتى اختلطت فيه المعانى أحياناً اختلاطاً سيئاً

لكل طالب أن لا يجول فيه بما عن له، ومع كل ذلك أيضاً بقي الشعر الجاهلي متعلقاً بأسباب ... معداً لشواهد اللغة والنحو والبلاغة ..

فليت شعري أي بلاء ترى أصاب هذا الشعر !!

ثم تتابعت العصور على ذلك، وعلى ما هو أشنع منه، حتى أفضينا به في هذا العصر الحديث إلى أقبح الشناعة يوم فرض الاستعمار الغربي الغازي على مدارسنا منهجاً من الدراسة لا يقوم على أصل صحيح كان يرمي في نهايته إلى إضعاف دراسة العربية إضعافاً شائناً، لا مثيل له في كل لغات العالم التي يتلقاها الشباب في معاهد التعليم على اختلاف درجاتها، ثم طمت الشناعة بعد سنين، حين عزلت اللغة العربية عزلاً مقصوداً عن كل علم وفن، وأصبح الشباب يتعلم لغته على أنها درس محدد، هو ثقيل بهذا التحديد المجرم على كل نفس، وبخاصة نفوس الشباب الغض، ثم لما أنشئت الجامعة، ودخلها هؤلاء الشباب على ما هم فيه من الملل بلغتهم، ومن الاستهانة بأمرها، طلع قرن الشيطان بفتنة (الشعر) والتشكيك في صحة روايته، وطار الشر إلى الصحافة فاتخذت اللغة القديمة كلها لا الشعر الجاهلي وحده مادة للهزء والسخرية، وللنكتة والرواية، بل لا بل تنديداً بكل من بقي على شيء من المحافظة على سلامة اللغة، سلامة هي كإبراء الذمة لا أكثر ولا أقل :

هذا تاريخ مختصر للإصابة التي لحقت بالشعر الجاهلي حديثاً وقديماً، والتي بين علماء البلاغة والمنهج الذي يكشف ... فكان لزاماً عليهم وعلينا أن نسلك في دراسة إعجاز القرآن دراسة صحيحة ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

على دراسات المحدثين في الجامعة و غير الجامعة ، حين يدرس أحدهم هذا الشعر ، هذا الشعر الذي كان حين أنزل الله القرآن على نبيه ﷺ ، نوراً يضيئ ظلمات الجاهلية ، و يعكف أهله لبيانه عكوف الوثني للصنم ، و يسجدون لآياته سجدة خاشعة لم يسجدوا مثلها لأوثانهم قط ، فقد كانوا عبدة البيان قبل أن يكونوا عبدة الأوثان ! و قد سمعنا بمن استخف منهم بأوثانهم ، و لم نسمع قط بأحد منهم استخف ببيـــانهم .

و أنت خليق أن تعرف الشيئ الذي طلبته و احتججت له ، و حاولت أن أكشف عن مناهجه و مذهبه ، إنما يتعلق بخصائص البيان في القرآن و خصائص بيان البشر على اختلاف ألسنتهم ، و أن مخرج هذا غير مخرج هذا و أن الشعر الجاهلي ، إنما هو مادة الدراسة الأولى ، لأن القرآن نزل بلسان العرب ، و الذين نزل عليهم ثم تحداهم و أعجزهم ، هم أصحاب هذا الشعر و المفتونون به و ببيانه ، و هذا باب غير الباب الذي افتتحه الباقلاني ، ثم فجر عيونه إمام البلاغة (عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧٤) في كتابيه (دلائل الاعجاز) و (أسرار البلاغة) ثم أبدع فيه العلماء ما أبدعوا ، و زادوا فيه عليه و نقصوا ، و كان ذلك بعد أن أغلق الباب الذي فصلنا القول فيه ، كان هو الجدير بأن يفتتحه الباقلاني و عبد القـــاهر .

فاذا تم ما دعونا إليه لأهل هذا اللسان العربي يوماً ما ، و عسى أن يكون ذلك بتوفيق الله ، فسيكون ذلك فتحاً مبيناً لا في تاريخ البلاغة العربية وحدها بل في تاريخ بلاغة الجنس الانساني كله ، و سيكون أيضاً فتحاً ، يرضى (هذا العقل الحديث) الذي يطالب في معرفة (إعجاز القرآن) ما يرضى عنه و يطمئن إليه ، فالبعض منا ينتسب ، بل إنه أهل الحق من أهل الاسلام ، فيجحدون بزمنه معجزته

لا عدائها ؟ ليته تسهيل لهم ما استغلق عليهم من دعوة الناس إلى كتاب الله الذي نحن به العرب ، و جعل فيه ذكرهم على الدهر حين أنزله بلسانهم ، ولكنه جعله هدى للبشر جميعاً عربهم و عجمهم ، و يومئذ ستبطل فتنة (ترجمة القرآن) من أصلها ، لسبب ظاهر أشد الظهور ، فان البشر إذا لم يكن في طاقتهم بألسنتهم التي يبدعون في شعرها و نثرها ، أن يأتوا ببيان كبيان القرآن ، تدل تلاوته على أنه بيان مفارق لبيان البشر ، فمن طول السفه وغلبة الحماقة ، أن يدعي أحد أنه يستطيع أن يترجم القرآن ، فيأتي في الترجمة ببيان مفارق لبيان البشر ، فاذا لم يكن ذلك في طاقة أحد ، لم يكن لهذه الترجمة معنى ؛ بل سيكون فيها من القصور و التخلف ، ما يجعل القرآن كلاماً كسائر الكلام ، لا آية فيه ولا حجة على أحد من العالمين ، و لا توجب ترجمته على الناظر أن يؤمن بمـا فيه ، و إن خالف ما جرى عليه اعتقـاده أو علمه ، إلا إذا آمن من قبل أنه كتاب منزل من السماء و هـذا عكس لآية القرآن ، و هي أن بيانه هو الدليل القـاطع على أنه ليس من كلام البشر ، و أنه كتاب منزل من السماء ، و أنه هو كلام رب العالمين الذي تعبدنا بتلاوته و الذي قال فيه رسول الله ﷺ : [الماهر بالقرآن مع السفرة ، الكرام البررة ، و الذي يقرأ القرآن و يتتعتع فيه ، و هو عليه شاق ، له أجران] و قال أيضاً : [من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، و الحسنة بعشرة أمثالها ، لا أقول : الم حرف ، و لكن ألف حرف ، و لام حرف ، و ميم حرف] .

و أما بعد ، فعسى أن يكون الله قد ادخر لآخر هذه الأمة ، بعض ما يقتضيها بعض الظلال فتطبع بالقرآن آذاناً صماً ، و عيوناً عمياً ، و قلوباً غلفاً ، و تخرج بهديه الناس من ضلالتهم ، و تردهم به عن اتباع خطوات الشيطان إلى

اقتفاء الصراط المستقيم ، والله تعالى يقول لنبيه : « وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم . وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون » (سورة المؤمنين ٧٣ ، ٧٤) .

وعسى أن يتم على يد آخرها ما خبأه الله عن أولها ، وعسى أن يكون ذلك مخبوءاً في هذا الفصل الذى نجده في أنفسنا بين بيان الله سبحانه ، وبيان عباده من البشر .

« قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين » (سورة الأنعام : ١٤٩) .

ورحم الله مالك بن أنس إذ يقول : « لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » فاذا كان أولها لم يصلح إلا بالبيان ، فآخرها كذلك لن يصلح إلا به ، وإن امرءاً يقتل لغته وبيانها ، وآخر يقتل نفسه ، لمثلان ، والثانى أعقل الرجلين !

وشكر الله لأخي مالك بن نبي حيث دعاني إلى كتابة مقدمة لكتابه ، كتاب « الظاهرة القرآنية » ، ففتح لي به بابا من القول في « إعجاز القرآن » كنت أتهيب أن ألجه ، وباباً آخر من القول في « الشعر الجاهلي » كنت أماطل نفسي دونه ، وأنا أعلم أنى قد قصرت في ذلك كله واختصرت ، وإن كنت قد أطلت ، وأخشى أن أكون قد أمللت ، ولكن عذرى أن الرأي فيهما كان قد شابه ما كدره فبذلت جهدي أن أمحص القول فيهما ، حتى أنفي عنهما القذى ، وأخلصهما من الأذى ، مبتغيا بذلك وسيلة إلى ربي سبحانه طلبت القربة عنده ، « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون » .

والحمد لله وحده ، ولا حول ولا قوة إلا به ، ولا فضل إلا من عنده .

★ من روائع شعر محمد إقبال :

اليقظة الاسلامية (١)

: سماحة الشيخ السيد أبي الحسن على الندوى

لقد كان للحرب الكونية الثانية (١٩١٤-١٩١٨) و حملات الحلفاء وتضعضع الخلافة العثمانية ، آثار سيئة على البلاد الاسلامية ، لاسيا الهند الاسلامية التي هب شعبها المسلم يداً واحدة لمناصرة الخلافة العثمانية و تأييد قضيتها ، و جعلها قضية الموت و الحياة و شغله الشاغل ، و لكن لما انهارت الخلافة العثمانية أمام الحملات الشرسة التى كان يشنها الحلفاء ، دب اليأس فى قلوب مسلمى الهند ، وكادوا يقطعون الرجاء من انتفاضة الاسلام وقوته ، واستهانوا بمكانتهم ، وداخلهم الوهن ، وفترت الهمم و نكست الرؤوس ، و استولى اليأس .

هنالك انقلب الشاعر الحكيم داعياً مجاهداً يثير الحماس ، و ينفخ فى المسلمين روح العزة و الاباء ، و يذكر المسلم بدوره الرائد ، و مكانته القيادية ، و رسالته الخالدة التى لا ينطفئ سراجها ، ولا تذهب بذهاب الحكومات و انقلاب الدول ، فهى رسالة نابعة من أصالته ، و ذاتيته ، و اختياره لسيادة هذا الكون .

---

(١) اسند المؤلف ترجمة هذه القصيدة البديعة و التمهيد إلى الأستاذ السيد سلمان الحسنى الندوى ، و قد قام بها خير قيام فى بضع ساعات ، و ليست القصيدة كلها مترجمة فقد اخترنا منها بعض القطع الرائعة و جاءت فيها روح القصيدة .

نظم الدكتور محمد إقبال فى هذه الفترة الحالكة غرر القصائد ، و كلها آية فى الشعر و الحكمة و الحماسة ، و لكن قصيدة « طلوع الاسلام » وهى التى عنونّاها بـ « اليقظة الاسلامية » [redacted] فلا تقبلها [redacted] فى جودة السبك ، و قوة التعبير و جمال الانسجام و سيلان القريحة ، وهى [redacted] لا يمكن نقلها و ترجمتها إلى لغة أخرى ، و لكن « إن لم يصبها وابل فطل » يقول محمد إقبـــال .

« أنت أيها المسلم ـ يد القدرة الالهية ، و لسانها و ترجمانها ، جدد فيك الايمان و اليقين ، فقد عراك الظن و التخمين ، إن مقامك و منزلك وراء هذه القبة الزرقاء و السماوات العلى ، وإن ركبك يمشى فوق النجوم النيرة و الكواكب المتلألئة .

إن هذا الكون بما فيه و من فيه ، سائر إلى الزوال و الفناء ، و لكنك تملك الآماد والابعاد، كأنك أنت رسالة الله الخالدة الأخيرة فأنت خالد مع خلود رسالتك ، و دائم بدوام دورك و مهمتك .

إن دماءك القانية الفياضة عطر حناء لعروس الوردة الحمراء، فبدمائك السخية الطاهرة تنتعش الورود و الأزهار ، و يجرى فى عروقها ماء الحياة ، إن نسبك المعنوى متصل بسيدنا إبراهيم ـ عليه الصلاة و السلام ـ فأنت بانى الحرم ورافع قواعد البيت العتيق

إن فطرتك حارسة و أمينة لامكانات الحياة و أسرار الوجود، فأنت المحك الأصيل لجوهر الكون و سر الحياة ، و إن ما حمله النبوة من تحفة غالية وهدية ثمينة من عالم الماء و التراب إلى عالم الخلود الذى لا يزول و لا يحول ، إنما هى

أنت ، و قد انكشف هذا السر الدقيق بماضي الأمة الحنيفية و الملة السمحة البيضاء، إنك أنت الوصي على هذه الشعوب التي تقطن بلاد آسيا .

عد مرة ثانية إلى دروس الصدق والعدل و الشجاعة ، فالكون في انتظارك و قيادة العالم تتطلع إليك و تستشرف نحوك .

إن غاية الخلق و الأمر ، وسر الدين و الإسلام ، أن تسود الاخوة والمحبة و الوئام ، حطم – أيها المسلم – أصنام اللون و الجنس و الدم ، و ذب في بوتقة الملة الحنيفية السمحة ، لتصير عنصراً جديداً ، فلا فروق ولا امتيازات ، ولا جنسيات و وطنيات ، و لا عصبيات و قوميات .

إلى متى تتمتع برفقة الطيور المغردة في الحديقة الفيحاء بين الأغصان الرطبة البليلة ، أليس بجناحيك قوة طيران الصقور المحلقة في الفضاء التي تنشئ أوكارها في الجبال الصوداء و الشماء .

إن يقين المسلم و إيمانه في عالم الظن والتخمين ، كمصباح الراهب في الصحراء في ظلمات الليل البهيم ، ما الذي أطاح بعروش كسرى و قيصر و قضى على ظلمهما و جورهما ؟ إنه قوة علي ، و فقر أبي ذر ، و صدق سلمان .

انظر إلى ركب المؤمنين الأحرار ، كيف يشق طريقه في أبهة و جمال ، و يتطلع إليه من شبابيك الأبواب أسرى القرون و الأجيال ، إنه لا ثبات و لا استقرار للحياة إلا بالايمان القوي الراسخ ، فقد ثبت أن الطوراني (١) أرسخ قدماً من الألماني .

إن هذه النسمة من طين ، عندما تتحلى بالايقان و اليقين ، تكتسي بجناحي

(١) إشارة إلى الشعب التركي المؤمن الباسل الذي كان يكافح في سبيل الإسلام و الشرق .

الروح الأمين ، و تطير بجناح فى العالمين .

إنه لا تغنى السيوف الصارمة ، و العقول الراجحة ، فى الرق و العبودية فتيلا ، و لا تتحطم سلاسل العبودية و أصفاد الذل و الصغار إلا بطعم الايمان و ذوق اليقين .

من الذى يستطيع أن يقدر قوة المؤمن و صولته ؟ إن نظرة منه و التفاتة تكفى لتغيير المقادير ، وقلب الأوضاع ، وحل الولاية و الصلاح والغلبة والسلطان ، و علم الأسماء و سعة الادراك ، إلا تفسيراً و لكلمة الايمان » .

و لكن البصيرة الابراهيمية لا تتأتى بسهولة . و لا توهب مجاناً ، فكم من الأهواء و الأطماع تختفى فى مسارب النفس و تكون لها اعشاشاً و أوكاراً .

ألا ! إن التمييز بين السيد والمسود ، و الحاكم و المحكوم دمار للانسانية وهدر لكرامتها ، فاحذروا أيها الجبابرة الطغاة ، فان بطش ربكم لشديد و إن عاقبة هذا الجور لوخيمة .

ومهما كان من شئ ، خلق من نار أو طين ، فان حقيقته واحدة ، فلو قطعت قلب الذرة التائهة فى الفضاء ، لسالت دماء البدر المنير .

ألا ! إن اليقين المحكم الجازم ، و العمل المستمر الحاسم ، و محبة الرسول الأعظم ، فاتح الشعوب والأمم ﷺ ، هى السيوف المسلولة بأيدى الرجال الأبطال فى معركة الحياة .

ماذا ينبغى أن يتحلى به الرجل ؟ قلب سليم ، و نبع صاف ، و دم حار ، و نظرة عميقة ، و نفس قلقة ، و لوعة طموحة .

أنت يا أيها المسلم سر « كن فيكون » فانكشف على نفسك قبل أن تكشف على غيرك ، وع يسرك لسرك ، و كن أمين « الذات » و ترجمان الرب ، فقد

قطع الهوى و الطمع في آدم اربا اربا ، و مزقهم شر ممزق ، فكن أنت – أيها المسلم – نغمة الأخوة الحانية ، و لسان المحبة البليغ .

ما هذه التفرقة البغيضة بين هندي و خراساني ، و إيراني و أفغاني ، فيا ملتزم الساحل و اللاصق إلى الشاطئ ، اقفز بنفسك في خضم البحر فلا تحدك حدود ، ولا تمسك قيود ، لقد يرى على جناحيك غبار اللون و النسل و الوطن ، فرفرف بجناحيك يا طائر الحرم قبل أن تحلق في الفضاء وانفض عنك هذا الغبار .

اسبر – أيها الجاهل – اغوار « الذات » وانزل في الأعماق فانها سر الحياة ، و ارفع عن نفسك نير الصباح و المساء ، و حطم قيود الزمن ، و كن خالداً سرمداً أبداً .

إذا صادفتك معركة الحياة فكن لها حديداً صلباً ، و إذا غازلتك ليلة الحب فكن لها حريراً ناعماً ، شق لك الطريق في اليباب القفار ، و حطم الجبال بسيلك العرم و تيارك العنيف ، و إن اعترضتك حديقة في الطريق فناغها بجدولك الجميل المنساب الذي له خرير يسكر النفوس و يسبي الألباب .

إن علمك وحبك لا يعرفان الثغور والحدود ، ولا يعتريهما الزوال والفناء ، و ليس في قيثارة الكون أغنية أحلى منك .

لا يزال الانسان إلى يومنا هذا فريسة بائسة في يد الملوكية العاتية ، ياللهول هذا الواقع المرير أن يفترس الانسان بني جلدته ، وأعضاء أسرته ، إن بريق الحضارة الغربية يخلب الأبصار ويدهش العيون ، ولكنه – والله – صناعة مزورة بفصوص مزيفة ، إن العقل و الذكاء الذي يتباهى به عقلاء الغرب و فلاسفته ليس إلا سيفاً قاطعاً في مخالب الشره و الهوى و العدوانية ، ولا يمكن أن تقوم في العالم مدنية محكمة البنيان بالحيلة والدهاء إذا كان أساسها على حب المال و التجارة بالملة .

لوا — و إن هذا الانسان الذي خلق من طين لبحن بجيد و الا بارزة، وإن حياته بعمله وجده وكفاحه آخذه إلى الطريق الجد وإما إلى طريق التاريخ

ظم البلابل عروش التغريد و انفح في الطيور الخفقة في النشاط ، و افتح أكمام الزهور و الرياحين ، فأحيا نسيم السحر و تمطى الروضة الندية .

لقد التهبت جمرة الحب في النخوة في آسيا كرة ثانية ؛ و أصبحت الأرض حلبة الفرسان من الشعب التركي الجبيرة و الأبطال الشم ذوى الهمة القعساء و النظر البعيد .

فدت نفسي و ما ملكت يمينى — فوارس صدقت فيهم ظنوني
فوارس لا يملون المنايا — إذا دارت رحى الحرب الزبون (١)

---

(١) اجتمعا المقال الأخير بوطن الشاعر محاشى على أبي الغول الطهوى ، أبدى المذكور منه إقبال إعجابه بهما أمام الموقف لأنها يدلان على واقعية شعرية و سبب العروبة ...

الدعوة الإسلامية

الايمان نفحة إلهية يهديها الله لمن شاء من عباده

سماحة الأستاذ الدكتور عبد الله عبد القادر بلفقية الحسيني
رئيس المجلس الأعلى لشئون الفتوى والدعوة باندونيسيا

كان بنو النضير حلفاء الخزرج ، وكانوا يجاورون المدينة التي هاجر إليها الرسول ﷺ ، و كان بينهم و بين المسلمين تعاهد على الأمان و حرية التدين ، ولكنهم لم يلبثوا أن دفعهم الحنق والحسد من انتصارات المسلمين على كفار قريش إلى أن نقضوا أيمانهم ونقضوا عهدهم مع المسلمين ، و تجلى ذلك في تآمرهم على قتل الرسول بإلقاء صخرة عليه وهو جالس إليها بينهم وفي ديارهم ، فألهمه الله ما أخفوا من الغدر و ما بيتوا من الخيانة ، فأخذ النبي ﷺ يحتاط لنفسه و لمن معه من أصحابه ، و رأى أن الحزم ، وهو يكون دولة ، و ينشر ديناً ، و يدعو الناس إلى رسالة ، يقضي بسرعة الضرب على أيدي من يعرفهم بالغدر و الخيانة ، و يعرفهم بالشر و الافساد ، رأى ذلك حرصاً منه على الأمن و السلام و صمم على تطهير المدينة منهم ، حتى يأمن جانب فتنتهم ، فطلب خروجهم منها ، و أوعز المنافقون إليهم بالبقاء و عصيان الأمر ، و قالوا لهم : لا تخرجوا ، و سنقاتل معكم ونداقع عنكم ، و لا نطيع فيكم أحداً أبداً .

★★★

استمعوا إلى رأي المنافقين ، و الله يشهد إن المنافقين لكاذبون ، و امتنعوا عن الخروج ، فحاصرهم جيش الايمان في حصونهم التي ظنوا أنها مانعتهم ، و تخلى عنهم المنافقون وتم جلاؤهم عن المدينة ، و نزل فريق منهم بخيبر ، وكان على رأس

هذا الفريق رئيس يدبر أمره هو « أبو رافع سلام بن أبي الحقيق » و كان أبو رافع هذا ذا ثروة طائلة، فأخذ يستميل بها القلوب، ويستهوى بها النفوس، ويؤلب بها على الرسول و صحبه حتى يضطرب فى المدينة حبل الأمن عليهم ، و تشتعل نار العداوة و البغضاء بين سكانها وتنفصم عرى وحدتهم ويفسد عهد تآخيهم ، وعندئذ تتهيأ له الفرص لما يريد من شر و إفساد .

أدرك الرسول ﷺ كل ذلك بنافذ فكرته و بعد سياسته ، فندب له خمسة من أبطال المؤمنين ، و كلهم من الخزرج حلفاء بنى النضير ، و أمر عليهم منهم رجلا جلداً ، و شاباً قوياً ، تذوب نفسه فى إيمانه و هو « عبد الله بن عتيك » و أوصاهم الرسول بألا يقتلوا امرأة و لا وليداً ، و خرجوا إلى خيبر ، تدفعهم قوة الايمان إلى التضحية بالنفس فى سبيل الله ، وفى مكمن قريب من حصن أبى رافع ، المليق بالمدد و العدد ، المحاط بأسوار من الحديد و النار ، جلس الخمسة يتشاورون فى الأمر ، كيف ينفذون إليه ، و ماذا هم صانعون فى مناعة الحصن ، و فى بطولة حراسة ، و خبرتهم بالحروب ، وفى أن الحراس يلهون مع صاحبهم طول الليل ، و لا يتركونه إلا فى الهزيع الأخير منه .

و بينما هم يتحدثون بمثل هذه المثبطات ليرسلوا طريق الخلاص وطريق القيام بالواجب الذى حملوه من الرسول وعاهدوا أنفسهم عليه إذ صاح فيهم البطل المؤمن رئيسهم « عبد الله بن عتيك » : دعكم من ذلكم كله ، و لتكن فى حراسته جميع شياطين الأرض ، فانا قاتلوه إن شاء الله ، لقد آمنا بالله و رسوله و آمنا بأن أبا رافع عدو الله و رسوله ، وقد اشترى الله منا النفوس و الأموال بأن لنا الجنة ، فاجلسوا مكانكم وخذوا حذركم ، و انطلق عبد الله إلى الحصن ، انطلق إلى فريسته مجرداً من كل شيئ إلا سيفه و إيمانه ، انطلق كالصاعقة يرسلها رب السماء ، القوى

القاهر ، فلا تعرف غير مهمتها التى أرسلت إليها ، و استطاع عبد الله أن ينفذ إلى داخل الحصن رغم الأسوار و الحراس ، و اتخذ له مكمناً قريباً من الباب الأول ، و ظل فيه حتى نام الحراس و هدأت الأنفاس ، فنهض من مكمنه ، وأخذ المفاتيح من جانب البواب ، و أخذ يفتح بها الأبواب باباً باباً ، و كلما فتح باباً أغلقه من الداخل حتى انتهى إلى أبى رافع ، وهنا تفكر فى وصية الرسول « لا تقتلوا وليداً و لا امرأة » و خاف أن يكون مع أبى رافع وليد أو زوجة أحد ، فنادى يا أبا رافع ، و على صوت الاجابة أهوى بسيفه فلم يغن شيئاً ، فعرفت امرأته صاحب الصوت ، فقالت بصوت مضطرب ، هذا صوت ابن عتيك ، فقال لها أبو رافع : ثكلتك أمك ، وأين منا الآن ابن عتيك ؟ فعاد عبد الله للنداء مرة ثانية ، مغيراً صوته ، قائلا : ما هذا الصوت الذى نسمعه يا أبا رافع موهما أنه أحد حراسه ، فصاح به وقال لأمك الويل ، أين أنت ورجل فى البيت يضربنى بالسيف ، و على الصوت ضرب عبد الله أخرى ، و كانت كالأولى فلم تغن شيئاً ، و لبث عبد الله قليلا ، ثم أقبل عليه بنفسه ثالثة كالمغيث ، فوجده مستلقياً على ظهره ، فوضع السيف فى بطنه و لم ينزعه حتى سمع صوت العظام و هى تتحطم وكانت القاضية ، و خرج عبد الله و نور إيمانه يهديه إلى الباب الخارجى .

و بينما هو يقفز الدرج إذ انزلقت إحدى رجليه ، فانكسرت فعصبها بعمامته حتى وصل إلى أصحابه وهم جلوس فى مكانهم ، فزف إليهم البشرى ، ثم انتهوا إلى رسول الله ﷺ و حدثوه فأشرق وجهه ، وطابت نفسه ، وقال لعبد الله : ابسط رجلك ، فمسحها عليه السلام بيده الكريمة ، قال عبد الله : فكأنها والله لم تصب طول حياتها بسوء ، وهى والله أقوى رجلى ، و بذلك انكدرت شمس أبى رافع ، و طوى سجل حياته ، ولم ينفعه ماله الذى جمع و عدد ، و لم يغن عنه ماله وجا

كسب ، و كفى الله رسوله و المؤمنين شره .

و هكذا كانت البطولة التى غرسها الايمان فى قلوب المؤمنين الأولين ، ثم نمت فيهم شجرتها ، و أنضج ثمرتها تعاليم القرآن و إرشاده و آياته الحكيمة .

و إذا كان الايمان هو الذى غرس شجرة البطولة فى قلوب المؤمنين السالفين ، و القرآن هو الذى نماها و أنضج ثمرتها ، فالايمان نفحة إلهية يهديها الله لمن شاء من عباده فى كل عصر و فى كل مكان ، و لا تضن به الرحمة الالهية الكريمة على النفوس المستعدة ، و القلوب الحية التى تدرك سر الايمان و تدرك عزة المؤمنين ، و سواء فى ذلك السابقون و اللاحقون ، و الأولون و الآخرون .

و القرآن الذى كان لآياته الأثر الواضح فى تطهير نفوس الأولين من الجبن و الخور وضعف العزيمة ، و تحليتها بالشجاعة و الاقدام و التضحية فى سبيل ابتغاء مرضاة الله ، هو القرآن الذى نتلوه اليوم و نتدبره ، و قوته و أثره فى نفوس الآخرين ، هى قوته وأثره فى نفوس الأولين ، متى خلص الايمان وقوى الاستعداد ، و تجردت القلوب من الأهواء و المطامع ، و طهرت من الغايات و الشهوات .

جاء القرآن و هدفه إصلاح العالم ، و الارشاد إلى الصراط المستقيم صراط الأمن و السلام ، صراط تركيز الحق و العدالة ، صراط العمل المنتج ، صراط العزة الرفيعة و الحياة الطيبة ، و ربط كل ذلك بروح الشجاعة فى الحق ، وروح التضحية فى سبيل الاصلاح و التطهير ، وفى سبيل هذا يقول « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة و الانجيل و القرآن » (التوبة ١١١) .

و يقول « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » (النساء ٧٨) و يقول :

« الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان » (النساء ٧٦) .

و لعل ما هيأ الله للأمة الاسلامية اليوم على أيدى المؤمنين من أبنائها الذين عاهدوا الله على تخليصها من المفاسد ، و تطهيرها من المظالم والسير بها إلى صراطه المستقيم ، صراط العزة و المجد .

لعل هذا من أوضح المثل الأعلى على أن الايمان له فى اللاحقين ، و أثره فى السابقين ، و على أن القرآن هو معلم الانسانية و هاديها و مرشدها فى كل عصر وأمة ، « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً » (الاسراء ٩) فلنتخذه المرشد الذى لا يضل و القائد الذى لا ينحرف ، و لنرتقب بعد ذلك ما وعد الله المؤمنين من نصرة و عزة .

« و الذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة ، إنا لا نضيع أجر المصلحين » (الأعراف ١٨٠) .

مبادىء فى الأدب و الدعوة

((٨))

فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى
أستاذ بكلية الشريعة و الدراسات الاسلامية
قسم الدعوة والدراسات العليا ـ بمكة المكرمة

(٥)

منثورات فى عناصر الجمال الأدبى :

أولا ـ الأسلوب البيانى :

من عناصر الجمال الأدبى فى الكلام ملاءمة أسلوبه البيانى للأمور التالية:

ألف ـ للهدف العام من الكلام .

ب ـ للمضمون الفكرى فى الموضوع العام الذى يجرى فيه الكلام ، و فى الفكرة الخاصة التى يتحدث عنها .

ج ـ لوضع المخاطب و حالته الفكرية و النفسية و الاجتماعية .

د ـ للمناخ النفسى العام الذى يلق فيه ، أو يوجه له ، فالمناخات النفسية كثيرة ، و لكل منها أسلوب بيانى يلائمه .

و للتوصل إلى الملاءمة المطلوبة التى هى عنصر مهم جداً من عناصر الجمال الأدبى لا بد من ملاحظة الأمور التالية بعناية و دقة :

١ـ ملاحظة حال المخاطبين أو الذين يوجه لهم الكلام ، وذلك بصفة عامة . و يدخل فى هذا ملاحظة بيئتهم العامة ، و مفاهيمهم السائدة بينهم .

٢ـ ملاحظة الحال النفسية و الفكرية و الاجتماعية التى يكون عليها المخاطبون بصفة عامة .

ويدخل فى هذا ملاحظة حالات السلم والحرب والأمن والخوف، وسعة الرزق و الجوع ، و النصر و الهزيمة و الايمان و الكفر و النفاق ، و الطمع واليأس ، و المسرة والحزن و الصفاء والكدر ، و نحو ذلك من الأحوال النفسية الخاصة ، التى يستدعى كل منها ما يلائمه من أساليب البيان .

و يدخل فى هذا أيضاً ملاحظة حالات الذكاء ، و الغباء ، و طمأنينة الفكر و اضطرابه ، و العلم و الجهل ، و نحو ذلك من الأحوال الفكرية التى يستدعى كل منها ما يلائمه من أساليب البيان .

و يدخل فى هذا أخيراً ملاحظة الحالات الاجتماعية ، كالبداوة و التحضر ، و الرفعة والضعة ، و القوة و الضعف ، و القيادة و الانقياد ، و نحو ذلك من الأحوال الاجتماعية التى يستدعى كل منها ما يلائمه من أساليب البيان .

٣ـ ملاحظة الظرفين الزمانى والمكانى اللذين يقال فيهما أو يعد لهما الكلام .

فمن الأساليب البيانية ما يلائم ظرفاً من الظروف الزمانية أو المكانية ، فى حين أنه قد لا يلائم ظرفاً آخر .

إن ما يلائم فى مواسم الأعياد، قد لا يلائم فى أوقات التحريض على الجهاد، و ما يلائم فى مكان الفرح لا يلائم فى مكان الترح ، و ما يلائم فى مواطن تأدية النسك قد لا يلائم فى أسواق البيع و الشراء ، و كذلك العكس ، و قس على هذه المتخالفات .

٤ـ ملاحظة المناخ النفسى العام ، فالمناخات النفسية كثيرة ، و لكل منها أسلوب بيانى يلائمه .

و من أمثلة المناخات النفسية : المناخ الخطابى، المناخ الحربى، المناخ العاطفى، مناخ السفر ، مناخ الحضر ، مناخ الخوف ، مناخ الطمع ، مناخ القلق ، مناخ الهدوء و السكينة ، مناخ الغضب ، مناخ الرضا ، مناخ التربية و التعليم ، مناخ الموعظة و الارشاد ، مناخ الخصومة و الجدل ، مناخ الطلب و الاستجداء، مناخ الدعاء ، و هكذا إلى مناخات كثيرة أخرى .

★ الشرح :

من المعلوم أن المتكلم الحكيم لا بد أن يكون ذا هدف من كلامه ، وللوصول إلى الهدف المقصود من القول أساليب بيانية كثيرة ، ولكل هدف أساليب تناسبه.

و ملاءمة الأسلوب البيانى للهدف من الكلام هى فيما أرى ركن أساسى و جوهرى لارتفاع مستوى الكلام الأدبى البليغ .

• فحين يكون غرض الكلام مثلا أن يحدث تأثيراً إقناعياً ، يكون الأسلوب البيانى الأكثر إقناعاً و تأثيراً فى هذا المجال ، هو الأكثر أدباً ، و الأرفع منزلة فى هذه الحالة .

• و حين يكون غرض الكلام أن يحدث انفعالا حماسياً ، و يستثير خلق الشجاعة والبسالة والاقدام ، يكون الأسلوب البيانى الأكثر إثارة للحماسة واستثارة للبسالة و الشجاعة و الاقدام هو الأكثر أدباً ، و الأرفع منزلة فى هذه الحالة .

• و حين يكون غرض الكلام أن يثير الغضب أو يحدث الغيظ ، يكون الأسلوب البيانى الأكثر إثارة للغضب أو إحداثاً للغيظ ، هو الأكثر أدباً . والأرفع منزلة فى هذه الحالة .

فمن أرفع الأدب فى هذا المجال قول الله فى شأن المنافقين الذين إذا خلوا عضوا أناملهم غيظاً من المؤمنين « قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور » (١١٩ آل عمران / ٣) .

و قول الله تعالى بشأن المشركين الذين يكرهون ظهور الاسلام و انتصاره فى سورة (الصف ٦١) :

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون (٩) »

و لكن الاسلام قد عزل السباب و الشتائم عن أدبه ، و أوصى المسلمين بذلك ، فقال الله تعالى فى سورة (الأنعام) :

«ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا اللهعدواً بغير علم (١٠٨) »

كما عزل عن أدبه ما يسمى بالأدب المكشوف أو أدب الفراش ، و ستر القرآن عورات هذا المجال بالكنايات و العمومات « أو لامستم النساء » .

« زين للناس حب الشهوات من النساء » « و قد أفضى بعضكم إلى بعض » « من قبل أن تمسوهن » « من قبل أن يتماسا » « ما لم تمسوهن » « فلما تغشاها » « هن لباس لكم و أنتم لباس لهن »

• و حين يكون غرض الكلام تحقير من يوجه الكلام ضده ، أو السخرية منه ، يكون الأسلوب البيانى الأكثر تحقيقاً لهذه الغاية هو الأكثر أدباً ، والأرفع منزلة فى هذه الحالة ، بشرط أن لا يعكس الأثر على موجه الكلام .

• و حين يكون غرض الكلام أن يستعطف من يوجه له ، فيحرك لديه عاطفة الشفقة أو الرحمة ، أو يحرك لديه خلق الجود ، أو نحو ذالك ، يكون الأسلوب البيانى الأكثر تحقيقاً لهذه الغاية هو الأكثر أدباً ، و الأرفع منزلة فى هذه الحـالة .

• و حين يكون غرض الكلام التودد والتحبب لمن يوجه له الكلام ، يكون الأسلوب البيانى الأكثر تحقيقاً لهذه الغاية هو الأكثر أدباً والأرفع منزلة فى هذه الحالة

• وحين يكون غرض الكلام استرضاء من يوجه له الكلام صراحة أو ضمناً، فى دافع من دوافع نفسه، كالكبر، أو العجب بالنفس، فى جمال، أو علم، أو حسب، أو نسب، أو مكانة اجتماعية، أو قدرة إدارية، أو حكمة أو حنكة، أو غير ذلك، يكون الأسلوب البيانى الأكثر تحقيقاً لهذه الغاية هو الأكثر أدباً و الأرفع منزلة فى هذه الحالة.

و هكذا فى سائر أغراض الكلام.

ولكل غرض من أغراض الكلام أساليب تناسبه، فما يصلح فى مجال الحماسة لايصلح فى مجال الاقناع، و ما يحلو فى الخطابة لا يحسن فى مقام التعزية، و ما يحسن فى الجدل لايحسن فى مقام الاعتذار، و ما يلائم بث الوجد، قد لا يلائم استجداء الرفد، و ما يناسب المدح قد لا يناسب الهجاء.

و ذوق الأديب البليغ البارع يحس بوجوه الملاءمة أو عدمها بين أساليب الكلام و بين الأهداف منه، فيتحرى أفضل الأساليب ملاءمة للهدف الذى يقصده من كلامـــه.

و لاغرو أن بعض الأساليب الملائمة للهدف أكثر ملاءمة و أعظم تأثيراً من بعض.

ثم لكل صنف من أصناف المخاطبين، و لكل حال من أحوالهم الفكرية و النفسية و الاجتماعية، أساليب ملائمة، و أساليب غير ملائمة، و على المتكلم البليغ أن ينظر فى صنف من يريد توجيه كلامه له، و أن ينظر فى حالته الفكرية و النفسية و الاجتماعية، و يحسن اختيار الأسلوب الكلامى الذى يلائمه ويؤثر فيه فرداً كان أو جماعة.

فمن أصناف الناس، عامة وخاصة، و جاهلون و علماء، و أغبياء وأذكياء،

و حكماء و أمراء ، و بداة جفاة ، و متحضرون ، و أهل حلم و عقل ، و أهل خفة و طيش ، و منهم من يملك من طريق عاطفته ، و منهم من يملك من طريق عقله .

و هكذا تختلف أصناف الناس اختلافاً كثيراً ، و لكل صنف منهم أساليب من القول تلائمه ، و تكون أكثر تأثيراً فيه من أساليب أخرى .

و نظير اختلاف الناس اختلاف أحوالهم الفكرية و النفسية و الاجتماعية ، فما يلائم الانسان وهو هادىء الفكر ، قد لا يلائمه وهو مشوش الفكر مضطربه ، و ما يلائمه و هو فى حالة الرضا ، قد لا يلائمه و هو فى حالة الغضب ، و ما يلائمه و هو فقير ذليل قد لا يلائمه و هو فى سعة من المال و عز ، و ما يصلح له من الخطاب و هو وحده قد لا يصلح له و هو بين الناس .

وهكذا إلى سائر اختلاف الأحوال ، ولكل حال أساليب من القول مناسبة ، و بعضها أكثر مناسبة و ملاءمة و تأثيراً من بعض .

وفى هذا المجال الذى تختلف فيه أهداف الكلام ، وتختلف فيه أصناف المخاطبين . و تختلف فيه أحوالهم ، تتفاوت مراتب البلغاء و البيانيين .

★ ما هو المراد من الأسلوب البيانى ؟

قد لا نستطيع حصر الأساليب البيانية وإن حاولنا ذلك ، و لكننا نستطيع توضيح المراد من الأسلوب البيانى بذكر طائفة من الأساليب الكلامية التى إذا كانت ملائمة للغرض العام من الكلام ، وللوضع العام للمخاطب ، والحال الخاص له ، والمناخ النفسى العام ، كانت أسلوباً بيانياً مرتقياً فى معارج البلاغة الراقية والأدب الرفيع .

★ فمن الأساليب الكلامية ما يلى :

ألف ـ أسلوب العرض المباشر الصريح للفكرة المراد الاعلام بها .

ب ـ أسلوب العرض غير المباشر، الذى يعتمد فيه على مقدار ذكاء المخاطب، و يدخل فى أسلوب العرض غير المباشر التعريض والتلميح ، ومعاريض الأقوال ، و الاشارة الخفية ، و فحوى الكلام ، و لهذا الأسلوب صور كثيرة جداً .

ج ـ أسلوب الاطناب وعرض الفكرة مبسطة موضحة من كل جوانبها، ولهذا الأسلوب مراتب و صور كثيرة ، و هذا الأسلوب يناسب أصنافاً من النـاس ، و أغراضاً معينة من الكلام ، و أحوالا خاصة للمخاطبين .

د ـ أسلوب الايجاز و الاختصار ، و لهذا الأسلوب أيضاً مراتب و صور كثيرة وأسلوب الايجاز والاختصار يناسب أصنافاً من الناس ، كالأذكياء ، والأمراء ، و أحداثاً معينة من الكلام ، و أحوالا خاصة للمخاطبين .

هـ ـ أسلوب الترغيب ، و له مراتب و صور كثيرة ، و هو فى الغالب يلائم معظم النفوس الانسانية ، لما أودع الله فيها من مطامع .

و ـ أسلوب الترهيب ، و له أيضاً مراتب و صور ، و هو كأسلوب الترغيب يلائم فى الغالب معظم النفوس الانسانية ، لما أودع الله فيها من حذر و خوف .

ز ـ أسلوب العنف و القسوة ، و هو يلائم بعض الناس و فى بعض الأحوال .

ح ـ أسلوب الرقة و اللين .

ط ـ أسلوب الاثارة للعواطف و الانفعالات ، و كثيراً ما يكون هذا الأسلوب نافعاً و مجدياً فى الحماسة و الخطابة .

ى ـ أسلوب الاقناع الفكرى الهادى .

ك ـ أسلوب الجدل .

لى ـ أسلوب الكتابة التقنينية و الكتابة العلمية المحررة ، و المحددة للقاصد بنصوص بعيدة عن الاحتمالات الأخرى .

و هكذا تختلف أساليب الكلام ، و كل منها يناسب أهدافاً معينة ، وأصنافاً معينة من الناس ، و أحوالا خاصة للمخاطبين، و مناخات نفسية عامة ، وقد يجتمع عدد من أساليب الكلام فى كلام واحد ، حينما لا تكون متنافية ، أو يلائم بعضها بعضـــاً

★ مثـــال :

و لتقريب فكرة اختلاف الأساليب البيانية التى يتوخى منها تحقيق الغرض من الكلام ، و يراعى فيها أوضاع المخاطبين و أحوالهم ، نضرب المثال التالى :

نضع فى هذا المثال مطلباً من المطالب التى قد يراد الاعلام بها ، بغية تحقيقها ، ثم ننظر إلى طائفة من الأساليب الكلامية التى يمكن أن يتوصل بها إلى الاعلام بالمطلوب .

و هنا لابد أن نرى من الأساليب ما هو ساذج صريح ، يتناول الطلب مباشرة ، ثم نرى من الأساليب ما يدل على المطلوب دلالة غير مباشرة، و يعتمد فيها على ذكاء المخاطب و قدرته على إدراك المطلوب ، من خلال إشارات القول و معـــاريضـــه .

و من المسلم به أنه كلما كان المخاطب أكثر ذكاء و رغبة بتلبية الطلب ، كان إخفاء الاشارة إلى الطلب فى أسلوب القول الدال عليه لدى مخاطبته أعلى منزلة من الناحية البيانية، وأكثر بلاغة ، هذا فى غير النصوص التى يقصد منها تثبيت أحكام بعيدة عن الاحتمال الذى قد يفهم منه غير المراد .

و هنا تتكاثر الأساليب التى تشير فى خفاء إلى المطلوب ، و بعضها أرق من

بعض ، أو أعذب و أحلى ، أو أبدع أو أكثر نفعا و تأثيراً .

و لنفرض أن عدداً من الناس كل واحد منهم يريد الحصول على كأس ماء يروى ظمأه ، وهم متفاوتون فى قدراتهم البيانية ، وحاول كل واحد منهم الاعلام بما يريد .

أما الساذج منهم فيأمر امراً مباشراً باحضار كأس الماء الذى يريد ، بطريقة لا لين فيها و لا تطرية و لا حلية ، و قد يكون هذا الأسلوب هو الأبلغ فى مخاطبة بعض الناس ، و فى بعض الأحوال و الأوضاع ، لا سيما فى طلب الأكبر من الأصغر ، فالأسلوب البيانى الأبلغ حينئذ هو الطلب بالأمر المباشر ، والأوامر العسكرية من القادة إلى الجنود قد لا ينفع فيها مثل هذا الأسلوب المباشر الجاف ، لمقتضيات التدريب على الانضباط العسكرى ، و كذلك شأن القرارات و المراسيم و الأوامر التى توجهها سلطات الحكم ، و من هذا الباب التكاليف الشرعية التى فيها أوامر و نواه ، مثل : « أقيموا الصلاة ، وآتو الزكاة ، وافعلو الخير ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا » ومع ذلك فاننا نلاحظ معظم التكاليف الشرعية تقترن بنظرية الترغيب و الترهيب و بيان الحكمة و التمهيد بالمقدمات ، و التلطف بالنداء التكريمى ، مثل : « يا أيها الذين آمنوا » ومثل « يا عبادى » وترتقى من فوق الأمر المباشر الجاف أساليب الاعلام بالطلب ، فيأتى أسلوب الطلب المقترن بما يشعر بتكريم المخاطب ، و من أمثلة ذلك فى موضوع طلب كأس الماء « من فضلك أعطنى كأس ماء » .

ثم يأتى فوقه أسلوب الشكر على تحقيق المطلوب قبل تحقيقه ، و من أمثلة ذلك : « أشكرك على كأس الماء الذى ستقدمه لى »

ثم يأتى من فوق ذلك أسلوب التلميح والتعريض ، ولهذا الأسلوب صور كثيرة ، و درجات بعضها أرقى و أعذب من بعض ، و من أمثلة هذا الأسلوب :

١- ماؤكم عذب لا يشبع منه الشاربون .

٢ـ الحر شديد يورث الظمأ .

٣ـ طعامكم طيب و لذيذ أكثرنا منه فألهب الأكباد .

وهكذا من أمثلة المعاريض التى لا تحصر .

ألسنا نلاحظ أن الهدف المطلوب تحقيقه واحد فى كل الأساليب السابقة، إلا أن الأساليب البيانية للاعلام بالهدف رقة تفاوتت تفاوتاً كثيراً .

و مع تفاوت الأساليب البيانية ، وارتقاء بعضها فوق بعض ، تؤكد أنه ربما كان الأدنى منها أصلح و أجدى من الأساليب التى هى أرقى ، مع بعض المخاطبين ، أو فى أوضاع و أحوال خاصة ، أو فى موضوعات معينة ، أو بالنسبة إلى أهداف خاصة من الكلام . وعندئذ يكون الأدنى فى أسلوبه البيانى هو الأبلغ لتحقيق الهدف ، كشأن أساليب التربية .

و من أجل ذلك لا بد من النظر إلى الأسلوب البيانى و مرتبته من جهة ، و إلى ما يقتضيه الهدف و وضع المخاطب و حاله من جهة أخرى .

ومن هذا يتبين لنا أن الأساليب البيانية تختلف أنواعها اختلافاً كثيراً ، وأن الأهداف من الكلام ، و أوضاع المخاطبين و أحوالهم ، و الموضوعات العامة التى يجرى فيها الكلام ، و المضامين الفكرية التى يراد الدلالة عليها و المناخات النفسية و الاجتماعية التى يوجه فيها الكلام ، تختلف اختلافاً كثيراً أيضاً .

فالبليغ حقاً هو الذى يحسن الملاءمة بين أسلوبه البيانى ، وبين الهدف الذى يقصده والموضوع الذى يتحدث فيه ، ووضع المخاطب الذى يوجه له كلامه ، وحاله التى هو عليها ، وسائر الأمور التى يمكن أن يلائمها أسلوب من الكلام و لا يلائمها أسلوب آخر .

و لا بد من الاشارة هنا إلى أن هذه الملاءمة فى الأسلوب البيانى ، ليست هى كل شئ ، فى تحديد الجمال الأدبى ، بل توجد عناصر جمالية أخرى كثيرة ، قد يشتمل عليها الكلام أو لا يشتمل عليها مع مراعاة الملاءمة فى الأسلوب البيانى .

و نظرة فى مختلف الأساليب البيانية تجعلنا نمر على أسلوب العرض المباشر الجاف ، فأسلوب العرض المباشر المغلف بما يلطفه و يخفف جفافه ، و نمر على الأسلوب الساذج البسيط ، فما هو قريب منه ، وقد يلطف العرض المباشر التشبيه و التمثيل ، والمحسنات اللفظية ، وأنواع من الزينة المعنوية ، ودعم الخبر بالمؤكدات و الشواهد ، و دعم الطلب بالمبررات و الترغيب و الترهيب .

ثم نمر على أساليب العرض غير المباشر ، التى يدخل فيها التعريض ، والتلميح و الكناية ، و القصة ، و ضرب الأمثال ، و ترك صيغ الطلب إلى صيغ الخبر الذى يراد منه الطلب ، إلى غير ذلك من الأساليب البيانية الكثيرة التى لا يعرض فيها المطلوب بشكل مباشر ، وقد يقترن أسلوب العرض غير المباشر بما يؤكد الخبر الذى تضمنه الكلام ، أو بما يحرض على تحقيق المطلوب فى الكلام ، كالترغيب والترهيب .

و أصحاب الذوق البيانى الرفيع يحسنون استخدام الفنون البلاغية التى يذكرها علماء البلاغة ، وفنوناً أخرى يبتكرونها ، فالفنون البيانية لا تحصى ، والفكر الانسانى مؤهل لأن يبتكر فيها بدائع وروائع جديدة ، تهديه إلى خصائص الابداع الفنى التى وهبها الله للانسان .

و الدعاة إلى الله مطالبون بتدريب أنفسهم لاكتساب هذا الذوق البيانى ، ولاكتساب المهارة فى صناعة الكلام الرفيع ، ثم هم مطالبون بتسخير أدبهم فى دعوتهم إلى سبيل ربهم ، اقتداء بنبيهم ورسولهم محمد ﷺ ، و اقتباساً من المنهج القرآنى فى بلاغته العظيمة .

—:([يتبع]):—

دراسات وأبحاث

معتقدات المسيحيين فى شأن سيدنا المسيح عليه السلام

: :

بقلم : فضيلة الأستاذ محمد تقى العثمانى
رئيس تحرير مجلة « البلاغ » الشهرية ، كراتشى (باكستان)
تعريب : الأستاذ نور عالم الندوى

خلاصة المعتقدات المسيحية فيما يتعلق بسيدنا المسيح عليه السلام أن كلمة الله (أى أقنوم الابن) قد حلت من أجل سعادة البشر وفلاحه، فى الكيان البشرى لسيدنا المسيح، و ظل الأقنوم الالهى حالا فى جسم المسيح ما كان فى الدنيا، إلى أن صلبته اليهود، فانفصل عنه الأقنوم الالهى، ثم قام من قبره فى اليوم الثالث، و تراءى للحواريين، و أسدى إليهم بنصائح، ثم ذهب إلى السماء، و لما صلبته اليهود، كان ذلك كفارة لذنب المؤمنين بالمسيحية، ذلك الذى ركب مع طبيعتهم من أجل ما أخطأ آدم.

و هذه العقيدة، لها أربعة عناصر رئيسية :

١- عقيدة الحلول و التجسد (Incarnation)

٢- عقيدة المصلوبية (Crucifixion)

٣- عقيدة الانبعاث أو الحياة الثانية (Resurrection)

٤- عقيدة الافتداء و الكفارة (Redemption)

و سنتحدث عن كل منها بشئ من التفصيل.

عقيدة الحلول و التجسد :

جاءت عقيدة الحلول و التجسد أولا فى إنجيل « يوحنا » يستهل مؤلف هذا الانجيل ترجمة سيدنا المسيح بالكلمات الآتية :

« فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، و كان الكلمة الله ، هذا كان البدء عند الله » (١) .

و يستطرد قائلا :

« و الكلمة صار جسداً ، و حل بيننا ، و رأينا مجده مجداً ، كما لوحيد من الآب مملوءة نعمة و حقاً » (٢) .

و قد أسلفنا أن « الكلام » فى المسيحية عبارة عن أقنوم الابن الالهى ، وهو إله مستقل ، إذاً فكان معنى ما قاله « يوحنا » : أن صفة الله الكلامية ـ أى أقنوم الابن ـ قد تجسدت فى صورة المسيح عليه السلام .

يقول « مارس ريلتون » و هو يتناول هذه القضية بالشرح و التفسير :

« تقول العقيدة الكاثوليكية: إن الذات التى كانت إلهاً تحولت إنساناً ، بدون أن تفارق صفات الألوهية ، أى أنها فرضت على نفسها كيفيات كائننا نحن البشر ، الذى يتقيد بقيود الزمان و المكان ، و مكثت بين أظهرنا مدة » (٣) .

و كان روح القدس ـ فيما تعتقد المسيحية ـ هو القوة الموحدة لأقنوم « الابن » مع الكائن البشرى ليسوع المسيح عليه السلام ، و قد أسلفنا أن المراد من روح القدس فى المسيحية هو صفة الحب الالهية ، و على ذلك فكان معنى هذه العقيدة أن الله بما كان يحب عباده ، فأرسل أقنوم « الابن » إلى الدنيا عن طريق

(١) يوحنا ، ج ١ ص ١-٢ .
(٢) يوحنا ، ج ١ ص ١٤ .
(٣) Studies in christian doctrine, P. 28.

حبه ، حتى يكون كفارة لذنب الانسان (١) .

و الذى يجب أن يكون ملحوظاً بهذه المناسبة بصفة خاصة ، هو أن حلول « الابن » فى المسيح عليه السلام عند المسيحيين ، لا يعنى أن « الابن » تحول إنساناً بعد مفارقته الألوهية ، و إنما يعنى أنه كان من ذى قبل إلهاً فقط ، فصار الآن بالاضافة إلى ذلك إنساناً كذلك .

و إذاً فقد كان المسيح ـ كما تقرر هذه العقيدة ـ إلهاً و إنساناً فى وقت واحد ، و معاً ، و ذلك ما بينه « ألفرد ، إى ، جاروى » بما يأتى :

« إنه (أى المسيح عليه السلام) كان فى الواقع إلهاً و إنساناً معاً ، و عن إنكار إحدى مكانتيه هاتين ، أو إنكار اتحادهما فى شخصه ، نشأت شتى النظريات المبتدعة ، و قد أيد « اتهانى شيس » هذه النظرية بكل قوة ، ضد « آريوس » فالنظرية المقبولة إذاً : أن شخصية المسيح الواحدة قد اجتمعت فيها ماهيتان » (٢) .

و كان المسيح عليه السلام بالقياس إلى بشريته أقل درجة من الله ، و من ثم قال ذات مرة :

« لأن أبى أعظم منى » (٣) .

و بالقياس إلى ذلك كان يتكيف بجميع الكيفيات البشرية .

أما بالقياس إلى ألوهيته فهو يساوى « الآب » رتبة ، جاء فى إنجيل « يوحنا » :

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٣٤ .

(٢) دائرة معارف الأديان والأخلاق ، ج ٣ ص ٥٨٦ ؛ مقالة « المسيحية » .

(٣) و الآية بكاملها : « سمعتم أنى قلت لكم أنا أذهب ثم آتى إليكم ، لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب ، لأن أبى أعظم منى » (يوحنا ١٤ : ٢٨) .

« أنا و الآب واحد » (١) .

و يضيف « آجستين » قائلا :

« و على هذا القياس ، فقد خلق الانسان بصفته إلهاً ، و كان مخلوقاً بصفته إنساناً » (٢) .

بل و يقول « آجستين » :

« بما أن الله لم يتمثل فى صورة العبد بحيث يتجرد من صفته التى يساوى فيها « الآب » ... فلكل واحد أن يعرف أن يسوع المسيح على صفته الالهية أفضل من نفسه ، و كذلك فعلى صفته البشرية أدنى من نفسه » (٣) .

وهناك سؤال يطرح نفسه بهذه المناسبة ، هو أنه كيف يمكن أن يكون شخص واحد إلهاً وإنساناً ، و خالقاً ومخلوقاً ، و أفضل وأدنى ؟ و قد ظل هذا السؤال هو الآخر مثل عقيدة التثليث موضع الجدال و النقاش عبر قرون ، و وضع على الاجابة عليه من الكتب ما أنشأ علماً مستقلا باسم علم المسيحية « (Christology) .

أما الكنيسة الكاثوليكية ، فانها تستدل و تتمسك فى الاجابة على هذا السؤال فى الأغلب بمختلف النصوص فى إنجيل « يوحنا » ، فكأن هذه العقيدة ثابتة عندها الدلائل المأثورة (٤) ، أما العقل ، فانها من أجل تقريبه إليه وإلى الفهم البشرى ، تقدم أمثلة ، فمن قائل يقول : إن هذا الاتحاد بين الله و الانسان كان كنقش فى

---

(١) يوحنا ، ١٠ : ٣٠ .

(٢) آجستين ، ج ٢ ، ص ٦٧٨ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) و ليراجع التفصيل فى هذه الدلائل المأثورة و النقد المشبع لها ، الباب الثالث من كتاب « إظهار الحق » للعلامة المحقق رحمة الله الكيرانوى .

خاتم (١) ، ومن قائل يقول : إن مثله كمثل صورة إنسان تنعكس في المرآة . ف أن النقش في الخاتم يعنى وجود شخصين في كيان واحد : الخاتم و النقش ، و أن إنعكاس الصورة في المرآة يتضمن وجود حقيقتين في شئ واحد : المرآة والصورة المنعكسة ، فكذلك حل أقنوم « الابن » في شخص المسيح عليه السلام البشرى ، فكانت شخصيته تتضمن حقيقتين : حقيقة الاله و حقيقة البشر ، غير أن هذا الاستدلال لم ينل القبول لدى معظم المفكرين المسيحيين (٢) .

و سنعرض فيما يلى بايجاز صورة للمحاولات التي قام بها مفكرون مسيحيون من مختلف الطبقات من أجل حل هذه القضية .

---

(١) راجع دائرة المعارف البريطانية ، ج ٢٢ ص ٤٧٩ ، مقالة « التثليث » ط : ١٩٥ م .

(٢) و ذلك أن أدنى تأمل يكفى لتبين ما فى هذا الاستدلال ـ الذى تمسكت به الكنيسة الكاثوليكية الرومية ـ من سطحية و وهن ، لأن النقش فى الخاتم ـ رغم اتصاله الظاهر بالخاتم ـ شئ مستقل عن الخاتم تماماً ، و لذلك فلا يقول أحد : إن الخاتم هو النقش ، أو أن النقش هو الخاتم ، و على العكس من ذلك فان المسيحية تعتقد أن المسيح عليه السلام بعد حلول أقنوم « الابن » فيه كان إلهاً ، و أن الله كان قد تحول إنساناً . . و كذلك فان صورة زيد المنعكسة فى المرآة شئ مستقل عن المرآة ، و من ثم فلا يقول أحد : إن المرآة هى زيد ، أو أن زيداً هو المرآة ، و بالعكس من ذلك فان المسيحية تقول : إن المسيح كان إلهاً منذ أن كان الله إنساناً ، إذاً فإن هذا المثال لا ينطبق على عقيدة الحلول والتجسد بشكل من الأشكال .

★ الذين رفضوا أن يؤمنوا بألوهية المسيح: كان منهم فرقة صرحت ـ حينما رأت منافذ الاجابة على هذا السؤال مسدودة ـ بخطأ القول بألوهية المسيح، و نصت على أن المسيح لم يكن إلا إنساناً، فلا ينشأ هذا السؤال المطروح للاجابة أصلا.

و قد أفاض الأستاذ «جامس ماك كينون» (James mackinon) فى كتابه القيم (From christ to constantine) فى الحديث عن أولئك المفكرين، و كان من رواد هذا الفكر ـ فيما يقول «ماك كينون» ـ «بولس الشمشاطى» (١) (Paul samosata) و «لوسيان» (٢)، يقول «ماك كينون»:

«كانا يريان أن يسوع المسيح كان مخلوقاً، ولكن الفارق بين وجهتى نظرهما أن «بولس» يرى أنه كان مجرد إنسان، تجلى فيه العقل الالهى غير الشخصى: و أما عند «لوسيان» و أتباع مدرسته، فقد كان كائناً سماوياً، أخرجه الله من العدم إلى حيز الوجود، وتجلى فيه العقل الالهى فى كيفيته الشخصيته، فكان يتمثل جسد بشرياً لدى الحلول، و لكن روحه لم تكن بشرية، و كانت مهمته أن

---

(١) قد ذكره العلامة ابن حزم باسم «بولس الشمشاطى» (الملل و النحل، ج ١، ص ٤٨) و كان بطريرك «انطاكيا» فيما بين الفترة ٢٦٠ ـ ٢٧٢م (انظر دائرة المعارف البريطانية، ج ١٧ ص ٣٩٨).

(٢) «لوسيان» (المتوفى ٣١٢م) كان من العلماء المسيحيين المعروفين، قضى حياته كلها فى الرهبنة، كانت نظرياته بين نظريات كل من بولس الشمشاطى، و آريوس، ولد فى «شمشاطة» لكنه أمضى معظم حياته فى «انطاكيا» (دائرة المعارف البريطانية، ج ١٤، ص ٤٦٠، مقالة «لوسيان»).

يقوم بتبليغ رسالة « الأب » غير أنه لم يكن الاله على الاطلاق ، و لا القديم الخالد » (١) .

فكأن « بولس » قد رفض عقيدة الحلول والتجسد أصلا ، و ذهب إلى أنه معنى حلول الله فى شخص المسيح أن الله قد حباه عقلا خاصاً ، أما «لوسيان» فانه لم ينكر عقيدة الحلول ، إنه أقر بأن صفة العلم الالهية قد حلت فى المسيح ، غير أن هذا الحلول لم يكن بحيث يجعل المسيح إلهاً ، خالقاً ، قديماً ، خالداً ، و رغم هذا الحلول ظل الله هو الخالق ، و المسيح مخلوقاً كالسابق تماماً .

و انطلاقاً من التفاعل مع نظريات « بولس » و «لوسيان» قد خاض المفكر الشهير « آريوس » (Arius) فى القرن الرابع المسيحى ، معركة حامية ضد الكنيسة المعاصرة ، مما أحدث ضجة كبيرة وصرخة مدوية فى العالم المسيحى ، وكانت خلاصة أفكاره فى هذا الخصوص ـ فيما يروى « ماك كينون » بألفاظه ـ كما يلى :

« كان «آريوس» يضغط على أن الله وحده هو القديم الخالد ، ولا يشاركه فى ذلك أحد ، إنه خلق « الابن » بعد أن لم يكن ، ولذلك فان « الابن » ليس قديماً ، و ليس الله هو « الأب » منذ الأزل ، و ذلك أنه قد مضى حين من الدهر لم يكن فيه « الابن » فى حيز الوجود ، إن « الابن » يحمل حقيقة مستقلة عن «الأب» و بالامكان أن تطرأ عليه تغيرات ، و ليس إلهاً فى حقيقة المعنى ، غير أنه يحمل قابلية « التكامل » و هو فعلا مخلوق مكتمل ، عقل أى عقل يوجد فى الجسم الانسانى الحقيق ، وعلى ذلك فان المسيح عنده يحمل ألوهية ثانوية ، وقل ـ إذا شئت ـ إنه شبه إله (Demi Dod) يحمل حظاً من صفات كل من الألوهية و البشرية ، و لكنه ليس إلهاً فى المعنى الاسمى » (٢) .

(١) From christ to constatine, LONDON, 1936 .

(٢) المصدر نفسه .

فكأن المسيح كانت حقيقته عنده كما قال الشاعر الفارسى :

« خلاصة القول إنك أقدس موجود بعد الله »

و قد نالت هذه النظريات قبولا غير عادى ، و لا سيما فى محيط الكنائس الشرقية ، فى العصر الذى عرض فيه آريوس هذه النظريات ، حتى ادعى «آريوس» بدوره أن الكنائس الشرقية كلها من تباعها .

غير أن الكنائس المركزية فى الاسكندرية و انطاكيا ، كان يسيطر عليها آنذاك « اليغزاندر » و « أغناطيوس » و من إليهما ، الذين كانوا لا يرضون للقضية حلا يمس ألوهية المسيح عليه السلام ، وبسبب المفهوم المتوارث لعقيدة الحلول بشق ، يدل على ذلك أن « قسطنطين » لما عقد فى ٣٢٥م مجلساً فى « نيقيا » لم يقتصر على نفى العقائد والأفكار الآريوسية نفياً باتاً ، بل أجلى آريوس عن وطنه كذلك .

★ الفرقة البولسية : ثم ظهرت فى القرن الخامس المسيحى « الفرقة البولسية » (Paulicians) التى تقدمت فى شأن المسيح برأى متوسط ، إنها صرحت بأن المسيح لم يكن إلهاً ، وإنما كان ملكاً من الملائكة ، أرسله الله فى الدنيا من أجل إصلاحها ، فولد من بطن مريم متمثلا صورة إنسان ، و بما أن الله قد كساه جلالا خاصاً من عنده فدعى « ابن الله »

و قد كانت هذه الفرقة صاحبة النفوذ فى الأغلب فى آسيا الصغرى ومناطق « أرمينيا » (١) لكنها لم تحظ بقبول عام ، لأنه لم يكن هناك دليل مأثور على كون المسيح ملكاً .

---

(١) راجع للاطلاع على تفاصيل معتقدات و أفكار هذه الفرقة مقالة (Paulicians) فى دائرة المعارف البريطانية ، ج ١٧ ص ٣٩٧ .

★ الفرقة النسطورية : ثم نهضت فى أواسط القرن الخامس الميلادى « الفرقة النسطورية » كان زعيمها « نسطوريوس » (Nestorius) - المتوفى ٤٥١م - الذى جاء من أجل حل القضية بفلسفة جديدة ، و هى أن جميع المشكلات الذى تعترض عقيدة الحلول و التجسد ، إنما ترجع إلى أن المسيح عليه السلام اعتبر شخصية ، ثم أثبتت لها حقيقتان : بشرية و إلهية ، فذهب نسطوريوس » إلى أن المسيح إله حقاً ، و إنسان حقاً كذلك ، غير أنه لا يصح أنه كان « شخصية » جمعت هاتين الحقيقتين ، بل الحقيقة أن ذات المسيح كانت تحمل شخصيتين: شخصية « الابن » و شخصية المسيح ، أو شخصية « ابن الله » وشخصية « ابن آدم » ، و الابن إله محض بينما المسيح إنسان محض .

كانت فلسفة الكنيسة الكاثوليكيه الرومية : « شخصية و حقيقتان » و بالعكس من ذلك كانت فلسفة « نسطوريوس » : « شخصيتان و حقيقتان » .. و فى ٤٣١م عقد فى مدينة « أفسس » (Ephese) مجمع من جميع الكنائس ، حرمت فيه هذه النظريات ، تحريماً قاطعاً ، وقوبل « نسطوريوس » من أجل ذلك بعقوبات الجلاء والأسر ، و اعتبر أتباعه مبتدعين ، ورغم ذلك فان هذه الفرقة لا تزال تتواجد حتى اليوم ، و خلاصة الجريمة التى أدين بها هو ، هى - فيما يقول الدكتور « بيطون باكر » (Bethune baker) - كما يلى :

« إنه فرق بين الحقيقة الالهية و الحقيقة الانسانية لسيدنا تفريقاً وزعه بين موجودين مستقلين .. .. إنه اعتبر « كلمة الله » شخصية مستقلة عن يسوع ، واعتبر « ابن الله » شخصية مستقلة عن ابن آدم » (١) .

---

(١) ويرى بعض المحققين المتأخرين - مثلا « بيطون باكر » - أن هذه التهمة قد وجهت إليه دون ما دليل ، و أن أفكاره و معتقداته لم تفهم على ما ◄

★ الفرقة اليعقوبية : و ظهرت فى القرن السادس المسيحى « الفرقة اليعقوبية » (Jacobite church) و لا يزال يتواجد نفوذها فى الشام و العراق ، كان زعيمها يعقوب البرذعانى (Jacabus ـ baradeus) ـ وكان مذهبه على عكس مذهب « آريوس » و « نسطوريوس » ، فكان نسطوريوس قد أثبت فى كائن المسيح عليه السلام « شخصيتين » بجانب «حقيقتين» و زعم يعقوب أن المسيح لم يكن شخصية واحدة فقط ، بل كان كذلك ذا حقيقة واحدة ، و هى الألوهية ، إنه لم يكن إلا إلهاً ، و إن كان يتراءى لنا فى هيئة إنسان ، و قد جاء بيـان نظرية هذه الفرقة فى « دائرة معـارف العائلة العالمية » بمـــا يلى :

« إنهم يثبتون أن الحقيقة الالهية و الحقيقة البشرية قد اتحدتا فى المسيح بحيث صارتا حقيقة واحدة » (١) .

و قد كانت هناك فرق أخرى اتخذت هذه النظرية بالاضافة إلى يعقوب البرذعانى ، و تسمى هذه الفرق « بالفرق المونوفيسية » (Monophysites) وكانت على قدم و ساق حتّى القرن السابع المسيحى (٢) .

❋ هى عليه . لكن البروفيسور « مارس ريلتون » رد على هذا الاعتراض ، وأيد حكم مجلس « أفسس » انظر Studies in christian doctrine, P. 102.

(١) « دائرة معـــارف العائلة العـــالمية » ج ١٠ ، ص ٢٦٣٨ ، ط : « نيو يورك » ١٩٥٧م .

(٢) و ذلك هو عصر فجر الاسلام ، و كانت هذه الفرق فى هذا العصر أهم مواضيع النقاش فى العالم المسيحى ، و قامت من أجلها اضطرابات كبيرة فى الشام وما إليها ، (انظر دائرة المعارف البريطانية ، ج ١٥ ، ص ٧٣٥ ، ط

★ التأويل الأخير : يتضح من البحث المسرود أعلاه ، ما كان من المفكرين المسيحيين من محاولات و مجهودات ، فى سبيل تفسير و شرح عقيدة الحلول و التجسد ، و تقريبها إلى العقل و الفهم ، و قد رأيت أن هذه المحاولات كلها جاءت حائدة عن معتقدات الكنيسة الكاثوليكية الرومية المركزية ، ولذلك فقد اعتبر المسئولون عن الكنيسة المركزية بدورهم ذلك « بدعة » أما الاجابة على أصل السؤال ، فقد ظل « الرجعيون » يقولون قولا واحداً ، إن عقيدة الحلول هى الأخرى سر مكنون يجب الايمان به ولا يمكن فهمه (انظر دائرة المعارف البريطانية) .

غير أن ذلك لم يكن ليستسيغه ذهن جاد ، لجاء فى العهد الأخير تأويل آخر من أجل تطبيق عقيدة الحلول مع العقل ، و خصيصة هذا التأويل أنه يؤيد مذهب الكنيسة الكاثوليكية الرومية الأصيل ، و يحاول أن يبقيه على ما هو عليه دونما مساس به ، و إن كان هذا التأويل قدمه بعض المفكرين القدامى كذلك ، و لكن البر و فيسور « مارس ريلتون » قد تحدث عنه فى إيضاح ، يقول :

« و مثل هذا الحلول ـ الذى تقول به الكنيسة الكاثوليكية الرومية ـ يمكن فهمه على الوجه الأكمل ، إذا لوحظ أن الطريق إلى ذلك كان قد تمهد عند ما خلق الانسان الأول ـ آدم ـ شبيهاً بالله (١) إن ذلك يدل دلالة واضحة على أن الله

** مقالة (Monophysites) مما يدل على أن القرآن الكريم ربما يكون قد أشار فى الآية الكريمة الآتية إلى هاتى الفرق « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم » .

(١) يشير « مارس ريلتون » إلى الجملة التى جاءت فى الكتاب المقدس « خلق الله الانسان على صورته » (التكوين ج ١ ص ٢٧) .

كان يوجد فيه منذ الأزل عنصر للانسانية ، وهذا العنصر الانسانى هو الذى عكس فى هيكل بنى آدم ، المخلوق ، على صورة ناقصة ، و إذاً فان الانسانية الصحيحة هى إنسانية الله ، و إن كانت الانسانية المحضة لا توجد إلا فى الآدمى ، لأنه مخلوق يحمل إنسانية ناقصة ، لن تتمثل فى صورة الله ، مهما طالت مدة مكوث الألوهية فى داخلهـــا » .

« و على ذلك فان الله لما تمثل إنساناً ، فان الانسانية التى اختارها لم تكن إنسانية مخلوقة توجد فينا ، و إنما كانت إنسانية حقيقية ، لا يملكها إلا الله وحده و قد خلقنا أشباهاً لها .. .. و أخيراً فان ذلك يعنى أن إنسانية يسوع المسيح لم تكن تلك التى نحسها فى وجودنا ، و إنما كانت إنسانية الله ، التى تختلف عن إنسانيتنا اختلاف الخالق عن المخلوق » (١) .

و جملة القول إن شخصية المسيح و إن كانت قد اجتمعت فيها ـ كما يقرر هذا التأويل الأخير ـ الحقيقه الالهية والحقيقة الانسانية كلتاهما ، غير أن الانسانية كانت هى الانسانية الالهية ، و لم تكن الانسانية الآدمية ، فلا مانع من تواجدهما معاً و فى وقت واحد .

ذلك هو التأويل الذى هو أكثر معقولية ، و أنفع نتيجة ، و أمنع من الاعتراضات ، ولا يصيب العقيدة الكاثوليكية بضرر كذلك ، غير أن العقلاء يمكنهم أن يدركوا مدى ثقل هذا التأويل (٢) .

---

(١) Studies in christain doctrine, P.P. 133, I44 .

(٢) و هذا التأويل يقوم على افتراض أن الله توجد فيه الانسانية الكاملة منذ الأزل ، و لكن هناك سؤال يتطلب الجواب بالحاح ، هو أنه ما هى هذه « الانسانية الالهية » ؟ هل هى تحمل تلك العوارض البشرية ، التى توجد فى

* *

فينا نحن البشر ؟ من جوع و عطش ، و سرور و حزن ، و ما إليه ، أم لا ؟ لئن كانت تحمل هذه العوارض فمعنى ذلك أن الله ـ ومعاذ الله ـ يصيبه الجوع و العطش ، و التعب و الراحة ، و تعرض له جميع عوارض الحدوث ، ومن البين أن ذلك لا يصح بداهة ، وإن الكنيسة الكاثوليكية بدورها لا تعتقد ذلك ، و لئن كانت « الانسانية الالهية » منزهة من هذه العوارض ، فلما كانت هذه العوارض توجد فى المسيح عليه السلام ، لماذا كان يصاب بالجوع و العطش ، و لماذا كان يعرض له السرور و الحزن ، ولماذا كان قد صاح من شدة الألم ، عند الصلب ـ فيما تزعم النصارى ـ؟ على حين أن إنسانيته ـ فيما يقول « مارس ريلتون » ـ لم تكن مثل إنسانيتنا ؟ و إنمـــا كانت « الانسانية الالهية » التى هى منزهة من هذه العوارض كلهـا !.

ثم إن هذا التأويل يعرب عن معنى عجيب لكون الانسان مخلوقاً مشابها لله ، و هو أن عنصراً للانسانية كان موجوداً فى الله منذ الأزل ، و أن صورة من هذه الانسانية قد عكست فى الانسان ـ على حين إن ألفاظ كتاب التكوين تلك لئن كانت إلهامية فى الواقع ، فانها لا تعنى على الأكثر إلا أن الله قد منح الانسان العلم و الشعور ، و علمه التمييز بين الخير والشر ، وحباه القدرة على فعل المعروف والمنكر ، والعلماء الكاثوليك بدورهم ظلوا يفسرون هذه العقيدة منذ قديم الزمان هذا التفسير ، ليس غير ، يقول « سانت آجستين » فى البـاب الثـالث و العشرين من الكتاب الثانى عشر من تأليفه الشهير (The city of God) :

ثم خلق الله الانسان مشابها له ، لأنه خلق للانسان روحاً أودعت فيها مواهب العقل و الفهم ، حتى يأتى أفضل من هواء الأرض و جميع مخلوقات البحر ؛ التى لم توهب هذه الأشياء» (آجستين ج ٢ ص ٢٠٥) .

★ عقيدة المصلوبية : (Crucificion)

وعقيدة المسيحية الثانية فيما يتعلق بالمسيح عليه السلام ، أن اليهود صلبته بأمر من « بيلاطش البنطى » بما حصلت منه وفاته .

و الشئ الذى يجب أن يكون ملحوظاً بصفة خاصة بهذه المناسبة فى شأن هذه العقيدة ، هو أن إجراء عملية الصلب لم يتم - على ما تراه معظم الفرق المسيحية - على أقنوم الابن الذى هو إله عندهم ، و إنما تمت هذه العملية على المظهر الانسانى لأقنوم الابن ، وهو المسيح عليه السلام ، الذى ليس إلهاً عندهم فى حقيقته الانسانية ، و إنما هو مخلوق (١) .

---

(١) وقصة صلب المسيح عليه السلام سردتها الأناجيل الأربعة الموجودة ، لكن القرآن الكريم قد نفى ذلك بكل قوة ، و نماه إلى سوء الفهم ، و صرح بأن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء ، و ستدرك صدق تصريح القرآن إدراكا كاملا عند ما تقرأ الباب الثانى من هذا الكتاب ، أو تقرأ البـاب الأول والباب الثانى من كتاب « إظهار الحق » لمولانا رحمة الله الكيرانوى ، فيتكشف الغبار عن حقيقة الأناجيل المتواجدة اليوم ، ولكن لابد من أن نشير هنا إلى أن صدق و حقيقة القرآن الكريم تتضح عفواً مع تقدم المعلومات البشرية .. منذ قرون اكتشف نسخة إنجيل « برناباس » الذى بين فيه « برناباس » فى القول الصريح الواضح للغاية أن عيسى عليه السلام لم يصلب ، و إنما صلب مكانه « يهوداه الاسكريوتى » و قد ظل السادة المسيحيون يزعمون أن هذا الانجيل من تـأليف مسلم ، غير أنه اكتشفت فى الأيام الأخيرة نسخة للإنجيل معزوة إلى « بطرس » جاء فيها التصريح بأن المسيح عليه السلام رفع إلى السماء قبيل إجراء عملية الصلب ، ...

★ الصليب المقدس : و بما أن صورة الصليب (†) تحمل أهمية قصوى عند المسيحيين من أجل عقيدة المصلوبية، فسوف لا تكون الاشارة إلى قصة ذلك خالية من الطرافة .

لم تكن هذه الصورة تحمل أهمية اجتماعية ما حتى القرن الرابع المسيحى ، و يحكى عن « قسطنطين » أنه رأى ـ وربما فى المنام ـ فى ٣١٢م ـ فى الأيام التى كان يحارب فيها أحد خصومه ـ فى السماء صورة الصليب، ثم فى ٣٢٦م التقطت أمه « سانت هيلانة » فى مكان صليباً ، تزعم النصارى أنه هو الصليب الذى صلب عليه المسيح ، و إحياءاً لذكرى هذه القصة يحتفل المسيحيون فى ٣/ مايو كل عام ، بعيد باسم « عيد اكتشاف الصليب » ومن ثم تحولت صورة الصليب شعار (Symbol) المسيحية ، وعاد المسيحيون يستخدمونها فى كل قومتهم وقعدتهم ، وحلهم وترحالهم ، يقول العالم المسيحى الشهير « ترتوليان » .

« بمناسبة كل حل و ترحال ، و ذهاب ومجئ ، و خلع نعال ، واغتسال ،

** وقد نقل مقالة إنجيل « بطرس » هذه « بلمان أستراتر » فى كتابه الشهير « الأناجيل الأربعة » (The four gospels) ص ٥ ، ط : ماك ملن نيو يورك ١٩٦١م .. و إن كان « استراتر » أوله بأن المراد من المسيح هنا هو شخصيته الالهية ، و لكنه ليس هناك دليل على ذلك فى ألفاظ « بطرس » و إنما هناك ما يدل على خلافه، حيث جاءت لبيان الرفع إلى السماء الصيغة المبنية للمفعول (Passive voice) و إن « استراتر » نفسه نقل الكلمات الآتية (He was taken off) مما يدل على أن رافعه كان غيره ، و من الواضح أنه لو كان المراد منه الله ، لقيل : إنه ارتفع إلى السماء ، أو أصعد فى السماء ، لأن الله لا يمكن أن يرفعه أحد .

و أكل ، و إيقاد شمع ، و نوم ، و جلوس ، وبالجملة بمناسبة كل حركة وسكون نصنع فوق حواجبنا صورة الصليب » (١) .

فما هو السبب فى كون الصليب مقدساً فى المسيحية؟ على حين أنه كان السبب فى إصابة المسيح عليه السلام ـ فيما يعتقدون ـ بالأذى ، و ما وجدنا إجابة على هذا السؤال فى كتابات أى عالم مسيحى ، ويبدو كأن قداسة الصليب ، ترجع إلى عقيدة « الكفارة » أعنى بما أن الصليب كان السبب عندهم فى التفكير و العفو عن ذنوبهم ، فلذلك يقدسونهم .

★ عقيدة الحياة الثانية : (Resurrection)

والعقيدة الثالثة فى شأن المسيح عليه السلام ، أنه قام من قبره فى اليوم الثالث بعد وفاته على الصليب ودفنه فى القبر ، ثم ذهب إلى السماء بعد ما أسدى إلى الحواريين تعليمات و إرشادات .

و قصة الحياة الثانية هذه مذكورة فى الأناجيل المعاصرة (٢) .

« يتبع »

---

(١) و هذا التاريخ فيما يتصل بالصليب ، مستفاد من دائرة المعارف البريطانية ، ج ٦ ، ص ٧٥٣ ، مقالة « الصليب » .

(٢) و قد تحدث العلامة رحمة الله الكيرانوى فى تفصيل و فى مواضع عديدة فى كتابه العظيم « إظهار الحق » عن هذه القصة ، وعدم استنادها إلى دليل ، والتضارب الذى تقسم به ، كل ذلك بدلائل مسهبة لامعة ، وكذلك سرد بالمناسبة جميع التفاصيل المتصلة بهذه العقيدة ، فليراجع الكتاب .

حركة الاستشراق فى ميزان العلم والتاريخ

محمد صدر الحسن الندوى

تاريخ حركة الاستشراق :

أدرك الغرب فى الحروب الصليبية أنه لا يستطيع أن يقهر المسلمين سياسياً وعسكرياً فقد انتصر المسلمون فى كثير من المعارك ونشأت فيهم مقاومة ، وانتعشت روح التصدى و الصمود ، فبدأ الغرب يفكر فى وسائل أخرى للتغلب على المسلمين ، و اكتشف وسيلة النيل من الاسلام ، و من هنا نشأت حركة الاشتراق ، كانت الحروب الصليبية قد أشعلت نار العداوة و الشحناء بين المسيحيين و المسلمين ، فاضطر المسيحيون إلى دراسة الاسلام على أوسع نطاق ليتعرضوا للاسلام تمهيداً للغزو الفكرى ، يقول المستشرق بكر : « إن هناك عداء من النصرانيين للاسلام بسبب أن الاسلام عند ما انتشر فى العصور الوسطى أقام سداً منيعاً فى وجه الاستعمار و انتشار النصرانية ، ثم امتد إلى البلاد التى كانت خاضعة لصولجانها » .

لا يمكن أن نحدد زمان قيام حركة الاستشراق ، لأن دراسة الاسلام فى العصور الوسطى كانت فى نطاق محدود ، كانت هذه الجهود شخصية ، لكننا نجد فى التاريخ آثار هذه الجهود ، يقول الأستاذ عمر عودة الخطيب : « من المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس فى إبان عظمتها وبجدها وتثقفوا فى مدارسها ، و من أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسى جربرت الذى انتخب بابا الكنيسة فى روما عام ٩٩٩م بعد تعلمه فى معاهد الأندلس و عودته إلى بلاده ، وبطرس المحترم

١٠٩٢–١١٥٦م وجير أردى كريمون ١١١٤–١١٨٧م (١) .

رغم وجود بعض الآثار التى نقلناها فى السطور السالفة لا نستطيع أن نعتبرها حركة الاستشراق فى معناه الشامل ، بل نستطيع أن نسميها دراسة فردية للاسلام ، لذلك يقول الدكتور محمد البهى فى كتابه الشهير : « لكن هـذه المحاولات كانت شخصية أو جماعية محدودة ،لكن برزت بشكل أكثر شمولا فى بعض البلاد الأوروبية خلال القرن الثالث عشر الميلادى ، و يكاد الدارسون لتاريخ الاستشراق يجمعون على أن انتشاره ظهر بصفة جدية بعد فترة ما يسمى فى التاريخ الأوروبى « عهد الاصلاح الدينى (٢) .

يطلق لفظ الاستشراق كمصطلح علمى على دراسة اللغة العربية والاسلام خاصة و دراسة جميع ديانات الشرق و عاداته وجغرافيته و تقاليده و أشهر لغاته عامة ، و العدد الأكبر من المستشرقين أساقفة ، و عدد كبير منهم يهود ديانة و جنسا ، و أعجبنى فى حركة الاستشراق قول الأستاذ عرفان عبد الحميـــد و هو يقول : « الاستشراق كمنهج عقلى تولد من أبوين غير شرعيين : التبشير الذى خطط له و الاستعمار الذى غذاه » (٣) .

★ دوافع الاشتراق :

إن المستشرقين الذين تصدوا لدراسة الاسلام و الاجادة فيها ، و أفنوا فيها أعمارهم كانت لهم دوافع دينية و علمية و سياسية و اقتصادية ، لكن الدافع الدينى التبشيرى كان غالباًعليهم وكان موقفهم موقف كره إزاء الاسلام ، يقول الأستاذ محمد أسد

(١) لمحات فى الثقافة الاسلامية ص ١٨٧ .

(٢) التفكير الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ٥٣٢ .

(٣) نظرات فى دراسة التاريخ الاسلامى للدكتور عبد الرحمن على الحجى ٣٥ .

فى كتابه : « إن موقف الأوروبى من الاسلام ليس موقف كره فى غير مبالاة فحسب ، كما هى الحال فى موقفه من سائر الأديان و الثقافات ، بل هو كره عميق الجذور يقوم فى الأكثر على صدور من التعصب الشـديد ، و هذا الكره ليس عقليا فحسب ، و لكنه يصطبغ بصبغة عاطفية قوية ، فيما يتعلق بهذين المذهبين ، بموقف عقلى متزن ومبنى على التفكير إلا أنها حالما تتجه إلى الاسلام يختل التوازن و يأخذ الميل العـاطفى بالتسرب ، حتى إن أبرز المستشرقين الأوربيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمى فى كتاباتهم عن الاسلام .

و يظهر فى جميع بحوثهم ـ على الأكثر ـ كما لو أن الاسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث فى البحث العلمى بل على أنه متهم يقف أمام قضاته ، إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعى العام الذى يحاول إثبات الجريمة وبعضهم يقوم مقام المحامى فى الدفاع ، فهو مع اقتناعه شخصياً باجرام موكله لا يستطيع أكثر من أن يطالب له مع شئ من الفتور اعتبار الأسباب المخففة .

و على الجملة فان طريقة الاستقراء و الاستنتاج التى يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش ، تلك الدواوين التى أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها فى العصور الوسطى ، ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذى يقصدون إليه مبدئياً ، و إذا تعذر عليهم الاختيار العرفى للشهود عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة التى شهد بها الشهود الحاضرون ثم فصلوها من المتن أو تأولوا الشهادات بروح غير علمى من سوء القصـد من غير أن ينسبوا قيمة إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر أى من قبل المسلمين أنفسهم » .

وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للاسلام وللامور الاسلامية تواجهنا فى جميع ما كتبه مستشرقو أوروبا ، و ليس ذلك قاصراً على بلد دون

آخر ، إنك تجده فى إنكلترا ، و ألمانيا ، فى الروسيـة و فرنسا ، و فى إيطاليا وهولنده ، وبكلمة واحدة : فى كل صقع يتجه المستشرقون فيه بأبصارهم نحوالاسلام ، و يظهر أنهم ينتشون بشئ من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصة - حقيقة أو خيالية - ينالون بها من الاسلام عن طريق النقد » (١) .

١- الدافع الدينى التبشيرى :

الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين هو الدافع الدينى ، فقد بدأه الرهبان والأساقفة الذين كان يهمم أن يطعنوا فى الاسلام ويحرفوا حقائقه الثابتة ، ويثبتوا بالدلائل الفارغة أن الاسلام دين لا يستحق الانتشار ، و شوهوا صورة المسلمين فى نظر الجماهير ، و أن المسلمين هم قوم لصوص وسفاكو دماء ، ويحثهم دينهم على الملذات الجسدية و يبعدهم عن كل سمو روحى .

و قد أحرزوا النجاح الملموس فى هذا الادعاء الكاذب ، و شوهدت آثاره فى المسلمين عامة ، و إلى هذه الحقيقة يشير المستشرق الانجليزى جب (Gib) يقول فى كتابه (إلى أين يتجه الاسلام) « Whither Islam » :

« إنه قد يبدو للنظرة الأولى أن الجمهرة العظمى من المسلمين لم تتأثر بمؤثرات دينية ، وأن التفكير الدينى الاسلامى قد ظل وثيق الاتصال بأصوله الدينية التقليدية ، و لكن ذلك ليس هو الحقيقة كلها ، فالواقع أن التعاليم الدينية و مظاهرها عند أشد المسلمين محافظة على الدين وتمسكا به قد أخذت فى التحول ببطء خلال القرن الماضى ، فان دخول عناصر جديدة على الحياة الاسلامية يقتضى لإبراز بعض تعليمات الدين و توجيه عناية أكبر لهـا و وضعها فى المكان الأول ، و وضع تعليمات أخرى فى مرتبة غير أساسية ، و إذا حدث هذا فمعناه : أن الموازين الدينيـة

(١) الاسلام على مفترق الطرق ص ٥٢ - ٥٤ .

و التعاليم الأخلاقية فى الاسلام آخذة فى التحول ، و أن هذا التحول يتجه نحو تقريبه من الموازين الغربية فى الأخلاق التى هى فى الوقت نفسه متمثلة فى التعاليم الأخلاقية للكنيسة المسيحية (١) .

٢- الدافع الاستعمارى السياسى .

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال البلدان الاسلامية ، فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد فى كل شئونها من عقيدة و عادات و أخلاق و ثروات ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها ، و إلى مواطن الضعف فيغتنموه ، و ذلك عن طريق التشكيك فى ما فى أيدينا من تراث إسلامى و من عقيدة و قيم أخلاقية .

يقول العلامة السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى مشيراً إلى هذا : « إن المستشرقين بصفة عامة كانوا رواد الدول الغربيـة فى الشرق ، و من واجبهم أن يمدوها بموادهم العلمية ، و كانوا مصادر مؤكـدة للغرب ، يطلع بها على تفاصيل و معلومات عن تقاليد الشعوب الشرقية و بلدان الشرق ، و عن طبيعتها ومعيشتها و لغاتها و آدابها ، حتى عواطفها و نفسياتها ، و ذلك ليتسنى للغرب أن يبسط نفوذه وسلطته فى الشرق (٢) .

و إذا نظرنا إلى خطتهم حول تطوير اللغـة العربية فى صالح الاستعمار ، تأخذنا الدهشة ، انظاروا إلى خطتهم .

«كان ماسينيون زعيم الحركة الرامية إلى الكتابة فى العامية وبالحرف اللاتينى تحقيقاً لهدف الحملة الاستعمارية التنصيرية التى ترمى إلى تقطيع أوصال العرب والمسلمين

---

(١) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين ج٢ ص ١٩٩ .

(٢) الصراع بين الفكرة الاسلامية و الفكرة الغربية ص ١٩٤ .

لا يمكن أن يتم ما دام هناك لغة واحدة يتكلمها العرب، ويعبر بها العرب والمسلمون عن آرائهم ، وما دام هناك حرف عربى يربط حاضر المسلمين إلى تراثهم الماضى، فاذا استطاعوا حمل المسلمين على التخلى عن الحرف العربى و إحلال الحرف اللاتينى مكانه، انقطعت صلة العرب و المسلمين بالقرآن الكريم و تراثهم الاسلامى و ذخائرهم اللغوية و الأدبية و التاريخية و الفكرية ، وحينئذ يصبح العرب وحدات لغوية فكرية غير متعارفة ، ثم تتنافر هذه الوحدات مع الزمن فيسهل إخضاعها بجهد يسير ، ويسهل بعد ذالك صبغهم - على مراحل - بالنصرانية و جعلهم شعوبا تابعة للحضارة الغربية ، و يتحقق لدى الغربيين ما يؤملون من القضاء على الاسلام و المسلمين (١) .

و إلى أى مدى تأثرت اللغة العربية بجهودهم و محاولاتهم تقول الكاتبة المسلمة مريم جميلة :

« و لم تستثن اللغة العربية من هذه المعاملة القاسية ، فمنذ قرن كامل تقريباً ، يحاول المستشرقون الأوروبيون و الارساليات المسيحية أن تقنع الأدباء و العلماء فى البلاد أن يعاملوا مع اللغة العربية معاملة الصينين مع لغتهم ، هى أن تبدل لغة القرآن الأدبية الرشيقة و لغة الحديث ، و جميع خزينة الآداب الاسلامية باللهجات المحلية ، وقد أحرزوا بعض النجاح فى هذا المضمار ، فكان الكاتب القبطى الدكتور سلامه موسى و أنصاره و مؤيدوه فى مصر و فى البلاد الناطقة بالضاد ، رائد حركة العامية مقابل العربية الفصحى ، وكذلك طالبوا باستخدام اللغة اللاتينية بكل حرية و عهد لاستئصال شأفة التراث الاسلامى الأدبى و التاريخى كله ، كما حدث فى تركيا على يد ضيا كوكب و كمال أتاتورك (٢) .

٣- الدافع العلمى المتزن

إن لبعض المستشرقين دافعاً علمياً بحتاً ، إنهم يحاولون العثور على التعاليم

---

(١) لمحات فى الثقافة الاسلامية ص ١٩٣ .

(٢) Western Imperialism menaces muslims P. 32

الاسلامية والقيم الروحية والأخلاقية ، التى تسمو بالانسان وترقى شخصية المسلمين ، إنهم يتوخون أن يتعرفوا على التاريخ الاسلامى المجيد و التراث الاسلامى التليد ، و يبحثون عن الحضارة الاسلامية فى مختلف عصورها بدافع علمى خالص ، لا يريدون تشويه صورة الاسلام ، بل يصورون الثقافة الاسلامية و الحضارة الاسلامية فى صورتها الأصلية ، و يعتمدون على الكتب الاسلامية الموثوق بها كما فعل أرنولد فى كتابه « The preaching of Islam » .

٤- الدافع الاقتصادى الشخصى

إن كثيراً من المستشرقين آثروا ميدان الاستشراق بدافع اقتصادى ، و هذا لأن هذا الميدان هو خير سلاح للحصول على أموال طائلة و مناصب فخمة ، ونيل العزة والمجد ، وكسب قلوب الناس فى ستار الدفاع عن المسيحيين ، و إثبات تفوق الحضارة الغربية على الحضارات كلها ، و خاصة على الحضارة الاسلامية المستقلة .

يقول الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله : « يبدو أن فريقاً من الناس دخلوا ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق عندما ضاقت بهم سبل العيش العادية ، أو دخلوه هاربين عند ما قعدت بهم إمكانياتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء فى العلوم الأخرى ، أو دخلوه تخلصاً من مسئولياتهم الدينية وتعطيتهم لعجزهم الفكرى ، و أخيراً بحثاً عن لقمة العيش ، إذ أن التنافس فى هذا المجال أقل منه فى غيره من أبواب الرزق (١) .

إن هناك عاملا اقتصادياً للاستشراق يتخذه كثير من المثقفين كمهنة ناجحة ، و كثير من أصحاب المكتبات التجارية و القائمين عليها ، يشجعون نشر المؤلفات و الكتب التى تدور حول الاسلاميات و الشرقيات و يشرفون على نشرها لما يرون لها من سوق نافقة فى أوروبا و آسيا (٢) .

(١) المستشرقون ما لهم و ما عليهم .
(٢) الصراع بين الفكرة الاسلامية و الفكرة الغربية ص ١٩٥ .

أدب الصحوة الاسلامية

(٢)

واضح رشيد الندوى

كانت العشرينات من القرن العشرين فترة حاسمة فى تاريخ العالم الاسلامى، فقد كانت القوميات تغزو الفكر فى الشرق لتفكيك تصور الخلافة الاسلامية، والحضارة الغربية تحل محل ما تبقى من الحضارات الاسلامية، ونظام التعليم و التربية، يحل محل نظام التعليم الشرقى، و قد عادت فى هذا العهد أفواج من المثقفين المسلمين فى الجامعات الغربيـــة ليحتلوا مناصب النفوذ و التأثير الفكرى فى العالم الاسلامى، وكان أول عمل قام به هؤلاء المثقفون الجدد الدعوة إلى التغريب، وحيث إن هذا العمل لا يمكن أن يتم إلا بالتشكيك فى العقائد الدينية، و المقررات التـاريخية، و إضعاف ثقة الأمة الاسلامية فى ثقافتها و احترامها للشخصيات الاسلاميــة، والأسس الاجتماعية، شن هؤلاء الخريجون من المدرسة الأوربية، و فى مقدمتهم الأدباء و الكتاب المارونيون و أدباء المهاجر حملة شعواء على التراث، و التاريخ و الأدب، و اللغة، و كان من الغريب المدهش أنهم كانوا يدعون إلى القومية العربية، و يشنون حملة على حضارة العرب و تاريخهم و ثقافتهم و فى آن واحد كان هؤلاء الأدباء و الكتاب يهاجمون على الاسلام و حضــارته فى الوقت الذى كانت أكبر قوة إسلاميــة تحتضر، و كان المجتمع الاسلامى فى حالة انفكاك وتشتت، منهار القوى بسبب تداعى كيانه، و العواصف الهوجاء التى كان تهب من أوروبا، فسارت حملة علمية، و حضارية، و أدبية، و دينية، لزحزحة الثقة

فى الاسلام وصلاحيته لمسايرة الزمان ، و لغرس تفوق الغرب فى القلوب والأذهان و الادعاء بأن غلبة الاسلام وانتشاره كان حادثة أو مصادفة ، وأنه لم يعد يصلح لهذا الزمان ، و لعبت الصحافة و وسائل الاعلام و أساتذة الجامعات و المدارس العصرية بدور حاسم فى إحداث هذا الانقلاب الفكرى .

و قد تولى المستشرقون فى هذا العصر دور الأستاذية ، فى كل موضوع ، وكانت أراءهم و بحوثهم المزعومة تنتشر فى العالم الاسلامى ، و تقبل عليها النفوس باعتبارها بحوثاً موضوعية مجردة عن التحزب أو التحيز ، رغم أنها كانت تخضع للنزعات الصليبية و الاستعمارية والعنصرية ، و كانت بعيدة كل البعد عن الموضوعية ، و راجت هذه البحوث المبالة الحاقدة للاسلام ، وقامت الأقلام المتغربة ، و أقلام الصليبيين بدعاية واسعة للاشاده و التنويه بهـذه البحوث و التحقيقات فى الأدب و التاريخ ، و الثقافة و حتى العلوم الشرعية و النقلية كالتفسير و الحديث والفقه .

كتب هؤلاء المستشرقون فى التفسير ، و قالوا الكثير و الكثير جداً ضد التفسير ، والذين كتبوا عن الحديث أرادوا أن يثيروا الشبهات حول رواية الحديث مثل جولد زيهر و شاخت و غيرهما ، وهذا بعينه هو ما حدث فى ميادين التاريخ الاسلامى و الفقه الاسلامى ، فهم قـد كتبوا فى هذين الميدانين و غايتهم ، إلقاء الشبهات فى عقول المسلمين ، و تقديم الاسلام إلى الغرب بالصورة التى لا تشجع الغربيين على الدخول فى الاسلام (١) .

كان الأمير شكيب أرسلان (١٨٦٩ - ١٩٤٦م) من الذين سبقوا إلى خطورة الموقف ، فتصدى لرد هذه المزاعم ، و إن حواشيه القوية ، و تعليقـاته فى حاضر العالم الاسلامى و غايره ، إن دلت على شئ فانما تدل على حرصه على

(١) مصطفى لطفى بيليجا - مجلة الفيصل .

حماية الدين الاسلامى ، و تاريخه ، و دوره فى إنقاذ البشرية ، و صلاحيته ، ليس للبقاء فحسب بل لقيادة العالم ، و قد قام فيه بدور عظيم ليس فى الدفاع عن الاسلام بل الهجوم على الغرب ، و صموده لمكافحة الغزو الفكرى .

بين أمير البيان شكيب أرسلان مواضع تدسيس أدعياء العلم فى الغرب ، و كشف عن جهلهم لأصول العربية ، و أن جهلم قد أوقعهم فى أخطاء كثيرة ، فكتب يقول : فئة متحذلقه متفلسفة فى كل شئ مولعة بالنقض و هدم النظريات المقررة بدون داع إلى ذلك سوى الميل إلى الاطراف و الاتيان بشئ جديد » .

و يقول عن العرب المقلدين للغرب : « و فى الشرق متطمون لا يعجبهم إلا تقليد هذه الفئة من الأفرنج » .

كان التقليد للغرب و الميل إلى الحضارة الغربية ، وما كانت الحضارة الغربية تحمله معها من فساد فى الأخلاق و البدعة ، و الاستهانة بالقيم من المواضيع التى طرقها كاتب إسلامى آخر و هو مصطفى لطفى المنفلوطى (١٨٧٦ - ١٩٣٤م) فنبه قومه لهذا الخطر فكتب يقول :

«أصبحت أعتقد أن مفاسد الأخلاق والمدنية الغربية شيئان متلازمان وتوأمان متلاصقان لا افتراق لأحدهما عن صاحبه إلا إذا افترقت نشوة الخمر عن مرارتها ، فكيف أتمناها لأمة هى أعز على من نفسى التى بين جنبى (١) .

وإن الجملة الأخيرة تكشف عن مدى حب المنفلوطى لأمته التى ينتمى إليها ، و ولائه لها ، و قد كان المنفلوطى أبياً غيوراً ، متحمساً للامة الاسلامية ، و على رأسها الأمة العربية ، فأحدث بأفكاره وأسلوبه دوياً فى عالم الأدب العربى ، وترك وراءه أثراً يذكر بحسن بيانه و اشراق ديباجته ، و إن هذه الغيرة ، و الحماسة

(١) النظرات ج ٣ .

و الانتماء إلى الأمـــة الاسلامية ، و الثورة على الحضارة الغربية قد دعت النقاد المارونيين إلى اتهامه بالرجعى فى الفكر ، والأسلوب ، و تشويه سمعته ، و التقليل من أهميته ، كما فعلوا بالنسبة للرافعى .

« فان المنفلوطى بحق مربى الجيل ، و قد خدم اللغـــة العربية و الاسلام ، و الأخلاق ، و خلق الجدية فى المجتمع العربى الذى كان يخطو خطوات واسعة إلى كونها أمة تلهو و تلعب على نغمات مزمار الغرب (١) .

كانت وسائل الغزو الفكرى تقوم التى استخدمها الاستعمار لغسل الدماغ باثارة الشبهات ، و عرض مشاكل حضارية بدعوى أن الاسلام و التصور الدينى للحياة ، لا يحمل حلا لها ، و أن الدين يحدث عقلية الجمود ، والحضارة المعاصرة الحرة عن القيم و الأخلاق ، حضارة سريعة الحركة تنعش الأمم ، و تحييها من الموات ، وتحدث تأثيراً واسعاً بتأييد الكتاب الذين تتلمذوا على الأساتذة الغربيين والمستشرقين الذين انتشروا فى العالم الاسلامى تنفذ خطتها تدعمهم الحكومات القائمة للدعوة إلى الانسلاخ من خصائص الحياة الشرقية ، و مطالب الدين و الأخلاق ، و إلى تقديس من تعتبره أوربا أبطال النهضة الأخيرة ، و الاقتداء بهم .

لقد كان التحدى للاسلام متنوعاً ، كان تحدياً على اللغة ، والأدب والثقافة ، و الأخلاق ، والاخاء الاسلامى ، فتصدى لمواجهة هذه التحديات كتاب إسلاميون و ركزوا اهتمامهم على مواضيع عصرهم .

كان فى مقدمة هؤلاء الكتاب الذين عاصروا عصر ترسيخ الحضارة الغربية وتقديسها فى أذهان ، و كافحوا الغزو فى ميدان الأدب و الصحافة ، مصطفى صادق الرافعى (١٨٨٠ ـ ١٩٣٧م) شامى الأصل مصرى النشأة ، فقـــد كان عنيفاً فى

(١) الفنون الأدبية .

نقده للحضارة الغربية ، و نقد آراء الأدبا العرب المتفرنجين المقلدين ، فكان يرى أن الايمان محور الحياة و لا تتطور الحضارة الانسانية و لا الحياة الوطنية إلا بالتمسك بالعقيدة الصالحة التى تربط الأمة ، و الأخلاق الفاضلة .

يقول فى موضع : لا يذهبن عنك أن الرجل المؤمن القوى الايمان الممتلىء ثقة و يقيناً و وفاء وصدقا ، وعزما و إصراراً على فضيلته ، و ثباتاً على ما يلقى فى سبيلها ، لا يكون رجلا كالناس ، بل هو رجل الاستقلال الذى واجبه جزء فى طبيعته ، وغايته السامية لا تنفصل عنه وهو رجل صدق المبدأ ، وصدق الكلمة و صدق الأمل ، و صدق النزعة ، و هو الرجل الذى ينفجر فى التاريخ ، كما احتاجت الحياة الوطنية إلى إطلاق قنابلها » .

و يقول عن اللغة العربية و أهميتها للعرب ، « ما ذلت لغة شعب إلا ذل ، ولا انحطت إلا كان أمره فى ذهاب و أياب ، و ليس فى العالم أمة عزيزة الجانب تقدم لغة غيرها على لغة نفسها » .

و يقول عن نهضة العرب : إنها لا تقوم إلا على أساس وحيد و هو : إذا نهض الركنان الخالدان ، الدين الاسلامى ، و اللغة العربية ، و ما عداهما فعسى أن لا تكون له قيمة فى حكم الزمن » (١) .

كانت هذه الجهود للوقاية من غزو الحضارة الغربية ، و آدابها ، و لإعادة الثقة فى التراث العربى ، و الحضارة الاسلامية ، و إعادة الأمة إلى مصادر العزة و الكرامة ، و دعوتها إلى الأصالة و الذاتية منتشرة يقوم بها أصحاب قلم من ذوى الغيرة والكرامة ، فيهم شعراء وكتاب ، حملوا الراية عالية ، فى الوقت الذى قصر

(١) وحى القلم

الزعماء الآخرون جهودهم على تحرير البلاد الاسلامية سياسياً، فلم يكن يهمهم الفكر الغربي و سيطرته على الأذهان، و ما يؤدى إليه من انقلاب فكرى يضمن بقاء الاستعمار عملياً، بل تقديس الاستعمار فكرياً.

وقد قامت فى البلاد الاسلامية نتيجة لحركات التحرير حكومات محلية، لكن زمامها كان فى أيدى رجال الطبقة التى كانت قد نشأت فى مراكز التربية الغربية، فآثرت لمقاليد الحكم أفراداً كانوا غرباء بذهنهم فى بلادهم.

فكانت مسئولية الدعاة إلى الاسلام و حضارته، خطيرة فى هذه الظروف المتغيرة، و اقتضت الظروف جهوداً مركزة تشمل العالم الاسلامى، فقامت بفضل الله و رعايته، حركات انخرط بسلكها كتاب و أدباء، رفعوا كلمة الحق و كافحوا محاولة فصل المسلمين عن لغتهم و حضارتهم، و الانقطاع عن علومهم، و ناضلوا جهود أعداء الاسلام لتشتيت المسلمين إلى قوميات، وشغلهم بنظم اقتصادية وسياسية نشأت فى ظروف خاصة فى أوروبا.

من الأسلوب الدفاعى إلى الأسلوب المهاجم و العمل المكثف.

كانت حركة الامام الشهيد حسن البنا رحمه الله أقوى حركة فى التاريخ المعاصر، فقد خلفت آثاراً لا تمحى عن الذهن، و غيرت اتجاه الأمور، و أثرت على العقلية السائدة. و انتقلت الدعوة الاسلامية بجهد العاملين فى عهدها من الدفاع إلى الهجوم، و عرض الاسلام كالبديل الوحيد، و كان لها تأثير محول على سائر الحركات العلمية والأدبية، لأنها قامت بعمل التعبئة و التوعية، و جمعت العاملين فى مختلف ميادين العمل راية الدعوة إلى الاسلام، فانطلقت أفواج من العلماء والأدباء و رجال الاختصاص الآخرون، ليمثلوا دورهم فى سبيل الدعوة بصراحة و قوة و عزم و وضوح رؤية.

كان أسلوب الدعاة الذين تأثروا بشخصية الشيخ حسن البنا و حركته أسلوباً مختلفاً عن المتقدمين، كان أسلوباً ملائماً للظروف المتغيرة، وكانت وسائل تأثيرهم متنوعة، إنهم دخلوا فى ميدان الصحافة والأدب والعلم بقوة وجرأة إيمانية، بنبوغهم فيها، و أثروا على الفكر، و اتسم أسلوبهم بالتحليل العلمى، و التأثير الأدبى، والواقعية فى البحث، فلم يكن أسلوبهم أسلوباً علمياً جافاً وجامداً ولا أسلوباً مائعاً خالياً عن الأصالة، وإنما كان أسلوبهم أسلوباً عربياً، يحمل روعة البيان العربى، و قوة الاقناع العلمى.

نجبت مدرسة الشيخ حسن البنا كتاباً، قاموا بتحليل الأوضاع و عرضوا الحلول الاسلامية، بدراسة، و بمعرفـة للاوضاع.

برز فى هذا الصنف عدد من الكتاب بمؤلفاتهم المؤثرة فى مواضيع مختلفة، فى التفسير و الأدب، و النقد، و الاجتماع و السياسة، و الفن، و إن نظرة على مؤلفاتهم تدل على الشمول، و التنوع فى معالجـة المسائل التى تخص بسائر الميادين، للتأثير على الفكر المعاصر، وإثارة الضمير فى العالم الاسلامى، وتحويل الاتجاه فى سائر الميـادين إلى الاسلام، و العمل من أجل إعلاء كلمته، و إقرار نظامه، فنجد فى بعضها ثورة على الأوضاع ونجد فى البعض الآخر تصويراً وجدانيا، وفى مؤلفات معالجة لمشاكل الحياة، و مشاكل الحضارة، بواقعية وجدية و عرض للتاريخ الاسلامى فأغنوا المكتبة الاسلامية، بمؤلفات تقوم بتنشئة الأجيال القادمة.

و نقدم بعض مقتطفات لكتاب هذا العصر لنعرف التفكير السائد فى توجيه عمل الدعوة، بغرض إعادة الاسلام إلى مكانة القيادة.

يكشف سيد قطب وهو فى طليعة هؤلاء الكتاب أن طبيعة هذا الدين الغلبة، فانه دين حق، والحق يعلو، سواء توفرت له أسباب، القوة أم لم تتوفر، فان هذه

الدعوة تتغلب على الصعاب ، فيحث على الاجتهاد والعمل فى سبيل احقاق الحق.

«لم تكن الدعوة فى أول عهدها فى وضع أقوى و لا أفضل منها الآن ، كانت مجهولة مستنكرة فى الجاهلية ، و كانت محصورة فى شعاب مكة ، مطاردة من أصحاب الجاه و السلطان فيها ، و كانت غريبة فى زمانها فى العالم كله و كانت تحف بها امبراطوريات ضخمة عاتية تنكر كل مبادئها و أهدافها .

ولكنها مع هذا كله كانت قوية ، كما هى اليوم قوية ، وكما هى غداً قوية ..

إن عناصر القوة الحقيقية كامنة فى طبيعة هذه العقيدة ذاتها ، و من ثم فهى تملك أن تعمل فى أسوأ الظروف و أشدها حرجا ، إنها تكمن فى الحق البسيط الواضح الذى تقوم عليه ، و فى تناسقها مع الفطره التى لا تملك أن تقاوم سلطانها طويلا و فى قدرتها على قيادة البشرية صعداً فى طريق التقــدم ، و فى أية مرحلة كانت البشرية من التأخر أو التقدم الاقتصادى و الاجتماعى و العلمى و العقلى . . كما أنها تكمن فى صراحتها هذه وهى تواجه الجاهلية بكل قواها المادية فلا تخرم حرفاً واحداً من أصولها ، و لا تربت على شهوات الجاهليــة ، و لا تتدسس إليها تدسساً ، إنما تصدع بالحق صدعا ، مع إشعار الناس بأنها خير و رحمة و بركة .

و الله الذى خلق البشر يعلم طبيعة تكوينهم و مداخل قلوبهم ، و يعلم كيف تستجيب حين تصدع بالحق صدعا فى صراحة وقوة ، وبلا تلعثم ولا وصوصة ؟!

إن النفس البشرية فيها الاستعداد للانتقال الكامل من حياة إلى حياة ، وذلك قد يكون أيسر عليها من التعديلات الجزئيــة فى أحيان كثيرة . . . و الانتقال الكامل من نظام حياة إلى نظام آخر أعلى منه و أكمل و انظف ، انتقال له ما يبرره فى منطق النفس . . و لكن ما الذى يبرر الانتقال من نظام الجاهليــة إلى نظــام الاسلام ، إذا كان النظــام الاسلامى لا يزيد إلا تغييراً طفيفاً هنا ،

و تعديلا طفيفاً هناك ؟ إن البقاء على النظام المألوف أقرب إلى المنطق ، لأنه على الأقل نظام قائم ، قابل الاصلاح و التعديل ، فلا ضرورة لطرحه ، والانتقال إلى نظام غير قائم و لا مطبق ، ما دام أنه شبيه به فى معظم خصائصه !

و يدعو سيد قطب إلى هجر الأسلوب الدفاعى ، و يحث على الاعتزاز بالاسلام وكشف القناع عن الحضارة الأوروبية المزعومة ، فيقول :

و ليس فى إسلامنا ما نخجل منه ، و ما نضطر للدفاع عنه ، و ليس فيه ما نتدسس به للناس تدسساً ، أو ما نتعلثم فى الجهر به على حقيقته . . إن الهزيمة الروحية أمام الغرب و أمام الشرق و أمام أوضاع الجاهلية هنا و هناك هى التى تجعل بعض الناس . . « المسلمين » ! . . يتلمس للاسلام موافقات جزئية من النظم البشرية ، أو يتلمس من أعمال « الحضارة » الجاهلية ما يسند به أعمال الاسلام و قضاءه فى بعض الأمور .

إنه إذا كان هناك من يحتاج للدفاع و التبرير و الاعتذار فليس هو الذى يقدم الاسلام للناس ، و إنما هو ذاك الذى يحيا فى هذه الجاهليـة المهلهلة المليئة بالمتناقضات و بالنقائص و العيوب ، و يريد أن يتلمس المبررات للجاهلية ، وهؤلاء هم الذين يهاجمون الاسلام و يلجئون بعض محبيه الذين يجهلون حقيقته إلى الدفاع عنه ، كأنه متهم مضطر للدفاع عن نفسه فى قفص الاتهام »

و يصف سيد قطب الاعتذاريين الذين بهرتهم الحضارة الغربية فيحاولون التوفيق بين الاسلام و الحضارة الغربية و هى العقليـة التى سادت على الكتاب الاسلاميين فى أوائل القرن العشرين .

« بعض هؤلاء كانوا يواجهوننا ـ نحن القلائل المنتسبين إلى الاسلام ـ فى أمريكا فى السنوات التى قضيتها هناك ـ و كان بعضنا يتخـذ موقف الدفاع و التبرير . .

و كنت على العكس أتخذ موقف المهاجم للجاهلية الغربية . . سواء فى معتقـــداتها الدينية المهلهلة ، أو فى أوضاعها الاجتماعية و الاقتصادية و الأخلاقية المؤذية . . هذه التصورات عن الأقانيم وعن الخطيئة و عن الفداء ، و هى لا تستقيم فى عقل وضمير . . وهذه الرأسمالية باحتكارها و رباها وما فيها من بشاعة كالحة . . وهذه الفردية الأثرة التى ينعدم معها التكافل إلا تحت مطارق القانون . . و هذا التصور المادى التافه الجاف للحياة و حرية البهائم التى يسمونها « حرية الاختلاط » . . و سوق الرقيق التى يسمونها « حرية المرأة » . . و السخف و الحرج و التكلف المضاد لواقع الحياة فى نظم الزواج والطلاق ، والتفريق العنصرى الحاد الخبيث .. ثم . . ما فى الاسلام من منطق و سمو إنسانية وبشاشة ، و تطلع إلى آفاق تطلع البشرية دونها ولا تبلغها ، و من مواجهة الواقع فى الوقت ذاته و معالجته معالجة تقوم على قواعد الفطرة الانسانية السليمة .

و كانت هذه حقائق نواجهها فى واقع الحياة الغربية . . و هى حقائق كانت تخجل أصحابها حين تعرض فى ضوء الاسلام . . و لكن ناسا - يدعون الاسلام - ينهزمون أمام ذلك النتن الذى تعيش فيه الجاهلية حتى يتلمسون للاسلام مشابهات فى هذا الركام المضطرب البائس فى الغرب . و فى تلك الشناعة المادية البشعة فى الشرق أيضاً ! »

و فى خاتمة المطاف يدعو سيد قطب إلى الاستعلاء فى « معالم الطريق » و ينشد ثورة المؤمن الأبى بالغيور واثقاً بنصر الله و هو أسلوب ينشأ طبعياً فى ظروف القهر و الاضطهاد التى سادت فى العالم الاسلامى بسبب التبعية لأوروبا السياسية و الفكرية .

« الاستعلاء على قوى الأرض الحائدة عن منهج الايمان ، وعلى قيم الأرض

التى لم تنبثق من أصل الايمان و على تقاليد الأرض التى لم يضعها الايمان ، وعلى قوانين الأرض التى لم يشرعها الايمان ، وعلى أوضاع الأرض التى لم ينشئها الايمان .

الاستعلاء . . مع ضعف القوة ، و قلة العدد ، و فقر المال ، كالاستعلاء مع القوة و الكثرة و الغنى على السواء

الاستعلاء الذى لا يتهاوى أمام قوة باغية ، ولا عرف اجتماعى ولا تشريع باطل ، و لا وضع مقبول عند الناس و لا سند له من الايمان .

و ليست حالة التماسك و الثبات فى الجهاد إلا حالة واحـــدة من حالات الاستعلاء التى يشملها هذا التوجيه الالهى العظيم .

الاستعلاء بالايمان ليس مجرد عزمة مفردة ، و لا نخوة دافعة ، ولا حماسة فائرة ، إنما هو الاستعلاء القائم على الحق الثابت المركوز فى طبيعة الوجود ، الحق الباقى وراء منطق القوة ، و تصور البيئة و اصطلاح المجتمع ، و تعارف الناس ، لأنه موصول بالله الحى الذى لا يموت .

إن للمجتمع منطقه السائد وعرفه العام وضغطه الساحق و وزنه الثقيل . . على من ليس يحتمى منه بركن ركين ، وعلى من يواجهه بلا سند متين . . وللتصورات السائدة و الأفكار الشائعة إيحاؤها الذى يصعب التخلص منه بغير الاستقرار على حقيقة تصغر فى ظلها تلك التصورات و الأفكار ، و الاستمداد من مصدر أعلى من مصدرها ، و أكبر و أقوى .

و الذى يقف فى وجه المجتمع ، و منطقه السائد ، و عرفه العام و قيمه و اعتباراته ، و أفكاره و تصوراته و انحرافاته و نزواته . . يشعر بالغربة كما يشعر بالوهن ، ما لم يكن يستند إلى سند أقوى من الناس ، و أثبت من الأرض و أكرم من الحياة .

و الله لا يترك المؤمن وحيداً يواجه الضغط ، و ينوء به الثقل ، و يهدده الوهن و الحزن و من ثم يجئ هذا التوجيه : « و لا تهنوا و لا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .

الدين أساس القومية :

يقول الكاتب الاسلامى الكبير الشيخ على الطنطاوى (١) .

« إن الدين على ما يفهمه العلماء من أهل أوروبا هو الذى ينظم علاقة الانسان بالله ، وبما خلق الله من المخلوقات المغيبات وراء المادة ، وبالعالم الآخر ، فلا علاقه له بالحياة السياسية و لا الأوضاع الاجتماعية و لا بالقوانين و النظم و لا يصح أن تبنى عليه الجامعة القومية .

هذا ما يقرره العلماء الذين بحثوا فى هذه الجامعة و طبيعتها و قيمتها و فى مقدمتهم رينان ، فى محاضرته المشهورة التى ألقاها فى الصربون سنة ١٨٨٢م وهذا صحيح فى الأديان ، و لكنه ليس بصحيح فى الاسلام ، لأن الاسلام ذاته قومية ، و رابطة اجتماعية معنوية ، ليست قائمة على لغة و لا على أرض ، و لكن على ما يسميه ، أرنست رينان بالارادة المشتركة ، و يجعله أساس الرابطة الوطنية .

فليس وطن المسلم مكة ، و لا المدينة ، و لا البلد الذى ولد فيه ، و لكن وطن المسلم المبادىء الاسلامية ، فحيثما وجدت هذه المبادىء وحيثما كان أهل « لا إله إلا الله محمد رسول الله » (ﷺ) فثم وطن المسلم .

وعندى أن هذه الرابطة الاسلامية رابطة « إنما المؤمنون إخوة » معجزة من أعظم معجزات الاسلام لأنه أقر منذ أربعة عشر قرناً ، المبدأ الذى اهتدى إليه

---

(١) للشيخ على الطنطاوى مؤلفات كثيرة فى الأدب ، و النقد ، و التاريخ و التربية الاسلامية كان لها تأثير كبير على الفكر الاسلامى .

العقل البشرى سنة ١٨٨٢ ، وسار منذ أربعة عشر قرن فى الاتجاه الذى يسير فيه العالم اليوم ، لقد سقط اليوم مبدأ القوميات الذى دعا إليه الرئيس ولسن بعد الحرب ، و نهضت المبادىء الفكرية و الاقتصادية فانقسم العالم كما ترون إلى جبهات ثلاث ، الديمقراطية والشيوعية والفاشستية .. فكما أن الشيوعى الفرنسى أخو الشيوعى الروسى ، ولوتناءت الديار ، وتباينت اللغات واختلفت الأجناس ، فكذلك المسلم أخو المسلم ، أينما كان و كيفما كان (١)

و يشرح الشيخ على الطنطاوى قيام مجتمع إسلامى ، يتحمل فيه كل فرد واجباته ، يعمل كل واحد من المسلمين . فى المنزلة التى وضعه الله فيها ، فاذا جعله الله عالماً لم يكتف بتدريس هذه الكتب التى قرأها على مشايخه و فهم عبارتها ، وإنما يعمد إلى مسألة فيدرسها درساً علمياً ، مستنداً إلى الكتاب و السنة ، مطلعاً على روح العصر ، و حاجاته ، غير متقيد إلا بغرض الشارع و اهداف الشريعة ، فيبين ذلك و يرشد الأمة إليه .

« و إذا كان معلماً حرص على تقويم أخلاق طلابه ، و تلقينهم روح العلم الصحيح ، و نشأهم على الاسلام ، و لم يكتف بأن يعيد ما فى الكتاب ، و هو جاهل به ، يستر جهله بارضاء التلاميذ و زيادة درجاتهم .

و إن كان مدرساً فى مسجد قام بوظيفته على وجهها ، و لم يسرق المرتب بلا عمل و إن كان أديباً جعل أدبه أداة من أدوات النجاح لهذه الأمة ، و عاملا من عوامل تقدمها ، و لم يكن أدبه جمالا مجرداً ، لا يبالى أن دعا فيه إلى الرذيلة ، أم عمل فيه على الالحاد ، و إن كان صحفياً جعل له مبدأ ، و غاية ، و لم ينحط إلى مجاراة الجماهير و التزلف إليهم ، بما يرغبون فيه من ألوان الدعارة ، و أنواع الصور ، و أشكال الأدب التافه الرخيص .

---

(١) على الطنطاوى - فصول إسلامية ٤٣ .

و إن كان موظفاً حرص جهده على تأدية الواجب عليه أولا ، و تسخير وظيفته ما استطاع فى خدمة الناس .

و إن كان هناك من يحمل قسطاً من القيادة ، فهم رجال الأدب و العلماء(١)

شاع الوعى الاسلامى فى هذا العصر ، فلم تعد الدعوة إلى الاسلام غريبة ، كما كانت فى أوائل القرن العشرين التى كان الاسلام فيها فى قفص الاتهام بسبب التضليل و التشويه الذى قام به المستعمرون و أعوانهم من المستشرقين و ذلك بفضل مكتبة ضخمة نشأت فى كل موضوع ، عالج بها الكتاب الاسلاميون الشكوك و الشبهات حول الاسلام بأسلوب مؤثر على رزين ، و منطق معاصر ، و كانت معالجتهم لمشاكل العصر و المسائل التى أثارها الكتاب الغربيون ، و من اغتر بكتاباتهم من المسلمين معالجة تتسم بالدقة و المعرفة التامة ، و التعبير المقنع .

و قد كان فى مقدمة من كشف زيغ المستشرقين و الكتاب المسلمين الذين وقعوا فى الفخ الذى نصبه المستشرقون و خدعوا بأسلوبهم العلمى المزعوم ، الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله الذى بذل جهداً جباراً فى هذا المجال .

يقول فى كتابه القيم « السنة و مكانتها فى التشريع الاسلامى » و من المؤسف أن يسير وراء أعداء الاسلام فى الحاضر فئة ممن لا نشك فى صدق اسلامهم من العلماء و الكتاب و لكنهم منخدعون بمظهر التحقيق العلمى الكاذب الذى يلبسه هؤلاء الأعداء فى المستشرقين ، و المؤرخين و الغربيين ، عن حقيقة أهدافهم و مقاصدهم ، فاذا هم ـ و هم مسلمون ـ ينتهون إلى الغاية التى يسعى إليها أولئك ـ و هم يهود أو مسيحيون ، أو استعماريون ـ من إذاعة الشك و الريبة فى الاسلام » و يقول فى موضع آخر عن المستشرقين ، « أكثر الذين يشتغلون منهم

(١) فصول اسلامية .

بهذه الدراسات فى رجال الدين الذين يعنون بتحريف الاسلام و تشويه جماله أو من رجال الاستعمار الذين يعنون ببلبلة بلاد الاسلام فى ثقافتها و تشويه حضارتها فى أذهان المسلمين تتسم بحوثهم بالظواهر الآتية .

(١) سوء الظن و الفهم لكل ما يتصل بالاسلام فى أهدافه و مقاصده :

(٢) سوء الظن برجال المسلمين و علمائهم و عظمائهم :

(٣) تصوير المجتمع الاسلامى فى مختلف العصور و خاصة فى العصر الأول بمجتمع متفكك :

(٤) تصوير الحضارة الاسلامية دون الواقع بكثير تهويناً لشأنها و احتقاراً لآثارها :

(٥) الجهل بطبيعة المجتمع الاسلامى على حقيقته ، و الحكم عليه من خلال ما يعرفه هؤلاء المستشرقون فى أخلاق شعوبهم و عادات بلادهم :

(٦) إخضاع النفوس للفكرة التى يفرضونها حسب أهوائهم و التحكم فى ما يرفضونه و يقبلونه من النصوص :

(٧) تحريفهم للنصوص فى كثير من الأحيان تحريفاً مقصوداً و اساءتهم لفهم العبارات حين لا يجدون مجالا للتحريف :

(٨) تحكمهم فى المصادر التى ينقلون منها ، فهم ينقلون مثلا من كتب الأدب ما يحكمون به فى تاريخ الحديث ، و فى كتاب التاريخ ما يحكمون به فى تاريخ الفقه و يصححون ما ينقله « الدميرى » فى كتاب « الحيوان » و يكذبون ما يرويه مالك رحمه الله فى « الموطاء » كل ذلك إنسياقاً مع الهوى ، و انحرافاً مع الحق »(١) .

ركز الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله جهده على كشف زيغ المستشرقين

(١) السنة و مكانتها فى التشريع الاسلامى ، للدكتور مصطفى السباعى .

و تدسيسهم و على تصوير الحضارة الاسلامية ، و التاريخ الاسلامى تصويراً لائقاً ، و على الدفاع عن المصادر الاسلاميـــة الأصيلة ، و على دعوة المسلمين إلى اتباع شريعتهم و الاقتداء بمثل الاسلام و هو يؤكد أن الحضارة الاسلاميـة هى التى تضمن السعادة و الفلاح ، وقد سار هذا المسلك كتاب إسلاميون آخرون أيضاً و جهودهم تشكر ، منهم الأستاذ محمد قطب ، و الأستاذ محمد المبارك و الأستاذ محمد البهى و غيرهم من الكتـاب .

وإن هذه الصحوة الاسلامية التى نشهدها ترجع إلى حد كبير إلى جهود أمثـال هؤلاء الكتـاب الاسلاميين الذين قاموا بتوعيـة المسلمين ، و عالجوا مشـاكلهم ، و أتحفوا المكتبة الاسلامية فى كل موضوع من المواضيع العلمية و الأدبية والفنية ، و ألفوا فى سائر فنون الأدب ، كالقصـة ، و الرواية ، و المسرحية و الشعر ، كما ألفوا فى النفس و الاجتماع و الاقتصاد ، و التاريخ و النقد ، بالمنظور الاسلامى (١) و أصدروا كذلك قصص البطولات الاسلامية التاريخية و المعاصرة (٢) .

و قد لعبت أيضاً الصحافة الاسلامية فى هذه الفترة دوراً مهماً فى التوعية

(١) فى مقدمتها كتب الأستاذ محمد قطب ، و الشيخ محمد الغزالى ، و الدكتور يوسف القرضاوى و الدكتور محمد أبو السعود ، و الدكتور عمر فروخ ، و الأستاذ انور الجندى . و الدكتور عماد الدين خليل . و عدد كبير من الكتاب المسلمين .

(٢) نذكر منها سلسلة كتب اللواء الركن محمود شيت الخطاب ، و سلسلة الكتب التى صدرت بقلم وتحت اشراف الدكتور عبد الرحمن رافت الباشا ، والشيخ عبد العزيز الرفاعى ، والأستاذ وليد الأعظمى ، والأستاذ عمر بهاء الأميرى ، و الشيخ محمد المجذوب نظماً و نثراً .

الاسلامية رغم ضآلة وسائلها و الضغوط السياسية ، فنشرت بحوثاً قيمة و مواداً أدبية هادئة ، و دراسات تتسم بصدق التعبير و بالمسئولية ، و كافحت الأقلام المسعورة بجرأة ، و صراحة و صدق ، بأسلوب مدعم بالمادة العلمية ، و الروعة البيانية .

و دخلنا بفضل هذه الجهود القيمة و الحركة العلمية و الأدبية ، و الدعوية و التربوية فى مرحلة متقدمة للوعى الذاتى ، نشعر فيها بالاعتزاز بتراثنا ، و بتاريخنا ، و بعلومنا و بحضارتنا و بقادتنا ، و نؤمن بأننا ننتمى إلى خير أمة ، و سنسعد بهذه المكانة العالية إذا ثبتنا على قواعدنا ، و سرنا فى ضوء تعاليم ديننا ، بثقة و يقين ، و نفضنا عن الغبار الذى عكر الجو مدة من الزمن بأقدام المستعمرين ، و خرجنا من حالة الشك و التردد و الخواء التى فرضتها علينا أقلام المستشرقين .

و قد كان للكتاب بالعربية فى الهند و على رأسهم سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى دور رائد فى توجيه الفكر الاسلامى فى العالم و انعاشه ، بمكافحة الغزو الفكرى ، و عرض الحضارة الاسلامية ، و تصوير الحياة الاسلامية و تحليلها ، و الدعوة إلى الاسلام من جديد ، و كان لكتاباتهم صدى عميق فى سائر أوساط العلم و الأدب فى العالم الاسلامى ، وخاصة العالم العربى ، لأنهم اختاروا اللغة العربية كوسيلة للتعبير ، و اختاروا العالم العربى ، للتأثير على الفكر الاسلامى ، لأنه يحمل مكانة مرموقة ، و تشكل مركزاً حساساً ، باعتبارات مختلفة ، لا يكتمل تاريخ أدب الصحوة الاسلامية بدون ذكر مساهمة الهند فى مجال الدعوة ، و الأدب الاسلامى .

يتبع ..

اختبار النصوص الأدبية
من وجهة النظر الاسلامية

(٢)

الأستاذ محمد سلطان ذوق الجاتكامى (بنغلاديش)

وفترات السعادة و الشقاء طالت وقصرت نتيجة لتلك الظروف ، فى آداب اللغات فافترق رجال الأدب على نوعين ، منهم من يجعل هدف الادب نظماً أونثراً تهذيب الأخلاق و تكوين الرجال و بناء المجتمع البشرى على أسس صحيحة و دعوة الناس إلى ربهم بالحكمة و الموعظة الحسنة و على بصيرة و نور ، ومنهم من يتخذه من وسائل التسلية و متعة النفس و إرضاء شهوة الأدب أو الحصول على متعة مادية ، النوع الأول هو الأدب الطبيعى توجد نصوصه فى أسلوب حر ، تحمل روحاً و نشاطاً و حياة و قوة ، وجدة و عذوبة ، و النوع الثانى هو الأدب الصناعى والأدب التقليدى ، يكون كلاماً مصنوعاً مسجعاً ، لا روح فيه و لا حياة و لا قوة ، و لا طرافة ولا لذة ، والنسبة بين النوعين نسبة القشر واللب ونسبة الجسد و الروح ، و بينهما فوارق حسية و معنوية كثيرة .

ثم الأدب الطبيعى لا يرضى بحصر ذخائره فى كتب ومؤلفات الأدباء والكاتبين إثر محاولة أدبية و على طرازهم الخاص ، بل نعد كتب التاريخ والسير و الأخلاق و الحكم من أفضل وأثمن ذخائر الأدب العربى ، بعد القرآن و الحديث ، حتى إن كثيراً منها ـ رغم أنها ما كتبت فى إطار الأدب العربى ـ تمثل أدباً فائقاً لايكاد يوجد نظيره فى مؤلفات وكتابات الأدباء الكبار ـ وتقوم أمام الأخطار والتحديات التى تحدق بالاسلام و رسالتها الخالدة .

و بجنبها كتب أدبية صنفت بيد الكتاب المتكلفين من سلف و خلف، نالت بعضها إقبالا كبيراً من واضعى المناهج التعليمية فى شتى البلاد المسلمة ، مثل نفحة اليمن و القليوبى و المقامات للحريرى و السبع المعلقات ، و نحوها .

فيها قصص و حكايات ليست من الواقعية و الصحة فى شئ ، لا تفيد إلا الالمام بأفانين المكر و الخداع ، أو الاتجاه إلى أخلاق بشيعة ، و بعضها تشتمل على أشنع تعبير وأفحش تصوير للميول الجنسية ، كما أنها ليست من الأدب فى مستوى رفيع ، وبعضها كتبت باقتراح من أعداء الاسلام وأهله ، و بعضها و إن وجدت كراجع أدبية فليست مما لا محالة عنها ، أو يناسب الايغال فيها ، أ ليس بامكاننا و وسعنا أن نحمل منها مختارات جيدة ؟ ألا نجد عوضاً عنها كتباً أدبية أو تاريخية تصور دماثة الأخلاق والمفاهيم الاسلامية السامية ، إلى جانب ارتفاع مستواها الأدبى ؟ ألا تستأهل قصيدة زهير و ديوان حسان و منثورات بعض المولدين الصالحة أن تنوب مناب تلك الأشعار التى تمثل المكر و الرد و الفحش و الخنا ؟

تعالوا ندرس من تلك الكتب الأدبية بعض نصوص أدبية أو غير أدبية ، و نستفت قلوبنا : هل هما أفصح و أحسن و أنفع أم تلك ؟

يقول الأديب الشهير ابن المقفع فى « الأدب الصغير و الأدب الكبير »

حكمتان : إذا هممت بخير فبادر هواك لا يغلبك ، و إذا هممت بشر فسوف هواك ، لعلك تظفر ـ فان ما مضى من الأيام والساعات على ذلك هو الغنم ، لا يمنعك صغر شأن امرىء من اجتناء ما رأيت من رأيه صواباً ، و الاصطفاء لما رأيت من أخلاقه كريماً ، فان اللؤلؤة الفائقة لاتهان لهوان غائصها الذى استخرجها »

انظروا إلى سلاسة العبارة و دقتها مع ما أفاد من حكمة غالية .

وابن المقفع كانت له فى إنشائه طريقة سهلة جارية مع الطبع عامرة بالمعانى ، هو الذى يذكر من أهداف كتابه :

« وقد وضعت فى هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفاً فيها عون على عمارة القلوب و صقالها وتجلية أبصارها ، وإحياء للتفكير و إقامة للتدبير ودليل على محامد الأمور و مكارم الأخلاق إن شاء الله »

ونقل الشيخ الندوى عن الدكتور أحمد أمين تحت عنوان ـ الدين الصناعى !

« هل تعرف الفرق بين الحرير الطبعى و الحرير الصناعى ؟ و هل تعرف

الفرق بين الأسد وصورة الأسد؟ وهل تعرف الفرق بين الدنيا فى الخارج والدنيا على الخريطة ؟ و هل تعرف الفرق بين عملك فى اليقظة و عملك فى المنام ؟ وهل تعرف الفرق بين إنسان يسعى فى الحياة وبين إنسان من جبص وضع فى متجر لتعرض عليه الملابس ؟ و هل تعرف الفرق بين النائحة الثكلى و النائحة المستأجرة ؟ وبين التكحل فى العينين والكحل ؟ وهل تعرف الفرق بين السيف يمسكه الجندى المحارب و بين السيف الخشبى يمسكه الخطيب يوم الجمعة؟ و هل تعرف الفرق بين الصوت والصدى؟ إن عرفت ذلك فهو بعينه الفرق بين الدين الحق والدين الصناعى إلخ،(١)

تأملوا فى هذا النص ، كيف جرى جرياً عجيباً إنه من السهل الممتنع ، العبارة أنيقة والأمثلة رائعة ، مع ما حواه الكلام من أناقة عجيبة الافادة و وفرة الأمثال ، فصار بها أوقع فى النفوس و أشد تأثيراً فى اختلاب القلوب .

و يقول الشيخ الندوى فى كتابه « إذا هبت ريح الايمان »

وصل السيد (أحمد شهيد) ورفاقه فى طريقهم إلى كلكتة إلى بلد على شاطئ النهر اسمه مرزا بور ، و إذا بسفينة حمولة ، واقفة على الشاطئ ، مشحونة بغرائر وجواليق من القطن ، وصاحب السفينة ينتظر الحمالين ، الذين ينقلون هذه الجواليق إلى مخزنه ، فاضطرت سفن الحجاج إلى الانتظار بعيداً عن الشاطئ - حتى يأتى دورها - سأل السيد عن السبب ، فقالوا سفينة حمولة ، وحجزت الشاطئ ، وسدت طريقنا ، و هى تنتظر التفريغ ، و الحمالون غائبون ، فقال : و من يمنعنا عن أن نباشر هذا العمل ، ألسنا بشراً ؟ أم أيدينا مكتوفة أو مغلولة ؟ و لم يتم الأمير هذه الكلمة حتى و ثب الناس ، و فيهم كبار العلماء ، و أبناء الأشراف والأغنياء ، إلى السفينة ، وتخطفوا هذه الأعدال الثقيلة ، يحملونها على رؤسهم وأكتافهم ، منهم من يستقل بعمله و منهم من يتعاون مع صاحبه ، ينقلونها إلى حيث يريد التاجر ، حتى فرغت السفينة فى وقت قصير ، و كفى التاجر مؤنة الحمل و الأجرة ، والناس

(١) مختارات من أدب العرب ج ١ ، لسماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى .

ينظرون إلى هذه الجماعة فى دهشة و استغراب و فى سرور و إعجاب » إلخ .

انظروا ! مع أن هذا الكتاب ليس كتاباً أدبياً ، بل مقتطف من تاريخ الدعوة و الجهاد فى الهند ، كيف يشرح الواقع شرحاً أنيقاً ، و يسرد الكلام سرداً غريباً ، يملك بلاغة و أدباً قل مايوجد فى كلام البلغاء ، و فى ضمن القصص توجيه روحى يأخذ بقلب القــارىء إلى التوبة و الانابة ، و ينفث فيه روح الخدمة و التطوع .

و كذلكم الكتاب الشهير لسماحته : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، يرمى فى وقت واحد إلى أهداف مختلفة ، و مواضيع متنوعة .

وأظن أن أى نص أدبى يتقارب إلى أدب صدر الاسلام ويرتشف فيه الكاتب من حياض القرآن والحديث ، فهو إلى الحسن والجودة أقرب ، و بالعكوف عليه درساً و حفظاً و تقليداً أليق .

★ خطوة هادفة : و لقد قام فى مجال الأدب الاسلامى رجال ندوة العلماء وأبناءها بعمل يذكر وجهد يشكر ، وتقدموا بخطوة ثورية نالت حظها من العناية فى الأوساط العلمية المعاصرة ، حيث تركزت أعمالهم على هذه النقطة الهامة تركيزاً عميقاً ، و لا أنهم اقتنعوا بوضع منهج جديد للتعليم الدينى فحسب ، بل وأعدوا لتطبيق هذا المنهج عدداً وعدداً كما يجب .

أنقذوا الأدب العربى ـ كما قالوا فى بعض مقالهم ـ من الحصار الضيق الذى كان يعيشه بين المقامات الحريرية ونفحة اليمن والأدب وديوان المتنبى ، و أخرجوه إلى الجو الواسع ، و هدوا تلاميذ الأدب العربى من الانشاء المسجوع التقليدى إلى الأسلوب الطبعى الأصيل ، حرى بأن يسجل لهم قلم العصر الجديد تاريخاً مجيداً .

فعلينا أن لا نجعل المقررات الدراسية كالأماكن الأثرية ، فلا نقلدها تقليداً

أعمى ، و لا نخبط خبط عشواء ، بل نمشى على هدى و نور ، و نفحص عن الأدب و النصوص من وجهة النظر الاسلامية ، و ننقب فى مكتبة الأدب العربى من جديد ، و نقدم للنشء الجديد نماذج أدبية تجمع بين القديم الصالح و الجديد النافع من نظم و نثر ، كما أرشدنا إلى هذا الداعية الكبير سماحة الشيخ الندوى قائلا :

« إن مكتبة الأدب العربى فى حاجة شديدة إلى استعراض جديد وإلى دراسة جديدة و إلى عرض جديد ، و لكن هذه الدراسة و هذا الاستعراض يحتاجان إلى شئ كبير من الشجاعة وإلى شئ كبير من الصبر و الاحتمال و إلى شئ كبير من رحابة الصدر وسعة النظر » إلى آخر ما قال .

★ نقاط رئيسية تدور حولها نتائج هذا البحث : (ألف) الالتزام بصفاء اللغة و صدق التعبير و الاجتناب عن وحشة الألفاظ و غرابة المعانى ، و تعقد التراكيب .

فيدخل الأدب الجاهلى الذى لايصور العصبية والمنكرات الخلقية تحت النصوص المختارة ، بعد القرآن و الحديث .

★ (ب) التعبير عن التعاليم الخلقية والجوانب الروحية مع حسن التناسق و جزالة المعنى .

ففى ضوء هذا ، النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية و خطب الخلفاء الراشدين و أئمة الدين تعد صورة صادقة للنصوص الأدبية .

★ (ج) التعرف إلى جزالة اللفظ و انسجام التركيب و دقة التعبير ، و التطور الملحوظ فى عصور الأدب العربى .

★ (د) دراسة مقارنة ناقدة لتطورات الأدب فى عصور مختلفة .

★ العالم الاسلامى:

بمناسبة إعلان جائزة الملك لخدمة الاسلام

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والدعوة والارشاد والافتاء

بقلم: الأستاذ محمد الرابع الندوى
رئيس كلية اللغة العربية بجامعة ندوة العلماء

لقد وقع اختيار لجنة جائزة الفيصل العالمية فى هذا العام على اسم سماحة العلامة الجليل و المربى الاسلامى الكبير الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز لنيل جائزة خدمة الاسلام، و هذا اختيار موفق، بل و كان حرياً به أن يكون أقدم و أسبق من هذا، فنهنئ سماحة المربى الكبير الشيخ عبد العزيز بن باز، و نهنئ لجنة الجائزة على حسن اختيارها.

الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز من أولئك العلماء الأعلام الذين يقل عددهم فى المجتمعات الاسلامية و جماعات علماء الدين، و الذين يزدان بهم تاريخ بلادهم و عهودهم، فان كل من يعرف سماحة الشيخ المذكور يصدق ذلك و يشهد به، و المملكة العربية السعودية سعيدة بوجود هذه الشخصية العلمية الجليلة، فان سماحته يسد عوزاً كبيراً فى الحياة الدينية والتربوية والدعوية الاسلامية لبلاده والبلدان الاسلامية المرتبطة دعوياً و علمياً بها.

لقد نشأ و ترعرع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز و هو غير قادر على الاستفادة بعينية لمرض طرأ عليهما، فعطلهما منذ بداية سنه، ولكنه لم يعجز عن

استفادة ما وجده نافعاً له من العلوم الاسلامية و الآداب ، فقد استعان بو
يقرأون له ما يريد من العلم و الأدب ، فكان يتلقى العلم ويتضلع منه ، وقد او
فى طلب العلم بكبار شيوخ عصره ، و كان فى مقدمتهم سماحة المرحوم الشيخ
ابن إبراهيم آل الشيخ المفتى الأكبر للبلاد السعودية فى عصره ، و قد نال منه
الثقة والاعتماد ، حتى إنه كان ينيبه عن نفسه للاشراف العلمى و التعليمى الذى
مسئوليته عليه ، فلما أسست الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة لتقوم بسد حاجة
الاسلامى إلى العلماء والدعاة ، و اختير لها سماحة المفتى محمد بن إبراهيم آل ال
رئيساً ، أناب سماحة الشيخ بن باز نائباً له للاشراف على الجامعة وإدارتها ، فن
الجامعة ورسخت جذورها تحت توجيه وإشراف سماحة الشيخ بن باز ، حتى أصب
الآن دوحة وارفة الظلال ، و لا تزال فى توسع و تقدم مستمر .

ولما توفى الشيخ المفتى محمد بن إبراهيم آل الشيخ انتقلت عدد من المسئو
العلمية و التوجيهية إلى سماحة الشيخ بن باز ، فقد صار رئيساً للجامعة الاس
بالمدينة المنورة ، و رئيساً لمجالس رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة . و لما
نشاطه المباشر من المدينة المنورة إلى الرياض اختير لرئاسة أعظم مركز إسلامى
السعودية ، وهى رئاسة إدارات البحوث العلمية والدعوة والارشاد والافتاء التى
بالأعمال الدعوية و التربوية و الفقهية ، و خدمة الاسلام فى كل مكان على أو
نطاق ، و بظهور مكانة سماحته فى المملكة كثر اتصال المستفتين و أصحاب الحا
العلمية والدينية بسماحته ، و عظم احترامه فى قلوب المسلمين فى بلاده و خارج
و حل فى نظرهم محل تقدير بالغ و نال إكباراً منهم لفضله و تعاونه مع طلا
العلم و الدين ، و لم ينحصر فضل سماحته فى تعاونه العلمى و الدينى فحسب ،
و شمل أخلاقه وسلوكه مع الناس ، فقد وضع راحته و ماله تحت تصرف أصحا

الحاجة من إخوانه ومواطنيه فى بلاده، فمع أنه ينال رواتب لائقة بمقامه، ولكنه يبذل ما يسعه البذل فى صالح أهل الحاجات الاسلامية و الاجتماعية .

و من أكبر ميزات سماحته هو الاخلاص لدين الله تعالى ، و الغيرة للسنة النبوية الشريفة ، فلا يحتمل أخف إخلال بالتوحيد و أقل خلاف للسنة ، و لا يملك نفسه عند ما يطلع على شيوع بدعة أو ضلال فى مجتمع المسلمين ، و تشهد بذلك مقالاته و بحوثه التى يمليها ، و تنشر فى المجلات و الصحف ، و الخطب التى يلقيها فى المناسبات .

و نظرة فى بحوثه و مقالاته تدل على غزارة ما فيها من معرفة و علم وعمق و استقصاء فيما يسوقه من دلائل وشواهد ، من الكتاب و السنة و كتب السلف من أئمة الاسلام و مفكريه الراشدين .

و كان سماحته ذا صلة خاصة بالملك الراحل فيصل بن عبد العزيز آل السعود رحمه الله منذ أن كان الملك أميراً و وزيراً فى حكومة بلاده ولكن صلته به كانت للاسلام وفى الاسلام،كان يزوده بنصحه ويلفت نظره فيما يهم من الأمور فى نصرة الحق والدين ، و كان سماحته مع ذلك ملتزماً بالقناعة وبما يسعه من الزهد فى أمر دنياه ، وعرف سماحته بين معاصريه ومواطنيه بهذه الميزة ، و هى صفة كانت أكبر عون له فى مجال خدمة الاسلام ، ولم يزل سماحته قائماً بنصحه للدين مؤثراً لما يسعه من التقوى فى خاصة حياته ،وهما من أخص صفاته ومما تزدان به حياته .

وسماحة الشيخ بن باز واسع الاطلاع على ما يحدث ويدور للاسلام والمسلمين فى أقطار العالم الاسلامى . يسأل الوافدين منها إليه عن التيارات الفكرية والدعوية و التربوية الاسلامية و المعادية للاسلام فيها ، ويتبادل الآراء مع علمائها ومفكريها الزائرين له و المتصلين به ، و يلتزم الدقة و الحزم فى تكوين رأيه عنها ، و إبداء

رأيه فى شأنها ، و هو يهدف فى كل ذالك إلى خدمة الدين و الأمة الاسلامية .

فخدمة الاسلام التى اختير اسمه الكريم لنيل الجائزة عليها خير عنوان لجهوده و مساعيه المختلفة التى يقوم بها منذ أن دخل فى مجالات النشاط العلمى و الفكرى و الدعوى قبل عقود من السنين .

إن منح جائزة الفيصل العالمية له على خدمته للاسلام أقل من أن تبلغ إلى قيمة خدمته العظيمة ، ولكنه لا يخلو من كونه اعترافاً من لجنة إسلامية دولية بفضله و عمله العملاق فى مجال خدمة الاسلام ، و هذا الاعتراف من مثل هذه اللجنة حق له عليها .

و بحيث إننا أبناء أسرة ندوة العلماء نسعد ببعض المعرفة لسماحته عن طريق شيخنا سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى الذى تمتع بصلة ودية قريبة مع سماحة الشيخ بن باز و شخصيته العملاقة ، لذلك تلقينا خبر إعلان لجنة جائزة الملك الفيصل العالمية باختيارها لاسم سماحته لنيل جائزة خدمة الاسلام بكل سرور ، و ندعو الله تعالى لسماحته القبول العظيم عنده ، و استفادة الأمة الاسلامية بفضله لمدة أطول .

أيام فى ولاية « مالوه » فى الهند المتوسطة

سعيد الأعظمى

وصلنا إلى مدينة « إندور » فى ١٨/ ربيع الأول ١٤٠٢هـ - ١٥/ يناير ١٩٨٢م على دعوة من أخينا الكريم الأستاذ أبى البركات الفاروقى ، رئيس مدرسة رياض العلوم و هو من علماء هذه المنطقة الدعاة ، متخرج من الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، و يشتغل بعمل الدعوة و التوجيه الدينى فى خضم من أهل البدع والخرافات الذين يملأون الجو بأفكار واهية مبتدعة خرافية ، ذلك لأن هذه المنطقة استحكمت عليها قبضة البدع منذ انقراض دولة العلماء التى وجدت بجوار دولة الملوك المسلمين فيها ، وملاءمة جو البلاد للترحيب بالأفكار الواهية الخرافية التى تزيأت بزىّ الفكر الدينى فى ذلك الوقت .

نزلنا فى منزل أحد التجار المخلصين اسمه عبد الملك ، و كان يوم الجمعة فطلب منى الأستاذ أبو البركات أن أخطب الجمعة و أصلى بالناس فى مسجد البلد الجامع ، الذى يعرف باسم « كجى مسجد » وقد استغرقت الخطبة وقتاً لا بأس به ولكنها احتوت على إشارة إلى بعض الجوانب المهمة وتذكير الناس بمسئولية الدين والاهتمام بها ، وقد شرح الأستاذ أبو البركات بعض معانيها بالأردية بعد صلاة الجمعة أمام المصلين .

و توجهنا بعد ما تغدينا فى بيت الشيخ حبيب أحمد أحد تجار المسلمين القائمين بالتعاون والمساهمة فى عمل الدعوة فى هذه المنطقة ، إلى مدينة « ماندو » التى كانت مركزاً للحكومة الاسلامية فى القرون المتوسطة ، و كان فيها حصن عملاق يحيط بالمدينة كلها ، وبنايات إسلامية من المساجد والمدارس والزوايا والمحاكم ، والمضايف والقصور ، تشهد بعظمة الملوك المسلمين ، وعلو همتهم فى جوانب النشاط والعمل .

و صلنا إلى مدينة « ماندو » و قد مررنا فى طريقنا إليها بقرية ديبال بور حيث صلينا صلاة المغرب مع إخوان لنا بهم صلة التعارف الاسلامى من زمن ، و قد احتفوا بنا و طلبوا منا إلقاء كلمة فى المسجد بعد الصلاة ، و أكرمونا بعدها بفطور وشأى ، ثم استأنفنا المسير إلى « ماندو » ومررنا بمدينة « دهار » التى كانت عاصمة الولاية فى أيام دلاور خان غورى الذى عينه السلطان محمد تغلق فى القرن الثامن الهجرى حاكم الولاية فأسس فيها قلعته ، و سور البلد .

نزلنا فى مدينة « ماندو » بالمضيف الرسمى وفى صباح اليوم التالى خرجنا إلى زيارة آثار « ماندو » الاسلامية وكلها من مخلفات الملوك المسلمين التى تنطق بعبقريتهم و قوتهم ، و خاصة قلعة « ماندو » فهى آية فى البناء و التخطيط الهندسى ، و لها بقايا من السور الطويل الضخم وفى داخله بقايا من المبانى و الآثار التى تشهد بعلو كعبهم فى الحكم و رعاية شئون البلاد .

وبهذه المناسبة الحلوة أحب أن أسرد بايجاز تاريخ هذه الولاية التى استقر فيها حكم المسلمين ستة قرون و نصف ، و نبغ فيها جماعة من كبار العلماء والمصلحين ، الذين ازدهر بفضلهم تاريخ المسلمين العلمى و التربوى ، و ظلت ولاية « مالوه » مركزاً للعلماء و المشايخ و المربين و الدعاة إلى مدة طويلة .

تمتد أرض « مالوه » على مرتفعات جبال « بنديا جل » فى الهند المتوسطة ، تحدهـا « سلسلة من جبال « بنديل كهند » و جبال « أزولى » شمالا ، و نهر نربدا جنوباً ، و جبال أمر كنتك شرقاً و ولاية غجرات غرباً ، مناخها معتدل ، و الجو فى الصيف يكون ممتعاً ، و الأراضى خصبة .

فى القرن الرابع الهجرى بدأ الدعاة المسلمون يتوافدون إلى هذه المنطقة ففى عام ٤٣٤هـ المصادف ١٠٤٢م قدمها أول داع ومرب الشيخ عبد الله جنغال ، الذى أسلم على يده ملك مالوه الهندوسى (راجه بوج) ثم توالى الدعاة و المربون من العلماء والمشايخ ممن بذلوا مجهودات ضخمة فى مجال الدعوة إلى الله ، و قد عرف من

بينهم الشيخ كمال الدين ، الشيخ غياث الدين ، الشيخ مغيث الدين ، الشيخ وجيه الدين ، و الشيخ نور الدين . .

و فى القرن السابع الهجرى ـ عام ١٢٣٣م غزا ملك دهلى السلطان شمس الدين الالتمش الجزء المتوسط من ولاية « مالوه » وأخضعه لحكمه ، ثم جاء غياث الدين بلبن ملك دهلى وأخضع جزءاً آخر من هذه الولاية لسلطنته ، وذلك فى الفترة بين ١٢٦٥-١٢٨٧م ، وإن كان هناك أقيال من الهندوس يحكمون بعض أجزاء الولاية ، و لكن الملك علاء الدين الخلجى وجه جيشاً بقيادة قائد جيشه الملك كافور و معه عين الملك ملتان ، و استطاع أن يخضع هذه الولاية بأسرتها لسلطنته .

و جاء فى أواخر القرن الثامن السلطان محمد تغلق فأسس فى مدينة « دهار » قلعة بالحجارة الحمراء و بنى فيها سوراً ، و ظلت هذه المدينة ضمن ولايات حكومة المغول فى دهلى حتى عام ٨٠٤هـ ، وكان حاكم هذه الولاية دلاور خان غورى وعاصمته مدينة « دهار » وهو الذى أسس المسجد الجامع فى « دهار » وبدأ فى تشييد قلعة ماندو فى عام ٧٩٥هـ ، وقد استقل دلاور خان بحكومة هذه الولاية وأعلن استقلال الحكم فى عام ٨٠٤هـ المصادف ١٤٠١-١٤٠٢م وعرف بلقب عميد شاه داؤد ويوم ذاك قامت فى ولاية « مالوه » حكومة إسلامية مستقلة .

لم يأل الملك عميد شاه داؤد جهداً فى دعم سلطنته ، و إحكام قبضته ، وقام بتشييد بنايات و مساجد عديدة ، و من مآثره المعمارية قلعة « ماندو » التى تعذر نظيرها فى أى بلد إسلامى آخر ، وغير اسم ماندو و سماها « شادى آباد » وتوفى فى عام ٨٠٩ هـ و دفن فى عاصمته « دهار »

خلفه فى السلطنة ابنه « هوشنك شاه » و جلس على عرش الحكم ، و لكنه نقل عاصمته من « دهار » إلى « شادى آباد » وسماها ((دار الاسلام شادى آباد)) .

استطاع « هوشنك شاه » توسيع رقعة سلطنته بفتح ما والاها من المدن و إخضاعها للحكم ، و فى عام ٨٢٦هـ فتح قلعة « كاكرون » التى كانت تحت سلطة الأقيال الهندوس ، واستطاع كذلك أن يضم سلطنة جونبور الاسلامية إلى ولاية

« مالوه » حتی توسعت حدودها إلی ولایة « دکن » و سنحت للملك « هوشنك » فرصة لتأسیس دولة إسلامیة واسعة قویة فی « مالوه » قام فیها باصلاحات کثیرة، و من بینها أنه وزع دولته بین مقاطعات عدیدة لکی یتسنی له تدبیر شئون الدولة ، و أسس فی کل مقاطعة حصوناً و ثکنات ، و بنی علی شاطئ نهر « نربدا » مدینة باسم « هوشنك آباد » و أسس فیها قلعة کبیرة ، و ذلك للدفاع عن دولته و رد الهجوم إذا کان عن الطرق البحریة .

لقد کان الملك هوشنك محباً للعلم معجباً بالعلماء و المشایخ ، و لا أدل علی ذلك من المدرسة الاسلامیة التی أسسها فی شادی آباد باسم « مدرسة العلوم » انتدب للتدریس و التربیة فیها الشیوخ و العلماء من خارج البلاد ، و کان شدید الاعجاب بالشیخ أشرف جهانکیر السمنانی ، یستشیره فی شئون السلطنة ، واختار الشیخ المخدوم القاضی برهان الدین مربی عصره ، مدینة « ماندو » کمقرله ، وبایعه الملك هوشنك ، و آواه فی مدفن الأسرة المالکة بعد وفاته ، وأصبحت « ماندو » منذ ذلك الوقت مورد العلم و العلماء فتوافد إلیها الشیوخ الکبار و آثروها بالاقامة ، کالشیخ نجم الدین بن الشیخ نظام الدین الغزنوی ، والشیخ یوسف بدا ایرجی ، وشیخ الاسلام خلیفه شاه ، و غیرهم من العلماء و المشایخ الکبار .

لما توفی الملك هوشنك خلفه نجله السلطان محمد شاه الغوری ، و اتخذ الملك مغیث خان وزیراً له فی شئون السلطنة ولقبه بالمسند العالی ، وعین ابنه محمود خلجی قائد الجیش ، و لکنه غدر الملك محمد شاه الغوری و قتله مسموماً ، ثم ثار علی النظام و استولی علی الملك وذلك فی شوال عام ٨٣٩ھ ـ ١٤٣٦م و کان ذلك نهایة عهد الغوریین فی ولایة « مالوه » و بدایة عهد الخلجیین فیها .

استمرت دولة السلطان محمود خلجی فی ولایة « مالوه » نحو ٣٣ عاماً قام

خلال ذلك باصلاحات و توسعة رقعة السلطنة شمالا و جنوباً و شرقاً وغرباً حتى اعتبرت ولاية « مالوه » فی القرن الخامس عشر الميلادى أوسع وأكبر دولة إسلامية فی الهند، وكان الملوك المسلمون آنذاك يحكمون فی دهلی، وجونبور ودكن وغجرات، و لكن السلطان محمود خلجی استرد هذه الولايات و ضمها إلى سلطنته ، و هكذا اعتبره المؤرخون ملكا غيوراً قام بجلائل الأعمال، وازدهرت ولاية مالوه فی عهده ازدهاراً كبيراً فی كل مجال من مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية .

كان السلطان محمود خلجی متديناً لا يستهدف من وراء هذه النشاطات إلا أن يزدهر الدين والعلم من جميع النواحی ، فأسس فی « شادی آباد » جامعة إسلامية سماها « دار العلوم » و مدرسة أخرى خصها بدراسة و تدريس الحديث و سماها « دار الحديث » ذلك عداما أسس فی طول البلاد وعرضها من المدارس الدينية ، وما عين من الرواتب للعلماء والشيوخ، واقتطع لهم من الضياع والعقارات ، بجوار ما أسس من المستشفيات ، و مصانع الأدوية ، و مزارع العقاقير ، ومستوصفات للجانين حيث كان يوفر كل مرفق من الأدوية و الطعام ، و العلاج ، و السكن للمرضى مجاناً ، وطلب كبير الأطباء و رئيسهم الشيخ فضل الله أن يشرف على هذه الحركة الطبية و النشاط العلاجی فی مالوه .

بلغ السلطان محمود خلجی من الطموح و السماحة و التدبير و الشجاعة مبلغاً عظيماً فقد قضى فترة سلطنة ٣٣ عاماً كلها فی ميدان الحرب من غير أن يغفل أمور البلاد و شئون السلطنة ، و خدمة العلم والعلماء ، وتفقد حال الرعية و مساعدتها فی كل مجال ، إنه كان ملكا متديناً وخادماً للعلم والدين حقاً . (للحديث بقية)

فضيلة الشيخ محمد الثاني الحسني

في ذمة الله و التاريخ !

« قلم التحرير »

فجعت أسرة ندوة العلماء بحادث كبير يوم الثلاثاء ٢٠/ ربيع الثاني ١٤٠٢هـ المصادف ١٦/ فبراير ١٩٨٢م ذلك أن فضيلة الشيخ محمد الثاني الحسني الندوي فأجاه الأجل عقب انصراف مباغت في الصحة عاني منه ثلاثة أيام ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ محمد الثاني الحسني نجل شقيقة سماحة الشيخ مولانا السيد أبي الحسن على الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء ، و كان شقيق فضيلة الشيخ الأستاذ محمد الرابع الندوي رئيس كلية اللغة العربية بجامعة ندوة العلماء ، و هذا الحادث صدمة عنيفة بالنسبة إلى سماحة الشيخ الندوي و أفراد عائلته و أسرته العلمية و الدينية ، فقد كان الفقيد ذا صلة ماسة بالجميع ، وكان محبباً لدى الناس نظراً إلى أخلاقه الفاضلة و تواضعه الجم و علو مكانته في الورع والعلم ، و لمنجزاته القيمة في مجال الدعوة و العمل الاسلامي ، و لخدماته في المجالات الاجتماعية و العلمية ، و لصلته الوطيدة بعلماء و شيوخ عصره الصالحين .

لقد كان سماحة الشيخ الندوي خارج الهند في رحلة إلى الربوع الاسلامية وفجع بهذا المصاب العظيم بعد عودته إلى لكهنؤ بليلة واحدة فحسب ، وحزن حزناً بالغاً على هذه المفاجأة الأليمة ، خاصة لأنه واجه الحادث خلال مدة قليلة من حادث وفاة نجل شقيقة الكبير المرحوم محمد الحسني (رحمه الله) رئيس تحرير مجلة البعث الاسلامي سابقاً .

لقد كان الراحل العظيم الشيخ محمد الثاني الحسني بالغاً من العمر ٥٧ سنة ، وقد رزقه الله تعالى منذ صباه من صفات الدين و الورع و التأمل في ذات الله تعالى

ما لا يتمتع به كثير من الناس، وتميز بتواضعه الجم و أخلاقه الفاضلة و النظرة الفاحصة و الجمع بين العلم و العمل ، و بين القول و الفعل بين معاصريه وأقرانه، و تلك ميزة لها اعتبارها فى كل زمان و مكان .

كان رئيس تحرير مجلة «رضوان» الشهرية التى أصدرها فى عام ١٩٥٦م كمجلة دورية لتربية النساء والبنات المسلمات ، ورزق ميزة خاصة فى تأليف الكتب حول تراجم الرجال ، وقلما رشيقاً وذوقاً عالياً فى النثر والنظم معاً ، كان يرتجل الكتابة والشعر حول مواضيع دينية وأدبية، وله من بين مؤلفاته ، ترجمة حياة الشيخ محمد يوسف ، أمير جماعة التبليغ في مجلد ضخم، و ترجمة حياة الشيخ المحدث خليل أحمد الأنبيتوى ، وترجمت إلى العربية كذلك، و قد نظم نشيد ندوه العلماء بقلمه الرشيق و لغته العذبة ، وسيبقى تذكاراً خالداً فى تاريخ ندوة العلماء ، وكان يعد كتاباً حول ترجمة حياة الأستاذ المرحوم محمد الحسنى (رحمه الله) وكان عضو المجلس التنفيذى لندوة العلماء، والأمين العام لجامعة فلاح المسلمين فرع ندوة العلماء بمديرية(راسئ بريلى الهند)

إن أسرة المجلة لمن المفجوعين بالحادث و لكننا ترفع أصدق آيات العزاء إلى سماحة مربيها الجليل مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى، و إلى فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسنى الندوى و إلى فضيلة الأستاذ محمد واضح الندوى و إلى جميع أعضاء الأسرة الكريمة فى فقيدهم الغالى ، رحمه الله رحمة واسعة ، و أدخله فسيح جناته .

كما أن ندوة العلماء فجعت بوفاة عضوين آخرين من أعضاء مجلسها التنفيذى فى ظرف شهر مضى و هما الشيخ مصباح الدين النقوى رحمه الله ، الذى كان يشغل منصب أمين المالية لندوة العلماء ، و الشيخ محمد مستنصر الله الذى كان من أصحاب الخير والصلة بالعمل الاسلامى ، ولكليهما دور فى خدمة ندوة العلماء يذكر ويشكر، رحمهما الله و جزاهما خيراً كثيراً .

ندوة علمية حول « الاسلام والمستشرقون »

فى الفترة بين ٢٦-٢٨ ربيع الثانى ١٤٠٢هـ الموافق ٢١-٢٣ فبراير ١٩٨٢م

عقدت فى مجمع دار المصنفين (إكاديمية شبلى) بمدينة أعظم كره الهند، ندوة علمية حول « الاسلام والمستشرقون » افتتحها سماحة الشيخ العلامة أبى الحسن على الحسنى الندوى بكلمته الترحيبية التى رحب بها حضرات الضيوف المندوبين فى الندوة، وأشار فيها إلى الغرض الذى تتوخاه دار المصنفين بعقد هذه الندوة العلمية والبحث فى هذا الموضوع الهام، وأكد أن دراسة الموضوع ونقاشه من وجهة النظر العلمية والموضوعية لمن أهم متطلبات العمل الاسلامى و الحركات العلمية فى العصر الحاضر، و أن أى تأخير أو انتظار فى تفهم افتراءات و منافذ الاستشراق و الرد عليها فى ضوء العلم و الواقع و التاريخ لا ينتج إلا الأسلوب الاعتذارى الذى أصيب به المسلمون فى فترات مختلفة من تاريخهم، و تشوهت بذلك سمعتهم فى كل مجال و مجتمع، و قد ترأس الحفل الافتتاحى فضيلة العلامة الدكتور يوسف القرضاوى.

والبحوث التى قدمت فى جلسات الندوة احتوت على لغات مختلفة من العربية والأردية والانجليزية، كما حضر المندوبون من الدول العربية وباكستان ومن جامعات الهند الكبرى، وسننشر تفاصيل هذه الندوة العلمية فى العدد القادم باذن الله تعالى.

★ كتاب « فتح الرحمن فى إثبات مذهب النعمان » ★

أهدى إلينا فضيلة الشيخ المفتى نظام الدين الأعظمى مدير هيئة الأفتاء بجامعة دار العلوم ديوبند الاسلامية، كتاب « فتح الرحمن فى إثبات مذهب النعمان » وهو من مؤلفات محدث الهند الكبير الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوى من مواليد ٩٥٨هـ، وكان الكتاب ضمن الكتب الخطية فى مكتبات الهند، فتصدى فضيلة الشيخ المفتى نظام الدين وبذل جهداً مشكوراً فى إخراج هذا الكتاب فى ثوب قشيب من الطباعة لأول مرة، يقول الشيخ نظام الدين مشيراً إلى أهمية الكتاب فى مقدمته عليه: « ومما يزيد الكتاب أهمية أنه معجم فريد للأحاديث الصحيحة، و مصدر أساسى للمسائل الشرعية فهو أحق أن يحظى بالعناية من الباحثين فى علم الحديث و المشتغلين بالمقارنة بين مذاهب للأئمة الأربعة، وترجيح الراجح منها، والراغبين فى أن يطلعوا على مصادر الشرع الأصيلة فى وقت واحد ».

والكتاب هو الجزء الأول، ونرجو أن تظهر الأجزاء التالية في وقت قريب.
و قد ألحق الشيخ نظام الدين هذا الكتاب برسالة مفيدة جداً في أصول الحديث، باسم «رسالة السلّم الحثيث في أصول التحديث».

نشرت الكتاب المكتبة الحسامية في ديوبند بخط عربي على ورق جيد، وهو جدير بأن يوضع ضمن المقررات الدراسية في المدارس والجامعات الاسلامية.

الجمعية المحمدية في تلشي فور (غونده) الهند

الجمعية المحمدية في مدينة تلشي فور بمديرية غونده (الهند) مؤسسة إسلامية تعنى بتعليم و تربية أولاد و بنات المسلمين في المنطقة الشمالية بالهند، و قد أنشأت الجمعية مدرسة باسم الكلية الاسلامية لتعليم الكتاب و السنة، و تم وضع الحجر الأساسي لهذه الكلية في مناسبة دينية وفي جو إسلامي بحضور حشد من جمهرة المسلمين و علمائهم في ١١/ ربيع الأول ١٤٠٢هـ يوم الجمعة.

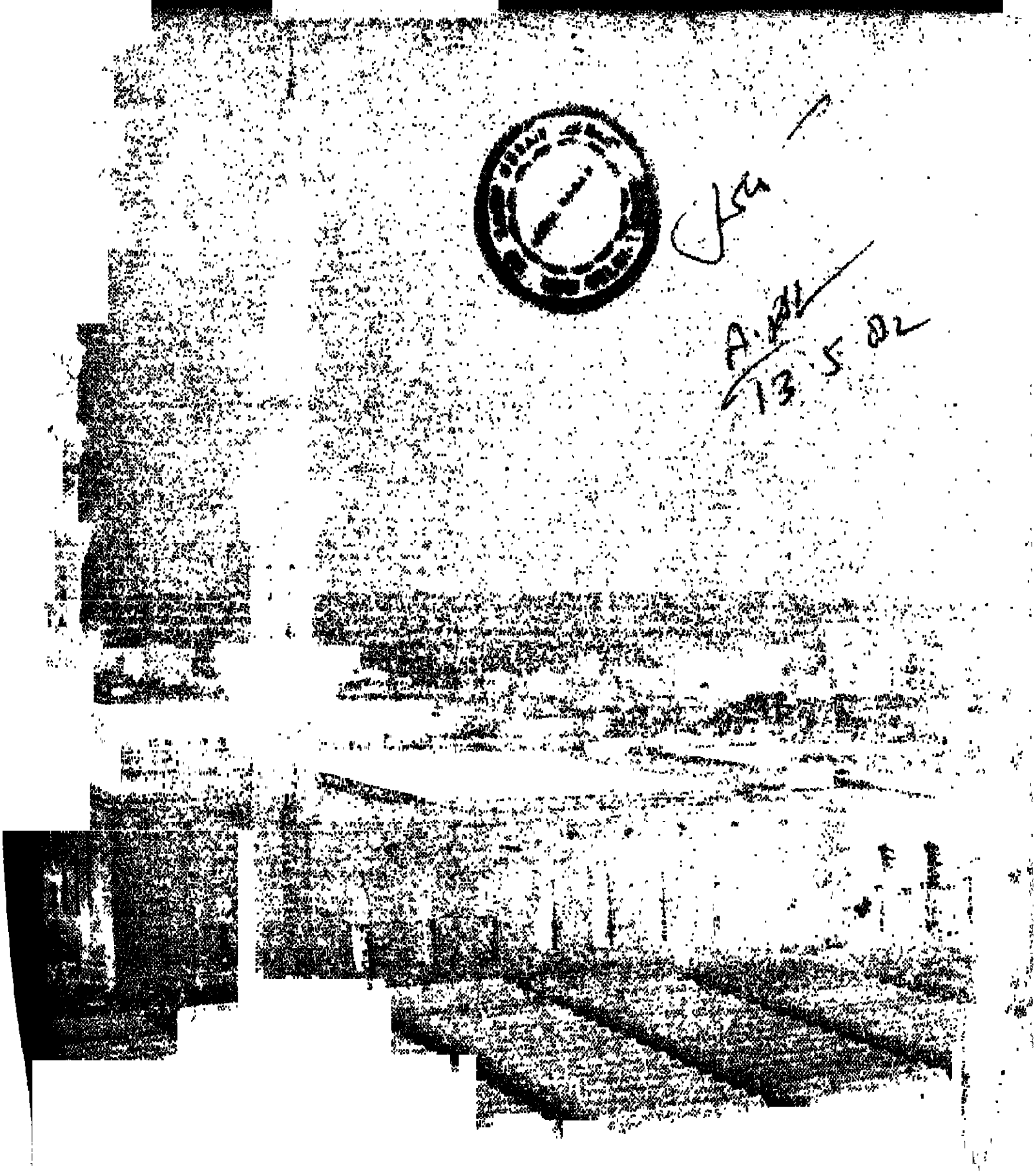
و الجمعية تشرف على مدرسة للبنات المسلمات باسم معهد الزهراء الثانوي، و على قسم لتعليم الصناعة والمهن للبنات، كما أن لها نشاطاً في مجال الدعوة والتبليغ في هذه المنطقة بصفة خاصة، وقد أزمعت الجمعية إصدار مجلة شهرية باسم «الرسالة الجديدة» باللغة الأردية ضمن أهدافها التربوية والدعوية، ندعو الله سبحانه أن يوفق القائمين على هذه الجمعية للتقدم في برامجها باخلاص.

★ دار العلوم أحمدية السلفية بدربهنجه تؤجل مهرجانها التعليمي ★

إن المجلس الاداري لدار العلوم الأحمدية السلفية بدربهنجه بالهند قد قرر تأجيل المهرجان التعليمي الذهبي لدار العلوم عن موعده المقرر، وكان مزمعا عقده بمناسبة مرور ٧٥ عاماً على تأسيسها في ٢٦، ٢٧، ٢٨ من فبراير القادم ١٩٨٢م. وذلك نظراً إلى ظروف البلاد الراهنة التي لا تناسب لاقامة مثل هذا المهرجان. وسوف يقام المهرجان بإذن الله فيما بعد حيث تكون الظروف ملائمة لذلك، و يعلن عن موعده الجديد بعد تحديده إن شاء الله.

شعارنا العودة
إلى الإسلام
من جديد

البعث الإسلامي



بيانات إدارية هامة

بهذا العدد يتم المجلد السادس و العشرون للمجلة وسنبدأ العام الجديد - باذن الله تعالى - (الذى سيبتدىء به المجلد السابع و العشرون للمجلة إن شاء الله تعالى) بالعدد الممتاز عن « الاسلام و المستشرقون » و يتحلى هذا العــدد ببحوث قيمة حول الموضوع كتبها أقطاب الفــكر الاسلامى و رجال الأقلام المؤمنــة التحليلية كسماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، و الأستاذ أنور الجندى ، والدكتور عماد الدين خليل و غيرهم من كبار الكتاب الاسلاميين و آراء و أفكار الدكتور معروف الدواليبى ، والدكتور عبد السلام الهراس ، وكلمة الدكتور يوسف القرضاوى ، و الدكتور عبد الصبور مرزوق و غيرهم .

و سيضم هذا العدد الممتاز العددين الأول و الثانى للمجلد السابع و العشرين و سيصدر فى رمضان القادم باذن الله تعالى .

و مما يهم و يجــدر بالذكر للاخوة القراء الكرام هو أن الغلاء الفاحش و ارتفاع أسعار الورق وأدوات الطباعة وأجور البريد اضطرنا إلى زيادة فى قيمة المجلة ابتداء من المجلد ٢٧ .

رجاء الكرم بقبول هذه الزيادة برحب وسعة ، وستكون الاشتراكات السنوية كالآتى :

فى العالم العربى والاسلامى :	٩ دولارات بالبريد السطحى ١٨ دولاراً بالبريد الجوى
فى أوربا وافريقيا وآمريكا :	٩ دولارات بالبريد السطحى ٢٠ دولاراً بالبريد الجوى
فى باكستان وبنغلاديش ودول شرق آسيا :	٨ دولارات بالبريد السطحى ١٨ دولاراً بالبريد الجوى

ترسل الاشتراكات كلها بالعنوان التالى :

البعث الاسلامى ـ ندوة العلماء
ص. ب ٩٣ ـ لكهنو (الهند)

ALBAAS -EL- ISLAMI
NADWATUL ULAMA
P. O. Box 93 LUCKNOW (INDIA)

أنشأها فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني (رحمه الله)
في عام ١٣٧٥هـ سنة ١٩٥٥م

تصدرها : ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

المراسلات :
البعث الإسلامي
ندوة العلماء . ص . ب ٩٣
لكهنؤ ـــ الهند

NADWAT-UL-ULAMA
P.O. Box 93
Lucknow (India).

بسم الله الرحمن الرحيم

لا بد من تعاون

من الواجب على أن أشير بصراحة إلى أنه لا يصلح أمر العالم الاسلامى إذا بقى الشعب ساخطاً على الحكومة ، و الحكومة ناقمة من الشعب ، بل لا بد هنا من تعاون رجال الاصلاح و الدعاة ، و المبشرين و المنذرين ، و لا يمكن ذلك إلا إذا صلحت النية و صحت العزيمة ، و اتحدت الغاية ، فعلى كل واحد منا أن يعمل فى حقله و يؤدى حقوق صاحبه و لا يبتغى رضا أحد ، ولا يرجو من رجل كلمة خير ، إنما هو يعمل لله ، و هو وحده يجزيه بجهاده « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » .

(الأستاذ المرحوم) محمد الحسنى

(الاسلام الممتحن صفحة ٢٤)

المجلد السادس والعشرون
العدد [redacted]

رجب ١٤٠٢هـ
مايو ١٩٨٢م

في هذا العدد

مواطن الفساد وجرثومة الداء
في جسم الأمة الاسلامية　　سعيد الأعظمي　　٣

التوجيه الاسلامي

بين نظرتين : النظرة القرآنية و النبوية
إلى الأمة الاسلامية
ونظرة المسلمين أنفسهم إلى أنفسهم　　سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الندوي　　١٠
تاريخ ترجمة القرآن الكريم　　الأستاذ أكمل الدين إحسان　　٢١

الدعوة الاسلامية

الغرب في ضوء التحليل النفسي　　د/ محمد الحسني رحمه الله　　٣٥
مبادىء في الأدب و الدعوة　　فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني　　٤١

دراسات و أبحاث

معتقدات المسيحيين في شأن سيدنا المسيح عليه السلام　　فضيلة الأستاذ محمد تقي العثماني　　٥٠
آراء الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي　　الأستاذ سلمان الحسيني الندوي　　٦٣
حركة الاستشراق في ميزان العلم والتاريخ　　محمد صدر الحسن الندوي　　٧٢

الندوة العالمية للأدب الاسلامي

أدب الصحوة الاسلامية　　واضح رشيد الندوي　　٨٠
تقرير موجز عن الندوة العلمية
« الإسلام و المستشرقون »　　الأستاذ محمد الرابع الندوي　　٩٦
شيخ الأزهر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار في ذمة الله　　« قلم التحرير »　　٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

★ الافتتاحية :

مواطن الفساد و جرثومة الداء
فى جسم الأمة الاسلامية

لا نقول : إن المال شئ يجب أن تكون جوانب القلوب كلها فارغة من حبه مأة فى المأة .

و لا نقول : إن الجاه و المنصب أمر محرم على المسلم ، لا يجوز له أن يتمناه أو يتولاه بتاتاً .

و لكن نقول : إن حب المال الذى يطغى على جوانب النفس ويملأ جوانح القلب بحيث لا يترك المرء يفكر فيما هو أهم وأولى له فى دينه ودنياه ، و فيما هو أحب إلى الله وأرضى للضمير هو الحب الذى لا يسمح به الاسلام أتباعه ، و ينهاهم عن تنميته و الاعتناء به فى أى حال من الأحوال ، « كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى » و « إنه لحب الخير لشديد » « وأما من بخل و استغنى و كذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » .

ذلك هو الحب للمال الذى يؤدى بالمرء إلى طغيان على الناس وتمرد على الفضيلة والأخلاق والحب والطاعة ، و إلى نسيان الحقوق و الواجبات ، والاعداد للآخرة ولما بعد هذه الحياة من عالم لاينفع فيه مال ولابنون ، ولما بعدها من حياة لايغنى عنها الثراء المادى والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، حيث لاينفع الانسان إلا ماقدمه من زاد طيب ، وما قام به من عمل خالص .

أما حب الجاه و المنصب الذى يتمادى فى الطبيعة إلى حيث لا يبخل فيه الانسان بدفع أغلى قيمة فى سبيله ، و لا يتردد فى الوقوف بنفسه أخزى موقف و بيع شرفه بأتفه ثمن ، فذلك هو الحب الذى يحول دونه الاسلام ويضع عليه الحظر ، إنه يخاطب الرسول ذلك الصاحب العظيم النصب العظيم بخطاب [illegible] شئ كثير من الأنذار والاخطار [illegible] ما يعود [illegible] رامانة

للظروف أو المصالح فيأمره بأداء الواجب الذى نيط به من غير خوف أو مراعاة «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » .

إن هذين الحبين ، حب المال و حب الجاه ، كلما تجاوزا الحد المرسوم ، و تخطيا رقاب الحق و الفضيلة ، شكلا خطرا كبيراً على حياة الأمة و أنتجا فساداً موسعاً على جميع المستويات ، ذلك أن الانسان يتناسى وظيفتـــه و يتغافل عن مهمته ، و يخرج عن نطاقه إلى منطاق البهائم و السوائم ، و هنالك يحدث مايحدث من أوضاع سيئة ، ويدخل فى الحياة منكرات و محرمات قد لا يشعر بها الانسان ، و يظن بأنه عبد خاضع ، بر ومطيع لله ولرسوله ، و عامل بتعاليم الاسلام ، ومن طبيعة هذا الحب الغير الطبيعى أنه ينخر الكيان و يسلب طاقة الايمان فى خفاء و بطء ، و يؤدى بصاحبه إلى آخر نقطة من الضعف و الفساد .

و هل كانت الحياة التى عاشها الانسان و خاصة أصحاب الحضارتين الرومية و الفارسية اللتين سبقتا مجئ الاسلام إلا نموذجاً للتساقط على المال و الجاه من غير شرعية قانونية ، مما أنتج فساداً شاملا ، وقضى على الاتزان المطلوب فى الحياة والمجتمع فوجدت هناك طبقات ارستقراطية فى غاية من الشموخ و الأنفة والفخفخة و الكبرياء ، تستبيح لنفسها كل ظلم واعتداء ، بل كل ظلم كان عدلا ، و كل اعتداء كان عطفاً فيما تراه ، وتوزع الانسان بين رفيع و وضيع ، و حاكم ورعية ، فليتنعم الحاكم و الرفيع على حساب أهل الطبقـــة الوسطى و الدنيا ، و للغنى أن يدوس بأقدامه من هو دونه فى المال و الثراء و إن كان فوقه فى العقل و الذكاء .

كل إنسان كان يسعى وراء حب المال و الجاه و يعصر آخر قطرة مما يملكه فى تحقيق هذه الرغبة الجامحة ، فمن ساعده الحظ وحصلت له درجة فى الحياة زعمها قمـــة فى السعادة و الفكر ، وتناول غيره بكل ما أراد من إهانة و سخرة و إشقاء وتعذيب ، لقد مثل هذا الحب الغير الطبيعى دوراً ظالماً شقياً ، وملأ المجتمعات البشرية بأدواء خلقية و نفسية تعمقت جذورها إلى مدى بعيد ، و وصل بالانسان إلى هوة سحيقة من التسفل و الانحطاط ، فلم يكد يخطر بالبال أن هناك منزلة أعلى مما يعيش

فيه ، و حياة أفضل من تلك الحياة ، ولكن التاريخ يشهد بأن هذه الحالة الشاذة لم تدم إلا حقبة من الزمان ، وسرعان ما انهار صرح الحضارتين الشقيتين ، و شمل النوع البشرى كله فساد لا نهاية له .

نتيجة لهذا الشقاء والفساد جاء الاسلام فأخذ بيد الانسانية المعذبة و أنقذها من ذلك المصير المشئوم الذى كان حكم التاريخ ، وبدأ عهد جديد للانسان على أساس الفضيلة و العدل ، و الحرمة و التواضع ، و الايمان بالله تعالى ، و الاستسلام لأحكامه العادلة وقضائه الفصل ، وأسندت الرسالة إلى خاتم الأنبياء و الرسل محمد ﷺ ، و كان قد جرب الحياة و رأى تجربات الأمور ، و عاش الناس يدرسهم بتعمق و بصيرة ، و كان يساوره القلق على ما يدور حوله من انحرافات و ضلالات ، و لقد شاهد أن العامل الأقوى فى الفساد الشامل هو الحب الأعمى لاستكثار وسائل العيش الناعم ، و إن كان ذلك بشن الحروب الدموية ، و النهب وقطع الطرق ، و الحب الأعمى للتعالى و الاستكبار ، و إحراز عزة كاذبة و جاه خادع و منصب مزور .

بين هذين الجانبين من « الحب » كانت الحياة تدور فى أغلب الأحوال ، أو بتعبير آخر : بين هذين الشقين من الرحى كانت الانسانية تعذب وتطحن ، فأول عمل قام به الرسول العظيم ـ صلوات الله و سلامه عليه ـ أن أخرج من القلوب حب المال و المتعة و اللذة و أحل محله حب الانفاق و البذل و التضحية بالنفس و المال فى سبيل السعادة والرفاهية و الهدوء والطمأنينة ، حتى إذا دعا المسلمين إلى الانفاق فى سبيل الله لنصرة الدين و تمكين كلمة الاسلام أسرعوا إليه و استجابوا لدعوته فما تركوا مالا ولا ضياعاً مهما كان حقيراً إلا وقدموه فى سبيل الله و أعرضوا عن المتع و اللذات بتاتاً .

و أخرج من قلوبهم حب الجاه والمنصب ، فمن كانت عنده سيادة أو رئاسة أحب أن يتنازل عنها و يجعلها إلى غيره ، جرد القلوب من هذا الحب الأعمى و أقام الجميع فى صف واحد و منزلة واحدة ، كلهم عباد الله ، كلهم أتباع الدين ، و كلهم

جنود الله ، لا سيد ولا مسود ، ولا خادم ولا مخدوم ، ولا رئيس ولا مرؤس ، و لا حاكم و لا محكوم ، و لما وجه النداء إلى الخروج فى الجهاد وقف الجميع كجندى واحد ، و لما طلب منهم دعم المجاهدين تبرع الرجال بأموالهم و أمتعتهم و تبرعت النساء بحليهن و ثيابهن .

و قام مجتمع إسلامى نزيه ، يمثل دوافع الانفاق والبذل والمساعدة ودوافع التواضع والمواخاة والتنازل عن الحقوق و الاعراض عن المنصب و الجاه ، وحل الانسان محله اللائق به ، و عاد كل شئ إلى نصابه ، فسجل التاريخ الاسلامى أمثلة رائعة للحياة الاسلامية المتكاملة التى تسودها الفضائل كلها مع الرغبة التامة عن الجاه و المال و أعراض الدنيا ، و الاقبال الكامل على إعداد الزاد للآخرة و التطلع إلى الجنة و النعيم ، و ما قصص الحياة التى عاشها الصحابة رضى الله عنهم بخافية على التاريخ الانسانى ، و ظلت الحياة الاسلامية على ذلك النمط الجميل و المنوال الأغر مستمرة حتى عهود الخلفاء الراشدين ، و شهدت عين العالم النموذج المثالى للمسلم فى كل مجالاته و على جميع مستوياته .

و لما انتهت هذه الفترة السعيدة للتاريخ الاسلامى بدأت صفحة جديدة منه ، و لكنها لم تكن كأختها صفحة مشرقة وضاءة ، فقد مسها غبار ، و خالطها شئ من فساد وضعف على امتداد الأيام ، و تتابع الخلفاء الأمويون على عرش الحكم ، ومع تتابعهم تغيرت الأحوال ، و جدت العادات والتقاليد وتداخلت أمور ورسوم لم تكن تعرف قبل ذلك ، و تصدى حب المال والجاه يمد ذراعيه و يرسخ قدميه حتى عمت المنكرات و الخيانات ، و الرشوة و الابتزاز لمال الدولة فى المجتمع ، و أصبح الخليفة امبراطوراً له من الهيبة و المنزلة ما لا يكاد يستقر أمامه العامة من الناس ، وقد راح وراء ألف حجاب ، لايستطيع أن يراه أحد ولا هو يستطيع أن يطلع على الأحوال و الأحداث إلا ما يريده له وزراؤه و أعوانه و خاصته و ندماؤه .

نما حب المال فى النفوس إلى حد فشت فيه الرشوة و الخيانة على أوسع نطاق ، و أضحى مال الدولة ملكاً للخليفة و أسرته ، و اتسع نطاق المنكر فلم يعد غريباً على الناس ، وصار جمع المال و ادخار الثراء همهم المهم وشغلهم الشاغل ، وتكبر الموظفون الصغار فى الدولة و تناولوا الجمهور بالظلم و هضم الحقوق و الحرمان و الاهانة ، و عاد المجتمع كله مثالا لشقاء الانسان بأوسع معانى الكلمة .

و لكن ظهرت المعجزة و جاءت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز فجاءة وعلى غفلة منه - و لله فى شئونه حكمة - و كان من المعقول جداً فى ذلك الوقت أن يتأنق الخليفة الجديد ويتكبر ، و أن يتخذ مال الدولة ملكه الخاص فيقوم باسراف شائن فى المأكل والمشرب والملبس ، فقد كان حسن الشارة و الهندام يعتنى بالأناقة فى كل شئ . و يتطيب فيطيب الجو ، ويمشى مشية جميلة تقلدها الجوارى .

توقف التاريخ ممسكا قلمه لكى يرسم صفحة جديدة فى واقع حب المال و الجاه ، قد تفوق ما سبقها فى الشدة والسواد ، و لكن هيهات أن يجد بغتيه فى عمر ابن عبد العزيز ، الذى اختاره الله كخامس الخلفاء الراشدين .

تسلم الخلافة فاذا بموكب الخلافة ينتظره ، موكب فخم يتألف من خيول فارهة و سرادقات جديدة و فرسان يتقدمون الموكب و آخرون يحرسونه من الوراء ، فيعرض عن كل ذلك و يقول : ائتونى ببغلتى ، و رد كل ما قدم له من مظاهر الأبهة والخلافة إلى بيت مال المسلمين حتى إنه لم يرض بابقاء ماله و عقاره وحلى زوجته عنده بعد تسلم هذا المنصب الخطير ، إنما جعل كل شئ منه إلى بيت المال ، و اكتفى بقميص واحد يغسله كل جمعة و يترقب جفافه حتى يصلى الجمعة .

كان من التقاليد الأموية أن يغطوا الطريق الذى يمشى فيه الخليفة بالفرش و السجاجيد الثمينة الجديدة ، و فعلوا ذلك مع عمر بن عبد العزيز فور تسلمه مهام الخلافة ، فأبى أن يقبل ذلك ، و قال لمزاحم مولاه : « ضم هذا لأموال المسلمين » «يتقدم إليه أهل سليمان بن عبد الملك مشيرين إلى مخلفات سليمان فى دار الامارة و قائلين : هذا لك و هذا لنا ، فيسألهم عمر : ما هذا و ما هذا ؟ فيقولون هذا

مما لبس الخليفة السابق من الثياب و مس من الطيب فهو لولده وما لم يمس ولم يلبس فهو للخليفة بعده ، وهو لك ، فيجيبهم عمر بالقول الفصل : ما هذا لى ولا لسليمان ولا لكم ، يا مزاحم ضم هذا كله إلى بيت مال المسلمين ».

عاش عيشة متواضعة كأنه رجل من عامة الناس و ليس خليفة ، حتى إن نفقته اليومية لم تكن أكثر من درهمين ، ولتواضعه واعتبار نفسه أصغر شخص فى الدولة ولشعوره الكبير بالمسئولية العظيمة قصص و قصص لا يسعها هذا المقال الوجيز ، و كل ذلك دليل على تجرده عن حب الجاه و المنصب ، و لما استغنى عن هـذا الحب أتت إليه الخلافة راغمة .

أما من جهة حب المال فيكفينا أن نعرف أنه لم يرض بقبول أى مرتب له ولم يرض بالضرائب التى فرضتها الحكومة السابقة على الناس . ولكنه أبطل جميع أنواع الضرائب دون مبالاة بعجز الميزانية ، و قد كانت الجزية من أعظم موارد بيت المال التى تغطى مصاريف الدولة ، فشكا إليه بعض العمال أن الذميين بدأوا يقبلون على الاسلام فتنقص بذلك نسبة الموارد ، الأمر الذى يهدد بيت المال بخسارة فادحة وعجز كبير ، فرد عليه من غير قلق و لا هلع « إن الله جل ثناؤه بعث محمداً ﷺ داعياً إلى الاسلام و لم يبعثه جابياً » .

و له فى الإعراض عن المال و رفضه قصص و حكايات كثيرة ، و كلها موشر واضح إلى نجاحه الكبير فى الحكم ، فان المجهودات المخلصة التى بذلها فى سبيل القضاء على حب المال و الجاه لمشكورة مسجلة و هى مناره نور للحكام و الخلفاء و للعلماء و الزعماء ممن يؤخذون بسحر المال و المنصب ، و يضعون كل طاقاتهم و إمكانياتهم فى سبيل تنمية هذين الحبين ، و تقويتهما ، و ذلك هو السر الكبير فى ميكروبات الفساد التى تداخلت فى نفوسنا ، و امتزجت بلحومنا و دمائنا .

فهل إلى خروج من هذين الحبين من سبيل ، للذين يمثلون سيرة الاسلام و يزعمون أنهم علماء الدين و دعاة إلى الله ؟ ؟ .

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

بين نظرتين
النظرة القرآنية، و النبوية إلى الأمة الاسلامية
و نظرة المسلمين أنفسهم إلى أنفسهم

محاضرة ألقاها سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى بقاعة المحاضرات بالجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة يوم الاثنين ١٤ من ربيع الآخر سنة ١٤٠٢ﻫ (٨ من فبراير سنة ١٩٨٢م) عقب صلاة المغرب ، و رأس الحفلة و أشرف عليها و علق على الكلمة معالى الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد الله الزائد نائب رئيس الجامعة ، وغصت القاعة بالحاضرين والمستمعين من طلبة الجامعة وأهل المدينة ، و حضرها عدد وجيه من الأساتذة و عمداء الكليات ، و قد نقلت الكلمة من الشريط (١) ، و نظر فيها المحاضر و تناولها بشئ من التهذيب والتنقيح ، والحذف والزيادة مع الاحتفاظ بطابعها الارتجالى وما أوحى به المحيط والبيئة التى ألقيت فيها وما اكتنفها من الانفعال]

قال المحاضر ، بعد ما حمد الله و صلى على رسوله و آله و صحبه و سلم !

وبعد ، لحضرة الرئيس الجليل ، حضرات الأساتذة المؤقرين ، وأبنائى الأعزاء ، طلبة الجامعة ، السلام عليكم و رحمة الله و بركاته ، إن موضوع حديثى فى هذه الأمسية المباركة فى المدينة المنورة المباركة ، النظرة القرآنية ، و النبوية إلى الأمة الاسلامية ، و نظرة المسلمين أنفسهم إلى أنفسهم .

---

(١) نقلها السيد مشتاق على الندوى الطالب بالجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة .

وقد يبدو هذا الموضوع غريباً لكثير من إخواننا ، وكأنى أقرأ فى خطوط جباههم العريضة المشرقة ، تساؤلا طبيعياً ، أى طرافة فى هذا الموضوع ؟ كلنا يعرف النظرة القرآنية إلى هذه الأمة الاسلامية ، بل النظرات القرآنية التى جاءت فى القرآن الكريم ، و من الذى لا يحفظ قوله تعالى :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر (١) »

و من الذى لم يسمع ، و لم يوفق لتلاوة قوله تعالى :

« و كذلك جعلناكم أمة و سطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً » (٢) .

و من الذى لا يعرف قوله تعالى :

« و جاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم و ما جعل عليكم فى الدين من حرج ط ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ط و فى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس (٣) »

وكأنى أسمع ما يجول فى خواطر كثير من المستمعين ، يقولون إنه موضوع على الهامش ، أو هو من قبيل تحصيل الحاصل .

و لكن إخوانى ! القرآن كما تعلمون لا تنقضى عجائبه ، و لا تبلى جدته ، و الله إن فى القرآن آية ، كلما مررت بها وقفت أمامها خاشعاً متهيباً ، مستعجباً مشدوهاً ، أى حجم تعطى هذه الآية هذه الأمة الاسلامية ، وفى أى محيط ، وفى أى واقع تاريخى ، ولكى لا أبادر بتلاوة هذه الآية ـ وكلكم تعرفونها وتحفظونها بل أريد أن أثير فيكم التساؤلات الكثيرة ، و أثير فيكم الرغبة و التعطش إلى سماع هـذه الآية .

---

(١) سورة آل عمران : ١١٠ : (٢) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٣) سورة الحج : ٧٨ .

قبل أن أتلو هذه الآية الكريمة ، و هى فى ذاكرتكم و فى معلوماتكم ، أريد أن أستعرض الواقع الغريب ، الواقع المثير المرير ، الذى نزلت فيه هذه الآية.

تصوروا يا إخوانى ! ـ وما أحلى الحديث عن المدينة فى المدينة ـ تصوروا عن حفنة من البشر (و أنا أتعمد هذه الكلمة) نظراً إلى البحر الهائج المائج من النفوس البشرية ، و المجموعات الكبيرة ، التى كانت تموج فى ذلك العصر ، حفنة من البشر تؤمن بالحقائق التى جاء بها القرآن الكريم ، و جاءت الرسالة المحمدية ، تضيق عليها الأرض بما رحبت وتضيق عليها نفسها ، ولا أصدق ولا أدق تصويراً من الله سبحانه و تعالى يقول عن مثل هذا الوضع الغريب : « حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت و ضاقت عليهم أنفسهم و ظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه (١) » هذه صورة المؤمنين المعدودين الذين آمنوا بالله وبرسوله بمكة ، ومكة على رحابتها وسعتها ، و ترحيبها بكل طارق ، و بكل نزيل ، بحكم البيت العتيق ، وبحكم « أول بيت وضع للناس » والذى يقول الله تعالى فيه لنبيه وخليله إبراهيم : « و أذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ط ليشهدوا منافع لهم (٢) »

مكة ضاقت على هذه الحفنة البشرية المؤمنة حتى اضطرت هذه المجموعة العربية القرشية ، المومنة المسلمة التى التفت حول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ، و وضعت يدها فى يده ، اضطرت إلى أن تغادر وطنها و تأوى إلى هذه المدينة الطيبة الكريمة المؤوية ، دخلت فى هذه المدينة ، و هى غريبة فيها ، رغم وحدات كثيرة من الوحدات الانسانية ، الثقافية و الحضارية ، و القبلية و اللغوية ، فأمر الله سبحانه و تعالى بالتآخى بين هؤلاء المؤمنين الغرباء الطرداء ، المساكين البؤساء ،

---

(١) سورة التوبة : ١١٨ . (٢) سورة الحج : ٢٧ .

الذين جاؤا من مكة . و بين من آمن من أهل المدينة الكرماء ، وهم قلة كذلك ، أمر بالتآخى بينهم وقال : «إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض (١)» هذه خلية بشرية من نوع فريد . تقوم على أساس الوحدة العقائدية ، وعلى أساس الحب فى الله ، هذه خلية إنسانية صغيرة فى الكم *Quantity* ولكنها كبيرة فى الكيف *Quality*

ما نسبة هذه البذرة الصغيرة التى ربما لم تكن ترى إلا بالمجهر *Microscope* ما نسبة هذا العدد القليل الضئيل إلى هذا العدد الوفير الكثير الذى كان يزخر حوله ، كانوا بين فكى الأسد ، الامبراطوريتين العظيمتين اللتين توزعتا العالم المتمدن المعمور ، ففى الشمال وفى الغرب الامبراطورية البيزنطية ، وفى الشرق الامبراطورية الفارسية الايرانية ، ولا أصدق من قول الله تعالى وأدق تصويراً منه فى وضع هذه المجموعة البشرية الصغيرة .

«واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض ط تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم و أيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات (٢)» كانوا كقطعة لحم على يد طفل صغير ذهب إلى السوق لحملها على كفه فجاءت حدأة فخطفت هذه القطعة ، و لا أصدق من قول سيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن المسلمين بعد ما مضى على تاريخ الاسلام عقود من السنين ، «لقد كنا كالغنم فى ليلة شاتية مطيرة» إن الله سبحانه وتعالى يقول : لهؤلاء المهاجرين والأنصار «إن الذين آمنوا وهاجروا و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم فى سبيل الله و الذين آووا و نصروا أولئك بعضهم أولياء بعض (٣)» ثم يقول مقابل ذلك : «والذين كفروا بعضهم أولياء بعض (٤)»

كيف يصدق الانسان الخاضع لنتائج رياضية و لواقع الحياة ، أن يقول الله

(١) سورة الأنفال : ٧٢ . (٢) سورة الأنفال : ٢٦ .
(٣) سورة الأنفال : ٧٢ . (٤) سورة الأنفال : ٧٣ .

تبارك و تعالى ـ و هو الحكيم العليم ـ لهذه المجموعة الصغيرة التى قد لا ترى إلا "بالمجهر"، « إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض و فساد كبير » أيها المسلمون ! إذا قصرتم فى هذا التآخى ، إذا قصرتم فى تكوين المجتمع الاسلامى ، و الحياة الاسلامية الصحيحة . وفى تعميق جذور الايمان فى قلوبكم ونفوسكم ، وإذا قصرتم فى أداء الواجب الانسانى الذى يرتبط به مصير الانسانية ارتباط الحياة بالشمس ، ارتباط الحياة بالهواء والماء ، «إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير (١) » كانت هنالك إمبراطوريات عظيمة ، ومجتمعات بشرية راقية ، هنالك ثروة من العلوم و الفنون ، هنالك أدب و شعر ، هنالك قانون و سياسة ، هنالك جمع وسائل الرقى و التقدم ، ولكن الله سبحانه وتعالى ، يقول لهذه المجموعة الصغيرة فى هذه البيئة الضيقة ، المتأخرة المخنوقة ، التى لم يكن لها شأن فى العالم ، و لم تكن الأمم تحسب لها حساباً ، وقد صرح بذلك ملوك فارس ، و أباطرة الروم لرسل المسلمين و قوادهم ، فقالوا : والله ما كنا نكترث بكم و لا نرفع بكم رأساً ، فماذا تريدون منا ؟ إن كنتم تريدون الكسوة نكسوكم . وإن كنتم تريدون التموين نمونكم ، ولكن الله سبحانه وتعالى يقول لهؤلاء العرب من فوق سبع سماوات ، « إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض و فساد كبير (٢) »

هذا هو الحجم الكبير الذى تعطى هذه الآية لهذه الأمة ، بل لنواة هذه الأمة ، إنها كانت صغيرة فى القامة كبيرة فى القيمة ، لأن الجمرة لا ينظر إلى حجمها ، وإلى عرضها وطولها ، إنما ينظر إلى القوة الكامنة والطبيعة المودعة فيها ، و الرسالة المنوطة بها ، لجمرة واحدة تستطيع أن تحرق مدينة بأسرها ، و كذلك البذرة لا تقوم بحجمها ، إن مجموعة صغيرة من البذور تستطيع ـ إذا أرادت مشيئة الله ـ

(١) سورة الأنفال : ٧٣ . (٢) سورة الأنفال : ٧٣ .

أن تنبت مزرعة يعيش عليها مدينة كبيرة ، و النور كذلك لا ينظر إلى وزنه إنما ينظر إلى رسالته التي نيطت به ، وأسندت إليه ، تتناولون « المفتاح الكهربائی» فينطلق التيار الكهربائی ، فينير هذه القاعة الكبيرة ، بل الجامعة كلها ، كذلك الشحنة الايمانية التي أودعت فی هؤلاء المسلمين كانت كفيلة بانارة العالم كله .

و هی نفس النظرة التی نظر بها الرسول صلى الله عليه و آله وسلم إلى هذه الأمة ، إن بدراً ليست منا ببعيدة ، قاد الرسول صلى الله عليه و آله وسلم الكتيبة المسلمة المؤمنة ، التی كانت نقطة مغمورة فی هذا البحر من الكفر ، والطغيان من القوة المادية ، وكثرة السلاح ، إلى ساحة بدر ، استعرضوا الواقع الاستيراتيجی ، ثلاث مائة وثلاثة عشر (٣١٣) إنساناً ، هل يرتبط بهم مصير الانسانية وسعادتها ، و لا يرتبط بهم مستقبل هذا الدين الذی جاء به الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ، بل مستقبل أديان الأنبياء عليهم السلام كلهم ، ومستقبل الرسالات السماوية من عهد سيدنا آدم عليه السلام إلى عهد سيدنا محمد صلى الله عليه و آله و سلم ، من يصدق ذلك ؟ و لكن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم يعرف قيمة هذه الكتيبة المؤمنة ، التی قادها إلى بدر ، و قد حشد كل طاقته وكل ذخيرته إلى هذه الساحة التی كانت تقرر مصير الانسانية ، ثم قام يدعو ربه ، و يبتهل إليه ، ويخر ساجداً و يقول : «أللهم أن تهلك هذه العصابة لن تعبد» كلمة ما وجدت نظيرها ـ فی الثقة و الاعتماد ـ فی تاريخ الديانات السماوية ، وفی تاريخ القيادات البشرية ، وفی تاريخ التحركات العسكرية التی غيرت مجرى التاريخ ، قالها الرسول عليه الصلاة و السلام ، و هو أعرف البشر بالله تعالى و صفاته ، و أخشاهم لله ، كما قال : «أنا أخشاكم لله » ، والله ما يستطيع غير الرسول أن يقولها ، و لا يزال العالم الاسلامی مرتبطاً مديناً لهذا النصر المبين ، الذی تحقق فی ساحة بدر ، و لا يزال

يعيش فى ظلال هذا الانتصار ، يأكل من رفده ، و ينعم فى كنفه ، و فى ظله قامت الحكومات ، وانتشرت الحضارات ، وانفجرت العلوم ، وتكونت المكتبات .

إخوانى ! فهذه هى النظرة التى كان ينظر بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والمؤمنون الأولون إلى هذه الأمة ، وقد قرأت قصة فى التاريخ ، لا أزال أتذوقها ، ليس الطعام فقط ، ولا الشعر فقط ، والأدب فقط ، هو الذى يتذوق ، إن القصص الصحيحة ، و الوقائع الغريبة التى وقعت تتذوق أكثر مما يتذوق الطعام الشهى ، و الله لا أزال أمضغ هذه القصة ، و أقلبها فى فم ذوقى و علمى ، وقف سيدنا سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قائد المسلمين على ضفة دجلة ، وهم متجهون إلى المدائن عاصمة المملكة الايرانية ، و كان الفرس ـ خشية من هؤلاء الموحدين الشجعان الأبطال الذين لا يخافون غير الله ـ قد كسروا الجسور و القناطر ، و أبعدوا السفن احتياطاً ، لأنهم كانوا يعرفون أن العرب ، ليست فى جزيرتهم الأنهار ، و ليست عندهم تجارب السباحة و عبور الأنهار ، فاذا جاؤا إلى هذا الشاطئ ، فانهم لا بد أن يتوقفوا هناك و يفكروا فى التراجع و الانسحاب ، فلما وصل سيدنا سعد بن أبى وقاص إلى هذا الشاطئ ، وكان قائداً محنكا ، حكيماً مؤمناً ، يجمع بين التجارب العسكرية ، و الحنكة القيادية ، و الحكمة الايمانية ، نظر إلى سلمان مستوضحاً مستشيراً .

هنالك قال سيدنا سلمان رضى الله عنه تلك الكلمة التى سجلها التاريخ العربى الأمين ، قال : « إن الاسلام لجديد ذللت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر (١) » يعنى أن هذا الدين إلى الآن ، لم يقم بدوره كاملا ، ولا تزال عليه مسئولية السلالة البشرية ، و مسئولية المصير الانسانى فأنا لا أصدق أن المسلمين الذين قد نيطت بهم

(١) البداية و النهاية ج ٧ ص ٦٥ .

لرسالة ، ـ و هذه الرسالة إلى الآن لم تستنفد طاقاتها ، و لم تود دورها بعد ـ يغرقون لأنهم لا يملكون سفناً ، إن هذا الدين لجديد ، و إن هذه الأمة لفتية دافقة بالحياة ، و إن الله سيستخدم هذه النواة الصالحة السليمة لبناء الانسانية بناءاً جديداً ، فغير معقول أن يغرق جيش الانقاذ ـ لعدم وجود السفن و الجسور ـ هذا ماينتافى مع حكمة الله تعالى يترك النهر يفعل فعله ، و لا يتركنا نعمل عملنا ؟ ألسنا أحق بالانتصار ، و التغلب ، و أحق بالنجاح من هذا النهر ؟ ما قيمة دجلة ؟ نهر يروى به الناس ظمأهم ، ويسقون به زروعهم ، و لكن الرسالة التى نحملها هى اكثر قيمة ، وأنفع للبشرية من الماء الذى يشربون ، ومن الهواء الذى به يتنفسون ، لا تخف أيها القائد المؤمن ، صاحب رسول الله ، ومر جيشك يخض فانه سيعبره (١) إن لم يكن فى الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات »

و هذه النقطة تسترعى انتباه القادة و الزعماء الذين لا يعرفون إلا سياسة الحرب ، و هذا الذى قاله سيدنا عمر بن عبد العزيز ، فقد قال فى رسالة وجهها إلى قائد جيشه :

« و آمره أن لا يكون من شئ من عدوه ، أشد احتراساً منه لنفسه ومن معه من معاصى الله ، فان الذنوب أخوف عندى على الناس من مكيدة عدوهم (إلى أن قال) «ولا تكونوا لعداوة أحد من الناس أحذر منكم لذنوبكم (٢) »

---

(١) و قد خاض المسلمون فعلا نهر دجلة بخيلهم و رجلهم فساروا فيها كأنما يسيرون على وجه الأرض ، و جعلوا يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض ولم يعدم للسلمين شئ من امتعتهم غير قدح خشب لرجل فرده الموج إليه (البداية و النهاية ج ٧ ص ٦٤-٦٥)

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم .

ولكن ما هى النظرة التى ينظر بها المسلمون أنفسهم إلى أنفسهم ، اسمحوا لى أن أذكر لكم تجربتى الخاصة ، لما وفقنى الله سبحانه و تعالى لتأليف كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » الذى نوه به المعرف الكريم ، استغرب الناس الاسم ومجت آذانهم وعقولهم كيف يخسر العالم بانحطاط المسلمين ، هل المسلمون فى مكانة يخسر العالم بانحطاطهم شيئاً و يربح برقيهم شيئاً ، و الله إنهم أحط مكاناً ، و أقل شأناً من هذا ، حتى اقترح لى بعض الكتاب ، لو أن المؤلف ـ جزاه الله خيراً ـ غير هذا الاسم لكان أحسن له ، هنالك عرفت النظرة الخسيسة التى ينظر بها المسلمون أنفسهم إلى أنفسهم ، ومدى مركب النقص الذى ابتلوا به حتى المؤرخون المسلمون ، حتى الكتاب الاسلاميون ، إنهم اعتادوا أن ينظروا إلى المسلمين من زاوية التاريخ ، من زاوية الأحداث ، من زاوية الشعوب والأمم ، من زاوية التقلبات ، ما كانوا ينظرون إلى العالم والتاريخ من زاوية المسلمين ، ما كانوا يعتقدون أبداً ، أن المسلمين عامل من عوامل التاريخ ، هم يستطيعون أن يتأثروا ، و لكن لا يستطيعون أن يؤثروا ، وإذا استخدمنا لغة الألعاب الرياضية ، ـ ولو موقتاً ـ قلنا إن المسلمين ليسوا صولجان اللاعب ، إنما « هم الكرة المستهدفة » وعندنا مثل فى بلادنا يتذوقه إخواننا الباكستانيون ، والهنود ، إذا أردنا أن نصور إنساناً ضعيفاً ، أو مجتمعاً ، أو شعباً ضعيفاً ، نقول إنه كبطيخة سواءاً وقعت عليها السكين ، أو وقعت هى على السكين ، على كل حال فالخطر على البطيخة ، هى تتمزق ، و هى تتفتت و تتناثر .

وهذه هى نظرة المسلمين مع الأسف لا تزال سائدة على كثير من الأوساط العربية و الاسلامية ، ننظر إلى المسلمين كأنهم ما خلقوا إلا ليخضعوا للحوادث ، و يتأثروا مما يحدث حولهم ، أما أنهم يستطيعون أن يؤثروا على المسيرة الانسانية ، و على الاتجاه العالمى ، و على القيم والمثل ، فلا ، المسلمون قطيع من قطعان الغنم الكثيرة ، تساق بالعصا ، ما كانوا يتصورون ، و إذا قيل لهم لا يصدقون ، أن

العالم قد خسر شيئاً بانحطاط المسلمين و تخليهم عن قيادة البشرية ، و بتقصيرهم فى حق الله ، وفى حق الانسانية ، فعرفت أن الخطأ من الكتاب والمؤرخين ، لأنهم إنما صوروا المسلمين كشعب من الشعوب الكثيرة المعدودة بالمآت ، شعب يعيش تحت رحمة الوقائع والتقلبات ، وتحت رحمة الحكومات و الحضارات ، و الفلسفات والمعسكرات ، إنهم ما عرفوا القوة الكامنة فى الرسالة الاسلامية التى يحملها المسلمون ، حقيقة يجب علينا أن نأخذها بعين الاعتبار ، وهى الحقيقة الخالدة المسيطرة على جميع الاعتبارات السياسية و الاقتصادية ، إن المسلمين أصحاب رسالة ، إن المسلمين أصحاب عقيدة ، إن المسلمين جند الله ، والله يقول : « إنهم لهم المنصورون (١) » « و إن جندنا لهم الغالبون (٢) » « كتب الله لأغلبن أنا و رسلى (٣) » « و لا تهنوا و لا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين (٤) »

بهذه النظرة يجب علينا يا إخوانى ، يا أبنائى الأعزاء أن ننظر إلى أنفسنا ، أنتم خلاصة العالم الاسلامى ، أنتم رواد العالم الاسلامى و طلائعه ، ساقتكم بلادكم وأسركم إلى هذه المدينة الطيبة لتستمدوا هذه الثقة التى لا تجدونها إلا فى هذه المدينة ، مدينة الرسول الأمين ، أو فى مكة البلد الأمين ، هنا مصدر الثقة ، هنا مصدر الاعتزاز ، هنا مصدر الايمان ، هنا مصدر الاعتماد على الله ، هنا مصدر تعاليم التجرد من الأنانية ، التجرد من الترف المدمر للأمم والحضارات ، التجرد من البطر الذى حذر الله منه فقال : « وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا ط و كنا نحن الوارثين (٥) »

---

(١) سورة الصافات : ١٧٢ .
(٢) سوره الصافات : ٧٣ .
(٣) سورة المجادلة : ٢١ .
(٤) سورة آل عمران : ١٣٩ .
(٥) سورة القصص : ٥٨ .

إن المعسكرات المبدئية التى يحسب لها الحساب الكبير كلها كنسج العنكبوت ، إذا قام فارس من فرسان الاسلام المؤمن الواعى ، الداعية المخلص ، المؤيد من الله يستطيع أن يأخذ عصا ، و يطوى بها هذا النسيج كله ، هل يقوم معسكر على غير عقيدة ، على غير إيمان ، على غير خشية الله ، هل يقوم معسكر على غير رحمة للانسانية ، و رسالة عادلة نافعة ، رحيمة بالانسانية ، هذه معسكرات زائفة ، إنها اكتسبت القيمة ، لأنكم أنتم فقدتم القيمة ، فاستعيدوا هذه القيمة ، تفقد هذه المعسكرات قيمتها و قوتها .

إن الوضع الدينى ، و الخلق و الاجتماعى و السياسى المرزى الذى يعيشه العالم اليوم ، بل الانهيار الانسانى ، والاحتضار المعنوى الذى يعانيه مجتمعنا المعاصر كله تفسير لقوله تعالى :

« إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض و فساد كبير (١) » لم نؤد واجبنا ، ولم نقم بدورنا فى تكويننا ، وفى تكوين المجتمع الاسلامى المؤمن القوى النقى ، فكانت فتنة فى الأرض وفساد كبير ، وفاقد الشئ لا يعطيه ، والمريض لا يعالج المريض ، و المجتمع الذى فقد حصانته الخلقية ، و قوته الباطنية ، و تماسكه الخلقى ، وتمرده على الشهوات و السفالات ، و صموده أمام المغريات النفسية ، والمالية والسياسية ، و لم يحمل دعوة يعتز بها ، و يتحمس فى القيام بها و نشرها لا يستطيع أن يحافظ على كيانه و شخصيته حتى بقائه و استمراره ، فضلا عن عملية إنقاذ العالم المعاصر ، والمجتمع الحاضر ، من التدهور والانهيار ، وما يرغب فيه ويسعى إليه من الانتحار .

وندعو الله تعالى أن يعيد إلينا إيماننا برسالتنا ، ثم بدورنا ومركزنا ، ويعيدنا إلى مكانتنا الطبيعى و الشرعي فى خارطة العالم ، و فى إطار الانسانية .

---

(١) سورة الأنفال : ٧٣ .

تاريخ ترجمة القرآن الكريم

الأستاذ أكمل الدين إحسان
مدير الندوة الاسلامية (تركيا)

لا نستطيع أن نقول إن تاريخ ترجمة القرآن الكريم قد كتب بدقة وذلك لأن هذا الموضوع لم يدرس بعد دراسة مستفيضة، كل ما هنالك هو معلومات متناثرة فى كتب تاريخ التفسير و طبقات المفسرين وغيرها ، و فى رأينا أن السبب الرئيسى فى عدم وجود مثل هذه الدراسة هو عدم وجود دراسة ببليوغرافية شاملة لترجمات القرآن الكريم و خاصة المخطوط منها

ويجدر بالذكر هنا العمل الرائد الذى قام وما زال يقوم به الأستاذ الدكتور محمد حميد الله حيث يرجع إليه الفضل فى زيادة هذا الموضوع (١) .

---

(١) نشر الدكتور محمد حميد الله عدة ببليوغرافيات حول ترجمات القرآن الكريم حيث إنه يعمل فى المجال منذ حوالى أربعين عاماً ، و له كتاب « القرآن فى كل لسان » Translations of the Qur'an in Every Language طبع سنة ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ ، ١٩٤٧م ثلاث طبعات و هو باللغتين الانجليزية والأردوية حيث ذكر ترجمات القرآن الكريم فى ٦٣ لغة مع نماذج من ترجمات الفاتحة ، طبع الكتاب فى حيدرآباد ، الدكن بالهند .

و قد نشر حميد الله العديد من المقالات حول مختلف الترجمات ، ثم صدر ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم بقائمة طويلة لكل ما توصل إليه من ترجمات باللغات الأوربية والتركية (آخرها طبعة ١٩٨٠م مع إضافات كثيرة) (سيشار إليها فيما بعد بـ « مقدمة الدكتور حميد الله »)
Le Saint Coran, Paris 1980

و فى مجال العمل حول ترجمات القرآن أود أن أشير هنا إلى ما وصل إليه المركز من معلومات حول دراستين أخريين يجرى العمل فيهما الآن :

الدراسة الأولى : ما يقوم به الدكتور حسن المعايرجى من جمع متون الترجمات المختلفة وانتخاب الصحيح منها والعمل على نشره ، وهو فى عمله الخاص هذا يفضل الترجمات المكتوبة بلغات الشعوب الاسلامية التى لا تجد إمكانية طبع و نشر هذه الترجمات ، و قد اطلع المركز على نموذجين من هذا العمل الذى يجمع بين الدقة العلمية و الاخلاص الدينى و ينسق بين كثير من الجهود و الامكانات فى تواضع وصمت و لذلك أحببت أن أنوه به هنا (١) .

و الدراسة الثانية : هى جزء من العمل الذى يقوم به الأستاذ على شواخ إسحق ، و حسب الايضاحات التى تفضل بارسالها الأستاذ إلى مركز استانبول فانه يقوم منذ فترة ثمانى سنوات بجمع كل المعلومات الممكنة حول مؤلفات القرآن الكريم سعياً وراء وضع معجم لمؤلفات القرآن الكريم و من بين هذه المولفات ترجمات القرآن الكريم (٢) .

ومن الجدير بالذكر أن رابطة العالم من خلال مكتبها فى باريس تقوم بالتعاون مع الأستاذ حميد الله على جمع متون ترجمات القرآن الكريم فى مختلف اللغات.

---

(١) الدكتور حسن المعايرجى عالم مصرى الأصل من علماء الميكروبيولوجيا و يعمل أستاذاً من مدة طويلة فى جامعة قطر ، وقد جند حياته وجهوده لخدمة القرآن الكريم و نشره بين المسلمين من غير العرب ، جزاه الله كل خير و يسر له أمره ، عنوانه : ص. ب. ١٨٨ - الدوحة قطر .

(٢) لم تصلنا بعد معلومات تفصيلية حول عمل الأستاذ على شواخ إسحق وعنوانه هو : ص. ب. ١٢٠ - الرقة سوريا .

و من غير شك ما يزال هناك متسع كبير للعمل و لا سيما فى المخطوطات لأهميتها فى تحديد أوائل الترجمات ، وقد قام مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامى باستانبول بالتخطيط لمشروع مسح كامل لكل ترجمات القرآن الكريم المخطوطة والمطبوعة على مستوى مكتبات العالم ، وبهذه المناسبة أود أن ألفت انتباه السادة العلماء إلى الحاجة إلى تكثيف الجهود و التنسيق بين مختلف المؤسسات الثقافية فى العالم الاسلامى من أجل إنجاح هذا المشروع .

و يمكننا تلخيص المعلومات المتاحة حول أوائل الترجمات كما يلى :

* هناك ترجمات سريانيه قام بها غير المسلمين فى عهد الحجاج بن يوسف فى النصف الثانى من القرن الهجرى الأول (١) .
* احتمال وجود ترجمة بربرية مكتوبة سنة ١٢٧هـ (٢) .
* ترجمة فارسية شفوية قام بها موسى بن يسار الأسوارى قبل سنة ٢٥٥هـ (٣) .
* ترجمة هندية كاملة قبل سنة ٢٧٠هـ (٤) .

أما الترجمات التى وصلتنا عنها معلومات مؤكدة أو تم العثور على نصوصها بالنسبة للغات الشعوب الاسلامية فيمكن تلخيصها كما يلى :

---

(١) Mingana, An Ancient Syriac Translation of the Kuran, Manchester, 1945 . (نقلا عن مقدمة الدكتور حميد الله)

(٢) جويدى ، محاضرات أدبيات الجغرافيا (محاضرات بجامعة القاهرة) ص ٦٦ (نقلا عن مقدمة الدكتور حميد الله)

(٣) الجاحظ ، البيان و التبين ، ج ١ ص ١٣٩ (نقلا عن مقدمة الدكتور حميد الله) .

(٤) بزرك بن جهاريار ، عجائب الهند و الصين ، ص ٢-٣ (نقلا عن مقدمة الدكتور حميد الله) .

★ أوائل الترجمات الفارسية .

أول ترجمة معروفة لدينا فى لغات الشعوب الاسلامية هى الترجمة الفارسية التى تمت فى عهد الملك السامانى منصور بن نوح (٩٦١/٩٧٦م) مع ترجمة مختصرة لتفسير الطبرى (المتوفى سنة ٩٢٣م) و قد جاء فى مقدمة هذه الترجمة :

« هذا الكتاب هو الترجمة الكاملة الصحيحة لتفسير محمد بن جرير الطبرى رحمه الله إلى اللغة الفارسية ، و لقد أحضر هذا الكتاب من بغداد القائد المظفر الملك أبو صالح منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل رحمه الله و هو فى أربعين مجلداً ، و لما حصلت صعوبة فى قراءته بالعربية و فهمه أراد أن يترجم إلى الفارسية ، لذلك جمع نفراً من علماء بلاد ما وراء النهر واستفتاهم فى جواز ترجمته إلى الفارسية فافتوه بجواز ترجمته ليستفيد منها الذين لا يعرفون العربية استناداً إلى قوله تعالى : « و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » (١) ، و قد تمت ترجمة مختصرة لتفسير الطبرى تعادل عشر الأصل من حيث الأحجم (٢) .

و ترجمة القرآن الموجودة فى تفسير الطبرى هى ترجمة حرفية حيث كتبت الكلمات الفارسية تحت آيات المصحف دون مراعاة لترتيب الجملة الفارسية أو سياق

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

(٢) فيما يخص أول ترجمة فارسية أنظر :

(ألف) حبيب يغمائى: ترجمة تفسير طبرى، ج ١ ، طهران ١٣٣٩هـ/١٩٦١م ص ٥/٦ .

A. J. Arberry, Classical Persian Literature, London, 1958, PP 40/41 Gilbert Lazard, La Langue des plus Anciens Monuments De la prose persian, Paris, 1963, PP 4/45 .

التعبير بها ، و قد أعقبت هذه الترجمات ترجمات أخرى كثيرة حفلت كتب تاريخ الأدب الفارسى بذكرها .

★ أوائل الترجمات التركية :

إن هناك رأيين حول تحديد بداية ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية ، الرأى الأول الذى قال به الأستاذ زكى وليدى طوغان يرجح أن لجنة العلماء التى قامت بترجمة تفسير الطبرى إلى الفارسية كانت تضم علماء الاتراك أيضاً قاموا بترجمة القرآن إلى التركية فى نفس الوقت ، و أن هذه الترجمة هى ترجمة حرفية على نسق الترجمة الفارسية كتبت بين سطور المصحف (١) .

ويذهب أصحاب الرأى الثانى ومنهم الأستاذ محمد فؤاد كوبرلى (٢) والأستاذ عبدالقادر أينان (٣) إلى أن أول ترجمة تركية ظهرت بعد الترجمة الفارسية السالفة الذكر بحوالى قرن من الزمان أى فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)

و لم يعثر بعد على أى من هذه الترجمات و لكن حسب المعلومات المتوفرة حالياً فان الترجمة المكتوبة باللغة التركية الشرقية سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م و المحفوظة فى

---

(١) Z. V. Togan, Londra ve Tahran' daki Islami Yaznalarindan bazilarina dair, islam Tetkikleri Enstitusu Dergisi, III, 1959_1960, P. 135 Zentralasiatische Turkische Literaturen II, Die Is_lamische .

Zait: Haudbuch der Orientalistik V/1, Leiden_Koln, 1963 P.230

(٢) M. F. Koprulu, Turk Edebiyti Tarihi, Istanblu, 1926, P. 192 .

(٣) A. Inan, Kuren_I Kerim' in Turkce Tercumeleri Uzerinde bir inceleme Ankara, 1961, P. 8 .

متحف الآثار التركية الاسلامية باستانبول تحت رقم ٧٣ هى أقدم ترجمة تركية وصلت إلينا حتى الآن (١)، ويلاحظ أن هذه الترجمة كتبت على منوال الترجمة الفارسية .

و توجد هناك معلومات حول ست ترجمات تركية كتبت فى الفترة ما بين القرن الثانى عشر والسادس عشر الميلادى (٢٣ـ د)، ويلاحظ أن هذه الترجمات تنقسم إلى قسمين ، القسم الأول : الترجمات التى يمكن أن نسميها ترجمات حرفية حيث تترجم كلمات المصحف بين سطوره دون أى زيادة أو توضيح ، و القسم الثانى : يمكن أن نسميه ترجمات مطولة أو تفسيراً مختصراً.

ومنذ فترة حقق الدكتور أحمد طوبال أوغلى النص الكامل لترجمة تركية مكتوبة باللغة التركية الاناضولية من النمط الأول كتبها محمد بن حمزة فى القرن الخامس عشر

---

(١) فيما يخص أوائل الترجمات التركية انظر :

a. A. Mingana, An Old Turkish Manuscript of the Koran, The Moslem WOrld V/5, 1915 PP 391_398 .

b. A. Inan Kuran in Eski Turkce ve Oguz Osmanlica Cevri_leri Uzerine Notlar Turk Dili Arastirmalari Yilligi Belleten 1960 PP 79-94 .

c. M. Hamidullah Kuran Kerim' in Turkce Yazma Tercumeleri Turkiyat Mecmuasi XIV 1964 PP 65-80 .

d. J. Eckmann Eastern Turkic Translations of the Koran Stu_dia Turcica Eudapeste 1971 PP 149_159.

Kuranin Dogu Turkcesine Tercumeleri I. U. Edebiyat Fak. Turk Dili ve Edebiyati Dergisi XXI 1973 PP 16_24

الميلادى و نشره نشرة علمية دقيقة مع دراسة وافيـــة حول الترجمة و أسلوبها و نظرات حول مصادرها (١) . و قد استفدنا من هذه الترجمة و الدراســة المعقودة حولها الكثير .

و من الملاحظات الهامة حول أوائل الترجمات التركيـــة أن الاصطلاحات العربية لم تكن قد دخلت بعد بنسبة كبيرة ، لذلك نرى المترجمين ينقلون معانى هذه الاصطلاحات بجمل و تراكيب لعدم استطاعتهم نقلها بكلمات مقابلة ، و يلاحظ فى الترجمات المتأخرة أن كثيراً من الاصطلاحات العربية قد دخل التركية لكى تعبر عن مضامينها الاسلامية التى لم تكن معروفة من قبل لدى الأتراك .

كما يلاحظ أن أسلوب الترجمة فى النمط الأول لايراعى ترتيب الجملة التركية أو سياق التعبير بها كما هو يلاحظ فى الترجمة الفارسية المشار إليها آنفاً .

و قد استمرت حركة ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية و هناك العديد من الترجمات المخطوطة كما ساعد دخول الطباعة على نشر الترجمات ، و يلاحظ أن حركة الترجمة قد زادت زيادة كبيرة فى النصف الثانى من القرن العشرين (٢) .

---

(١) A. Topaloglu «Muhammed Bin Hamza" XV. Yuzyil Baslarinda Yapilmis Satirarasi Kur'an Tercumeleri Kultur Bakanligi M. E. Basimevi Istanbul 1976 2 Vols..

(٢) فيما يخص ببليوغرافيا ترجمات القرآن الكريم إلى التركية انظر البيليوغرافيا التى أعدها الأستاذ ماجد بشار أوغلى و الملحقة بكتاب « تاريخ القرآن الكريم » للدكتور حميد الله بالتركية .

Macit Yasarcglu Kur an_I Ker'im iu Turkce Tercumelerinin Kronolojik Bibliyografyasi «Kur' an_I Kerim Tarihi - Bir De_neme" Istanbul Yagmur Yayinevi 1965 .

★ أوائل الترجمات فى لغات الشعوب الاسلامية الأخرى .

تعتبر اللغات الأردية والملايوية والبنغالية هى أوسع اللغات الاسلامية انتشاراً بعد التركية و الفارسية . و فى أثناء جمع المعلومات الأوليـة للعمل البيليوغرافى الشامل الذى يقوم به مركز استانبول توصلنا إلى المعلومات التالية فيما يخص هـذه اللغات الثلاث :

اللغـــة الأردية : لا شك أن اللغة الأردية هى أوسع اللغات الاسلامية انتشاراً و خاصة فى شبه القارة الهندية ، و هى أيضاً من أكثر اللغات الاسلاميـة التى أكثر فيها التأليف والترجمة فى الموضوعات الدينية قديماً وحديثاً . و يشير الأستاذ حميد الله فى كثير من كتاباته إلى وجود الكثير من ترجمات القرآن الكريم باللغة الأردية و لكننا للاسف الشديد لم نعثر فى أى من كتاباته على إشارة قاطعة حول بداية ترجمة القرآن الكريم إلى الأردية .

اللغة الملايوية : و هى أصل اللغة الاندونيسية الحديثة ، قام عبد الرؤوف الفانسورى العالم المعروف فى SINGKEL بمقاطعة ACEH بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الملايوية فى منتصف القرن السابع عشر الميلادى (١) .

---

(١) تفضل الأستاذ أفنـــدى زركسى فترجم لى النص المتعلق بترجمات القرآن الكريم إلى اللغة الاندونيسية الموجودة فى مقدمة الترجمة الكاملة التى نشرتها وزارة الشئون الدينية الاندونيسية .

Al Quraan dan Terjemahnya Departemen Agama Republik Indonesia Proyek Pengadaan Kitab Suci Al Quraan 1980/1981 Jakarta

اللغة البنغالية : هناك ترجمة منظومة للجزء الثلاثين قام بها المولوى أمير الدين بشونيا من قرية متك بور مديرية ونغفور مطبوعة بالحروف الخشبية ، و لم يعلم تاريخ طبعها و لكن يظن أنها أقدم نسخة باللغة البنغالية : (١) . ء هناك ترجمة كاملة للقرآن الكريم باللغة البنغالية قام بها غريش شوند روشين و هو من الديانة البرهمنية فى سنة ١٨٨١/١٨٨٦م .

و يمكننا أن نقول استنادا إلى مقال الاستاذ السيد على أحسن المدير العام للاكاديمية البنغالية سابقاً ، إن تأخر ظهور الترجمات باللغة البنغالية يرجع إلى أن اللغة العربية و الفارسية و الأردية كانت لغات رسمية و ثقافية قبل ظهور الحركة القومية البنغالية و أن الناس كانوا يتهيبون الترجمة لقدسية القرآن ، و أنه بازدياد الحركة القومية و انتشار المطبعة بدأت حركة الترجمة (٢) .

اللغة الصينية : ترجم الشيخ ليوشى LIU CHE أجزاء من القرآن الكريم قبل بداية القرن العشرين ، ثم تلاه الشيخ ما فوشو الذى أكمل عشرين جزاء قبل وفاته .

كما أن منظمة الثقافة الاسلامية فى « شنغهاى » نشرت خمسة أجزاء من معانى القرآن الكريم مترجمة إلى الصينية وذلك فى عام ١٩٢٧م وضاع الباقى خلال الحروب الأهلية بالصين .

---

(١) هذه النسخة محفوظة فى مكتبة بنغبو ساهيتو بريشد أى مكتبة المجلس الأدبى البنغالى تحت رقم (٢ـ٥) . انظر مقالة الأستاذ / السيد على أحسن المدير العام للاكاديمية البنغالية مجلة المؤسسة الاسلامية ـ عدد خاص عن القرآن الكريم ، نوفمبر ١٩٧٩م ص ٢٨ ـ٣٢ .

(٢) أنظر المرجع السابق .
كذلك القائمة التى تفضل بها أثناء زيارتى بنغلاديش الاستاذ / شاهد على مدير قسم الترجمة والتاليف بالمؤسسة الاسلامية بدكا بجمهورية بنغلاديش .

و فى عام ١٩٢٧م قام لى تيك تشينج Lee Tick Tsing بترجمة كاملة إلى الصينية، وذلك نقلا عن الترجمة اليابانية المنقولة عن الترجمة الانجليزية لـ Rodwell و كانت هذه أول ترجمة كاملة فى الصينية (١) .

و هناك ترجمات تمت فى السنوات الأخيرة إلى اللغات التى بدأت مجموعة من المتكلمين بها الدخول فى الدين الاسلامى ، مثل اللغـة الكورية التى تمت بها أول ترجمة فى شهر مايو من هذا العام (١٩٨١م) (٢) .

و قد لاحظت فى جولة قمت بها مؤخراً فى بلاد الشرق الأقصى أن هنـاك رغبة كبيرة فى إعداد ترجمات للقرآن الكريم إلى لغات تلك المنطقة وعدم الرضا عن الترجمات الموجودة حيث قام أكثر مترجميها بترجمتها عن الترجمة الانجليزية للرحوم يوسف على .

و قد نشطت فى السنوات الأخيرة الكثير من الهيئات الدينية ، وعملت على نشر ترجمات مختلفة للقرآن الكريم فى اللغات الافريقية ، و لم تتجمع لدى المركز بعد معلومات كافية حول هذا الموضوع .

و على وجه العموم يلاحظ أن هناك العديد من ترجمات القرآن الكريم إلى مختلف اللغات الاسلامية قام باعدادها أفراد و مؤسسات رسميـة أو غير رسمية وهناك معلومات كثيرة حول ترجمات أخرى يتم إعدادها . وهذا يدل دلالة قاطعة على أهمية ترجمة القرآن الكريم و على مدى انتشار الشعور الدينى لدى الشعوب

---

(١) من المعلومات التى تفضل بها الدكتور حسن المعايرجى نقلا عن كتـاب « المسلمون فى الصين » من تأليف الحاج إبراهيم تين - ينج ما بالانجليزية ،

(٢) قام اتحاد المسلمين الكورى فى سيول بنشر هذه الترجمة ، و قـد بين لى المترجم أنه قد اعتمد على الترجمة الانجليزية ليوسف على .

الاسلامية من غير العرب و على اهتمامهم بتعلم كتابها المقدس .

لذلك يجب الاهتمام بأمر الترجمة اهتماماً يتناسب مع أهميتهـا حيث إنها هى الوسيلة الرئيسية لتعريف المسلمين بمصدر دينهم الرئيسى ، و من الجدير بالذكر أنه كانت هناك محاولات رسمية لدى بعض الهيئات الدينية كالأزهر الشريف و كرئاسة الشئون الدينية بتركيا فى الثلاثينات للاشراف على مثل هذه الترجمات .

و يلاحظ فى السنوات الأخيرة أن الكثيرين ممن لا تؤهلهم معرفتهم بالعلوم الاسلامية بالاضافة إلى عدم تمكنهم من اللغة العربية قد دخلوا مضمار الترجمـة ، لذا فانى أشير هنا إلى ضرورة القيام بنوع من الاشراف الرسمى على هذه الترجمات .

★ أوائل الترجمات إلى اللغات الأوربية :

عندما ننظر إلى بداية ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأوربيـــة يسترعى انتباهنا تأخر الترجمة ، فبالرغم من وجود إشارات إلى ترجمات مبكرة إلى لغات شرقية غير إسلامية مثل السريانية و الهندية فان المعلومات المتوفرة حالياً لدينـا تشير إلى أن أول ترجمة باللغة اللاتينية للقرآن الكريم قد تمت فى عام ١١٤٣م قامت بهـا لجنة علمية برئاسة Peter Venerable (١٠٩٢-١١٥٦) ، و لم يتيسر طبع هذه الترجمة إلا فى عام ١٥٤٣م بناء على توصية مارتن لوثر (١) .

هـــذه البداية المتأخرة تدعونا إلى التأمل لا سيما و إذا أخذنا فى الاعتبار أن بداية الاحتكاك بين المسلمين و الأوربيين فى الأندلس غربا و فى بلاد الروم شرقاً قد بدأت فى فترة مبكرة ، لذا فاننا نرى الحاجة إلى مراجعة معلوماتنـا عن أوائل الترجمة إلى اللغات الأوربية و تأكيد أهمية النظر فى المخطوطات القديمة حتى يمكننا التأكد من هذه المعلومات .

---

(١) R.Blachere Introduction au Coran Paris 1959 PP 264_295 .

و بعد الترجمة التى قامت بها لجنة Peter Venerable ظهرت عدة ترجمات للقرآن الكريم ، بعضها كامل وبعضها يقتصر على عدة آيات أو سور . و تخبرنا الموسوعة اليهودية أن أبراهام الطلوطلى قام بأمر الفونسى العاشر (١٢٥٢–١٢٨٤) بترجمة سبعين سورة إلى الأسبانية و أن هذه الترجمة الأسبانية كانت نواة للترجمة الفرنسية التى قام بها Bonnaventura إلى اللغة الفرنسية (١) .

وقد بدأت بعد ذلك الترجمة من النص العربى على يد Andre du Ryer الفرنسى الذى عاش فترة فى استانبول ومصر ثم نشر ترجمته المعروفة باسم « قرآن محمد » Alcoran de Mahomet سنة ١٦٤٧ فى باريس ، و قد نشرت هذه الترجمة عدة مرات و اتخذت أساساً الكثير من الترجمات الأوربية (٢) .

و حسب الدراسة الأولية للفهارس المختلفة يتضح لنا أن أول ترجمة إنجليزية للقرآن الكريم قام بها Alexandre Rose عن الترجمة الفرنسية لـ du Ryer وطبعت أول مرة عام ١٦٤٩م فى لندن ، ثم قام George Sale بترجمة القرآن عن العربية مباشرة ونشرت سنة ١٧٣٤م فى لندن وقد طبعت هذه الترجمة مرات عديدة فى انجلترا و أمريكا وصارت من بعد أساساً اتخذ فى الكثير من الترجمات الأخرى (٣) .

وفى ختام هذا البحث أحب أن أوكد الضرورة إلى إعداد دراسة ببليوغرافية

---

(١) (نقلا عن مقدمة الدكتور حميد الله) .

(٢) G. H. Bousquet, Introduction et Notes Sur le Traduction de A de Kasimirishi' Mahomet le Coran Bibliotheque Charpentier paris P. 78 (n.b.)

(٣) *The National Union Catalogue, The Congress Library, pre 1956, imprints V. 303, PP 611-643*

شاملة لترجمات القرآن الكريم حيث إن الدراسات الرائدة التى تمت فى هذا المجال رغم كل ما تستحق من تقدير فانها ، ما تزال تحتاج إلى الكثير من المراجعة و الاضافات . و يمكننا أن نشير هنا إلى أن مسحاً أولياً لفهرس واحد من فهارس بعض المكتبات الكبرى مثل مكتبة الكونغرس الأمريكية (حتى عام ١٩٥٦م) قد أظهر أن القائمة التى نشرها الدكتور حميد الله (فى طبعتها الأخيرة ١٩٨٠م) لم تذكر ترجمتين اسبانيتين و ترجمتين فرنسيتين و ترجمتين باللغة التشيكية و ترجمة إنجليزية .

كما أن مراجعة فهارس المكتبة البريطانية و المكتبة الوطنية الفرنسية أظهرت أن تلك القائمة لم تشمل بعض الطبعات التالية لبعض الترجمات ، لذلك يجب مراجعة كافة المصادر البيليوغرافية المتاحة و فهارس المكتبات ، كما أن الدراسة الأولية تدلنا على أن هناك الكثير من الترجمات المخطوطة التى لم يتطرق إليها أحد بالتعريف و الدراسة ، بالاضافة إلى ذلك فهناك الكثير من المعلومات فيما يخص ترجمات القرآن الكريم فى مختلف المصادر تحتاج إلى تمحيص و نظر .

لذا فان مركز أستانبول لأبحاث التاريخ و الفنون والثقافة الاسلامية باعتبارة مؤسسة علمية تابعة لمنظمة المؤتمر الاسلامى التى تجمع شمل كافة الأقطار الاسلامية يتوجه إلى العلماء العاملين فى هذا المجال لكى يتعاونوا معه على إعداد مثل هذه الدراسة البيليوغرافية الشاملة حتى يمكننا توضيح جانب هام من جوانب الثقافة الاسلامية ،

و أخيراً أحب أن أشكر فى نهاية بحثى الصديق الدكتور حسن المعايرجى على المعلومات القيمة التى تفضل بها ، و الشيخ أمين سراج لتفضله باعطائى نسخة من كتاب الشيخ مصطفى صبرى ، و زميلى بالمركز الدكتور هدايت نوح أوغلى لمده يد العون أثناء إعداد هذا البحث .

الدعوة الإسلامية

الغرب فى ضوء التحليل النفسى

★ ★ ★ ★ ★ ★

د / محمد الحسنى رح

إن دراسة الحياة الغربية بما فيها من متع و زخارف ، و آلام و مخاوف وتحليلها تحليلا نفسياً توصلنا إلى نتائج مهمة ، لها صلة كبيرة بالوضع الانسانى الحاضر والعالم المعاصر ، كما أن فيها دروساً عظيمة للعالم الاسلامى الذى يتهيأ اليوم للوثوب و الانطلاق للتعويض عما فاته عبر القرون الماضية المتلاحقة ، و أخذ يبصر نهاره الساطع وراء السحب الداكنة والدخان المتصاعد من الفتن و الثورات و التطورات و إن لم تتبين معالمه و تباشيره بوضوح .

إن الحياة الغربية ليست وليدة المصادفة ، و لا مفقودة النسب بل إنها قامت على تقاليد و أصول و مبادئ و تاريخ ، و انتمت إلى الحضارة الرومية و ورثتها خلقياً و فكرياً ، و لها مقومات و نظريات خاصة ، لا يمكن إهمالها و الاعراض عنها ، و نحن فى موقف الدراسة النزيهة ، و التحليل النفسى الخالص .

إن الصراع الطويل بين العلم و الدين و بين الكنيسة و البلاط دفع أوربا دفعاً قوياً إلى الأخذ بالأساليب المادية فى حياتها بل التفانى فيها، وظلت هذه النزعة تقوى على مر الأيام ، حتى آل بها الأمر إلى ما نراها عليه الآن، وكان كل ذلك طبيعياً و واقعاً لا محالة ، و لكنها كانت النكبة الأولى و المأساة الأولى، و النكبة

الثانية بدأت الآن ـ بعد أن بلغت أوربا أوج قوتها المادية ـ و تجلت معالم هذه النكبة بوضوح فى الحياة الأوربية اليوم .

كانت النكبة الأولى نكبة لذيذة إذا صح هذا التعبير، نكبة شاب فج متهور لا يبالى بالأخطار ، لقد كان فيها الحرارة والنشاط ، و التحمس والاندفاع ، والآمال و الأحلام ، كان فيها شوق رجل يريد أن يرتقى إلى قمة عالية من الجبل ، و هو يتوهم أن فيها معين الحياة الخالدة التى طالما تغنى بها الشعراء فى الشرق و الغرب ، فهو فى حنين دائم مستمر ، لا يعرف للسهر والتعب معنى ، ولا يحسب لهما حساباً ، و يندفع إليها اندفاع الهائم أو المفتون ، و هذه كانت حالة أوربا تماماً طوال هذه الحقبة من الدهر .

و لكنها الآن ـ وقد بلغت هذه القمة ، وجدتها خراباً بلقعاً ـ تواجه أزمة عاطفية حادة ، لا تستطيع أن تعرف كنهها ، و لا تقدر على التخفيف منها ، إنه الشعور بالفراغ الروحى ، إنه الملل النفسى أو السآمة النفسية التى اعترتها و طغت على سائر بيئاتها ، فلم تخل منها مدرسة ولا بيت ، و كان كل ذلك طبيعياً و واقعاً فان الانسان مفطور على الحنين والتطلع إلى الهدف أيا ما كان ذلك الهدف ، وهو يحب أن يكون له هدف يجرى نحوه جرياً ، و يتلذذ بهذا الجرى المتواصل ، وإذا نال هذا الهدف أحب أن يكون له هدف آخر يستهلك قواه و مواهبه و طاقاته و أشواقــه .

إن الحياة الغربية اليوم حياة مريحة « مكيفة » و الانسان الغربى نال كل ما تمنى من قوة مادية ، و عزة قومية ، و مع ذلك فان هنالك آلاماً و أوجاعاً ، تعانيها كل أسرة وكل بيت فى الغرب سواء فى أميركا أو فى انجلترا ، أو فى أى قطر من الأقطار الأوربية .

إنهم يبدون لك كأنهم فقدوا شيئاً، و لا يعلمون ما هذا الشئ ؟ و لكنه شئ خطير، أعقب كل ذلك الخلل و الاضطراب، و القلق و الارهاق، و الملل و السآمة، و الفراغ الروحى الرهيب المبيد فى الحياة الغربية، و ملأتها مخاوف و هواجس من مصيرها، ولكن هل هى تعرف مصيرها، كلا ! إنها إذاً حيرة، حيرة صامتة، استبدت بالحياة الأوربية، أو مست كل فرد من أفرادها، من غير أن يعرف من أمرها شيئاً.

فما هى آثار هذه الحيرة و تلك السآمة فى حياتها ؟

لئن كانت آثار هذه الحيرة و السآمة غامضة نوعاً ما قبل أعوام، فانها أصبحت الآن واضحة جلية، فى جميع مرافق الحياة الأوربية، نلمسها فى كل شارع، وفى كل بيت، و نقرأ أخبارها كل يوم فى الصحف، و الجرائد، و أن نمر بها مراً سريعاً، من غير أن نفهم دلالتها و مغزاها العميق.

أفادت الأنباء منذ أيام « أن رجلا فى « اوستراليا » ابتلع ثمانية فيران، نظير ١٧ فلساً تقريباً، فقبض عليه البوليس بتهمتين : تهمة محاولة الانتحار، و تهمة القسوة بالحيوان، و أجريت عملية جراحية فى بطنه، فخرجت منه الفيران الميتة »

لئن كان ذلك حادثاً واحداً ما استرعى اهتمامنا، و لم نقف عنده موقف المتأمل الباحث، و لكن توالى هذه الحوادث و تتابعها بصورة عامة دائمة، حتى أصبحت ظاهرة قوية من الحياة الأوربية، و جزءها الذى لا ينفك عنها، دفعنا على أن نحاول فهم دلالتها المعنوية والوصول إلى كنه الحياة الأوربية التى تعانى آلاماً و أمراضاً اجتماعية و خلقية كثيرة من غير سبب ظاهر،

و إليك مثالا آخر قد يكون أكثر دلالة و أكثر وضوحاً، قام أساتذة جامعة أوربية و علماؤها بتجربة مثيرة، فقد خرجت جماعة مؤلفة من كبار أساتذة

الجامعة ، ودخلوا فى حديقة وانطلقوا يأكلون الأعشاب والبقول على هيئة الدواب و الأنعام ، و قال العلماء : إنهم وجدوا لذة كبيرة فى هذه الطريقة الجديدة .

و قرأنا فى الجرائد منذ زمن أن رجالا قاموا بمباراة الكلام الفارغ فأخذوا يتكلمون ثلاثة أيام ليلا ونهاراً بدون انقطاع حتى تورمت ألسنتهم ، و أشرفوا على الهلاك ، و آخرون قاموا بمسابقة المشى ، فربطوا بأرجلهم دواليب تنزلق بهم ، فلم يقفوا للحظة واحدة مدة يومين أو ثلاثة ، و ذلك رجل دعا الصحفيين إلى حجرته فى إحدى المطاعم الأوربية الفاخرة ، لمشاهدة حادث انتحاره ، و قال : إنه دعاهم ليشاهدوه منتحراً ، ثم يسجلوا هذا الحادث الفظيع فى صحفهم بعناوين بارزة .

وهذا يقفز من الطائرة ويقتل نفسه ، ليجرب هذا النوع الفريد من الانتحار الذى لم يوفق إليه أحد من الناس حتى الآن ، وذلك ثرى يقف كل ثروته وممتلكاته لكلبه الحبيب الوفى بعد وفاته ، وهذا إرستقراطى كبير ذو مكانة مرموقة فى المجتمع يبنى بناية شامخة مكيفة لكلابه المدللة .

إن مثل هذه الظواهر و الحوادث تجلت فى كل ناحية من نواحى الحياة الأوربية ، و تسربت فى أجزائها ، ولو استقصينا ما وقع بالأمس القريب ، ويقع اليوم ، وما يجرى فى هوليوود من مهازل لرجعنا بحكايات مضحكة طريفة ، قد لا تصدق ، و لكنه واقع لا ينكر ، و هو طابع الحياة الأوربية الأصيل فى الوقت الحـــاضر .

إذا درسنا تلك الحوادث و الظواهر التى ذكرناها آنفاً و حللناها رجعنا منها بنتيجة واحدة ، و هى :

إن جميع هذه الحوادث تدل على قلق نفسى شديد و فراغ روحى رهيب ، أغلق على الغربى منافذ فكره ، و أظلم دروب حياته فظل يروح نفسه بأشياء تافهة ،

عساها تجد فيها متعتها، أو يبلغ بغيتها، أو يروى غلتها، أصحاب هذه الظواهر يبدون فى الظاهر أنهم أثرياء مترفون متنعمون، ولكنهم فى الحقيقة أشقياء غير مسرورين مصابون بآلام و أسقام و أوجاع نفسية و عصبية و روحية، جعلت حياتهم جحيماً لا تطاق.

إنهم جعلوا المجد و الشهرة والقوة السياسية و المادية نصب أعينهم، فبلغوها وجنوا ثمراتها، و هنالك بدأ ذلك الصراع النفسى، فماذا بعد هذه الحرية العامة و الانطلاق التام من قيود الخالق و الروح، إلا الحيرة و الجنون و الضلال.

و نسوق إليك مثالا آخر، و هو يؤيد قولنا أنه لم يبق جزء من الحياة الأوربية، إلا و قد تأثر بهذه الظاهرة. و اصطبغ بلونها، و إن هذه الحوادث ليست حوادث فجائية، أتت عفواً، و من غير قصد، بل إنها نتيجة تطور داخلى هائل و داء أصيل كامن فى النفس، له جذور عميقة، فى قرارة الحياة الغربية.

خذ مسألة الطعام. إن طريقة المآدب الأوربية المفضلة اليوم أن يأكل فيها الناس قياماً، فعليهم أن يتجولوا فى صالة الطعام و يأخذوا لقمة من هناك، ولقمة من هناك. مشياً على الأقدام.

كل ما فى الأمر أن هذا شئ جديد، و إن خالف العقل والصواب، وإن خالف مصلحة الانسان، و منفعته أيضاً.

إن الدوافع الأساسية على مثل هذه الأعمال والظواهر دوافع متشابهة، فالذى ابتلع الفيران لم يكن فى حاجة إلى هذه الفلوس القليلة، بل إنما قام بهذا العمل العجيب الكريه ليواجه ـ و لو من غير نتيجة ـ ذلك الفراغ الذى حطم كيانه، ولما أنه لم يكن يملك أعصاباً قوية تدفعه على عمل مثل الانتحار، رضى لنفسه بمثل هذه التفاهة و العبث الفارغ.

و الذين قلدوا الدواب والأنعام فى أكل الأعشاب و البقول لم يقوموا بذلك بدافع الفضول أو على سبيل النكتة و السخرية ، إنهم أرادوا عزاً علياً و مكانه اجتماعية ، فنالوها وأرادوا الدنيا فتهالكت عليهم ، فاستمتعوا بها ، ولكنهم أحسوا سريعاً أنها أخفقت فى إعطائهم طمأنينتهم المفقودة ، و سر حياتهم الضائع ، و لما لم يكن أمامهم طريق غير هذا الطريق المادى ، ولا هدف غير هذا الهدف المادى ، أرادوا أن يجربوا حياة الدواب و يعيشوا فى هذا الجو حيناً من الدهر ، علهم يجدون ما يبتغون .

إنها سآمة و لا شئ ، سآمة خفية كامنة فى الدم ، غارقة فى اللحم و العظم سآمة فى كل حركة و نشاط ، و فى كل ما يقومون به من أعمال .

الحياة الغربية حياة ربطت ناصيتها بالآلة الصماء ، فانها ـ مهما ابتليت بها على يديها ، و ذاقت منها ألواناً من العذاب ـ مربوطة بها بالسوق والأعناق ، لا ترى إلى المناص سبيلا ، ولا تجد إلى الخلاص حيلة ، إذا أخفقت فى نوع جربت نوعاً آخر من نفس الشئ إلى ثالث و رابع و خامس ، دوران لا ينتهى ولا أمل فى انتهائه ما دامت لا تعدو أرضاً واحدة ـ هى أرض المادة و القوة القومية .

مبادىء فى الأدب و الدعوة

فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى

* ثانياً : التنويع و التنقل و التلوين :

ومن عناصر الجمال الأدبى ، الذى يزيد الجمال جمالا ، والحسن حسناً وبهاء ، و التنويع و التنقل و التلوين بين الصور و الأشكال الجمالية فى الكلام .

أن التزام الأديب لطريقة واحدة من الجمال الأدبى، يكررها باستمرار فى كل كلامه أو فى معظم كلامه، مما يجعل مشاعر سامعيه أو قارئيه تتبلد تجاه هذا اللون من الجمال ، فتفقد ما كانت تحس به من استعذاب وحلاوة و طلاوة، و يدب السئام إليها ، و لو أن أدبه كان كالمن و السلوى ، لأمست مشاعرهم أمام التزامه الوتيرة الواحدة كنفوس بنى إسرائيل .

لما أكثر طه حسين من استخدامه للون جميل فى الكلام هو الاستفادة من عكس الكلام للدلالة على فكرة أخرى ، غدا هذا اللون بعد حين مادة لتندر بعض المقلدين الساخرين .

وهذا العكس فى الكلام هو ما كان على وزن العبارة المشهورة : كلام الأمير أمير الكلام .

و نقول فى نظائرها :

* الجمال الأدبى و أدب الجمال .
* الطبع الحسن و الحسن المطبوع .

* شعراء العلماء و علماء الشعراء .
* روائع النثر و نثر الروائع .

ومن التزام الوتيرة الواحدة المملة ما نجده فى مقامات الحريرى رغم حلاوة بعضه لأول مرة ، لكن التنقل فى الألوان الأدبية ، والتنويع فى استخدام العناصر الجمالية فى الكلام . من الأسباب التى تجدد إثارة الانتباه للاحساس بالجمال ، وتجدد الاستمتاع بلذة الأدب الجميل ، و ترفعه إلى مستوى الروائع . و تمنع تسلل السأم و الملل إلى نفوس المستمعين أو القراء .

إن التنقل مثلا فى النثر من المتوازنات القصيرة ، إلى المتوازنات الطويلة ، إلى المتفاوتات الرشيقة ضمن نسق معجب جميل ، أحب إلى النفوس الحضارية الذواقة للجمال من الثبات على وتيرة واحدة منها .

ثم إذا استطاع الأديب أن يلائم بين المضامين الفكرية وبين الأسلوب الذى اختاره كان ذلك أكثر إعجاباً و إبداعاً .

و كذلك التنقل من الخبر ، إلى التساؤل ، إلى الجواب ، إلى التمنى ، فالى الخبر ، فالى الحوار و المناقشة ، فالى الجدل ، فالحماسة ، فالمنطقية العقلية ، فالعاطفة ، فالحديث الهادىء ، إلى غير ذلك من ألوان وفنون بيانيـة ، مع شرط الملاءمة ، و عدم التنافر الجمالى .

ومع التنقل ينبغى للاديب أن يكون قادراً على الاحساس بالتحولات النفسية ، لدى من يوجه له كلامه ، ليختار من أساليب القول ما يلائم الحالة النفسية التى وصل إليها ، إن هذه القدرة على هذا الاحساس ، مع القدرة على التكيف السريع و الانتقال إلى الأسلوب الأدبى الجديد الملائم ، هى الوسيلة البارعة الموصلة إلى امتلاك الألباب و القلوب والنفوس بأدب رفيع .

و مهما كان الأديب أقدر على هذا التكيف مع اختيار اللون الأدبي الملائم، و أقدر على استخدام مختلف الأساليب فى كلامه، و التنقل البارع بينها من غير تكلف و لا قفزات منفرة، كان أكثر أدباً، و أرفع أسلوباً، و أقدر على امتلاك من يوجه له كلامه.

ولنا فى هذا بكتاب الله العظيم أسوة رائعة، فمن خصائص الاعجاز القرآنى التنويع البديع الرائع فى الأساليب، مع ملاءمة كل نوع من أنواع الأساليب للمضمون الفكرى الذى يراد بيانه فى النجم القرآنى المنزل.

• ثالثاً- تزيين الأفكار المقصودة بالذات بأفكار أخرى:

ومن عناصر الجمال الأدبى تزيين الفكرة المقصودة بالذات بأفكار أخرى عن طريق التمهيد أو المقارنة أو التذييل.

١- فالتمهيد يكون بعرض أفكار تمهد للافكار المقصودة بالذات، و تزينها و تجعلها مقبولة.

كالتمهيد بمقولة إقناعية تتضمن ضرورة العناية بالصحة، و المحافظة عليها، قبل التحذير من شرب الخمر، أو من شرب الدخان، أو نحو ذلك من الأمور الضارة بالصحة.

و كاستثارة عناصر الايمان قبل توجيه التكليف.

و كالتمهيد بعبارات تشعر بتكريم المخاطب و التلطف معه، بحسب مكانته الاجتماعية بين قومه، و من ذلك الديباجات التى يقدم بها الناس خطاباتهم للملوك و العظماء و الرؤساء.

و أمثلة هذا التمهيد كثيرة فى القرآن العظيم و منها.

(الف) قول الله لرسوله فى سورة (آل عمران) :

« فبما رحمة من الله لنت لهم و لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك . فاعف عنهم ، و استغفرلهم و شـــاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين (١٥٩) » .

فقول الله لرسوله « فبما رحمـــة من الله لنت لهم » تمهيد حلو فى ثناء و تكريم ، لتحذير ضمنى من شئ غير واقع حتما ، ألا وهو الفظاظة و غلظ القلب الذى جاء بصيغة « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

ثم نلاحظ أن الجملتين معاً كانتا تمهيدين رائعين لتوجيه التكليف بقوله تعالى لرسوله « فاعف عنهم و استغفرلهم ، و شاورهم فى الأمر » .

(ب) قول الله تعالى فى سورة (آل عمران ٣) :

« لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة و إن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (١٦٤) .

إن هذه الآية بمضامينها قد كانت تمهيداً يهيئ نفوس المؤمنين لتقبل تلويمهم على ما بدر منهم من تذمر و استنكار ، لبعض المصائب التى أصـــابتهم فى أعمالهم الجهادية ، بأسباب من عند أنفسهم ، و هو ما جاء فى الآية التالية للآية السابقة .

« أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم : أنى هذا ؟ ! قل : هو من عند أنفسكم . إن الله على كل شئ قدير » (١٦٥) .

(ج) و قد علم الله موسى أن يمهد لفرعون بمقدمات العرض الرفيق جداً قبل أن يوجه له الدعوة المقصودة ، و هى أن يتزكى ، أى يتطهر من الكفر و الطغيان و الظلم و العدوان .

فقال له كما جاء فى سورة (النازعات ٧٩) :

« اذهب إلى فرعون إنه طغى (١٧) فقل : هل لك إلى أن تزكى (١٨) و أهديك إلى ربك فتخشى (١٩) .

فأدب الدعوة لعظيم بلغ به الأمر إلى ادعاء الربوبية ، قد اقتضى اتخاذ الحكمة فى دعوته ، بتقديم مقدمات العرض الرفيق المهذب جداً دل عليها فى النص « هل لك إلى أن تزكى » .

لقد كان يكفى أن يقول له : أدعوك أن تزكى . أو يكرمه قليلا بصيغة العرض الاستفهامى هل تتزكى ؟ أو يكرمه أكثر فيقول له : هل ترى أن تتزكى . أو نحو ذلك .

لكن الله علم موسى أن يفرش لفرعون مقدمات تكريم أكثر تناسب مكانة فرعون فى قومه ، و قد جاء التعبير عن هذه المقدمات الطويلة نسبياً بقوله « هل لك إلى أن تزكى » ؟

فأطال المقدمات بحسب عادات القوم ، و اختصر المطلوب الأساسى ، فقال « تزكى » بدل « تتزكى » .

٢- والمقارنة تكون بإلباس الفكرة المقصودة ثوباً من فكرة أخرى يتقبلها المخاطب أكثر من تقبله الفكرة المقصودة عارية مجردة .

و تطبيق ذلك يكون باستخدام الأساليب غير المباشرة التى سبق شرحها بتفصيـــل .

٣- و التذييل يكون بعرض الأفكار المقصودة بالذات أولا ، و إتباعها بما يزينها و يجعلها مقبولة .

كالاتيان بالفكرة ثم باتباعها بالاستدلال عليها استدلالا برهانياً أو دون ذلك ، أو باتباعها بالوعد المحبوب ترغيبا بها ، أو بالوعيد المكروه ترهيبا منها و تحذيراً . أو باتباعها ببيان دواعيها المنطقية أو دواعيها الالتزاميـة ، ومن الداوعى الالتزامية التذكير بعهد الايمان و الاسلام ، أو بسوابق الوعود و العهود ، و نحو ذلك .

و الأمثلة القرآنية على هذا النوع كثيرة جداً .

فمنها قول الله تعالى فى سورة (النور ٢٤) :

« ولا يأتل أولوا الفضل منكم و السعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين و المهاجرين فى سبيل الله ، و ليعفوا و ليصفحوا . ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، و الله غفور رحيم » (٢٢) .

فأمر الله بالعفو و الصفح ، ثم أتبعه بعرض فيه الوعد بالمغفرة لمن يعفو و يصفح . و نجد فى القرآن آيات كثيرة مختومـة بنحو قوله تعالى « إن الله يحب المتقين » . « إن الله يحب المحسنين » . « إن الله يحب المقسطين » « إن الله لا يحب الخائنين » . « إن الله لا يحب المفسدين » . « إن الله لا يحب الكافرين » مما يشير إلى الوعد أو الوعيـد بعد بيان المطلوب من فعل أو ترك .

★ رابعاً ـ ضرب الأمثال .

و من عناصر الجمال الأدبى الرفيع فى الكلام ضرب الأمثال ، بشرط أن تتوافر فيها الشروط الفنية الامثال و تستجمع الشروط الأساسية العامة للكلام البليغ .

ويشترط فى ضرب المثل أن يكون له غرض بيانى ، لا أن يكون مجرد عبث فى القول .

ولدى تتبعى للامثال القرآنية وجدت أن أهم الأغراض التى يحسن أن يقصدها البلغاء هى الأغراض الأخلاقية و التربوية التى هدفت إليها الأمثال القرآنيـة ، و تتلخص بالأغراض الستة التالية :

الغرض الأول : تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب عن طريق المثل .

الغرض الثانى : الاقناع بفكرة من الأفكار ، وهذا الاقناع قد يصل إلى مستوى إقامة الحجة البرهانية ، و قد يقتصر على مستوى إقامـة الحجة الخطابية ، و قد يقتصر على مجرد لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة .

الغرض الثالث : الترغيب بالتزيين والتحسين ، أو التنفير بكشف جوانب القبح .

فالترغيب يكون بتزيين الممثل له و إبراز جوانب حسنة ، عن طريق تمثيله بما هو محبوب للنفوس مرغوب لديها . و التنفير يكون بابراز جوانب قبحه ، عن طريق تمثيله بما هو مكروه للنفوس أو تنفر منه .

الغرض الرابع : إثارة محور الطمع ، أو محور الخوف ، لدى المخاطب . ففى إثارة محور الطمع يتجه الانسان بمحرض ذاتى إلى ما يراد توجيهه له . وفى إثارة محور الخوف يبتعد الانسان بمحرض ذاتى عما يراد إبعاده عنه .

الغرض الخامس : المدح أو الذم و التعظيم أو التحقير .

الغرض السادس : شحذ ذهن المخاطب ، و تحريك طاقاته الفكرية ، أو استرضاء ذكائه ، لتوجيه عنايته حتى يتأمل ويتفكر ويصل إلى إدراك المراد عن طريق التفكير .

و الامثال التى يدفع إليها هـذا الغرض إنما يخاطب بها الأذكياء ، و أهل التأمل و النظر و البحث العلمى ، و كبراء القوم .

أما الأغراض غير الأخلاقية فقد تجافت الأمثال القرآنية عنها . كالسخرية فى مثل ابن الرومى إذ قال :

قصرت أخادعه وطال قذاله فكأنه متربص أن يصفعا

ومن شاء أن يتعلم فن ضرب الأمثال ، فليهتد بهدى خصائص الأمثال
ولدى تتبعى للامثال القرآنية اكتشفت من خصائصها الخصائص الست

الأولى : دقة التصوير مع إبراز العناصر المهمة من الصورة التمثيلية .

الثانية : التصوير المتحرك الحى الناطق ، ذو الأبعاد المكانية و الزمانية ، تبرز فيـه المشاعر النفسية ، و الوجدانية ، و الحركات الفكرية ، الحية فى الصورة .

الثالثة : صدق المماثلة بين المثل و الممثل له .

الرابعة : التنويع فى عرض الأمثال ، مرة بالتشبيـه ، و مرة بالعرض ا، و بالتمثيل البسيط ، و أخرى بالتمثيل المركب الذى يطابق كل جزء جزءاً من الممثل له ، و أخرى بالتمثيل المركب الذى ينتزع منه و ب بنظرة كلية عامة .

الخامسة : البناء على المثل و الحكم عليه كأنه عين الممثل له ، على اعتبار قد كان وسيلة لاحضار صورة الممثل له فى ذهن المخاطب و نفسه ، حضرت صورة الممثل له و لو تقديراً ، فالبيان البليغ يستدعى تجاوز ومتابعة الكلام عن الممثل له وتسقط صورة الممثل لتبرز القضايا المة

السادسة : قد يحذف من المثل القرآنى مقاطع اعتماداً على ذكاء أهل الاسـ وقد تحذف من الممثل له مقاطع أيضاً ، ويبقى فى دلالات الألفاظ ا المعانى ما يدل على المحذوف .

★ واجب الدعاة :

وعلى الدعاة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، أن ينتفعوا العنصر من عناصر الجمال الأدبى ، و يهتدوا بهدى كتاب الله و هـ رسول الله ﷺ فى ذلك ، فكم فيهما من أمثال رائعات .

و للقارىء أن يرجع إلى كتابى : « الأمثال القرآنية » (١) .

(١) الأمثال القرآنية للمؤلف « عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى » طبع دار القلم

دراسات وأبحاث

معتقدات المسحيين فى شأن سيدنا المسيح عليه السلام

فضيلة الأستاذ محمد تقى العثمانى

و العقيدة الرابعة فى المسيحية فيما يتصل بالمسيح عليه السلام ، هى عقيدة « الكفارة » و يجب فهم و معرفة هذه العقيدة فى تفصيل ، لأسباب عديدة ، أولا : لأنها روح الديانة المسيحية – كما يقول الأستاذ « دانيل ولسون » (١) (DANIEL WILSON) وتحمل فى ذاتها أهمية كبرى ، و جميع ما أسلفنا من قبل من المعتقدات المسيحية كأنه مقدمة لهذه العقيدة ، و ثانيا: لأن هذه العقيدة هى التى قلما فهمت – ولا سيما فى العالم غير المسيحى – من أجل تعقدها والتوائها ، و ثالثا : لأنه نشأت من أجل عدم فهمها على الوجه الصحيح مفسدتان : الأولى أن المبشرين المسيحيين قد عرضوا هذه العقيدة على الأقل فى بلادنا على ما شاؤا (٢) مما أوقع الذين لم يكونوا من أولى الدراسة الدقيقة للحقيقة ، فى أنواع سوء الفهم ، و الأخرى أن الذين راحوا ليكتبوا فى الرد على المسيحية أو رد بعضهم على هذه العقيدة من الاعتراضات ما لا يقع عليها فى الواقع ، فكانت النتيجة أن هــــذه الاعتراضات لم تدافع عن الحق دفاعاً صحيحاً .

ولذلك فسنتحدث عن هذه العقيدة فيما يلى بشئ من التفصيل ، حتى لا يحول

(١) انظر Daniel Wilson Evidences of Chritianity, V.II. P.33, London' 1830.

(٢) انظر مثلا رسالة « الكفارة » لصاحبها القس « جولد ساك » ط : (Punjab Religious Society) مدينة لاهور ، ١٩٥٨م .

شئ من الغموض دون النفوذ إلى حقيقة الأمر و إساغته. جاء فى دائرة المعارف البريطانية شرح موجز لهذه العقيدة بما يلى :

« المراد من « الكفارة » فى علم العقائد المسيحية هو تضحية المسيح عليه السلام ، التى يعود بها الانسان المذنب فوراً فى كنف رحمة الله ، و تقوم هذه العقيدة على مفروضين : الأول أن الانسان من أجل ما أذنب آدم كان قد بعد عن رحمة الله ، و الثانى أن كلمة الله (الابن) إنما دخلت فى الجسم الانسانى ، لكى يقرب الانسان من رحمة الله من جديد » (١) .

إنها لمقالة جد قصيرة بالنسبة إلى الأداء ، غير أن وراءها سلسلة طويلة من المفترضات التاريخية و العقائدية ، لا يمكن بدون فهمها إساغة هذه العقيدة بصورة مشبعة ، فنسرد هذه المفروضات فيما يلى (٢) :

١ — المفروض الأول فى شأن هذه العقيدة ، أنه عند ما خلق الانسان الأول — سيدنا آدم عليه السلام — فقد وفر له كل نوع من الراحة ، و لم يفرض عليه أى حد ، إلا أنه منع عن تناول القمح ، وقد تركت فيه قوة الارادة فى حرية كاملة ، كان يمكنـــه معها من التقيد بهذا النهى إذا شاء ، كما كان

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ، ج ٢ ، ص ٦٥١ ، مقالة (Atonement) .

(٢) توصلت إلى حد دراستى و معلوماتى أن « سانت آجستين » هو الوحيد الذى قد استوعب خلفيات « الكفارة » بصورة أوضح ، وذلك فى كتابه (The Enchiridion) و سنعتمد عليـــه فى الأغلب فى حديثنا و شرحنا للعقيدة هنا ، و بما أن عبارة « آجستين » طويلة النفس ، فنضرب صفحاً عن سردها اكتفاء بالاحالة عليه مشفوعة بالاحالة على كتب أخرى إذا كنا قد استفدنا منها .

بامكانه أن يخالفه إذا شاء » (١) .

٢- إن آدم عليه السلام ، قد استخدم تلك الارادة الحرة فى غير موضعها ، و ارتكب ذنباً كبيراً بتناوله للشجرة الممنوعة ، و إن كان هذا الذنب هيناً بادىء ذى بدء ، و لكنه كان شنيعاً للغاية فى كيفيته (Qu?lity) و كميته (Quantity) بالنسبة إلى الكيفية ، لأن امتثال الأمر آنذاك كان سهلا ميسوراً جداً لآدم ، الذى قد أعطى كل حرية أن يأكل ما يشاء ، و إنما وضع عليه حد واحد كان له أن يلتزم به فى كل سهولة ، يضاف إلى ذلك أن الانسان لم يكن يعرف آنذاك عواطف الهوس و الشهوة ، التى تدفعه على اقتراف المآثم ، فلم يكن صعباً عليه أن يتحاشى من القمح ، وبقدر ما كان امتثال الأمر سهلا كان عصيانه شنيعاً بهذا القدر كذلك ثم إنه كان الذنب الأول من الانسان ، الذى أوجد « العصيان » لأول مرة مكان « الطاعة » ولم يرتكب الانسان من قبل « عصياناً » ، وكما أن « الطاعة » رأس كل حسنة ، كذلك العصيان أساس كل خطيئة ، وقد أقام ذنب آدم هذا الأساس (٢) .

و قد كان هذا الذنب شنيعاً جداً بالنسبة إلى الكمية كذلك ، لأن هذا الذنب الواحد ، قد ضم ذنوباً كثيرة ، فكان جماع الذنوب ، يقول « سانت آجستين » و هو يفصل هذا الأمر :

« وكان ذنب الانسان هذا شاملا لذنوب عديدة ، لأنه كان يتضمن ـ أولا ـ الكبر ، لأنه اختار أن يعيش محكوماً بسلطته بدل أن يعيش تحت ظل الحكم الالهى ،

(١) آجستين « مدينة الله » (The city of God) الكتاب ١٤ ، الباب ١١ ج ٢ ، ص ٢٥٥ .

(٢) المصدر نفسه ، الكتاب ١٤ ، الباب ١٢ ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ .

و كان ـ ثانياً ـ كفراً و إساءة أدب نحو الله ، لأن الانسان لم يتيقن فى الله ، و كان ـ ثالثاً ـ قتلا كذلك ، لأن الانسان بحكم هذا الذنب وحده جعل نفسه تستحق « الموت » و كان ـ رابعاً ـ زنا معنوياً . لأن إخلاص الروح الانسانية قد ضاعت من التصديق بقول الحية المعسول المضل ، و كان ـ خامساً ـ سرقة لأن الغذاء الذى كان محظوراً عليه أن يمسه ، قد تناوله وكان ـ سادساً ـ طمعاً ، لأن الانسان قد طمع فى أكثر مما كان يكفيه ، والحق أنك مهما أمعنت فى حقيقة أى إثم ، فستجد له انعكاساً فى هذا الذنب الواحد » (١) .

٣ — بما أن ذنب آدم كان شنيعاً للغاية ، فترتب عليه أثران ، الأول أن آدم قد استحق فى عقوبة هذا الذنب « الموت الدائم » أو « العذاب الدائم » لأن الله كان قد قال له ـ و قد أراه الشجرة الممنوعة ـ :

« لأنك يوم تأكل منها ، موتاً تموت » (٢) .

و الثانى أن ما كان آدم قد أعطى من حرية الارادة (Free Will) قد انتزعت منه ، وقد كان وهب قدرة فعل المعروف و المنكر ، بارادة و اختيار منه و بما أنه قد أخطأ بهذه القدرة موضعها ، فسلبته ، يقول « آجستين » :

« لما أذنب الانسان بقوته الارادية الحرة ، فبما أن الذنب قد تغلب عليه ، فانتزعت منه حريته الارادية ، لأن المغلوب عبد من غلبه ، كما يقضى به « بطرس » الرسول (٣) . . . فلا يحظى بالحرية نحو عمل المعروف ، حتى يتخلص من المنكر ،

(١) Augustine, the Enchiridion XLV' PP' 684 V.I

(٢) و تمام الآية : « و أما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك إلخ » (التكوين ، ٢ : ١٧) .

(٣) إشارة إلى الرسالة الثانية لبطرس (٢ : ١٩) .

و يأخذ فى العبودية للمروف » (١) .

فكأنه مسلوب حرية الارادة ، ما لم يتخلص من مخالب ذنبه ، لأنه الآن حر فى إتيان الاثم و اقتراف الذنب ، و ليس بحر فى صنع المعروف .

و هناك ينشأ سؤال : و هو أن الله لماذا عاقب الانسان على ذنب واحد ، بايقاعه فى ذنوب كثيرة ؟ يقول « سانت تهامس اكويناس » رداً على هذا السؤال :

« إنما كان العقاب الحقيق على الذنب : أن الله وضع عن إنسان رحمته ، وكان العقاب معقولا تماماً ، و لكن بانفصال رحمة الله عن الانسان انبعثت فيه رغبات فى المزيد من الذنوب ، إذاً فكان الوقوع ـ من أجل ذنب واحد ـ فى ذنوب كثيرة ، نتيجة هذا الذنب الواحد اللازمة ، التى قد تحققت » (٢) .

وبما أن اقتراف الذنب سبب انتزاع قوة الارادة الحرة من آدم و حواء ، و لم يعودا مختارين فى صنع المعروف ، و لكنهما كانا مختارين فى فعل الاثم ، فركب « الذنب » مع طبيعتهما ، و كان الذنب طبيعة لهما وعادة ، و يسمى هذا الذنب فى الاصطلاح « بالذنب الأصلى » (Original Sin) .

● و بما أن جميع أفراد الانسان الذين وجدوا من بعدهما أو سيوجدون فى المستقبل ، كلهم ولدوا من أصلابهما ، فانتقل هـــذا الذنب إلى جميع أفراد الانسان ، يقول « سانت آجستين » :

« و كان الواقع أن جميع أفراد الانسان الذين تلوثوا بالذنب الأصلى إنما

---

(١) و مثل ذلك قاله « آجستين » فى « The city of God » كذلك ، انظر ج٢ ، ص ٢٥٥-٢٥٦ .

(٢) Aquinas' the Summa Theologica' Q. 87, Art 2' P. 710, V.II.

ولدوا من آدم و تلك المرأة التى أوقعته فى الذنب، و التى شاركته فى نيل العقاب » (١)

إذاً فكل إنسان يولد ، يولد من بطن أمه مذنباً ، لأن ذنب أبويهما الأصيل متداخل فى طبيعته ، و معجون مع طينته ، وهناك ينشأ السؤال : أن الذنب إنما أتاه الأبوان فلماذا كان الأولاد مذنبين بذنبهما ؟ يرد على هذا السؤال « جان كالوين » أحد زعماء البروتستانتية ، قائلا :

« حينما يقال : إننا استحققنا العقاب الالهى من أجل ذنب آدم ، فليس يعنى ذلك أننا كنا بدورنا معصومين أبرياء ، و قد حملنا ظلماً ذنب آدم . . الحقيقة أننا لم نتوارث من آدم « العقاب » فقط ، بل الحق أن وباء من الذنب مستقر فى أعماقنا . ذلك الذنب الذى تعدى إلينا من آدم ، و الذى من أجله استحققنا العقاب على سبيل الانصاف الكامل ، و كذلك الطفل الرضيع تضعه أمه مستحقاً للعقاب ، وهذا العقاب يرجع إلى ذنبه هو ، وليس من ذنب أحد غيره » (٢) .

ويوضح هذا الأمر العالم والفيلسوف الكاثوليكى « تهامس اكوناس » بمثال آخر ، فيقول :

« من أجل ما أذنب أبوانا ، انتقل « الذنب الأصلى » إلى أولادهما ، و مثل ذلك أن الذنب فى الواقع تقترفه الروح ، و لكنه بالتالى ينتقل إلى أعضاء و جوارح فى الجسم » (٣) .

---

(١) Augustine, the Enchiridion, XXVI, Britannica' P. 663 V. 4. Colvin' P. 673' V.I .

(٢) Calvin, instll. BK. II . CH. SEC. 8, AS Quoted by the . Summa Theologica, Q,81, Art'3, P. 669, V. II.

(٣) The Summa Theologica, Q. 81, Art. 3, P. 669, V. II .

٦- بما أن الانسان جميعاً قد تلوث « بالذنب الأصلى » والذنب الأصلى هو الذى كان رأس الذنوب و الآثام الأخرى ، فان هـــذا الانسان هو الآخر قد حرم القوة الارادية الحرة حرمان أبويهما منها ، وتلوث بالذنب ، حتى أثقل – بالاضافة إلى الذنب الأصلى – بحمل ذنوب أخرى ، أتاها بنفسه بفعل « الذنب الأصلى » (١) .

٧- بالذنوب المشار إليها ، كان جميع بنى آدم مستحقين للعذاب الدائم ، كأبويهم ، و فى جانب آخر حرموا حريتهم الارادية ، فلم يعد هناك سبيل إلى نجاتهم و مغفرتهم . لأن النجاة من هذه الذنوب كانت كامنة فى فعل الحسنات ، غير أنهم كانوا عاجزين – بفقدهم حرية الارادة و الاختيـار – عن صنع الحسنات ، التى تخلصهم من العذاب » (٢) .

٨- و كان هناك سبيل لتخلص الانسان من هذه المصيبة ، و هو أن يرحمه الله بنفسه و يغفرله ، غير أنه لم يعد بالامكان ، لأن الله « عادل ومنصف » ولا يخرج على قوانينه المحكمة غير القابلة للتغيير ، وقد سبق محالا على كتاب « التكوين » أنه كان قد قرر العقوبة على « الذنب الأصلى » هى « الموت » فلو غفر الانسان بدون إيقاعه عليه عقوبة « الموت » لكان ذلك منافياً مع عدله » (٣) .

٩- ثم إن الله « رحيم » و لم يكن ليترك عباده على هذه الحالة التعسة البائسة ، فاتخذ حيلة تتم بها الرحمة عليهم و لا تمس قانون عدله مساً ، و على ذلك

---

(١) Augustine, the Enchiridion, XXV II P. 673, V. I .

(٢) المصدر نفسه ، الباب ٣٠ ، ج١ ، ص ٦٧٥ .

(٣) راجع دائرة المعارف البريطانية ، ج٢ ، ص ٦٥١-٦٥٢ ، مقالة «الكفارة»

فلم يكن هناك سبيل لتخلص الانسان إلا أن يموت موتة على سبيل العقوبة، ثم يحيى من جديد، حتى تعود إليه حريته الارادية فى هذه الحياة الثانية الجديدة، تلك الحرية الارادية التى كان قد فقدها فيما قبل الموت من أجل ذنبه الأصيل» حتى يستريح من ثقل «الذنب الأصلى» و يعمل الصالحات فى حرية تامة» (١).

١٠- بيد أن إماتة الانسان جميعاً و بعثهم من جديد، كانا عما يتنافى مع قانون الطبيعة وسنة الكون، فكانت الحاجة إلى أن يتحمل ذنوب جميع الانسان شخص معصوم من «الذنب الأصلى» و يعاقبه الله بموتة ثم يحييه من جديد، و تكون هذه العقوبة كافية لجميع أفراد البشر، ثم يتخلص جميع الانسان. و قد اختار الله لهذا الغرض العظيم (ابنه) و بعثه إلى الدنيا فى الجسم الانسانى، فقام بتقديم هذه التضحية، ومات على الصليب، و كان موته كفارة عن الانسان جميعاً (٢)، و بذلك لم يغفر الله «الذنب الأصلى» للانسان بل وجميع الذنوب التى ارتكبها بفعل الذنب الأصلى (٣) ثم إن هذا «الابن» قام من قبره بعد ثلاثة أيام، فحصلت بذلك حياة جديدة للانسان أجمع، والانسان يملك القوة الارادية الحرة فى هذه الحياة الثانية الجديدة، فاذا استخدمها فى الحسنات فسيستحق الأجر والثواب، وإذا وضعها فى السيآت فسيستوجب العذاب بقدر نوعية السيآت التى ارتكبها (٤).

---

(١) آجستين فى (The city of God) الكتاب ١٤، الباب ١١، ص٢٥٥-٢٥٦

(٢) المصدر نفسه.

(٣) The Enchiridion L P. 687, V.I.

(٤) Idid, 60,ch Lii P.688,V.I .

١١— لكن تضحية يسوع المسيح هذه ، إنما هى لمن يؤمن به ، و يعمل بتعاليمه ، و علامة هذا الايمان هى القيام بأداء طقس « الاصطباغ » (١) فان الاصطباغ يعنى أن القائم به يؤمن بكفارة يسوع المسيح ، فيقوم إتيانه « بالاصطباغ » عن واسطة يسوع المسيح ، مقام موته و حياته الثانيـــة ، و لذلك فالذى يقوم بأداء طقس « الاصطباغ » يغفر « ذنبه الأصيل » ويمنح حرية الارادة من جديد ، والذى لا يؤدى طقس « الاصطباغ » يظل « ذنبه الأصلى » باقياً ، مما يجعله مستحقا للعذاب الدائم ، ومن ثم يقول « اكويناس » .

« الصغار الذين ماتوا قبل الاصطباغ ، فبما أن « الذنب الأصلى » لا يزال فيهم ، فانهم سوف لن يتمتعوا برؤية سلطان الرب » (٢) .

١٢— و الذين ماتوا قبل مقدم المسيح عليه السلام ، سيستعرضون هل هم كانوا يؤمنون بيسوع المسيح أم لا ؟ فان كانوا يؤمنون فسيكون موت يسوع المسيح كفارة لهم كذلك و سينجون ، و إلا فلا (٣) .

١٣— و كما أسلفنا فان الذين آمنوا بيسوع المسيح ، و قاموا بالاصطباغ ، فليس معنى كون المسيح كفارة لهم : أنهم مهما يأتون الذنوب ، فانهم لا يؤاخذون و لا يعاقبون ، بل إنما يعنى ذلك أنه قد غفرلهم « ذنبهم الأصلى » الذى كان يقضى بعذابهم الدائم ، و امحت مع ذلك ذنوبهم التى أورثها « الذنب الأصلى » لكنهم قد عادوا يتمتعون الآن بحياة جديدة ، و يملكون حرية الارادة فى هذه الحياة الجديدة ، فاذا ما أخطأوا بها مواضع الاستخـــدام ،

---

(١) سيأتى شرح هذا الطقس فيما يأتى .

(٢) Aquinas, the summa theologica, 875, P. 7:4, V.I .

(٣) Augustine, on original sir, ch XXXI, P. 641, V.I.

فسينالون العقاب الذى تقتضيه نوعية الذنب، وإذا ما أتوا بعد «الاصطباغ» ذنباً يخرج بهم عن حظيرة الايمان، فسيعودون مستحقين للعذاب الدائم، و لا تغنى عنهم إذاً كفارة المسيح، و على ذلك فالذين تخرجهم الكنيسة من الجماعة من أجل «النفاق» (SCHISM) أو «البدعة» (HERESY) يستحقون العذاب الدائم (١).

و إذا أتوا صغيرة من الصغائر، فانهم يدخلون لوقت محدود فى ذلك الجزء من جهنم، الذى أعد لتطهير المؤمنين من الذنوب و الآثام، و الذى يسمى بـ «المطهر» (PURGATORY) وبعد ما ينقضى الوقت المحدود، يدخلون فى الجنة» (٢).

وبعض العلماء المسيحيين يقولون: ليس «الكفر» وحده هو الذى يخرج الانسان من كفارة يسوع المسيح، و لكن الكبائر كذلك، فالذى يرتكبها يستحق العذاب الدائم، وقد وضع «سانت آجستين» كتاباً مستقلا على هذا الموضوع، و تشف بعض عباراته فى (ENCHIRIDION) أنه يميل إلى هذا الرأى.

الذين أنكروا هذه العقيدة:

تلك هى حقيقة عقيدة الكفارة (٣)، والأغلبية الساحقة من المسيحيين

(١) The Enchirdion LXVII, P. 691, V.I.

(٢) The Ench. eh. LXIX P. 699, V.I.

(٣) قد بحث العلامـــة رحمة الله الكيرانوى، فى عقيدة الكفارة، فى كتابه «إظهار الحق» بحثاً مستوفياً، فى مواضع مختلفة، و لا سيما فى الباب الثالث، و رغم ذلك فان هناك ناحية لهـــذه العقيدة يحتاج البحث فيها ★

.. ..

إلى مقالة مستفيضة ، و بما أنه لا يعنينا هنا إلا عرض العقائد المسيحية على ما هى عليه ، فلا نجد مجالاً لتعليق مفصل ، و لكننا نرى لزاماً علينا أن نشير إلى نقاط أساسية تحمل أهمية حاسمة بالنسبة إلى هذه القضية ، و ربما تتكشف أخطاء هذه العقيدة جلية واضحة إذا وضعناها فى الاعتبار ، و تلك هى :

١ – لا بد أولا من التثبت فى أن ما وقع من آدم – عليه و على نبينا الصلاة و السلام – هل كان ذنباً أم لا ؟ .

٢– ثم إن هذه العقيدة تقول بانتقال « الذنب الأصلى » بطريقتين : من آدم إلى أولاده ، و من الأولاد إلى سيدنا المسيح عليه السلام ، فالسؤال : هل هناك مجال فى قانون العدل الالهى لتحميل أحد ذنب أحد؟ على حين نجد فى التوراة (العهد القديم) :

« النفس التى تخطئ ، هى تموت ، الابن لا يحمل من إثم الأب و الأب لا يحمل من إثم الابن ، بر البار عليه يكون ، و شر الشرير عليه يكون » (حزقيال ، ١٨ : ٢٠) .

٣– و ما ضربه « كالوين » من المثل بالوباء فيما يتصل بانتقال الذنب من آدم إلى بنى آدم ، لا يستقيم بوجه من الوجوه ، لأن مرض أحد يتعدى إلى الآخر ، أم لا ؟ لا تزال هذه القضية فى موضع النقاش و النظر ، و لو سلمنا ذلك فان المرض شئ غير اختيارى لا يقاس على الذنب ، لأن الذنب المستوجب للعقاب إنما هو الذى يرتكبه الانسان باختيار وإرادة منه ، و إذا أصاب أحداً مرض على غير اختيار منه ، فانه لا يلام ،

.. ..

و لا يعتبر مستحقاً للعقوبة ، فلماذا تعتبر - يا ترى - الانسان مستحقاً للعقاب على ذنب لا يملك فيه اختياراً ؟ .

٤- و كذلك فان المثال الذى قدمه « أكويناس » لا يصح هو الآخر ، لأن المذنب فى الواقع إنما هو الانسان ، و بما أن الانسان عبارة عن مجموعة الروح و الجسم ، فكان كل منهما مذنباً ، و بالعكس من ذلك فان شخص آدم ليس مركباً من جميع أولاده ، حتى لا يمكن أن يعتبر مذنباً إلا إذا اعتبر جميع أولاده مذنبين .

٥- لئن كان « الذنب الأصلى » انتقل إلى كل من بنى آدم مركباً مع طينته ، فلماذا لم ينتقل إلى شخص سيدنا المسيح عليه السلام الانسانى ؟ على حين إنه قد ولد - كجميع الانسان - من بطن مريم رضى الله عنها ، و كان - كما تقرره العقائد المسيحية - إنساناً بجانب كونه إلهاً . و إنما صلب من حيث كونه إنساناً .

٦- ثم إنه هل فى شرعة الانصاف أن تصلب نفس بريئة - ولو عن رضا عنها من أجل ذنوب جميع الانسان ؟ لئن عرض أحد من الناس فى محكمة من المحاكم أنه راض بأن يتحمل عقوبة فلان السارق ، فهل يطلق السارق ؟ تنفى ذلك قولة « حزقيال » المسرودة أعلاه هى الآخر .

٧- يقال إن الله عادل ، فلا يغفر الذنوب و الخطايا بدون أن يعاقب ، و لكن هل يقضى الانصاف بأن لا يكتفى بعقاب الانسان بالعذاب الدائم على ذنب لم يكن له فيه اختيار ، بل و ينتزع منه حريته الارادية ؟ ! .

ظلت تؤمن بهذه العقيدة أساساً للديانة المسيحية ، ورغم ذلك ، فانه يتواجد فى تاريخ الكنيسة من أنكروا هذه العقيدة ، وربما يكون أولهم وفى طليعتهم « كويليس شيش » (COELESTIUS) الذى كانت آراؤه فى ألفاظ « آجستين » كما يلى .

« ذنب آدم لم يضر إلا آدم ، ولم يكن له أى تأثير على بنى النوع البشرى ، و الأطفال الرضعاء حين تضعهم أمهاتهم يكونون كما كان آدم فيما قبل أن يذنب » (١) .

غير أن هذه النظريات قد اعتبرها مجمع عقده الأساقفة فى « قرطاجا » (CARTHAGE) « مبدعة » و على الرغم من ذلك فقد أنكر هـــذه العقيدة أناس تحدثت عنهم دائرة المعارف البريطانية (مقالة « الكفار ») .

★ ٨– يقال : إن الله لا يغفر « الذنب الأصلى » بمجرد التوبة ، و قد جاء فى العهد القديم :

فاذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التى فعلها ، و حفظ كل فرائضى ، وفعل حقاً وعدلا ، فحياة يحيى ، لا يموت » (حزقيال ، ١٧: ٢١) .

٩ـ لئن كانت هذه العقيدة صحيحة ، فلماذا لم يبينها سيدنا عيسى عليه السلام فى كل صراحة و وضوح ، و ليس هناك فى الأناجيل عبارة ما يمكن منها استنباط هـــذه العقيدة ، و سنتحدث عن ذلك بشيء من التفصيل فى الباب الثانى من هذا الكتاب .

(١) Augustine' on Original sin' ch, 621,11 P.V.I.

آراء الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى
فى تاريخ التشريع الاسلامى
★★ و أسباب الاختلاف فى المذاهب الفقهية ★★
([٣])

للأستاذ سلمان الحسينى الندوى

تميز المذاهب الفقهية

و استقلالها : لقد بدأت المذاهب الفقهية و المسالك الاجتهادية تتميز و تستقل (١) فى مرحلة التدوين للأحاديث و الآثار و آراء الصحابة و التابعين ـ رضى الله عنهم ـ و ظهرت الميول و الاتجاهات الفقهية التى كانت وليدة البيئة و التراث و الخلفيات الثقافية ، بالاضافة إلى الطبائع المتميزة المتجلية فى أصحاب المدارس الفقهية ، الأمر الذى أدى إلى استقرار هذه المناهج الاجتهادية ، و نشوء مراكز مستقلة يأوى إليها المستفتون والمتعلمون ، ويصدرون عنها مقتنعين متأثرين ، و قد تقدم ما كان من اختلاف بين مدرسة المدينة المنورة ، و مدرسة الكوفة ، لاختلاف علمائهما و اعتماد الامامين مالك و أبى حنيفة على أهل بلدهما أكثر من

(١) لقد كان هناك فى القرنين الثانى و الثالث أئمة مجتهدون كثيرون ، و كانت لهم آراء و مذاهب ، و لهم أتباع يأخذون بقولهم ، و يرجعون إليهم و يصدرون ، كالامام الأوزاعى ، و الليث بن سعد ، و سفيان الثورى ، و سفيان بن عيينة وإسحاق بن راهويه وداؤد الظاهرى وابن جرير الطبرى و غيرهم من العلماء المجتهدين الذين تكون بمجموعة أقوالهم مذاهب فقهية متميزة عن غيرها ، إلا أن الحكمة الالهية أرادت انتشار المذاهب الأربعة و كثرة أتباعها و اندراس مذاهبهم ، اللهم إلا فى كتب الخلاف وشروح كتب الحديث ، وقد ظهر ـ أخيراً ـ اتجاه جديد إلى تتبع مذاهب هؤلاء الأئمة و إخراج موسوعاتهم الفقهية ، و لكل شيئ أجل مسمى .

غيرهم من علماء الأقطار الأخرى و لم يكن ذلك إلا أمراً طبيعياً يتفق و الأصول المدنية ، و المبادىء المقررة فى التعلم والتأثر ، و يقول الامام الدهلوى مشيراً إلى ذلك و مبيناً مكانة الامام مالك و منهجه :

الامام مالك رحمه الله : « وكان مالك اثبتهم فى حديث المدنيين عن رسول الله ﷺ و أوثقهم إسناداً و أعلمهم بقضايا عمر و أقاويل عبد الله بن عمر ، وعائشة وأصحابهم من الفقهاء السبعة ، و به و بأمثاله قام علم الرواية و الفتوى ، فلما وسد إليه الأمر ، حدث و أفتى ، و أفاد وأجاد ، وعليه انطبق قول النبي ﷺ يوشك أن يضرب الناس اكباد الابل يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة »(١) « على ما قاله ابن عيينة و عبد الرزاق و ناهيك بهما » (٢)

و قد تحمل عنه علمه تلاميذه النجباء المجتهدون الذين اشتغلوا بتدوين رواياته و آرائه الفقهية ، و استخرجوا منها القواعد و الأصول و فرعوا عليها تفريعات كثيرة ، كان من أولئك التلاميذ الأعلام عبد الرحمن بن القاسم و ابن عبد الحكم وأشعب وغيرهم من نفع الله بهم خلقاً كثيراً و كانوا سبباً لانتشار المذهب المالكى فى بلاد مصر ، وما جاورها من البلدان ، كما كان ليحيى بن يحيى المصمودى وغيره تأثير فى بلاد الغرب حيث أصبح الجمهور يتمذهب بالمذهب المالكى غير منازع .

---

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب العلم باب « ما جاء فى عالم المدينة » ثم قال : « وقد روى عن ابن عيينة أنه قال فى هذا : سئل من عالم المدينة ؟ فقال : أنه مالك بن أنس .. و سمعت يحي بن موسى يقول : قال عبد الرزاق : هو مالك بن أنس (انظر جامع الترمذى بشرح أحمد شاكر ج ٥ ص ٤٨)

(٢) الانصاف ص ٣٨-٣٩ .

ويحسن بنا لبيان مدرسة الامام مالك الفقهية ـ فى صورة أوضح ـ أن نذكر الجدول الذى يعين القارىء على معرفة أركان المدرسة، وقد علمنا سلفاً أن مدرسة الامام مالك تركزت فى المدينة المنورة ، فاذا أردنا تصوير مدرسة المدينة هذه ، فليكن ما يلى : (١)

عمر ـ عثمان ـ عبد الله بن عمر ـ عائشة ـ ابن عباس ـ زيد بن ثابت

فقهاء المدينة السبعة وهم :

- عبيدالله بن عبدالله بن عتبة ابن مسعود (م٩٩)
- عروة بن الزبير (م٩٤)
- القاسم بن محمد بن أبى بكر (م١٠٦)
- سعيد بن المسيب (م٩٣)
- سليمان بن يسار (م١٠٠)
- خارجة بن زيد بن ثابت (م١٠٠)
- سالم بن عبد الله ابن عمر (م١٠٦)

- ابن شهاب الزهرى (م١٢٤)
- نافع مولى عبدالله ابن عمر (م١١٧)
- أبو الزناد عبدالله ابن ذكوان (م١٣١)
- ربيعة الرأى (م١٣٦)
- يحيى بن سعيد (م١٤٣)

مالك بن أنس (م١٨٧)

- عبد الله بن وهب (م١٩٧)
- عبد الرحمن بن القاسم (م١٩١)
- أشهب بن عبد العزيز (م٢٠٤)
- عبد الله بن عبد الحكم (م٢١٤)
- يحيى بن يحيى الليثى (م٢٣٤)

---

(١) اقتبست هذا الجدول من « ضحى الاسلام ج ٢ » لأحمد أمين .

الامام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ : تحدث الامام الدهلوى عن الامام أبي حنيفة رحمه الله وتناول منهجه بايضاح و أشار إلى مصادر فقهه ، و معتمد أقواله و طريق استخراجه ، فقال :

« و كان أبو حنيفة ألزمهم بمذهب إبراهيم (١) و أقرانه لا يجاوزه إلا ماشاءالله ، وكان عظيم الشأن فى التخريج على مذهبه دقيق النظر فى وجوه التخريجات ، مقبلا على الفروع أتم إقبال ، و إن شئت أن تعلم حقيقة ما قلنا ، فلخص أقوال إبراهيم من كتاب « الآثار (٢) » لمحمد ، وجامع (٣) عبد الرزاق ، ومصنف(٤)

---

(١) هو إبراهيم بن يزيد بن الأسود النخعى الامام الفقيه ، ولد عام ٣٦هـ بالكوفة و نشأ بها و كان أبوه يزيد بن الأسود راوية للحديث ، حج علقمة والأسود فاصطحباه معهما وهو صغير فأدخلاه على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها و لقى من الصحابة زيد بن أرقم و عبد الله بن أبي أوفى وأدرك جماعة من الصحابة منهم أنس بن مالك وعبد الله بن عباس و أبو سعيد الخدرى وغيرهم و لكنه لم يسمع منهم ، قال الامام الشعبى لما توفى إبراهيم النخعى ودفن ، دفنتم أفقه الناس ، قيل له ، ومن الحسن البصرى ؟ قال أفقه من الحسن و من أهل البصرة و من أهل الكوفة و من أهل الشام و من أهل الحجاز ، و قال على بن المدينى : كان إبراهيم عندى من أعلم الناس بأصحاب عبد الله و أبطنهم بهم » (انظر موسوعة فقه الامام النخعى للدكتور محمد رواس قلعه جى ج ١) توفى إبراهيم النخعى الامام سنة ٩٦ ، و هو ابن ٤٩ سنة .

(٢) يذهب بعض العلماء إلى أن كتاب « الآثار » للامام أبي حنيفة ، فهو الذى ★

أبي بكر بن أبي شيبة، ثم قايسه بمذهبه تجده لا يفارق تلك المحجة إلا فى مواضع يسيرة (١) وهو فى تلك اليسيرة أيضاً لايخرج عما ذهب إليه فقهاء الكوفة» (٢)

★ رتبه و دونه، و قد روى عنه هذا الكتاب الامام أبو يوسف و الامام محمد بن الحسن، والامام زفر بن الهذيل وغيرهم، فنسب إليهم لروايتهم إياه لا لأنهم رتبوه ودونوه، وقد استدل على ذلك الأستاذ عبد الرشيد النعمانى فى كتابه «ابن ماجه و علم الحديث» بأدلة تاريخية كثيرة يمكن أن يستراح إليها، و لكن المعروف بين المحدثين خلاف ذلك و الله أعلم

(٣) و هو «مصنف عبد الرزاق» الكتاب الجليل العظيم الذى قام بتحقيقه وإخراجه المحدث الكبير الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى أطال الله بقاءه.

(٤) «صف المؤرخ المحدث ابن كثير هذا الكتاب فقال: لم يصنف أحد مثله قط لا قبله و لا بعده، (البداية و النهاية ج ١ ص ٣١٥) وقال العلامة الكوثرى: «و هو من أجمع الكتب لأدلة الفقهاء خاصة أهل العراق» (ابن ماجة و علم الحديث ص ٤٧)

(١) يبدو من تصريح الامام الدهلوى، أن الامام أبا حنيفة يتمسك بقواعد إبراهيم النخعى ومسالكه الاجتهادية وآرائه فى الفقه ويعتمد عليها ويبنى ويفرع، ولكن ما نقله الحافظ الذهبي بسنده عن الامام يحيى بن معين وهو يروى عن الامام أبي حنيفة يدعونا للتأمل فى تصريح الامام الدهلوى، فقد قال الامام أبو حنيفة مبيناً لمنهجه: «آخذ بكتاب الله، فما لم أجد فبسنة رسول الله ـ ﷺ ـ و الآثار الصحاح عنه التى فشت فى أيدى الثقات عن الثقات، فان لم أجد فبقول أصحابه، آخذ بقول من شئت، و أما إذا★

و لا يعنى هذا ـ بطبيعة الحال ـ أن الامام أبا حنيفة كان يأخذ بأقوال الامام النخعى كمقلد يأخذ بقول المجتهد، ولكن كتلميذ ينظر فى أقوال أستاذه ويستفيد منها ويأخذ منها و يدع ، يدل عليه قوله كما حكى الامام الذهبى فى مناقب أبى حنيفة عنه : .. . .. أما إذا انتهى الأمر إلى إبراهيم و الشعبى و الحسن و عطاء فأجتهد كما اجتهدوا » وعلى كل فان الامام أبا حنيفة متأثر تأثراً كبيراً بالامام النخعى يتجلى ذلك بمقارنة أقواله بأقوال النخعى، فقد تتبع الدكتور محمد رواس قلعه جى نصوص الامام النخعى و آراءه الفقهية من كتاب « الآثار » للامام محمد ، و كتاب الآثار للامام أبى يوسف، و مصنف أبى شيبة و مصنف عبد الرزاق وغيرها من المراجع و دونها و رتبها على الحروف من المواضيع الفقهية لجاء مجلداً ضخماً ، يقدم دليلا ناهضاً على ما قاله الامام الدهلوى و يكشف عن مدى اطلاعه على هذه الكتب ، و لتوضيح مدرسة الكوفة أو مدرسة الامام أبى حنيفة كما اشتهرت فيما بعد يحسن بى أن أنقل هذا الجدول التالى (١) .

★ انتهى الامر إلى إبراهيم و الشعبى و الحسن و عطاء فاجتهد كما اجتهدوا »
(ابن ماجة وعلم الحديث ص ١٦٨ نقلا عن مناقب أبى حنيفة للذهبى ص ٢٠)
إلا أن الناظر فى فقه الامام النخعى و قد قام باخراج موسوعته الفقهية الدكتور محمد رواس قلعه جى ـ يرى بوضوح موافقة الامام أبى حنيفة للامام النخعى فى أكثر المسائل الفقهية أصولا و فروعاً .

(٢) الانصاف ص ٣٩ .

(١) (انظر ضحى الاسلام لأحمد أمين ج ٢ ص ٢٠٥)

عبد الله بن مسعود (م٣٢) — علی بن أبی طالب (م٤٠)

شریح بن الحارث الکندی (م٧٨) — علقمة بن قیس النخعی (م٦٢) — مسروق بن الاجدع الهمدانی (م٦٣) — الأسود بن یزید النخعی (م٧٥)

إبراهیم النخعی (م٩٥) — عامر بن شراحیل الشعبی (م٩٥)

حماد بن أبی سلیمان (م١٢٠)

أبو حنیفة النعمان (م١٥٠)

أبو یوسف (م١٨٢) — محمد بن الحسن (م١٨٩) — زفر بن الهزیل (م١٥٨)

و قد کان هؤلاء التلامیذ الاعلام النجباء یمتازون بخصائصهم ، و اختصاصاتهم وکل منهم قد قام بدوره فی جانب مهم من جوانب العلم ، روی عن المزنی صاحب الامام الشافعی أنه جاءه رجل فسأله عن أهل العراق ، قال : ما تقول فی أبی حنیفة ؟ قال : سیدهم ، قال فأبو یوسف ؟ قال : أتبعهم للحدیث ، فمحمد بن الحسن ؟ قال : أکثرهم تفریعاً ، قال فزفر ؟ قال أحدهم قیاساً ، (الفهرست

لابن النـــــديم ٢٠٦) .

الامام أبو يوسف :

(١١٣ ـ ١٨٢) تعرض الامام الدهلوى بعد ذكر شيئ من منهج الامام الأعظم أبى حنيفة ـ رحمه الله ـ و أشار إلى جانب خاص فى سيرة أبى يوسف أو تأثيره فى الناس وفى رجال الدولة بصفة أخص فقال :

« و كان أشهر أصحابه ـ أى أصحاب الامام أبى حنيفة ـ أبو يوسف فولى قضاء القضاة أيام هارون الرشيد ، فكان سبباً لظهور مذهبه و القضاء به فى أقطار العراق و خراسان وما وراء النهر » (١)

و ما من شك أن تولى أبى يوسف رحمه الله لهذا المنصب الخطير له تأثيره الكبير فى تثبيت دعائم المذهب الحنفى فى الدولة العباسية ونشره فى الآفاق عن طريق القضاة الذين كانوا يختارون برأيه ومشورته ، ولكن لا يصح أن يقال إن المذهب انتشر بهذا السبب فقط ، فان السلطة والقوة ليس لهما كل التأثير ، فكثيراً مارأينا اتجاه الناس المعاكس لاتجاه الدولة ، و كم حاول المأمون بتأثير بعض أركان بلاطه أن ينشر المذهب المعتزلى ، فلم يستطع أن يكسب ود الناس و قبولهم ، و قد كان لاباء أبى حنيفة و رفضه لمنصب القضاء و عدم موالاته الحكومة فى عصره تأثير أيما تأثير على قلوب الناس ، كما كان الاتجاه الجديد فى العالم الاسلامى آنذاك نحو الترتيب الفقهى الملى ، و الأقيسة الدقيقة و القواعد المضبوطة ، و هذا كان أجلى فى المذهب الحنفى من غيره ، و كل ذلك كان له تأثيره على الناس فى الاقبال على هذا المذهب .

---

(١) الانصاف ٣٩ .

أما الامام أبو يوسف فانه أخص تلامذة الامام أبى حنيفة ، صاحبه ولازمه مدة طويلة ، كما أنه أستاذ محمد بن الحسن الشيبانى (١) فى الوقت نفسه ، لأن الامام أباحنيفة توفى ومحمد بن الحسن لم يبلغ التاسع عشر من عمره ، فكان أكثر أخذه فيما بعد على الامام أبى يوسف .

و هل كان الامامان أبو يوسف و محمد يتبعان المذهب الحنفى كما يتبع أهل المذاهب مذاهب أئمتهم ؟ يجيب الامام الدهلوى على هـذا السؤال بالنفى ، و لكن قبل أن أخوض فى هذا الموضوع يحسن أن أورد ما قاله فى الامام محمد بن الحسن :

« يتبع »

---

(١) ولد الامام محمد ١٣٢ و توفى عام ١٨٩ ، و لم يقدر له أن يجلس مدة طويلة فى درس أبى حنيفة فأتم على أبى يوسف ما بدأه مع أبى حنيفة ، (انظر تاريخ المذاهب الاسلامية لأبى زهرة ص ١٧١)

حركة الاستشراق فى ميزان العلم و التاريخ

محمد صدر الحسن الندوى

★ العوامل التى شجعت المستشرقين على التحريف :

هناك أسباب شجعت الاستشراق على التحريف و النيل من الاسلام و تركيز جهودهم و مساعيهم على تعريف مواضع الضعف وتمثيلها فى صورة مروعة ونظرهم إليها عن طريق الآلة المكبرة وعرضها كذلك للقراء حتى يروا الذرة جبلا و النقطة بحراً ، لذلك نود أن نشير إلى تلك العوامل ليكون القارى على بصيرة من الأمر .

١— عدواة المسيحيين للاسلام :

العامل الأول الذى يدفعهم إلى تحريف التعاليم الاسلامية و التعرض لها هو العداوة ، يقول الدكتور دريول :

« إن الغربيين ربوا فى عاطفة أن النصرانية أرقى من الاسلام بكثير ، و أن رسالتها أن تهدى المسلمين إلى دين المسيح ، و هذا أمر عسير ، و كم من أناس بيننا يبسمون لما يذكر من النعيم الذى وعد به المسلمون فى الجنة ، و لما يرون من حركات العبادات الاسلامية يبسمون ، و نحن ندعو المسلمين بالكافرين ، فلهم الحق أن يرددا علينا هذا النعت ، و بهـــذا لا يرجى أن تقوم بيننا و بينهم صلات أخاء وحب » .

وقال وليم غيفورد بلغراف الانجليزى المسمى بالحرباء . الكلمة المشهورة ولخص فى هذه الكلمـــة عداء الغربيين للاسلام : « متى توارى القرآن و مدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده

عنها إلا محمد و كتابه » (١) .

و يقول المستشرق بيكر : « إن هناك عداء من النصرانيين للاسلام بسبب أن الاسلام عند ما انتشر فى العصور الوسطى أقام سداً منيعاً فى وجه الاستعمار و انتشار النصرانية ، ثم امتد إلى البلاد التى كانت خاضعة لصولجانها » (٢) .

ونسوق هنا قصة لطالب مسلم ، تدل على عداوة المسيحيين للاسلام والمسلمين « ذهب طالب مصرى (اسمه أمين) إلى إنجلترا لنيل شهادة الدكتوراه ، و قرر أن يكون موضوع رسالته ، هو نقد كتاب شاخت ، و تقــدم إلى البروفيسور « اندرسون » ليكون مشرفاً على تحضير هذه الرسالة و موافقاً على موضوعهـا ، فأبى عليه هذا المستشرق أن يكون موضوع رسالته نقد كتاب شاخت ، فلما يئس من جامعة لندن ، ذهب إلى جامعة كمبردج و انتسب إليها ، و تقدم إلى المشرفين على الدراسات الاسلامية فيها برغبة فى أن يكون موضوع رسالتــه للدكتوراه هو ما ذكرناه ، فلم يبدوا رضاهم على ذلك ، وظن من الممكن موافقتهم أخيراً ، ولكنهم قالوا بصريح العبارة : إذا أردت أن تنجح فى الدكتوراه فتجنب انتقاد شاخت فان الجامعة لن تسمح لك بذلك (٣) .

٢- فقدان عنصر الروحية الغيبية :

الحقائق التى تتعلق بالغيوب و تحار فيها العقول و ليس فيها مجال للتجربة والاستقراء للعقول البشرية ينكرونها إنكاراً باتاً بدليل أنها تتنافى مع التجربة والعقل البشرى ، ولذلك يقعون فريسة التحريف إذا بحثوا عن حقائق الاسلام التى تتعلق بالغيوب و الحياة بعد الموت و نعيمها و لذلك أسباب نذكرها فى السطور التالية

(١) التبشير و الاستعمار ص ٣٥

(٢) أخبار العالم الاسلامى ذو القعدة ١٣٩٩ .

(٣) السنة و مكانتها فى التشريع الاسلامى ص ٢٨ .

يقول الأستاذ محمد المبارك و هو يشير إلى هذا النقص : و نقطة البداية فى نشوء هذه المذاهب الفكرية فى أوربا و الفاصلة فى تاريخها ، كانت فى النهضة العلمية و الفكرية التى تولدت باتصال أهل أوربا بالحضارة الاسلامية عن طريق الأندلس و صقلية وترجمة كتب العلوم و الفلسفة إليها ، و كانت خسارة البشرية هنا بالضبط فى أنهم أخذوا الجانب العقلى و المادى من حضارة المسلمين و لم يأخذوا الجانب العقائدى و الروحى الخلقى » (١)

و مشيراً إلى هذه الحقيقة الناصعة يقول العلامة السيد أبو الأعلى المودودى :

«ظهرت الحضارة الغربية فى أمة لم يكن عندها معين صاف و لا نبع عذب للحكمة الالهية ، لقد كان فيها قادة الدين و لكن لم يكونوا أصحاب حكمة و لا علم و لا شريعة إلهية ، و لم يكن عندهم إلا شبح دينى ، لو حاول أن يسير بالنوع الانسانى على صراط مستقيم فى طريق الفكر والعمل لما استطاع ، يمكن له أن يكون حجرة عثرة و سداً فى سبيل ارتقاء العلم و الحكمة ، و هذا كان ، و كان عاقبة ذلك أن الذين كانوا يريدون الرقى نبذوا الدين بالعراء ، و اختاروا طريقاً لم يكن دليلهم فيها إلا المشاهدة والاختبار والقياس والاستقراء ، ووثقوا بهذه الدلائل التى هى فى حاجة بنفسها إلى الهداية والنور ، وجاهدوا واجتهدوا باتخاذها فى طرق الفكر والنظر والتحقيق والاكتشاف والبناء والتنظيم ، ولكن ضلت خطوتهم الأولى فى كل جهة وفى كل مجال .. وانصرفت فتوحهم فى ميادين العلم والتحقيق ، ومحاولاتهم فى سبيل الفكر والنظر إلى غاية لم تكن صحيحة ، إنهم بدأوا وساروا من نقطة الالحاد والمادية ، نظروا فى الكون على أنه ليس له إله ، نظروا فى الآفاق و الأنفس على أنه لا حقيقة فيها إلا المشاهد و المحسوس ، وليس وراء هذا الستار الظاهر شئ ، إنهم أدركوا

(١) المجتمع الاسلامى المعاصر ص ١٠٩ .

نواميس الفطرة بالاختبار و الفاس ، ولكنهم لم يتوصلوا إلى فاطرها ، إنهم وجدا الموجودات مسخرة، و استخدموها لأغراضهم ، و لكنهم جهلوا أنهم ليسوا سادتها و مدبريها ، بل هم خلفاء سيدها الحق ، فلم يروا أنفسهم مسئولين عنها ، ولم يروا على أنفسهم عهدة و تبعة ، فاختل أساس مدنيتهم و تهذيبهم » (١)

★ ٣ـ عدم تمييزهم بين الاسلام و المسلمين :

إنهم يميلون دائماً إلى رد أخطاء و مواطن الضعف عند المسلمين إلى التعاليم الاسلامية الخالدة ، بدلا من ردها إلى جهل المسلمين بالقيم الدينية و إهمالهم لها ، ولذلك لا بد لنا أن ننقل ميزات الرجل المسلم الذى هو خير ممثل للاسلام أمام العالم ، و لا مناص من نقل وصف دقيق للمسلم الذى دبجه يراع الكاتب الاسلامى البارع محمد أسد . و هو يصف ميزات الرجل المسلم فى كتابه بريشته الفنانة ، يقول :

و « إن الاسلام لا ينظر ـ كالنصرانية ـ إلى العالم بمنظار أسود ، بل هو يعلمنا أن لا نسرف فى تقدير الحياة الأرضية ، و أن لا نغالى فى قيمتها مغالاة الحضارة الغربية الحاضرة ، إن المسيحية تذم الحياة الأرضية و تكرهها ، و الغرب الحاضر ـ خلاف الروح النصرانى ـ يهتم بالحياة كما يهتم النهم بطعامه ، هو يبتلعه ، ولكن ليس عنده كرامة له ، والاسلام بالعكس ينظر إلى الحياة بسكينة واحترام، هو لا يعبد الحياة بل يعدها كمرحلة نجتازها فى طريقنا إلى حياة عليا ، و بما أنها مرحلة، و مرحلة لا بد منها ، ليس للانسان أن يحتقرها أو يقلل من قيمة حياته الأرضية ، إن مرورنا بهذا العالم فى سفر الحياة لا بد منه ، و قد سبق به تقدير الله ، فالحياة الانسانية لها قيمتها الكبرى و لكن لا ينبغى لنا أن ننسى أنها ليست إلا واسطة وآلة ، و ليست قيمتها إلا قيمة الوسائط والآلات، الاسلام لا يسمح بالنظرية المادية القائلة :

---

(١) تنقيحات ص ٢٤ (نقلا عن ماذا خسر العالم ص ٢٤٨)

« إن مملكتى ليست إلا هذا العالم » و لا بالنظرية المسيحية التى تزدرى وتقول : « ليس هذا العالم مملكتى » وطريق الاسلام طريق وسط بينهما ، القرآن يرشدنا أن ندعو : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة (١) » فالتقدير للعالم و أشيائه ليس حجر عثرة فى سبيل جهودنا الروحية الخصبة ، و الرقى المادى مرغوب فيه ، مع أنه ليس غاية فى نفسه ، إن غاية جهودنا ينبغى أن تكون إيجاد أحوال و ظروف شخصية و اجتماعية ـ و المحافظة عليها إن وجدت ـ تساعد فى ارتقاء القوة المختلفة فى الانسان مطابقة لهذا المبدأ. الاسلام يهدى الناس إلى الشعور بالمسئولية الخلقية فى كل عمل يعمله ، كبيراً كان أو صغيراً ، إن نظام الاسلام الدينى لا يسمح أبداً بمثل ما أمر به الانجيل قائلا « أعطوا ما لقيصر لقيصر وأعطوا ما لله لله » لأن الاسلام لا يسمح بتقسيم حاجات حياتنا إلى خلقية وعملية ، ليس هناك إلا خيرة فقط ، خيرة بين الحق و الباطل و ليس شئ وسطاً بينهما (٢) .

★ ٤ـ عدم تمييزهم بين المصادر الموثوق بها وغير الموثوق بها : إنهم لا يميزون بين المصادر الموثوق بها و غير الموثوق بها ، فانهم يأتون بكل غث و سمين من جميع الكتب التى تصل إلى أيديهم ، ويستشهدون بها من غير مبالاة فهم ينقلون مثلا من كتب الأدب ما يحكمون به فى تاريخ الحديث ، و من كتاب التاريخ ما يحكمون به فى تاريخ الفقه ، ولذلك يأتون بنتائج غير مرضية ويقعون فى أخطاء كثيرة فى بحوثهم عن الاسلام ، لذلك اضطر المستشرق المعروف آربرى رئيس قسم الدراسات العربية و الاسلامية فى جامعة كامبردج أن يعترف بهذه الحقيقة :

---

(١) سورة البقرة : ٢٠١ .

(٢) الاسلام على مفترق الطرق ص ٢٩ .

« إننا - نحن المستشرقين - نقع فى أخطاء كثيرة فى بحوثنا عن الاسلام ، و من الواجب أن لا نخوض هذا الميدان لأنكم - أنتم المسلمين العرب - أقدر منا على الخوض فى هذه الأبحاث (١) .

★ ٥- أهداف المستشرقين :

من مبادىء اليهود الأساسية « الغاية تبرر الوسيلة » ويوجد نفس هذا المبدأ لدى المستشرقين عامة ، فانهم يستخدمون الوسائل كلها فى تسويد صورة الاسلام ، و إذا أردنا أن نلخص الهدف الرئيسى للاستشراق مع الايجاز فسنقول :

« الهدف الرئيسى للاستشراق هو إضعاف مثل الاسلام و قيمه العليا من جانب ، وإثبات تفوق المثل الغربية وعظمتها من جانب آخر ، و إظهار أى دعوة للتمسك بالاسلام بمظهر الرجعية و التأخر (٢) .

و لذلك بذلوا مجهودات مكثفة فى الاشادة بشأن الحضارة الغربية و الحط من شأن الحضارة الاسلامية ، و تأثرت الطبقة المثقفة بهذه الادعاءات الفارغة إلى حد لا يستهان به .

« هذا من تقلبات الدهر و عجائب أمره ، لقد مرت على المسيحين فى أوربا حين من الدهر ، كانوا يشدون فيه الرحال إلى الأندلس ليتعلموا كتابهم المقدس - التوراة - من علماء المسلمين ، أما الآن فقد انقلب الأمر رأساً على عقب ، حيث أصبح المسلمون - وا أسفاه - يرجعون إلى أهل الغرب (أوربا و أمريكا) يسألونهم : ما هو الاسلام ، وما هو تاريخه ، وما هى حضارته ؟ ليس هذا فقط ،

(١) السنة و مكانتها ص ٢٣ .

(٢) معالم الثقافة الاسلامية ، للدكتور عبد الكريم عثمان ص ٩٩ .

بل قد أصبحوا يتعلمون اللغة العربية منهم ، ويستوردونهم لتدريس التاريخ الاسلامی، و کل ما یکتبونه عن الاسلام و المسلمين ، لا يجعلونه مادة للدراسة فی کلیاتهم و جامعاتهم فقط ، و لکن یومنون به إیماناً راسخاً مع أنهم - أعنی أهل الغرب - قد لا یسمحون لأحد إذ لم یکن من أتباع دینهم بأن یتدخل فیما یتعلق بدینهم و تاریخهم و لا فی أتفه الأمور .

لقد نشر اليهود موسوعتهم (JEWISH ENCYCLOPAEDIA) وما فيها مقال واحد (ARTICLE) إلا و قد كتبه أحد المسيحيين فضلا أن يكتبه أحد من المسلمين وقد قاموا بأنفسهم بترجمة التوراة ، وهم يربأون عن أن يمسوا الترجمة المسيحية ، و على العكس من هذا ، فان علماءهم يكتبون الكتب و المقالات عن الاسلام و يتلقاها المسلمون بكل ترحيب (١) .

و لذلك كتبوا البحوث العلمية حول الاسلام ، و أفنوا أعمارهم فی تهذیبها وتنقيحها ، وقدموها أمام المسلمين فی ثوب قشيب وصورة باهرة، وركزوا جهودهم فی الأطر التالية .

١- التشكيك فی كون القرآن كتاباً منزلا من الله .

٢- التشكيك فی صحة رسالة النبی ﷺ .

٣- التشكيك فی قيمة الفقه الاسلامی الذاتية .

٤- التشكيك فی صحة أحاديث النبی ﷺ .

٥- التشكيك فی قيمة التراث الاسلامی الحضاری .

٦- إضعاف العلاقة بين المسلمين فی مختلف أنحاء العالم .

٧- الدعوة إلى العامية و تطوير اللغة العربية .

٨- إيجاد الشعور بمركب النقص فی المسلمين .

---

(١) الاسلام فی مواجهة التحديات المعاصرة ، للعلامة أبی الأعلى المودودی، ص ٢٧١ .

★ ٦- وسائل الاستشراق :

١- التصنيف و التأليف الاستقلالى فى المباحث الاسلامية .

٢- إلقاء المحاضرات فى الجامعات و الجمعيات المسلمة .

٣- عقد المؤتمرات فى مختلف أنحاء العالم و إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم عن الاسلام .

٤- إصدار المجلات العلمية ، وتصدر فى الوقت الحاضر من أخطر المجلات بجلة "MUSLIM WORLD,, من أمريكا و بجلة ـ "LEMOND MUSAL ـ MANS,, ـ من فرنسا .

٥- إنشاء دائرة المعارف الاسلامية .

٦- تقديم التراث الاسلامى إلى العالم بالكشف و الجمع و الفهرسة و النشر و التحقيق و الترجمة إلى مختلف اللغات .

★ ٧- من يمول حركة الاستشراق :

١- البلدان الغربية و فى مقدمتها البلدان الاستعمارية .

٢- الجمعيات التى أنشئت لأجل تشجيع الدراسات الشرقية .

٣- الفاتيكان : أكبر المدارس الدينية وهى تهتم بالاستشراق أكثر من شقيقاتها .

٤- الحركة التبشيرية .

٥- الجامعات الأوروبية و الأمريكية .

★ ★ ★ ★ ★ ★

(أدب الصحوة الاسلامية)

— ٣ —

واضح رشيد الندوى

أسهمت الهند فى الدعوة الاسلامية ، وصد الغارة العلمية و السياسية على الاسلام و المسلمين إسهاماً كان له تأثير جوهرى على الاتجاه الفكرى ليس فى الهند فحسب بل فى العالم كله ، فقد أنجبت الهند أفذاذاً من الكتاب ، والعلماء والباحثين والشعراء والأدباء ، والساسة الذين تصدوا للحركة الأدبية والعلمية ، و ردوا العدوان على الاسلام الذى كان يصحب الحكم الأجنبى فى الهند و أقطار العالم الاسلامى الأخرى فى كل عصر من عصور الاحتلال الغربى ، و ألف هؤلاء الكتاب كتباً تمتاز بأسلوبها العصرى و تأثيرها الأدبى والفكرى فى الرد على مطاعن المستشرقين والمبشرين الذين انبثوا فى أقطار العالم كله للتنصير أو للاستعباد الفكرى ، أو على الأقل لبث الردة الفكرية فى المسلمين و خلق تقديس الغرب و قادته فى قلوب الجيل الجديد ، فدافع علماء الهند و الأدباء عن الاسلام و ردوا مطاعن أعداء الاسلام ، و كشفوا زيف الحضارة الغربية ، وقد كان الدكتور محمد إقبال ، و « اكبر » اله بادى ، و مولانا محمد على جوهر خريجى مدارس الثقافة الغربية الذين ثاروا عليها و سخروا الأدب للدفاع عن الحضارة الاسلامية و للهجوم على الغرب ، وكشف العلامة شبلى النعمانى والعلامة السيد سليمان الندوى القناع عن الموضوعية المزعومة للمستشرقين ، واستهدف الاستاذ عبد الماجد الدريابادى كذلك الحضارة الغربية للنقد العلمى حينا و للتنكيت و التبكيت حينا آخر فى أدبه و صحافته ، وقاد هؤلاء الكتاب الدفاع عن الاسلام

و الهجوم على أعدائه علمياً وأدبياً ، وعكفوا على إعادة الثقة فى الاسلام وصلاحيته للقيادة ، و نوهوا بتاريخه المجيد .

و فى العهد الأخير كانت لكتابات الأستاذ المودودى تأثير كبير على الفكر الاسلامى فى الرد على مطاعن أعداء الأسلام العلمية والأدبية وشرح الاسلام شرحا عصريا وتحليل المفاهيم الغربية فى ضوء الفكر الاسلامى ، والتوفيق بين تعاليم الاسلام ومتطلبات العصر ، وقد كان لكتابات الأستاذ المودودى تأثير عالمى رغم أنه ألف فى اللغة الأردية كأدباء الهند الآخرين . ونقلت مؤلفاته إلى لغات مختلفة ، فانتشرت فى سائر أنحاء العالم الاسلامى ، و خلفت تأثيرا قويا على الفكر الاسلامى ، و قد أتحف الأستاذ المودودى المكتبة الاسلامية بمؤلفات قيمة مؤثرة فى شرح الاسلام شرحا عصريا ، و فى حل مشاكل العصر و الهجوم على الحضارة الغربية فصارت كتبه مرجعا للدعاة و الكتاب الاسلاميين و تأثر بكتبه المترجمة إلى اللغة العربية عدد من كبار الكتاب الاسلاميين بالعربية و تبنوا أفكاره .

اختار الأستاذ المودودى اللغة الأردية لدعوته و اختار الهند كمجال عمل لدعوته ، و لعله أدرك بعد فترة أهمية البلاد العربية فرغب فى أن تترجم مؤلفاته إلى العربية ، و امتاز الأستاذ المودودى بأسلوبه العلمى التحليلى الكلامى الذى أثر على الفكر وقد نشأ بكتاباته علم كلام جديد ، و لا شك أنه كان عاملا جوهريا فى إقناع العقول و رد الخصوم وتيسير مهمة الدعوة إلى الاسلام، وكان له تأثير قوى فى دفع الحركة الاسلامية و تمكينها من التصدى للنظم القائمة ، وقد تناول فى بحوثه مشاكل العصر ، و عرض الحلول الاسلامية فى ضوء المصطلحات السياسية المعاصرة والمفاهيم العصرية فتأثر به الكتاب وفيهم الكتاب العرب إلا أن تأثيره تأثير غير مباشر على الفكر العربى ، و الأدب العربى ، فقد استمد أدب الصحوة الاسلامية

الفكر و المعانى من مؤلفاته وفكره ، وظهر تاثيره فى كتابات عدد من الكتاب .

لا شك أن الدكتور محمد إقبال ، و مولانا محمد علي جوهر ، و الأستاذ أبا الأعلى المودودى ، الذين درسوا الحضارة الغربية ودرسوا مشاكل العصر وعرفوا محاسن الحضارة المعاصرة و مساويها حلودا و مرها ، و حللوهـا تحليلا علمياً ، قد تركوا تأثيراً على الفكر الاسلامى المعاصر ، ولكن العالم العربى . . . . لم يطلع على أفكار هؤلاء القادة و المفكرين إلا بعد مدة من الزمن ، بعد ما نقلت أفكارهم إلى اللغة العربية ، وكانت الضربة الأولى على الحضارة الغربية من الدكتور محمد إقبال الذى كان أشدهم بأسا وأكثرهم حماسة كأنه لم يكن مدافعاً ،أو ناقداً سلبياً للحضارة الغربية ، أو موفقاً بين الاسلام و الحضارة الغربية ، و إنما كان داعياً إلى حضارة الاسلام العريقة ، وكان ينوح على المجد التليد للأمة الاسلاميـــة و يشكو بؤسها وشقاءها و بطش أوربا ، وكان يحلل أسباب الانحطاط ، ويدعو إلى إنعاش روح الايمان و العاطفة الاسلامية ، ويشير إلى المخرج من المازق الذى وقع فيه المسلمون فى شعر قوى مؤثر ، وقد جمع إقبال بين الفكر و العقل و العاطفة والقلب والعلم الصحيح ، فكان يدعو إلى عقل الغزالى و الرازى و قلب الرومى ، و أكثر من ذلك كان هائما بذات الرسول ﷺ وأصحابه البررة وأبطال الاسلام فألهب الضمائر و اشعل القلوب بذكرهم والدعوة إلى الاقتداء بهم ، وبعث روح الاستعلاء والاعتزاز بنعمة الاسلام فى قلوب المسلمين ، وأظهر خواء الحضارة الغربية وأثبت زيفها وثبت الهمم ، يقول و هو يحدد موقف المسلم إزاء الحياة المعاصرة ، و كان لحديثه من كل ذلك فى الشعر لون جديد قلما يوجد له النظير فى اللغـــة الأردية و فى اللغات المعاصرة ، يقول ما معناه « إن المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار ، و يساير الركب البشرى حيث اتجه و سار ، بل خلق ليوجه العـالم و المجتمع و المدنية و يفرض

على البشرية اتجاهه ويملى عليها إرادته ، لأنه صاحب الرسالة ،وصاحب العلم واليقين ، ولأنه المسئول عن هذا العالم وسيره واتجاهه ، فليس مقامه مقام التقليد والاتباع ، إن مقامه مقام الإمامة و القيادة و مقام الارشاد والتوجيه ومقام الآمر والناهى ، و إذا تنكر له الزمان و عصاه المجتمع و انحرف عن الجادة لم يكن له أن يستسلم و يخضع ويضع أوزاره ، و يسالم الدهر ، بل عليه أن يثور عليه و ينازله ، و يظل فى صراع و عراك حتى يقضى الله فى أمره .

إن الخضوع والاستكانة للأحوال القاسرة ، والأوضاع القاهرة ، والاعتذار بالقضاء و القدر من شأن الضعفاء و الأقزام ، أما المؤمن القوى فهو بنفسه قضاء الله الغالب و قدره الذى لا يرد (١) .

كان الدكتور إقبال معتزا بتراث الاسلام و حضارته وتاريخه و ما خلده أعلام الاسلام من علوم ، و ما أبدعوا من فنون ، و روائــع الفكر ، واثق الصلة بذات الرسول - ﷺ - و من اهتدى بهديه من الصحابة الكرام ، و متبعيهم من الدعاة و الأولياء و السلاطين و العلماء ، و كان ينظر إلى التاريخ الاسلامى نظرة احترام و تمجيد لا استهانة و نقد ، كما فعله الكتاب الآخرون ، ولم يكن يدعو إلى تقليد الغرب ، بل كان يدعو إلى إحياء التاريخ الاسلامى ، و يمجد دور الأوائل من حملة الاسلام ، و يتغنى بما فعله الأوائل ، و مع ذلك كان يدعو إلى الاقتباس من العلوم العصرية ما يلائم طبيعة هذه الأمة ، و النبوغ فيها ، و يدعى أن هذه الأمة تحمل مؤهلات كبرى للقيـادة ، و يصف المؤمن بأنه صقر لا يجثم على فروع الأشجار العادية ، و إنما يأوى إلى أوكار فى الجبال ، و يكشف إقبال مكايد الغرب ، و ينبه عن الحبائل التى نصبها ليصطاد بها هذا الصقر ، و يحول

(١) راجع روائع إقبال ، للعلامة الشيخ أبى الحسن الندوى .

هذا العملاق قزما ، أو يقضى على الروح التى تنعشه .

كان الأفغانى و تلامذته ـ رغم كفاحهم ضد الغرب ـ مأخوذين بتقدم أوربا فى العلوم و الحضارة ، وقد كانوا معذورين فى ذلك ، لأنهم عاشوا فى عصر كانت شمس الغرب تسطع بقوتها ، ورأوها من خارجها ، و لم يسبروا غورها ، فدعوا إلى محاربة الغرب بسلاح الغرب ، فوقعوا فريسة له ، فكان من تلامذته من حارب الغرب سياسياً ، و دعا إلى الاقتداء به ثقافيا وفكريا ، فصاروا أداة لنشر الحضارة الغربية فى البلاد الاسلامية ، أما إقبال ، و « أكبر » إله آبادى ، و عبد الماجد الدريا بادى ، فانهم ـ رغم دراستهم للعلوم الغربيــة ـ كانوا ثائرين على حضارة الغرب ، و لم يكونوا مخدوعين بها ، و اعتبروا غلبته الفكرية و السياسية شيئاً طارئا ، لا حقيقة دائمة فضربوا على الوتر الحساس ، وأعادوا إلى الأمة الاسلامية الثقة فى ماضيها ، و رفعوا همتها ، ونفخوا فيها روح الاعتزاز و العظمة ، والتفاؤل بالارتباط الوثيق بالماضى المجيد ، فان أى دعوة مهما كانت عصرية منطقية و قوية التأثير لا تؤتى ثمارها المطلوبة إذا أعوزها الاعتزاز بالماضى ، أو كانت منقطعة عن أساسها و جذورها ، و لا بد لكل انطلاق من قاعدة .

إن الايمان بالله ، و الاقتباس من أثر الرسول ﷺ ـ و الاعتزاز بتاريخ الاسلام ، والايمان بسداده و صلاحيته للقيادة فى هذا العصر ، و إبراز الشخصية الاسلامية ، و استعادة الأصالة و الذاتية ، يشكل معالم الطريق إلى استعادة المجد للسلمين ، و كان ذلك الضحية الكبرى فى عهد الاحتلال الغربى للعالم الاسلامى ، و قد أغفله كثير من الدعاة ، و خاصة جيل المصلحين و المجددين ، و لا يمكن بناء صرح جديد للعالم الاسلامى إلا على ذلك الأساس المتين ، و قد وقع كثير من الكتاب فى خطأ مسايرة الركب الحضارى ، لأنهم أخذوا الحضارة الأوربية

كحقيقة دائمة ، و آخر نظام للحياة ، و يتجلى هذا الجمع بين الايمان والعمل و العلم فى أدب المفكر الاسلامى الكبير الشيخ أبى الحسن على الندوى الذى أحدث كتابه الأول « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » هزة فى أوساط الفكر الاسلامى ، و قد ركز على هذه النقطة بأسلوبه الممتع المؤثر الذى يحمل تأثير الأسلوب الوجدانى ، فيناشد القلب ، وإقناع الأسلوب العلمى فيناشد الفكر والعقل ، أشار إلى الجمع بين الماضى و الحاضر و بين القلب و العقل ، فيقول :

« الاسلام هو قومية العالم العربى ، و محمد رسول الله - ﷺ - هو روح العالم العربى ، و إمامه و قائده ، و الايمان هو قوة العالم العربى التى حارب بها العالم البشرى كله ، فانتصر عليه ، و هو قوته و سلاحه اليوم كما كان بالأمس ، به يقهر أعداءه ، و يحفظ كيانه ، و يؤدى رسالته ، إن العالم العربى لا يستطيع أن يحارب الصهيونية أو الشيوعية ، أو عدواً آخر بالمال الذى ترضخه بريطانيا أو تتصدق به أمريكا ، و روسيا ، أو تعطيه مقابل ما تأخذ من أرضه من الذهب الأسود ، إنما يحارب عدوه بالايمان و القوة المعنوية ، و بالروح التى حارب بها الدولة الرومية والامبراطورية الفارسية فى ساعة واحدة ، فانتصر عليهما جميعا ، إنه لا يستطيع أن يحارب أعداءه بقلب يحب الحياة و يكره الموت ، و بجسم يميل إلى الدعة و الراحة ، و عقل يخامره الشك و تتنازع فيه الأفكار و الأهواء ، أو بيد مضطربة و قلب متشكك ، ضعيف الايمان ، وقوة متخاذلة فى الميدان ، فالمهم لأمراء العرب و زعمائهم وقادة الجامعة العربية أن يغرسوا الايمان فى الشعوب العربية ، و أولياء الأمور ، و الجيوش العربية ، والفلاحين والتجار ، و فى كل طبقة من طبقات الجمهور ، و يشعلوا فيها شعلة الجهاد فى سبيل الله ، و التوق إلى الجنة » .

و يحث الكاتب الاسلامى الكبير بعد تشديده على أهمية غرس الايمان فى القلوب ، والتحريض على الجهاد فى سبيل الله ، وتحمل المكروه ، يحث على العناية بجوانب أخرى للنهضة الاسلامية ، و أخصها العناية بتربية الشباب و تعويدهم على تحمل المشاق ، و على خشونة العيش و الحلاوة ، و محاربة كل ما يضعف روح الرجولة . كما يدعو إلى محاربة الأسباب التى تحدث الاتجاه إلى تنعم فى الحياة ، فيحث على مكافحة التبذير ، و إزالة الفوارق الاقتصادية بين مختلف طبقات الأمة ، و التخلص من أنواع الأثرة ، ويؤكد أهمية الوعى فى الأمة ، فيقول : إن الأمة الاسلامية و البلاد العربية ـ مع الأسف ـ ضعيفة الوعى ، و إنها ضعيفة الوعى الدينى ، و الوعى الاجتماعى ، و أضعف فى الوعى السياسى ، و ذلك ما جر عليها ويلا عظيما ، و شقاء كبيراً ، وسلط عليها القيادة الزائفة ، وفضحها فى كل معركة .

و يقول : « كان فقدان الوعى السبب المباشر لاندفاع هذه الأمة إلى كل موجهة ، وخضوعها لكل متسلط ، وسكوتها على كل فظيعة . وتحملها لكل ضيم »

ويدعو الكاتب الاسلامى الكبير إلى استقلال البلاد العربية فى تعليمها ، ومناهج تربيتها وتجارتها و ماليتها ، ويؤكد أن العالم العربى معقد الآمال بمواهبه وخصائصه ، و حسن موقعه الجغرافى ، و أهميته السياسية ، و هو يستطيع أن يتقلد الزعامة ، و يزاحم أوربا » صدر هذا الكتاب فى عام ١٩٥١م قبل الثورة المصرية التى تولى جمال عبد الناصر إثرها الحكم ، و صدرت له طبعات متتابعة ، وكان له دور كبير فى توجيه الفكر الاسلامى ، ودعوته إلى الشمول و الاعتدال ، و هى دعوة جامعة ، تقوم على دراسة للاسلام و تاريخه و مآثره و دراسة للعلوم الغربية ، و تجربة للحضارة الغربية ، و وضع مكاسبها ونكساتها فى الميزان ، كما تميز الكتاب بأسلوب جامع .

وما يدل على جودة الأسلوب و اتزانه ، ما كتبه الكاتب الاسلامی الشهيد سيد قطب فی مقدمته الكتاب : إن الاسلام عقيدة الاستعلاء ، من أخص خصائصها أنها تبعث فی روح المؤمن بها إحساس العزة من غير كبر ، و روح الثقة فی غير اغترار ، وشعور الاطمئنان فی غير تواكل ، و إنها تشعر المسلمين بتبعة الانسانية الملقاة على كواهلهم بتبعة الوصاية على هذه البشرية فی مشارق الأرض و مغاربها ، و تبعة القيادة فی هذه الأرض للقطعان الضالة و هدايتها إلى الدين القيم .

و هذا الكتاب الذی بين يدی يثير فی نفس قارئه هذه المعانی كلها ، ينفث فی روحه تلك الخصائص جميعها ، و لكنه لا يعتمد فی هذا على مجرد الاستثارة الوجدانية أو العصبية الدينية ، بل يتخذ الحقائق الموضوعية أداته ، و يعرضها على النظر و الحس ، والعقل و الوجدان جميعاً و يعرض الوقائع التاريخية و الملابسات الحاضرة عرضاً عادلا مستنيراً ، و يتحاكم فی القضية التی يعرضها كاملة إلى الحق ، و الواقع ، والمنطق والضمير فتبدو كلها متساندة فی صفه و فی صف قضيته بلا تمحل ولا عتساف فی مقدمة أو نتيجة ، و تلك مزية الكتاب الاولى .

خاطب الشيخ الندوی العرب و ركز عليهم اهتمامه لأنه كما ذكر فی أقوم مؤلفاته أن العرب يحملون استعداداً روحياً ومعنوياً ، ومادياً لقيادة العالم الاسلامی ، و بالتالی لقيادة العالم أجمعه ، إذا أثيرت فيهم تلك الخصائص التی قادوا بها العالم . و لا يغفل فی ذلك الاقتباس من العلوم العصرية و الوسائل الحربية ، و قد تحدث إلى ممثلی البلاد العربية ، يدفعه فی هذا الخطاب ذلك الحرص على نهضة العرب بمواهبهم و كفاءاتهم ، فقال بعد أن استعاد دروس التاريخ الاسلامی وما أحدثه سلف هذه الأمة من انقلاب فی العالم :

« إن أباءكم أيها السادة المسلمون قـد انتشروا فى عواصم الجاهلية الأولى ومراكزها الكبرى ، يقولون « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام ، وخلصوا الأمة الرومية من عبادة المسيح ، و الصليب و الأحبـار و الرهبان و الملوك ، خلصوا الأمة الفارسية من عبـادة النار وعبودية البيت الكيانى ، والأمة الطورانية من عبادة الذئب الأبيض ، و الأمة الهندية من عبادة البقر ، و أخرجوها إلى عبادة الله وحده و أخرجوها فعلا من ضيق الدنيا إلى سعتها و من جور الأديان إلى سعة الاسلام .

هذه هى الدعوة التى تهيب بكم يارجال العالم الاسلامى . و هذه الانسانية البائسة تستصرخكم وتستغيثكم على أعدائها وليس العالم اليوم بأقل ظمأ، وأقل فاقة إلى الدعوة الاسلامية الصحيحة منه بالأمس ، و إنه لا يختلف عما كان عليه فى القرن السادس المسيحى (١) .

و يقول : فى « ردة و لا أبا بكر لها »

لقد مضى علينا قرن كامل و أوربا تغتصب شبابنا و عقولنا و تنبت فى عقولنا الشك و الالحاد ، والنفاق ، وعدم الثقة بالحقائق الايمانية والغيبية ، والايمان بالفلسفات الجديدة الاقتصادية والسياسية ونحن معرضون عن مقاومتها ، ومعتمدون على ما عندنا من تراث ، مضربون عن الانتاج الجديد ، معرضون عن فلسفاتها و نظمها و محاسبتها محاسبة علمية ونقدها و تشريحها كتشريح الأطباء ، الجراحين ، متعللون بالبحوث السطحية المستعجلة ، و بالزيادة فى ثروتنا العلمية القديمة حتى

(١) من كلمة ألقاها فى عام ١٩٤٧ م فى المؤتمر الثقافى الآسيوى المنعقد فى دلهى اشترك فيه ممثلو البلاد العربية ،

فوجئنا فى العصر الأخير بانهيار العالم الاسلامى فى الايمان و العقيدة ، و ملك زمام الأمور فى البلاد الاسلامية جيل لا يؤمن بمبادىء الاسلام و عقيدته ، ولا يتحمس لها ولا تربطه بالشعب المسلم المؤمن البرئ إلا « القومية الاسلامية » أو المصالح السياسية .

إن العالم الاسلامى فى حاجة شديدة إلى دعوة إسلامية جديدة ، و إن هتافات الدعاة و العاملين فيه و هدفهم اليوم « إلى الاسلام من جديد » ، ولا يكفى الهتاف ، إنه لا بد من تصميم حكيم قبل العمل ، لا بد من تفكير هادىء عميق ، كيف نرد الطبقة المثقفة التى تحتكر الحياة و تملك الزمام إلى الاسلام من جديد ، و كيف نبعث فيها الايمان و الثقة بالاسلام ، وكيف نحررها من رق الفلسفات الغربية و الحضارة العصرية و نظرياتها اللادينية .

إنه فى حاجة إلى رجال ينقطعون إلى هذه الدعوة ، ويكرسون عليها علمهم و مواهبهم و كفاياتهم ، و لا يطمعون فى منصب أو جاه أو وظيفة أو حكومة و لا يحملون لأحد حقداً ، ينفعون و لا ينتفعون و يعطون و لا يأخذون .

إن العالم الاسلامى فى حاجة إلى منظمات علمية تهدف إلى إنتاج الأدب الاسلامى القوى الجديد الذى يعيد الشباب المثقف إلى الاسلام بمعناه الواسع من جديد (١)

و فى عام ١٩٥ تحدث الشيخ الندوى ، وهو يتطلع إلى العرب لينهضوا لحمل هذه الأمانة وهو يخاطب جزيرة العرب ، مهبط الوحى ، و مهد الاسلام ، فى كلمة مثيرة ، فيقول : فى « حديث العالم إلى الجزيرة العربية »

إنك تجودين على أيتها الجزيرة بمقدار عظيم من البترول ، أدير به ماكيناتى ، و أسير به عجلاتى ، فأنا أدين لك بالفضل و أشكر صنيعك و لكنى كنت أنتظر

---

(١) ردة لا أبا بكر لها » .

منك أيتها الجزيرة السعيدة يا مولد نبي الرحمة ، شيئاً أعز وأثمن من الذهب الأسود . كنت أنتظر منك أن تخرجي لى عجلة الحياة التى غاصت فى الوحل ، و أن توجهها التوجيه الصحيح و أن تخلصي ركابها من هذا المأزق ، فقد عجزت حكمة الحكماء ، و صناعة الصناع من إخراجها فاخرجيها بما معك من حكمة النبوة و قوة الرسالة و الايمان و اليقين » (١)

ويخاطب مصر ، و هى كنانة الاسلام فقال » إنك يامصر قد بنيت القناطر الخيرية فانتظم الرى ، وازدهرت الزراعة و أخصبت البلاد ، وأريد أن تبنى قنطرة خيرية أخرى ، هى أكبر القناطر فى العالم و أنفعها ، تصل بين بحرين لم يزالا منفصلين ، و بين حضارتين لم تزالا متنافستين و بانفصالهما و تنافسهما شقى العصر الجديد ، فلو أنك وصلت بينهما ، وكنت قنطرة تتبادل بها القارتان خيراتهما و محاسنهما وفرت على الانسانيـــة جهوداً و أوقاتا كثيرة ، و صنتها من الضياع كما أن قناطرك الخيرية وفرت على مصر مياها كثيرة ، و نظمت أمور الرى »

و يقول : « إن لك يا مصر يدين ، تحذى من الغرب ما فاق فيه من علم وتجربة ، فالحكمة ضالة المؤمن ، ومدى إليه يداً أخرى ، يد المساعدة والكرم ، و جودى عليه بما أنعم الله عليك من نعمة الايمان ، و شرف الاسلام ، فذلك الذى لا يملكه الغرب و لا يستغنى فيه عنك .

كونى يا مصر رسول الاسلام إلى الغرب و احمل إليه رسالة محمد ﷺ تلك الرسالة التى حملها العرب إلى الأمة الرومية ، و الأمة الفارسية فأنقذتهما من من مخالب الموت و أفاضت عليهما ثوباً قشيباً من الحيـــاة ، و لو نا جـــديداً من النشـــاط .

---

(١) العرب و الاسلام

و يناشد سوريا فيقول : « إن الأمم يا سوريا لا تسود باللغات والثقافات ، ولا تسود بالمدينات و القوميات ، و إنما تسود بالرسالات والدعوات و الأهداف و الغايات »

و قد زار الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوى معظم البلدان العربية ، و خاطب حكامها وعلماءها و جماهير ها بمشاعر جياشة وقلب خفاق ، يثير النفوس ، و طبعت هذه الكلمات ، ونالت إقبالا شديدا فى الأوساط العلمية والدينية ، فكانت حديث قلب إلى قلب ، وهى تحمل بجانب معانى الدعوة ، والمواد العلمية روعة بيانية ، لأنها ذات تعبير شعورى و معان وجدانية مدعمة بالمنهج العلمى و الأدلة العقلية .

ولنقرأ قطعة من « الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية » يقول بعد أن استعرض جهود المجددين من المسلمين و العلماء الذين وقفوا وقفة متزمت إزاء الحضارة الغربية ، وما واجهه العالم الاسلامى من ترد ، نتيجة للصراع الفكرى والفراغ الهائل الذى نشأ فيه بسبب الانفصال بين الطبقتين المثقفة بالثقافة الغربية ، و رجال الدين المتصلبين .

« إن الفراغ الهائل الأكبر فى العالم الاسلامى هو وجود ذلك العبقرى العصامى الذى يواجه الحضارة الغربية بشجاعة و إيمان و ذكاء ، و يشق له طريقا خاصاً بين مناهجها و مذاهبها و بين فضائلها ورذائلها ، طريقاً يترفع فيها عن التقليد و المحاكاة وعن التطرف والمغالاة ، غير خاضع فيها للأشكال والمظاهر ، والمفاهيم السطحية متمسكا بالحقائق و أسباب القوة و باللباب دون القشور .

العبقرى العصامى الذى يشق له و لبلاده و أمته طريقا مبتكرا ، يجمع فيها بين الايمان الذى اختص به الأنبياء و الرسل ، و الدين الذى أكرمه الله وأمته به عن طريق محمد ﷺ ، وبين العلم الذى ليس ملك أمة ولا بلد ولا عصر ، يأخذ من

الدين الدوافع الخيرة التى هى أعظم قوة ، و أغنى ثروة فى خدمة الانسانية وبناء صرح المدنية و الغايات الرشيدة الصالحة التى لايوحيها إلا الدين السماوى و التربية الدينية السليمة ، و يأخذ من الحضارة الغربية الآلات و الوسائل القوية الكثيرة التى أنتجتها ، و توصلت إليها فى سيرها العلمى الطويل و فى جهادها المتواصل الشاق »

و يقول : « العبقرى العصامى الذى يعامل الحضارة الغربية بعلومها و نظرياتها و اكتشافاتها و طاقاتها كمواد خام ، يصوغ منها حضارة قوية مؤسسة على الايمان و الأخلاق و التقوى و الرحمة و العدل فى جانب ، و على القوة و الانتاج و الرفاهة و حب الابتكار فى جانب آخر ، و لا يأخذ الحضارة الغربية كشئ تم تكوينه و تركيبه وختم عليه ، فلا يؤخذ إلا برمته ولا يقبل إلا على علاته ، إنما يختار كأجزاء ، يختار منها ما يشاء و يركب منها جهازا يخضع لغايته و عقيدته و مبادئه و نظام خلقه و ما يكلفه به دينه من منهج خاص للحياة ، و نظرة خاصة إلى الدنيا و سلوك خاص لبنى النوع ، و سعى خاص للآخرة ، وجهاد دائم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله (١)

ذلك هو الطريق ، الطريق الواقعى ، و هو الطريق المضمون والمعقول ، لا تطرف فيه ولا تنازل ، ولا جحود فيه ولا إجحاف ، و قد سلك المفكر الاسلامى الكبير هذا المسلك فى سائر كتبه فى « بين الايمان و المادية » « والصراع بين الفكرة الاسلامية و الفكرة الغربية » و « نحو التربية الاسلامية الحرة » و « بين الدين والمدنية » و « الأركان الأربعة » و فى حديثه مع الغرب ، و فى أحاديثه مع الاخوان ، وفى اسمياته ، ولنفهم أس فكرة نقتبس من العلاج الذى وصفه للأزمة الفكرية التى تسود العالم الاسلامى ، يقول بعد بحث أسباب التناقض و الاضطراب الفكرى فى الشباب :

---

(١) الصراع ص ٢٠٩ .

العلاج عندى فى هذه البيئة العنصرية المتناقضه يتخلص فى النقاط الآتيـــة :

١ـ إثارة الايمان و الاحتساب فى نفوس الشباب ، والاعتناء الزائد بفضائل العلم و العلماء ، و وجوب الاخلاص ، و التحذير من أغراض العلم الدنيوية ، أو طلب العلم لغير الله ، و لغير الدين .

٢ـ وجود الأساتذة الذين أكرمهم بقوة الشخصية ، و رسوخ الايمان و العلم ، و العقل السليم ، و القلب الرفيق ، و العاطفة القوية .

٣ـ وجود دعوة إيجابية قوية تشغل عقول الشباب ، و تستولى على مشاعرهم ، و تحرك ملكاتهم العملية ، و ما طبعوا عليه من حب للحركة و العمل و الكفاح ، و لا تدع مكانا لدعوة أخرى يؤمنون بفضلها .

٤ـ إيجاد نظام اجتماعى رواق ، يعيش فيه الشباب حياة اجتماعية إسلامية ، تحت إشراف أساتذة و مراقبين ، يكونون القدوة الحسنة و المثل الكامل فى الخلق و السيرة و ذوق العلم وذوق العبادة .

٥ـ تنظيم محاضرات عامة يدعى لها كبار العلماء و أقطاب الفكر الاسلامى ، تغرس فى نفوس الشباب العقيدة القوية ، و تلهب الجمرة الايمانية ، و تعقد الثقة بالاسلام و ما اشتمل عليه من تشريع وتعليم ، ودعوة ، ومناهج للحياة ، وتتناول القضايا التى تشغل العالم ، و تشغل الشباب بصفة خاصة ، و التحديات التى سيواجهونها لمجرد تخرجهم فى الجامعة الاسلامية ، و رجوعهم إلى بلادهم .

و راسل الملوك و الحكام ، و أشار إلى مواطن الضعف ، و الخطر الذى يحدق بالأمة الاسلامية ، و خاصة حكام جزيرة العرب الذين ناشدهم أن يكونوا أسوة ، و قدوة ، و إبرز أهمية الجزيرة العربية و موقعها الجغرافى (١) .

و بهذه النماذج يمكننا أن ندرك خصائص الأسلوب الدعوى لسماحة الشيخ

(١) راجع « كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز و جزيرة العرب »

الندوى فى مختلف مواضيعه ، و نقدر منهجه الفكرى ، و نعرف معالم الطريق الذى يرشد إليه ، وهو أسلوب أخاذ، ومنهج عملى ، ودراسة واقعية ، وتعبير وجدانى ، و تصوير للواقع ، و بيان مؤثر .

و قد أنشأ الشيخ الندوى مدرسة فكرية و أدبية ، يظهر طابعه فى كتابات المتخرجين منها ، و فى طليعة المتخرجين من هذه المدرسة الكاتب الشاب المرحوم محمد الحسنى منشئ « مجلة البعث الاسلامى » التى كان لها دور طليعى فى محاربة الفتن والنظريات والحركات الهدامة التى اجتاحت العالم العربى بصفة خاصة ، كالقومية ، و الناصرية ، و الاشتراكية ، و الحضارة الغربية ، لحارب هذه الاتجاهات الهدامة بقلبه السيال ، الملهم بعاطفته الجياشيـــة ، و أسلوبه الرشيق المتزن ، فكانت له جولات تدك أوكار الهدامين ، ونال الاعتراف والتقدير من الأدباء الاسلاميين ، فلما صدرت مجموعة مقالاته « الاسلام الممتحن » قوبلت بترحيب بالغ .

وقد نشأ بأقلام المتخرجين من ندوة العلماء اتجاه أدبى جديد ، يتدفق بالشعور و العاطفة الاسلامية ، و هو مدعم بالعلم الحديث و الأسلوب العصرى ، و وضع هؤلاء الكتاب قواعد الصحافة الاسلامية العربية فى الهند تتسم بالأسلوب الندوى الخاص ، و كانت لها مساهمة كبيرة فى توجيه الصحوة الاسلامية .

صدرت « مجلة البعث الاسلامى » فى عصر الاضطراب الفكرى فى العالم العربى ، فى عصر كانت الحضارة الغربية ، والاتجاهات المعادية للاسلام تجتاح البلاد ، وكانت الأقلام المسعورة تطلق لها الحرية للنيل من الاسلام والمسلمين . و تواجه الحركات الاسلامية ضغوطا سياسية ، فكانت مكمومة الأفواه ، و يزج بالدعاة إلى السجون ويلاقون فيها التعذيب ، فكانت « البعث الاسلامى » وصحيفة « الرائد » تؤديان واجبهما لمواجهة هذه الأخطار ، و تقولان كلمة الحق فى وجه الطغاة ، و كان لها صدى بعيد ، و قد دخلت أحيانا إلى داخل الأسوار ، و خففت من آلام المعذبين ،

و رفعت من معنويتهم ، بالتعبير عن مشاعرهم والتنديد بأعدائهم . و تستحق جهود الأستاذ محمد الرابع الندوى منشئ الرائد ، والأستاذ سعيد الأعظمى الندوى رئيس تحرير البعث الاسلامى وزميل المرحوم محمد الحسنى ، ومقالاتهم الجريئة كل تقدير وتنويه ، فانهم مثلوا شبه القارة الهندية فى المشاركة فى هذا المجهود الجبار ، وكان لكتاباتهم تأثير لاينكر على الفكر الاسلامى المعاصر ، وقد حملت البعث الاسلامى والرائد لواء الدفاع عن الاسلام علمياً وأدبياً وفكريا ، ومكافحة التيارات الهدامة ، فى العالم العربى كالقومية العربية والاشتراكية والنظريات السياسية والاجتماعية الوافدة ، ودافعت عن المظلومين والمضطهدين من الاسلاميين ، و رفعت كلمة الحق بقوة و جراءة ، فكانت متنفسا للدعاة الذين كممت أفواههم ، و بديلا عن الصحف الاسلامية التى خضعت للرقابة العسكرية ، ومنعت من الصدور حينا بعد حين لجاهـد هؤلاء الكتاب بأقلامهم فى سبيل كلمة الحق ، و هم شاركوا النضال فى البلاد العربية ، و هم بعيدون عنها جغرافياً ، لكن قلوبهم و عواطفهم و مشاعرهم كانت دائماً مع الاخوة المستضعفين فى البلاد العربية ، شعارهم الوحيد إلى الاسلام من جديد ، و ارتفعوا عن كل حواجز جغرافية و قومية و سياسية ، رغم إمكانياتهم الضئيلة ، وخاطبوا الأمة الاسلامية فى عصر القوميات ، و فى عصر الانقسام على أسس النظم الاقتصادية و الفكرية ، بخطاب واحد ، « أخى فى الدين لا فى التراب والطين » و كان هذا الصوت غريباً فى الستينات ، و كان رجعية ، و عمالة ، فصار الآن مألوفا ، و خفتت سائر الأصوات لفشلها فى النهوض بالأمة الاسلامية ، واتجه العالم إلى الاسلام من جديد ، وهو يتطلع إلى قيادة واعية ، مخلصة مؤمنة متدفقة بالايمان بالله ووعده ، وأجر الآخرة ، لا تلويها عن عزيمتها مصالح ذاتية ولا حزبية ، وسينصر الله من ينصره ، وهو على ما يشاء قدير .

تقرير موجز عن الندوة العلمية «الاسلام و المستشرقون»

التى عقدها مجمع دار المصنفين بأعظم كره الهند فى ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٣ فبرائر عـــام ١٩٨٢م

كان رجال المجمع (اكاديمية شبلى) يفكرون فيما إذا عقدوا ندوة يستعرضوا فيها أعمال المستشرقين و بحوثهم نحو الموضوعات الاسلامية ليكون بذلك تقييم لأعمالهم و استعراض لجهودهم العلمية فى المجالين السلبى و الايجابى ، فقد كان ذلك موضوعاً مهما من الموضوعات التى تستحق عقد ندوة علمية حولها .

و أذن الله بأن يتمكن المجمع على تنفيذ رغبته لعقد هذه الندوة فى ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٣ من شهر فبرائر للعام ١٩٨٢م الميلادى ، و ذلك فيما بين ٢٦ ـ ٢٨/ ربيع الثانى عام ١٤٠٣هـ بين يوم الأحد و الثلاثاء .

انعقدت هذه النــــدوة العلمية فى ساحة كلية شبلى و قاعتها المجاورتين لمبنى دار المصنفين المركزى فى بلدة أعظم كره ، و كانت قد ضربت سرادقات و خيام للجلسة الافتتاحية ولإ قامة الضيوف ، و ذلك لعدم وجود فنادق مريحة فى تلك البلدة ، و كانت ندوة العلماء و بخاصة كليتها للغة العربية متعاونة مع دار المصنفين فى تنظيم الندوة فقد وفد منها أصحاب الاختصاص فى ذلك .

و لقد كان تمثيل الجامعات العصرية والجامعات الاسلامية من الهند على نطاق واسع ، أما من خارج الهند فقد وفد مندوبون من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، و الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، وجامعة البترول و المعادن بالظهران ، وجامعة قطر بالدوحة ، و جامعة الامارات العربية المتحدة بمدينة العين ، و رابطة العالم

الاسلامى بمكة المكرمة ، و رئاسة القضاء الشرعى بأبوظبى ، و الجامعة الاسلامية ، باسلام آباد باكستان ، و مركز الدراسات الاسلامية بباكستان ، ومؤسسة همدرد فى كراتشى باكستان ، و جمعية الاسلام فى اليابان ، و قسم الدراسات الاسلامية بجامعة دربن أفريقيا الجنوبية ، أما من الهند فمن جامعات و جمعيات و مؤسسات إسلامية مختلفة ، و شخصيات علمية مختلفة ذات اختصاص و شهرة فى هذا المجال .

بدأت الجلسة الافتتاحية فى الساعة العاشرة صباحاً من يوم الأحد ٢١/ فبراير ، فى السرادق الكبير ، و اختير الباحث الاسلامى الكبير فضيلة الدكتور العلامة الشيخ يوسف القرضاوى عميد كلية الشريعة و الدراسات الاسلامية بجامعة قطر رئيساً لهذه الجلسة ، وافتتحت الجلسة بتلاوة آى من الذكر الحكيم تلاها طالب إندونيسى فى دار العلوم ندوة العلماء ، ثم قدم الأمين العام لمجمع دار المصنفين الأستاذ السيد صباح الدين عبد الرحمن كلمته الترحيبية ، و كانت متضمنة للبحث فى موضوع الاسلام و المستشرقين أيضاً ، ثم قدم عدد من ممثلى الوفود و الهيئات كلماتهم كان منهم مندوب جمعية الاسلام فى بنكوك تايلندا الأستاذ إبراهيم قريشى و مدير جامعة على كره الاسلامية معالى السيد حامد ، و رئيس مؤسسة همدرد باكستان معالى الأستاذ حكيم محمد سعيد ، و مندوب جامعة البترول و المعادن بالظهران الدكتور ظفر إسحاق الأنصارى ، و مندوب قسم الدراسات الاسلامية بجامعة دربن الدكتور السيد سلمان الندوى ، و عميد كلية شبلى السابق الأستاذ شوكت سلطان ، ذكر كل واحد منهم أهمية الموضوع الذى تبحث فيه هذه الندوة و أشاد بسبق دار المصنفين فى عقد ندوة علمية على هذه الموضوعات ذات الصلة بالاسلام و تاريخه وثقافته ، ثم تليت ثلاث من الرسائل العديدة التى وردت إلى دار المصنفين بهذه المناسبة ، و كانت منها رسالة الدكتور معروف الدواليبى

من الرياض و رسالة من سماحة الشيخ أحمد بن عبد العزيز آل مبارك رئيس القضاء الشرعي بأبو ظبي حملها و قدمها فضيلة الدكتور تقى الدين الندوى مستشار رئاسة القضاء الشرعي و أستاذ جامعة العين ، و رسالة من الدكتور عبد السلام الهراس ، رئيس القسم الأدب العربى بجامعة فاس المغرب ، ثم قدم رئيس مجمع دار المصنفين فضيلة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى محاضرته القيمة ككلمة ترحيبية بالمندوبين و كبحث افتتاحى للندوة ، و كانت ضافية و قيمة فى الموضوع ، ثم ألقى سعادة رئيس الجلسة فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى خطابه الرئيسى.

وانفض المجلس فى الساعة الواحدة ظهراً بعد أن أعلن عن تشكيل لجنة تقوم بتنظيم البحوث ، و اختير لها المندوبون الآتية أسماؤهم فيما يلى .

الدكتور عبد الصبور مرزوق	مدير عام رابطة العالم الاسلامى مكة المكرمة
الدكتور محمود أحمد الطنطاوى	رئيس قسم الشريعة و القانون فى جامعة الامارات العربية المتحدة
الدكتور ضياء الحسن الفاروقى	رئيس قسم الدراسات الاسلامية و اللغات الشرقية فى الجامعة الملية ، دهلى
الدكتور السيد سلمان الندوى	رئيس قسم الثقافة الاسلامية فى جامعة دربن أفريقيا الجنوبية
الدكتور ظفر إسحاق الانصارى	أستاذ التاريخ الاسلامى فى جامعة البترول و المعادن ـ الظهران
الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى	وكيل كلية اللغة العربية بدار العلوم ندوة العلماء
الأستاذ سعيد الأعظمى الندوى	أستاذ الأدب العربى فى دار العلوم ندوة العلماء
الدكتور مشير الحق	أستاذ ورئيس قسم فى الجامعة الملية الاسلامية بدلهى

وانتهت الندوة فى مساء اليوم الثالث بنجاح كبير ، فالحمد لله الذى تتم بنعمته الصالحات.

شيخ الأزهر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار فى ذمة الله

تلقت أسرة ندوة العلماء فى الهند نبأ وفاة الامام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر بحزن بالغ ، و أسف كبير ، فقد كان الخبر مفاجأة صدمت القلوب ، و آلمت الأوساط العلمية والدينية فى كل مكان ، و ذلك فى ٨/ مارس ١٩٨٢ - ١٢/ جمادى الأولى ١٤٠٢ھ فانا لله و إنا إليه راجعون .

لقد كان الراحل عالما بارزاً بين علماء الاسلام فى العالم الاسلامى كله ، و متعمقاً فى الفكر الاسلامى ، و الفلسفة الاسلامية ، عاش فى أوربا حيث كان رسالتــه للدكتواره حول تاريخ الفلسفة الاسلامية ، و قضى وقتاً فى الولايات المتحدة كرئيس للمركز الاسلامى فى واشنطن ، فرأى الحضارة الغربية عن كثب واطلع على ما فيها من متاعب ومساوىء ، ورد عليها فى كتاباته ودراساته الفكرية

كان الفقيد الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار من متخرجى الأزهر من كلية أصول الدين ، وبعد ماتخرج منها عين أستاذاً فيها ، و ظل يدرس العلوم الشرعية وأصول الدين فى هــذه الكلية إلى مدة طويلة فاستفاد منه طلاب الشريعة و أخذوا م ينبوع علمه و فكره نصيباً كبيراً ، و قد شغل منصب الأمين العام للمجلس الأع بالأزهر ، و منصب الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية وترقى من هذا المنصب و عين وكيلا للأزهر عام ١٩٧٤ و عمل مع الامام الراحل فضيلة الدكتور ع الحليم محمود شيخ الأزهر فى ذلك الوقت ، ثم عين وزيراً للأوقاف ، وظل مشغو بهذا المنصب حتى تولى مشيخة الأزهر فى يناير عام ١٩٧٩ م ، التى كانت أهم در و آخر منصب علمى و دينى فى حياته .

سافر الامام الراحل إلى دول العالم الكثيرة للمشاركة فى الندوات والمؤتمرات العلمية و الدينية ، و وفق إلى وضع كتب علمية ودينية قيمة لها أهميتها فى المكت الاسلامية ، و من أهم هذه الكتب .

١ـ العقيدة و الأخلاق فى الفلسفة اليونانية .
٢ـ تأملات فى الفلسفة الحديثة و المعاصرة .

٣ـ الاسلام بين العقائد و الأديان .
٤ـ الاسلام و المسيحية .
٥ـ الحرب و السلام فى الاسلام .

و كان اختصاصه فى دراسة الفلسفة الاسلامية فكان يتمتع بوعى فكرى و فلسفى و ينظر إلى الحياة و الكون من خلال ذلك، وكان يجيد اللغة الانجليزية أيضاً ، وكان يرى أن الانطلاق إلى العالم يجب أن يكون من قاعدة إيمانية قوية .

وكان يتمنى أن يكرمه الله بالاخلاص والعمل لمرضاته فكان يقول : أرجو الله أن يلهمنى منهج الصدق والاخلاص فى العمل ، وأن يجعل منهجى الذى أومن به « و من يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

رحم الله الامام الراحل شيخ الازهر ، و ألهم المسلمين فى العالم الصبر ، و يدخله بجوار رحمته .

إعلان الملكية

١ـ مركز النشر : دار العلوم ندوة العلماء بادشاه باغ لكهنؤ .
٢ـ شهرية .
٣ـ الطابع : جميل أحمد ـ هندى ـ ٤٩/ ٢٦٥ ساكن وكتوريه كنج لكهنؤ .
٤ـ الناشر : جميل أحمد ـ هندى ـ ٤٩/ ٢٦٥ ساكن وكتوريه كنج لكهنؤ .
٥ـ رئيس التحرير : سعيد الأعظمى الندوى وواضح رشيد الندوى هندى الجنسية .
٦ـ ملك : ندوة العلماء لكهنؤ .

أنا الموقع أدناه جميل أحمد أصدق أن التفاصيل المذكورة أعلاه صحيحة على حد علمى .

الناشر : جميل أحمد

مارس سنة ١٩٨٢ م